



كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٦٦ م

رمضان سنة ١٣٨٥ هـ

مدونة لسان العرب
http://lisaanularab.blogspot.com



أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي { في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الأقطار ١٢٠٠ قرش سوري }

وإذا طُلِب إرسال المجلة بالبريد الجوي تُضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكُتّاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

مدونة لسان العرب
http://lisaanularab.blogspot.com

قاسم بن ثابت السرقسطي

وكتابه

في غريب الحديث المسمى بالدلائل

في كتاب سيدنا الرسول العربي ﷺ لوائل بن حجر ولقومه الأقيال العباهلة من أهل حضرموت ألفاظ غريبة كان لا يفهم أكثرها الصحابة من حوله . لأنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم الخاصة ، ومن هذا الكتاب : « على التّيعة شاة والتّيمة لصاحبها ، وفي السيوب الخمسُ لا خِلاط ولا وِراط ، ولا شِناق ولا شِغار ، ومن أجبَى فقد أربى[1] » ، وقد سئل ابن الأعرابي عن (التيعة) فقال : لا أدري ؛ وقال الإمام علي للنبي ﷺ ، وقد سمعه يخاطب وفد بني نَهد[2] : يا رسول الله ، نحن بنو أب واحد ،

---

(١) وعن الفرّاء : (التيعة) من الشاء القطعة التي تجب الصدقة ترعى حول البيوت و (التيمة) الشاة تذبح في المجاعة ، وقد ذكر الزمخشري في أول كتابه الفائق هذه الرسالة ، ومن شرحه لألفاظها : (السيوب) الركاز وهو المال أو المعدن المدفون جمع سيب بمعنى العطاء لأنه عطاء الله ، و (الخلاط) أن يخالط صاحب الثمانين صاحب الأربعين في الغنم ، و (الوراط) خداع المصدّق بأن يكون له أربعون شاة فيعطي صاحبها نصفها مأخوذ من الورطة ، و (الشناق) أخذ شيء من الشنق وهو ما بين الفريضتين ، و (الشغار) من أنواع الزواج في الجاهلية ، و (أجبى) باع الزرع قبل بدو صلاحه ، و (أربى) دخل في الربا ، والمصدر الارباء .

(٢) بنو نهد من قبائل اليمن .

وراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره ، فقال : أدبني ربي فأحسن تأديبي ، وربيت في بني سعد (١) .

وظلّ أصحاب النبيّ يسألونه عما لا يفهمون له معنى فيفسره لهم ، واستمر ذلك إلى وفاته ، ولما فتحت الأمصار ، وخالط العرب من الأعاجم الفرس والحبش والروم والأنباط ، تداخلت اللغات ، ونشأ من مسلمة الأعاجم من تعلموا من العربية لغة التخاطب فحسبُ ، ثم نهج التابعون نهج الصحابة إلا أنهم كانوا أقلّ منهم ضبطاً وإتقاناً ، فصعب على كثير من المسلمين فهمُ ما ورد في القرآن والحديث من الغريب ، فاستعجمت العربية بأبناء الأعاجم ، واستشرى فساد اللغة ، وكثرت الألفاظ الغريبة ، فشرع الغُيُر على العربية من علمائها في جمع الغريب من ألفاظ الحديث والآثار ؛ ومما أورده ابن الأثير أيضاً في مقدمة نهايته في تاريخ تأليف غريب الحديث ما خلاصته :

قيل ان أول مَن جمع في هذا الفن شيئاً وألّف فيه أبو عبيدة معمر بن المثنّى التيمي ، فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتاباً صغيراً ذا أوراق معدودات ، ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما أن كل مبتدىء لشيء لم يسبق إليه فانه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر ، والثاني أن الناس يومئذٍ كان فيهم بقيّة ، وعندهم معرفة فلم يكن الجهل قد عمّ ، ولا الخطب قد تمّ ، ثم جمع أبو الحسن النّضر ابن شُميل (٢) المازني بعده كتاباً في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عبيدة وشرح فيه وبسط على صغر حجمه ولطفه ، ثم جمع عبد الملك بن قُريب (الأصمعي) كتاباً أحسن فيه الصنع وأجاد ، ونيّف على كتابه وزاد ، وكذلك

---

(١) في العرب سعود كثيرة منها سعد تميم وسعد قيس وسعد بكر بن هوازن ومنهم حليمة السعدية التي أرضعت النبي ﷺ وكانوا من أفصح العرب وأكثرهم مروءة ووفاءً .

(٢) توفي ٥٨١ هـ .

محمد بن المستنير المعروف بقطرب وغيره من أئمة اللغة والفقه جمعوا أحاديث تكلموا على لغتها ومعناها في أوراق ذوات عدد ، ولم يكد أحدهم ينفرد عن غيره بكبير حديث لم يذكره الآخر ، واستمرت الحال إلى زمن أبي عُبيد القاسم بن سلاّم وذلك بعد المائتين فجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار ، ويروى أنه قال : إني جمعت كتابي هذا في أربعين سنة ، وهو كان خلاصة عمري ، وظل كتابه مرجع الناس إلى عصر ابن قتيبة الدينوري فصنف كتابه في غريب الحديث والآثار . وحذا فيه حذو أبي عبيد وتتبع ما أغفله من الألفاظ الغريبة .

وممن ألف في غريب الحديث والآثار وكان في زمان ابن قتيبة الإمام إبراهيم بن إسحق الحربي وجمع كتابه المشهور في غريب الحديث ، وهو في مجلدات عدة استقصى فيه الأحاديث بطرق أسانيدها ، ومثله ألف في الغريب شمر بن حمدويه ، وأبو العباس أحمد بن يحيى (ثعلب) ، وأبو العباس محمد ابن يزيد المبرّد ، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وأحمد بن الحسن الكندي ، وأبو عمر الزاهد صاحب ثعلب ، ولم يخلُ عصر ممن لم يجمع في هذا الفن شيئاً ، وفي فهرست ابن النديم فصـــل خاص للمؤلفين في غريب الحديث كهؤلاء الذين مرّ ذكرهم . وفي تراجم علماء اللغة والحديث من الفهرست كثير ممن لم يذكرهم ابن النديم في هذا الفصل ولعلهم يلفون المذكورين أو يزيدون .

واستمرت الحال في تصنيف الغريب إلى عهد الإمام أحمد بن محمد الخطّابي وكان بعد ٣٦٠ هـ ، فألف كتابه المشهور الذي سلك فيه نهج أبي عبيد وابن قتيبة فقد ذكر الخطابي كتابيهما وأثنى عليهما ، وذكر في كتابه أنه ذكر ما لم يرد في كتابيهما من ألفاظ الغريب ، وفي عصر الخطابي صنف الإمام أحمد بن محمد الهروي صاحب الإمام الأزهري كتابه في غريب القرآن والحديث

وسماه كتاب الغريبين ، جمع فيه ما في كتاب أبي عبيد وابن قتيبة وغيرهما من المتقدمين ، فانتشر في الأمصار وصار العمدة في غريب الحديث .

وألّف أبو القاسم الزمخشري في غريب الحديث كتابه (الفائق) مقفّى على حروف المعجم[1] ، ثم ألف محمد بن أبي بكر المديني الاصفهاني كتاباً سالك فيه مسالك الهرويّ وقد اختصره من كتابه ، ثم اطلع الإمام ابن الأثير على جميع ما صنف من قبله فألف كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر ، وهو اليوم مرجع الباحثين عن غريب الحديث ، ولم يذكر في مقدمة كتابه الدلائل لأنه كتاب مغربيّ لم يطلع عليه ولم يبلغه ما قاله صاحب الأمالي فيه .

مزايا كتاب الدلائل . — لآل قاسم بن ثابت العوفيّين منزلة سامية بين علماء الأندلس ، ولكتاب الدلائل في شرح غريب الحديث مزايا جمـــة ، ولم يستغن عنه علماء الحديث واللغة ، فكانوا يفاخرون بقراءته ، نذكر على سبيل المثال الشيخ عبد الملك بن زهر الايادي ، ففي كتاب التكملة لابن الأبّار يروى عن أبي محمد بن عتاب أنه تناول منه موطّأ مالك والصحيحين والدلائل لقاسم السرقسطي . وكان العلماء يقرأون الدلائل على قاسم بن ثابت ، ويكتبونها عن الأصل ويفاخرون بذلك ، وذكرت التكملة ممن كتب الدلائل عبد الله بن محمد بن سارة البكري فقد كتب الدلائل لقاسم بن ثابت من أصله وقرأها عليه ، وتسلسل التحديث بالدلائل في أولاد قاسم منهم عبد الله ابن ثابت بن سعيد بن ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم العوفي ، فقد كان يحدث بالدلائل من تأليف جده الأعلى عن أبيه متصلاً ذلك في سلفه إلى جده ، وكان فقيهاً عريقاً في النباهة والعلم ، وحدث عنه من أكابر العلماء كثيرون .

---

(١) طبع المرة الأولى في حيدر آباد الدكن ١٣٢٤ هـ ، ثم طبعتـــه في القاهرة دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ .

وفي الدلائل من غريب اللغة وشرحه المفصل ما ليس في غيره من كتب الغريب واللغة ، فقد جاء في (بغية الملتمس)[1] ترجمة لثابت بن قاسم بن ثابت ، وذكر فيها كتاب الدلائل فقال : هو كتاب مفيد ذكر فيه ما لم يذكره أبو عبيد (القاسم بن سلام) ولا الخطّابي وأورد فيه من اللغة ما لم يورده أحد من علماء الغريب .

وكثيراً ما استشهد صاحب اللسان بالأحاديث النبوية وآثار الصحابة باختصار وحذف ، وهي كاملة في الدلائل ، مثال ذلك مادة (علج) في اللسان فقد جاء فيها ما نصه : « وعالجه فعلَجه َعلجاً : إذا زاوله فغلبه ، وعالج عنه دافع ، وفي حديث علي : إنه بعث رجلين في وجه وقال : إنكما علجان فعالجا عن دينكما ... » العلج الرجل القويّ الضخم ، و (عالجا) أي مارسا العمل الذي انتدبتكما إليه ، وجاء بعد حديث علي هذا في كتاب الدلائل ما نصه مع السند :

« حدثنا موسى بن هرون قال أخبرنا عليّ بن الجعد قال أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال : دخلت على علي أنا ورجلان : رجل منا - أي من بني مراد قوم عبد الله بن سلمة المرادي - ورجل من بني أسد أحسبه ، قال : فوجّهها وجهاً فقال : إنكما علجان فعالجا عن دينكما . » وبحديث الدلائل عرفنا الرجلين وقوميهما ، واطمأن القلب بالسند فإن موسى ابن هرون قد ذكره ابن حبان في الثقات ، وحسب علي بن الجعد أن يروي عنه مثل البخاري وأبي داود وأحمد وابن معين الذي كتب عنه أكثر من ثلاثين سنة ؛ ثم من شواهد مادة (علج) في الدلائل وهي غير موجودة في اللسان رجز الحديث التالي الذي رواه سهل بن محمد (أبو حاتم السجستاني) عن الأصمعيّ قال : أنشدني أعرابي من بني بكر بن وائل في مسلمة بن عبد الملك :

---

(١) ص ٢٣٨ .

مسلمَ يا خير قريش درجا أجلَّها حلماً وأحجاها حِجا
إذا الملمات اعتلجن عَلَجا كنتَ باذن الله منها مخرجا

ومن الشواهد المتعلقة بهذه المادة ولا توجد في اللسان : حديث يحيى ابن معين عن الأبرش قال : حدثنا محمد بن اسحق قال : رأيت سالم بن عبد الله (١) يلبس الصوف ، وكان علج الخلق ، يعالج بيديه ويعمل ، وقوله (علج الخلق) مثل حديثه الآخر الذي يقول فيه : (كان ذا كِدنة) قال أبو زيد يقال : ما أحسن كِدنته وعِبْدته أي قوته وأنشد :

إني على ذاك لباقٍ كِدنتي وتارك وجهيَ بين صِبيتي
وجاعل ذكر الغواني همتي

وفي مادة (حزم) من اللسان يستشهد ابن منظور على قولهم : شدّ حَزيمَه وحيازيمَه أي تشمّر للأمر بقوله : « وفي حديث عليّ عليه السلام :

أشددْ حيازيمَك للموت فان الموت لاقيكا

وعبارة الدلائل : « وفي حديث علي بن أبي طالب أنه كان إذا نظر إلى ابن ملجم يقول :

اشددْ حيازيمَك الموتِ فان الموت آتيكا
ولا تجزع من الموتِ إذا حلّ بواديكا

حدثنا ابن الهيثم عن داود بن محمد عن ثابت بن عبد العزيز ، قال يقال للرجل : أشددْ حيازيك لهذا الأمر أي تشمر للأمر ، أي وطّن نفسك عليه ، والحيزوم الصدر وما احتزم به قال الراعي :

زجلُ الحَداء كأنّ في حيزومه قصباً ومقنعة الحنين عَجولا

يقول كان في صوته مزامير من حسن صوته ، وقوله (مقنعة الحنين)

(١) هو حفيد عمر بن الخطاب ، أحد الفقهاء السبعة . وكان من الثقات الأثبات يشبه أباه في الهدي والسمت .

يعني ناقة إذا حنَّت رفعت رأسها وأقنعته ، وبعضهم يسمي الحيزوم حزيماً قال أعشى باهلة :

إني أشد حزيمي ثم يدركني منك البلاء ومن آلائك الذِكَرُ

وفي حديث العائدي التالي الذي جاء في الدلائل صلة لشعر أحيحة بن الجُلاح لم تذكر في الأغاني (١) ولا في خزانة الأدب للبغدادي ولا في محاضرة المجمع العلمي المغربي عن أحيحة ولا غيرها مما لم أطلع عليه ، والحديث هو : حدثنا أحمد بن زكرياء العائدي في حديث له إن المثل الذي تمثل به عليّ ابن أبي طالب رحمه الله هو لأحيحة بن الجلاح (٢) يقوله لابنه سهل وزادنا فيه :

ألا أبلــغْ سهيلاً أنــــني ما عشتُ كافيــكا

فلا يشغلْكَ عمـــا لكَ في السيف تَرائيـــكا

وسمِّح عنك في المشية لا يجـــدي تَبازيـــكا

فان الدرعَ والبيضــــة يوم الروع تكفيـكا

وقوله (لا يجدي تبازيكا) فان البزاء في الظهر أن يتأخر العجز ويستقدم الصدر ، فتراه لا يقدر أن يقيم ظهره ، يقال : رجل أبزى وامرأة بَزواء ، ويقال للمرأة إذا كانت عجيزتها خارجة : قد تبازَت قال عبد الرحمن بن حسان :

فتبازَتْ وتبازختُ لهـــا جِلسةَ الجازر يَستنجي الوتَرْ

وقال كثير :

رأتني كأشلاء اللحام وبعلها من القوم أبزى منحنٍ متباطنُ

وهنالك شروح نفيسة أخرى تركناها خشية الإسهاب ، وفي هذا الحديث نجد اللسان قد اقتصر على البيت الأول من شعر أحيحة ، وهو الذي يستشهد

---

(١) الأغاني ١٣/١١٥ وخزانة البغدادي ٢/٢٣ ومحاضرات المجمع العلمي العربي ١/١٦٧ .

(٢) الأوسي (ـ ١٣٠ هـ) شاعر جاهلي من دهاة العرب وأبطالهم كان سيد يثرب في الجاهلية ، وله فيها أطام ومزارع ومال كثير ، أما شعره فالباقي منه قليل ولا نعلم له ديواناً مخطوطاً .

العروضيون به على الخزم الذي قد يكون جملة مثل (أشدد) ، وفي الدلائل ستة أبيات ، وبمثل هذا الاستشهاد والتفصيل الجميل تزداد معاني الغريب وضوحاً وبياناً ورسوخاً في الذهن .

أما القاموس المحيط فما انتقدوه على معجمه ما في تعريفاته للكلمات من اختصار مخل بالمعنى الدقيق والوصف ، وما قصده إلا حشو أكبر عدد من المفردات في قاموسه ليفتخر بذلك على الجوهري وصحاحه ، وتعريفات الصحاح أوضح وأتمّ من تعريفات القاموس ، وفي الدلائل من الشروح ما هي أشد تفسيراً وتصويراً من القاموس والصحاح وغيرهما .

نسب قاسم بن ثابت المصنف وأسرته . — قال ثابت بن قاسم [1] :
ولد أبي قاسم بن ثابت سنة ٢٥٥ هـ وتوفي بسرقسطة [2] سنة ٣٠٢ هـ ، وتوفي جدي ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بسرقسطة سنة ٣١٣ هـ ، وهو ابن خمس وتسعين سنة ، وقال ثابت : خرج أبي مع جدي إلى الحج سنة ٢٨٨ هـ فسمعا بمكة من مثل أبي محمد عبد الله بن الجارود ومحمد بن علي الصائغ وأبي عمران موسى بن هرون الجمال ومحمد بن القاسم الجمحي وغيرهم ؛ وسمعا بمصر من جماعة منهم محمد بن أحمد بن الهيثم التميمي وأحمد بن عمر بن عبد الخالق البصري البزّار وأحمد بن حمزة بن محمد بن هرون ؛ وسمعا بالأندلس من محمد بن عبد السلام الخشني وعبيد الله بن يحيى ومحمد بن وضاح ومطرّف بن قيس ، وانفرد جدي ثابت بالرواية عن بقيّ بن مخلد ومحمد ابن أحمد العتبي . قال ثابت : وكان قاسم (أبي) ورعاً فاضلاً ، وهو من بني عوف من غطفان .

---

(١) هذه المعلومات غير موجودة في كتب تواريخ الأندلس المطبوعة ، وهي منقولة بخط الناسخ من آخر صفحة من النسخة الظاهرية الدمشقية .

(٢) واسمها الاسباني Zaragoza .

قال الحكم المستنصر الخليفة الأمويّ : سألت ثابتاً عن نسبه فقال : من بني عوف ، قال الحكم : فذكرت ذلك لزكرياء بن الخطاب فقال : هم من البربر يتولّون زهرة بن كلاب ، ووقع بينه وبين الذين كان يتولاّهم كلام (أي خصام) فخلف ألاّ ينتمي إليهم ، ثم ندم وتندّم من ذلك فكتب العوفي ، فقلنا له : يا أبا القاسم ما هذا ؟ فقال : أليس عبد الرحمن بن عوف ، وانه من والى ولد عبد الرحمن فهو مولى عبد الرحمن ؟ قال الحكم : فقال لي زكريا بن خطّاب : هو مولى زهرة مولى علاقة ، وهم من البربر وانتهاء البربر إلى ولاء زهرة في ذلك الثغر وذلك الشرف كثير جداً ، لا ترى أحداً من البربر يذكر غير ولاء زهرة إلا الشاذ ، يزعمون أنهم أسلموا على يدي رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف كان عندهم في الثغر وقت افتتاح الأندلس ، وتوفي ثابت ابن قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي سنة ٣٥٢ﻫ ومولده سنة ٢٨٩ ﻫ وقد بلغ من السن ٦٣ سنة .

من هو مؤلف الدلائل ؟ . — في كتاب بغية الملتمس للضبي ترجمة لثابت بن قاسم جاء فيه ما نصه : قال الحميدي : وقد رأيت من ينسب الكتاب إلى ثابت ، ولعله من أجل روايته إياه وزياداته فيه نُسب إليه ، وإلاّ فالكتاب من تأليف قسم بن ثابت أبيه ، قال : هكذا قال لنا أبو محمد علي ابن أحمد وغيره ، وقد رأيت في بعض النسخ (كتاب الدلائل لثابت) رواية أبيه عنه ، وكان بعض أشياخي يقول : إن قسماً روى هذا الكتاب عن أبيه ، وإن المؤلف ألفه بمصر والله أعلم . وأما ما جاء في نفح الطيب في ترجمة قاسم بن ثابت فنه : ومنهم قاسم بن ثابت أبو محمد السرقسطي العوفي رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النسائي وأحمد بن عمرو البزّار . واعتنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه فأدخلا الى الأندلس علماً كثيراً ، ويقال إنهما أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس ، وألف قاسم

في شرح الحديث كتاباً سماه الدلائل بلغ الغاية في الإتقان ومات قبل إكماله فأكمله أبوه ثابت بعده .

فكتاب (الدلائل) في بغية الملتمس هو لثابت بن قاسم ، وهو على رأي الحميدي من تأليف قاسم بن ثابت أبيه ، نسب لثابت الابن من أجل روايته عن أبيه وزياداته فيه ، والكتاب على رواية المقري في نفح الطيب من تأليف قاسم وانه مات قبل أن يكمله فأكمله أبوه ثابت بعده ، أي أبو قاسم ، وهو الصحيح ، فليس الكتاب من تأليف ثابت الابن ولا الأب بل هو لقاسم بن ثابت كما ذكره أبو محمد علي بن أحمد وهو الإمام ابن حزم شيخ المعقول والمنقول ، والذي بأقواله تطمئن العقول .

وصف المخطوطة الظاهرية . — ألّف الناسخ المخطوطة الظاهرية من سفرين لم يبق منها غير الثاني الذي يبتدىء بأحاديث الإمام علي بن أبي طالب . والسفر الأول مسروق من خزانة العمرية أو الضيائية قبل نقلها إلى قبة الملك الظاهر ، وهو يشتمل على أحاديث النبي ﷺ وعلى آثار أبي بكر وعمر وعثمان من الراشدين ، وكانت هذه النسخة قبل العمرية من كتب المدرسة الضيائية بسفح قاسيون ، وقفها علي بن سالم بن سليمان الحصني ، وقد كتب الناسخ على صفحة العنوان : « السفر الثاني من كتاب غريب حديث رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ، وما جاء في ذلك من اللغات والأمثال والمصادر والشاهد تأليف القاسم بن ثابت بن عبد الرحمن العوفي السرقسطي رحمه الله » وكتب الناسخ تحت هذا العنوان ثلاثة أبيات لأبي الفتح البستي نثبتها لفائدتها وهي :

يقولون : كم تشقى بدرسٍ تديمه ... وتمعن فيه دائباً كل إمعانِ
فقلت : ذروني إنما أنا كادحٌ ... لأكمل ذاتي أو لأجبر نقصاني
إذا لم يكن نقصان عمري زيادةً ... لعلمي فإني والبهيمة سيانِ

وهذه النسخة الظاهرية برقم ١٥٧٩ أندلسية الخط وقرطاسها صقيل مصفرّ ، وهي مضبوطة بالشكل الصحيح غالباً ، ومن تمام الضبط أن الكلمة إذا كانت تقال بفتح أولها وضمه وضع على الحروف فتحة وضمة ، فوقها رمز (معا) ، بحرف دقيق أي تقال بالحركتين معاً كقولهم (تركته بهَنُوب دابر) وفعل (وجَـِم) يقال بفتح الجيم وكسرها وفوق الفتحة (معا) ويضع تحت الحاء والعين حاء أو عيناً صغيرة ، ومع كل هذا الضبط يبدو أن الناسخ كان لا يقيم وزن الشعر ، فقد ذكر ما أنشده الضحاك بن قيس في الكوفة على قبر زياد ، وهو بيتان من الشعر كتبها الناسخ متصلين كما يكتب النثر والبيتان هما :

إن تحت الأحجار حزماً وجوداً وخصيماً الدّ ذا مغـــلاقِ

حية في الوجار أربد لا ينـــفع منه السليمَ نفثُ الراقي

وكأن الناسخ نسي أن يكتب اسم الكتاب (الدلائل) في أعلى صفحة العنوان ، ولم ينس ذكر الاسم في خاتمة الكتاب ولا تاريخ نسخه ومكانه ، وإنما جاء ما نصه : « تمّ كتاب الدلائل والحمد لله كثيراً على عونه وصلى الله على محمد نبيه وعلى أهله وسلم ، وكان تمامه بمدينة قرطبة في شهر جمادى الأولى الذي من عام تسعة وتسعين وأربع مائة ، كتبت جميعه من كتاب قوبل بكتاب ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي الذي بخطه ، وكان كتبه للحكم أمير المؤمنين من الكتاب الذي عمل فيه أبوه قاسم بن ثابت » .

ومقاس الصفحات من المخطوطة ومسطرتها (٢٠ × ١٤) بدون اعتبار الحواشي ، وهي في الهوامش منها ما هو بخط الناسخ وما هو بخط غيره لاختلاف القاعدة والحبر ، ويتألف السفر الثاني الباقي من ١٨٠ ورقة أو صحيفة أي من ٣٦٠ صفحة ، وفي كل صفحة خمسة وعشرون سطراً ، والسطر مؤلف مما بين ١٠ — ١٣ كلمة مع اعتبار العوامل ، وخط المخطوطة مغربيّ أندلسي ومضبوط بالشكل الكامل وتغلب ـ ولله الحمد ـ الصحة عليها .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله

غريب علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال أبو عبيد القاسم بن سلام في حديث علي رضي الله عنه

[illegible]

حدثنا [illegible] قال حدثنا [illegible] قال حدثنا عمرو بن خالد قال حدثنا
ابن لهيعة عن عقيل أنه سمع ابن شهاب يخبر عن عطاء بن أبي رباح عن علي بن أبي طالب
وذكر الحديث قال [illegible] آخر حلفتها فهي شطور وقال غيره [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قال الأصمعي
[illegible] أخلاف الناقة

[illegible]

[illegible]

الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب الظاهرية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم

ومن حديث النبي صلى الله عليه وسلم

أنه أتي بعلالة شاة فأكل منها ثم صلى ولم يتوضأ يرويه سفيان عن عبد الله بن
محمد بن عقيل عن جابر . **قوله** بعلالة شاة يريد بقية يسيرة كان فضل منها .

وقال الراجز

أحمل إليه ومن الحمالة من صفقة البر والعلالة

والعلالة [illegible] فالأجر زبر العلالة التي تعلل بعد حلب الدرة
سميت بذلك لأنها تعلل صبيها بشيء من المرق واللبن . **وأنشد**

وقال الزبير [illegible] العلالة ورعوا عن [illegible] لا يطرقون هو لموارقه
قال [illegible] وشيئه بأصفر [illegible] أبلد [illegible]

وأخبرنا أبو الحسن عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال التعلة والتعلل
والعلالة واحد . **وأنشد**

عنها ولا ينسى الليالي تعلة بإرقال [illegible] قال [illegible] وتعنق
[illegible] كان [illegible] ومن [illegible] شاق
[illegible] من النوم [illegible] وأنباء [illegible] لا يقظا وقال الأسود بن يعفر
أمن المنون وريبه [illegible] على الناس [illegible] بالناس [illegible]
[illegible] عنده يستعين [illegible] أمال [illegible]

وأخبرنا إسماعيل الأسدي قال قال الزبير بن بكار قال أبو وهب بن المنذر الحزامي
قال [illegible] فضالة وأنشد الحسين بن ثور الهلالي وكانت له صحبة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم [illegible] عن التشبب بالنساء
[illegible] على كل أفنان العضاه [illegible]

الصفحة الأولى من النسخة المغربية

الخزانة الناصرية
مخطوطات [illegible] 197
العامة بالرباط

المخطوطة الرباطية المغربية . — وهي من مخطوطات الأوقاف والخزانة العامة بالرباط ورقمها ١٩٧ ، وخطها مغربيّ أندلسي ، ولا نعلم مقاسها الأصلي ومسطرتها لأنها ليست لدينا ، وهي مؤلفة من ٦١٦ ورقة ، وفي آخر صفحاتها ما نصه : (بلغت بالمقابلة من الأصل المنتسخ منه والحمد لله على ذلك) وتحت هذه العبارة صورة خاتم كتب في دائرته : مكتبة الزاوية الناصرية ـ تمكروت ، وفي المركز رقم ٣٢٣ .

وبمقابلة نسختنا الظاهرية المشرقية بهذه النسخة المغربية ظهر لنا أنها قد سدت من نسختنا نقصاً كبيراً ، ذلك أن نسختنا تتألف كما ذكرناه من سفرين أولهما مفقود ، والسفر الثاني الموجود يبتدئ بأحاديث عليّ بن أبي طالب ، فالسفر الأول إذن كان يشتمل على الأحاديث النبوية وأحاديث الخلفاء الثلاثة من بعده ، وقد وجدنا أن النسخة المغربية تشتمل من أحاديث النبي ﷺ على ٨٨ ورقة فيها مئة حديث نبويّ ، ومن أحاديث أبي بكر على ٢٧ ورقة وفيها ١٨ حديثاً ، ومن أحاديث عمر بن الخطاب على ١٤٦ ورقة مشتملة على ٥٦ حديثاً ، ومن أحاديث عثمان على ٢٤ ورقة فيها عشرة أحاديث ، مجموع هذه الأوراق ٢٨٥ ، ومجموع أحاديثها ١٨٤ حديثاً خلت منها نسختنا الظاهرية ، وذلك أحب الينا من كل عوض جليل وغنم جزيل .

أما أحاديث الإمام علي فهي بأجمعها في نسختنا المشرقية وبترتيب المغربية ، ويأتي بعدها بالترتيب المحكم في النسختين أحاديث الزبير وطلحة وسعد وأبي عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وأبي بن كعب وأبي موسى الأشعري والمقداد والعباس وزيد بن ثابت وبقية أعلام الصحابة وكبار التابعين .

أجل ، كان السرور عظيماً بوجود نسخة ثانية من الدلائل في خزانة الرباط العامة فيها وجدنا من ضالتنا سداداً من عوز وسداً لنقص المفقود أو جلّه من هذا الكتاب الجليل مما أوجب علينا أن نشكر الأستاذ عبد الله الرجراجي محافظ خزانة الرباط العامة الذي أرسل لمجمعنا العلمي العربي فلماً من المخطوطة الرباطية حمله إلينا عضو مجمعنا الدكتور شكري فيصل جزاه الله خيراً ، والرجاء من كل من يقرأ من الأفاضل هذا المقال عن الدلائل أن يبحث لنا عن نسخة ثالثة لعلها تكون الكاملة ، وسيشرع المجمع في نشر الدلائل بعد العثور عليها ، والإبطاء مع التمام خير من العجلة مع النقصان .

هل النسخة المغربية ناقصة ؟ — قيل لنا ان الناسخ المغربيّ قد جزّأ النسخة الرباطية أجزاء ثلاثة ينقص أولها ، ونسختنا الشرقية الظاهرية مؤلفة من سفرين ضاع أولها ، ولم تظهر التجزئة الثلاثية لنسخة الرباط إلا بالعبارة التالية التي جاءت آخر الورقة ٣٠٦ ولفظها : « تمّ الشرح بحمد الله وعونه ، وصلى الله على محمد نبيه وعبده وعلى آله وسلم تسليماً وزادهم شرفاً وتعظيماً ، يتلوه في السفر الثالث إن شاء الله تعالى : « وقال في حديث النعمان بن بشير رحمه الله . » وليس في الورقات وعددها ٣٠٦ ما يشعر بانتهاء الجزء الأول بما يشبه قوله هذا مثل (يتلوه في السفر الثاني إن شاء الله كذا . . .) ، ونحن مع ذلك لا نجزم إلا إذا وقعت له نسخة كاملة من الدلائل بأجزائها الثلاثة ، وبالمقابلة بين الناقصة والكاملة يتبين لنا مبلغ النقص ، وقد كتبت إلى كثير من أفاضل المغرب ومنهم البحاثة السيد محمد ابراهيم الكتاني المولع بتراث السلف وبالبحث عن مخطوطاته فكان في جوابه ما يضعف الرجاء ويخيّب

الأمل ، ومما كتبه : « وإني أؤكد لكم أنه لا تعرف لحد الآن في المغرب ورقة أخرى من كتاب الدلائل لا في القرويين بفاس ولا في أقسام الخزانة العامة بالرباط ، ولا فيما نظمناه إلى الآن بالقصر الملكي بالرباط ولا في مراكش ومكناس وتازة ووزان وازمة وتانغمالت والزاوية الحمزاوية وتطوان ، باستثناء المجلدين اللذين أرسلناهما لكم ، وكان من توفيق الله تعالى أن هيّأ لي فرصة العثور عليهما بين حوالي أربعة آلاف مخطوط بمكتبة زاوية تامكروت الناصرية التي تبعد عن الرباط بنحو ٨٠٠ كيلو متر في الصحراء ، والتي قضيت بها أزيد من أربعين يوماً ثم أسرعت بنقلهما إلى الرباط وتصويرهما والتعريف بهما ، وكنت أعتقد أنها النسخة الفريدة إلى أن زارني صديقنا العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي صحبة صديقنا الأستاذ خير الدين الزركلي ، فلما أطلعته عليها أخبرني بوجود جزء آخر عندكم وكنت أرجو أن يكون متمماً للنسخة ، فكشف الغيب الآن خلاف ذلك ، » ولذلك شرعنا في تحقيق النسخة الرباطية واتخذناها أمّاً لأنها أكمل من الدمشقية ، ومتى وصل التحقيق إلى أحاديث علي ، وهي أول السفر الثاني من النسخة الظاهرية ، قابلنا إحدى النسختين بالأخرى ، وأثبتنا في الحواشي ما في الاختلاف من فائدة ، وهذا ما يراه السيد الكتاني الذي وعدنا بأن يواصل البحث عن نسخة أخرى للدلائل ، لنضيف إلى دلائلنا ما ينقصها ، والسيد الكتاني من أسرة نبيلة صديقهم غير عاتب وآملهم غير خائب إن شاء الله .

اشتهار الدلائل في المشرق . — جاء في تاريخ علمــاء الأندلس لابن الفرضي : « أخبرني العباس بن عمرو الورّاق قال : سمعت اسماعيل بن

القاسم البغدادي (١) يقول : كتبت كتاب الدلائل ، وما أعلم انه وضع بالأندلس مثله ، فتعصّب ، ولو قال اسماعيل : انه ما وضع بالمشرق مثله ما أبعد » يريد أن أبا علي القالي صاحب الأمالي قد تعصّب للمشرق لبلاده وقومه ، وإنه لو أنصف لقال : ولا وضع في المشرق مثله أيضاً .

وجاء في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي في ترجمة ثابت بن عبد العزيز السرقسطي وابنه قاسم قال : وألف قاسم كتاباً في شرح الحديث سماه كتاب الدلائل ، وبلغ فيـــه الغايتين الإتقان والتجويد حتى حسد عليه وذكر الطاعنون أنه من تأليف غيره من أهل المشرق ! فمات قبل إكماله فأكمله أبوه ثابت بن عبد العزيز .

ثم قال : سمعت اسماعيل بن القاسم البغدادي يقول : لم يؤلف بالأندلس كتاب أكمل من كتاب ثابت في شرح الحديث ، وقد طالعت كتباً ألفت فيما لديكم ، ورأيت كتاب الخشني في شرح الحديث وطالعته فما رأيته صنع شيئاً ، وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب .

قال محمد بن حسن : ولو قال اسماعيل انه لم ير بالمشرق كتاباً أكمل من كتاب قاسم في معناه لما رددتُ مقالته ، على أن لأبي عبيد في هذا الفن فضل السبق إليه ؛ وقال اسماعيل : أخذت كتاب الدلائل على ولد قاسم إعجاباً مني بالكتاب !

---

(١) رحل أبو علي الى المغرب سنة ٣٢٨ هـ ودخل قرطبة في أيام عبد الرحمن الناصر الذي كتب اليه ورغّبه في الوفود عليه وكان أهل المغرب يلقبونه بالبغدادي لمجيئه اليوم من بغداد ، وفي هذه الزيارة للأندلس كتب كتاب الدلائل بيده استحساناً له واعجاباً بما اشتمل عليه .

وذلك يدل على أن علماء الحديث واللغة في المغرب ومن اطلع عليه كأبي علي القالي من علماء المشرق قد قدروا كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت السرقسطي حق قدره [١] وكتب بعض علماء المغرب فوق حديث الإمام عليّ يوم خيبر من النسخة الرباطية هذين البيتين الصادقين :

هذا الكتاب ولو يباع بوزنه ذهباً لكان البائع المغبونا
ومن الخسارة أن تراني آخذاً ذهباً وأعطي لؤلؤاً مكنونا

التنوخي



(١) وكان كتاب الدلائل من نفائس مخطوطات الحكم المستنصر بالله الأموي الذي كانت خزانة كتبه كما قيل تشتمل على نحو أربع مائة ألف كتاب ، وباسمه طرّز أبو علي البغدادي القالي كتابه الأمالي .

حياة الألفاظ

كلّما قلّبنا النظر في صفحة من صفحات معجماتنا شهدنا في عالم اللغة ما نشهده في عالم الطبيعة ، فانّ قوانين تنازع البقاء والانتخاب الطبيعي تجري أحكامها على آفاق الألفاظ جريانها على آفاق الحيوان والنبات ، ألفاظ تموت وألفاظ تعيش ، ألفاظ تحافظ على أصول معانيها ، وألفاظ تتحوّل من معنى إلى معنى ، مرةً تنتقل من وجهٍ خاص إلى وجهٍ عام ، ومرّة من وجهٍ عام إلى وجهٍ خاص ، ألفاظ تشقى وألفاظ تسعد ، فاللغة لا تثبت على حالٍ ولا تجمد على وضعٍ ، وحركتها مستمرّة على تعاقب السنين ، ولعلّ الاستشهاد ببعض الأمور يوضّح لنا حياة الألفاظ أتمّ توضيح .

كنت أطالع الكامل للمبرّد ، فوجدت فيه أن حارثة بن بدر كان رجل بني تميم في وقته ، وقد غلب على زياد وغلب الشراب عليه ، فقيل لزياد إن هذا قد غلب عليك وهو مستهتر بالشراب ، أفلا تطرحه ، فلم يطرحه زياد لفضائل وآداب كان يراها فيه ، فلمّا مات زياد جفاه ابنه عبيد الله ، فقال له حارثة : أيها الأمير : ما هذا الجفاء ، مع معرفتك بالحال عند أبيك ، أبي المغيرة ، فقال له عبيد الله : إنّ أبا المغيرة كان قد برع بروعاً لا يلحقه فيه عيب ، وأنا حَدَث ، وإنما أنسب إلى من يغلب عليّ ، وأنت رجل تديم الشراب ، إلى آخر هذا الخبر الذي يدلّ على عقل عبيد الله ، فالذي يهمنا في هذا المقام من الخبر كله إنما هو هذا المصدر : البروع ، في المعجم : برع ويثلث ، براعة وبروعاً . فاق أصحابه في العلم أو غيره ، أو تمّ في كل فضيلة وجمال ، فهو بارع ، وهي بارعة .

البراعة والبروع مصدر واحد ، ولكن البراعة غلبت على البروع ، فعاش هذا المصدر البروع حيناً من الدهر ثم حلّ محلّه أخوه المصدر الثاني : البراعة ، ودخلت البراعة في بعض علوم الأدب ، فقالوا : براعة الطلب وبراعة الاستهلال ، ولم يقولوا : بروع الطلب وبروع الاستهلال ، ولا يزال مصدر البراعة هو المستعمل في عصرنا ، وما أظن أن أحداً يميل إلى استعمال البروع بدلاً من البراعة ، ما عدا الذين يتوخون الحذلقة في الكتابة ، فيميلون عن ألفاظ مألوفة إلى ألفاظ غير مألوفة ؛ ولا ريب في أن الذين هم من هذه الطبقة في البيان يخرجون عن الطبع ويتكلفون ، والكلفة لم تكن محمودة في عصر من العصور ، غاية الألفاظ أن يفهمها الناس ، فاذا قلنا اليوم : البروع ، بدلاً من البراعة ، أشكل على القارئ المعنى واستنجد بالمعجم ليبحث عن معناها ، لا شك في أن استعمال البروع صحيح لا لحن فيه ، ولكن اللغة لها قوانين ، فما كل صحيح مستحسن ، فمن الألفاظ الصحيحة ما مات وحلّ محلّه لفظ لا يزال يعيش ، من هذا القبيل : البراعة والبروع ، على أن البروع ليست ثقيلة حتى تقوم مقامها أختها البراعة ، فهي على وزن الطلوع ، ومصدر الطلوع عاش حتى وقتنا هذا ، وما دامت الشمس تطلع فهو سيعيش ، أمّا مصدر البروع فلم يكتب له أن يعيش إلاّ في بطون المعجمات ، وهكذا نشهد في اللغة حياة الألفاظ وموتها .

وإذا انتقلنا في هذا العالم الغريب ، عالم اللغة ، من الآفاق التي حلّت فيها مصادر محلّ مصادر ، إلى الآفاق التي انتقلت فيها معاني الألفاظ من وجه إلى وجه شعرنا بحركة اللغة المستمرّة .

روى صاحب الكامل أبياتاً في ذكر الابن جاء فيها :

فنفسي فداؤك من غائبٍ إذا ما المسارح كانت جليدا

وقال المبرد في تفسير المسارح : إنها الطرق التي يسرحون فيها ، واحدها المسرح .

في كتب اللغة : المسرح ، بالفتح ، المرعى ، والفعل سرحَ كمنعَ ، والمصدر السَّرْحُ ، وله معانٍ كثيرة ؛ وسواء أكان المسرح المرعى أم كانت المسارح الطرق التي يسرحون فيها إنّا نرى أن هذه المادّة قد توسّع عصرنا في معناها ، فاطلقها على مسمّى لم يكن له ذكر في الماضي ، فاذا قلنا في عصرنا : المسرح والمسارح ، عنينا بذلك مسمّى جاء به هذا العصر ، فالمسرح هو المكان الذي يتمّ عليه التمثيل ، وغلبت هذه المادة على هذا المعنى الحديث ، واشتقّوا منها المسرحيات ، وهي الروايات التي تمثّل . لا ريب في أن المسارح بمعناها الأول لم تمت ، فهي لا تزال تعيش ، ولكنها لا تُفهم بهذا المعنى إلاّ إذا أُضيف إليها شيء ، فقلنا مثلاً : مسارح الغزلان أو مسارح النظر والخيال وما شاكل ذلك ؛ أمّا إذا قلنا : المسارح ، لا غير ، فلا نفهم من هذه المادّة إلاّ ما تقدّمت الإشارة اليه ، لا نفهم منها إلاّ المكان الذي يتمّ التمثيل عليه ، فهكذا نجد أن الألفاظ تنتقل على ترادف الأحقاب من معنى مقرّر إلى معنى حديث اقتضاه العصر .

وكما نجد أن بعض المصادر يغلب على بعض وأن بعض الألفاظ ينتقل معناه من وجهٍ إلى وجه فكذلك نجد أن طائفة من الألفاظ تشقى وطائفة تسعد ؛ فمن الألفاظ التي كانت سعيدة في ماضي دهرها تدلّ على معنى شريف ، ثم دار الدهر دورته فذهبت سعادتهــــا وصارت إلى الشقاوة لفظ الجرثومة .

في الأغاني أن اسماعيل بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك ، فاستنشده وهو يرى أنه ينشده مديحاً له ، فأنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم ، وبعد أن افتخر بكسرى وسابور الجنود والهرمزان قال :

هناك إن تسألي تنبي بأنّ لنا جرثومة قهرت عزّ الجراثيم

في اللغة : جرثومة الشيء ، بالضمّ ، أصله ، ولا ريب في أن الشاعر استعملها في شعره في مقام الدلالة على العزّ ، إلاّ أنها انحدرت على تراخي العصور من مقام رفيع إلى مقام دنيء ، فإن الجرثومة في عصرنا تدلّ على أصل الأذى والضرر وما شابه ذلك ، وقد نستغني عن إضافة الأذى والضرر إليها ، فاذا قلنا : فلان جرثومة من الجراثيم بلغنا من ذمّه كل مبلغ ، على أن من معانيها في اللغة ، التراب المجتمع في أصول الشجر ، وهذا المعنى ليس فيه شيء من العزّ ، ولكن كيف كان الأمر فقد استعملت في القديم بمعنى رفيع وانحدرت في الحديث إلى معنى دنيء ، فشقيت بعد تقلّبها في أعطاف السعادة .

ولقد أصاب مادّة العصابة ما أصاب مادّة الجرثومة من الشقاوة ، لمّا قال حسّان في بعض شعره :

لله درّ عصابةٍ نادمتهم يوماً بجلّق في الزّمان الأوّل

لم يقصد بالعصابة إلاّ ملوك غسّان ، وما أدراك من هم ملوك غسّان وما هي مجالسهم وآدابهم في تلك المجالس ، فانحدرت لفظة العصابة من أفق الملوك إلى أفق السوقة ، ثم من أفق السوقة إلى أفق اللصوص وقطّاع الطرق ، فاذا قلنا : عصابة ، فانما نعني بها اللصوص وقطّاع الطرق ، فكثيراً ما نسمع في أحاديث بعض المجالس قولهم : عصابة لصوص ، أو عصابة من المستغلين أو أشباه ذلك .

وكما تنحدر بعض الألفاظ من أفق رفيع إلى أفق وضيع فكذلك ترتفع بعضها من معنى شقيّ إلى معنى سعيد ، من هذا القبيل لفظ الرَّمَق وبعض مشتقاته ؛ في اللغة : الرمق ، محرّكةً ، بقيّة الحياة ، ومنه : عيش رمق ، ككتف ، ما يمسك الرَّمَق ؛ وما في عيشه إلاّ رُمقة ،

بالضمّ ، أي بُلْغة أو قليل يمسك الرمق . والرُّمُق ، بضمتين ، الفقراء ، المتبلغون بالرَّماق للقليل من العيش ؛ وهو مرمَّق العيش : ضيّقه أو خسيسه ، دونه . من هذا كله يتبيَّن لنا أن هذه المادّة وبعض مشتقاتها كانت تدلّ في الماضي على ضيق العيش وخساسته ، أمّا في الحاضر فانها تدلّ على سعة العيش ، فانّا نقول في دمشق ، في لغتنا العامّة : فلان مرمَّق ، كمعظَّم ، أي عنده كل شيء ، عنده دار يسكنها ، وعنده عقار ومال وما ماثل ذلك ، فهو في عيشة راضية ، في سعةٍ من العيش ، فهكذا نرى أن هذه المادّة انقلبت على الأيّام من معنى ضيق إلى معنى واسع .

★ ★ ★

وسواء أماتت مصادر أم عاشت مصادر ، وسواء أحافظت ألفاظ على أصول معانيها أم انتقلت من معنى إلى معنى ، وسواء أشقيت ألفاظ أم سعدت ألفاظ ، إنّا نشعر بالحاجة الشديدة إلى معجم تفسَّر فيه معاني الألفاظ على اختلاف التاريخ ؛ فاللفظ الفلاني كان له في العصر الفلاني معنى ثم انتقل في عصر آخر إلى معنى آخر ؛ واللفظ الفلاني عاش في عصر ثم مات في عصر ؛ إلاّ أن معجماً يشرح لنا الألفاظ بحسب تاريخها لا يسهل وضعه ولا يتمّ على أيدي أفرادٍ من علماء اللغة ، فلا بدّ له من معاونة الحكومات .

فلنتمتع الآن من مراقبة الألفاظ في آفاق حياتها .

شفيق جبري

أدب الفقهاء

— ٥ —

طبقة أخرى من الفقهاء

قدمنا في طالعة هذا البحث ما يفيد أن العلماء كلهم سواء لدى الفقهاء في هذا الشأن . وأن هؤلاء لا يخصون الفقهاء بضعف ملكة الشعر ، بل يعممون حكمهم على العلماء من أي طبقة كانوا ، نحاة أو أطباء أو فلاسفة أو غيرهم ، وإنما يعبرون بالفقهاء تغليباً لجانب الفقه على غيره من العلوم ، إذ كان أكثر العلماء من المشاركين في علم الفقه ، وكانت صفة الفقيه تطلق على العالم من أي صنف كان ، وفي المغرب والأندلس كانت تعتبر صلة تشريف ، فتطلق على كبار رجال الدولة من وزراء وحكام وغيرهم .. ولهذا فنحن نرى من المناسب قبل أن نُتم موضوعات أدب الفقهاء ، ذِكْرَ طبقة أخرى من العلماء غير الفقهاء الذين قالوا الشعر وأجادوا فيه ، لأن من ذكرناهم لحد الآن إنما يمثلون الفقهاء الأقحاح المختصين بالدراسات الفقهيـــة والعلوم الإسلامية في دائرتها الواسعة .

ابن دريد

فمن علماء العربية العالم اللغوي الشهير أبو بكر بن دريد صاحب كتاب الجمهرة في اللغة ، وكتاب الاشتقاق ، وكتاب الملاحن وغيرها ، قال الأنباري في نزهة الألباء : « كان من أكابر علماء العربية مقدماً في اللغة وأنساب

العرب وأشعارهم . وأخذ عنه أبو سعيد السيرافي وأبو عبد الله المرزباني . وكان شاعراً كثير الشعر فمن ذلك المقصورة المشهورة . ومنه أيضاً القصيدة المشهورة التي جمع فيها بين المقصور والممدود إلى غير ذلك . وقال محمد بن رزق بن علي الأسدي : كان يقال ان أبا بكر بن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء » .

أما مقصورته فهي أشهر من نار على علم ، وقد أبان فيها عن تفننه ومقدرته الشعرية وضمّنها من بديع الحكم والأمثال ما جعلها أثراً أدبياً فريداً في اللغة العربية بحيث هبّ كثير من الأدباء لمعارضتها والنسج على منوالها حتى نشأ من ذلك باب في الأدب العربي يمكن أن نسميه أدب المقصورة . ويقال انه أحاط فيها بأكثر المقصورة ، فهي إلى أغراضها الأدبية لها فائدة لغوية كبيرة . وأولها :

يا ظبيةً أشبهَ شيء بالمَهـا	ترعى الخزامى بين أشجار النقا
إمّا ترَيْ رأسيَ حاكى لونُه	طرةَ صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيضُّ في مسوده	مثل اشتعال النار في جزْل الغضا
فكان كالليل البهيم حل في	أرجائه ضوء صباح فانجلى
وغاض ماء شِرّتي دهرٌ رمى	خواطر القلب بتبريح الجوى
وآض روضُ اللهو يبساً ذاوياً	من بعد ما قد كان مجّاج الثرى
وضرّم النأي المُشِتُّ جذوةً	ما تأتلي تسفع أثناء الحشا
واتخذ التسهيدُ عيني مألفاً	لما جفا أجفانها طيفُ الكرى
فكل ما لاقيته مغتفر	في جنب ما أسأره شحطُ النوى

ومن حكمها :

مَن ظلم الناس تحاموا ظلمه	وعز عنهم جانباه واحتمى
وهُمْ لمن لان لهم جانبُه	أظلمُ من حيات أنبات الشفا

عبيدُ ذي المال وإن لم يطمعوا ... من غمره في جرعة تشفي الصدى
وهم لمن أملق أعداء وإن ... شاركهم فيما أفادَ وحَوَى
عاجمتُ أيامي وما الغِرُّ كمن ... تأزر الدهر عليه وارتدى
لا يرفع اللب بلا جَدٍّ ولا ... يَحُطُّك الجهلُ إذا الجَدُّ علا
مَن لم يعِظْه الدهر لم ينفعه ما ... راح به الواعظ يوماً أو غدا
مَن قاس ما لم يره بما يرى ... أراهُ ما يدنو إليه ما نأى
مَن ملَّكَ الحرصَ القيادَ لم يزل ... يكرع في ماء من الذل صَرى
من لم يقف عند انتهاء قدره ... تقاصرت عنه فسيحاتُ الخطا
من ناط بالعُجب عرى أخلاقه ... نيطت عُرى المقت إلى تلك العرى
والناس ألفٌ منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنى
وللفتى من ماله ما قدمت ... يداه قبل موته لا ما اقتنى
وإنما المرء حديث بعده ... فكن حديثاً حسناً لمن وعى

وقد اعتنى بهذه المقصورة خلق من المتقدمين والمتأخرين ، وشرحوها وتكلموا على ألفاظها . قال ابن خلكان : « ومن أجود شروحها وأبسطها شرح الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن ابراهيم اللخمي السبتي وكان متأخراً ، وتوفي في حدود سنة سبعين وخمسمائة . وشرحها الإمام أبو عبد الله محمد بن جعفر المعروف بالقزاز صاحب كتاب الجامع في اللغة .. وشرحها غيرهما أيضاً » .

ومن شعر ابن دريد قوله في وصف الخمر :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده ... أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا ... عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

ومنه في الغزل :

غراء لو جلت الخدود شعاعها ... للشمس عند طلوعها لم تشرق
غصن على دعص تأوّد فوقه ... قمر تألق تحت ليل مطبق

لو قيل للحسن احتكِم لم يعدُها ... أو قيل خاطِبْ غيرها لم ينطق

وكأننا من فرعها في مغرب ... وكأننا من وجهها في مشرق

تبدو فيهتف للعيون ضياؤها ... الويل حل بمقلة لم تطبق

وشعره كثير جمعه أحد فضلاء الهند في ديوان ونشره بعنايته . وتوفي ابن دريد سنة ٣٢١ هـ .

الزمخشري

ومنهم أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري جار الله العلامة الإمام في النحو واللغة والبيان والتفسير ، له التصانيف البديعة التي دلت على رسوخ قدمه في العلم بالعربية وأسرارها ، ومنها تفسيره العظيم المسمى بالكشاف في مجلدين ، أبرز فيه معاني القرآن وبلاغته بما لم يجاره فيه أحد ، وله كتاب المفصل في النحو أشهر من أن يعرّف ، وكتاب أساس البلاغة في اللغة ، وكتاب الفائق في تفسير غريب الحديث ، وكتاب المقامات بديع جداً تنكب فيه أغراض أصحاب المقامات المعروفة من الشحاذة والاحتيال وسلك نهج الحكمة والموعظة الحسنة . وكان يميل إلى الاعتزال ويشارك في الأدب بسهم وافر ، ومن شعره في العتب على الزمن :

وأخّرني دهري وقدّم معشراً ... على أنهم لا يعلمون وأعلمُ

ومذْ أفلح الجهالُ أيقنت أنني ... أنا الميم والأيامُ أفلحُ أعلمُ

الأفلح مشقوق الشفة السفلى والأعلم مشقوق الشفة العليا ، ومن كان كذلك لا يقدر على النطق بحرف الميم ، وقد كنى الزمخشري بذلك عن حرب الدهر له وتقديم من هو دونه عليه .

ومن قوله في العلم المحيط :

العلم للرحمن جل جلاله وسواه في جهلاته يتغمغم
ما للتراب وللعلوم وإنما يسعى ليعلم أنه لا يعلم

أبو حيان الغرناطي

ومن النحاة أيضاً الشيخ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي. كان إماماً في العربية لا يضاهى مشاركاً في العلم بالحديث والتفسير ، وله اليد الطولى في الأدب . ألّف البحر المحيط في تفسير القرآن في ثمانية مجلدات ، ألم فيه إلماماً وافياً بإعراب آيات الكتاب العزيز وتفسير ألفاظه اللغوية والاستشهاد على ذلك بكلام العرب . وشرح كتاب سيبويه وكتاب التسهيل لابن مالك ، وألف في القراءات السبع كتباً مفردة ، وكان يعرف اللغة التركية وألف فيها عدة كتب ، ويعتبر هو مؤسس نحوها ومُقَعِّده ، ولكتبه اليوم في تركيا قيمة علمية ، وقد اعتني بها ونُشرت نشراً محققاً لظهور فائدتها واعتماد القوم عليها . كما ألف في اللغة الفارسية والحبشية وفي غير ذلك من المباحث الأدبية والتاريخية ، وله ديوان شعر كبير ما يزال مخطوطاً اشتمل على قصائد في موضوعات شتى ومقطّعات وموشحات بديعة النظم رقيقة المعنى :

من شعره الغزلي :

سبق الدمع بالمسيل المطايا إذ نوى من أحب عني نُقْلَه
وأجاد السطور في صفحة الخـد ولمْ لا يُجيدُ وهو ابنُ مُقْلَه

وفيه تورية جميلة . ومنه :

ألا إن ألحاظاً بقلبي عوابثـا أظن بها هاروت أصبح نافثا
إذا رام ذو وجد سلواً مَنَعْنَهُ وكُنَّ على دين التصابي بواعثا
وقيدن من أضحى عن الحب مطلقا وأسرعن للبلوى بمن كان رائثا

ومن نظمه المشهور :

عِداي َ لهم فضل علي ومنة فلا أذهب الرحمن عني الأعاديا
هم عرَّفوني زلَّتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبتُ المعاليا

ومنه أيضاً :

يظن الغُمر أن الكُتْب تهدي أخا فهـم لإدراك العلوم
وما يدري الجهولُ بأن فيها غوامضَ حيرت عقل الفهيم
إذا رمتَ العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتى تصير أضل من توما الحكيم

وأخبار أبي حيان وشعره أكثر من هذا الذي ذكرناه . ونحن ليس قصدنا الترجمة له ولا لغيره ممن ذكرناه أو نذكره حتى يلزمنا استيفاء أخباره والإلمام بأكثر شعره ، وإنما ننبه على عالميَّته ونورد أمثلة من شعره تثبت مقدرته الشعرية التي لا تتنافى ووصفَ العلم الذي قام به ، ولا يصح معها أن يقال في نظمه أنه شعر فقيه ، فاذا حصلنا على هذه النتيجة فذلك غاية ما نقصد إليه . وإذا كان ناقدنا الجزنائي قد حكم على شعر أبي الفضل ابن النحوي لمجرد بيت واحد من شعره كما سبق ذلك ، فان ما نرويه نحن من أبيات ومقطعات عديدة للشخص لَهُو أحرى أن يكون أوثق في الحكم وأدلَّ على صحته وصوابه ، مع ما نحلل منها ونُبرِزُ من محاسنها إذا اتسع المجال لذلك . توفي أبو حيان سنة ٧٤٥ بمصر .

يعقوب الكندي

فيلسوف العرب أبو يوسف بن اسحاق بن الصباح من أبناء ملوك كندة ، قال سليمان بن حسان « ان يعقوب بن اسحق الكندي شريف الأصل ، بصري كان جده ولي الولايات لبني هاشم ونزل البصرة ، وضيعته هناك ،

وانتقل إلى بغداد وهناك تأدب وكان عالماً بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف اللحون والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم ولم يكن في الإسلام فيلسوف غيره احتذى في تواليفه حذو أرسطوطاليس . وله تواليف كثيرة في فنون من العلم ، وخدم الملوك فباشرهم بالأدب ، وترجم من كتب الفلسفة الكثير ، وأوضح منها المشكل ، ولخص المستصعب ، وبسط العويص » ذكره في عيون الأنباء . وكان الكندي إلى تبحره في العلم ورسوخ قدمه في الفلسفة يتعاطى الأدب ويقول الشعر الجيد فمن قوله متغزلاً :

وفي أربع مني حلَتْ منك أربعٌ ... فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
أوجهك في عيني أم الطعم في فمي ... أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

أنشدها ابن قتيبة في بعض كتبه وقال : والله لقد قسمها تقسيماً فلسفياً . وأنشد له الشيخ أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري اللغوي في كتابه الحكم والأمثال قوله في الحكمة وطبائع الناس :

أناف الذُّنابى على الأرؤس ... فغمِّض جفونَك أو نكِّس
وضائل سوادَك واقبض يديك ... وفي قعر بيتك فاستجلس
وعند مليكك فابغ العلو ... وبالوحدة اليومَ فاستأنس
فان الغنى في قلوب الرجال ... وإن التعزز بالأنفس
وكائنْ ترى من أخي عُسْرة ... غنيٍّ وذي ثروة مفلس
ومن قائم شخصُه ميت ... على أنه بعدُ لم يُرْمَس
فان تُطعم النفس ما تشتهي ... تُقِيئْك (١) جميعَ الذي تحتسي

وهذه الأبيات في خفتها وسهولتها ، على ما تحويه من حكم عملية وتجارب فلسفية ، تزري بكثير من الشعر الذي ينسب إلى شعراء ليس عملهم إلا الشعر

(١) في عيون الأنباء : تقيك وهو تصحيف .

ولا صنعة لهم إلا القريض . مما يثبت أن العلماء كثيراً ما ترجح كفتهم حتى في هذا الأدب الذي يدّعي بعضُ الناس أنه وقفٌ عليهم وأن بضاعةَ العلماء فيه مُزْجاة . والبيت الأخير من القِطعة يشِفُّ عن علمٍ صاحبه بالطب ويبعث على الإعجاب بصوغه لذلك المعنى في هذه الصورة وبهذه الألفاظ الفنية التي اكتست بحُسْنِ تأتّيه لها حلةَ البيان والوضوح . وقد لاحظ ابن قتيبة ما في البيتين السابقين من حسن المقابلة والتقسيم وأشار إلى أن ذلك نزعة فلسفية لم تزد الشعر إلا جمالاً ولطفاً ، ولا حاجة بنا إلى القول اننا لا نقصد هنا ذكر الشعر الفلسفي فذاك باب سنطرُقه عند تعرضنا لموضوعات شعر الفقهاء والعلماء ، وإنما قصدنا الشعر المنبعث عن العاطفة والتجربة المُعَاشة الذي يقوله عامةُ الشعراء ويُشاركهم فيه غيرهم من متأدبي أهل الفقه والعلم . ومن حسن الحظ أن فيلسوف العرب الأكبر الذي ضربناه مثلاً للفلاسفة الذين قالوا الشعر الجيّد ولم تقعد بهم الفلسفة عن بلوغ هذه الغاية ، كان من المجلّين في ذلك المجال والحائزين فيه قصب السبق كما رأينا .

أبو بكر بن زُهْر

الطبيب الشهير ، كان من أهل بيت كلهم أطباء حكماء ، الرجال والنساء في ذلك سواء ، ومع أنه لم يكن في زمانه أحد أعلم منه بصناعة الطب ، فقد كان مشاركاً في علم الفقه والحديث ، وله معرفة واسعة بعلم الأدب والعربية ، كان يحفظ شعر ذي الرّمة وهو ثلُثُ اللغة كما قيل . وخدَم بطبه وأدبه الدولتين اللَّمْتُونية والمُوَحّدية وحظي عند يعقوب المنصور حتى كان يُصرّفه في كثير من شؤون الدولة لثقته به ولِما خبَره من دينه وأمانته . وكان لا يصبر على فراقه ولا يرخص له بالسفر إلى إشبيلية لرؤية أهله وولده ، فسمعته ذاتَ يوم ينشد هذه الأبيات يتشوق فيها إلى ولد له صغير :

ولي واحدٌ مثلُ فرْخ القَطا صغير تخلّفتُ قلبي لديه
وأفردتُ عنه فيا وحشتي لذاك الشُّخَيْص وذاك الوُجَيْه
تشوّقني وتشوّقْته فيبكي عليَّ وأبكي عليه
وقد تعبَ الشوق ما بيننا فمنه إليَّ ومني إليه

فبعث المهندسين إلى إشبيلية وأمرهم أن يختاطوا علماً بِبُيوت ابن زُهر وحارته وبنى مثلها بحضرة مراكش في أقرب وقت ونقل عيال ابن زهر إليها بعد فرشها بمثل فرشه واحتال عليه حتى أتى الحارة ورأى مثل داره فعجب لذلك وقيل له ادخل الدار فدخلها فاذا هو بأهله وولده الذي تشوق إليه فما كاد يملك نفسه من الفرح والسرور .

وحريٌ بمن كان في مثل علم ابن زُهر وأدبه أن يحظى بهذه الرعاية من ملك مثل المنصور الموحدي الذي خلد التاريخ أعماله ومآثره .

ومن شعر ابن زهر :

إني نظرت إلى المرْآة إذ جُليتْ فأنكرت مقلتاي كلَّ ما رأتا
رأيتُ فيها شُيَيْخاً لستُ أعرفُه وكنتُ أعرف فيها قبل ذاك فتى
فقلت أين الذي مثواهُ كان هنا متى ترحّل عن هذا المكان متى ؟
فاستجهلتني وقالتْ لي وما نطقت قد كان ذاك ، وهذا بعد ذاك أتى
هوّن عليك فهذا لا بقاء له أما ترى العشب يفنَى بعد ما نبتا ؟
كان الغواني يقلن يا أُخيَّ فقد صار الغواني يقلن اليوم يا أبتا

وفي هذه القطعة تصوير بديع للشيخوخة وتعبير بليغ عن الحسرة التي يجدها المرء في نفسه على شبابه الذاهب وعمره المنقرض . وما أحسن قوله شييخاً في هذا المقام بمقام الأسف على ما آلت إليه حاله ، فهو لا ينظر الآن إلى وقار المشيخة وحكمة التقدم في السن ، وإنما ينظر إلى ضعفه ونقصان مُنّته فما

يناسب ذلك إلا صيغة التصغير التي تبدو كأنها لم توضع إلا لهـذا المعنى . ومثله قوله : « كان الغواني يقلن يا أُخيّ » فإن التصغير هنا للتحبيب والتقرب وهما أنسبُ بحالة الشباب التي كان عليها وأنكى في ملاحظة الفرق بينهما وبين الشيخوخة الفانية .

ويظهر أن تمكنه من الطب واللغة معاً كوّنا فيه إحساساً دقيقاً بتشخيص الحالة التي يريد وصفها واختيار اللفظ المطابق لها مطابقة فنية ، فلذلك رأيناه يستعمل التصغير أيضاً في الأبيات المتقدمة التي نظمها في التشوق لولده الصغير ، وذلك حين يقول : « فياوحشتي ، لذاك الشخيص وذاك الوجيه » ، ولا خفاء بحسن موقع التصغير هنا وجماله . وليقارن القارىء بينه وبين استعمال المتنبي له في مثل قوله : « لُيَيْلَتُنا المنُوطَةُ بالتنادي » وقوله : « أذمُّ إلى هذا الزمان أُهَيْله » ليزيد فضْلَ معرفةٍ بشاعرية صاحبنا .

ومن شعر ابن زهر في الخمريات :

ومُوسّدين على الأكُفّ خدودَهم قد غالهم نومُ الصباح وغالني
ما زلتُ أسقيهم وأشرب فضْلهم حتى سكِرتُ ونالهم ما نالني
والخمر تعلم حين تأخذ ثأرها أني أملتُ إناءها فأمالني

وهو في هذه الأبيات على ما عهد منه من لطف وأدب وحسن تصوير . قد نقل إلينا منظر هؤلاء الشَّرْب وقد نال منهم الشراب ، بجلاء ووضوح كأننا نراه ، وبين أنه كان ساقيهم فهو يُقدّمُهم على نفسه لمكانتهم عنده ، ولا يشرب إلا بعـدهم ، فاذا ذكر السُّكْر بدأ بنفسه وعبّر في حقهم بعبارة مهذبة هي الغاية في أدب المعاشرة ، ثم لطف ما شاء له اللطف حين أشار إلى الخمر وثأرها وكمّل الصورة بهذه الحركة التي جعلتها تنبض بالحياة والواقعية والتمثيل ، فهل يعلى على هذه الشاعرية ؟

ولابن زهر موشحات مشهورة يُغَنَّى بها وهي من أجود ما قيل في ذلك . ولعل أسيرها على الألسنة الموشح الذي يقول فيه :

أيها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همت في غرته وشربت الراح من راحته كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق إليه واتكا وسقاني أربعاً في أربع

وهو يمثل حياة اللهو في الأندلس التي ما يزال مظهرها هو هذا إلى الآن .

ابن الياسمين

وهذا عالم رياضي راسخ القدم في العلم بالحساب والجبر . وهو مع ذلك له باع طويل في الأدب ونظم الشعر ، حتى إنك إذا سمعت شعره تقول لا صنعة له إلا النظم ، فاذا ثافنتَ كتُبه في الرياضيات قلت إنما يحسن هذا من انقطع إليه ولم تكن له همة في غيره .

وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجّاج من أهل مدينة فاس ، عُرف بابن الياسمين ، والياسمين أمه . وكان من خدام المنصور الموحدي ومن جلسائه . له أرجوزة في علم الجبر شهيرة ، قرئت عليه وسُمعت منه باشبيلية . وشرحها الكثير من أهل هذا العلم . وله أيضاً كتاب تلقيح الأفكار في العمل برسوم الغبار . . وفيه يذكر أصل الأرقام العربية المستعملة في المغرب وأختها المستعملة في المشرق ويُبيّن أنها جميعاً من أشكال حروف الغبار وإن أُطلِقَ على الثانية اسمُ الأرقام الهندية وبقيت الأولى محتفظة بوصف الغُباري وهو كتاب نفيس جدًّا ما يزال مخطوطاً ،

ومن شعره الذي أنشده له ابن سعيد المغربي في الغصون اليانعة قوله وقد رأى زهر نارنج بظاهر مدينة مراكش :

جاء الربيع وهذا أولى البشائر منه
كأنما هو ثغر قد جاء يضحك عنه
زهر لنارنج دوح انظر إليه وصنه
أليس حيّاك عرف الذي جفا من لدنه

وقد أورد له ابن سعيد أشعاراً كثيرة في المدح والهجاء وغيرهما فلتنظر في كتابه المذكور . وتوفي ابن الياسمين سنة ٦٠١ ﻫ .

الشريف الادريسي

الجغرافي الشهير أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس . كان جده ادريس من ملوك الحموديين بالأندلس . وولد هو بسبتة بعد استقرار سلفه بها عند انقراض دولتهم . وخرج سائحاً في شمال إفريقية وآسيا الصغرى ، واستدعاه روجار الثاني ملك صقلية فأقام عنده ، وألف له كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » كتاب شهير لم يؤلف مثله في الجغرافية في العصر الوسيط . وصنع كرة سماوية ودائرة أرضية من الفضة فقدت في حروب صقلية . ويجمع العلماء على أن خارطة الإدريسي أضبط خارطة للكرة الأرضية وضعت بعد بطليموس ولا تزال المعلومات التي أعطاها الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق عن عروض بعض البلدان وأطوالها صحيحة في جملتها لم تخالفها التحقيقات الجديدة إلا بالشيء اليسير . وكان للادريسي علم بالطب والنبات ، وله في ذلك كتاب الأدوية المفردة . وإلى هذا كانت له يد طولى في الأدب ونظم الشعر ومن قوله في شكوى الزمان :

إن عيباً على المشارق أن أر جع عنها إلى ذيول المغارب
وعجيب يضيع فيهـــا غريب بعد ما جاء فكره بالغرائب
ويقاسي الظّما خـــلال أناس قسموا بينهم هدايا السحائب

ومنه في الموضوع :

ليت شعري أين قبري ضاع في الغربة عمري
لم أدع للعين ما تشـــتاق في بر وبحـــر
وخبَرتُ النـاس والأر ض لدى خير وشر
لم أجد جاراً ولا دا راً كما في طي صدري
فكأني لم أســر إلا بميْت أو بقفْـــر

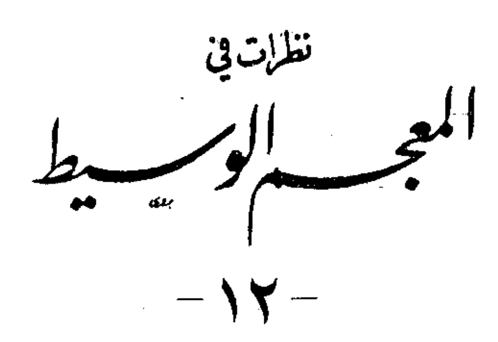
ولا حاجة إلى التنبيه على بلاغة هذه الأبيات والتي قبلها ، وتعبيرها عن حسرة الحرمان الذي لقيه الإدريسي في بلاده ومن بني قومه ، سواء في الشرق والمغرب ، فانها في غنى عن ذلك ولا يستطيع ناقد أدبي أن يقول فيها انها دون مستوى الشعراء المشهود لهم بالإجادة والإحسان ، وان كان قائلها عالماً مختصاً . وكانت وفاة الإدريسي ببلده سبتة في سنة ٥٦٠ ﻫ .

هؤلاء سبعة من العلماء ، ثلاثة منهم كانوا أئمة في علوم العربية من نحو ولغة وغيرها ، وبراعتهم في قول الشعر تردُّ على من يرى أن أهل المعرفة بعلوم العربية وخاصة النحاة أضعفُ الناس شعراً وأقلُّهم إجادة فيه ، كما تردُّ على من يقول بقصور العلماء على العموم عن قول الشعر والتفوق فيه . والأربعة الباقون كل واحد منهم ممّن برّز في باب من أبواب المعرفة الإنسانية ، كالفلسفة والطب والحساب والجغرافية ، ولم يفته أن يُسهم بحظ وافر في

الأدب والشعر . يكمّ أفواه المتقولين على أدب الفقهـــاء والعلماء بعامة ، ويثبت أن الأمر إنما هو همة واستعداد فمن توفر له ذلك فهو أسوةُ غيره من الأدباء والشعراء في الملكة الشعرية وأصالتها ، ولا يصح أن يُقَصِّر عنهم إلا فيما يقتضيه انقطاعُهم في قول الشعر من الإكثار وانصرافُه إلى كفاياته الأخرى من الإقلال .

وقد اقتصرنا على هذا العدد القليل علماً بأننا لو ذهبنا نستقصي كل من قال الشعر وأجاد فيه من العلماء لما وسعتنا المجلدات ، ونحن إنما نضرب المثل ونسوق الشاهد ، وفيما ذكرناه على هذا الوجه كفاية .

عبد الله كنون



تاسعاً : تعريف الأعلام الجغرافية والتاريخية والشعوب[1]

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظـــات
بَرَدَى	نهر دِمشق الأعظم ، يخرج من قرية الزَّبَدَاني ، على خمسة فراسخ من دمشق مما يلي بعلَبَك .	كان لنهري النيل وبردى ، دون غيرهما من أنهار البلاد العربية الهامــــة ، مثل : الأردن (أو الشريعة) ودجلة والفرات[2] والخابور ، حظّ تعريفها في المعجم الوسيط ، غير أن تعريف النّيل جاء مقتضباً ، بينما نقل تعريف بردى عن
النِّيل	نهر مصر والسُّودان .	

(١) تضمنت الكلمة التي صُدِّر المعجم الوسيط بها أنه عندما طلب إلى مجمع اللغة العربية أن يسعف العالم العربي بمعجم حديث ، محكم الترتيب ، واضح الأسلوب ، مضاف إليه ملحق بالمشهور من أعلام الأشخاص والأماكن ، قرر المجمع العمل على إخراج المعجم المطلوب ، مغفلاً منذ البداية ملحق الأعلام المذكور ، قاصراً همّه على اللغة قديمها وحديثها فحسب ، ولكن المعجم ، مع هذا ، لم يخل من تعريفات لعديد من الأعلام التاريخية والجغرافية ، وقد نقل أغلبها عن المعجمات القديمة ، وكان من المستحسن إعادة النظر في أكثر تلك التعريفات ، ليأتي ما يجب إثباته في المعجم الوسيط أكثر دقة ، وليحذف منه ما لا ينسجم هو وطبيعة المعجم اللغوية .

ونحن في هذه النبذة من نظراتنا في المعجم الوسيط سنأتي على ذكر جملة من التعريفات التي أوردها المعجم للأعلام الجغرافية والتاريخية وللأقوام والشعوب مع الملاحظات التي نراها .

(٢) كذلك أغفل المعجم الوسيط الإشارة إلى شطّ العرب ، بينما أورد في مادة (ر ف د) قوله : والرّافدان : دجلة والفرات .

معجم قديم بما فيه من إسهاب وبُعد عن الدقة ، لأن النهر في الحقيقة لا يخرج من قرية الزبداني ، بل هو ينبع من سهل يسمى باسم البلدة المذكورة ، وهي أبعد مما ورد في التعريف الذي ارتضاه المعجم الوسيط ، كما أن إقحام بلدة بعلبك في التعريف مفسد له ، إذ أين بعلبك من سهل الزبداني !

لقد كان من المستحسن ، إذا ما أريد إثبات التعريفين المذكورين في المعجم الوسيط ، أن يكونا كما يلي :

بَرَدى : نهر دمشق الذي يروي غوطتها ، ينبع من سهل الزبداني إلى الشمال الغربي من دمشق ، وبعد أن يدخلها ينتهي في غوطتها الشرقية ، وطوله يقرب من ٧٠ كلم .

النّيل : نهر إفريقية الكبير ، يخرج من أواسطها ويروي السودان فمصر إلى أن ينتهي بالبحر الأبيض المتوسط ، ويبلغ طوله ٦٥٠٠ كلم تقريباً .

الزَّمزَمُ من المياه : الزُّمازم . و — الزَّمزامُ . وزمزَمُ : بئرٌ مشهورة بمكة عند الكعبة يُتبرَّك بها ويشرب ماؤها وينقل إلى الجهات .

ورد هذا التعريف في المعجم الوسيط في مادة (ز م ز) وهو في المعجمات القديمة في مادة (ز م م) ، وأكثرها اقتصر في التعريف على القول ، كما في القاموس : زَمْزَمُ : بئرٌ عند الكعبة .

وهي غير منصرفة للعلمية والتّأنيث .

وفي «متن اللغة» : الزّمْزَم : ما كان بين المِلْح والعَذْب ، وبه سمي البئر عند الكعبة المشرّفة .

[مادة ز م ز]

إن تعريف المعجم الوسيط فيه تزيد يستحسن أن لا يرد في معجم حديث ، ما دام التبرك بماء زمزم ليس من الدّين في شيء ، وكان من الأفضل أن يكون التعريف كما يلي :

زَمْزَمُ : بئر بمكة عند الكعبة ، يَشرب الحجاجُ ماءها وقد ينقلونه معهم إلى بلادهم . وهي غير منصرفة للعلمية والتأنيث .

عَرَفَةُ جبلٌ قريب من مكة . ويوم عرفة : التاسع من ذي الحجّة . وعرفاتٌ : موقفُ الحجّاج على اثني عشر ميلاً من مكة .

جاء في أكثر الأمهات ، كاللسان والمحكم : عَرَفة وعرفات : موضعٌ بمكة . أي أن الكلمتين اسم لموضع واحد هو جبل مكة المعروف .

إن التعريف الذي أورده المعجم الوسيط ، يوحي بأن عرفة وعرفات موضعان أولهما اسم جبل وثانيهما من مناسك الحج . لهذا كان من المستحسن صياغة التعريف صياغة تزيل اللبس المذكور ، فيقال مثلاً :

عَرَفَةُ وعرفاتُ : جبل قرب مكة ، يقف عليه الحجاج يوم التاسع من ذي الحجّة .

المُقَطَّمُ	جَبَلٌ في شرقيّ القاهرة بمصر . [مادة ق ط م]	ذكر ياقوت جبل المقطم في معجمه في مادة (م ق ط) وقال : والذي يتصوّر عندي أن هذا اسم أعجمي . . . وأنا لم أعثر على نص يجزم بأن الكلمة عربية ، فإن كانت كما قال ياقوت ، وجب نقلها في المعجم الوسيط من مادة (ق ط م) إلى مادة (م ق ط) .
رَابِغ	وادٍ بين الجُحْفَة وَوَدّان ، على بعد عشرة أميال من الجحفة فيما بينها وبين الأبواء .	في تعريف كل من رابغ وعكاظ في المعجم الوسيط بعض الغرابة والتزيد ، وكان من المستحسن أن يكون التعريفان كما يلي : رَابِغ : وادٍ بين مكة والمدينة قرب البحر . وهو من مواقيت الإحرام عند الحجاج .
عُكَاظُ	سوقٌ للعرب كانوا يتعاكظون فيها ، وهي موضعٌ بين نَخْلَة والطَّائف ، كانت تقوم هلالَ ذي القَعْدَة وتستمر إلى العشرين منه .	عُكَاظُ : سوقٌ للعرب قُرب مكة ، كانوا يجتمعون فيها فيتناشدون ويتفاخرون وكانت فيها وقائع .
القُلْزُمُ	بلد قديم خرب وبني في موضعه السُّويس . وبحر القُلْزُم : البحر الأحمر .	كان المعجم الوسيط في غنى عن إثبات كلمة القلزم ، خاصة إنه أغفل كلا من السويس والبحر الأحمر .

الأَطْلَسُ مجموع مصورات جغرافية. وأطلقه القدماء على شماليّ إفريقية. ويصوّر حديثاً على هيئة جبّار يحمل السماء أو الكرة الأرضية. (د).

[مادة أ ط ل]

المعروف أن كلمة «أطلس» تطلق على سلسلة الجبال الممتدة من تونس حتى المغرب في شماليّ إفريقية (١)، وكان الإغريق يعتقدون أن السماء تستند على تلك الجبال، ومن هنا كانت الأسطورة الإغريقية التي يُزعم فيها أن الإلة «أطلس» عُوقب بحمل الأرض على كتفيه.

ومنذ القرن السادس عشر الميلادي استخدم رمز الإله «أطلس» للدلالة على مجموعة المصورات الجغرافية. وفي العصر الحديث تطلق الكلمة على أي مجموعة من الصور أو المخططات البيانية الخاصة بعلم أو فن من الفنون.

لقد كان من المستحسن أن يكون تعريف الكلمة في المعجم الوسيط كما يلي:

الأَطلس: اسم سلسلة الجبال الممتدة من تونس حتى المغرب في شماليّ إفريقية.

و ـــ في الأساطير الإغريقية: اسم إله يحمل الأرض على كتفيه.

و ـــ اسم يطلق على مجموعة من المصورات الجغرافية أو المخططات البيانية.

(١) إلى هذه الجبال ينسب المحيط الذي أطلق العرب عليه اسم «بحر الظلمات» فهو «المحيط الأطلسي» لا «الأطلنطي» كما يحلو لبعض الكتاب والصحفيين تسميته.

بَغْدَاد	مدينة السلام ، على نهر دجلة ، وكانت حاضرة الدولة العباسيــة ، وهي حاضرة العراق الآن . [مادة ب غ د]	
عَمَّان	مدينة شامية هي الآن عاصمة الأردنّ . [مادة ع م ن]	
القاهِرة	قاعدة الجمهورية العربيــة المتحدة بناها المعز لدين الله الفاطميّ شَرقيّ النيل وهي اليوم أعظم مدينة في الشرق . [مادة ق هـ ر]	

عرّف المعجم الوسيط من عواصم الأقطار العربية كلاً من بغداد وعمّان والقاهرة ، بينما أغفل ، دون سبب مقبول ، غيرها من المدن الهامة مثل دمشق وصنعاء وبيروت .

ونلاحظ على التعريفات التي أوردها المعجم ما يلي :

١ — تفاوت هــــذه التعريفات من حيث المعلومات ، وكان ينبغي رسم حدود لها ، أي وضع خطة ، يتم التعريف ضمنها .

٢ — استعمل المعجم ثلاث كلمــات هي : حاضرة وعاصمة وقاعدة للدلالة على معنى واحد ، وهذا غير محمود ، وكان من المستحسن تجنب ذلك .

٣ — ذكر كلمة (الأردن) وحدها في تعريف مدينة عمّان، وهذه الكلمة قاصرة جغرافياً وتاريخياً عن الدلالة على الوضع الراهن للقطر الأردنيّ .

٤ — إهمال الإشارة في تعريف (بغداد) إلى أن داليها قد تعجمان ، كما هو مذكور في أصح المعجمات ، وكان من المستحسن إثبات مثل هذه الإشارة .

الأمُّ ... وأمُّ القرى : مكة .

القريتان مكة والطائف ، وفي التنزيل ...

المَدِينَةُ اسم يثرب مدينة الرسول ﷺ ، غلبت عليها .

القُدْسُ أورشليم .

المَقْدِسُ بيت المَقْدِس : حَرَمُ القدس .

المُقَدَّسَة الأرض المقدّسة: المباركة. و — أرض فلسطين

إيلياء بيت المقدِس .

[مادة أ ي ل]

البَصْرَة مدينة كبيرة في العراق .

النَّاصِرَة قرية بالجليل من فلسطين ينسب إليها المسيح عليه السلام .

لم يخل المعجم الوسيط ، من تعريف لبعض المدن العربية الشهيرة ، كما هو واضح من التعريفات التي نقلناها ، ونحن نلاحظ عليها الأمور التالية :

١ — غموض الخُطَّة التي رُسمت للمعجم الوسيط من حيث إثبات اسم البصرة مثلاً وإغفال الكوفة ، أو إثبات المدينة وإغفال يثرب في (ث ر ب) ، وكذلك الإشارة إلى مكة دون إثباتها في مادة (ب ك ك) أو (م ك ك) ، وهكذا بالنسبة إلى مدن كثيرة كانت المعجمات القديمة تشير إليها .

٢ — إثبات كلمة (إيلياء) الاسم القديم لبيت المقدس دون ضرورة في معجم لغوي وسيط ، ثم إغفال الإشارة إلى أن الكلمة قد تأتي مقصورة ، كما في القاموس المحيط .

٣ — تعريف القدس كبرى مدن فلسطين ، ومدينة المسجد الأقصى بالقول بأنها (أورشليم) الاسم الذي يطلقه اليهود على المدينة .

الحِجاز: من بلاد العرب: ما بين تِهامةَ ونجد.

تِهَامَةُ: أرض منخفضةٌ بين ساحل البحر وبين الجبال في الحجاز واليمن.

نَجْدٌ: قسم من الجزيرة العربية بين الحجاز والعراق، أكثَرَ شعراءُ العربية القولَ في طيب ترابه، وجودة هوائه، وحُسن نباته.

الشَّأْمُ: (وتخفف الهمزة) الإقليم الشماليّ الغربيّ من شبه جزيرة العرب.

لُبْنَانُ: جبل بالشَّام. و ـــ أحد الأقطار العربية، أكثره جبالٌ وبعضُه سهل، وهو (جغرافيّاً) جزء من الشام.

عُمَانُ: إقليم في الجنوب الشرقي من بلاد العرب على خليج فارس وبحر الهند. (يُصرف ولا يصرف).

عرّف المعجم الوسيط أسماء بعض الأقطار العربية دون البعض الآخر، بلا أي ضابط ولا تماثل في الوصف ودقة المعلومات، وفي التعريفات التي نقلنْاها نلاحظ أموراً كثيرة أهمها:

١ ـــ نقل ما كان يحسن إغفاله في مثل المعجم الوسيط، كوصف بلاد نجد.

٢ ـــ تسمية الخليج الذي يَقع عليه إقليم عُمان بخليج فارس، وهو خليج عربيّ بأكثر شطآنه.

٣ ـــ الإشارة إلى البلاد العربية، بصيغ مختلفة فهي تارة بلاد العرب، وأخرى الجزيرة العربية، وثالثة شبه جزيرة العرب، وكان من المستحسن أن تكون التعريفات أكثر دقة.

المَغْرِبُ بلاد المغرب : البلاد الواقعة في شمالي إفريقية في غربي مصر وهي لُوبيا ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش . ومملكة المغرب اليومَ : الجزء الواقع في أقصى بلاد المغرب في غربي الجزائر ، ويحدُّها البحر الأبيض شمالاً والمحيط الأطلسي غرباً .

٤ — تعريف البلاد المغربية مع شيء من التوسع بالنسبة إلى غيرها من البلاد العربية .

٥ — وأخيراً نلاحظ أن المعجم الوسيط أثبت اسم الدولة الليبية بالواو ، كما كان القدامى يكتبون اسمها ، غير أن ياقوت أثبت الكلمة في معجمه بالتاء المربوطة ، فقال : لُوبِيَةُ .

الحَسَى السَّهل من الأرض يستنقع فيه الماء . و — الرمل المتراكم تحتَه صلابةٌ فإذا نزل المطرُ منعَ الرملُ حرَّ الشمس أن يَنشفَه ، ومنعته الصلابةُ أن يغور ، فإذا حُفِر وجهُ الرمل عن ذلك الماء نبعَ بارداً عذبا ، كما يحدث في إقليم الأحساء في شرقي جزيرة العرب . (ج) حِسَاءٌ ، وأحْساءٌ . [مادة ح س و ، ح س ى]

قال ابن فارس في مقاييس اللغة : الحاء والسين والحرف المعتل أصلٌ واحدٌ ، ثم يشتق منه ، وهو حَسْو الشيء المائع كالماء واللبن ... والحِسْيُ : مكانٌ إذا نُحِّيَ عنه رملُه نبع ماؤه ...

وقال ابن سيده في المحكم : الحِسْيُ ؛ السَّهْل من الأرض يَستنقِعُ فيه الماء ... وحكى ابن الأعرابيّ في حِسْيٍ : حَسًى ، بفتح الحاء مِثال قَفاً ، والجمع من كل ذلك أحساءٌ وحِساءٌ . . والحَسَى وذو حُسَى مقصوران : موضعان .

وقال ابن منظور في اللسان ، بعد كلام طويل : والحَسَى وذو الحُسَى مقصوران : موضعان ... قال الأزهري : وقد رأيت بالبادية أحساءً كثيرة من هذه الصفة ، منها أحْساءُ بني سَعْدٍ بحذاء هَجَر ...

وقال الفيروزابادي في القاموس : الحَسْيُ ويكسَر كإلى سهلٌ من الأرض يَستنقِع فيه الماءُ ، أو غِلظٌ فوقَه رملٌ يجمعُ ماءَ المطر وكلَّما نزحتَ دلواً أجمَّتْ أُخرى ... وأحساءُ بني سعدٍ بحذاءِ هَجَر ، وهو أحساء القرامطة ...

من هذه الأقوال المنتقاة من المعجمات الموثوق بها ، يبين أن المعجم الوسيط لم يختر التعريف الجدير إثباته فيه ، فقد نقل تعريفاً مطولاً ، في جوانبه نقص غير بسيط .

لقد كان من المستحسن أن يكون التعريف كما يلي :

الحَسَي والحِسَي : السَّهل من الأرض يَستنقِعُ فيه الماء . و ـــ كلُّ مكان إذا نُحِّيَ عنه رملُه نبع ماؤه . والحَسَى وذو حُسَي : موضعان في جزيرة العرب . (ج) حِسَاءٌ وأحْساءٌ . والأَحساء : مواضع كثيرة في بلاد العرب ، منها أحساء بني سعد في شرقي جزيرة العرب .

الغُوطة مجتمع النبـــات والماء . ومنه غُوطتا دمشق .	أكثر ما وردت غوطة دمشق في الشعر القديم كان بلفظ التثنية ، ولعلهم كانوا يقصدون بالغوطتين ـ كما هو الحال اليوم من الوجهـة الإدارية ـ الغوطة الشرقية والغوطة الغربية ، أو الشمالية منها والجنوبيـــة ، ولكن ليس في الواقع الجغرافي أو التاريخي ، إلا غوطة واحدة هي : كل ما أحاط بدمشق من قرى شجراء ، وكان من الأرض المطمئنة التي تروى من نهر بردى (١) .
أناضول ـ أناطُول : ومعناها: الشرق. وتطلق الآن على الأراضي الواقعة شرقي البحر الأبيض المتوسط ، وهي جزء من الجمهورية التركية . الحَبَشَةُ الحبش . و ـــ بِلادُ الحُبْشانِ ، وهي في إفريقية الشرقية . السِّنْدُ بلادٌ تتاخِمُ الهندَ . . . فارِسُ بلادُ الفُرْسِ . [مادة ف ر س]	أورد المعجم الوسيط في ثناياه أسمــاء عدة أقطار غير عربية ، وقد نقلنا بعض ما عثرنا عليه منها ، مسجلين الملاحظات التالية : ١ ــ أورد المعجم لفظة أناضول بصيغتين ، دون ضرورة لإثباتها ، وذكر معناها دون بيان في أي لغة ذلك المعنى ، والأناضول : كلمة إغريقية تعني (شروق الشمس) وكانت تطلق على البلاد الواقعة في شرقيّ بلاد اليونان . ٢ ــ التعريفات التي أثبتها المعجم غير متكافئة من حيث المعلومات ، وبعضها قاصر عن إفادة المراجع . ٣ ــ وردت إشارة إلى بلاد الهند في تعريف السند ثم أغفلت في مادة (هـ ن د) . وذكرت النسبة إلى (الصين) مثلاً وأغفلت كلمة (الصين) نفسها .

(١) انظر « غوطة دمشق » تأليف محمد كرد علي ص ١٤ الطبعة الثانية دمشق ١٩٥٢ م .

الأُقيانُس البحـــر العظيم يحيط بالقارّات . (د) .

المُحيط العظيم من البحار يُحدِق باليابسة . (محدثة) .

أثبت المعجم الوسيط لفظة (أقيانس) الدخيلة في مادة (أ ق ي) دون أن يشير إلى الكلمة العربية التي تُغني عنها وهي : المحيط ، رغم أنه أثبتها في مادة (ح و ط) بتعريف مماثل لتعريف الكلمة الأولى .

ومما يلاحظ في تعريف كلمة (المحيط) استعمال المعجم كلمة (اليابسة) كناية عن الأرض ، دون أن يشير إلى هذا المعنى في مادة (ي ب س) .

القارّةُ الواسع المطمئنُّ من الأرض . و ـــ قسمٌ من أقسام الأرض الخمسة ؛ وهي إفريقيا ، وآسيا ، وأوربا ، وأمريـــكا ، وأستراليا . (مو) .
[مادة ق ر ر]

أنْتَارَكْتِيكا هي القارّة الجامـــدة الجنوبية ، كُشِف عنها حديثاً ، وهي جـــزيرة عظيمة ، أكبر مساحة من أوربة ، وتحيط بالقطب الجامد الجنوبيّ . ويمتـد بعض أجزائها شمالاً إلى

أثبت المعجم الوسيط في مادة (ق ر ر) المعنى المولد لكلمة (قارّة) ، وجاء بالتعريف المدرسي الذي يعتبر القارات خمساً ، ثم أورد أسماء هذه القارات منتهية بالألف الحاءً منه بأن رسم تلك الأسماء بالألف أولى ؛ فماذا صنع المعجم نفسه في المواد الأخرى ؟ إنه لم يلتزم بخطة أو بقاعدة معينة ، كما يتضح من الملاحظات التالية :

أولاً : — أثبت المعجم في مادة (أ ن ت) اسم القارة السادسة التي كُشف عنها حديثـــاً محيطةً بالقطب الجامد الجنوبيّ . ثم أثبت في مادة (أ م ر) اسم قارّة أمريكة في نبذتين تبعاً لقسميها

نحو خط عرض ٦٣ الجنوبيّ حيث تقرب من أمريكة الجنوبية . وتظهر كهضْبَة يُغَطيها الجليد دائماً ، إلا أطرافها فتظهر أراضيها صيفاً . النسبة إليها أنْتارَكْتِيّ .

[مادة أ ن ت]

أُورُبَّة إحدى القارات السبع ، وأصغرها مساحة ، ما عدا أسْتراليا ، وهي في الجزء الشمالي الغربيّ من الدنيا القديمة، بين خطيّ العرض ٣٧ و ٧١ الشَّماليَّيْن . وتفصل بينها وبين آسيا جبال أُورال وجبال القُوقاز ، والبحر الأسود. وبينها وبين إفريقيَّة البحر الأبيض المتوسط ، وفي غربيها المحيط الأطلسيّ ، وفي شماليّها المحيط الجامد الشماليّ . ومعظم أراضيها في المنطقة المعتدلة ،

الجنوبيّ والشماليّ ، مما يجعل عدد القارات سبعاً ، خلافاً لما ورد في مادة (ق ر ر) وإن كان هذا يتفق مع المعلومات التي تثبتها بعض كتب الجغرافية الحديثة !

ثانياً : — جاء في تعريف قارّة أوربَّة أنها إحدى القارات السبع ، وكان من الواجب القول بأنها إحدى القارات الخمس انسجاماً مع ما ورد في مادة (ق ر ر) ، وكل هذا يدلّ على أن تعريف القارّات في المعجم الوسيط يفتقر إلى إعادة النظر فيه .

ثالثاً : — رسم المعجم الوسيط أسماء كل من أمريكة وإفريقية وأوربّة بالتاء المربوطة في كثير من المواد ، بينما رسمها في مواد أخرى بالألف ، وهذا من العيوب التي يجدر بالمعجم أن يكون خالياً منها .

ويمتد بعض أجزائها الشمالية إلى المنطقه الجامدة.
النسبة إليها أوربّيّ.
[مادة أ و ر]

أسْيا — أعظم القارات اتساعاً، بين خطي العرض الشماليين ١٫٥ ، ٧٨٫٥ ما عدا جزائر الهند الشرقية، وتمتد من المنطقة الحارة إلى المنطقة الجامدة الشمالية . ويعيش فيها نحو نصف سكان العالم .
النسبة إليها : أسْيَويّ .
(مج). قد تنطق آسيا بالمد، والنسبة إليها : آسيّ وآسيَوَيّ .
[مادة أ س ي]

نلاحظ في تعريف القارّات أن المعجم الوسيط، اتجه اتجاهاً جغرافياً بحتاً، فهو يذكر مثلاً خطّي العرض التي تقع القارّة بينهما، بل إنه ذهب في تعريف أستراليا إلى الإشارة إلى (مدار الجَدي) وكان من المستحسن أن يقتصر المعجم على المعلومات الأقرب إلى طبيعته اللغوية.

ومما يلاحظ في تعريف (آسيا) إغفال الإشارة إلى ما يطلق عليه اسم (آسيا الصغرى).

أستراليا — أصغر القارّات. وهي بين المحيطين الهندي والهادي، وفي الجنوب الشرقي من آسيا، وتمتد

بين خطي العرض ١٠ ، ٣٩ الجنوبيين ، ويقسمها مدار الجَدْي قسمين متساويين تقريباً ، معظمها في المنطقة المعتدلة الجنوبية. النسبة إليها ، أُستراليّ .

[مادة أ س ت]

إفريقيّة ثانية القارات اتساعاً ، يقع أكثرها في المنطقة الحارة ، وهي بين خطي العرض ٣٧ الشماليّ و ٣٥ الجنوبيّ ، وفي جزئها الشمالي الشرقي يجري نهر النيل ويقع القُطْر المصريّ. والنسبه إليها : إفريقيّ .

[مادة أ ف ر]

أثبت المعجم الوسيط كلمة (إفريقية) في مادتي (أ ف ر) و (ف ر ق) ، وفي المادة الثانية أوردها بصيغتين ، وكان من المستحسن الاكتفاء باثباتها في المادة الأولى ، على أنه يمكن أن يُحال في مادة (ف ر ق) إلى التعريف الوارد في مادة (أ ف ر) .

ونلاحظ على التعريفات المذكورة ما يلي :

أولاً : — إن وصف إفريقيّة بأنها (ثانية القارّات اتساعاً) لا ينسجم مع اعتبار القارات خمساً ، لأن أفريقية تصبح الثالثة بين القارات بعد أمريكة بقسميها .

ثانياً : — إن كلمة (شرقيّ) الواردة في التعريف الأول المذكور في مادة (ف ر ق) وردت سهواً على ما يظهر وصحتها (غربيّ) .

إفريقيا إحدى قارّات الأرض الخمس ، وتقع شرقيّ آسيا وجنوبيّ أوربّة .

إفريقيــة تُطلق على الجزء الشمالي من قارّة إفريقيا المطلّ على البحـــر الأبيض غربيّ مصر .

[مادة ف ر ق]

ثالثاً : ـــ إن ذكر (إفريقية) بصيغتين في مادة (ف رق) يوحي بأن إفريقيــة إذا رسمت بالتاء المربوطة انصرفت إلى شماليّ إفريقية ، وهذا التفريق لا سند له من الحقيقة ، ويناقض إثبات المعجم نفسه الكلمة في مادة (أ ف ر) وفي مواد أخرى بالتاء المربوطة .

إن مصدر هذا التفريق الذي تبناه المعجم الوسيط في مادة (ف ر ق) ، ما ورد في بعض المعجمات القديمة من أن إفْريقيَّة ـ بتشديد الياء الثانية ـ تطلق على البلاد الواقعة غربيّ مصر ، ولكن هذا القول كان بسبب الجهل بمدى امتداد القارة جنوباً ، حتى أن صاحب القاموس مثلاً قال : وإفْريقية بلادٌ واسعةٌ قُبالةَ الأندَلُس . بينما ذكر ياقوت في معجمه : إفْريقيَّة : اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقليـــة وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس . .

والأقوال التي وردت في المعجمات القديمة لا تكفي ليثبت معجم حديث ، لا بسبيل الرواية ، بل على أساس الواقع ، أن كلمـــة إفريقية تطلق على الجزء الشماليّ من القارة فقط ، إذ لا بدّ في عصرنا الحاضر ، إذا أُريد المعـــنى المذكور من القول : إفريقية الشمالية أو شماليّ إفريقية ، كما يقال : إفريقيـــة السوداء أو الاستوائية ، وإفريقية الشرقية وإفريقية الجنوبية ،

أمْرِيكَةُ الجنوبيـــةُ : عُـرفت كأمريكةَ الشماليـةِ منذ نحو أربعة قرون ونصف قرن. وهي بين المحيطين : الأطلسيّ والهادئ ، وفي جنوبيّ أمريكة الشمالية ، وبين خطَّى العرض ٨ الشماليّ و ٥٥ الجنوبيّ. وهي على شـــكل مثلث كبير تقريباً ، رأسه إلى الجنوب ، وجزؤها الشمالي في المنطقة الحارة .

[مادة أ م ر]

أمْرِيكَةُ الشَّمالية هي الأرض التي كُشِفَ عنها منذ نحو أربعة قرون ونصف قرن ، بين المحيطين الأطلسيّ والهادئ؛ وفي شمالها المحيط الجامد الشماليّ . وهي كذلك على شكلِ مثلث كبير تقريباً ، ...

هذان التعريفان لقارّة أمريكة وردا في المعجم الوسيط متتـــاليين في مادة (أ م ر) ونلاحظ عليهما ما يلي :

أولاً : — إن الطابع الجغرافي يغلب على التعريفين المذكورين ، وكأنهما وضعا لموسوعة جغرافية إبتدائية ، وليس لمعجم لغوي وسيط .

ثانياً : — في تعريف كل جزء من أمريكة شبهُ إحالة إلى تعريف الجزء الآخر ، ومن المستحسن تجنب مثل هذه الإحالة في المعجم الوسيط .

ثالثاً : — لم يلاحظ واضـــع التعريفين ، التعريف المدرسيّ لكلمة (قارّة) في المعجم نفسه ، إذ اعتبرت فيه القارات خمساً ، فجاء التعريفان وكأنهما لقارتين مستقلتين . وكان من المستحسن الاكتفاء بتعريف واحد لقارة أمريكة يُشار فيـــه إلى أنها تتكون من قسمين : شماليّ وجنوبي .

رأسه إلى الجنوب ، وتقع بين خطّي العرض ١٠ و ٨٣ الشماليين ؛ وتمتدّ من المنطقة الحارّة إلى المنطقة الجامدة الشمالية . والنسبة إليها أمريكي شماليّ .

[مادة أ م ر]

رابعاً : — أشير في التعريفين إلى زمن كشف أمريكة على طريقة الأخبار ، والواجب في المعاجم تحديد التاريخ المراد إثباته بما لا يؤثر فيه تقادم العهد على المعجم .

لقد كان من المستحسن أن يكون تعريف (أمريكة) في المعجم الوسيط ، على الشكل التالي :

أمْريكةُ : إحدى قارّات الأرض ، وثانيتها اتساعاً ، كشف عنها في نهاية القرن الخامس عشر الميلاديّ ، وسمّيت باسم أحد روّاد البحر الإيطاليين . النسبه إليها (أمريكيّ) وأمريكة مؤلفة من جزأين كبيرين :

الأول : أمريكة الشمالية . . . .

والثاني : أمريكة الجنوبية . . . .

(يتبع)

عدنان الخطيب



محمد بن سلام

- ١ -

حياته

أبو عبد الله محمد بن سلاّم [١] بن عُبيد الله بن سالم [٢] الجمحي [٣] . يكتفي أكثر المؤلفين بنسبة الجمحي [٤] ، ومنهم من يزيد بعدهـا : مولى أو مولى لهم أو مولى قدامة بن مظعون الجمحي [٥] .

---

(١) كل المصادر ، ومنها مايقف عند اسم الأب : ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ اللغوي ٦٧ ، ابن النديم ١٧١ ، القفطي ٢ : ١٤٣ ، الصفدي ٣ : ١١٤ .
نص على تشديد اللام من سلاّم ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، ابن منظور والزّبيدي في (سلم) .

(٢) المرزباني ٢٠٧ أ ، الزُبيدي ١٩٧ ، الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، ابن الأثير ـ لباب ١ : ٢٣٦ ، القفطي ٢ : ١٤٣ ، الذهبي ـ ميزان ٣ : ٦٦ (= ٣ : ٥٦٧ ط البابي) البغدادي ـ ايضاح ٢ : ٨ .
وردت « عبيد الله » على « عبد الله » في ابن الانباري ط . مصر ٢١٦ ، ط. بغداد ١٠٩ ؛ ابن تغري بردي ٢ : ٢٦٠ ، العسقلاني ٥ : ١٨٢ ـ وهو من التصحيف . ولم يذكر الذهبي ـ ميزان والعسقلاني سالماً ؛ وورد « سالم » على « سلام » لدى ابن تغري بردي ـ وهو وهم .

(٣) ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ ؛ اللغوي ٦٧ ، ٦ ، ٢٨ ، ٥٨ ؛ المرزباني ٢٠٧ أ ابن النديم ١٧١ ؛ السمعاني ١٣٤ ب ؛ ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، لباب ١ : ٢٣٦ ؛ ياقوت ١٧ : ٢٠٤ ؛ الصفدي ٣ : ١١٤ ؛ العسقلاني ٥ : ١٨٢ .

(٤) اللغوي ، ابن النديم ، ابن الأثير ، القفطي ، الذهبي ـ الميزان .

(٥) الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، السمعاني ١٣٤ ب ، الذهبي ـ ميزان ٣ : ٦٦ ، الصفدي ٣ ; ١١٥ ابن تغري بردي ٢ : ٢٦٠ .

وجمح من قريش (١) وقدامة صحابي من المهاجرين الأولين استعمله ابن الخطاب على البحرين ، ثم جلده لما قامت عليه الشهادة بشربه الخمر . توفي ـ وهو في الثامنة والستين ـ عام ست وثلاثين للهجرة (٢) .

وواضح من سياق هذا التاريخ أن مولى قدامة هو سالم جدّ سلاّم ، ولا يمكن أن يكون محمداً نفسه كما فهم عدد غير قليل من المؤلفين والباحثين المحدثين (٣) ، وكما يتبادر إلى ذهن من لم يستحضر وقائع التاريخ ولم يعلم أن محمد بن سلاّم معاصر لحفيد قدامة بن مظعون (٤) وأنه ولد بعد وفاة قدامة بأكثر من قرن .

---

(١) ينظر الزبيري ٢٨٦ ، ابن دريد ١١٧ ، ابن حزم ١٥٠ ، ابن الأثير ـ لباب ١ : ٢٣٦ ، القلقشندي ٢١٨ ، العسقلاني ـ الإصابة ٣ : ٢١٩ . والنسب ـ بدقة ـ : بنو جمح : بطن من هصيص من قريش من العدنانية ، وهم بنو جمح بن عمرو بن هصيص .

(٢) ينظر ابن سعد ٣ : ٤٠١ ، الزبيري ٢٨٦ ، ابن دريد ١١٧ (و ٢١٨) ابن حزم ١٥٢ ، السيرافي ١٣ ، ابن خلدون ٢ : ٩٥٧ ، ١٠٥٥ ، الفيروزابادي (قدم) ، الذهبي ـ سير ١ : ١١٦ (ويذكر أنه شرب الخمر يتاول ، مستدلاً بقوله تعالى : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناح فيما طعموا ..) .

(٣) درج أكثر الباحثين على القول : « محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم مولى قدامة بن مظعون ، وهم يقصدون الى أن محمداً هو مولى قدامة ، ولم يحاول أيٌ منهم تحقيق المسألة ، ومنهم من نص على أن محمداً مولى قدامة مثل البستاني ـ دائرة ٣ : ١٩٥ ، وقالت مجلة الأزهر : « .. وولاؤه لقدامة بن مظعون الجمحي » . وورد في الزُبيدي ١٩٧ : « محمد بن سلاّم بن عبد الله بن سالم الجمحي مولى محمد بن زياد مولى قدامة .

(٤) ابن سلام ٥٣ : « أخبرني عمر بن موسى الجمحي عن أخيه قدامة بن موسى » ، ٢٠٩ : « أخبرني أهل العلم من أهل المدينة أن قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة ابن مظعون الجمحي ... » .

وكان المرزباني أكثر المؤرخين ـ فيمن رأينا ـ دقة إذ قال . « أبو عبد الله البصري محمد ابن سلاّم وهو سلاّم بن عبيد الله بن سالم مولى عثمان بن مظعون الجمحي[٢] » .

إن كلمة « مولى » زالت على مر الزمن ، ولم تعد تذكر إلى جوار محمد بن سلاّم حتى لكأنه جمحي صلبية ؛ وقد يفهم أنه عربي من سياق خبر أورده أبو الطيب اللغوي (المتوفى عام ٣٥١) وقد يتحدث عن دواعي تأليفه كتاب « مراتب النحويين » ويبين جهل الناس وتخليطهم : « حتى يظن قوم أن القاسم بن سلام البغدادي ومحمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات أخَوان ! ولقد رأيت نسخة من كتاب « الغريب المصنّف » على ترجمته : تأليف أبي عبيد القاسم بن سلاّم الجمحي ، وليس أبو عبيد بجمحي ولا عربي ؛ وإنما الجمحي محمد ، مؤلف كتاب « طبقات الشعراء » [٣] .

(٢) المرزباني ٢٠٧ أ .

(٣) اللغوي ٦ .

ويبدو أن هذا الوهم بقي على الزمن ، فقد ورد في سماع (من القرن السادس) في آخر النسخة الدمشقية لكتاب الأموال ص ٦١٥ ـ ٦١٦ : « سمع جميع كتاب الأموال على الجهة الكاتبة فخر النساء شهدة .. بحق سماعها عن أبي الفوارس طراد ابن محمد بن علي الزينبي على ابن البادي عن أبي حامد الهروي عن علي بن عبد العزيز البغوي عن أبي عبيد القاسم بن سلاّم الجمحي : الشيوخ أبو الفضل يحي .. وكان الفراغ منه في شعبان سنة ٥٦٧ » .

وأبو عبيد القاسم بن سلام : طلب العلم وسمع الحديث ودرس الأدب ونظر في الفقه وألف كثيراً . ومن كتبه « الغريب المصنف » و « غريب الحديث » و « غريب القرآن » ... والأموال ـ أبوه رومي من أهل هراة .

كان القاسم معاصراً لمحمد بن سلام ، فقد توفي بمكة سنة ٢٢٢ (وقيل ٢٣ وقيل ٢٤) في خلافة المعتصم .

ولنا أن نتصور أن جدّ محمد (أو جد سلاّم) قد أقام في البصرة مبكراً ، أيام قدامة بن مظعون [١] أو بعد « هجره عمر مغاضباً » ؛ وأن محمداً وُلد في البصرة ، ولطالما لقّب بالبصري [٢] . ولا يتكون النسب بسهولة ومن دون صلة متينة .

أما تاريخ هذه الولادة فلم ينص عليه من ترجموا له ؛ ويمكن أن يُقرّب بعام أربعين ومئة للهجرة [٣] .

— كانت المصادر القديمة قلما تقول : ابن سلام ، وانما تخصص فتقول : « محمد بن سلام » و « القاسم بن سلام » ، ولا بد من أن يكون السبب في ذلك دفع اللبس . ينظر عن القاسم : اللغوي ٩٣ ، الزبيدي ١٣٨ ، ابن الأنباري ٩٣ ، ياقوت ١٦ : ٢٥٤ ، الخطيب ١٢ : ٤٠٣ ، ابن خلكان ٣ : ٢٢٥ ... زيدان ٢ : ١١٧ . وفي مقدمة كتابه « الأموال » ترجمة له منقولة عن الذهبي في تاريخ دول الإسلام وله بين مخطوطات مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة : الغريب المصنف ويقع في ٢١٨ ورقة وغريب الحديث ويقع في ١٢٠ ورقة .

(١) لقدامة بن مظعون لقامة في البصرة ، ينظر السيرافي ١٣ .

(٢) المرزباني ٢٠٧ أ ، الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، السمعاني ١٣٤ ب ، ابن الأنباري١٠٩ ، ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ ، ياقوت ١٨ : ٢٠٤ ، ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، القفطي ٢ : ١٤٣ ، الصفدي ٣ : ١١٥ ، الذهبي — ميزان ٣ : ٦٦ ، ابن تغري بردي ٢ : ٢٦٠ ، العسقلاني ٥ : ١٨٢ ، البغدادي ٢ : ٨ ، ...

(٣) اعتماداً على ما رواه للمرزباني ٢٠٧ أ عن الحسين بن فهم من أن ابن سلام قدم بغداد سنة ٢٢٢ ومات سنة ٢٣٢ بعد عشر سنوات ، وما رواه الخطيب عن الحسين نفسه ٥ : ٢٢٩ ، من أن عمر محمد كان آنذاك ٨٢ سنة وأعيدت الرواية لدى السمعاني ١٣٤ ب ، وابن الأنباري ١٠٩ — ١١٠ ، وياقوت ١٨ : ٢٠٤ — ٢٠٥ (دون أن ينص على الخطيب ، ولعله أخذها عن كتاب ابن الأنباري . وذكر ياقوت أن عمر محمد كان اثنتين وسبعين ، ولا بد من أن يُردّ ذلك إلى وهم الناسخين) وممن نقل عن الخطيب ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٣٤ .
ويبدو أن الباحثين يعتمدون هذا الخبر إذ يجدّدون تاريخاً لولادة محمد بن سلام . ونص الأستاذ شاكر جازماً (ص ١١) على أن مولده بالبصرة سنة ١٣٩ .

وقد تهيأت للناشئ الصغير بيئة صالحة تعدُّه لمكان مرموق في العلم والأدب ؛ فقد كان أبوه « سلاّم » ذا حظ في العلم والأدب وعلى صلة وثيقة بعلماء عصره وأدبائهم [١] . وربما كان مَن سواه من أفراد أسرته مثله [٢] ؛ وربما كان هذا الأب يطمح إلى أن يرى من ولده من يحتل منزلة بارزة ، وأنه كان يعمل على أن يهيئ له من الفرص ما لم يتهيأ له ؛ فليس عبثاً أن ينصرف ابنه عبد الرحمن إلى الحديث [٦] وأن ينصرف ابنه الآخر (محمد) إلى الحديث وغيره .

وكانت البصرة [٣] آنذاك مدينة علم وأدب وفكر تضم أعلاماً كباراً في كل فن ، وكان للرواية نصيب موفور ونهضةٌ جبارةٌ ، ولا غرو ، فقد كان هذا الفن العجيب في إبّانه ، وقد حل البلدة ـ وهي القريبة من البادية ـ عـــدد من الفصحاء ، وقام فيها « المِرْبَد » ، ونشأ مَنْ مهّد الطريق لأكابر الرواة ؛ ولم يكن عبثاً أن تتفتح عينا الناشئ الصغير محمد ابن سلاّم فتريا شيخاً جليلاً يملأ الأسماع والأبصار ويلهج بذكره كل لسان ، ذلكم أبو عمرو بن العلاء [٤] .

---

(١) ابن سلام ١٣ ، ١٤ ، ٢١٤ ، ٣١٢ ، ٣٧٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٥١٠ ، ٥٣٨ ، ٥٥١ ، ٥٧٨ ، ٥٩٢ .

(٢) كان الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي زوجَ بنت سلاّم ، وقد أنجبا الفضل (أبا خليفة الجمحي) .

(٣) ينظر پلاّت ، العلي ، الحاجري ، زكي .

(٤) أبو عمرو بن العلاء (وقيل زبان بن العلاء) . . التيمي المازني . قال عنه ابن الأنباري ص ١٥ : « العلم المشهور في علم القراءة واللغة العربية وكان من الشأن بمكان .. أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي وأخذ عنه يونس بن حبيب البصري والخليل بن أحمد وأبو محمد علي بن المبارك اليزيدي . وكان يونس بن حبيب يقول : لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول عمرو بن العلاء كله في العربية ...

ولد عام ٧٠ (وقيل ٦٨ ، وقيل ٦٥) وتوفي عام ١٥٤ (وقيل ١٥٩ ، ١٥٧ ، ١٥٦) .

ينظر عنه السيرافي ، اللغوي ، ابن النديم ، الزُبيدي ، ابن الأنباري ، ياقوت ، ابن خلكان ... دائرة المعارف الإسلامية .

ولم تكن البصرة بمعزل عن الكوفة ، ولم يكن علم المدينتين بالمفصول ، وقصد حمّاد الراوية البصرة فجاءه خلف الأحمر فسمع منه ، فكان خلف أول من أحدث السّماع في بلده (١) ، ثم قصدها المفضل الضّبّي (٢) والكسائي (٣) .

وإذْ كانت المدينتان في أوج عزّهما العلمي قامت بغداد وشرعت تجتذب وتجمع وتغري ، وذاع عنها ما لقيه العالم الفلاني والأديب الفلاني لدى هذا الخليفة أو ذاك الوزير من حظوة وجاه ومال .

كانت هذه البيئة تهز نفس الفتى وتدفعه إلى أن يتلقى ويحصل ويصل . . . . وهكذا كان . وما عليه أكثر من أن يحضر هذه الحلقة أو تلك ، ويسمع على هذا الشيخ أو ذاك ، كما يشاء ، فليس أيسر من سبيل المعرفة . فاذا أحسّ من نفسه ميلاً معيّناً الى فن معيّن استجاب ، وإذا لمس فيها إعجاباً بأستاذ معيّن لزم ذلك الأستاذ قدر ما يريد وأفاد منه قدر ما يستطيع .

ولا بد من أنه كان يصحب أباه مبكراً ، ولا بد من أنه بدأ يتلقى العلم مذ نعومة الأظفار ، فانه بعد أن بدأ ما يجب أن يبدأ به من القراءة والكتابة وألمّ بما يلزم أن يُلِم به من أصول النحـــو مال إلى الحديث — أو طُلب إليه أن يتجه وجهته — ولكنه — كما يبدو — لم يجد في الحديث « ضالته » ، ولم يرد أن يقصر عليه عمره فأكبّ على الأدب والأخبار واللغة والنحو ، وعُني — أكثر ما عُني — برواية الشعر .

(١) ابن الأنباري ٣٧ ، ياقوت ١١ : ٧٦ .
(٢) ابن سلام ٢١ . « كان من أكابر الكوفيين وأخذ عنه أبو زيد الأنصاري من البصريين لثقته — ابن الأنباري ٣٥ » . توفي سنة ١٦٨ .
(٣) السيرافي ٤٤ ، الزجاجي ٢١ ، وفي ابن الأنباري ٤٣ : « . . خرج إلى البصرة ولقي الخليل بن أحمد وجلس في حلقته ... ومات الخليل وجلس في موضعه يونس . . فجرت بينهما مسائل أقرّ له يونس فيها وصدّره في موضعه » . توفي أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي سنة ١٨٢ ...

وهكذا كان مشايخه كثيرين ، وكان أن روى عن « جم غفير » ـ وإن كنّا لا نعد كل من روى عنه شيخاً من شيوخه [١] لأن ذلك يخرج بنا عن طبيعة الأشياء ويوقعنا فيما لا عدّ له ولا حصر . وليس غريباً ـ بعد ذلك ـ أن يكون كبار شيوخ محمد بن سلاّم كبار شيوخ البصرة . وهم : حماد بن سلمة ، ويونس بن حبيب ، وخلف الأحمر (أبو مُحرِز خلف ابن حيّان) ، وأبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنى ، والأصمعي (عبد الملك بن قُرَيْب) ، وأبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس) [٢] .

كان حماد بن سلمة شيخ أهل البصرة في الحديث والعربية والفقه ، وكان فصيحاً مفوّهاً ... [٧] أخذ عنه يونس .

وهو أول من تذكره المصادر من شيوخ محمد بن سلام في الحديث . وقد توفي عام ١٦٧ هـ (وقيل ١٦٩) وابن سلاّم في حدود السابعة والعشرين ؛ ولكنه مذ هذه السن « ابيضّت لحيته ورأسه » [٤] .

ويونس أكثر الشيوخ أثراً في ابن سلاّم وهو « من أكابر النحويين البصريين » [٥] و « إمام نحاة البصرة في عصره ومرجع الأدباء والنحويين في المشكلات » [٦] . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة وغيرهما

(١) كما فعل الأستاذ شاكر ١٢ .
(٢) ترد أكثر أخبارهم لدى : السيرافي ، ابن النديم ، اللغوي ، الزبيدي ، الخطيب ، ابن الأنباري ، ياقوت ، القفطي ، ابن خلكان ، السيوطي ... دائرة المعارف الإسلامية ، زيدان ، الرافعي (٣ : ٣٦٠ ..) ـ وفي تواريخ وفياتهم اختلاف .
(٣) ياقوت ١٠ : ٢٥٤ .
(٤) كما يروي ابن أخته أبو خليفة ، الخطيب ٥ : ٣٢٩ ، العسقلاني ٥ : ١٨٣ وغيرهما .
(٥) ابن الأنباري ٣١ .
(٦) ياقوت ٢٠ : ٦٤ .

«وقد سمع من العرب كما سمع من قبله»(١) وكانت «حلقته بالبصرة ينتابها أهل العلم وطلاّب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية»(٢) ووفودهم(٣). وله قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها(٤). وقد روى عنه سيبويه وأكثر، وسمع منه الكسائي والفرّاء وأبو عبيدة معمر بن المثنى وخلف الأحمر وأبو زيد الأنصاري وغيرهم(٥).

«وكان .. عالماً بالشعر نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه، عارفاً بطبقات شعراء العرب حافظاً لأشعارهم يُرجع إليه في ذلك كله(٦)».

لم يُر أبذل منه لعلم(٧). قال أبو عبيدة معمر: اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كلّ يوم ألواحي من حفظه»(٨). و«قال أبو زيد الأنصاري النحوي: جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين، وجلس إليـــه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة»(٩).

ومن تصانيفه: معاني القرآن الكبير، معاني القرآن الصغير، كتاب اللغات، كتاب الأمثال، كتاب النوادر(١).

(١) السيرافي ٢٧، ابن الأنباري ٣١، ياقوت ٢٠ : ٦٤ .
(٢) السيرافي ٢٧، ابن الأنباري ٣٢، ياقوت ٢٠ : ٦٤
(٣) ابن النديم ٦٩ .
(٤) السيرافي ٢٧، ابن الأنباري ٣١، ياقوت ٢٠ : ٦٤ .
(٥) السيرافي، ابن النديم، ابن الأنباري، ياقوت .
(٦) ياقوت ٢٠ : ٦٥ .
(٧) ابن سلام (عن أبي زيد) في الزبيدي ٤٨ .
(٨) اللغوي ٢١، ياقوت ٢٠ : ٦٥، ابن خلكان ٦ : ٢٤٢ .
(٩) ياقوت ٢٠ : ٦٥، ابن خلكان ٦ : ٢٤٢ .
(١٠) ينظر ابن النديم ٦٩، ياقوت ٢٠ : ٦٧، ابن خلكان ٦ : ٢٤٦ .
جاء لدى ابن النديم: النوادر الكبير والنوادر الصغير، وورد لدى ابن خلكان: معاني القرآن الكريم – وصحيحه الكبير .
ولم تصل الينا كتب يونس .

روى عنه محمد بن سلاّم الكثير ، وعن طريقه اتصل بعلم أبي عمرو ابن العلاء ، وقد دل في رواياته عنه على قربه منه . ولا غرو فقد كان أبوه قريباً منه عهد السبيل إليه على ابنه [١] ، وكان الفتى يجد عند أستاذه ضالّته فكانت صلته به صلة ملازمة واختصاص فكان يشهد مجالسه ، وكان يونس نفسه يزوره [٢] .

وقد طالت الملازمة واتصلت ؛ فقد تُوفي يونس سنة اثنتين وثمانين ومئة وقد قارب المئة أو تعداها ـ وكان محمد بن سلام قد جاوز الأربعين من عمره .

كان محمد بن سلام من أصغر تلاميذ يونس سناً ، فأفاد من هؤلاء التلاميذ في حياة شيخه ، وتلمذ لهم بعد وفاته ـ وفي تلاميذ يونس من فيهم .

و خلف الأحمر « أعلم الناس بالشعر » [٣] . وهو معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة [٤] . قال ابن سلاّم : « أجمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر ، وأصدق لساناً . كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه أو أنشدنا شعراً أن لا نسمعه من صاحبه » [٥] توفي عام ١٨٠ هـ (وقيل ١٨٩ ..)

و أبو عبيدة « كان أجمع الناس للعلم ، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها » [٦] . قال عنه الجاحظ : « لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة » [٧] . توفي عام ٢٠٩ هـ (وقيل ٢٠٨ . . . ، ٢١٣) .

(١) ابن سلام ١٤ .
(٢) الزبيدي ٥٠ .
(٣) اللغوي ٤٦ .
(٤) ياقوت ١١ : ٧٦ .
(٥) ينظر ابن سلام ٢١ .
(٦) ينظر اللغوي ٤٤ : « .. ومع ذلك فانه ربما أنشد البيت فلم يُقم وزنه حتى يكسره ويُخطىء إذا قرأ القرآن نظراً .. » ؛ ٤٥ : « وكان يميل إلى مذهب الاباضية من الخوارج وكان يبغض العرب » .
(٧) ابن الأنباري ٦٨ .

والأصمعي « صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار والملح »(١) . قال الأخفش : « لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي »(٢) ، وقد « تعلم نقد الشعر من خلف الأحمر »(٣) .

توفي عام ٢١٤ هـ (وقيل ٢١٥ ..)

وأبو زيد « صاحب العربية في البصرة » « أخذ عنه أكابر الناس »(٤) . وكان يروي عن علماء الكوفة ، ولا يُعلم أحدٌ من علماء البصريين بالنحو أخذ عن أهل الكوفة إلا أبا زيد ، فانه روى عن المفضل الضبّي »(٥) .

كانت حلقته ينتابها الناس وكان كثير السماع من العرب .

توفي عام ٢١٥ هـ .

وهكذا أفاد محمد بن سلاّم من خيرة علماء عصره وفي شتى مناحي معرفتهم ومختلف مجالسهم ومناظراتهم ومناقشاتهم . يلزم هذا ، ويحضر حلقة ذاك ، ولا تفوته الفوائت ؛ وتهيأ له — بذلك — أن يروي عن خلق كثير ، وأن ترد في أخباره أسماء أعلام عديدة ، لم نخص بالذكر منهم إلا الأهم في حياته ، وإلا فهناك الآخرون والآخرون . وحسبك أن تعلم من هؤلاء الآخرين : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وسيبويه ؛ وانه أفاد من علماء الكوفة الذين وردوا البصرة وحسبنا أن نذكر منهم المفضل الضبّي والكسائي .

---

(١) ابن الأنباري ٧٤ .

(٢) ياقوت ١١ : ٦٧ .

(٣) اللغوي ٤٦ .

(٤) اللغوي ٤٢ .

(٥) ابن الأنباري ٨٦ .

ولا بد من أنه أفاد من أعراب كانوا يفدون إلى البصرة أو يلتقون في المربد . ومن تكررت روايته عنه على وجه يلفت النظر : « أبو الغراف » (١) ،

بلغ محمد بن سلاّم منزلة الشيوخ وروى عنه كثيرون في شتى مجالي المعرفة ، وبين هذا الكثير من كان تلميذاً أو بمنزلة التلميذ ، وأشد هؤلاء صلة به ونقلاً عنه وحفظاً لآثاره ابن أخته أبو خليفة الفضل بن الحُباب الجمحي .

وقال أبو الطيب اللغوي : « روى عنه – أي عن ابن سلام – أبو حاتم والرياشي والمازني والزيادي وأكابر الناس » (٢) . وهؤلاء من معدودي علماء البصرة . وأبو حاتم هو سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ؛ والرياشي هو أبو الفضل العباس بن الفَرَج ؛ والمازني هو أبو عثمان بكر بن محمد ؛ والزيادي هو إسحاق بن سفيان (٣) .

ولم يقف تلاميذ ابن سلاّم والرواة عنه عند حدود البصرة فلقد كان له تلاميذ في بغداد ، لأنه عاش في هذه المدينة عدداً من السنين (أخريات أيامه) .

(١) لانعرف عن « أبي الغراف » شيئاً يذكر . جاء في المرزباني – معجم – عمرو : أبو الغراف السلمي عمرو بن مرثد ، شاعر معروف سندي ، وهو القائل يرد على ربيعة الرقي قوله يمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ويهجو يزيد بن أسيد (السلمي) :

لشتان مابين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم

وهي أبيات . فهجا أبو الغراف ربيعة واليمن . ينظر ابن الجراح ٤٥ ، ٤٦ ، ابن سلام بدلالة فهرس أعلامه .

(٢) اللغوي ٦٧ .

(٣) وردت أكثر أخبارهم لدى السيرافي ، ابن النديم ، اللغوي ، الزبيدي ، ابن الأنباري ، القفطي ، ياقوت . .

ووفياتهم متقاربة ، في حدود الـ ٢٥٠ : أبو حاتم ٢٤٨ (وقيل ٢٥٤ ، ٢٥٥) الرياشي قتله الزنج عام ٢٥٧ ، المازني ٢٥٥ (وقيل ٢٤٧) ، الزيادي ٢٤٩ .

كان لا بد له من قصد بغداد ـ ملتقى كبار العلماء ومقر الأجلاء ـ فألم بها (١) وحدثته نفسه بإطالة الإقامة فيها ولكن عوائق حالت دون ذلك ولم تتحقق رغبته إلا سنة اثنتين وعشرين ومائتين ـ وهو في الثانية والثمانين فسكنها وحضر مجالسها ، وعقد فيها مجالسه ، فلقد كان شيخاً وله جلالة ومهابة في نفوس الناس من الخاصة والعامة والعلماء والأجلاء (٢) .

مرض محمد بن سلام في بغداد ـ وربما كان ذلك منذ وصوله ـ مرضاً شديداً كاد يودي بحياته . وقد روى الحسين بن فهم تفصيل الحال فقال : « قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين ومائتين فاعتل علة شديدة ، فما تخلف عنه أحد ، وأهدى إليه الأجلاء أطباءهم . وكان ابن ماسويه ممن أهدي إليه ، فلما جسه ونظر إليه قال له : ما أرى من العلة كما أرى من الجزع ! فقال : والله ما ذاك لحرص على الدنيا مع اثنتين وثمانين سنة ؛ ولكن الإنسان في غفلة حتى يوقظ بعلة ، ولو وقفت بعرفات وقفة وزرت قبر رسول الله ﷺ زورة وقضيت أشياء في نفسي ، لرأيتَ ما اشتد علي من هذا قد سهل . فقال ابن ماسويه : فلا تجزع ، فقد رأيتُ في عرقك من الحرارة الغريزية وقوتها ما إن سلمك الله من العوارض بلغك عشر سنين أخرى » (٣) .

---

(١) ينظر المرزباني ٢٠٧ أ « قال ابن سلام كنت ببغداد فررت بأبي نواس .. »

(٢) ابن حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ .

(٣) الخطيب ٥ : ٣٢٩ وعنه بنص أو بغير نص : السمعاني ، ابن الأنباري ، ياقوت ، ابن أبي أصيبعة .

وقد روى الخبر المرزباني ٢٠٧ ب ـ ٢٠٨ ا فقال : « قال الحسين بن فهم قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين فاعتل فلم يبق أحد إلا عاده وجاء بطبيب ، فجاء ابن ماسويه فرآه جزعاً فقال له : أكثر ما في علتك جزعك ــ

والخبر يدل على جلال منزلة محمد بن سلاّم ، وفي ورود اسم ابن ماسويه أكثر من دلالة ، لأن ابن ماسويه طبيب الخلفاء العباسيين منذ أيام هارون الرشيد ، وان الخليفة الواثق كان مشغوفاً به ضنياً »(١) وانه « كان معظّماً ببغداد جليل المقدار »(٢) ، مجلسه « أعمر مجلس .. بمدينة السلام لمتطبب أو متكلم أو متفلسف يجتمع فيه كل صنف من أصناف الأدب »(٣) .

--- فقال : ليس ذاك بحرص على الدنيا مع هذه السن ولكني كنت أحب أن أقف بعرفات مرة فأزور قبر رسول الله ﷺ زورة . ولو فعلت ذلك لرأيت ما اشتد علي من هذا قد هان . قال : فلا تجزع فان في عرقك من قوة الحرارة ما ان سلمك الله من العوارض بلغك عشر سنين » .

وليلاحظ أن المعتصم انتقل الى سرّ من رأى سنة ٢٢١ هـ .

والحسين بن فهم ـ كما جاء لدى الخطيب ٨ : ٩٢ ـ ٩٣ : « الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز بن ابراهيم أبو علي . سمع خلف بن هشام البزار ويحيى بن معين ومصعبا الزبيري ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ومحمد بن سلام الجمحي وأبا خيثمة ... وكان ثقة عسراً في الرواية متمنعاً إلا لمن أكثر ملازمته كان يسكن الجانب الشرقي ناحية الرصافة .. كان حسن المجالس .. مفتناً في العلوم كثير الحفظ للحديث .. ولأصناف الأخبار والنسب والشعر والمعرفة بالرجال فصيحاً متوسطاً في الفقه ، يميل إلى مذهب العراقيين . . مات في شهر رجب من سنة ٢٨٩ . وعن الخطيب نقل العسقلاني ـ ميزان ٢ : ٣٠٨ .

ولا بد أن يكون في تاريخ الولادة الذي ذكره المصدران عن رواية على لسان الحسين نفسه من أنه قال : ولدت في شهر رمضان من سنة ٢٢١ خطأ يرجع إلى الناسخين أو أن يكون قوله : « قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين ومائتين » يرويه عن آخر وأنه لم يسمع محمد بن سلام ـ والأول أولى .

(١) ابن أبي أصيبعة . وابن ماسويه هو أبو زكريا يوحنا ، ينظر عنه ابن النديم ، ابن أبي أصيبعة ، القفطي (أخبار الحكماء .) ... دائرة المعارف الاسلامية .

(٢) القفطي ـ الحكماء ٣٨٠ .

(٣) ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٢٤ .

وذكر القفطي الحكماء ص ٣٨١ ـ ٣٨٢ فقال : « كان يعقد مجلساً للنظر ويعمر ذلك المجلس بعلم هـذا الشأن أتم عمارة ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة واجتمع إليه أهل العلوم والأدب . وكان يدرّس ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون » .

وقد نجا ابن سلام من مرضه ، وعاود طلاب العلم قصده للإفادة ، وعاود هو حضور المجالس ، وزاد عدد تلاميذه والمستمعين إليه والآخذين عنه ؛ وكان أشدهم به صلة وأكثرهم عنه رواية : أحمد بن يحيى ثعلب .

كان ثعلب شاباً ولكنه نابغة ، وكان يقول : « طلبت العربية واللغة في سنة ست عشرة ومائتين ، وابتدأت بالنظر في « حدود » الفرّاء وسنّي ثماني عشرة سنة ... »(١) .

روى ثعلب لقاءه محمد بن سلاّم فقال : « أتيتُ محمد بن سلام ، لما قدم من البصرة ، لأقرأ عليه الأشعار والأخبار التي يرويها ، فلما عرَفني برّني وأكرمني ، فقال لي : أسألك عن أبيات ؟ فقلت له : سل . فقال : ما معنى قول الفرزدق :

تكاد آذانها في الماء تقصعها بيضُ اللاغيم أمثال الخواتيم

فقلت : يصف حميراً تشرب ، وأراد الحلقوم والمريء ويروى : « تقصفها » ، أراد : من شدة جُوعها تضرب فتكاد تنقصف .

... شبّه جوعها بالخواتيم ، وأراد أنها من شدة العطش لما وردت الماء انغمست جحافلها في الماء حتى يكاد الماء يبلغ آذانها .

---

(١) القفطي ٢ : ١٣٩ ، وتمام الخبر « ... وبلغت خمساً وعشرين سنة وما بقي عليّ مسألة للفراء إلاّ وأنا أحفظها وأحفظ موضعها من الكتاب ، ولم يبق شيء من كتب الفرّاء في هذا الوقت إلا قد حفظته » ؛ وينظر ياقوت ٥ : ١٠٩ ، ١١٩ ، ١١٠ وفيه : « .. وكنت أعنى بالنحو أكثر من عنايتي بغيره ، فلما أتقنته أكببت على الشعر والمعاني » ، وينظر الزبيدي ١٥٥ ، وفيه : « .. وصنف الكتب وله ثلاثة وعشرون سنة » .

قال : فما تقول في قول علقمة :

سلاءه كعصا النَّهدي غُلَّ لها ذو فيئة من نوى قُرَّان معجوم

قلت : يعني فرساً ، شبَّهها بشوك النخلة لإرهاف صدرها وتمام عجزها كذلك خلقة الشوكة .

يقول خلقتها خلقة الشوكة . وهذا يُستحب في الإناث ...

وعصا النهدي : أي كأنها عصا نبع ، لاندماجها وملاستها ، وإنما خص « نهداً » لأن النبع ينبت في بلادها ، فهم أصحاب عصي لا تفارقهم ، فعصيّهم ملس ، فأراد أنها فرس ملساء .

وغُلَّ لها ، أي أدخل لها في باطن حافر أو في موضع النسور ، وإنما شبّه النسور بالنوى لأنها صلاب ، وأنها لا تمس الأرض لأن الحافر مقعَّب .

وذو فيئة : ذو رجعة ، وهو أن يؤكل النوى ، ثم يُفت البعر فيستخرج النوى فتعلفه الإبل مرة أخرى ، ولا يكون ذلك إلاّ من صلابته ...

ومعجوم ، أي انه نوى الفم ، وهو أصلب ما يكون . معجوم ، معضوض .

وقرّان : موضع كثير النخل .

قال : فما تقول في قول جرير :

فلا يضغمنّ الليثُ عكلا بغرّة وعُكلٌ يشمون الفريس المنيّبا

قلت : يقول إن عكلا تخافني أن أهجوهم كما تخاف الغنمُ الأسدَ ؛ وذلك لأن الأسد إذا أثّر في شاة من الغنم فرّت الغنم إذا شمّت فريسته . والضغم : الأخذ بشدة . حذرهم شعره وهجاءه ؛ فيقول هي تجزع من هجائي إذا هجوت غيرهم فكيف إذا أوقعته بهم .

فقال لي : إقرأ ما شئت . وجعل يعجب »(١) .

ويدل هذا المجلس على أمور كثيرة ، منهـا هدوء الشيخ وتواضعه وأدبه – إن شئت ، ولم يكن كمن يريد أن يفرض نفسه بكل سبب ؛ ومنها أنه أنموذج لأساليب امتحان « الكفاءة » الذي يحدد الخطوة التي يخطوها الأستاذ بعده ؛ ومنها نبوغ ثعلب – وقد ظهر عالماً ، وجهد أن يبدي كل مكنونه فعل التلميذ « المتفوق » ؛ وإذا كان ثعلب على هذا العلم وسعى لأن يتلمذ على ابن سلام ، ففي ذلك ما يدل على مكانة ابن سلام وشهرته في « الشعر والمعاني » .

كان ثعلب ثقة ديّناً مشهوراً بصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر ، مقدّماً بذّ الشيوخ وهو حدث(٢) ؛ لم يتحدث أحد عنه وعن شيوخه إلاّ ذكر محمد بن سلاّم(٣) .

---

(١) الزجاجي ٩٤ .

ومن حواشي محقق الزجـاجي : ان بيت الفرزدق لم يرد في ديوانه ؛ وبيت علقمة في ديوانه (الوهبية ١٢٩٣) ص ١٣١ والمفضليات (ط . دار المعارف ١٣٦١) ص ٤٠٤ ، وبيت جرير في ديوانه (ط . الصاوي ١٣٥٣) ص ١٤ . وينظر عن بيت جرير : ثعلب – المجالس ٢ : ٠ ٥ ، ابن سلام ٣١٧ ، ٤٦٩ .

(٢) ابن الأنباري ١٥٨ .

(٣) ولد ثعلب سنة مائتين وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائتين . وهو أبو العباس أحمد ابن يحيى بن زيد ابن سيّار – مولى بني شيبـان ، إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه . أخذ عن محمد بن زياد الأعرابي وعلي بن المغيرة الأثرم وسلمة ابن عاصم ومحمد بن سلاّم الجمحي والزبير بن بكار وأبي الحسن أحمد بن إبراهيم وعبيد الله بن عمر القواريري .

وأخذ عنه أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش وابن عرفة وابن الأنباري وأبو عمرو الزاهد ، وأبو موسى الحامض وابراهيم الحربي .

من كتبه « معاني الشعر » ، ومما طبع له « الفصيح » و « المجالس » .

ينظر عنه الخطيب ٥ : ٢٠٤ – ٢١٢ ، اللغوي ٩٥ – ، الزبيدي ١٥٥ – ، ابن الأنباري ١٥٧ – ، ياقوت ٥ : ١٠٢ – ١٤٦ ، القفطي ١ : ١٣٨ ، ابن خلكان ١ : ٨٤ – ٨٧ ... ومقدمة عبد السلام محمد هارون على المجالس .

عاش ابن سلاّم بعد مرضه عشر سنين ـ كما قال له ابن ماسويه ـ إذ « وافق كلامه قدراً » « ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين » ـ على رواية المرزباني والخطيب عن الحسين بن فهم ـ أحد تلاميذ ابن سلاّم .

وورد هذا التاريخ في مصادر أخرى [١] ، وبين هذه المصادر الأخرى ما ربط بين سنة الوفاة وحادث معروف فقال : « كان ذلك في السنة التي مات فيها الواثق وبويع المتوكل بن المعتصم » [٢] ـ وهذه السنة ثابتة ، هي سنة ٢٣٢ ، بل إن الشهر منها معروف وهو ذو الحجة [٣] .

وفي رواية أخرى أوردها المرزباني والخطيب ـ كذلك ـ عن عبد الباقي ابن قانع [٤] أن ابن سلاّم توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين [٥] . وقد نقلتها عن الخطيب مصادر أخرى ـ كما نقلت عنه الرواية الأولى [٦] ، ووردت وحدها في مصادر أخرى لم تشر إلى المرزباني أو الخطيب بشيء [٧] .

---

(١) ابن الأنباري ١١٠ ، ياقوت ١٧ : ٢٠٥ ، القفطي ٢ : ١٤٤ ، الصفدي ٣ : ١١٥ .

(٢) ابن الأنباري ، ياقوت .

(٣) ابن الأثير ، حوادث ٢٣٢ : « توفي الخليفة لست بقين من ذي الحجة » .

(٤) لدى الخطيب ١١ : ٨٨ ـ ٨٩ : ولد سنة ٢٦٥ وتوفي سنة ٣٥١ . سمع الحارث بن أبي أسامة ومحمد بن مسلمة الواسطي وابراهيم بن الهيثم البلدي وأحمد ابن اسحاق الوزان وعلي بن محمد بن أبي الشوارب وعبيد بن شريك البزاز وابراهيم ابن اسحاق بن الحسن . روى عنه الدارقطني والمرزباني . . كان من أهل العلم والدراية والفهم ورأيت عامة شيوخنا يوثقونه ، وقد كان تغير في آخر عمره .

(٥) المرزباني ٢٠٨ أ ، الخطيب ٥ : ٣٢٩ .

(٦) القفطي ٢ : ١٤٥ ، الصفدي ٣ : ١١٥ ، الذهبي ـ ميزان ٣ : ٦٧ (= ٣ : ٥٦٨) .

(٧) ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، ابن كثير ١٠ : ٣٠٨ ، الحنبلي ٢ : ٧١ .

وليس من السهل البت أو ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى ؛ وربما كان عام ٢٣٢ هـ أدق — إذا كان لا بد من التمييز .

أما مكان الوفاة فليس في رواية الحسين بن فهم ما يقطع بأنه بغداد ، أما رواية ابن قانع فصريحة في ذلك إذ تقول : « توفي محمد بن سلاّم الجمحي ببغداد » [1] . ولم تشغل المصادر الأخرى نفسها بهذا الموضوع ، وذكر الزبيدي أنه « البصرة » [2] — ولا بد من أن تكون الرواية الأولى أصح .

وخلف محمد بن سلام من الأبناء — فيمن خلّف — ولداً اسمه « عَوْن » ، روى عن أبيه أشياء [3] ؛ وترك من العلم والرواية والمؤلفات ثروة جليلة دل عليها القليل الذي وصل إلينا منها .

(يتبع) الدكتور علي جواد الطاهر



---

(١) المرزباني ٢٠٨ أ ، وفي الخطيب ٥ : ٣٢٩ : « أنبأنا محمد بن أحمد بن رزق أخبرنا محمد بن عمر بن غالب حدثنا موسى بن هارون وأخبرنا السمسار أخبرنا الصفار حدثنا ابن قانع قالا : مات محمد بن سلام في بغداد ... » وممن تبع الخطيب القفطي ٢ : ١٤٥ ، ياقوت ١٧ : ٢٠٥ .

(٢) الزبيدي ١٩٧ ، وفي القفطي ٣ : ١٤٥ « وذكر الزبيدي . » .

(٣) ابن سلام ٥٤٣ (الأغاني ٤ : ٢٤٦) ، شاكر ١٤ .
وفي الخطيب ٥ : ٣٢٩ : « حدث أبو خليفة الفضل بن الحباب فقال : « سمعته — أي سمعت ابن سلام — يقول : أفنيت ثلاثة أهلين : تزوجت وأطفلت فماتوا ثم فعلت مثل ذلك فماتوا ، ثم فعلت الثالثة فماتوا . وها أنا ذا في الرابعة ولا أولاد » . ووردت الرواية لدى القفطي ٢ : ١٤٤ : « ... وها أنذا في الرابعة ولي أولاد » وهي أوجه . ولعل مرد الخطأ في رواية الخطيب : الناسخ .

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كايرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ١١ —

رقم المصطلح		رقم المصطلح	
٦٢٣٢	تهلّم	6232	Gélification

وأرجح تجمُّد . فقد جاء في شرح هذه اللفظة في معجم غارنيــــه ودولامار (١) ما يأتي : التخثر (التجلط) الكتلي لأحد المحاليل الغروانية بتكون شبكة صلبة على غاية من الدقة تحوي سائلاً في فُرَجها .

هذا وإن مجمع اللغة قد أقر ترجمة لفظة (Gélatine) بهلام في بعض المواضع وأقر تعريبها بجيلاتين في بعضها الآخر ، وأقر استعمال لفظة تجلاتُن وجلاتنة ترجمة للفظة (Gelatinization) وهي طبعاً غير (Gélification) التي لا يصح ترجمتها إلا بالتجمد .

---

(١) M. Garnier et V. Delamare, Dictionnaire des Termes Teschniques de Medecine

٦٢٣٣ غيراء ، آغار – آغار Gélose , agar — agar 6233

وأرجح تعريب اللفظة بجيلوز بعد أن خصصت لفظة غيراء ترجمة لِ (Colle) ومنه اشتقاق لفظة غُرواني ترجمة لِ (Colloïde) . هذا وإن مادة الجيلوز تستخرج من طحالب البحر مما يميزها من الغيراء .

٦٢٣٤ غيراء بالسِقْي Gélose — ascite 6234

٦٢٣٥ غيراء بالأسكولين Gélose à l'esculine 6235

٦٢٣٦ غيراءغلوكوزي ، غراء بسكر العِنَب Gélose glucosé 6236

٦٢٣٧ غيراء مُغَلْسَر Gélose glycérinée 6237

٦٢٣٨ غيراء مائل Gélose inclinée 6238

٦٢٣٩ غيراء بسُكَّر اللّبَن (لاكتوزي) Gélose lactosée 6239

بصبغة عباد الشمس (العَبْشَم) au tournesol bleu الأزرق

٦٢٤٠ غيراء مُغَذ Gélose nutritive 6240

٦٢٤١ غيراء بالمَصْل Gélose — sérum 6241

وأرجح ترجمة الألفاظ تباعاً كما يلي : جيلوز بالسِقْي ، وجيلوز بالأسكولين ، وجيلوز غلوكوزي ، وجيلوز غليسريني ، وجيلوز مائل ، وجيلوز لَكْتوزي بعباد الشمس الأزرق ، وجيلوز مغذ ، وجيلوز بالمصل .

٦٢٤٧ تكوّن ، حدوث ، نَسْل Gène 62 7

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بجينة وترجمتها بورْثة أيضاً ، وجاء في التعريف : إحدى الوحدات الوراثية في الصِبْغي (الكروموسوم) وهي المظهرة لصفة ما في الحيوان أو النبات البالغ .

٦٢٤٨ بالتكوّن (ذو علاقة) بالتّسلسل Gène (ayant rapport au) 6248

وأرجح بالمنشأ (ذو علاقة أو صلة) دون التّسلسل كقولنا في ترجمة (endogène) داخلي المنشأ أو المصدر.

٦٢٤٩ إزعاج ، زَعْج ، عُسْر Gêne 6249

وضيق وصعوبة أيضاً.

٦٢٥٠ زَعْج ، عُسْر البلْع gêne à la mastication 6250

وأرجح صعوبة البلْع.

٦٢٥٦ تكويني Génératif, ive 6256

وتوليدي أيضاً ، إذ سبق للجنة أن ترجمت لفظة (Générateur) بمُولّد (اللفظتان ٦٣٥٤ و ٦٣٥٥).

٦٢٥٧ رَتَم (وَزال) Genêt à balai 6257

وجاءت اللفظة معرّبة بجنستا في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي وذكر في تعريفها : تطلق الكلمة الفرنسية على أنواع الجنستا والرّتم والوَزّال وجميعها من القرنيات الفراشية.

٦٢٥٨ علم إصلاح النسل Génétique 6258

٦٢٥٩ خَلْقي إنسالي Génétique, génésique 6259

٦٢٦٠ خَلْقي مرضي Génétique pathologique 6260

إن ترجمة اللفظة الأولى بعلم إصلاح النّسل حصراً غير صحيح ، لأن اللفظة معنى أعم وهو علم الوراثة أو النّسل (١) وأقر مجمع اللغة ترجمتها بعلم الوراثة

(١) جاء في معجم غارنيه ودولامار (M. Garnier et V. J. Delamare) في ترجمة اللفظة الأولى ما يلي : هو العلم الذي يبحث في جميع الظواهر والأمور المتعلقة بالنسل ، ويبحث بشكل خاص في تحديد نواميس الوراثة الطبيعية والمرضية في الإنسان.

وجاء في التعريف : العلم الذي يبحث في انتقال الصفات من جيل إلى آخر ، وتفسير الظواهر المتعلقة بطريقة هذا الانتقال . أقول وإن من مدلول الكلمة علم إصلاح النسل أيضاً .

أما اللفظة الثانية فهي تدل على النسبة إلى الجينة أو الورثة (١) السابقة (اللفظة ٦٢٤٧) فتصبح ترجمتها جيني أو ورثي . وأما اللفظة الثالثة فترجمتها بورثي مرضي .

٦٢٦٧ ميثال الخِلْقة ، ميثال التولد Génotype, idiotype 6267

٦٢٦٨ ذو علاقة بمثال الخِلْقة وصلة Génotypique 6268

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بطراز جيني – طراز الجنس ، وجاء في الشرح ما يلي :

١ – طراز كائن حي يعرف بتركيبه الوراثي .

٢ – طراز الجنس : طراز النوع الذي يجتمع فيه معظم صفات الجنس .

وتصبح ترجمة اللفظة الثانية ما يتعلق بطراز الورثة ، والجينة وبطراز الجنس .

٦٢٧٠ رُكبة حَنْفاء Genou cagneux, genu valgum 6270

---

(١) وجاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) في شرح اللفظة أن لها المعاني التالية : (١) ماله صلة بطراز الانسال والنمو (٢) ماله صلة بالورثات (٣) ماينشأ عن الورثات . وجاء في المعجم نفسه في تفسير (Genetics) بصيغة الجمع مايلي : فرع علم الأحياء الذي يبحث في ظواهر الوراثة واختلافاتها ، كما أنه يهدف إلى البحث عن أسباب التشابه والتباين بين الوالدين ونسلها ، وتشميلاً بين جميع المخلوقات فيا يختص بصلة الوارث والمورث .

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بالصكاك ولا شك بأنها أفضل (١) .

٦٢٧١ رُكْبة الجسم الثَّفني Genou du corps calleux 6271

وأقر مجمع اللغة : ركبة الجسم الجاسئ وأراها أفضل (٢) .

٦٢٧٢ رُكَبي Genouillé, ée, géniculé, ée, coudé, ée 6272

رُكَبي ومُنْعَطِف ترجمة لِ (Coudé) وقد أهملتها اللجنة .

٦٢٧٥ رُكْبة مقوّسة للوراء Genu recurvatum 6275

وأرجح رُكْبة مُعْوَجَّة أو مُتَحَجِّنة (٣) ، ويقصد باللفظة الركبة التي تبدي تشوهاً يجعلها تنعطف إلى الأمام جزئياً .

(١) في اللسان : والصكك اضطراب الركبتين والعرقوبين من الإنسان وغيره ، والنعت رجل أصك ، صك يصك صككاً فهو أصك ومصك وقد صككت يا رجل . إلى أن قال عن ابن الأعرابي : في قدميه قبل ثم حنف وفي ركبتيه صكك وفي فخذيه فجي .

في اللسان : الحنف في القدمين إقبال كل واحدة منهما على الأخرى بإبهامها وكذلك في الحافر في اليد والرجل ، وقيل هو ميل كل واحدة من الإبهامين على صاحبتها حتى يرى شخص أصلها خارجاً وقيل هو انقلاب القدم حتى يصير بطنها ظهرها وقيل هو ميل في صدر القدم وقد حنف حنفاً ورجل أحنف وامرأة حنفاء . وقال أيضاً : الحنف أن تقبل إبهام الرجل اليمنى على أختها من اليسرى وأن تقبل الأخرى اليها إقبالاً شديداً الخ .

(٢) في اللسان : جسأ الشيء يجسأ جسوءاً وجساءة فهو جاسئ صلب وخشن . في اللسان : الثفنة من البعير والناقة الركبة وما مس الأرض من كركرته وسعداناته وأصول أفخاذه ، وفي الصحاح : هو مايقع على الأرض من أعضاء إذا استناخ وغلظ كالركبتين وغيرهما ... إلى أن قال ثفنت يده إذا غلظت من العمل .

(٣) في اللسان : حجن العود يحجنه حجناً وحجنه عطفه . والحجن والحجنة والتحجن اعوجاج الشيء .

6279	Germe, V. agent germe aérobie V. aérobie (germe)	جرثومة ، رُشيم ، بَزْر انظر عامل مرضي	٦٢٧٩
6280	Germe de blé	رُشَيم القَمْح	٦٢٨٠
6281	Germe de céréales	رُشَيم الحبوب	٦٢٨١
6282	Germe dentaire	رُشَيم السن	٦٢٨٢
6283	Germe morbide, germe pathogène	جرثوم مرضي ، جرثوم مُمْرِض	٦٢٨٣

لقد جاءت ترجمة اللفظة في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي جرثومة فقط وجاء في التعريف : تطلق الكلمة الفرنسية في معناها المحدود على جنين البزرة وفي معناها الشامل على الأجسام العضوية التي تولد كائناً حياً كالبوغ والمكروبات والبكتريات التي تعيش وتولد أحياء شبيهة بها .

أما مجمع اللغة العربية فقد أقر ترجمة اللفظة بما يلي من الألفاظ : الحُبَيّ (ج الحبيات) والجرثومة والبُذَيرة (ج البذيرات) والبذرة (ج بذور) والشطأ والأصل (في الحيوان والنبات) .

ولا أرى أن لفظة الرُشيم [١] ولا الشطأ [٢] تفيان بالمعنى المقصود والأفضل الاقتصار على ترجمة اللفظة بالحُبي والجرثومة والأصل وجنين البذرة ، وجرثوم ممرض للفظه الأخيرة .

---

(١) في اللسان : والرَّشم بالتحريك والرَّوشم أول ما يظهر من النبت يقال فيه رَشم من البنات ، وأرشمت الأرض بدا نبتها ، وأرشم الشجر أخرج ثمره كالحمص وعن إبن الأعرابي وأرشم الشجر وأرمش اذا أورق .

(٢) في اللسان : الشَّطأ فرخ الزرع والنخل وقيل هو ورق الزرع ، وفي التنزيل : كزرع أخرج شطأه أي طَرَفه وجمعه شُطُوء .

٦٢٨٤ جُرثوم التَّدعُّص — 6284 Germe de putréfaction

وأرجح جرثوم التفسخ اللفظة الشائعة .

٦٢٨٩ مُكوِّن الرَّشيْم (مبيض المثقوبات) — 6289 Germigène (ovaire des trématodes)

وأرجح مُكَوِّن البُذَيْرة (مبيض المثقَّبات) كما أقر مجمع اللغة اللفظة الأخيرة .

٦٢٩٠ رشيمي ، بَزْري ، إنتاشي ، نتشي — 6290 Germinal, le

وأقر مجمع اللغة جرثومي فقط ، كما أن لفظة نَتَشي لتوجب الالتباس (١) .

٦٢٩١ مُنْتِش — 6291 Germinatif, ve

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بِمُنْبِت (٢) .

---

(١) في اللسان : النَّتَشُ البياض الذي يظهر في أصل الظفر والنَّتْش النَّتْف ، اللحم ونحوه والمِنْتاش المنقاش . الليث : النتش إخراج الشوك بالمِنْتاش وهو المنقاش الذي يُنْتَفُ به الشعر ، قال : والنَّتْش جذبُ اللحم ونحوه قرصاً ونتشاً .
قال أبو منصور : والعرب تقول المِنْقاش مِنْتاخ ومِنْتاش .
ونَتَشْتُ الشيء بالمنتاش أي استخرجته . وأنتش النباتُ وذلك حين يخرج رؤوسه من الأرض قبل أن يُعْشِق ، ونَتَشُه ما يبدو منه ، وأنتشَ الحبُّ ابتلَّ فضرب نَتَشَه في الأرض بعد ما يبدو منه أول ما ينبت من أسفل وفوق ، وذلك النبات النَّتْش .

وأقر مجمع اللغة في ترجمة (Germinal epithelium) الواردة في مصطلحات علوم الأحياء (المجلد الرابع من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع يوليه ١٩٦٢) لفظتي ظِهارة جرثومية وطلائية جرثومية وجاء في التعريف : نسيج ظهاري (طلائي) يدخل في تركيب الغدة التناسلية وتكوِّن خلاياه الخلايا التناسلية .

(٢) وردت اللفظة في ترجمة الطبقة المنبتة (Germinative layer) في مصطلحات علوم الأحياء وجاء في التعريف : وهي الطبقة القاعدية في الظِهارة الطبقية (الطلائية الطبقية) والتي تكوِّن خلايا الطبقات الأخرى وقد تسمى أيضاً طبقة مالبيجي .

6305 Glacial, ale ٦٣٠٥ مُتجمّد

والصحيح ترجمة اللفظة بالجليدي أو الجمَدي نسبة إلى الجليد أو الجمَد(1)، وتخصيص لفظة تجمّد ترجمة لِ (Gélification) (2) ، وعلى ذلك فقد ورد في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (Glacial, icy) وجاء في شرح اللفظة في معجم بلاكستون (Blakiston's) ما يلي : ما يشبه الجليد في منظره كحامض الخل الجليدي (gl. acetic acid) وحامض الفسفور الجليدي (gl. phosphoric ac.) . وسبق للجنة أن استعملت لفظة تجمّد ترجمة لِ (Congé ation) (اللفظة ٣٠٥٢) وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بثلجي في ترجمة لفظة (Glacial plants) بنباتات ثلجية وجاء في الشرح : نباتات تعيش وسط الثلوج في الأقطار القطبية الباردة .

كما انه أقر ترجمتها أيضاً بالجليدي في حامض الخل الجليدي (Glacial acetic acid) وجاء في الشرح : هو حامض الخل الصرف وسمي كذلك لأنه يتجمد إذا انخفضت درجة حرارة الجو عن درجة ١٦،٨ م° .

6307 Glaireux, euse, muqueux, euse mucilagineux, euse مُغاطي ، مُخاطي ، لُعابي ٦٣٠٧

---

(1) في اللسان : والجليد ما يسقط من السماء على الأرض من الندى فيجمد وأرض مجلودة أصابها الجليد وجُلِدت الأرض من الجليد . والجليد ما جَمَد من الماء وسقط على الأرض من الصقيع فجمد .
وفي اللسان أيضاً : الجَمَد بالتحريك الماء الجامد . الجوهري الجَمْد بالتسكين ما جَمَد من الماء وهو نقيض الذوب .

(2) الصفحة ٧٦ من هذه المجلة .

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بآحي لأنها النسبة إلى الآح (بياض البيض) كما جاء في معجم غارنيه ودولامار [1] (M. Garnier et V. J. Delamare) واللفظة الثالثة بصمغي [2] لتخصيص لفظة لعابي ترجمة لِـ (Salivaire) . هذا ولا أرى مصوغاً لاستعمال مخاطي لهذا المعنى [3] .

6315 Glande hémolymphatique غدة دَموية لنفاوية ٦٣١٥

غدة دموية لمفية كما أقرها مجمع اللغة .

6316 Glande lacrymal غُدَّة دَمْعِيَّة ٦٣١٦

(2) Conduits lacrimaux (٢) قِسمات ، مَجارٍ دَمْعِيَّة

وأقر مجمع اللغة قَنَوات دمعية .

(4) Points lacrimaux (٤) نِقاط دَمْعِيَّة

وأرجح الفوهات الدمعية وفاقاً للترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي [4] لكي لا يلتبس الأمر بقطرات الدمع .

6322 Glande pinéale, épiphyse cérébrale غُدَّة صَنَوْبَرِية ، مُشاشة دِماغية ٦٣٢٢

وأرجح الاكتفاء بالغدة الصنوبرية لأن لفظة (épiphyse) تعد من مترادفاتها واستعمال لفظة مُشاشة [5] مما يدعو الى الالتباس .

---

(١) لقد جاء في المعجم المذكور في شرح لفظة (Glaire) ما يلي: (اشتقاق اللفظة من الآح) سائل بلا لون لزج كآح البيض وأكثف من المخاط تفرزه الأغشية المخاطية في بعض الحالات المرضية .

(٢) الصفحة ١٠٥ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في اللسان : المَخْط مد الشيء بتمطيله وخص بعضهم به مد الشيء اللين كالمُصْران ونحوه ، مَخَطه يَمْخُطه مخطاً فامتَخَط وامتخط .

(٤) (Lacrimal openings)

(٥) الصفحة ٥٦٣ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

6330 Glandes cardiaques, fundiques, du grand cul-de-sac ٦٣٣٠ غُدَد سُدفية ، قشرية ، غُدَد الرتج الكبير

وأرجح غدد الفؤاد (١) وغدد الجيب الكبير كما أقرها مجمع اللغة .

6354 Glandes vulvo – vaginales de Bartholin ٦٣٥٤ كَيْشن (غدد فرجية مهبلية) غدد برطولين

أقول غُدَد برطولن الفرجية المهبلية ولا أرى لفظة كَيْشن تعني هذه الغدد(٢) .

6357 Gliose ٦٣٥٧ تشعّب اللحمة العصبية

والصحيح الفساد الأحمي العصبي أو الفساد الدبقي (٣) العصبي قياساً على ما أقره مجمع اللغة من ترجمة (Néphrose) بالفساد الكلوي ودرجت على استعمال الداء الكلوي (٤) ترجمة للفظة ويمكن القول الداء اللحمي العصبي أو الدبقي العصبي . لأن ما يعني باللفظة كما جاء في شرح معجم بلاكستون (Blakiston's) : تكاثر الدِّبْق العصبي (Neuroglie) في الدماغ أو في النخاع الشوكي بحيث يحل محل النسيج العصبي الأصيل ، أو التهابه الخفيف ، منه الموضّع ومنه المنتشر ، ويعد الفساد الدبقي في الحبل الشوكي أولى العلامات المبكرة للتغير الطارئ على النخاع في تكهف النخاع (Syringomyélie) .

6365 Globulie ٦٣٦٥ عدد الكريراوات (الكريات الحُمْر)

وأرجح عدد الكريات الحمر ،

---

(١) الصفحة ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : الكَيْشن لحمة داخل فرج المرأة ابن سيده : الكَيْشن لحم باطن الفرج والركب ظاهره .

(٣) الصفحة ١١٢ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ١١٠ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

٦٣٦٦ كُرَيِّين، كُرَيِّين المَصْل Globuline, sérum-globuline 6366

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بـ غلوبولين أو جلوبولين وجاء في الشرح: أحد بروتينات الدم لا يذوب في الماء وإنما تذوبه محاليل الأملاح المعتدلة .

٦٣٦٨ كُبَيْبَة Glomérule, pelote 6368

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بكُبَّة نقلاً عن اللسان .

٦٣٦٩ التهاب كُبَيْبات الكلية Glomérulonéphrite 6369

وأقر مجمع اللغة التهاب كلوي كببي و كلاء كبي في موضع آخر ، وأرى الأولى أفضل .

٦٣٧٠ ذات الشَّسَين، ذُباب تسه تسه Glossine, mouch tsé tsé 6370

وأقر مجمع اللغة العَذّام (١) الشُّوامي . وترجمها الأمير مصطفى الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية بشَذَاة وجاء في الشرح : (ج . شذا اقتبسها من المخصص وهي تدل على ذبابة بعينها كما انها اسم عام للذباب . وكان مجمع مصر سماها العَذّام على حين أن العَذّام هو العضّاض أو البرغوث ، جنس حشرات من فصيلة الذّباب ورُتبة ذوات الجناحين تنقل إلى الإنسان أو الحيوان الذي تلسعه طائفة من المثقبيات (Trypanosomes) وهي طفيليات تحدث بالملسوع أمراضاً كمرض النوم وغيره) ولا شك أن شذاة أفضل من عَذّام إذا لم نعربها بغلوسينا وعندي هو الأرجح .

٦٣٧٣ زَرْدَمة ، مِزْمار Glotte 6373

وأقر مجمع اللغة مِزْمار (في الحنجرة) فقط وجاء في الشرح فتحة

---

(١) في اللسان : عَذَمَ يَعْذِم عَذْماً عضّ وفرس عَذِم وعَذوم عضوض ، والعَذْمُ العض والأكل بجفاء يقال لفرس عَذوم للذي يَعْذم بأسنانه أي يكدِمُ . قال ابن بري العَذْم بالشفة والعض بالأسنان .

الحنجرة في البلعوم وهي اللفظة الشائعة وتفضل على زَرْدَمة (١) .

6377 Glucides, hydrate de carbone ٦٣٧٧ سُكَّريات ، ماآت الفحم

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بالجلوسيدات أو الغلوسيدات ، وماآت الكربون (٢) .

6379 Glucoside ٦٣٧٩ سُكَّريد

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بجلوكوزيد أو غلوكوزيد وجاء في الشرح : مادة معقدة تعطي الجلوكوز عند تحللها بالماء وتوجد في كثير من النباتات ومن أمثلتها جلوكوزيد الأمجدالين في اللوز المر والمشمش والساليس في الصفصاف.

6381 Gluten, colle végétale ٦٣٨١ دابُوق ، غِراء نباتي

وأرجح تعريب اللفظة الأولى بغلوتين .

6382 Glycémie, glycohémie ٦٣٨٢ تَحَلُّوْن الدم ، حَلاوة الدم

6383 Glycémie (taux de la) ٦٣٨٣ تَحَلُّوْن الدم (مبلغ)

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بسُكَّرية الدم أو غلوكوزيته بعد أن أقر تعريب غلوكوز ، والثاني بغلوكوزية الدم أو سكريته (مبلغها أو مداها) .

6384 Glycérés ٦٣٨٤ عَصيدات

وأفضل تعريب اللفظة بغليسريات بعد أن أقر تخصيص لفظة عصيدة ترجمة لِ (Athérome) (٣) .

(١) في اللسان : زَرْدَمَه خَنَقَه وزَرْدَبَه كذلك . وزَرْدَمَة عصر حلقه والزَّرْدَمة الغَلْصَمَة وقيل هي فارسية وقيل الزَّردمة من الإنسان تحت الحلقوم واللسان ، واللسان مركَّب فيها . وقيل الزَّرْدمة الابتلاع والازدرام الابتلاع .

(٢) الصفحة ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٧٨ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

٦٣٨٥ عصيدات النشا — 6385 Glycérés d'amidon

وأرجح غليسريات النشا .

٦٣٨٦ حُلوين (غليسرول) — 6386 Glycérine

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بجلسرين أو غلسرين ولا شك أنه أفضل .

٦٣٨٨ غليكوجين ، مُكَوّن سكر العنب — 6388 Glycogène

٦٣٨٩ تكوّن سكر العنب — 6389 Glycogénie

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة الأولى بجليكوجين (النّشا الحيواني) وجاء في التعريف : مادة متعددة التسكر توجد في الأنسجة الحيوانية . وتصبح ترجمة اللفظة الثانية تولد الغليكوجين أو تكوّنه .

٦٣٩٠ بيلة سُكَّرية ، تعَلْسُن البول — 6390 Glycosurie, meliturie

وأقر مجمع اللغة البول السكري وجاء في التعريف : وجود السكر في البول ، وعندي البيلة السكرية أفضل (١) .

٦٣٩٣ سِلْعة — 6393 Goitre

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بالجُوتر وهو أفضل (٢) إذ ليس للفظتي السِّلعة والجَدَرة الدارجتي الاستعمال في سورية أن تدلا على المعنى المقصود .

---

(١) الصفحة ٤٧٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : السِّلعة بكسر السين الضّواة وهي زيادة تحــدث في الجسد مثل الغُدة وقال الأزهري هي الجَدَرة تخرج بالرأس وسائر الجسد تمور بين الجلد واللحم إذا حركتها وقد تكون لسائر البدن في العنق وغيره وقد تكون من حمّصة إلى بطّيخة . في اللسان أيضاً : والجَدَرُ والجدَر سِلَعٌ تكون في البدن خلقة وقد تكون من الضرب والجراحات واحدتها جَدَرة وجُدَرَة وهي الأجدار . وقيل الجُدَر إذا ارتفعت عن الجلد وإذا لم ترتفع فهي نَدَبٌ وقد يدعى النَّدب جُدَراً ولا يدعى الجُدَر ندباً . وقال اللحياني الجُدَرُ السِّلَع تكون بالإنسان أو البثور الناتئة واحدتها جُدَرة . الجوهري الجُدَرَة خُراج وهي السِّلعة والجمع جَدَر .

6395 Goitre aigu, goitre épidémique ٦٣٩٥ سِلْعَة حادة أو سارية

غوتر حاد أو وبائي .

6396 Goitre colloïde ٦٣٩٦ سِلْعة شَبْغريَّة

غوتر غرواني كما أقرها مجمع اللغة .

6404 Goitre provenant d'une glande thyroïde accessoire de la racine de la langue ٦٤٠٤ سِلْعة ناشِئة من غدة درقية مُلْحَقَةٍ في العَقَدة (جذر اللِّسان)

وأرجح غوتر ناشئ عن غدة درقية ثانوية في أصل اللسان ،

6407 Goitreux, goitreuse ٦٤٠٧ مَسْلوع ، مَسْلوعة

6408 goitreux, euse ٦٤٠٨ سِلْعي

وأرجح مصاب بالغوتر أو مصابة بالغوتر في اللفظة الأولى وغوتري وغوترية في الثانية .

6411 Gomme tumeur gommeuse V. syphilome ٦٤١١ صَمْغ ورم صَمْغي انظر ورم إفرنجي

وأقر مجمع اللغة التورم الصمغي ـ الصمغة . وجاء في الشرح : تورم يظهر في الدور الثالث من أدوار الزهري الوراثي ويتقرح إذا كان في الجلد أو في الغشاء المخاطي .

6412 Gomme adragante, tragacanthe ٦٤١٢ كثيراء

وأرجح صمغ الكثيراء ؛ والكثيراء أو اسطراغالُس (Astragalus) كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي من فصيلة القرنيات الفراشية ، ويصدر صمغ الكثيراء عن النوع المعروف بالصمغي (A. gummifer) .

٦٤١٥ صَمْغ الصَّنَوبر الأصفر — Gomme - gutte 6415

والصحيح صَمْغ الغَرْسينا (١) .

٦٤١٧ صَمْغ صُعْرُوري ، صَمْغ راتينَجي ، مِغْفَـــر — Gomme - résine 6417

وأرجح الاكتفاء بصَمْغ راتنجي فقط (٢) .

٦٤٢٨ بوريّ (نوع من السَّمك) — Goujon 6428

لا أظن بصلة هذا النوع من السَّمك بالطب وبالاتيان على ذكره في هذا المعجم الطبي . وما هو صحيح ان في جانب في هذا المعنى الذي تشير إليه اللفظة الفرنسية معنى آخر ورد في معجم لاروس القرن العشرين وهو إطلاق اللفظة على أداة تشبه المسمار يثبت بها قطعتا العظم المكسور ، لذا أرجح ترجمة اللفظة بمسمار .

٦٤٢٩ نَخْطَة (نزلة قصبيـــة في الخَيْل) (بَيْطَرة) — Gourme, étranguillons (vit.) 6429

وجاء في ترجمة اللفظة في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي :

---

(١) لقد جاء في معجم لاروس القرن العشرين ان هذا الصمغ الراتنجي (Gomme-résine) يستخرج من الشقوق الجراة على لحاء الشجر المعروف بـ (Garcinie de Hanbury) وجاء في ايضاح الشجرة الأخيرة ان اسمها منسوب إلى العالم غرسن (Garcin) وهي من فصيلة الكلوزيات (Guttifères) وهي تنبت في كمبوديا (Cambodge) من الهند الصينية وفي سيلان . وجاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) ان هذا الصمغ الراتنجي يستعمل مسهلاً .

(٢) في اللسان : والصُّعْرُور الصَّمغ الدقيق الملتوي وقيل هو الصَّمغ عامة وقيل الصعارير صَمْغ جامد يشبه الأصابع وقيل الصُّعْرُور القطعة من الصمغ والخ .

في اللسان : المَغافيرُ والمَغاثير صمغ شبيه بالناطف ينضحه العُرْفُط فيوضع في ثوب ثم يُنْضَح بالماء فيُشرَب واحدها مِغْفَر ومَغْفَر ومُغْفُر ومُغْفور ومِغْفار ومِغْفير والمغفوراء الأرض ذات المغافير .

َغرْم . نزلة سارية وفي شرحها : الأولى معربة . مرض مكروبي سارٍ يصيب جهاز التنفس . فاذا كان الداء مميتاً [١] كما يتضح من شرح اللسان فان لفظة نحطة أفضل .

٦٤٤٢ نِقْرِس مع رواسب كلسية — 6442 Goutte avec tophi

وترجمت اللجنة لفظة (tophi) بصيغة الجمع و (tophus) بصيغة المفرد برواسب رملية (اللفظة ١٣٤٨٨) أيضاً . واللفظة مشتقة من اليونانية بما يدل على الطين الليّن ، ويعنى بها طبياً الراسب المؤلف من أورات الصود (Urate de soude) والمستقر حول أحد المفاصل أو في عمود الأذن في المصابين بالنقرس . ودرجت على ترجمة اللفظة بالجَنَد (ج . أجناد) [٢] .

٦٤٤٨ نِقْرِسي (جراحة) — 6448 Gouttière (chir.)

والصحيح نِقْرِسي ترجمة لِـ (goutteux, euse) اللفظة التي سقطت من النص الفرنسي وهو غلط مطبعي لم يصوّب . ولفظة (gouttière) ترجمتها ميزاب أو ميزابة .

٦٤٤٩ ميزاب سني (مُضْغَة) — 6449 Gouttière dentaire (embr.)

وأقر مجمع اللغة الحزّ [٣] السني ترجمة لِـ (Dental groove) في الانكليزية.

٦٤٥٣ قسيمة (مجرى الدّمع في الفك العلوي) — 6453 Gouttière lacrymale (du maxillaire supérieur

---

(١) في اللسان : النَّحْطة داء يصيب الخيل والإبل في صدورها لا تكاد تسلم منه .

(٢) في اللسان : الجَنَد الأرض الغليظة وقيل هي حجارة تشبه الطين .

(٣) في اللسان : الحزّ الفرض في الشيء الواحدة حزّة وقد حَزَزْت العودَ أحُزّه حزّاً والحزّ فرض في العود والمِسْواك والعظم غير طائل .

6454 Gouttière lacrimale de l'unguis — ٦٤٥٤ قسيمة العظم الظِّفْري

تدل لفظة قسيمة (١) على مجرى الدمع أي القناة التي يجري فيها الدمع ، بينما المقصود من اللفظتين المذكورتين هو الميزاب أو الأصح الأخدود الذي يحوي مجرى الدمع . لذا فقد أقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بأخدود مقابل لفظة (sulcus) الانكليزية وتصبح ترجمة اللفظة الأولى الأخدود الدمعي (للفك العلوي) والأخدود الدمعي للعظم الظِّفْري أو العظم الدمعي كما أقره مجمع اللغة ترجمة للفظة الانكليزية (Ossis lacrimalis) .

6155 Gouttière olfactive, fossette olfactive (embr.) — ٦٤٥٥ ميزابة شمية ، حُفَيرة شمية (مُضْغة)

وأرجح ميزاب شمي وحفرة شمية (أجنة) بعد أن خصصت لفظة ميزابة ترجمة لِ (Gouttière) المستعملة في تجبير العظام (اللفظة ٦٤٤٨) .

6456 Gouttière primitive (embr.) — ٦٤٥٦ ميزابة ابتدائية (مُضْغة)

وأقر مجمع اللغة الأخدود البدائي ترجمة للفظة الانكليزية (Primitive groove) .

6157 Gouttière respiratoire, ébauche de l'arbre respiratoire (embr.) — ٦٤٥٧ ميزابة تنفسية ، تخطيط الشجرة التنفسية (مضغة)

وأقر مجمع اللغة البُرْعمة التنفسية ولا شك أنها أفضل لأنها تدل على أن شجرة التنفس ستنشأ منها .

---

(١) في اللسان : القَسِمات مجاري الدمع والوجوه واحدتها قَسِمة وجاء أيضاً وقيل القَسِمة ما بين العينين روي ذلك عن ابن الأعرابي وقال أيضاً القَسِمة والقَسَمة ما فوق الحاجب ، وفتح السين لغة في ذلك كله .

٦٤٥٨ ميزابة فقرية — 6458 Gouttière vertébrale

وأقر مجمع اللغة الأخدود الفقاري ترجمة لـ (Vertebral groove) .

٦٤٥٩ ميزابة (الفمين العلوي والسفلي) الدهليزية — 6459 Gouttière vestibulaire (de la bouche, supérieure et inferieure)

الحزّ السِّنخي الشفوي (العلوي والسفلي) كما جاء في الترجمة الانكليزية[1] وهو الأصح كما ان الأصل الفرنسي لم ترد فيه لفظة الفم بصيغة المثنى أو الجمع بل المفرد مع فاصلة بعدها .

٦٤٦٤ حبَّة صفراء ، حثرة القُطر الشعاعي — 6464 Grain jaune, granu-lation actinomycotique

وأرجح حبّة صفراء تحبب[2] الفطر الشعاعي . فمن الشائع ترجمة (granulation) بالتحبب وقد أقر مجمع اللغة هذه الترجمة في جملة مواضع كلفظة محبَّب لـ (granulated) وحبيبة (granule) مما يغني عن استعمال الحثرة[3] .

٦٤٧١ دَسَم — 6471 Graisse

وأقر مجمع اللغة الدهن[4] وهي الأفضل .

---

(١) (Alveolabial groove superior and inferior)

(٢) الصفحة ٤٧٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في اللسان : حَثِر العَسَلُ حَثَراً تحبب وهو عَسَل حاثر وحَثِر ، وحَثِر الدِّبس حثراً خَثُرَ وتحبب .

(٤) وردت ترجمة اللفظة بشَحم في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي وجاء في التعليق عليها : وربما سموه دُهناً في أيامنا هذه على حين ان الدهن في اللغة عصير النباتات الدهنية . أما الزَّيت فعصير الزيتون وحده انظر (Huile) والشحم هذا مادة صلبة تذوب بسهولة تكون في جسم الإنسان والحيوان وما نسميه شحماً في الشام أي (suif) هو شحم الأمعاء .

٦٤٧٨ دَسِم — 6478 Graisseux, euse

دهني كما أقرها مجمع اللغة .

٦٤٧٩ غِرام ، سَلْبي — 6479 Gram - négatif, ve

وأقر مجمع اللغة سلبي لجرام (لا يصطبغ بباقع جرام) .

٦٤٨٠ غِرام — ايجابي — 6480 Gram - positif, ve

وأقر مجمع اللغة إيجابي لجرام (لا يصطبع بباقع غرام) .

٦٤٨٣ الوَريد اللنفاوي الكبير — 6483 Grande veine lymphatique

وأقر مجمع اللغة المَسْلَك اللِّمْفي الأيمن ترجمة للفظة الانكليزية (Lymphatic duct right) وأراها أفضل لأنه ليس وريداً بالمعنى الصحيح .

٦٤٨٨ حُبيبات الحُثار — 6488 Granulations du trachome

وأقر مجمع اللغة حبيبات الحَثَر ولعلّ التعريب بالتراخوما أفضل .

٦٤٩٠ حَثَر حُبَيبة — 6490 Granule

وأقر مجمع اللغة حُبَيبة فقط .

٦٤٩٢ مُحَثَّر مُحبَّب — 6492 Granulé, ée

مُحبَّب كما أقرها مجمع اللغة .

= في اللسان : الدَّسَم الوَدَك وفي التهذيب كل شيء له وَدَك من اللحم والشحم وشيء دَسِم وقد دَسِمَ بالكسر يَدْسَم فهو دَسِم وتَدَسَّم . والدَّسم الوَضَر والدنس .
في اللسان : الشَّحم جوهر السِّمَن والجمع شحوم والقطعة منه شحمة .
في المعجم الوسيط عما أقره مجمع اللغة : الدُّهن مادة في الحيوان والنبات دَسِمة جامدة في درجة الحرارة العادية فاذا سالت كانت زيتاً .
الزَّيت في المعجم الوسيط عما أقره مجمع اللغة أيضاً : دُهْن الزَّيتون ويُطلق على دُهنِ غيره مقيداً بالإضافة وغيرها فيقال زيت الخِروع والزيت الحار . والزَّيت المعدني : زيت يستخرج من باطن الأرض والزيت العطري زيت طيار له رائحة يوجد في أوراق النبات وزهره ج زيوت .

6493 Granulée (saccharure) (سُكَّرية) مُحَثَّرات ٦٤٩٣
مُحَبَّبات سُكَّرية
وأرجح محبَّبات (مسكَّرات) .

6497 Granulome ulcéreux des parties génitales, granulome inguinal vénerien ٦٤٩٧ ورم النواحي التناسلية الحبيي القَرْحي

والجزء الثاني من اللفظة الفرنسية أهملته اللجنـــة ولم يأت ذكره في الأصل الفرنسي . وترجمته الورم الحبيبي المِغبني الزهري .

6498 Granulopénie , granulocytopénie ٦٤٩٨ قِلَّة الكُرَيضات ذات الحبيبات ، قِلَّة الكريضـــات المُحَبَّبة

وأقر مجمع اللغة قِلَّة الخلايا المُحَبَّبة . وجاء في تعريف هذه الخلايا : كريات الدم البيض التي توجد فيها حُبَيبات يتباين تقبلها للأصباغ في الخلايا المختلفة .

6499 Graphique, courbe, tracé linéaire, représentation graphique ٦٤٩٩ مُخَطَّط ، مُنحَنٍ ، رسم خطي عرض مُصَوَّر

وأرجح ترجمة هذه الألفاظ بما يلي : خط بياني أو بياني فقط ، منحني ، مخطَّط ، وإراءة بيانية .

6501 Grassette, pinguécula pinguicula ٦٥٠١ وَدَقة ، حَشَر دُهْني مأقي (شحاذ)

وما يعنى باللفظة الافرنجية نقلاً عن معجم (M. Garnier & V. J. Delamare):
ناتئ صغير بلون إلى الصفرة لا يتعدى حجمُه حجم العدسة يستقر في الملتحمة وحشي حافة القرنية ولا يتألف من الدُهْن بل من كتلة من الخلايا الظهارية

أو من النسيج الضام ، وعليه فليس للفظة ودقة [1] ولا الخثر الدهني المأقي [2] أن تدل الدلالة ذاتها ، كما أن لفظة الشحاذ العامية تدل على ما يعرف بالجُدْجُد أو الطِبطاب [3] أو الشعيرة (orgelet) . لذا أرجح ترجمة اللفظة بمدلولها الظاهري بشُحيمة أو دُهَينة لأن كلاً من لفظتي (grassette) و (pinguécula) تعني تصغير الشحمة أو الدُّهن .

٦٥٠٨ حالة الحَمْل — 6503 Gravidisme

وأرجح الحَمْلية قياساً على ترجمة الألفاظ المماثلة كالبركنسونية (parkinsonisme) ونحوها .

٦٥٢٠ طَعَّم ، أبَّر — 6520 Greffer

وأقرَّ مجمع اللغة رَقَّع .

٦٥٢١ طُعْم ، لَقْح — 6521 Greffon

وأرجح طُعْم وغَرْز كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية لتخصيص اللَّقْح واللقاح ترجمة للفظة (Vaccin) .

٦٥٢٦ مِخْلب زَنْدي ، يَدٌ مِخْلَبيَّة — 6526 Griffe cubitale, main en griffe

وأقر مجمع اللغة قُفاع اليد . وجاء في الشرح : تشوه في اليد ينتج عن ضمور في عضلاتها .

---

(١) في اللسان : الوَدْقة والوَدَقة نقطة في العين من دم تبقى فيها شَرِقة وقيل هي لحمة تعظم فيها وقيل هو مرض ليس بالرَّمد تَرِم منه الأذن وتشتد منه حمرة العين والجمع وَدَق . وَدِقَت عينه فهي وَدِقة يقال في عينه وَدَقة خفيفة إذا كانت فيها بَثْرة أو نقطة شرقة بالدم .

(٢) وليس موضع الشحَيمة في المأق بل في الجانب المقابل منه والمأق كما جاء في اللسان : المؤق والمأق حرف العين الذي يلي الأنف وان الذي يلي الصدغ يقال له اللِّحاظ .

(٣) في المخصص الجُدْجُد والطِّبْطاب البثرة تخرج في الجفن . اقول ان ما تدعوه العامة بالجُنجُل محرّف من الجُدْجُد .

6527 Griffe des orteils ٦٥٢٧ مِخْلب أصابع القدم

قفاع القدم .

6537 Gros foie marroné ٦٥٣٧ كَبِد ضَخْمة كستناوية

(Carcinome du foie) (سرطان الكبد الغدي)

كبد ضَخِمة قَسْطَلية (١) كرسينومة الكبد كما أقرها مجمع اللغة .

6543 Grossesse ampullaire ٦٥٤٣ حَبَل مُجْلي

وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة (Ampule) بأمبولة فتصبح الترجمة الحَبَل الأمبولي أو البوقي .

0546 Grossesse ectopique, extra - utérine ٦٥٤٦ حَبَل خارج الرحم ، حبل مهاجر

وأقر مجمع اللغة الحَمْل المنتبذ . جاء في الشرح ما يلي :

الحمل خارج الرحم : هو الذي يحدث في البوق أو المبيض أو في التجويف البريتوني .

والحمل المنتبذ : هو الذي يحدث في أحد المواقع السابقة مضافاً اليه الحمل في جدار الرحم أو في قرن ناتىء من الرحم .

6548 Grossesse gémellaire ٦٥٤٨ حَبَل مُتئِم

5550 Grossesse multiple ٦٥٥٠ حَبَل عديد

وأقر مجمع اللغة الإتآم وجاء في الشرح : الحمل بأكثر من حميل واحد .

6553 Grossir ٦٥٥٣ جسَّم ، عظَّم ، كبَّر

وَسمِن أيضاً .

---

(١) في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي : قسطلة (Marron) وجاء في الشرح : (كستنة الكلمة الفرنسية تطلق على ثمرة أصناف زراعية مجودة من القسطل والقسطل هو الكستنة في الشام وأبو فروة في مصر .

٦٥٥٨ مجموعة غوليد — 6558 Groupement aldéhyde

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بألدهيد وهو أفضل .

٦٥٦٩ مجموعة فُصْفوريل — 6569 Groupement phosphoril

مجموعة فسفوريل كما أقرها مجمع اللغة

٦٥٧٢ صَنّفَ بحَسَب الأنواع — 6572 Grouper par type

وأرجح صَنّفَ بحَسَب النماذج تاركاً لفظة نوع ترجمة لِـ (Espèce) كما فعلته اللجنة (اللفظة ٥٢٢١) .

٦٥٨٥ شِفاء عَفْوي — 6585 Guérison spontanée

شِفاء تِلقائي كما أقره مجمع اللغـــة .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح



الغزالي في دمشق والقدس

(١)

لا تزال إقامة الغزالي في دمشق والقدس مفتقرة إلى تحقيق، رغماً عن كثرة ما كتب عن حياته وعن مؤلفاته في اللغة العربية وفي اللغات الأوربية. ولا يزال بعض الكتاب في الشرق والغرب يكرر ما جاء عن هذه الإقامة في كتاب «المنقذ من الضلال»، على اختصاره وغموضه. دون تحقيق أو تفصيل. ولم نقف على بحث خاص باقامة الغزالي في ديار الشام ونتائجها، حتى في الكتاب الذي ضمَّ مجموعة الخطب والمقالات التي أُلفت بمناسبة الذكرى المئوية التاسعة لميلاده. ومقالتنا هذه هي محاولة في هذا السبيل.

كان الغزالي في الثامنة والثلاثين من عمره عندما ترك التدريس في المدرسة النظامية في بغداد، وأعلن عزمه الخروج إلى الحج. قال في المنقـــذ: «فلم أزل أتردد بين تجاوب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمئة ... وأظهرت عزم الخروج إلى مكة، وأنا أدبر في نفسي سفر الشام ... ففارقت بغداد ... ثم دخلت الشام، وأقمت به قريباً من سنتين، لا شغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ... وكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق، أصعد منارة المسجد طول النهار، وأغلق بابها على نفسي. ثم رحلت منها إلى بيت المقدس، [فكنت] أدخل كل يوم [مسجد قبة] الصخرة، وأغلق بابها على نفسي. ثم تحركت في

داعية فريضة الحج ، والاستمداد من بركات مكة والمدينة ، وزيارة رسول الله تعالى عليه السلام ، بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه . فسرت إلى الحجاز . ثم جذبتني الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن فعاودته ... »[١]

لم يكن الغزالي مؤرخاً ، ولم يلتزم في الكتابة عن إقامته في ديار الشام وسفره إلى الحجاز التسلسل التاريخي . فقوله « أقمت به قريباً من سنتين » قد يكون إشارة إلى كل مدة إقامته في الشام قبل الحج وبعده ، وقد لا يكون كذلك . وزاد الأمر لبساً قوله ، بعد ذكر العودة إلى الوطن وإيثار العزلة : « فدمت على ذلك مقدار عشر سنين » . فهل هذا يشير إلى مدة العزلة بعد العودة فقط ، أو إلى مدتها كلها من ترك التدريس في نظامية بغداد إلى العودة إليه في نظامية نيسابور ؟ ولكن الذي يعنينا في هذا البحث هو تاريخ العودة إلى بغداد ، فهذا التاريخ مهم لإثبات مدة الإقامة في ديار الشام .

والروايات في ذلك متضاربة . يقول السبكي[٢] نقلاً عن خطيب نيسابور عبد الغفار[٣] الفارسي الذي عرف الغزالي ، إن هذا أقام في الشام « قريباً من عشر سنين » . وجاء مثل ذلك في رواية نقلها السبكي عن الذهبي عن ابن عساكر[٤] . ويمكن الاعتراض على كل من الروايتين : فالأولى عن معاصر ، ولكنها وردت في كتاب عاش مؤلفه بعد الغزالي بنحو قرنين ، ولا ذكر لراوٍ بين المعاصر الراوي والمؤلف الناقل . أما الرواية الثانية

(١) المنقذ من الضلال (مطبعة عطايا بالقاهرة ـ تعليق وتصحيح محمد محمد جابر ، من علماء الأزهر) ، ص ٤٧ ـ ٤٩ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (مطبوعة القادري الحسني . القاهرة ، ١٣٢٤) ، ج ٤ ، ص ١٠٧ .

(٣) خطيب نيسابور عبد الغافر (المجلة)

(٤) تاريخ دمشق (مخطوط القاهرة رقم ٤٩٢) ، ورقة ٣٤٣ ، كما نقل في كتاب « مؤلفات الغزالي » لعبد الرحمن بدوي (القاهرة ، ١٩٦١) ، ص ٥٠٥ .

فهي عمّن كان أقرب إلى عهد الغزالي من السبكي ، ولكنها مجروحة ، لأنها تناقض رواية معاصر ثقة وهو أبو بكر بن العربي [1] الذي يقول إنه سمع من الغزالي في بغداد في جمادى الثانية سنة ٤٩٠ . وهذه الرواية الثانية تناقض أيضاً ما ذكره ابن الأثير [2] تحت حوادث سنة ٤٨٨ هـ ، قال : « وفيها توجه الإمام أبو حامد الغزالي إلى الشام ... وفي هذه السفرة صنف إحياء علوم الدين ، وسمعه منه الخلق الكثير في دمشق ، وعاد إلى بغداد بعد ما حج في السنة التالية ، وسار إلى خراسان » .

فشهادة ابن العربي ، ورواية ابن الأثير ، تزيل كل منها الغموض من قول الغزالي « أقمت به قريباً من سنتين » وتثبت أنه عاد إلى بغداد في أوائل سنة ٤٩٠ هـ . ويؤكد ذلك ما جرى في بلاد الشام في السنتين التاليتين . ففي ٤٩١ هـ استولى الفاطميون على القدس ، وكانت حتى تلك السنة في يد السلاجقة . وكان الفاطميون يطمعون في بسط سلطانهم على الشام ، بل على العراق أيضاً ، والقضاء على الخلافة العباسية التي كانت حينئذٍ تحت حماية سلاطين السلاجقة .

فاذا ذكرنا أن الغزالي كان سنياً شافعياً ، وانه كان من أشد أخصام الباطنية ، جاز لنا أن نشك في رغبته الإقامة في بلاد زال عن بعضها سلطان أوليائه السلاجقة ، وبعضها الآخر كانت تهدده جيوش الفاطميين . أضف إلى ذلك أن الصليبيين اجتاحوا معظم ديار الشام في سنة ٤٩٢ ، وان

(١) القواصم والعواصم (مخطوط القاهرة رقم ٢٢٠٣١) ، ورقة ٧ ب : كما نقل في كتاب بدوي المذكور ، ص ٥٤٦ وقد طبع كتاب ابن العربي في الجزائر وفي القاهرة بعنوان « العواصم من القواصم » .

(٢) كتاب الكامل في التاريخ (طبعة ليدن ، ١٨٦٤) ، ج ١٠ ص ١٧٢ .

جيوشهم دخلت القدس في رجب من تلك السنة ، وارتكبت فيها من الفظائع ما قل أن سجل التاريخ نظيره . فهل يعقل أن يبقى الغزالي مختاراً تحت حكم غير المسلمين ؟ ومع هذا فلا أثر للحروب الصليبية فيما وصل إلينا من كتابات الغزالي ، فهل شهد سقوط القدس وبقي ساكتاً ؟ هذا أمر يصعب تفسيره ، حتى إذا سلمنا أن الغزالي كان حينئذٍ إما في العـــراق أو في خراسان ، وأن أخبار النكبة وصلته بعد أشهر من وقوعها . فان قيل إن الغزالي وأمثاله من المتصوفة قد اعتبروا ضياع القبلة الأولى عقاباً سماوياً للمسلمين الذين حادوا عن طاعة الله في دينهم ودنياهم ، قلنا لا نجد أثراً لهذا الرأي في كتابات المتصوفة ، أي انهم لم يعظوا الناس بضرب المثل على الأقل .

ومهما يكن سبب سكوت الغزالي فانه يمكننا بناء على ما تقدم أن نقبل شهادة ابن العربي ، وان نحسبها أكثر الروايات انطباقاً على الحوادث التاريخية ، وان نعتمد عليها أكثر من الاعتماد على غيرها ، لأنها جاءتنا من معاصر ثقة سجلها في كتاب له ، ولم تنقل إلينا رواية عن آخرين عاشوا بعد زمن الغزالي .

(٢)

أوّل الناس في عهد الغزالي تركه التدريس وسفره إلى الشام تأويلاً مختلفاً ، وقد رد هو عليهم بأن السبب الذي حمله على ذلك لم يكن إلا دينياً . وخاض بعض الكتاب في أيامنا يؤولون ذلك بما يتطلب الشك في صدق الغزالي ، وهو أمر لا مسوغ له في سيرته قبل ترك التدريس وبعده . فمثلاً زعم باحث غربي (١) أن الغزالي فقد ثقة ولاة الأمور ، وكان يجدر بصاحب هذا الرأي

(1) D. B. Macdonald, "The life of al-Gazzali with Special Reference to his Religious Experience and Opinions" in the Journal of the American Oriental Society, XX (1899), P. 98

أن يقبل تأكيد الغزالي أن سفره لم يكن « لاستشعار من جهة الولاة » .
وزعم باحث شرقي (١) أن الغزالي هرب خوفاً على حياته من غلاة الباطنية ، وكان يجدر بصاحب هذا الرأي أن يعلم أن سفر الغزالي لم يكن فجأة بل بعد إعلان عام وانه لم يكن خلسة بل علناً ، وان الغزالي لم يتخذ رفيقاً للسفر سوى تلميذه أبي طاهر بن المطهر الشيباني (٢) . فهل كان الغزالي في مأمن من الباطنية في الشام أو في الطريق إليها ، إذا لم يكن في مأمن منهم في بغداد ؟

ولكن ما هو « السبب الديني » الذي جذب الغزالي إلى الشام ، بل ما سبب قوله « أظهرت عزم الخروج إلى مكة ، وأنا أدبر في نفسي سفر الشام » ؟ ثم ما الذي جعله يذكر بعض التفاصيل عن إقامته في دمشق وفي القدس ، ولا يقول شيئاً عن زيارة مكة والمدينة ؟ ليس في مؤلفات الغزالي التي بين أيدينا ما يساعدنا على تفصيل الجواب ، فمثلاً لا نجد في بحث أسرار الحج في كتاب « إحياء علوم الدين » شيئاً عن اختبارات مؤلفه الشخصية ، وكتابه المخصص للاختبارات الشخصية وهو « المنقذ من الضلال » لا يزيدنا علماً . وقد ألفه الغزالي بعد أن جاوز الخمسين ، أو بعد أكثر من عشر سنين من عودته من بلاد الشام ، وبعد أن ذاع صيته في العالم الإسلامي .

إن « السبب الديني » المباشر الذي جذب الغزالي إلى الشام هو نية الحج ، ولكنه قال إنه عزم « المقام بالشام » ، ولم يقل إنه عزم المقام بالحجاز .

(1) Farid Jabra, "la Biographie et l'Oeuvre de Ghazali reconsidérées à la lumière de Tabaqat de Sobki" in Mélanges de l'Institut Dominicain d'Etudes Orientales du Caire, 1 (1954), P. 91 — 94

(٢) اتحاف السادة المتقين (وهو شرح كتاب احياء علوم الدين) للسيد محمد المرتضى الزبيدي (القاهرة ، ١٣١١) ، ج ١ ، ص ٤٤ .

فما هو السبب الديني الحقيقي الذي جعله يفضل الشام على العراق بل على الحجاز ؟ كان العالم الإسلامي في عهده وحدة علمية دون أن يكون وحدة سياسية ، وكان طلبة العلم والعلماء يجوبون هذا العالم من خراسان إلى الأندلس وبالعكس ، طلباً للاستفادة والإفادة ، فكان كل أهل العلم عالماً متعلماً معلماً . وفي رأينا الذي سنثبته بالبرهان التاريخي فيما يلي أن الغزالي جاء الشام طلباً للاستفادة من شيخ ذاع صيته في الزهد والعلم في كل ديار الشام ، وانتشر منها إلى العراق . وكان هذا الشيخ حينئذٍ حوالى الثمانين والغزالي لم يبلغ الأربعين ، فلم يكن في سنه على الأقل ما يمنع أن يطلب العلم عند من كان في سن أبيه . أضف إلى ذلك أنه عندما ترك التدريس في بغداد ، عزم على الزهد في الدنيا والسير في طريق الآخرة ، ولعل صيت الزاهد الشامي قد بلغه فرغب في لقائه والاستفادة منه .

وهذا الشيخ الزاهد هو أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي النابلسي ، شيخ علماء المذهب الشافعي في ديار الشام[١] . تلقى العلم في القدس وغزة وصور ودمشق وغيرها ، ثم علّم في القدس وصور ودمشق . قال أحد أهل العلم عنه : « صحبت إمام الحرمين أبا المعالي الجويني [وهو أستاذ الغزالي] بخراسان ، ثم قدمت العراق فصحبت أبا اسحق الشيرازي [سلف الغزالي في المدرسة النظامية] ، فكانت طريقته عندي أفضل من طريقة أبي المعالي ، ثم قدمت الشام فرأيت الفقيه أبا الفتح فكانت طريقته أحسن من طريقتيهما جميعاً . »[٢]

(١) راجع الملحق في آخر هذه المقالة .

(٢) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ . وترد القصة عينها في معجم البلدان لياقوت (طبعة وستنفلد ، ١٨٦٦) ، ج ١ ، ص ٦٠١ .

يروى أن الغزالي جاء إلى مسجد دمشق في زي صوفي ، وجلس في الركن الذي اعتاد الشيخ نصر أن يجلس فيه للتدريس ، فلما التف حوله بعض الطلبة سألهم « ما فعل الشيخ نصر المقدسي ؟ » فقالوا إنه توفي في ذلك اليوم ، وإنه أوصى أن يخلفه أعجمي وصفه يطابق ما رأوا في الغزالي . ومع أن تفاصيل هذه القصة ليست كلها صحيحة إلا أنها ذات مغزى ، وهو أن الغزالي وجد في الشيخ نصر قدوة فيما كان ينشده من الزهد في الدنيا . (أمّا الذي خلف الشيخ نصر على التدريس فهو أحد تلامذته : إمّا نصر الله أبو الفتح المصيصي [١] أو جمال الإسلام أبو الحسن السلمي [٢]) .

هذا في القصص المتواترة . أما كتب التاريخ ففيها ما يؤكد أن الغزالي أخذ عن الشيخ نصر . قال السبكي : « كان الغزالي يكثر الجلوس في زاوية الشيخ نصر المقدسي بالجامع الأموي المعروفة اليوم بالغزالية نسبة إليه ... وصرّح شيخنا الذهبي بأن الغزالي جالس نصراً . » [٣] وأوضح من ذلك ما جاء في ابن شهبة [٤] وابن العماد الحنبلي [٥] ومجير الدين [٦] أنه « لما قدم الغزالي إلى دمشق اجتمع به واستفاد منه . » قد يكون هذا النص المختصر الوارد في ثلاثة كتب مختلفة من أصل واحد ، ولكن السيد مرتضى [٧]

(١) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .
(٢) اتحاف السيد مرتضى ، ج ١ ، ص ٤٥ .
(٣) السبكي ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .
(٤) طبقات الشافعية (مختارات نشرها وستنفلد في غوتنغن سنة ١٨٣٧) ، ص ٥ من النص العربي و ص ٣٣ ــ ٣٤ من الترجمة الألمانية :
Die Academie der Araber und ihre pehrer
(٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (القاهرة ، ١٣٥٠) ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .
(٦) كتاب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل (القاهرة ، ١٢٨٣) ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .
(٧) الاتحاف ، ج ١ ، ص ١٩ .

يقبله دون تردد . فعند ذكره أساتذة الغزالي يذكر الشيخ نصر أستاذاً له في علم الحديث ، وهو أمر غير مستغرب لما عرف عن الغزالي من قلة التمكن في هذا العلم .

بناء على ما تقدم يصح القول ان الغزالي اعتبر الشيخ نصر قدوة له في حياة الزهد ، وانه اتخذه أستاذاً في علم الحديث على الأقل . ولكن اتصالهما كان قصير الأمد . فالغزالي كما ثبت لنا ترك بغداد في ذي القعدة من سنة ٤٨٨ ، وعاد إليها قبل جمادى الثانية من سنة ٤٩٠ هـ . فاتصاله بالشيخ نصر كان معظمه في سنة ٤٨٩ هـ ، وهي السنة التي حج فيها الغزالي ، وزار فيها القدس والخليل . فالثابت عند كل من أرخ حياته أن الشيخ نصر توفي في محرم سنة ٤٩٠ . وقد تكون وفاته من الأسباب التي حملت الغزالي عند عودته من الحج أن يقرر مغادرة ديار الشام عائداً إلى بغداد .

(٣)

ذكر ابن الأثير ، على ما نقلناه أعلاه أن الغزالي صنف كتاب « إحياء علوم الدين » في أثناء رحلته ، وأن الناس سمعوه منه في دمشق . ويشهد ابن العربي أنه سمع الغزالي في بغداد يقرأ للناس من كتاب سماه « إحياء علوم الدين » . فيفهم من كلام ابن الأثير أن الكتاب كله كان مكتوباً ، ولكن لا يفهم ذلك قطعاً من كلام ابن العربي . هذا مع أنه لا يستبعد أن الغزالي استمد البركة والإلهام فكتب بعض كتابه في القدس وبعضه في دمشق وبعضه في الحجاز . ولكن لا برهان على أن الكتاب كما نعرفه الآن كان تاماً عند عودة الغزالي إلى بغداد . والشك في ذلك ظاهر من احتياط مجير الدين الذي عاش بعد الغزالي بأربعة قرون : « ويقال انه صنف في القدس إحياء علوم الدين . »

أقام الغزالي في القدس في الزاوية أو المدرسة الناصرية بباب الرحمة من أبواب الحرم الشريف ، وقد سميت بهذا الاسم نسبةً إلى الشيخ نصر الذي علم فيها قبل هجرته إلى دمشق ، وقد عرفت فيما بعد بالغزالية [١] . ولعل الغزالي اختارها من زوايا القدس ومدارسها بناء على توجيه الشيخ نصر ، أو رغبةً من التلميذ في تتبع آثار أستاذه . والذي يؤخذ من نص صريح أن الغزالي كتب وهو في القدس « الرسالة القدسية في قواعد العقائد » ، وأنه بعد ذلك أدمجها في الجزء الأول من الإحياء أي في الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد [٢] : « وإذ رأينا أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها ، وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الأولى ، إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة ، فيرقى في الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها من لوامع الأدلة مختصرة من غير تعمق . فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر على ما حررناه لأهل القدس وسميناه الرسالة القدسية في قواعد العقائد . . . »

وهذه الرسالة كاملة في ذاتها [٣] ، ويشير إليها كاتبها في غير موضعها من الإحياء بقوله : « كتاب الرسالة القدسية » [٤] . وقد راجعنا ثلاث نسخ

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (مطبوعة جعفر الحسني . دمشق ، ١٣٦٧) ، ج ١ ، ص ١١٣ – ١١٥ ، وطبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .

(٢) إحياء علوم الدين (القاهرة ، ١٣٣٤) ، ج ١ ص ٩٣ .

(٣) توجد نسخ مخطوطة مختلفة من الرسالة القدسية في المكاتب في الشرق والغرب . راجع كتاب بدوي المذكور ، ص ٢٦ – ٢٧ وراجع أيضاً :
Maurice Bouyges, Essai de chronologie des OEuvres de al-Ghazali (Beirut, 1959), P. 108.

(٤) زعم القس غاردنر في كتيب عن الغزالي نشره في مدراس سنة ١٩١٩ ان الرسالة لم تكتب لأهل القدس ، وانها كتبت في السنة الأولى من اقامة الغزالي في بغداد (ص ٣٨ ، ١١١) وهذا الزعم بشقيه باطل بناء على الحقائق التي مر ذكرها .

مخطوطة . أما الأولى فهي من كتاب الإحياء وفيه الرسالة ، وهي مؤرخة سنة ٦١٠ هجرية ، وموجودة في مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن تحت رقم ٢٦٥٧٤ ، وأما الثانية فهي من الرسالة على حدة ، وهي مؤرخة سنة ٧٧٩ هجرية وموجودة في دار الكتب في القاهرة تحت رقم « مجاميع ٦٦ » ، وأما الثالثة فهي من كتاب الإحياء وفيه الرسالة ، وهي مؤرخة سنة ١١٦٠ للهجرة ، وموجودة في مكتبة جامعة لندن المذكورة تحت رقم ٤٥٨١٨ .

ونجد على صفحة العنوان في مخطوطة القاهرة كلمة بخط الناسخ هذا نصها : « وهي الرسالة التي كتبها لأهل القدس ، ثم أودعها كتاب قواعد العقائد ، وهو الثاني من كتب الإحياء ... » . وفي آخر هذه المخطوطة ، وبخط غير خط الناسخ ، توجد هذه الكلمة : « وفرغ من تصنيفه في المسجد الأقصى ، مجيباً لالتماس أهله ، وراجياً أن يناله بركة دعاء سكانه ... »

وتنتهي الرسالة في مخطوطة جامعة لندن المؤرخة سنة ١١٦٠ للهجرة بكلمة كأنها من الغزالي نفسه ، وهذا نصها : « وقد فرغت من تصنيفه في المسجد الأقصى ، مجيباً لالتماس أهله ، وراجياً لأن ننال بركته وبركة دعاء سكانه ... » . وفي الهامش ، وبخط الناسخ نفسه ، هذه الكلمة : « وقد فرغت من الرسالة القدسية التي أودعتها في هذا الفصل في المسجد الأقصى ، مجيباً لالتماس أهله ، وراجياً لأن ننال بركته وبركة دعاء سكانه ... »

إن الضمير في « تصنيفه » قد يعود تقديراً إلى « كتاب الرسالة القدسية » ، وقد يعود إلى كتاب الإحياء كله . ولعل القصد من قوله في الهامش « فرغت من الرسالة القدسية » هو إزالة هذا الالتباس . ولكنه لا يمكننا أن نتحقق هل ما في الهامش هو حذلقة من الناسخ أو نقل عن نص ورد في نسخة أخرى ، ويعود نهائياً إلى الغزالي .

والرسالة القدسية فريدة في موضوعها بين مؤلفات الغزالي. قال السبكي: «لم أر مصنفاً في أصول الدين إلا أن يكون قواعد العقائد». فالرسالة القدسية هي جزء مهم من قواعد العقائد، كتبها مؤلفها على طريقة المتكلمين أصحاب الأشعري. وهي خاصة بالمبتدئين لا بالعلماء المتمكنين، وغرضها توضيح العقيدة، وإثبات السنة، وإبطال البدعة، ففيها ردود كثيرة على المعتزلة، ولكنها قلما تتعرض للفلاسفة. وتتبع في إقامة البرهان القرآن والقياس المنطقي، ولكنها تغلّب الأول على الثاني. فالعقل نصير النقل، وهذا عند الشك مقدم على ذاك. ويتضح هذا التقديم في أقسام الرسالة الأخيرة، فمعظمها قائم على أساس النقل وحده، والمؤمن مكلف بقبوله.

وقد أعددنا نصاً محققاً للرسالة القدسية، وترجمناه إلى الإنكليزية، ووضعنا له الحواشي والشروح، وكتبنا له مقدمة تاريخية مفصلة. وهذا كله الآن تحت الطبع في عدد مزدوج خاص من مجلة المركز الإسلامي الثقافي في لندن (١).



ملحق

أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي النابلسي

توفي في دمشق في التاسع من محرم سنة تسعين وأربعمئة، وكان عمره حينئذٍ فوق الثمانين، صرف السنوات العشر الأخيرة منها في دمشق «يحدث ويفتي ويدرس».

---

(١) The Islamic Quarterly IX 3 - 4 (1385 / 1965).

سلك منهاج الزهد والتقشف ، والورع والتبتل ، وتجنب ولاة الأمور . « وكان يقتات من غلة تحمل إليه من أرض له بنابلس (٢) » . ولا شك أن المقصود هو منطقة نابلس لا المدينة نفسها ، فاذا كان الأمر كذلك ، فقول ياقوت (٣) إن أصل الشيخ من « طرابلس » لا يثبت ، لأننا لا نعلم مصدراً آخر غير ياقوت يذكره ، ولأنه يستبعد أن يملك من كان أصله من طرابلس أرضاً في ضواحي نابلس ، ولأن باقي من أرخ حياة الشيخ نصر يذكر أن أصله من نابلس . وغالب الظن أن « طرابلس » عند ياقوت محرفـــة عن « طوباس » ، وهي قرية من أعمال نابلس ، أو انها محرفة عن نابلس .

ومن شيوخ الشيخ نصر ، عبد الرحمن بن الطبير (أو الطبيز) في دمشق ، ومحمد بن جعفر المياسي (أو المياشي) في غزة ، وسليم بن أيوب الرازي في صور . ومن تلامذته جمال الإسلام أبو الحسن السلمي ، ونصر الله أبو الفتح المصيصي ، وكانا من أخصهم به ، ومنهم (القاضي) أبو بكر بن العربي الذي سمع من الشيخ نصر كما سمع من الغزالي قبل رجوعه الى الأندلس .

وله مؤلفات لا يعرف منها سوى الأسماء . فمنها التهذيب ، والتقريب ، والمقصود ، والكافي ، والإشارة ، والحجة على تارك المحجة (١) . وجاء في وصف كتاب المقصود أنه أحكام مجردة ، وفي وصف كتاب الإشارة أنه شرح لمختصر شيخه سليم الرازي . ويذكر السبكي كتاباً آخر عنوانه الانتخاب ، « وهو فيما بلغني كبير في بضعة عشر مجلداً . »

---

(١) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .
(٢) معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٠٠ .
(٣) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ ، وشذرات الذهب ج ٣ ، ص ٣٩٥ ، والأنس الجليل ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

وتروى عنه قصة توضح مكانة العالم عند نفسه وعند ولاة الأمور ، وتبين أن زهد الشيخ نصر كان حقيقياً لا شك فيه . ذكروا أن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان زار الشيخ يوماً ، فلم يقم هذا له ، فسأله عن أحل الأموال التي يتصرف فيها السلطان ، فقال الشيخ أحلها أموال الجزية ، فخرج تاج الدولة وأرسل للشيخ بمبلغ من المال ، وقال هذا من مال الجزية تفرقه بين أصحابك . فرد الشيخ المال قائلاً « لا حاجة لنا به . » (١)

ودفن الشيخ نصر بالباب الصغير في دمشق قريباً من قبر معاوية ، ونقل السبكي أن النووي قال : « سمعنا الشيوخ يقولون الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب . »

عبد اللطيف الطيباوي



(١) معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٠١ وطبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

الاصطلاحات الفلسفية

- ٢٤ -

الذات

في الفرنسية Essence

في الانكليزية Essence

في اللاتينية Essentia

الذات النفس والشخص ، يقال ذات الشيء نفسه وعينه والنسبة إليه ذاتي (راجع هذا اللفظ) . والذات أعم من الشخص لأن الذات يطلق على الجسم وغيره ، والشخص لا يطلق إلا على الجسم (الجرجاني) .

وللذات عدة معان :

١ — الذات ما يقوم بنفسه . ويقابله العرض (Accident) بمعنى ما لا يقوم بنفسه . والذات يطلق على باطن الشيء وحقيقته ، والعرض لا يطلق إلا على التبدلات الظاهرة على سطح الشيء . والذات ثابتة ، والأعراض متبدلة لا تبقى زمانين .

ويرى بعض الفلاسفة أن الذات هو ما يقوم به غيره سواء كان قائماً بنفسه كزيد في قولنا : زيد العالم ، أو كان غير قائم بنفسه كالسواد في قولنا : رأيت السواد الشديد . وقد يطلقه بعضهم على ما يكون عامّاً ، أو على ما تصدق عليه الماهية من الأفراد ، كقول المنطقيين ذات الموضوع بمعنى ما يصدق عليه ذلك الموضوع من الأفراد .

والذات أيضاً هو الموضوع ويقابله المحمول .

٢ — ويطلق الذات على الماهية (Quiddité) بمعنى ما به الشيء هو هو ويراد به حقيقه الشيء ويقابله الوجود . وقد يطلق على الماهية أيضاً باعتبار الوجود .

والذوات عند الفلاسفة الاسكوتلانديين قسمان : الذوات الأولى أو الفردية (Essences premières ou individuelles) مثل زيد وعمرو وبكر .. الخ . والذوات الثانية أو النوعية (Essences secondes ou spécifiques) مثل الإنسان . فالذوات الأولى مدركة بالحدس الحسي على حين أن الثانية مدركة بالعقل . واختلفوا في وجود الذوات الثانية فقال بعضهم انها موجودة في العقل ، وهم المفهوميون (Conceptualistes) ، وقال بعضهم إن لها وجوداً حقيقياً خارج العقل وهم الوجوديون (Réalistes) وذهب آخرون إلى أنها لا توجد في العقل ولا خارج العقل وهم الاسميون (Nominalistes) الذين ينكرون المعاني الكلية ويزعمون أنها اسماء تخفِّشها صور مختلفة مستمدة من التجربة والحس .

ومن جعل معنى الذات مقابلاً لمعنى الوجود زعم أن تصور الشيء لا يستلزم وجوده وان الوجود ليس من مقومات الماهية كالمثلث المتساوي الأضلاع فانه لا يلزم عن إدراك ماهيته بالعقل أن تكون هذه الماهية موجودة في العالم الخارجي وكالإنسان فهو معنى مجرد ليس له من حيث هو كلي وجود في الأعيان ، بل له وجود في العقل ، والموجود في الأعيان إنما هو الأشخاص والأفراد لا غير .

٣ — ويطلق الذات في المنطق على مجموع المقومات التي تحدد مفهوم الشيء ومنه الذاتي ، وهو ما يخصّ الشيء ويميزه . وبين الذاتي والعرضي بهذا المعنى تضاد كالتضاد بين المحسوس والمعقول وبين الممكن والواقع . (راجع : الماهية ، والوجود ، والوجودية) .

الذاتي

في الفرنسية Subjectif. Essentiele

في الانكليزية Subjective Essential

١ — الذاتي (Essentiel) هو المنسوب إلى الذات. ويطلق على ما يقوّم الذات ويلزمه اضطراراً. وهو جزء من الماهية منحصر في الجنس والفصل. وكل خارج عن الماهية فهو عرضي. مثال ذلك النطق في الإنسان فهو ذاتي له أي يخصه ويميزه.

وللذاتي ثلاث خصائص:

الأولى أن يمتنع رفعه عن الماهية بمعنى أنه إذا تصور الذاتي وتصورت معه الماهية امتنع الحكم بسلبه عنها.

والثانية أن يجب إثباته للماهية بمعنى أنه لا يمكن تصور الماهية إلا مع تصورها موصوفة به.

والثالثة أن يتقدم على الماهية في الوجودين الخارجي والداخلي.

قال (فنلون) : « ما كان ذاتياً للشيء كان متحداً به دائماً. فاذا كانت الحركة تتغير بتغير الأجسام فتسرع وتبطئ حتى تتلاشى تماماً فمعنى ذلك أنها لا يمكن أن تكون ذاتية لها » (Fénelon, De l'existence de Dieu I, III — 2)

والذاتي ضد العرضي، ومرادف للضروري، وقد أطلق (بلولر — Bleuler) لفظ الذاتي (Autistique) على الاستعداد المرضي الذي يجعل الشخص منطوياً على نفسه منعزلاً عن العالم الخارجي، ونقلت هذه الصفة إلى الاسمية فقيل (Autisme) الذاتيـــة.

٢ ـ والذاتي أيضاً هو ما يخصّ الشخص دون غيره (Subjectif) ويطلق على معان :

ـ (منها) الفردي وهو ما يخصّ شخصاً واحداً تقول في وصف أحد الرجال أن تفكيره ذاتي أو شخصي بمعنى أنه اعتاد أن يجعل أحكامه مبنية على شعوره وذوقه ، وتقول في وصف الآخر أن تفكيره موضوعي أي مستقل عن عواطفه وأهوائه (راجع الموضوعي — Objectif) .

ـ (ومنها) الداخلي وهو ما يخصّ الذهن ويقابله الخارجي والتجريبي . تقول بهذا المعنى إن الصفات الثانية (Qualités secondes) كالحرارة واللون ذاتية لا من جهة ما هي متغيرة بتغير الأفراد المدركين لها فحسب ، بل من جهة تعذر إدخالها في نظام من التصورات المنطقية الصالحة لتفسير الأشياء ، وعلى ذلك فان العالم الذي يريد تفسير هذه الصفات يقلبها إلى حركات واهتزازات .

ـ (ومنها) الظاهر والوهمي كالاحساسات الذاتية التي يتوهمها الشخص من غير أن يكون لها في العالم الخارجي سبب يحدثها .

ـ (ومنها) ما يخص العقل البشري ويقابله في فلسفة (كانت) الشيء بذاته (Chose en soi) .

(ومنها) ما يخص المدرك دون سواه كالأمور النفسية والمعنوية فهي عند بعضهم قسم من الفلسفة الذاتية على خلاف الفلسفة الموضوعية التي تبني نظرياتها على حقائق العلم .

والتركيب الذاتي (Synthèse subjective) عند (أوغوست كومت) مضاد للمعارف الوضعية (Connaissances positives) من جهة وللمذاهب الفلسفية (Systèmes philosophiques) من جهة ثانية . ويطلق الوجود الذاتي (Existence subjective) عنده على بقاء ذكر الأموات في أذهان الأحياء .

٣ — والطريقة الذاتية (Mathode subjective) تطلق على معان :

(منها) طريقة التأمل الباطني أو طريقة الملاحظة الداخلية المتبعة في علم النفس .

(ومنها) طريقة علماء النفس الحيوانية الذين يتصورون أن للحيوان أحوالاً نفسية مماثلة لأحوال الإنسان فيتكلمون على إدراكه وتذكره وتصوره وحكمه ولذته وألمه وخوفه ورغبته كما لو كانت هذه الأحوال حاصلة عنده بالفعل .

(ومنها) اعتقاد المرء أن رغباته حقائق فلا يصدق إلا ما كان موافقاً لعواطفه ورغباته .

٤ — والمذهب الذاتي (Subjectivisme) يطلق على الاتجاه الفلسفي الذي يرجع كل حكم وجودياً كان أو تقديرياً إلى أحوال أو أفعال شعورية فردية .

أ — فإذا كانت المسألة داخلة في (علم ما بعد الطبيعة) كان المقصود بهذا الاتجاه ارجاع كل وجود إلى وجود الشخص المدرك ، أو إرجاع كل وجود إلى وجود الفكر دون ما عداه من الأشياء ، وهذا المعنى قريب من معنى المثالية (Idéalisme) .

ب — وإذا كانت المسألة داخلة في (علم المنطق) دلّ هذا الاتجاه على الفلسفة التي تنكر القيمة الموضوعية للفرق بين الحق والباطل والصحيح والفاسد أو على الفلسفة التي ترجع اليقين إلى التصديق الفردي .

(ج) وإذا كانت داخلة في (علم الأخلاق) دلّ هذا الاتجاه على المذاهب الخلقية التي ترجع التمييز بين الخير والشر إلى التمييز بين السعادة الفردية والشقاء الفردي أو إلى الانفعالات الشخصية الملائمة والمنافية .

(د) وإذا كانت داخلة في (علم الجمال) دل هذا الاتجاه على النظريات التي تجعل أحكام الفن مبنية على الأذواق الفردية . وهـذا المعنى مرادف للانطباعية (Impréssionnisme) .

(هـ) وإذا كانت داخلة في (علم النفس) دلّ هذا الاتجاه على ميل الفرد إلى الانطواء على نفسه بحيث لا ينظر إلى الأشياء إلا من جهته الذاتية ، لا من جهتها الموضوعية وقد يطلق المذهب الذاتي أيضاً على الفلسفة التي تمدح هذا الميل وترفض الاعتراف للأمور الموضوعية بحق التقـــدم على الأمور الشخصية والذاتية (راجع : الموضوعي ، والموضوعية) .

الذرائعية (أو الاداتية)

Instrumentalisme

الذّريعة حلقة يتعلم عليها الرامي ، والذّريعة أيضاً الوسيلة والسبب إلى الشيء وجمعها ذرائع .

ويُطلق لفظ الذرائعية في الفلسفة الحديثة على مذهب (جون ديوي) ومذهب مدرسة (شيكاغو) ، وهو من المذاهب العملية (Progmatique) التي تقول أن كل نظرية فهي أداة أو ذريعة إلى العمل ، لا قيمة لها إلا إذا كان لها مردود عملي . والسبب الذرائعي (Cause instrumentale) هو الوسيلة لإحداث النتيجة ، والمنطق الذرائعي هو المنطق الذي يبني أحكامه على التجربة ، وجملة القول إن الفكر في المذهب الذرائعي ليس سوى وسيلة أو ذريعة للنجاح في الحياة . (راجع : العمل ، والمذهب العملي) .

الذرة

في الفرنسية	Atome
في الانكليزية	Atom
في اللاتينية	Atomus, atomum
وأصله في اليونانية :	Atomos

١ — الذرة في الأصل هي الجزء الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ ، أثبتها لوسيب ، وديمقريطس ، وأبيقوروس ، ولوكرس . فقال ديمقريطس إن الجواهر الفردة أبدية ومتجانسة وثابتة لا تختلف بعضها عن بعض إلا بصورها وأوضاعها وحركاتها ، وقال المتكلمون الذين أثبتوا ذلك إن الجوهر الفرد ذو وضع لا يقبل القسمة أصلاً لا قطعاً ولا كسراً ولا وهماً ولا فرضاً إلا أنهم أنكروا أن يكون أبدياً .

٢ — ويطلق المحدثون لفظ الذرة على أصغر جزء من عنصر مادي ما ، صيح أن يدخل في التفاعلات الكياوية . وهذه الأجزاء المادية ثابتة الكيفيات ، منها الذرة الكياوية وهي أصغر جزء في العنصر الكياوي . قالوا إنها أصغر جزء فيه لأنهم لم يكشفوا حتى الآن عن جزء أصغر منها ولكنهم لا ينكرون أن يؤدي التحليل العلمي العميق والتقسيم الفيزيائي الدقيق في المستقبل إلى الكشف عن جزءٍ أصغر منها وأدق .

٣ — وقد أطلق العلماء خلال هذه السنوات الأخيرة لفظ الذرة على أجزاء فيزيائية محددة ومنفصلة لا تقبل الانقسام كالذرات الكهربائية أي (الإلكترونات) أو كالذرات الكمية (الكوانت) التي تكلم عليها (بلانك) .

٤ — وأطلق بعض الفلاسفة لفظ الذرة أيضاً على العناصر النفسية التي لا تنقسم وسموها بالذرات النفسية (Atomes psychiques) وهي أصغر الأجزاء التي تتألف منها الأحوال النفسية المركبة .

الذرّي

في الفرنسية Atomique

في الانكليزية Atomic

الذري هو المنسوب إلى الذرة أو المتصف بصفاتها أو المؤلف منها، كالوزن الذري (Poids atomique) أو البنية الذرية (Structure atomique) .

(فائدة) : كانت النظرية الذرية (Théorie atomique) تقول ان الأجسام مؤلفة من الجزئيات الفردية أي الذرات، فاستبدل (دلتون) بهذه النظرية الغامضة نظرية جديدة تقول إن الذرات في كل عنصر مادي ذات وزن ثابت، وإن اتحاد العناصر المادية بعضها ببعض لا ينشأ عن تداخل جواهرها، بل ينشأ عن رصف ذراتها بعضهـا إلى جنب بعض. والنظرية الذرية في علم النفس تجعل الأحوال النفسية المركبة مؤلفة من ذرات نفسية. والنظرية الذرية في علم الاجتماع ترجع بنية المجتمع إلى الأفراد على عكس النظرية العضوية (Théorie organique) التي تشبه المجتمع بالجسم المتعضّي الذي يقوم بوظائفه من حيث هو كل لا من حيث هو مؤلف من الأفراد.

والمذهب الذريّ (Atomisme) مذهب فلسفي يثبت أن المادة مكونة من ذرات تتولد من تركب خواصها جميع ظواهر الأجسام الحسية.

ويطلق المذهب الذري أيضاً على نظرية الجزئيات المادية، وعلى نظرية الذرات الرياضية أو الذرات (الفيثاغورية) التي تجعل المادة مؤلفة من نقاط رياضية ليس لها امتداد (نظرية بوسكوفيتش Boscovich) أو على الذرية الفلسفية أو المنادولوجيا (Monadologie) وهي نظرية ليبنيتز، أو على الذرية

النفسية القائلة إن جميع ظواهر النفس تنحلّ إلى عناصر بسيطة أو إلى عنصر بسيط واحد كالصدمة العصبية (Choc nervenx) في مذهب سبنسر وجميع هذه الاصطلاحات لا تخلو من الالتباس . مثال ذلك أن اصطلاح الذرية الفيثاغورية يبعدنا عن مذهب فيثاغوروس ، ومثال ذلك أيضاً أن الذرية الفلسفية لا تصدق على مذهب ليبنيتز تماماً بالرغم من قوله ان (المناد) هو الذرة الحقيقية في الطبيعة .

الذكاء

في الفرنسية Intelligence

في الانكليزية Intelligence

Intellectual power

في اللاتينية Intelligentia

ذكا أو ذكي فلان ذكاء سرع فهمه وتوقد ، وذكا العقل اشتدت فطنته ، ويقال أيضاً ذكت الشمس اشتدت حرارتها ، وذكت الحرب اتقدت والريح سطعت وقامت ، وذكا المسك فاح .

وللذكاء في اصطلاحنا عدة معان .

١ — الذكاء سرعة الفهم وحدته أو هو جودة حدس من قوة النفس تقع في زمان قصير يقال رجل ذكي وفلان من الأذكياء أي فطن سريع الفهم ، حاذق في إدراك المواقف المعقدة .

٢ — والذكاء في اصطلاحنا قدرة النفس على حل المسائل النظرية والعملية وحذقها في إدراك طبائع الأشياء ومعرفة أسبابها . تقول فلان ذكي

أي قوي الحدس ، جيـــد الحـكم سريع الاستدلال . والفرق بين الذكاء والعقل أن الذكاء مصحوب بالدوافع الانفعالية والحدسية على حين أن العقل مجرد منهـا .

٣ ـ وفرقوا بين الذكاء النظري والذكاء العملي فقـالوا إن الذكاء النظري هو المهارة في استخراج المعاني والقوانين العامة من التجارب الجزئية ، ثم الاستناد إلى هذه القوانين لاستخراج الحلول الموافقة لهـا على حين أن الذكاء العملي هو القدرة على استنباط هذه الحلول مباشرة من التجـارب الجزئية نفسها .

٤ ـ والذكاء مختلف باختلاف الناس ، وهذا مما يتفاوت في الـكم والـكيف أما في الـكم فلأن بعض الناس يكون أكثر إحاطة من بعض ، وأما في الـكيف فلأن بعض الناس أسرع ذكاء من بعض ، ومنهم من يكون أكثر غوصاً على المعاني ، ومنهم من يكون أميل إلى التقليد منه إلى الإبداع . الخ .

الذكر والذاكرة

في الفرنسية Mémoire

في الانكليزية Memory

في اللاتينية Memaria

١ ـ الذاكرة هي القدرة على إحياء حالة شعورية مضت وانقضت مع العلم والتحقق إنها جزء من حياتنا الماضية . وقد عرفهـا حكماؤنا القدماء بقولهم إنها قوة تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني وتذكرها (التهانوي) أو قولهم إنها قوة محلها التجويف الأخير من الدماغ من شأنها حفظ ما يدركه الوهم من المعاني الجزئية (ابن سينا) وتسمى عندهم حافظة أيضاً . ووظيفة

الذاكرة بهذه المعاني كلها الحفظ والتذكر ، ويطلق الذكر على إحضار الشيء في الذهن بحيث لا يغيب عنه وهو ضد النسيان (الجرجاني) .

٢ — ويطلق لفظ الذاكرة على القوة التي تدرك بقاء ماضي الكائن الحي في حاضره . قال (ريبو) : الذاكرة وظيفة عامة للجهاز العصبي تنشأ عن اتصاف العناصر الحية بخاصة الاحتفاظ بالتبدلات التي تطرأ عليها وبقدرتها على ربط هذه التبدلات بعضها ببعض . ويطلق هذا اللفظ على الذاكرة النفسية . وهي أعلى صور التذكر وأكثرها تعقيداً ، وقد يطلق على بعض ظواهر الأجسام الجامدة أيضاً .

٣ — وقد فرق الفيلسوف (برغسون) بين ذاكرتين الأولى من جهة ما هي عادة تحتفظ بآثار الماضي على صورة حركات مخزونة في الجسد ، والثانية من جهة ما هي وظيفة نفسية تحفظ ذكريات الماضي بصورة مستقلة عن الدماغ . وتسمى الأولى بالذاكرة الحركية والثانية بالذاكرة النفسية ، وتتألف من التثبيت (Fixation) والحفظ (Conservation) والذكر (Rappel) والعرفان (Reconnaissance) والتحديد (Localisation) .

٤ — والذاكرة الانفعاليـــة (Mémoire offective) هي القدرة على تذكر الأحوال الانفعالية السابقة كقدرة الإنسان على إحياء خوف قديم اعتراه في بعض ظروف حياته ، وقد تطلق الذاكرة الانفعالية أيضاً على ذكرى الحوادث الماضية من جهة ما هي مصحوبة بجملة من الأحوال الانفعالية .

ومن العلماء من ينكر هذه الذاكرة الانفعاليـــة فيقول إن الأحوال الانفعالية التي نتوهم إحضارها في النفس ليست سوى انفعالات جديدة اثارها إحضار صور الحوادث الماضية في الذهن . ومنهم من يرى أن من خواص الأحوال النفسية عقلية كانت أو انفعالية أن تعود إلى مسرح الشعور ،

وان الذكرى الانفعالية إذا كانت حالة جديدة كانت الذكرى العقلية نفسها حالة جديدة أيضاً لأن الماضي لا يمر بالانسان مرتين .

٥ — وفرقوا بين الذاكرة العقلية والذاكرة الحسية فقالوا إن الذاكرة العقلية ذاكرة المعاني والأحكام والتصورات والتصديقات على حين أن الذاكرة الحسية ليست إلا ذاكرة الصور الحسية ، فاذا تذكرت ألفاظ محدّثي ولهجة كلامه ورنة صوته كانت ذاكرتي حسية وإذا لم أتذكر إلا معاني حديثة كانت ذاكرتي عقلية .

٦ — وفرقوا أيضاً بين الذاكرة الإرادية والذاكرة اللاإرادية . وهذا قريب من تفريقهم بين الذاكرة الخام والذاكرة المنظمة . فتكرار الشيء الماضي تكراراً بسيطاً يدخل في باب الذاكرة الخام على حين أن تدخل العقل في تمثل الماضي وتأويله واصطفاء عناصره وتنسيقها يدخل في باب الذاكرة المنظمة

٧ — وتطلق الذاكرة في أيامنا هذه على اتصاف الآلات بالقدرة على تكرار الحركات المخزونة فيها ، ويدخل الكلام على هذه الذاكرة في علم الروابط الحركية (Cybernétique) .

الذكرى

في الفرنسية Souvenir

في الانكليزية Remembrance—Recollection

واللفظ الفرنسي مشتق من الفعل اللاتيني Subvenit

١ — يطلق لفظ الذكرى على كل ما يخطر بالذهن من الحالات الماضية حركات كانت أو صوراً فإما أن يكون إحضارها في الذهن تلقائياً فيطلق عليها اسم (الذُكر) وإما أن يكون إرادياً فيطلق عليها اسم التذكر .

والذكر قد يوجد في الإنسان والحيوان ، أما التذكر وهو الاحتيال لاستعادة ما اندرس فلا يوجد إلا في الإنسان (ابن سينا) .

٢ — وقد يطلق هذا اللفظ على ما نستعيده من الصور النفسية دون الحركات المادية كما في ذاكرة الصور التي تكلم عليها (برغسون) وتكون الذكرى في هذه الحالة مصحوبة بالعرفان أي بعلمنا أنها جزء من حياتنا الماضية على عكس العادات الحركية التي نستعيدها من غير أن تكون مصحوبة بهذا العلم .

٣ — ويطلق هذا اللفظ في أيامنا هذه على التذكرة أي على ما تستذكره الحاجة فنقول هذه الهدية ذكرى اجتماعنا في دمشق أو ذكرى إقامتنا على ساحل البحر ، ومنه خزانة الذكريات .

الذنب

في الفرنسية Faute

في الانكليزية Fault

في اللاتينية Fallita

الذنب ارتكاب المكلف أمراً غير مشروع ، وله درجات تختلف باختلاف طبيعة الفعل ونية الفاعل ، والذنوب قسمان : الصغائر والكبائر . ولكل ذنب عقاب ، ولكل طاعة ثواب

ولا يعتبر الفعل ذنباً إلا إذا كان منهياً عنه في الشرع أو الأخلاق أو مشتملاً على تقصير في الواجب ، وهو يتضمن الاعتقاد أن للقاعدة التي خالفها الفاعل قيمة في نظر الناس .

مثال ذلك : إذا اعتقد الناس أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الشخصية وجدوا المؤثر لمصلحته الشخصية مذنباً ، ولكنهم إذا لم يعتقدوا ذلك لم ينسبوا إليه ذنباً قط . ويشترط في نسبة الذنب إلى الفاعل أن يكون مدركاً لمسؤولياته حراً في اختياره وأن تكليفه متناسباً مع استطاعته .

الذهن

في الفرنسية Entendement
في الانكليزية Understanding

١ — الذهن في اللغة الفهم والعقل ، وفي اصطلاح الفلاسفة القدماء قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء أي العلوم التصورية والتصديقية ، أو قوة نفسانية يحصل بها التمييز بين الأمور الحسنة والقبيحة ، والصواب والخطأ ، أو قوة معدة لاكتساب التصورات والتصديقات ، أو قوة مهيئة لاكتساب العلوم . وقد يطلق الذهن ويراد به القوة المدركة مطلقاً سواء كانت النفس الانسانية أو آلة من آلات إدراكها .

٢ — ويطلق الذهن في الفلسفة الحديثة على قوة الإدراك من جهة ما هي مقابلة للاحساس . ومعنى ذلك أن الذهن هو العقل ، وقد يعبر عنه بالعقل تارة وبالنفس أخرى ، وإطلاق العقل على النفس جائز .

وقد يراد بالذهن قوة للنفس معدة لإدراك الأشياء الخارجية من غير أن يكون تمثلها مقيداً بصورها المادية المرتسمة في الدماغ . فاذا كان البدن علة طبيعية أو ظرفية للصور المرتسمة في النفس أطلق على هذه الصور اسم الاحساس أو الخيال ، وإذا كانت النفس ذاتها علة ما يتكون فيها من أفكار

أطلق عليها اسم الذهن . ويسمى وجود الصور في الذهن بالوجود الظلي ووجودها خارج الذهن بالوجود الحقيقي .

٣ — ويطلق الذهن أيضاً على قوة الإدراك من جهة ما هي مقابلة للاحساس تارة وللعقل أخرى .

(آ) فالذهن عند (كانت) ملكة تنسق الاحساسات بواسطة المقولات إلاّ أن القوة المعدة لاكتساب المعرفة لا تقتصر على تهجّي الظواهر في ضوء وحدة تركيبية معينة لقراءتها من جهة ما هي تجارب حاصلة لها بل تحتاج إلى قوة أعلى من ذلك وهي قوة العقل . لذلك قيل ان الذهن ملكة القواعد ، وان العقل ملكة المبادئ . ومعنى ذلك ان في كل معرفة شرطية عنصراً غير شرطي . وكل معرفة فهي إنما تبدأ بالإحساس ثم تنتقل منه إلى الذهن ، ثم تنتهي إلى العقل ، فكأن الذهن إذن ملكة متوسطة بين العقل والإحساس .

(ب) والذهن عند (شوبنهاور) ملكة ربط التصورات الحدسية بمبدأ السبب الكافي (Raison suffisante) أما العقل فهو قوة معدة لاكتساب المفاهيم المجردة وترتيبها وجمعها في الأحكام والاستدلالات .

(ج) وقد يطلق العقل على إدراك الأمور الأبدية أو الأمور المطلقة ويُطلق الذهن على إدراك أمور التجربة . ومعنى ذلك أن للذهن حركات متتابعة في اكتساب التصورات وتأليف الأحكام والاستدلالات على حين أن العقل يدرك هذه الأشياء إدراكاً مباشراً بفعل واحد . ومعنى ذلك أيضاً أن الذهن استدلالي يبدأ بالمقدمات والفرضيات وينتهي إلى النتائج على حين أن العقل حدسيّ يدرك المقدمات والنتائج إدراكاً كليا مباشراً .

(د) ويرجع هذا التمييز بين الذهن والعقل إلى أفلاطون ، فقد فرق هذا الفيلسوف بين الحدس أي المعرفة المباشرة والعقل أي المعرفة الاستدلالية فالحدس في نظره يتناول الأمور العالية ، والعقل يتناول الأمور السافلة أي الأمور الحسية التي تتألف منها العلوم . وقد قلب (كانت) هذه العلاقة فجعل الحدس أدنى من العقل ، لأن الحدس عنده لا يدرك إلا المسائل الداخلة في إطاري الزمان والمكان ، على حين أن العقل يتناول المسائل العالية أي المسائل الإلهية . أما (برغسون) فانه جعل الحدس أعلى من العقل على النحو الذي فعله أفلاطون لأن الحدس عنده يغور في باطن الوجود ، ويكشف عن المطلق على خلاف العقل لا يجول إلا في سطح الوجود ولا يعنى إلا بصنع الآلات وتركيبها .

(فائدة) الذهن في اللغة الفرنسية (Entendement) مشتق من السمع (Entendre) ، وهذا شبيه بقولنا في اللغة العربية سمع الكلام فهم معناه وسمع لغلامه أو إليه أو إلى حديثه أصغى وأنصت وسمع الدعاء ونحوه أطاع واستجاب .

الذوق

في الفرنسية	Goût
في الانكليزية	Taste
في اللاتينية	Gustus

الذوق حاسة تدرك بها الكلام من حلو ومالح ومر وحامض ، وآلته الأعصاب الحسية المنبثة في اللسان . وقد يوسع معناه فيطلق على كل تجربة تقول ذقت فلاناً وذقت ما عنده .

والذوق أيضاً قوة إدراكية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية وقد يطلق على ميل النفس إلى بعض الأشياء كتذوقها القراءة والأحاديث الجميلة ، ويرادفه حسن الإصغاء ، وشدة الانتباه ، وكثرة العطف .

وقد يطلق الذوق أيضاً على القوة المهيئة للعلوم من حيث كمالها في الإدراك بحسب الفطرة ، أو على حذق النفس في تقدير القيم الخلقية والفنية كقدرتها على إدراك المعاني الخفية في العلاقات الإنسانية ، أو قدرتها على تذوق الشعر والأدب والموسيقى ، وتسمى القدرة على تذوق الفن طبعاً ، نقول فلان مرهف الذوق أي رقيق الطبع .

وقد يراد بالذوق الذوق السليم مطلقاً وهو الحكم على الأشياء حكماً صادقاً ودقيقاً .

والذوق في اصطلاحات الصوفية نور عرفاني يقذفه الحق بتجلّيه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره (الجرجاني) .

جميل صليبا

« كلمات » من المغرب الأقصى

- ٢ -

ساقة ومقدّم

لا تعجب حينما تسمع أخاك العربي في المغرب الأقصى يحدثك عن قوم زاروه فدخلوا عليه « ساقة ومقدم » . فهو بتعبيره هذا يوحي بما رسب في لهجته من كلمات فصيحة كانت في الأصل تعبيراً عن الجيش العربي الخماسي الذي يضم الجناح الأيمن ، والجناح الأيسر ، والقلب ، والمقدمة ، والساقة ، حتى قيل فيه الخميس على لسان أبي تمام :

والعلمُ في شهب الأرماح لامعةً   بين الخميسيْن لا في السبعة الشهب

فعبارة « ساقة ومقدم » تعني في التعبير المغربي ما تعنيه عبارة « القض والقضيض » . والتعبير المغربي يجري على ألسنة الرجال والنساء مجرى الأمثال والكنايات .

الرمان السّفْري

من الأمثال المغربية : « إذا جعت كُل الرمان ، وإذا شبعت كل الرمان » لأنه في كلتا الحالتين لذيذ شهي ، ولكن المختار الممتاز من ضروبه هو الرمان السّفْري ؛ ولهذه النسبة قصة يرويها لنا المؤرخون وأبو العباس المقري صاحب نفح الطيب في مقدمتهم :

(١) انظر نفح الطيب ج ١ ص ٢١٧ الطبعة الأزهرية . وانظر دوزي ج ١ ص ٦٥٨ ،

فالرمان السَّفْري منسوب إلى سَفْر بن عبد الله وكان من أصحاب عبد الرحمن الأموى الملقب بالداخل . بعثه بطائفة من لطائف الأندلس إلى أخته التي بقيت بالشام . فلم يكن من هذه الأميرة الأموية إلا أن بعثت لأخيها أمير قرطبة بطرائف فواكه الشام وفيها الرمان . وقد اغترسه سفر في الأندلس وتعهده وعنه أخذه الناس . وإليه نسبوه .

ومن الأندلس انتقل إلى المغرب وما زال معروفاً ومشهوراً بهذا الاسم .

دار السُّلْوان

في الاحتفال بالعرس نجد إلى جانب دار العرس داراً أخرى يجتمع فيها أصدقاء العروس ويجلس بينهم آمراً ناهياً متخذاً الأعوان الذين يسعون في تلبية رغباته وقضاء مهماته ! وتسمى هذه الدار في العرف المغربي دار السلوان . وفيها يقضي العروس مع أصدقائه ساعات وأياماً لا تبلى جدتها ولا تذوى زهرتها .

أسود ڭِنَوِي

كان أكثر الرقيق في عصور المغرب التاريخية يأتي من إفريقية الغربية التي كانوا يسمون أجزاء كبرى منها باسم : غانة ، ولذلك صاروا ينسبون كل أسود اللون إلى غانة ، وتصرفوا في هذه النسبة وفي جمعها فسموا المفرد (عبد ڭِنَوي) والجمع (عبيد ڭناوة) .

واسم (ڭناوة) ما زال إلى الآن مستعملاً في المغرب ويراد به جماعة من السود لها (فن) خاص في الرقص والغناء والطرب .

يخلّل ويقدّس

تسمع المرأة والرجل يتحدث كل منهما عن متاعبه في هذه الحياة والمشقات التي يعانيها فيقول :

« ما زلت أُخلّلُ وأُقدس » والفعلان معاً مشتقان من اسم (ذات) .

وذلك ان المغاربة في عصورهم المختلفة كانوا مولعين بالأسفار والرحلات وأداء مناسك الحج؛ وكان كثير منهم يزور قبر (الخليل) ابرهيم عليه السلام . كما يزور مدينة القدس لمشاهدة المسجد الأقصى . وهو لا يتمكن من ذلك إلا بعد مشاق وأتعاب الطريق فاذا رجع إلى بلاده صار يعبر عن كل تعب لحقه أو كل هول خاضه بقوله : (أخلل وأقدس) . وما زال التعبير حيّاً إلى الآن .

بسيط الاصبهان

عندما يسمع المغربي نغمات الموسيقى المغربية التى تسمى (الموسيقى الأندلسية) ينفعل لها إن كان ذا حاسة فنية تفرق بين الأوزان المختلفة ، حتى إذا سمع (بسيط الاصبهان) قال : بسيط الأصبهان ، به تسبح ملائكة الرحمن !

ونسبة هذا الميزان إلى مدينة اصبهان أو إلى أبي الفرج الاصبهاني صاحب الأغاني ، إو إلى شخص آخر عند صاحب الأغاني واضحة لا غبار عليها .

ثم تطور هذا الاستعمال المغربي لكلمة (اصبهان) فصار علماً على كل أصوات ترتفع فيقـــول الأب لأبنائه إذا أحدثوا صياحاً في البيت : (ما هذا الأصبهان ؟) .

وليس (الأصبهان) هو الراسب الوحيد في اللهجة المغربية من أسماء أوزان الموسيقى ، فهناك وزن آخر يسمى (العشاق) ومن المعتاد أن يستعمل في الصباح . فاذا «زل» أهل الموسيقى واستعملوه في العشية نبههم من يحفظ المثل المغربي الشهير :

(القضية عكسية ؟ «العشاق» في العشية !) .

العُمَرِية

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سريع الرضا سريع الغضب وكان صارم حق لا يكل . وقد اشتهر بهذه الصفة حتى نسبت إليه . فاذا كان هناك شخص فيه شيء من هذه الصفة نُسب إلى عمر فقيل فيه : فلان عُمَري أي قوي صريح سريع الرضا سريع الغضب في الحق . وما زالت هذه الصفة مشتهرة بين الناس فيقال :

فلان عُمَري ، أو فيه عُمَريَّة ، أو ما هذه العمرية ؟

المردية

الأمرد والجمع مُرد معروف .

والمردية في اللهجة المغربية تعني الأخلاق والصفات التي اشتهر بها أولئك المرد من السخافة والمزاح . فاذا تعجبوا من سخافة إنسان وكثرة مزاحه الخارج عن المعتاد قالوا له : «ما هذه المردية» . غير انهم يفتحون الميم عوض ضمها .

مغلوق ومفتوح

في الألوان نجد توليدات غريبة يكثر فيها المضاف والمنسوب في اللهجة المغربية :

قلب الحجر = أطلس رمادي

شمس العشب	=	أحمر فيه صفرة
قلب الزهرة	=	ضعيف الخضرة
قلب الحموضة	=	أصفر فاتر الحمرة
شعر الجمال	=	بين الحمرة والكدرة
عدسي	=	لون الحدس
عسلي	=	لون العسل
خوخي	=	لون الخوخ
كموني	=	لون الكمون
زيتي	=	لون الزيت

أما الألوان البسيطة فيزيدون لها أحياناً وصفاً آخر فيقولون : أحمر مفتوح ، أخضر مغلوق ، وهكذا .

وقد رأيت أبا العباس التيفاشي يستعمل كلمتين : « مفتوح » و « مغلوق » في ألوان المعادن والأحجار التي ذكرها في كتابه : « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » الذي تحدثت عنه في الجزء الأول من المجلد التاسع والثلاثين من مجلة المجمع .

فالاستعمال إذن قديم . وقد رسب في اللهجة المغربية منذ قرون .

ذَهَب وذُهْبَان

لا نكاد نستعمل لكلمة ذهب جمعاً ، مع أن المعاجم احتفظت له بجموع هي : أذهاب ، وذهوب ، وذُهبان . واحتفظت اللهجة المغربية بجمعه على ذُهبان . ويقولون في المثل : « الذهب يبحث عن الذهبان ! » ويريدون بذلك أن الثري يبحث عن مصاهرة الأثرياء !

وما زالت بفاس طريق شهيرة تسمي إلى الآن « سويقة الذُّهْبَان » ،

مطرح الجِلّة

هناك جانب من المقبرة العمومية في مدينة فاس يسمى « مطرح الجِلَّة » والجلة مفردها جليل والمطرح اسم مكان من طرح .

وسمي هذا الجانب بهذا الاسم الخاص نظراً لكونه مدفن أهل الفضل والعلم منذ أجيال وقد صحفت الألسنة هذا الاسم تصحيفاً جميلاً وصارت تقول في غدوها ورواحها : « مطرح الجَنَّة » بالنون . وهذا تصحيف مبارك يباركه الأحياء والأموات !

طَاقَ مَا حمل

برغم أن المعاجم اللغوية احتفظت لنا بالفعلين طَاقَ الشيءَ ، وأطاقه فاننا لا نكاد نستعمل في فصيح التعبير إلا الرباعي ، حيث ليظن أحياناً أن الثلاثي مهجور !

واللهجة المغربية لا تستعمل إلا الثلاثي فيقولون في التعبير عن إناء مليء بشيء : « طاق ما حمل » .

والأمثال المغربية فيها من الفصاح ما تقر به أعين الغُيُر على لغة الضاد ، فعسى أن نتمكن من فتح ملفها الضخم لننشر ما طوته الأيام .

فاس (المغرب الأقصى) عبد القادر زمامة

من تراثنا الضائع

تائية دعبل الثانية

عثر أستاذنا الدكتور إبراهيم الكيلاني في المجلدة الثانية من موسوعة أبي حيان التوحيدي (البصائر والذخائر) التي يتولى وحده نشرها في دمشق، على تائية دعبل الثانية التي لم يصل إلينا منها سوى سبعة عشر بيتاً؛ فأقبل يحدثني عنها في تواضع جم، وقال: إنه يريد أن ألحقها بشعر الشاعر الذي صنعته منذ سنتين، وتولى المجمع العلمي العربي بدمشق إخراجه (١).

وقد ذكرت ما كنت كتبته في مقدمة هذا الشعر فاسترحت إليه. قلت في المقدمة: «وما نشك أن الأيام المقبلة قد تغير من صورة هذا الشعر قليلاً، فتنفي بعضه، وتفصل في نسبة بعض المختلف عليه، وتحوّل بعضه من قسم إلى قسم؛ فإن من طبيعة هذا العمل أن يكون متحركاً لا يسكن أبداً. وكذلك نعتقد أن شعراً صحيحاً — قد يكون كثيراً — سيزاد على القسم الأول، مع البحث والالتفات الدائم إلى العمل؛ فإن مثله لا يتم بعمر الفرد. وأقصى ما يتاح لنا الآن أن نكوّن النواة التي يجتمع من حولها شعر لم يتيسر لنا الاطلاع عليه. ثم قد يتهيأ لنا في الأيام المقبلة أن نرى وجوه الصواب في ما عمي علينا اليوم، فنصحح كثيراً من وجوه التصحيف والتحريف، ونعيد النظر في بعض الروايات التي اخترناها».

---

(١) شعر دعبل بن علي الخزاعي مطبوعات المجمع العلمي العربي لسنة ١٩٦٤.

ولم يلبث الدكتور الكيلاني أن قدّم إليّ صورة القصيدة ، نقلها من مخطوطة مكتبة رامبور ؛ وهي تملأ الورقتين ٣٨٤ و ٣٨٥ من المجلدة الثانية من كتاب (البصائر والذخائر) ، وعدّتها أربعة وثلاثون بيتاً . فلما قرنتها بما في (شعر دعبل)[١] منها وجدتها تزيد عليه سبعة عشر بيتاً[٢] . على أن بيتاً واحداً سقط منها ، وجدته في (شعر دعبل) ولم أجده في المخطوطة . فهكذا بلغت القصيدة خمسة وثلاثين بيتاً ، وهي عدّة أبيات القصيدة في أكثر الشعر العربي ، لدى أكثر شعرائه ، على الأغلب . فإذا ذكرنا أن عدد أبيات التائية الأولى الكبيرة التي قالها دعبل في آل البيت ، ونقل ياقوت ما صحّ له منها في معجم الأدباء ، بلغ ما لا يزيد كثيراً على تائيته هذه التي ضمّنها الفخر والحكمة ، فقد يرجح لدينا أن تكون هذه القصيدة تامّة في أيدينا اليوم ، أو هي قريبة من التّمام .

وقد رأيت أن أعيد نشرها في صورتها الجديدة ، وأضعها موضعها من (شعر دعبل) الذي نشرته ، حتى تضم إلى الكتاب فتقع في موقعها منه ، ويصحّح بها موضع بيتين آخرين كانا انفرطا عن القصيدة في المصادر التي كنت رجعت إليها في صنعة الشعر (انظر : النص ٤٣ في الصفحة ٨٠ من شعر دعبل ، والنص ١١٤ في الصفحة ١٢٥ . وقد ضُم كلاهما إلى القصيدة ؛ وينبغي أن يلغيا في موضعيها من الشعر) .

---

(١) النص ٤٢ في الصفحة ٧٨ .

(٢) نذكر أن بيتين آخرين انفرطا عن القصيدة في المصادر السابقة ووقعا في نصين متباعدين (من شعر دعبل) ؛ فتكون الزيادة في القصيدة إذن خمسة عشر بيتاً . انظر : النصين ٤٣ في الصفحة ٨٠ ، و ١١٤ في الصفحة ١٢٥ من (شعر دعبل) .

وهذه هي الصورة الجديدة للقصيدة مع تخريجها وشرحها :

★ ★ ★

- ٤٢ -

التخريج : البصائر والذخائر ٢/ الورقة ٣٨٤ — ٨٥ (عدا ٣٤) . والأبيات (١ — ٢ ، ٥ ، ٧ — ٨ ، ١٠ — ١٢ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ — ٢٩ ، ٣٢ — ٣٥) في ذيل الأمالي ١١١ . والأبيات (٥ ، ٨ ، ١٠ — ١٢ ، ٣٢ — ٣٣ ، ٣٥) في الكامل ١ / ٣٥٤ والدر الفريد ١ / ورقة ٣٦٥ (الخامس والثلاثون وحده في المتن) . والأبيات (٣٢ — ٣٣ ، ٣٥) في الموشح ٣٨٠ — ٨١ والعمدة ١/ ٦١ . والبيتان (٢٨ و٣٠) في محاضرات الأدباء ١ / ٣٥٣ ؛ والبيتان (٣٢ — ٣٣) فيه أيضاً ١/١٧٨ . والأخير في الأشباه والنظائر ١/٢٢٥ والعقد الفريد ٥/٣١٧ . والعاشر في شرح المقامات ١/٢٥٠ . والسابع والعشرون في الكامل ٢ / ٨٨٧ والكوكب الثاقب ورقة ٥٤ ظ . والرابع والعشرون في محاضرات الأدباء ١/٣٥٩ . (وحرفت الكلمة الأخيرة فيه فوردت « معسوري » بدلاً من « معسرتي ») . ونسبت الأبيات (٣٢ — ٣٣ ، ٣٥) توهماً إلى غير دعبل في أمالي المرتضى ٢/٢٧٠ .

[قال في الفخر والحكمة] :

- من البسيط -

١ ـ إذا غزَونا فمَغزانا بأَنْقِرةٍ وأهلُ سمى بسِيف البحرمن (جُرُتِ)

٢ ـ هيهاتَ هيهاتَ بين المنزلَين لقد أنضَيتُ شوقي ، وقد أبعدتُ مُلتَفَتي

٣ ـ حلّتْ محلاًّ بقُطر الأرض مُنتبذاً تُقصِّر الريحُ عنه كلّما جرتِ

٤ ـ فما يَنال بها الهَيْمانُ مَوردَه إلا بنصٍّ وجذْب العِيس بالبُرةِ

٥ ـ أحببتُ أهلي ، ولم أظلِم بحبِّهمُ قالوا : تعصبتَ جهلاً ، قول ذي بَهَتِ

٦ ـ أحمي حِماهم ، وأرمي في مُعارضهم وأستقلْهم إذا ما رِجلُهم هَوتِ

---

(١) سيف البحر : ساحله . وفي مخطوطة البصائر : (خرت) ، وهوتصحيف . وفيه أيضا : (انقرت) بفتح التاء ، وقد وردت فيه التاءات في القوافي مبسوطة كلها ، فذكرناها هنا ؛ وسنعدّي عن ذكرها بعد .

(٢) إنضاء الشوق : إضعافه ، كناية عن كثرة البكاء . وفي مخطوطة البصائر : (أنضبت) ، ولعله تصحيف .

(٤) الهيمان : العطشان ، والجمع : هيام . ونصّ الناقة : استحثها استحثاثاً شديداً . والبُرة : حلقة تجعل في أنف البعير ، من برى .

(٥) البَهَت والبُهتان : الكذب . والصدر في بعض المصادر : (أحببت قوميَ لم أعدِل بحبهم) .

(٦) استقاله : طلب إليه إقالته ، أي : إنهاضه من عثرته . ولا موضع للجزم في (استقلهم) ولا معنى لها هنا ، فلعل الصحيح : (وأستقيل) .

٧ ــ لهم لساني بتَقريظي ومُمْتَدَحي نعم ! وقلبي وما تحويه مقدِرتي

٨ ــ دعني أصِلْ رحِمي إنْ كنتَ قاطعَها لا بدَّ للرحِم الدُّنيا من الصِّلةِ

٩ ــ لولا العشائر ما رجّيتُ عارفةً ولا لحقتُ على الأيام من تِرَةِ

١٠ ــ فاحفظْ عشيرتكَ الأدنَيْن؛ إنّ لهم حقاً يفرّق بين الزّوج والمرَةِ

١١ ــ قومي بنو حِميَرٍ والأسْدُ أُسرتُهم وآل كِنْدةَ والأحياء من (عِلَةِ)

١٢ ــ ثُبتُ الحُلوم؛ فإنْ سُلّتْ حفائظُهم سَلّوا السيوفَ فأردَوا كلَّ ذي عَنَتِ

١٣ ــ هم أثبتُ الناس أقداماً إذا بُغِتوا وقلّما تثبُتُ الأقدامُ في البَغَتِ

---

(٨) الدنيا : القريبة ، والمذكر : أدنى .

(٩) العارفة : المعروف والعطية والخير والإحسان ، والجمع : عوارف . والتِرة : الثأر ، من : وتر . وفي مخطوطة البصائر : (العشاير) ؛ وقد جرى على تخفيف الهمز دائماً ، فذكرناه هنا ؛ ولن نذكره بعد .

(١٠) جعل الشريشي البيت شاهداً على استعمال (المرة) ، وهو — في الأصل — تسهيل الهمز من (المرأة) : (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م ٤ ص ١٣٦) .

(١١) في بعض المصادر : (مذحج) . وفي أكثرها : (الأزد) ، والسين لغة فيها . وفي بعضها : (إخوتهم) .

(١٢) الحلوم : العقول ، ومفردها : حلِم . والحفيظة : الغضب لظلم يقع . والعنَت : الإثم . وفي الدر : (وإن) .

١٤ ــ كم نفّسوا كُرْبَ مكروبٍ، وكم صبروا — على الشدائدِ من لأْواءَ فانجلتِ !

١٥ ــ كم عَيْنِ ذي حِوَلٍ فقَّأْتُ ناظرَها! — وكم قطعتُ لأهل الغِلِّ من حُمَةٍ !

١٦ ــ كم من عدوٍّ تحاماني وقد نَشِبَتْ — فيه المخالبُ يعدو عدْوَ مُنْفَلِتِ !

١٧ ــ لو عاش كبشا تميمٍ ثُمَّتَ استَمعا — شعري لَماتا، ومات الوغدُ ذو الرُّمَّة

(ورقة ٣٨٥ من مخطوطة البصائر والذخائر)

١٨ ــ فصار بالعُدوة القُصوى ، مؤرِّقُه — خوفي، فبات وجاش القلب لم يَبِتِ

١٩ ــ تقدمتْه بناتُ القلب طائرةً — خوفاً لِضَغْمِ أبي شِبْلَيْن مُنْهَرِتِ

٢٠ ــ كالليث، لو أزَمَ الليثُ الهصورُ به — ما غَضَّ طرفاً ولم يَجزعْ ولم يَصُتِ

(١٤) اللأواء : الشدة والضيق .

(١٥) الحِوَل : الاحتيال والقدرة . والغل : الحقد . والحمة : إبرة العقرب ونحوها ، من : حمى .

(١٦) في مخطوطة البصائر : (يعدوا) .

(١٧) كبشا تميم : جرير والفرزدق . وهما ــ مع ذي الرمة ــ من مضر التي يعاديها الشاعر ، ليمانيته .

(١٨) العدوة : المكان المتباعد .

(١٩) الضَّغم : العض ، ومنه سمي الأسد ضيغما . والمنهرت : واسع الشدق . وفي مخطوطة البصائر : (حوفا) .

(٢٠) الأزم : أشد العض بالفم كله أو بالأنياب ، وفعله أزَم يأزِم ، ويتعدى بنفسه أو بالحرف (اللسان) . وصات : صوَّت .

٢١ــ نفسي تُنافسني في كلِّ مكرُمةٍ | إلى المعالي ، ولو خالفتُها أَبتِ
٢٢ــ كم قد وطئتُ على أحشاءِ مُتْعِبَةٍ | للنفس ، كانت طريقَ اللّينِ والدّعةِ
٢٣ــ وكم زحمتُ طريقَ الموتِ مُعْترِضاً | بالسيف صَلْتاً فأدّاني إلى السّعةِ
٢٤ــ والجُود يعلم أني منذ عاهَدَني | ما خُنتُه وقتَ مَيسوري ومَعْسِرتي
٢٥ــ والضّيفُ يعلم أنيَ حينَ يَطرُقُني | ماضي الجَنان، على كَفّي ومقدِرتي
٢٦ــ أهوى هَواه ، ويَهوى ما أُسَرُّ به | ينال ما يَشتهي والنفسُ ما اشتهتِ
٢٧ــ ما يرحلُ الضيفُ عني غِبَّ ليلتِه | إلا بزادٍ وتَشْييعٍ ومَعْذرةِ
٢٨ــ قالَ العواذلُ: أودى المالُ، قلت لهم: | ما بين أجرٍ أُلَقّاهُ ومَحْمَدةِ
٢٩ــ أفسدتَ مالَكَ ، قلتُ: المالُ يُفسدني | إذا بَخِلْتُ به ، والجُود مَصْلَحتي

---

(٢٣) الصَّلت : السيف المجرَّد من غمده . وفي غير مخطوطة البصائر : (ضيقاً) ، وهو تحريف . وفي بعض المصادر : (فأدناني) .

(٢٥) الجَنان : القلب . ولعله يريد بالكف : الكَفاف ، وهو القوت الذي لا فضل فيه ولا نقص .

(٢٧) في الكامل والكوكب : (... عندي بعد تكرمة — إلا برفد) .

(٢٨) في أكثر المصادر غير مخطوطة البصائر : (وفخرٍ لي) بدل : (ألقّاه) . وفي المحاضرات : نعم .

(٢٩) في غير مخطوطة البصائر : (المال) بدل (الجود) ، وهو وهم .

٣٠ـ أرزاقُ ربي لأقوامٍ يُقدِّرها … من حيثُ شاء، فيُجرينَّ في هِبتي

٣١ـ فليشكروا اللهَ، ما شُكري بزائدهم … وليحمَدوه، فإنَّ الحمد ذو مِقةِ

٣٢ـ لا تَعرِضنَّ بمزْحٍ لامرئٍ سَفِهٍ: … ما راضَه قلبُه أجراهُ في الشَّفَةِ

٣٣ـ فربَّ قافيةٍ بالمَزْح جاريةٍ … مَشْبوبةٍ، لم تُرِدْ إنماءها، نَمَتِ

٣٤ـ ردُّ السَّلى مُستَتِمّاً بعد قَطْعَته … كردِّ قافيةٍ مِنْ بعدِ ما مَضَتِ

٣٥ـ إنّي إذا قلتُ بيتاً مات قائلُه … ومَنْ يُقالُ له، والبيتُ لم يَمُتِ

في النصف الثاني من حياته

الدكتور عبد الكريم الأشتر

❋❋❋

---

(٣٠) في مخطوطة البصائر: (شيت) بدل (حيث)، ولعله وهم. وفي غيرها: (ربٍّ) و (هبة)، والمعنى في رواية البصائر أبْيَن.

(٣١) المقة: المحبة، من: ومق. وفي مخطوطة البصائر: (فليشكرو الله).

(٣٢) في غير مخطوطة البصائر: (طَبِن) أو (فطن)، ويضطرب بهما معنى البيت. وفي أمالي المرتضى: (الثبت). وفي مخطوطة البصائر: (لمزح).

(٣٣) في العمدة: (في محفل) بدل (مشبوبة)، وفي مخطوطة البصائر: (مشروبة)، ولعل فيها تحريفاً. وفي غير المحاضرات: (مشؤومة)، وأغلب الظن أنها محرفة أيضاً. وفي أكثر المصادر غير مخطوطة البصائر: (لم يرد إنماؤها).

(٣٤) السَّلى: المشيمة، وهي الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد. ويكون ذلك للناس والخيل والإبل.

مدرسة سالرنو الطبية

— ١ —

إن ماضي أمتنا العربية زاخر بكنوز العلم غني بجواهر العرفان ، وان أثمن جوهرة في هذه الكنوز « الطب العربي » كان له الأثر الأعظم في الطب عند الغربيين في العصر الوسيط . وقد استمر هذا التأثير حتى القرن الثامن عشر للميلاد . قال « دي فو » : (إن الميراث الذي تركه اليونان في الطب لم يحسن الرومان القيام به ، أما العرب فقد أتقنوه وعملوا على تحسينه وإنمائه حتى سلموه إلى العصور الحديثة) .

وقال « جورج سارطون » : (لو لم تنقل إلينا كنوز الحكمة اليونانية ؛ ولولا إضافات العرب الهامة لتوقف سير المدنية عدة قرون) .

وقالت الدكتورة « زيفرد هونكه » : (إنه لم يكن لأي قوم من الأقوام وفي أية بقعة من بقاع الأرض أطباء أكفياء كما كان عند العرب) .

قلنا إن الطب العربي انتقل إلى الغرب ، ونضيف أنه دلف إليه في انتقاله من ثلاثة طرق هي :

(١) الأندلس . (٢) صقلية . (٣) الحروب الصليبية .

وإن من ثمار هذا الاتصال — بين الطب العربي وجامعات الغرب وشعوبه — « مدرسة سالرنو الطبية » التي كانت بمثابة نقطة تجمع المعارف الطبية العربية ونقطة انطلاق لها أيضاً ، لأنها شملت مع مرور الزمن معظم جامعات الغرب في العصر الوسيط .

قالت المستشرقة الألمانية الشهيرة « زيفرد هونكه » : (لقد غمرت مدرسة سالرنو ، علوم العَرب في التطبيب والمداواة في سيل عرم . . . . . . ثم ما لبث

هذا السيل العرم من علم العَرب أن فاض عن سالرنو وامتد إلى شواطئ أوربة وخلجانها ومدنها فغمرها وأحال الصحراء جنة من نبتات الفكر الوارفة تتفيأ ظلالها الإنسانية جمعاء) .

فللأهمية العظمى التي امتازت بها مدرسة سالرنو الطبية من الوجهة الحضارية والتأريخية وخاصةً من حيث تراثنا العربي الغالي ، واستجابةً للحافز العلمي الذي دفعني للتنقيب عن الأسس التي أقامت عليها هذه المدرسة بنيانها ، وتلبيةً للدوافع القومية الهادفة إلى التعرف على مدى إسهام العرب والعلم العربي في علوم مدرسة سالرنو الطبية في القرون الوسطى ....

أقول من أجل هذه العوامل مجتمعةً أقدمت على كتابة هذا البحث .

مدينة سالرنو Salerno

إن أسلوب البحث العلمي يتطلب منا ـ قبل الخوض في الحديث عن مدرسة سالرنو الطبية ـ أن نتطرق إلى الحديث عن مدينة « سالرنو » التي احتضنت المدرسة المذكورة .

تسمى « سالرنو » بالإفرنسية « سالرن [١] » « Salerne » وباللاتينية « سالرنوم [٢] » وأطلق عليها الرومان قديماً اسم « سالرم [٣] » « Salerm » .

تقع المدينة في رأس « خليج سالرنو » في البحر المتوسط على بعد (٣٠) ميلاً من مدينة نابولي من جنوب شرقيها ، وتقع على نفس الخليج قرب سالرنو مدينة « إمالفى » وآثار بوستم .

(١) راجع دائرة معارف البستاني (المطبعة الأدبية بيروت سنة ١٨٧٧ م) .
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) راجع دائرة المعارف البريطانية (ج ١٩ ، ص ٨٧٧) .

فمدرسة سالرنو أقدم مدرسة طبية في أوربة وأوّل جامعة درّست الطب العربي واتبعت طرقه ووسائله العلاجية في الحياة العملية .

بقيت لسالرنو سمعتها ما دامت مدرستها في نمو وازدهار ثم أصاب المدرسة التوقف فزال عنها رونق الشباب ودلفت نحو الكهولة والشيخوخة رويداً رويداً ، ومثل ذلك المدينة . وقد لفظت المدرسة أنفاسها الأخيرة بعد صراع طويل بين الحياة والموت ، وكان إغلاق أبوابها على يد نابليون بونابرت عام ١٨١١ (١) ، أما المدينة فكانت تجاهد بعد أن فقدت مدرستها قيمتها العلمية ، تجاهد من أجل البقاء فركنت إلى التجارة تستمد منها العون ، إلا أن نابولي التي نافستها بجامعتها نافستها كذلك بالمجالات الاقتصادية ، إذ أصبحت نابولي بمينائها من المدن الإيطالية الكبرى ذات التجارة الواسعة ، فسدت بذلك على سالرنو أبواب الرزق ، ومع ذلك بقيت تصارع الأحداث إلى أن قصفتها مدافع الحلفاء بقنابلها في الحرب العالمية (٢) الثانية ؛ وهي الآن من مدن إيطاليا الثانوية ، وليس فيها ما تفتخر به من تراث إلا ذكريات مدرستها الطبية وقبر البابا غريغوريوس السابع وما ينسب إليها من اختراع للبوصلة (٢) البحرية .

مدرسة سالرنو الطبية

رأيتُ من أجل الإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه إحاطة تامة أن نرجع بالبحث إلى ما قبل تأسيس مدرسة سالرنو ، إلى العصور المظلمة لنرى كيف كانت حالة أوربة من وجهة النظر الثقافية منذ بداية القرن الخامس الميلادي ،

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية ج ١٩ ، ص ٨٧٧ .
(٢) لقد نُسب اختراع البوصلة لأحد علماء سالرنو ولكن التأريخ الحضاري يؤكد أن العرب هم الذين اخترعوها .

ثقافة الغرب قبل نشوء الجامعات

انطفأ مصباح العلم في أوربة بانقراض الرومان وسقوط امبراطوريتهم عام ٤٧٦ م وغلبة الأمم المتبربرة ، حيث قامت دويلات جرمانية حضارتها متأخرة ذات أنظمة قبلية بدائية ، فساد الجهل أوربة ، وأقفلت المدارس أبوابها فيها ، اللّهم إلا بصيص نور خافت كان يومض منبعثاً من كوى بعض الكنائس ، فدعيت هذه الفترة الزمنية من قبل رجال التأريخ « بالعصور المظلمة » .

لقد اصطبغ التعليم في تلك الفترة وانطبع بالطابع الديني ، وعرفت العلوم التي كانت تدرس في مدارس تلك الحقبة من الزمن - وهي مدارس كنسية كما قلنا - أقول بأنها عرفت باسم « الفنون السبعة الحرة » وهي متكونة من مجموعتين الأولى ثلاثية ، شملت النحو والبلاغة والجدل ، والثانية رباعية ضمت الموسيقى والحساب والهندسة والفلك ، أما الدراسات (١) الدنيوية الحقيقية فقد اقتصرت على فنون الجدل بالخاصة . ولم يكن الطب من بين المواد التي كانت تدرس في مدارس تلك العصور المظلمة .

بقي الجهل والظلام يخيمان على أوربة حتى أصبحت في القرن التاسع تقف على آخر درجة من درجات التأخر الثقافي ، وقد أطلق على هذا العصر « العصر الميروفنجي » . ثم زال عنها شيء من الكابوس الذي كان مخيماً عليها بظهور « شارلمان » حيث بدأت طلائع نهضة عرفت باسم « النهضة الكارولنجية » (٢) شملت الناحية الثقافية إضافةً إلى النواحي الأخرى . فقد عمم شارلمان حيث بدأت طلائع نهضة عرفت باسم « النهضة الكارولنجية (٢) » شملت الناحية

(١) راجع Eyre. European civilization vol 3. p. 327

(٢) راجع Cam. med. hist. vol 5. p. 765

الثقافية إضافةً إلى النواحي الأخرى . فقد عمم شارلمان المدارس والمكتبات ، وأحيا الدراسات الدينية والدنيوية والمخطوطات القديمة . وانتشر الطب العربي في عهده كذلك ، فقد ذهب آنذاك إلى أوربة بعض اليهود الذين تعلموا في المدارس العربية ودرسوا « الطب العربي » فانتخب شارلمان منهم رجلاً يقال له اسحق وأرسله إلى الرشيد مصحوباً ببعض الهدايا ؛ وبعد أربع سنين عاد اسحق مع ثلاثة من رجال الرشيد ومعهم[1] الهدايا ، ومنذ ذلك الحين بدأت أوربة تستنير بالثقافة العربية في شتى المجالات وخاصةً الطب . وفي عهد شارلمان برزت مدارس الأديرة بتشجيعه ومعاونة رجال الدين فأصبح لكل دير مدرستان إحداهما لأهل الدير من رجال الكهنوت والأخرى لأهالي المدينة وما يجاورها . ثم ساد أوربة الظلام ثانيةً بعد موت شارلمان عام ٨١٤ م واستمر حتى نهاية القرن العاشر تقريباً . وفي هذه الفترة قامت الأديرة « البندكتية » بعملية نشر الثقافة والتعليم فسمي هذا العصر « العصر البندكتي » . وفي أحد هذه الأديرة ترجم قسطنطين الافريقي كتب الطب العربي إلى اللاتينية كما سنرى .

ثم جاء القرن الحادي عشر وتلاه القرن الثاني عشر اللذان يمثلان في حقيقة الأمر عصر ثورة شاملة في مرافق الحياة الأوربية وخاصةً من الناحية الثقافية والفكرية حيث اشتد الاتصال الفكري بين غرب أوربة والحضارة الإسلامية ، فتدفقت العلوم العربية وعلوم اليونان المترجمة إلى العربية على أوربة ، وأقبل الأوربيون بينهم على هذه العلوم الجديدة .

فاذا صح إطلاق تسمية « العصور المظلمة » على الشطر الأول من القرون الوسطى فان الشطر الأخير من تلك القرون أي ـ القرن الحادي عشر فصاعداً ـ

(١) « راجع تاريخ الدولة العباسية للخضري ص ١٢٣ » .

لا يصح أن تشمله تلك التسمية ، لأنه بداية عصر النور والنهضة . هذا وقد رأى بعض الكتاب أن يطلقوا اسم العصور الوسطى على المدة الواقعة بين القرنين الحادي عشر (٣) والخامس عشر للميلاد .

نشوء الجامعات في الغرب

رأينا كيف اتسع نطاق المعرفة في أوربة وكيف اشتد الإقبال على العلم منذ القرن الحادي عشر بحيث لم تعد المدارس القديمة تفي بالغرض من نشر الثقافة الواسعة وبث الروح العلمية الجديدة . لذلك تجمعت العوامل التي تدعو إلى مولد الجامعات . فولدت بعض الجامعات التي ما لبثت أن نمت وازدهرت ونضجت ثمارها فنشرت علومها ومعارفها في بقاع أخرى فتأسست نتيجةً لذلك الجامعات الجديدة ، وهكذا استوقدت جامعات الغرب مصابيحها الواحدة من الأخرى في القرون الوسطى ، واستوقدت أقدم جامعة منها نورها ـ نسبة لعلوم الطب خاصةً ـ من نور العرب كما سنرى .

قلنا بأن أوربة شهدت مولد الجامعات وذلك في مستهل القرن الثالث عشر ، إلا أن لفظ جامعة (Universitas) الذي انتشر في القرون الوسطى لم يكن ليدل على ما نعرف الآن لهذا اللفظ من مدلول : فكان يدل في العصر الوسيط على « النقابة » أو « الرابطة » ؛ وقد أطلق على نقابات العمال وغيرها من نقابات . ثم تطور مدلول اللفظ في القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر حتى أصبح يدل على اتحادات المشتغلين بالعلم والتعليم من الطلاب والأساتذة . وأطلق في القرون الوسطى على ما نسميه اليوم باسم جامعة « المدرسة العامة »

---

(١) راجع Haskins (the renaissance of the twilfth century) . p. 368

Studium generale بمعنى « المكان الذي يستقبل طلاب العلم » . وقد أصبح لفظ « مدرسة عامة » يعبر عن « الجامعة » في معناها الحديث شائعاً عند مستهل القرن الثالث عشر : ووجدت في هذه الفترة الزمنية ثلاثة مراكز علميـــة واسعة في أوربة . الأولى كانت في باريس واشتهرت باللاهوت والآداب . والثانية في بولونيا بايطاليا واشتهرت بالقانون ، والثالثة في سالرنو واشتهرت (٦) بالطب .

والذي يعنينا من هذه الجامعات الثلاث « باريس ، بولونيا ، سالرنو » إنما هي جامعة سالرنو .

يتبع : (الموصل) الدكتور فيصل دبدوب



(١) راجع Rashdal Vol, 1. p. 7

طرر على معجم الأدباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

— ٣ —

(المجلد الأول)

٢٠٦ : ٩ خالفها في بيت نُوْب وقد خرّجنا الكلمة السمط ٩٩ ، (٣ : ١٩٨ / ١٠) .

٢٠٦ : ١١ الصواب من الرسائل : (فاذا كان صائماً أفطر على شيء) . (٣ : ١٩٨ / ١٢) .

٢٠٧ : ح (١) حُكَّتها .

٢٠٧ : ١٦ البيت لصالح بن عبد القدوس السمط ١٠٥ ، (٣ : ٢٠١ / ٤)

٢٠٧ : ١٨ الصواب : يُضيف أولاد ، الرسائل ، (٣ : ٢٠١ / ٧) .

٢٠٨ : ٨ ثعلبة بن صُعير المازني وكلمته مفضلية رقم ٢٤ ص ٢٦٢ . هِتر هاتر الكلام القبيح ، (٣ : ٢٠٨ / ٩) .

٢٠٨ : ١٠ الصواب : لُدٍّ ظأرتُهمُ على . ظأرتهم عطفتهم . (٣ : ٢٠٢ / ٥) .

٢٠٨ : ١٥ الرسائل : متناكر مؤثر . . . . جاءه . . . . عنه باسترسال . وهو الصواب ، (٣ : ٢٠٣ / ١) .

٢٠٩ : ١ الرسائل : أخذا منه للدنيا ، (٢ : ٢٠٣ / ٦) .

٢٠٩ : ٤ الصواب : أو صادفت نهلا أو علاًّ منها، (٣ : ٢٠٣ / ١١) .
٢٠٩ : ١١ الرسائل : ينبعث لأن يعلم أن هذه الخ ، (٣ : ٢٠٤ / ٧) .
٢٠٩ : ١٥ الصواب : وفي أمره متبلبلين كما في الرسائل ، (٣: ٢٠٤/ ١٣) .
٢٠٩ : ١٩ الصواب : من التقيّة ، (٣ : ٢٠٥ / ٣) .
٢١٠ : ٣ الرسائل : كل ناطق وناطق من ذروة جبل من العلم ، (٣ : ٢٠٥ / ٨) .
٢١٠ : ٧ الرسائل : من صغير وهو الصواب .
٢١٠ : ١٢ الصواب : من وعثاء السفر . الرسائل (٣ : ٢٠٦ / ٥) .
٢١١ : ١٧ الرسائل : الذين ذكرتهم هربت إليك وتطاوحت عليك ، (٣ : ٢٠٧ / ١) .
٢١٣ : ٥ النُّصْبة العمود ، (٣ : ٢١٠ / ١٥) .
٢١٣ : ١١ الصواب : أن يشغل سِرَّه ، (٣ : ٢١١ / ١٠) .
٢١٤ : ٣ الصواب : (فما كانت إلاّ شُحّاً بالمعاني) الرسائل .
٢١٤ : ٤ الصواب : بمصنَّفاته . الرسائل ، ٣ : ٢١٢ / ١٣ .
٢١٤ : ١٨ الصواب : بَرْداً وطولا .
٢١٥ : ١ نقل القفطي هذا الخبر في إنباء الرواة له قال والنسخة كانت بخط ابن وداع [صاحب ثعلب] وهذه الطبعة من الديوان برواية ثعلب ، (٣ : ٢١٤ / ٧) .
٢١٥ : ٢ الصواب : في سنة ٨٩ كما في الإنباء ، (٣ : ٢١٤ / ٨) .
٢١٥ : ١٨ سياقة أبي غالب تساوق سياقة المعري نفسه في اللزوم ١: ٢٨٩ (كتابي ٢٤٠) :

أنت جامع يوم العروبة جامعا تقصّ على الشهّاد بالمصر أمرها

الخ (٣ : ٢١٦ / ٣) .

٢١٦ : ١ الماخور (معرب مَيْخُورْ شارب الخمر فارسيّة) مجمع الفسّاق والعربدين .

٢١٦ : ١٩ لعله غَزْوان ، (٣ : ٢١٨ / ٤)

٢١٧ : ١ الصواب : من الطلبة بشَنْتَمَرِيَّة ، (٣ : ٢١٨ / ٥) .

٢١٧ : ٢ الصواب : لعمرو به . وعمرو بن عثمان : سيبويه ، (٣ : ٢١٨ / ٦) .

٢١٧ : ١٢ له ترجمة في البغية ١٤٠ .

٢١٨ : ١ انظر مطمح الأنفس الجوائب ١٦ النفح مصر ١ : ١٧٧ ، (٣ : ٢٢٠ / ٧) .

٢١٨ : ١١ أبو محمد . هو ابن حزم في رسالته في مفاخر الأندلسيين (النفح مصر ٢ : ١٣٥) وفيه : (يكاد ينطق بلسان الخ) ، (٣ : ٢٢٢ / ٦و٤)

٢١٨ : الصواب : يُنَهْنِهُنِي .

٢١٩ : ٢ البيتان في المطمح وفيه كُلِفْتُ بالحُبّ ، (٣ : ٢٢٣/٤) .

٢١٩ : ٩ النفه . لعله الثقة ، (٣ : ٢٢٥ / ٣) .

٢٢٠ : ٦ الخطيب رقم ٢٠٠٩ ، (٣ : ٢٢٦ / ١) .

٢٢٠ : ١٠ الصواب : جزيت وفائي ، (٣ : ٢٢٦ / ٧) .

٢٢٠ : ١٥ الطوال كالغراب محمد بن أحمد صاحب الكسائي توفي سنة ٢٤٣ هـ ، (٣ : ٢٢٩ / ٢) .

٢٢١ : ٤ ترجمة الخطيب ١٩٩٩ وتهذيب التهذيب ج ١ رقم ١٠٣ ، (٣ : ٢٢٨ / ١) .

٢٢١ : ١٢ هذا المجلس رأيته في مجالس أبي مسلم نسختي الدار وكوپرولو

ونسختي ص ٣٣ عن الأدباء في الأشباه ٣ : ٢٣٥ وفيها (ارتفع بال باغا) وهو الصواب ، (٣ : ٢٢٨ / ١٣) .

٢٢٢ : ٤ الصواب : ما لا ولم ، (٣ : ٢٢٩ / ١٤) .

٢٢٣ : ١٧ الخطيب رقم ١٩٨٣ لسان الميزان ج ١ رقم ٦٨١ ، (٣ : ٢٣٢ / ١٢) .

٢٢٥ : ح ١ ليس عند الخطيب غير البيتين الاولين .

٢٢٥ : ٧ ديوانه ١ : ٢٢٥ وهي الطبعة التي كنى عنها المصحح بقوله (طبعت ولم تنشر) .

٢٢٦ : ١٧ الصواب : من الإقتار ، (٣ : ٢٣٩ / ٥) .

٢٢٧ : ١ الأبيات لا تتزن كما ترى .

٢٢٧ : ١٧ الصواب : عبد الله بن معاوية الجعفري . لا غير . ذيل اللآلي ٥٥ ، (٣ : ٢٤٠ / ١٥) .

٢٢٧ : ١٨ الصواب : أبو عبد الله ، (٣ : ٢٤١ / ١) .

٢٢٨ : ٤ الصواب : أنت تَفَضَّلُ (٣ : ٢٤١ / ٩) .

٢٢٨ : ١٢ الصواب : والفضل الغزير .

٢٢٨ : ١٨ تاريخ دمشق . لا يوجد في هذا المختار المطبوع منه ، (٣ : ٢٤٣ / ٢) .

٢٢٩ : ٣ لعل الصواب : عبد الله بن الجَبّان لصانع الجُبُنّ ، (٣ : ٢٤٣ / ٩) .

٢٣٢ : ١٤ كذا (في تلك إلى الفضائل من كل (ولا يخلو من خلل ، (٣ : ٢٥١ / ٢) .

٢٣٣ : ١٦ الصواب : فاغدوا .

٢٣٣ : ١٧ ترجم له الخطيب ٢١٢٥ قال وتوفي سنة ٤٠٥ ﻫ والنزهة ٢٣٣ وكناه أبا الحسين ولعله تصحيف قال وتوفي سنة ٤٥٠ في خلافة القائم وفي المنتظم ج ٧ رقم ٤١٢ ، (٣ : ٢٥٤ / ٥) .

٢٣٥ : ١١ البيت في العيون الدار ١ : ٨٧ (٣ : ٢٥٧ / ٩) .

٢٣٦ : ٢ البيت لأبي خراش الهذلي وانظر السمط ٨٧ و ٦٠١ ، (٣ : ٢٥٨ /٧) .

٢٣٦ : ١٢ الصواب : لا يرقا له .

٢٣٦ : ١٦ الصواب : عن ساكني الدار ، (٣ : ٢٥٩ / ١٤) .

٢٣٧ : ١ الصواب : بالحبل منكم ، (٣ : ٢٦٠ / ٧) .

٢٤١ : ١ الصواب : الصبائي .

٢٤١ : ١١ أبو القاسم هو ابن عساكر ١ : ٤١٠ ، (٣ : ٢٧٠ / ٧) .

٢٤٤ : ١٦ لعل الصواب يباهي ، (٤ : ١١ / ٦) .

٢٤٤ : ١٧ الصواب : أغرّ له .

٢٤٤ : ١٩ الصواب : في الإفراج عما .

٢٤٥ : ٣ الصواب : مَنْ جُنَّ من حُبِّكم .

٢٤٥ : ٥ فيه إلى أبي سعيد الصوفي شيخ الشيوخ ، (٤ : ١٧ / ٢) .

٢٤٧ : ٦ ابن عساكر ١ : ٣٩٨ . وطُرثيث أو طُرَيْثيث قرية في رستاق نيسابور وهي في الأصل طُرشيز والطُرثيثي هذا هو أبو بكر أحمد ابن علي المسند الصوفي ويقال له ابن زهراء أيضاً فلا منافاة بين مافي الوفيات وبين ما هنا وله ترجمة في الشافعية ٣ : ١٦ ، (٤ : ١٧ / ٣) .

٢٤٨ : ١٨ الأسماء المبهمة منه نسخة سنة ٥٨٦ بالكتبخانة السعيدية بحيدر آباد وأخرى بالفيضيّة استنبول سنة ٥٧٦ ﻫ في ٢٠٢ ق برقم ٤٩٧ . ومن المتفق والمفترق العاشر في الفيضية ١٥١٥ في ١٨٣ ق (٤ : ٢٠ / ١٠) .

٢٤٩ : ١٠ الصواب : نُعيم بن حمّاد ، (٤ : ٢١ / ٢) .

٢٥٠ : ٩ المنتظم ٨ : ٢٦٧ وفيه ب ٣ يوماً قيادي وهو الصواب ، (٤ : ٢٣ / ٣) .

٢٥١ : ٢ الأصل يشوي باغيَه أي طالبه والمعنى واللفظ من المتنبي :

أطلب العزّ في لظى وذر الذُ لّ ولو كان في جنان الخلود

(٤ : ٢٥ / ١) .

٤٥٢ : ٤ الصواب رأيي .

٤٥٢ : ٨ قوله يعزها . لعله والله أعلم يغيّرهـا يخرجها للناس بل الأقرب يُعيْرها من العاريّه ، (٤ : ٢٧ / ٨) .

٢٥٥ : ١٥ طبقات الشافعية ٣ : ١٣ في ترجمته :

يراها إذ رواها من حواهـا رياضـاً للفتى اليقظ اللبيب

(٤ : ٣٤ / ١) .

٢٥٩ : ٨ الصواب : من غاوٍ كابن عساكر .

٢٥٩ : ٩ الصواب : مخلصاً كابن عساكر .

٢٥٩ : ١٠ الصواب : وقام في الناس ، (٤ : ٤٣ / ١١) .

٢٦٠ : ٨ ترجمنا لابراهيم الصولي بأول ديوانه (في الطرائف الأدبية مصر سنة ١٩٣٧ م) ، (١ : ١٦٤ / ٩) .

٢٦٢ : ١٣ الصواب : ولّج .

٢٦٤ : ١٤ الصواب : أن يَلْتقَوْه كما في الأغاني ، (١ : ١٧٣ / ٨) .

٢٦٥ : ٤ الصواب : أفرّق ، (١ : ١٧٤ / ٦) .

٢٦٦ : ١٨ مُذْ لَدُ . لغة في لَدُنْ ، (١ : ١٧٧ / ١٢) .

٢٦٨ : ٦ الديوان رقم ٩٢ فمن دونهـا ... ومن دونها . المرتضى ٢ : ١٦١ كما هنا ، (١ : ١٨٠ / ٦) .

(يتبع) عبد العزيز الميمني

أغلاط المنجد

-٣-

وفي ص ٣٦٦ يقول « غانم أبو سمرا ولد في بطاسين ، جندي لبناني خدم في جيش الأمير بشير الشهابي » . ورأيتني أفكر ملياً لأدرك الحكمة من ذكره من غير أن يذكر له ميزة أو ينسب إليه حادثة ما على حين نراه أغفل ذكر الكثيرين من الأعلام الفحول .

وفي ص ٣٧١ يقول عند ذكر غطفان « اسم قبيلتي جزام وقيس عيلان ، قاتلوا محمداً في قرقرة القعر ثم في وقعة الخندق . . الخ

وفي هذا النص العجب العجاب من الأخطاء والتلفيق . وتفنيد ذلك ، أن غطفان قبيلة مستقلة باسمها وهي حي من قيس عيلان . وقد انتسب لقيس عدة قبائل ، وهي عدنانية ، وأما جـذام « بضم الجيم ثم ذال » لا جزام بالزاي ، فهي من اليمن أي قحطانية . وتزعم نسابة مضر أنهم من معد . وأما قوله قرقرة القعر فليس في ما بين أيدي الناس من مصادر موثوقة أو ضعيفة تقول ذلك إلا في هذه الرواية المفتراة ، فقد تُعمِّد مسخ الكدر وبدلت بالقعر ، والكدر غزوة معروفة من غزوات النبي ﷺ ، فقد بلغه بعد غزوة بدر الكبرى ، اجتماع سُلَيْم وغَطَفان ، فلم يقم في المدينة إلا سبع ليال ، وخرج أول شوال من السنة الثانية للهجرة يريدهم فبلغ ماءً من مياههم يقال له الكُدْر « بضم الكاف وسكون الراء » وأقام بديارهم في نجـد نحو شهر ولم يلق كيداً ، وفي حديث عمر ، كنت زميله في غزوة قِرقرة الكدر ، وتسمى كذلك غزة ذي أمَر « بفتح أوله وثانية » .

وفي ص ٣٦١ يقول « عنزي قبيلة منهم ينتمون الى خزاعة ومنهم إلى غسان يقيمون صيفهم في صحراء سوريا » أولاً قوله عنزي خطأ والصواب عنزة ثم قوله سوريا خطأ والصواب سورية ، ويبقى قوله ينتمون إلى خزاعة خطأ فاحش وذلك أن خزاعة من الأزد ، وسميت خزاعة لأنهم لما ساروا مع قومهم من مأرب فانتهوا إلى مكة تخزعوا عنهم أي تخلفوا في مسيرهم ، وسار الآخرون إلى الشام ، وأما غسان فهم كذلك من الأزد تعاقدوا مع بعض أهلهم على ماء يسمى « غسان » فتسموا به وكلتا القبيلتين ، خزاعة وغسان ، قحطانية يمانية ، ولا قرابة بينها وبين عنزة ، وأما عنزة فهو أبو حي من ربيعة ، وهو عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وهي قبيلة عدنانية ، ولا اختلاف في هذين النسبين .

والقبائل التي تنسب إلى عنزة اليوم في سورية ، هم الروالة ، والبطينات والحسنة والفدعان والخرصة والأسبعة والعمارات .

وفي ص ٣٨٣ عند ذكر فدك ، قال « كان سكانها من اليهود ، أرسل النبي علياً لمحاربتهم ، تحريف وتشويه ، وذلك أن أمر فدك هو غزوة خيبر ذاتها ، « راجع التصويب في الرقم ١٨٣ » وقد بلغ يهود فَدَكَ ما وقع بأهل خيبر فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك فقدمت عليه رسلهم بخيبر ، وقيل بالطريق ، وقيل بعدما قدم المدينة ، فقبل ذلك منهم ، فكانت فدك لرسول الله خالصة ، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب .

وفي ص ٣٩٤ عند ذكر فوقا يقول « الملسوعون بالحيات يزورون كنيسته في انطاكيا فيشفون » . وفي هذا البيان عدة أخطاء أولاً ، اللسع لما ضرب بمؤخره ، واللدغ لما كان بالفم ، وعند ذكره كليوبترة في الصفحة ٤٢٠ قال عرضت نفسها للذعة حية ، كذلك خطأ والصواب للدغة حية ، واللذع حرقة النار وقيل مسُّ النار وحدّتها وقوله انطاكيا خطأ والصواب انطاكية .

وفي ص ٤١٥ عند ذكر قريعزان فاطمة قال « شيخة الخانقتين العادلية والزجاجية انتهت إليها رئاسة أهل زمانها بحلب » . وما نعلم مدرسة بحلب أو بغيرها تسمى خانقة ، والصحيح خانقاه ، وكان الصواب أن يقول الخانقاهين ، والخانقاه تعني مكاناً أو مقراً ينقطع فيه أهله للعبادة والدرس ، وقد نقلها مؤلف المنجد عن أعلام الزركلي الذي أثبتها خطأ .

ومما يوجب الأسف أنَّا نجد مؤلف المنجد استعان بنقل الكثير الكثير من أعلام الزركلي ، ولا ينوه بذكره أو بكتابه الأعلام ، مثلما نقل في قسم اللغة الكثير الكثير من معجم الألفاظ الزراعية دون ذكر مؤلفه الأمير مصطفى الشهابي .

وفي ص ٤٣٩ يقول ، « الكعكة بن عمرو بن مالك التميمي من مشاهير قواد العرب . . . الخ وأسهرني التفتيش عن هذا العَلَم ، وفطنت بعد ذلك إلى البحث في الموسوعة الفرنجية . وإذا بي اجتمع إليه فيها وهو el kaka وإذا بسقم الترجمة مسخ القعقاع فكعَّكه المترجم وجعله الكعكة !!

وفي ص ٤٤٣ عند ذكر كليبر ، قال قتله أمين الحلبي ، خطأ والصواب ، سليمان الحلبي ابن محمد أمين .

وفي ص ٤٦٦ يقول ، « أبو لؤلؤة المجوسي من أهل نهاوند كان نقاشاً نجاراً حداداً شكا إلى عمر ثقل الخراج فنقم عليه الخليفة فقتله أبو لؤلؤة في المسجد ثم انتحر » . وفي هذا النص كثير من التجني على الحقيقة التاريخية ، فأبو لؤلؤة هذا ما كان مجوسياً بل كان نصرانياً ، وذلك برواية أوثق المؤرخين الطبري ج ٥ ص ١٣ . وقوله نقم عليه الخليفة ، وما نعلم مصدراً أو مرجعاً من المراجع التاريخية قال بهذا الافتراء . ولماذا ينقم الخليفة عليه وقد كان بوسعه أن يشفي نفسه منه بكلمة أو بإشارة حين تهدده أبو لؤلؤة

علناً بقوله : لأعملن لك رحى يتحدث بهـا من في الشرق والغرب ، أو هل ينقم عمر وهو بعد أن أُدخل داره وهو ينزف وجعل الناس يدخلون عليه أفواجاً فيسألهم أعن ملأٍ منهم كان هذا ؟ فيقولون معاذ الله فيحمد الله على ذلك . لقد حيكت مؤامرة اغتيال عمر رضي الله عنه بتدبير كعب الأحبار اليهودي وأبي لؤلؤة وجفينة الأنباري النصرانيين والهرمزان المجوسي، لقد كان من واجب مؤلف المنجد أن يرجع إلى الطبري ، أو إلى تاريخ الخلفاء الراشدين للأستاذ عبد الوهاب النجار من المؤرخين الثقـاة ، وقد عالج موضوع مقتل عمر بإسهاب ..

وفي ص ٤٧٥ يقول « يحيى بن مبارك بن المعرة المقري العدوي اليزيدي » ، وبهذا البيان عدة أخطاء أولها الاسم وهو يحيى بن المبارك ويكنى أبا محمد ، ثم ابن المعرة خطأ والصواب المغيرة ، ثم المقري بفتح الميم خطـأ ، وهذا يعني المقروء أي ما قُرِيَ والصواب بضم الميم ، ثم العدوي بفتح العين وسكون الدال خطأ والصواب بفتحها .

وفي ص ٤٩١ عند ذكر المرار بن سعيد قال « شاعر الدولة الأموية وكان لصاً » . وقد بحثنا عن ذلك في أغلب المظان فلم نقع على شيء مما رواه ، اللهم إلا أنه كان لصاً وكان شاعراً ولكنه لم يتصل بأحد من الأمويين . وقد ترجمه صاحب الأغاني ، وهو أموي صليبة ، فقال في ج ٩ ص ١٥١ من الأغاني : إنه من مخضرمي الدولتين . وقيل لم يدرك الدولة العباسية . ولقد يحار المرء كيف يقدم مؤلف كتـاب ، أي كتاب ، على وضع رواية مثل هذه فيهب لصاً لقب شاعر الدولة الأموية وقد حفل عصرها بفحول الشعراء كالفرزدق وجرير والأخطل والراعي و . . . الخ

وفي ص ٤٩٢ يقول « مرواس بن ودية ، خطآن والصواب مرداس ابن ادية ، وهو أول من نادى يوم صفين لا حكم إلا الله وانسحب مع أخيه .

وفي ص ٥٠٧ عند ذكر المقتدر بالله يقول ، « قرمط البحرين نقلوا الى الحسا الحجرة السوداء في الكعبة » . فقوله قرمط خطأ والصواب القرامطة أو قرامطة البحرين . وقوله الحسا خطأ والصواب الأحساء . وقوله الحجرة السوداء خطأ والصواب الحجر الأسود أو الأسعد .

وفي ص ٥٥٤ يقول « هِنانو » بكسر أوله ، خطأ والصواب بفتحها ، ثم يقول « من زعماء الحركة الوطنية السورية توفي في حلب ١٩٣٥ ودفن بالقرب من قبر المجاهد المجهول » . وفي هذا النص تجن على حقيقة الواقع ، وذلك ان المدفن قد انشيء خصيصاً لإبراهيم هنانو ، وقد دفن إلى جانبه سعد الله الجابري ، وأما قبر المجاهد المجهول فلا يزال ينتظر من يحل به من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

هذا إلى أن المؤلف أغفل ذكر الثورة التي أعلنها وقادها إبراهيم هنانو بينما نجده في الصفحة ١٢١ عند ذكر الثورات يقول ، ثورة الميظرة وهي قرية في لبنان وثورة مكاريوس شاهين ، ثم لا يذكر ثورة سورية الكبرى ولا ثورات العراق وفلسطين ، ولا يأتي كذلك على ذكر ثورة الريف والأمير عبد الكريم الخطابي ولا عمر المختار بثورته بوجه الطليان وغيرها من الثورات التي قامت في وجه المستعمرين والتي هلك بسبيل التحرر فيها آلاف مؤلفة من العرب ...

وفي ص ٥٨٦ يقول عند ذكر كاظم محمد « عالمجير نامه » ، خطأ والصواب عالمكير وتلفظ الكاف هنا فارسية . وقد وقعت أغلاط كثيرة في ضبط بعض الأعلام الفارسية والتركية مثل قوله جوق ألب وحقها أن تكتب كوك geuk ومعناها السماء وألب معناها القوي أو القوة . ومثل قوله غلبدن بيغُم ، وحقها أن تكتب كول « gul » بدله ، ومعناها الجسم الوردي ، ثم بيغم بضم الغين خطأ والصواب بفتحها ومعناها من يأتيه الخبر من الغيب ، أي الموحى إليه .

ومثل كجحي وحقها أن تكتب كچهچي الجيم الأولى فارسية بثلاث نقاط « tch » ولا يجوز الوصل بين الجيمين ، ومعناها الابادي وما إلى ذلك من الأعلام الكثيرة التي أضاع سقم الترجمة معناها .

وختاماً لهذه الدفعة ، من التنبيه والتصحيح وددت أن يطلع القارئ على المسخ والتشويه الذي نشأ عن سوء الترجمة والنقل مما أورده المؤلف في بعض الخرائط الجغرافية من الأعلام ولا سيما خريطة جزيرة العرب في ص ٣٤٤ :

قال سباع ، خطأ والصواب السبعة أو الأسبعة بكسر الهمزة . (قبيلة)

وقال عنزي ، خطأ والصواب عنزة .

وقال رويلة ، خطأ والصواب رُوَلَهْ أو اروالا .

وقال حتيم ، خطأ والصواب هيتم .

وقال حوشبي ، خطأ والصواب حواشب أو الحواشب .

وقال عولقي ، خطأ والصواب عوالق أو العوالق .

وقال أهل مرة ، خطأ والصواب آل مرة .

وقال حمدان ، خطأ والصواب همدان بسكون الميم قبيلة يمانية .

وقال الديلم ، خطأ والصواب الدُلَيْم ، على التصغير .

وقال أبو طبي ، خطأ والصواب أبو ظبي بالظاء المعجمة .

وقال بوشهر ، خطأ والصواب بوشير .

وقال الصبية ، خطأ والصواب صبية .

وقال منـاح ، خطأ والصواب مناح .

وقال سحار ، خطأ والصواب صحار بفتح أوله .

وقال شيام ، خطأ والصواب شبام بفتح أوله .

وقال تربة ، خطأ والصواب طربة .

وقال جبل سمر ، خطأ والصواب جبل شمر بفتح أوله وثانيه المضعف .

وفي خريطة العراق :

يقول هور الحمار ، خطأ والصواب خور بفتح ثم سكون وهكذا جميع الخورانات أو الخوارين الواردة في الخريطة . والخور مثل الغور : المنخفض المطمئن من الأرض بين النشزتين .

وقال الرمادية ، خطأ والصواب الرمادي .

وقال في خريطة سورية : عين ديدار ، خطأ والصواب عين ديوار .

وقال القامشلية ، خطأ والصواب القامشلي .

وقال نهر بليخ ، خطأ والصواب البليخ .

وقال نهر ساجور ، خطأ والصواب الساجور .

وقال بحيرة عموق ، خطأ والصواب العمق بسكون الميم .

وقال الشهباء ، خطأ والصواب شهبا بلا تعريف ولا مد ، وهي غير حلب الشهباء بل هي بلدة في حوران .

منير العماري

❋❋❋

التعريف والنقد

رسوم دار الخلافة

ألفه أبو الحسين هلال ابن المحسن الصابئ

وعني الأستاذ ميخائيل عواد بتحقيقه والتعليق عليه ونشره

جمع هذا الكتاب ، كل ما يتعلق بدار الخلافة ، من آداب الخدمة ، وقوانين الحجابة ، ومسايرة الخلفـــاء ، في مواكبهم ومجالسهم وملابسهم ومكاتباتهم وألقابهم ، وسائر عاداتهم وحالاتهم .

ومن رجع إلى هذا الكتاب ، رأى فيه صورة صادقة للعهد العباسي ، من حضارة رائعة ، إلى آداب اجتماعية ، وتقاليد مرعية ، كان يعد الخروج عنها والمخالفة لها ، خفة وسوء أدب ، قد يجرّان إلى معاقبة بالطرد من المجالس أحياناً ، وبالضرب والسجن أحياناً أخرى .

فمن تلك الآداب والعادات . أنه :

« ليس للوزير ، ولا حاضر في مجلس أمير المؤمنين ، أن يذكر شيئاً إلا ما يُسأل عنه . أو يورد قولاً في أخبار أو مطالعة إلا ما استأذن فيه . وسبيله أن يخفض صوته في حديثه ومحاورته ، ولا يرفعه إلا بمقدار السماع الذي لا يحتاج معه إلى استفهام أو استعادة . . . »

ومن ذلك :

« أن يقل الالتفات إلى جانبيه وورائه ، والتحريك ليده أو شيء من أعضائه . أو رفع رجل للاستراحة عند إعيائه . وأن يغض طرفه عن

كل مرأى إلا شخص الخليفة وحده ... وأن لا يُسارَّ أحداً في مجلسه ولا يشير إليه بيده ولا عينيه . ولا يقرأ رقعة ولا كتاباً يُوصلان إليه بين يديه ، إلا ما احتاج إلى قراءته عليه . وأن يجعل وقوفه في موضع رتبته ، اللهم إلا أن يدعوه الخليفة إلى سر ... وإذا خرج جعل خروجه تراجعاً إلى ورائه لئلا يوليه ظهره ... » .

إلى كثير من هذه الآداب ، التي عرفنا كثيراً منها في مطلع هذا القرن ، وفي مجالس كبراء ، هم دون الخلفاء بمراحل ، ولكنها كانت آدابنا في ذلك العصر .

ومن ذلك : ما حدث به جعفر ابن ورقاء الشيباني . قال :

«كنت في أيام المعتضد ، مع نظرائي من أولاد الأمراء والقواد ، مرسومين في المقام في الدار ... وكنا نجتمع في حجرة نستريح فيها بعد انقضاء الخدمة ، وانصراف الموكب . فننزع خِفافنا ونضع عمائمنا عن رؤوسنا ، ونلعب بالشطرنج والنَرد . فاطلع علينا أحد أصحاب الأخبار في الدار . فكتب بخبرنا إلى المعتضد بالله ـ ونحن لا نعلم ـ فلم يبعد أن خرج خادم صغير السن ، من خواص الخدم ، وفي يده الفصل المرفوع في أمرنا ، وعلى ظهره توقيع بخط المعتضد حكايته « يستصفحون وما لهم من صافح » فسلمه إلى خفيف الحاجب . وصنع الله لي أن لم يكن ذلك في يوم نوبتي . فحين وقف على الفصل والتوقيع ، انزعج ، ونهض . واستدعى من كان في النوبة ، فضرب كل واحد منهم عدة مقارع . فما رؤي بعد ذلك إلاَّ لازمٌ للتوفر على الخدمة ، متجنِّبٌ للتبذل .

ومن هذا :

« أن محمد بن عمر بن يحيى العلوي ، دخل دار المطيع في جماعة من رجال الدولة وكلهم بالسواد ، سوى محمد ، فإنه كان ببياض . فخرج إليهم

مؤنس الحاجب وقال لمحمد ـ : ليس هذا اللباس ـ أيها الشريف ـ لباس الدار ! ولا حضورك حضور من يريد الوصول .

قال محمد : كأنك أنكرت البياض ؟؟ .

قال : نعم !

قال : هذا زيي وزي آبائي .

قال : والأمر على هذا ، ولا رأيت أحداً من أسلافك دخل هذه الدار إلا بالسواد . ولقد حضر عمر بن يحيى : أبوك عندك في أيام المطيع لله ... وهو بسواد أسود .

قال : ما معنى سواد أسود ؟

قال : سواد مصبوغ . وانني لأذكره ، وقد عرق ، والسواد يجري على جبينه وهو يمسحه .

قال محمد بن عمر : فما الذي تريده أيها الحاجب ؟

قال : أن تغير هذه اللبسة ، وتفعل ما جرت به العادة !

قال : أو أنصرف ؟

قال : الاختيار إليك .

وقام محمد بن عمر ونزل إلى زبزبه وانصرف إلى داره . »[1] .

وأسوأ من هذا وأوجع منه :

« أن دخل ابن أبي الشوارب القاضي ـ وكان من جلة القضاة ـ وممن يرجع بنسبه إلى بني أمية ـ دارَ المطيع ، بخف أحمر ـ والأحمر كان لباس الخليفة ، والخوارج عن الطاعة ـ ورآه الشرابي الحاجب . فقال له : تأتي خليفة آبائك في العنـــاد والمباينة ؟ يا غلام ! أنزع خفه وأعْلُ به

(١) وهذا شبيه بما يلبسه الناس في أيامنا هذه في الحفلات الرسمية من الدنيّات (البرانيط) الطويلات ، والسترات المسترسلات . ممـا كان يدعو إلى الضحك والهزء ، لو لم تكن العادة والأصول . .

رأسه ... وعرف المطيع لله ذلك فلم ينكره . وانصرف ابن أبي الشوارب إلى داره ، فاحتجب فيها ولم يخرج منها حياءً وكمداً . وكانت وفاته عقب هذه القصة . » .

هذه لمحات وجيزة من « رسوم دار الخلافة » وقد افتتح ناشر الكتاب الأستاذ العواد كتابه بكلمة في « الصابئة » : قوم المؤلف ، ثم بترجمته : مولده ونشأته . ثم إسلامه وذكر تصانيفه .

كما اختتم الكتاب بمجموعة من الفهارس : أسماء الأشخاص ، وأسماء الأمم والقبائل والجماعات والملل والنحل ففهرس للأمكنة والبقاع ، وآخر للحضارة والعمران ، وإذا كانت الفهارس تحيي الكتب فان هذا الفهرست العمراني الأخير ، فيه من الفوائد العلمية واللغوية والحضارية ما يوجب شكر الناشر وجميل الثناء عليه .

وبحسب الكتاب قيمة ومتعة : أنْ واضعه الصابئ ، وهو من هو علماً وأدباً . ومحققه وناشره الأستاذ العواد ، وهو من هو تدقيقاً وتحقيقاً .

ملاحظة :

وقد وقعت على بيتين لم يستقم وزنها :

الأول في الصفحة الـ ٢٧ من المقدمة :

لهفي عليك كريماً في عشيرته ممهداً جسمه ومن نعمه ترف

لعلها (في نعمة) فيستقيم الوزن والمعنى معاً .

والبيت الثاني في الصفحة الـ ٧٠ من الكتاب نفسه وهو :

فتى قريشٍ وفي البيت الرفيع بها واري الزناد ما أصلد الناس

والصواب « إذا ما أصلد الناس » بزيادة (إذا) وهو ظاهر أنه من غلط الطبع .

عارف النكدي

الوزراء والكتاب

نصوص ضائعة

جمعها الأستاذ ميخائيل عوّاد وعلّق عليها

وهذا كتاب آخر ، حققه الأستاذ عوّاد وأخرجه للعالم العربي كنزاً من كنوز العلم والأدب والتاريخ . والكتاب للجهشياري وقد سبق أن طبع طبعة ناقصة ، فعثر الأستاذ عواد على جملة حسنة من الأخبار جمعها من المصادر المخطوطة والمطبوعة ، فألحقها به ، وبذلك تم الكتاب وعمت الفائدة ،

وطبع هذا الكتاب كما طبع الكتاب السابق : « رسوم دار الخلافة » طبعاً حسناً على ورق صقيل . واحتوى هذا من الفهارس المفيدة ما احتواه ذاك .

فجزى الله الأستاذ عواد عن العلم والأدب خير جزاء .

(ع)

❋❋

الكاظمي في ذكراه الثلاثين

أهدى مكتبة المجمع الأستاذ الأديب المؤرخ السيد عبد الرحيم محمد علي عضو رابطة الأدب الحديث في القاهرة — مؤلفه « الكاظمي في ذكراه الثلاثين . وقد جاء في مقدمته أنه السلسلة الرابعة من تتبعاته عن شاعر العربية الأكبر أبي المكارم عبد المحسن رحمه الله تعالى .

نشأ شاعر العرب متصوفاً ديناً شديد الحيـاء ، بعيداً عن كلام الفحش والمجون ، وكان من أيام صبـاه ميالاً بطبعه إلى الشعر والأدب ، فحفظ الألوف الكثيرة من الشعر العربي والإسلامي ، ونظم الشعر الجيد ولم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ، ثم كان رجلاً لا كالرجال في الدفاع عن العروبة في جميع أقطارها وأمصارها ، والوقوف في وجه جميع الطاعنين والطامعين في أهلها من الشعوبيين والأعداء وأهل الأهواء ، وكفاه بذلك شرفاً وفخرا .

لم يكن اشتغال فقيد العرب العظيم في فنون الأدب ونظم الشعر لغرض دنيوي كطمع في مال أو جاه ، أو رغبة في خدمة الحكومة والترقي في مناصبها وإنما كان بباعث القلب والحب ، وبدافع الإيمان والوجدان ، وبالرغبة الملحّة في أن تكون أمتنا العربية من أقوى الأمم في المحافظة على عروبتهـا واستقلالها والدفاع عنها . وكان في طبعه وخلقه حلقة اتصال بين الجامدين والجاحدين ، ونقطة اعتدال بين الغالين والمقصرين ، وكان أبو المكارم يرتجل الشعر ارتجالاً في كل موضوع يريده أو يراد منه ، وقد تبلغ القصيدة الواحدة المرتجلة الخمسين بعد المائة ، وعلى وزن واحد وروي واحد ، وهو ما لم يؤته غير أفراد من رجال العصور ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشـاء ، والله ذو الفضل العظيم » .

كان رجلَ العروبة — بما وهبه الله تعالى من سلامة الذوق ، وقوة الاستعداد ، وتوقد الذهن ، وفقه النفس ، واستقلال الفكر ، والاقتناع بحاجة المسلمين إلى مجاراة الأمم الغربية ، في الفنون التي عليها مدار العمران ، والقوة في هذا الزمان ، مع المحافظة على أصول الإسلام وهديه وآدابه ، فلا عجب أن يكون شاعر العرب بكل هذه المزايا والخصائص ظاهر الحجة ، قويّ العارضة شديد المعارضة ، لا يبالي في سبيل الحق سطوة حاكم ، ولا يخاف في الله تعالى لومة لائم .

ومن شعره الدالّ دلالة واضحة على غيرته على بلاد العرب ، وانتصاره للإسلام والمسلمين ، قصيدته التي نظمها في اعتداء إيطاليا لما تعدت على طرابلس الغرب ، في عهد الدولة العثمانية ، وقصيدة ثانية في جرأة دول البلقان الصغرى على دولة الخلافة العظمى ، ولما انفصل العرب عن الترك أصبح الكاظمي شاعر العربية وأهلها حيثما حل وارتحل ، ففراراً من الاستبداد اضطُرّ إلى مغادرة موطنه (العراق) إلى الهند ثم إلى مصر حيث استقر به المقام ، وفي تلك البلاد الإسلامية العربية منها والعجمية ، وقف شاعرنا على معالم هذه الأمة في مختلف جهاتها ، وعرف منها الحق والباطل ، والخطأ والصواب ، فأخذ يوجه إليها النصح والتذكير ، بقصائده الطولى ، فكانت منبهاً لها من غفلتها ورقدتها ، وكانت من أقوى أسباب يقظتها وحركتها . اتصل في العراق برجل الحرية والنهضة الإسلامية السيد جمال الدين الأفغاني ، فألهب الأفغانيُّ أفكاره ومشاعره ، وكان من قبلُ متأثراً تأثراً بالغاً بأستاذه السيد إبراهيم الطباطبائي الذي صحبه في الكاظمية والنجف ، وروى عنه شعره الحضري بمعانيه ، البدوي بأسلوبه وقوافيه ، وصار مثله ينظم القصائد الطوال ، وزاد عليه بقوة البداهة والارتجال ، ثم عز عليه المقام في موطنه فهاجر إلى مصر كما قدمنا ، واتصل هنالك

بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، فقدّر الإمام أدبه وعطف عليه ، وعين له مرتباً شهرياً كان يصله إلى داره آخر كل شهر ، رحمه الله وجزاه خير الجزاء . وكان للكاظمي كبير اتصال بنائب الرئيس السابق لمجمعنا العلمي — بدمشق الشيخ عبد القادر المغربي ، أيام كان محرراً بجريدة المؤيد التي كان يرأسها الشيخ علي يوسف ، رحمهم الله تعالى .

توفي الفقيد الكبير الكاظمي رحمه الله (١٩٣٥) من بعد أن رزق من زوجته عائشة بنت الأديب المعروف السيد محمد التونسي بنين وبنات ، ولكن من بقي من أولاده هي بنته (رباب) ، فرباها تربية عالية ، وأدخلها المدارس فكانت طبيبة أسنان إخصائية .

محمد بهجة البيطار



سنن الترمذي

لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوره الترمذي (٢٠٩ — ٢٧٩ هـ)

أشرف على التعليق والطبع عزت عبيد الدعاس

لما رأى علماء المسلمين في الصدر الأول تأثير القرآن في جذب قلوب الناس إلى الإسلام ، وأن الإسلام لا يحفظ إلا به ، أجمعوا على حفظ اللغة العربية ودونوا الدواوين ووضعوا لها الفنون ، وإنما الحامل لهم على ذلك هو حفظ كتاب الله المنزل ، وفهمه والعمل به .

وإن كتب السنة الصحيحة ليست إلا مفسرة للقرآن الكريم ، مبينة له ، فهي تفصل مجمله ، وتوضح مشكله ، وهل يستطيع مسلم أن يفهم أركان الاسلام البدنية أو المالية كالصلاة والزكاة والصيام والحج على الوجه الصحيح من دون أن يدرس سنة الرسول ﷺ في العبادة ، وسيرته الخلقية والعملية «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر» الأحزاب الآية ١٢ «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهو» الحشر (٧) .

وهذا كتاب السنن لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذى هو أحد الكتب الستة المشهورة في علم السنة ، وهما صحيحا البخاري ومسلم ، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، والرسالة التى بين يدي الآن هي الجزء الأول من سنن الترمذي التي يطبعها أجزاء وتباعاً الأستاذ عزت عبيد الدعاس ، خريج الأزهر الشريف ، وقد جاء في مقدمته أنه ضم في مكتبته الكتب الخمسة وفتش عن سنن الترمذي فلم يجدها في المكاتب ، فقام جزاه الله خيراً بتجديد طبعه ليحصل عليه هو ومحبو السنة النبوية ، وذكر في المقدمة ما استفاده من الشروح المطبوعة لهذه السنن ومن غيرها ، ابتغاء ما علق على الأحاديث للوقوف على الأحكام المستنبطة من الحديث أو لمعرفة بعض رواته . وقد صدر الكتاب بترجمة للترمذي (٢٠٩ — ٢٧٩) ﻫ وهو تلميذ الإمام البخاري ، ذكر فيها أقوال العلماء والشراح في مزايا سننه وخصائصها ومنها قول ابن العربي في شرحه على الترمذي حلاوة مقطع ، ونفاسة منزع ، وعذوبة مشرع ... فالقارئ له لا يزال في رياض مونقة ، وعلوم متفقة متسمة ... وكتاب الترمذي ألفه صاحبه على أبواب الفقه وغيره ، واشتمل على الصحيح والحسن والضعيف ، مع بيان درجة كل حديث في موضعه ووجه الضعف ، وبين مذاهب العلماء في كل المسائل . وختم الطابع الأستاذ الدعاس مقدمته بإيراد ملاحظات مهمة في أقوال الترمذي ومصطلحاته ، وما قالها الشراح في تفسيرها .

وكم سرنا أن يعنى بهذه السنن أستاذ من خريجي الأزهر الشريف ومدرس في مدارس المعارف . وعندي في الختام كلمة نصح وتذكير لإخواني أساتذة المدارس الرسمية وغيرها على اختلاف درجاتها ، وهي أن تكون اللغة العربية فيها لغة محادثة وكتابة وخطابة .

(ب)

✻✻✻

عروبة المدن الاسلامية

هوذا كتاب بكر في موضوعه ، صافٍ في ينبوعه . أصيل في مصنوعه ومطبوعه . وارف في أفانينه ومجموعه . مشرق في مصروفه وممنوعه ، شامخ في مخفوضه ومرفوعه . بجيل في غريبه ومسموعه . طريف فذٌّ في تابعه ومتبوعه . عربي في حرفه وعقله وضلوعه . جليل في طلوعه وسطوعه . حفيل في بخوره وشموعه ، وآيات وجده وولوعه ، وتجويد فصوله وفروعه [1] .

انه كتاب (عروبة المدن الإسلامية) الذي قيّد أوابده ، وحقّق شوارده واستثنى روافده وانتخل شواهده العلامة الأستاذ ناجي معروف عميد كلية الآداب في جامعة بغداد ، وقد جاء فتحاً جديداً ناطقاً بفضل الحضارة العربية الباذخة التي خلفت تراثاً فكرياً رائعاً . كما أنشأت بما شيدته من المدائن تراثاً عمرانياً راسخاً جامعاً . يرد الطرف نشوان خاشعاً . ويجلجل في السمع مدوياً قارعا ، ويملأ التاريخ تياهاً ناصعاً ، ويسكب على مفرق الزمن عطراً ضائعاً . وينشر على الشعوب نوراً ساطعاً .

وآية هذا الكتاب الجليل في بحثه الفريد الأصيل ، أن صفحاته لاتزيد على ثمانين ، ولكن هذه الصفحات القليلة هي حصيدة ستة وثلاثين مؤلفاً تقع في أكثر من مئة وعشرين جزءاً وكان أمراً شديد العسر والعناء ، أن يغوص المؤلف على الدرر الفريدة في الدأماء ، وينتزعها من جوف الظلماء ، ويزفها تحفة تاريخية تهز خواطر الألباء ، وتثير الإعجاب والاطراء .

نعم ، وإنه لصعب أن تقع العين على جنة فسيحة الأرجاء ، سامقة الأغصان رفّافة الأفياء ، عبهرية الأنفاس والأنداء ، شهية الثمار سخية العطاء .

---

(١) للزميل الفاضل نظير زيتون عضو المجمع ولع بالسجع تفرد به . وقد أثبتنا كلماته تنويهاً بعلو منزلته في الأسجاع وخلافاً لخطة المجلة . (لجنة المجلة)

ترادفت فيها الفواكه بيضاء في حمراء . وصفراء في خضراء ، في طعوم ٍ وألوانٍ وبشاشةٍ واحتفاء ، نعم كان صعباً أن يخترف المؤلف أجودها في جنة التاريخ العربي الهدباء ، من ثمار حرّة أينعت برعاية المفكرين البصراء ، وعناية الجهابذة العلماء ، ويعتصرها دنًّا من الصهباء ، في فكر وضّاء . ويراعة زهراء ، وحرف أريحيٍّ معطاء .

★ ★ ★

يتألف الكتاب من مقدمة وهي نظرة في مصادر الخطط . وتمهيد يعالج تخطيط المدن عند العرب وسبعة فصول وعشرة ملاحق أو جداول . فالفصل الأول يضمّ دراسة في بناء المدن العربية في الجاهلية ، والثاني بناء المدن العربية في الإسلام ، والثالث ، ملاحظات في المدن الإسلامية والرابع ملاحظات عامة والخامس الفترة التي سبقت بناء المدن العربية في الإسلام ، والسادس التحريات لتخطيط المدن العربية . والسابع التصاميم الهندسية لبناء المدن العربية ، وقد عالج المؤلف البحاثة في هذه الفصول السبعة بأسلوب علمي تاريخي بارع كل ما تضمنته من موضوعات في فضل اليد العربية التي أنشأت في الجاهلية والإسلام مئات المدن العامرة الزاهرة في مختلف الأمصار والأقطار ، مما يدل بما لا يقبل الجدل والتأويل ، على أن اليد العربية كانت في كل تاريخها الطويل الحفيل في جاهليتها وإسلامها يداً خيرة بناءة شهدت للحضارة عمراناً راسخاً باذخاً شامخاً جال فيه تاريخ البشرية جولات مشرقات متأرجات ، عصيات مستكبرات ، طوفت حولها العصور منتجعات مسترفدات ، ويا للعزائم العربية كم لها من فتوحات ، ويا للأيدي العربية كم لها من مكرمات ومعجزات .

★ ★ ★

وإذا تصفحنا جدوال المدن العشرة ، عثرنا في الجدول الأول على قسم من أسماء المدن العربية في الحجاز واليمن واليمامة والبحرين شيدهـا العرب في العصر الجاهلي ، وقد ذكر المؤلف الألمعي أسماء اثنتين وثمانين مدينة — على سبيل المثال لا الحصر ، كما أشار . فهناك عدد كبير من المدن الأخرى والقرى والحصون التي تشبه المدن مما حفلت به المعاجم وكتب البلدان أغفل ذكرها .

وهذا الجدول على إيجـازه يؤكد الحقيقة العربية التاريخية الأولى وهي أن العرب الأقدمين ، على بداوتهم وجاهليتهم ، كانوا مطبوعين على العمران وتشييد المدن والقرى والحصون وسواها من المظاهر العمرانية الرفيعة ، ولا يخفى على أحد أن العمران والحضـارة هما ركيّتان صنوان تنبعان من عين واحدة هي الفكر المبدع الخلاّق .

أما الحقيقة العربية التاريخية الثانية ، فنلقاهـــا في الجداول التسعة الأخرى وقد ضمّت أسماء المدن التي شيّدهـا العرب في العصور الإسلامية المختلفة في آسيا وإفريقية وأوربة وجزر البحر المتوسط وقد بلغ عددها في مختلف الأصقاع التي انتشر فيها لواء الدول العربية الإسلامية ، حسبما جاء في الجداول مئة وثماني وثمانين مدينة هي اليوم وبالأمس من أشهر المدائن .

وقبل أن ننتقل إلى صلب الموضوع لا بدّ لنا من الإشارة إلى بعض المدن الأندلسية التي أوردها المؤلف في جدوله العاشر ، وعزا تشييدهـا للعرب ، مثل قرطبة ومرسية ومجريط واشبونة وهي لشبونة عاصمة البرتغال وإشبيلية وغرناطة ، ومثلها طرسوس فهذه المدن على ما يؤكد التاريخ كانت قائمة قبل الفتح العربي الإسلامي ، ولا شك أن العرب استحدثوا فيها عمراناً جديدا ، ولكن هذا لا يعني أن اليد العربية هي التي اختطت تلك المدن وشيدتها وقدّمتها تراثاً عمرانياً عربياً للحضارة .

ومما يسترعي الانتباه أننا نعثر في جداول المدن التي بناهـا العرب في بعض الأقطـار التي بسطوا عليها سلطانهم ، على أسماء غير عربية ، ولعلهم أطلقوا عليها الأسماء الأعجمية من باب التسامع نذكر منها مكران وقد بنيت في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وباجد"ا (بين رأس عين والرقة) في خلافة عبد الملك بن مروان ، وقم في زمن ابن مروان نفسه ، وتبريز (فارس) في خلافة المتوكل ، ومراغة شيدها مروان بن محمد عندما كان والياً على أرمينية وأذربيجـان ، ومنستير (تونس) في خلافة مروان بن محمد ، ثم اردشت ودهستان والايتاخية وسمرقند ونيسابور وسوها .

وهناك أيضاً مدن بناها العرب في أقطار اجنبية وهي عربية ذات كواسع أعجمية مثل أسد آباذ ، أي مدينة أسد ، وهو أسد بن عبد الله القسري بانيها ، ومثلها نصر آباذ ومهدي آباذ وسعيد آباذ وموسيا باذ أي مدينة الخليفة موسى الهادي الخ .

★ ★ ★

ولا بد لنا دعماً للحقيقة العربية التاريخية الأولى أي العمران في عصر الجاهلية ، من أن نستشهد بما أورده المؤلف الحاذق في هذا الصدد إذ قال :

« ونستطيع أن نؤكد أن ما بناه العرب قبل الإسلام في الحجاز ونجد وحضرموت وعمان واليامة والبحرين قد يبلغ المئات من المدن بين كبيرة وصغيرة ، غير القلاع والحصون التي تشبه المدن ، كما يمكننا أن نؤكد أن ما في الجزيرة العربية من هذه المدن إنما كان من إنشائهم وحدهم دون أن يشـاركهم في اختطاطها أحد على الأرجح ، نذكر منها على سبيل المثال : مكة ويثرب والطائف واليامة وصنعاء وعدن والحجر ومأرب ونجران والقطيف وناعظ الخ ولا يزال كثير منها باقياً حتى اليوم . ص ١٣ » .

ويتابع المؤلف الفاضل : « وإذا كنا قد عنينا بدراسة الحضارة العربية قبل الإسلام فلأننا نرى من دون أدنى شك أن العرب مهدوا بحضارتهم تلك للحضارة العربية التالية التي ازدهرت في العصر الإسلامي والتي كان لها تأثير في مختلف بقاع العالم وفي تقدم شعوب الشرق والغرب . وإذا أخذنا بالرواية التي تقول إن معبد النوبهار في مدينة بلخ قد شيد بتأثير مكة وتقليداً للكعبة في وضع الأصنام حوله وهي (الحمى) أدركنا مبلغ تأثير هذا العصر الجاهلي في الشرق أيضاً » . قلنا وهذا يعني أن العمران في العصر الجاهلي كان طريق العرب في العصور الإسلامية إلى نشر العمران والحضارة في مختلف الأمصار .

ويتابع المؤلف فيقول : « لئن اشتهر العرب في بناء عدد كبير من المدن في العصر الجاهلي ، فان ذلك يدل على خصائص حضارتهم ومزاياها البارزة التي ساعدت كثيراً على نموها في الإسلام . لهذا يمكننا أن نعتبر العصر الجاهلي من أهم مصادر الحضارة الاسلامية في كثير من الأمور المهمة ولذلك كانت دراسة العصر الجاهلي ضرورية جداً لتفهم التاريخ الاسلامي وتاريخ الأديان وتاريخ الأدب العربي ، وأخيراً تاريخ الحضارة العربية والفن العربي . ص ١٣ » .

غير أننا إذا توغلنا في مجاهل التاريخ العربي الجاهلي ، إذا توغلنا واستقصينا الزمن السحيق ، عثرنا على عمران غريب عجيب يدهش عقل الأريب ويبهر بصر اللبيب ، عفت آثاره أو كادت ؛ كان ذلك في عهد العرب الأقدمين مثل عاد وثمود وطسم وجديس والعمالقة والتبابعة وسواهم ممن كانت مدنهم وقصورهم وحصونهم وقلاعهم يُعزى بناؤها لروعتها وعظمتها وفخامتها إلى جن النبي سليمان ، إذ كانوا لا يصدّقون أن يداً بشرية وعقلاً

بشرياً وفناً بشرياً تستطيع أن تخطط وتهندس وتبني مثل هذه المدائن والمباني الفائقة الخارقة . كما كانت لهم معرفة واسعة وهندسة بارعة في شؤون الري وتمديد شباكه في مناطق شاسعة ؛ وعندنا من ذلك خبر سد مأرب الذي سقى كل فم ، وأروى كل أرض ، وخضب كل خضرة ، وحنحن على كل ظمآن ، من إنسان وحيوان ، ونبات عريان ، وجماد استبد به الحرمان .

وكان من الطبيعي أن ينهار العمران بعد انهيار هذا السد الذي رافق الزمان ، وأنشأ الحضارة والسلطان .

ومما يجدر ذكره لهذه المناسبة أن العرب بعد ما استقرّوا في الأندلس حملوا إلى تلك البلاد هندسة الأسداد (لا السدود كما يجمعونها خطأً) وسائر ما يتعلق بالري وسواقيه واقتبس عنهم البرتغاليون وكانت البرتغال آنئذ مقاطعة اسبانية ونقلوا كلمة السدّ إلى لغتهم فقالوا Açude ، كما اقتبس الاسبان ونقلوها إلى الاسبانية فقالوا Azud و Azuda وأثبتها الاسبان والبرتغاليون في معاجمهم كما شاعت على ألسنة العوامّ واقلام الكتّاب . نعم إن الأسداد العربية في الأندلس لم تكن كبيرة ضخمة شديدة الاتساع كسدّ مأرب مثلاً أو كالأسداد الكهرمائية الحديثة ، ولكنها كانت تفي بحاجة ذلك العصر ، ولا شك أن الاسباني والبرتغالي عندما يذكران — السدّ — يذكران العرب وفضلهم على العمران .

★ ★ ★

أما الحقيقة العربية التاريخية الثانية أي العمران في العصور العربية الاسلامية فهي بارزة كالشمس في وضح النهار ، بدليل مئتي مدينة جديدة بناها العرب في مختلف الأصقاع الممتدة من الجزيرة العربية إلى الشمال الإفريقي فالأندلس وصقلية وسواها من الجزر في البحر المتوسط ؛ أضف إليها إيران

والهند وأذربيجان وتركستان وقد استخرج أسماءها المؤلف الألمي من بطون المصادر التاريخية المتعددة .

★ ★ ★

ولكن هناك حقيقة عربية تاريخية ثالثة وهي براعة العرب في صنع التماثيل الرخامية والمعدنية والأعمدة والزخرفة المعمارية وسبك المعادن وسائر ما يتعلق بهذه الفنون التي أنكرها بعضهم على العرب وخصوصاً صنع التماثيل والنقوش والزخارف كما فعل الإغريق والرومان .

ولكن سائر الصناعات الفنية الباذخة ارتفع مستواها في العصور الإسلامية وتفننت بها اليد العربية تفنناً مدهشاً يذهل الألباب ؛ ففي الطبري أنه أهدي إلى عبد الله القسري (١٢٠ هـ) قصران أحدهما فضة والآخر ذهب . وفي (مصانع البدور في منازل السرور) أن يعقوب بن الليث الصفار والي خراسان أهدى إلى الخليفة العباسي المعتمد على الله مسجداً من الفضة برواقين يصلي فيه خمسة عشر رجلا .

وذكر ابن الجوزي في (المنتظم) أن المقتدر بالله العباسي كان يملك قرية من فضة تثمن بمئات ألوف الدراهم ، وكانت صورة لقرية فيها البقر والغنم والجمال والجواميس والأشجار والنبات والمساحي (المجارف) والناس . الخ » .

وذكر أيضاً أنه كان في دار الشجرة ببغداد في خلافة المقتدر أيضاً ، شجرة من الفضة وزنها نصف مليون درهم عليها أطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات جعلت لها ؛ كما كان في تلك الدار أيضاً ٣٨ ألف ستر من الستور الديباج المذهب بالطرز المصورة بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع والطرد الخ ، وفي تلك الدار شجرة في وسط بركة مدورة فيها ماء صاف وللشجرة ثمانية عشر غصناً عليها الطيور والعصافير من كل نوع ، مذهبة ومفضضة ، وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تمايل في أوقات ،

ولها ورق مختلف الألوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر ، وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر ؛ وفي جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارساً قد ألبسوا الديباج وغيره وفي أيديهم مطارد على رماح يدورون على خط واحد ؛ وفي الجانب الأيسر مثل ذلك .

ويتابع المؤلف البحاثة حديثه فيورد ما عثر عليه في مؤلفات ابن الجوزي والمقريزي من روائع الصناعات الفنية التي تحير وتدهش مثل الاستعراض الكرنفالي الذي أقامته بغداد (٤٨٨ هـ) وقد أظهرت فيه أنواع الملاهي من الزمور والحكايات والخيالات منها الفيل المصنوع من البواري المقيرة (المزفتة) وتحته رجال يسيرون به ، وعملوا زرافة كذلك ، وعملوا سميرية (قارب أو زورق) تجري في الشوارع وفيها الملاحون يجدفون ، كما عملوا ناعورة تدور معهم في الأسواق ، وعرضوا قلعة خشب تسير على عجلات وفيها غلمان يضربون بقسي البندق والنشّاب ، وأخرجوا نولاً على عجل (دواليب) وفيه حائك ينسج . وجاء الخبّازون بتنور وتحته ما يسير به ، وكان الخباز يرمي الخبز إلى الناس . وفي احتفال ولي العهد (٥٤٧ هـ) في بغداد برزت قبة عليها صور بعض الأمراء بحركات تدور ، كما ظهرت قبة أخرى فيها خيل تدور وعليها فرسان بحركات ، وعرضوا أربعة أرحاء تدور وتطحن دقيقاً لا يدري أحد كيف دورانها .

أما الزخارف العربية ، وهي ما يسميه الفرنجة (أرابيكو) ففيها البرهان الناصع على أن العرب هم صُنّع الأيدي وأصحاب مزايا فنية خصبة خلاقة وقد جاءت هذه الزخارف على شكل كتابات كوفية أو نسخية وعلى أشكال هندسية وشجرية وعلى صورة فسيفساء الخ .

ويحلو لنا في هذه المناسبة أن ننبّه الأنظار إلى أن البلاط المصنوع الذي يسمّونه في الشربي العربي (موزاييك) الملوّن الجميل هو في الأصل عربي ، أخذه الاسبان والبرتغاليون عن العرب الأندلسيين وكانوا يطلقون عليه المزوّق ، والمزوّق هو الأصل العربي للفظة موزاييك الفرنجية .

وقد حذق العرب الحياكة بخيوط الفضة والذهب والقصّب وسائر منسوجات الحرير بأشكالها وألوانها المختلفة . ولقد اشتهرت هذه الأقمشة وانتشرت في كل صقع ، ثم أخذت هذه الصناعة تتضاءل شيئاً فشيئاً حتى تلاشت أو كادت . وبعدئذٍ عمدت مصانع النسيج في أوربة إلى حياكة أقمشة تشبهها وتحاكيها ، وأطلقت عليها أسماء مصادرها العربية فقالوا « داماسين وموسيلين » نسبةً إلى دمشق والموصل وكأنها طرازٌ مما كانت تنسجه اليد العربية ، ولا تزال هذه المصانع الأجنبية تحوكها حتى اليوم .

وإذا كان العرب قد حذقوا حياكة المنسوجات النفيسة الثمينة ، فقد برعوا أيما براعة في حفر الزخارف على الجصّ والجبس والآجرّ والرخام والحجر والنحاس والخشب والعاج والفضة والذهب ، ونقش الزخارف على الورق والرقّ أيضاً .

هذا غيض من فيض استشهدنا به للدلالة على الملكة الفنّية عند العرب ، وخصب هذه الملكة ومعجزاتها في الأشغال الفنّية الدقيقة على اختلاف الأشكال والأنماط .

فهناك إذن ثلاث حقائق عربية تاريخية يجب إعلانها ونشرها والتنويه بها ، وهي تدل بوضوح على عراقة العمران والفنون في طبيعة العربي جاهلياً ومسلماً .

★ ★ ★

ولا بأس بعد هذا أن نستطرد إتماماً للفائدة ، فقد يجوز أن يتساءل بعضهم في خباثة أو براءة ويقولون : كيف نوفّق إذن بين هذه الحضارة العربية الرائعة التي خلفت للعالم تراثاً عمرانياً وحضارياً شامخاً باذخاً يدهش الأذهان ، ويغالب الزمان ، وينطق بميزة العربي في الابتكار والإبداع والاتقان ، ومعالجة سائر أسباب الفنون والبنيان ، نعم كيف نوفّق بين هذه الحضارة العربية الرائعة الفائقة ، وقول ابن خلدون في الفصل السادس والعشرين من مقدمته وهو « ان العرب إذا تغلّبوا على أوطان أسرع إليها الخراب » ؟

في رأي علاّمة العصر الرئيس الأمير مصطفى الشهابي ، وهو رأي وجيه صائب ، في نظرٍ منطقي ثاقب . يشاركه فيه أقطاب العلماء المحققين ، والمستشرقين والمثقفين ، أن ابن خلدون إنما أطلق كلمة (العرب) على الأعراب العائشين في الخيام ، لا على العرب الساكنين في المدن والأمصار . والبون شاسع كما لا يخفى على أحد بين أهل الوبر أي البدو وأهل المدَر أي الحضَر القاطنين في المدائن العامرة ، كما أن حديث ابن خلدون في الفصل المذكور ، إنما ينطبق على أبناء البوادي المخشوشنين الرحّال دون سواهم ، وهذا أمرٌ يجب التنبيه عليه ، ومن عجب أن طبعات مقدمة ابن خلدون من أقدمها إلى أحدثها لم تطبع طباعة علمية وافية ولذلك لم تُعنَ بايضاح هذه النقطة دفعاً لما يقع فيه بعضهم من خطأ في التفسير . ولقد أحسن الأستاذ ساطع الحصري عندما عالج هذا الموضوع في دراسة مسهبة دقيقة أثبت فيها بالأدلة الناصعة والبراهين الدامغة أن العرب الذين عناهم ابن خلدون في الفصل المذكور هم الأعراب أبناء البادية والخيام ، لا أبناء الحواضر من العرب (١) .

ثم إن ابن خلدون وهو المؤرخ العلامة لا يجهل ما خلّفه العرب في الأندلس خاصة من تراث عمراني باذخ ، هو اليوم مصدر اعتزاز للأسبان ومحطّ أنظار السيّاح ، ومورد عظيم من الذهبان للاقتصاد الاسباني .

وبعد ، فحسب مؤلّف البحّاثة المدقق الأستاذ ناجي معروف عميد كلية الآداب بجامعة بغداد ، انه كشف عن صفحة متألقة جديدة في مهارق تاريخنا المتأرج النضير ، فاذا العمران العربي جاهلياً وإسلامياً كوكبٌ منير . وإذا الحضارة العربيّة ينبوع ثرّار ثير ، وإذا الفكر العربي أنوار وأزاهير .

نعم حسب كتاب (عروبة المدن الاسلامية) هذا الفضل ليفوز بأبلغ تحية تزجيها العروبة والتاريخ والأدب ، إلى مؤلفه العلامة الجليل .

(حمص) نظير زيتون

(١) دراسات عن مقدمة ابن خلدون للأستاذ ساطع الحصري طبعة دار المعارف بمصر .

حسان بن ثابت

حياته وشعره

عدد الصفحات (٢٢٤) من القطع الصغير طبع بمطبعة دار الفكر الحديث في لبنان عام ١٩٦٥ تأليف الدكتور إحسان النص المدرس في كلية الآداب بجامعة دمشق

حسان بن ثابت شاعر له ميزتان ، أولاهما أنه شاعر ، وثانيتهما أنه شاعر النبي عليه الصلاة والسلام فله احترام وإجلال لدى المسلمين عامة ، لأنه الشاعر الذي اختاره عليه الصلاة والسلام للدفاع عنه ضد شعراء المشركين ، وقد أحسن الدفاع فكان من الصحابة الأولين .

ولهذا الشاعر أيضاً صفحتان من العيش فقد نظم قسماً من شعره في الجاهلية ونظم القسم الآخر في العهد الإسلامي وقد عرف بأماديحه في الغساسنة من آل جفنة وكانوا في بلاد الشام وهو القائل فيهم :

لله در عصـــابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول

كما مدح المناذرة في الحيرة ، والنعمان بن المنذر خاصة ، على قول بعض المستشرقين ، ولكن مؤلف الكتاب يشك شكاً يقرب من الانكار في صحة اتصال حسان بالمناذرة ، ويستند في شكه إلى حوادث التاريخ .

وقد بدأ المؤلف بمقدمة أشار فيها إلى أن كتابه (يضم المحاضرات التي ألقاها على طلبة قسم اللغة العربية في كلية الآداب) وأشار إلى أمر هام في موضوع البحث وهو أنه حاول إبراز صورة الشاعر ـ حسان بن ثابت ـ (كما عرفها التاريخ لا كما صورتها الأخبارِ المفتعلة والأساطير الموضوعة على

حد قوله) . ثم يأخذ المؤلف بالدراسة فيذكر حياة الشاعر في فصل ويدرس شعره في فصل آخر وينهي الكتاب بفهرس يضم مصادر بحثه ومما يلفت النظر ويساعد على تفهم البحث جدول وضعه المؤلف بيّن فيه نسب الشاعر واتصاله بقبيلة الأزد التي تفرع منها فرعا الأوس والخزرج اللذان يتصل بها نسب الشاعر ، وجدول آخر يوضح نسب الشاعر واتصاله ببني مالك بن النجار وهم أسرة حسان بن ثابت .

إن هذه الدراسة تشتمل على تمحيص مفيد ونقد نافع ، وكأن المؤلف ينظر من بعيد إلى طه حسين في طريقته الناقدة التي أفادها من دراسة الفيلسوف الفرنسي ديكارت ، كنظره إلى الخلاف الأدبي بين حسان والخنساء في بيته الشهير :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فالمؤلف ينكر أشد الإنكار هذا النقاش الأدبي الذي لم يعرف إلا في العصور المتأخرة . ولا بد من الإشارة هنا إلى ورود بعض الأخطاء المطبعية التي لا يسلم منها كتاب عربي مع الأسف ولكنها أغلاط لا يضيع معها المعنى وهي لا تمنعنا من القول أن هذه الدراسة قد قدمت لنا بحثاً وافياً عن شاعر لم يدرس بعد دراسة وافية .

أحمد الجندي

معالم وأعلام في بلاد العرب

القسم الأول ـ القطر السوري : الجزء الأول

عدد صفحاته ٣٨٨

تأليف : أحمد قدامة

طبع بمطابع ألف باء في دمشق ١٩٦٥ م

هذا كتاب مرتب على حروف المعجم ، يبحث في المدن والقرى والمدارس والمساجد والقصور وأبواب المدن وأحيائهـــا والجبال والأنهر والأودية والأمكنة الأثرية .

أما التراجم فقد ترجم المؤلف لبعض الأنبياء والخلفاء والأمراء والوزراء والولاة والقواد والفلاسفة والأطباء والأدباء والمحامين والقضاة ورجال السياسة والدين والإدارة وغيرهم ممن سبقوا إلى رحمة الله وممن بقوا على قيد الحياة ، وقد ترجم أحياناً لأناس ليسوا من سورية كالمفوضين الساميين الفرنسيين وابقراط الطبيب اليوناني ، حيث قال المؤلف « ص ٧ » : وكان في بساتين دمشق موضع يعرف باسم صفة بقراط ظلت معروفة إلى سنة ٦٤٦ هـ .

وذكر المؤلف في معجمه بعض الشعوب غير الإسلامية العربية والأجنبية ممن لهم علاقة بالقطر السوري قبل الإسلام وبعده ، وعدد في مؤلفه بعض المذاهب الدينية وفرقها .

وأورد الأستاذ قدامة في مؤلفه بعض العشائر والعائلات والنسب والألقاب والكنى للأسر والأشخاص ، وفسرها ، وعرفها ، وردها إلى أصولها .

كما فسر بعض الألفاظ الأجنبية التي لا تزال مستعملة لدي المعاصرين في سورية وأبان تحريفها وردها إلى أصولها .

وخلاصة القول فقد أورد المؤلف في معجمه أبحاثاً منوعة في مواضيع مختلفة فذكر بعض الكتب المقدسة وبعض الصناعات والانقلابات والثورات السورية والمكاييل والموازين والأشهر والجمعيات والنوادي والأحزاب السياسية وجامعتي دمشق وحلب والخط الحجازي وغير ذلك .

هذا مجمل ما في الكتاب من مباحث وموضوعات ، وقد رتبها المؤلف على حروف المعجم ، فذكر المترجمين بما يشتهرون بنسبهم ، وهذا ربما انطبق على المحدثين منهم ، وأما القدامى فمن العسير أن يترجموا كما يترجم المعاصرون ، لأنه لهم عدة نسب وألقاب يتعذر أحياناً على المرء أن يختار أحدها جازماً .

وأما مصادر الكتاب فقد ذكرها في مقدمته ، وكان الأجدر أن تذكر في صلب كل مادة مع بيان الجزء ورقم الصفحة ، ليتسنى للباحث الرجوع إليها ، وقد اعتذر المؤلف عن ذلك فقال في مقدمة كتابه : أوردت بعد أكثر التراجم أهم المصادر عنها ليعود إليها من أراد التوسع ، أما المعالم فقد تعذر إيراد مصادرها لوفرة عدد المعالم ، ثم لقلة عدد المصادر عنها ، فلو كررت تحت كل معلم مصادره لتضاعف حجم الكتاب ، ولذا اكتفيت بسردها مجموعة في أول الكتاب .

وقد لاحظنا في تراجم المعاصرين عدداً منهم ، قد ذكرت ولادتهم على غير حقيقتها ، إما أن المؤلف قد رجع إلى هوياتهم الشخصية الرسمية أو نقلها من مصادر مذكورة على غير حقيقتها ، أو اعتمدها أصحابها كما هي في سجلات الأحوال المدنية .

فقد ذكر المؤلف فؤاد بن رضا الحلبي : أنه ولد بدمشق ١٩٠٦ م ، وأحيل على التقاعد لبلوغه السن القانونية « وهي ستون عاماً » ، وتوفي في ٥ نيسان ١٩٦٤ م (ص ٣٣٠) .

ومن الأخطاء التي عثرنا عليها في (ص ٣٥٩) : نهر جغجغ ينبع من ضواحي بلدة القامشلي ، مع أنه ليس من ضواحي القامشلي كما ورد في مادة جغجغ (ص ٢٥٠) : وهو ينبع في الأراضي التركية على بعد نحو عشرين كيلو متراً من الحدود السورية .

وهناك بعض الأخطاء والهفوات التي لا يخلو منها كتاب ، ولا سيما مثل هذا المعجم المنوع الأبحاث والموضوعات ، وقد ختم المؤلف مقدمته بقوله : وختاماً أعلن بكل جرأة وتواضع أن هذا الأثر ، وقد كان نتيجة جهد فردي ، ليس إلا محاولة بدائية وتجربة أولى لوضع معجم كامل لبلادنا ، وهي محاولة مر بها كل معجم من نوعه ولا بد من إعادة وتكرار ، ومن تصحيح وتقويم ، ومن تهذيب وزيادة وهذا لا يتم إلا في سنوات ، وفي جو رحب من التشجيع والعون وتواثق الجهود ، ومن أجل هذا أتوجه بالرجاء الحار إلى كل قارئ يطلع على خطأ أو هفوة أو نقص أو ملاحظة تعن له أن يتفضل بالكتابة إليّ ليمكن تدارك ذلك في الملحق الذي يصدر في آخر الكتاب . وله مني جزيل الشكر ، ومن الوطن حسن الثواب .

عمر رضا كحالة



المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف

تأليف : عبد الله الجبوري

طبع في مطبعة المعارف ببغداد (سنة ١٩٦٥)

تأسست مكتبة الأوقاف العامة ببغداد في عام ١٩٢٨ م وقد جمعت كتبها من تسع خزائن ومما أوقفه بعض أهل البر والإحسان ، فبلغ عدد كتبها ٣٦١٤ مخطوطاً في اللغات العربية والفارسية والتركية والكردية .

وقد سبق أن المرحوم الدكتور محمد أسعد طلس قد صنف فهرساً لهذه المكتبة ، وطبع بنفقة مديرية الأوقاف العامة ببغـــداد في سنة ١٩٥٣ م في ٤٢٨ صفحة من القطع الكبير .

ثم وردت إلى المكتبة بين عامي ١٩٥١ — ١٩٦٠ م مخطوطات كثيرة ، كان مصدرها جامع المصرف ، جامع القبلانية ، جامع الآصفيـة ، خزانة محمد سعيد الطبقجه لي ، خزانة عبد الحليم الخاقاني ، وخزانة علي حيدر الباجه جي .

ولما تسلم مصنف هذا الفهرس أمانة المكتبة المذكورة في عام ١٩٦٣ م ، عمد إلى تصنيف هذا المستدرك الذي بلغ ٤١١ صفحة ، فهرس فيه المخطوطات التي وردت إلى المكتبة بعد تصنيف فهرس الكشاف ، فوضع لكل مخطوط رقماً متسلسلاً من ١ — ٤٠٧ ، وذكر عنوان المخطوط بحروف بارزة ، وطول الكتاب وعرضه ، وترجم مؤلفي هذه المخطوطات وأشار إلى المصادر التي اعتمدها في الترجمـــة ، ووصف المخطوط فذكر **أوله وآخره** ،

فمحتوياته ومادته ، ثم ذكر تملكه والإجازات والسماعات إن وجدت ، وأشار إلى مكان طبعه وتاريخه إذا تحقق ذلك .

ثم وصف المخطوط وصفاً مادياً ، من حيث تجليده ونوع ورقه وخطه ، وذكر اسم ناسخه وتاريخ ومكان نسخه .

وأما الموضوعات التي حواها هذا المستدرك فهي : القرآن الكريم ، القراءات والتجويد ، تفسير القرآن الكريم وعلومه ، الحديث وعلومه ، السيرة النبوية وقصص الأنبياء ، الفقه ، المواعظ والحكم ، الحكمة والفلسفة ، الكلام والفرائض ، الردود والفرق ، التصوف والأخلاق الدينية ، الآداب ، الشعر ، علم الوضع ، اللغة ، النحو ، الصرف ، البلاغة ، العروض ، المنطق ، الرياضيات ، الهيئة والفلك ، الطب والكيماء ، التاريخ والطبقات والتراجم ، البلدان والجغرافية ، مواضيع مختلفة ، والمجاميع .

ويلاحظ من تنسيق وترتيب هذه الموضوعات أنها لم تنسق على قواعد معينة ، أو منهاج خاص ، وكان يحسن بالمصنف الفاضل أن يصنف فهرسه على التنسيق العشري فيذكر الكليات العامة أي التآليف العامة التي تحتوي على أبحاث مختلفة كالمجاميع وغيرها ، ثم الفلسفة ، فالدين ، فالعلوم الاجتماعية ، فاللغات ، فالعلوم الطبيعية ، فالعلوم العملية ، فالفنون الجميلة ، فآداب اللغات ، فالتاريخ .

وبالختام نشكر الأستاذ المصنف على ما بذل من جهد في إخراج هذا المستدرك ، راجين له التوفيق في إخراج غيره من فهارس المخطوطات .

(ع . ك)

الإسلام والصحابة الكرام

بين السنة والشيعة

بقلم الشيخ محمد بهجة البيطار

رسالة تشتمل على نحو سبعين صفحة في مناقشات علمية بين الشيخ محمد الخالصي والشيخ محمد بهجة البيطار تتعلق بالأذان وقيام الليل وصلاة التراويح والصحابة والسلف في الكتاب والسنة وبيعة الرضوان وما ذكرته السنة من فضائل الصحابة ومذهب زيد والزيدية والنسخ في القرآن وفي جمعه وفي حديث النزول وتصحيح خطأ ابن بطوطة ، وفيها ردود للأستاذ البيطار على مسائل الأستاذ الخالصي بايجاز وبيان مدعوم بالأدلة من الكتاب والسنة تثبت فضائل الصحابة ، وقد اطلع على هذه الرسالة المتعة في العراق الشيخ بهجة الأثري فشكر الأستاذ البيطار على هديته بكلمة تصلح أن تكون تقريظاً للرسالة فقال : « ولقد أفدت من جليل استدلالاتكم العلمية المنطقية في هذه الرسالة البليغة في بيان وجهة الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كما عودتمونا دائماً في كل ما تفيضونه في مؤلفاتكم من علم غزير ومنطق سديد ولغة مهذبة عالية في تقويم الاعوجاج وتسديد الانحراف نفع الله المسلمين بعلمكم وهديكم وزادنا بوجودكم إفادةً وإمتاعا . »

عز الدين التنوخي

❋❋❋

آراء وأنباء

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في سنة ١٣٨٥ / ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

٢ الدكتور أسعد الحكيم
٣ 〃 أمجد الطرابلسي
٤ الأمير جعفر الحسني (أمين المجمع)
٥ الدكتور جميل صليبا
٦ 〃 حسني سبح
٧ 〃 حكمة هاشم
٨ 〃 سامي الدهان
٩ الأستاذ شفيق جبري
١٠ الدكتور شكري فيصل
١١ الأستاذ عارف النكدي
١٢ الدكتور عدنان الخطيب
١٣ الأستاذ عز الدين التنوخي (نائب الرئيس)
١٤ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٥ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٦ 〃 محمد كامل عياد
١٧ الأستاذ محمد المبارك

الأعضاء المراسلون

الجمهورية العربيـــة السورية

١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي
٢ الأستاذ عمر أبو ريشة
٣ 〃 محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)
٤ الدكتور قسطنطين زريق
٥ الأستاذ نظير زيتون

الجمهورية العربيـــة المتحدة

٦ الأستاذ أحمد حسن الزيات
٧ الدكتور أحمد زكي
٨ 〃 طـه حسين
٩ الأمير يوسف كمال

لبنان

١٠ الأستاذ أنيس المقدسي

١١ الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)
١٢ الدكتور صبحي المحمصاني
١٣ 〃 عمر فروخ

فلسطين

١٤ الأستاذ قدري حافظ طوقان

المملكة الهاشمية الاردنية

١٥ الأستاذ محمد الشريقي

الجمهورية العراقية

١٦ الأستاذ أحمد حامد الصراف
١٧ 〃 ساطع الحصري
١٨ 〃 عباس العزاوى
١٩ الشيخ كاظم الدجيلي
٢٠ الأستاذ كوركيس عواد
٢١ الشيخ محمد بهجة الأثري
٢٢ الدكتور مصطفى جواد
٢٣ الأستاذ منير القاضي

السودان

٢٤ الشيخ محمد نور الحسن

المملكة العربية السعودية

٢٥ الأستاذ حمد الجاسر
٢٦ 〃 خير الدين الزركلي

المملكة الليبية

٢٧ الأستاذ علي الفقيه حسن

الجمهورية التونسية

٢٨ الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٢٩ 〃 محمد الطاهر ابن عاشور

المملكة المغربية

٣٠ الأستاذ عبد الله كنون
٣١ 〃 علال الفاسي

تركية

٣٢ الأستاذ أحمد أتش

ايران

٣٣ الدكتور علي أصغر حكمت

الهند

٣٤ الأستاذ آصف علي أصغر فيضي
٣٥ 〃 أبو الحسن علي الحسني الندوي

باكستان

٣٦ الأستاذ عبد العزيز الميمني
٣٧ 〃 يوسف البنوري

فرنسة

٣٨ الدكتور بلاشير (رجيس)
٣٩ الأستاذ كولان (جورج)

٤٠ الأستاذ لاوست (هنري)
٤١ 〃 ماسه (هنري)

بريطانية

٤٢ الأستاذ أربري (أ . ج .)
٤٣ 〃 جيب (ه . ا . ر .)

المانية

٤٤ الأستاذ ريتر (هلموت)
٤٥ 〃 هارتمان (ريشارد)

السويد

٤٦ الأستاذ ديدرنغ (س .)

الولايات المتحدة الاميركية

٤٧ الدكتور ضودج (بيارد)
٤٨ الأستاذ فيليب حتي

اسبانية

٤٩ الأستاذ غومز (اميليو غارسيا)

النمسة

٥٠ الدكتور اشتولز (كارل)
٥١ الأستاذ موجيك (هانز)

ايطاليا

٥٢ الأستاذ جبرايلي (فرنشيسكو)

هولاندة

٥٣ الدكتور شخت (يوسف)

الدانيمرك

٥٤ الأستاذ بدرسن (جون)

فنلاندة

٥٥ الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)

البرازيل

٥٦ الأستاذ رشيد سليم الخوري

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

الجمهورية العربيـــة السورية

١ الشيخ طاهر الجزائري
٢ 〃 سليم البخاري
٣ 〃 مسعود الكواكبي
٤ الأستاذ إلياس قدسي
٥ 〃 أنيس سلوم
٦ 〃 جميل العظم
٧ 〃 سليم عنحوري
٨ 〃 عبد الله رعد
٩ 〃 رشيد بقدونس
١٠ 〃 أديب التقي
١١ الشيخ عبد القادر المبارك
١٢ الأستاذ معروف الأرناءوط
١٣ السيد محسن الأمين
١٤ الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥ 〃 محمد البزم
١٦ 〃 سليم الجندي
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي
١٨ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩ الدكتور مرشد خاطر
٢٠ الاستاذ فارس الخوري
٢١ الأب جرجس شلحت
٢٢ 〃 جرجس منش
٢٣ الأستاذ قسطاكي الحمصي
٢٤ الشيخ كامل الغزي
٢٥ الأستاذ ميخائيل الصقال
٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني
٢٧ 〃 راغب الطباخ
٢٨ 〃 عبد الحميد الجابري
٢٩ 〃 عبد الحميد الكيالي
٣٠ 〃 محمد زين العابدين
٣١ الدكتور صالح قنباز
٣٢ الشيخ سليمان الأحمد
٣٣ الأستاذ ادوار مرقص
٣٤ الشيخ سعيد العرفي
٣٥ البطريرك ماراغناطيوس افرام
٣٦ الشيخ امين سويد
٣٧ الدكتور جميل الخاني
٣٨ الاستاذ متري قندلفت

الجمهورية العربيـــة المتحدة

٣٩ الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٤٠ 〃 رفيق العظم
٤١ 〃 أحمد كمال
٤٢ 〃 أحمد تيمور
٤٣ 〃 أحمد زكي باشا
٤٤ الدكتور يعقوب صروف

٤٥ السيد محمد رشيد رضا
٤٦ الأستاذ حافظ إبراهيم
٤٧ « أحمد شوقي
٤٨ الشيخ أحمد الاسكندري
٤٩ الأستاذ أسعد خليل داغر
٥٠ « داود بركات
٥١ الدكتور أمين المعلوف
٥٢ الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٥٣ الشيخ عبد العزيز البشري
٥٤ الدكتور أحمد عيسى
٥٥ الأمير عمر طوسون
٥٦ الشيخ مصطفى عبد الرازق
٥٧ الأستاذ انطون الجميل
٥٨ « خليل مطران
٥٩ « إبراهيم عبد القادر المازني
٦٠ « محمد لطفي جمعة
٦١ الدكتور أحمد أمين
٦٢ الأستاذ عبد الحميد العبادي
٦٣ الشيخ محمد الخضر حسين
٦٤ الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٥ « منصور فهمي
٦٦ الأستاذ أحمد لطفي السيد
٦٧ « عباس محمود العقاد
٦٨ « خليل ثابت

لبنان

٦٩ الأستاذ حسن بيهم
٧٠ الأب لويس شيخو
٧١ الشيخ عبد الله البستاني
٧٢ الأستاذ جبر ضومط
٧٣ « عبد الباسط فتح الله
٧٤ الشيخ عبد الرحمن سلام
٧٥ « مصطفى الغلاييني
٧٦ الأستاذ عمر الفاخوري
٧٧ « بولص الخولي
٧٨ « أمين الريحاني
٧٩ الأمير شكيب أرسلان
٨٠ الشيخ إبراهيم المنذر
٨١ الأستاذ جرجي يني
٨٢ الشيخ أحمد رضا
٨٣ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف
٨٤ « فيليب طرازي
٨٥ الشيخ فؤاد الخطيب
٨٦ الدكتور نقولا فياض
٨٧ الشيخ سليمان ظاهر
٨٨ الأستاذ مارون عبود

فلسطين

٨٩ الشيخ سعيد الكرمي
٩٠ الأستاذ نخلة زريق

٩١ الشيخ خليل الخالدي
٩٢ الأستاذ عبد الله مخلص
٩٣ 〃 محمد اسعاف النشاشيبي
٩٤ الأستاذ عادل زعيتر
٩٥ الأب ا . س . مرمرجي الدومنكي

الجمهورية العراقية

٩٦ الأستاذ محمود شكري الآلوسي
٩٧ 〃 جميل صدقي الزهاوي
٩٨ 〃 معروف الرصافي
٩٩ 〃 طـٰه الراوي
١٠٠ الأب انستاس ماري الكرملي
١٠١ الدكتور داود الچلبي
١٠٢ الأستاذ طـٰه الهاشمي
١٠٣ 〃 محمد رضا الشبيبي

الجمهورية الجزائرية

١٠٤ الشيخ محمد بن أبي شنب
١٠٥ الأستاذ محمد البشير الابراهيمي

المملكة المغربية

١٠٦ الأستاذ محمد الحجوي
١٠٧ 〃 عبد الحي الكتاني

تركية

١٠٨ الأستاذ زكي مغامز

ايران

١٠٩ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني
١١٠ الأستاذ عباس إقبال

الهند

١١١ الحكيم محمد أجمل خان

فرنسة

١١٢ الأستاذ فران (جبرئيل)
١١٣ 〃 هوار (كليمان)
١١٤ 〃 بوفا (لوسيان)
١١٥ 〃 مالنجو
١١٦ 〃 كي (ارتور)
١١٧ 〃 باسه (رينه)
١١٨ 〃 ميشو بلاّير
١١٩ 〃 مارسيه (وليم)
١٢٠ 〃 دوسو (رينه)
١٢١ 〃 ماسينيون (لويس)

بريطانية

١٢٢ الأستاذ مرجليوث (د . س .)
١٢٣ 〃 بفن
١٢٤ 〃 براون (ادوارد)
١٢٥ 〃 كرينكو (فريتز)
١٢٦ 〃 غليوم (الفرد)

المانية

١٢٧ الأستاذ هومل
١٢٨ 〃 ساخاو (ادوارد)
١٢٩ 〃 هوروفيتز (يوسف)
١٣٠ 〃 هارتمان (مارتين)
١٣١ 〃 ميتفوخ (اوجين)
١٣٢ 〃 بروكلمن (كارل)

المجر

١٣٣ الأستاذ غولد صيهر (اغناطيوس)
١٣٤ 〃 ماهلر (ادوارد)

الولايات المتحدة الاميركية

١٣٥ الأستاذ ماكدونالد (د . ب .)
١٣٦ 〃 هرزفلد (ارنست)
١٣٧ 〃 سارطون (جورج)

الاتحاد السوفياتي

١٣٨ الأستاذ كراتشكوفسكي (أ)
١٣٩ 〃 برتلز (ايفيكين)

اسبانية

١٤٠ الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)

البرتغال

١٤١ الأستاذ لويس (دافيد)

ايطالية

١٤٢ الأستاذ جويدي (اغنازيو)
١٤٣ 〃 نالينو (كارلو)
١٤٤ 〃 غريفيني (اوجينيو)

سويسرة

١٤٥ الأستاذ مونته (ادوارد)
١٤٦ 〃 هس (ج . ج .)

بولونية

١٤٧ الأستاذ كوفالسكي (ت .)

تشكوسلوفاكية

١٤٨ الأستاذ موزل (الوا)

هولاندة

١٤٩ الأستاذ هورغرنيه (سنوك)
١٥٠ 〃 اراندوك (ك .)
١٥١ 〃 هوتسما (م . ت .)

الدانيمارك

١٥٢ الأستاذ بوهل (ف . م . ب .)
١٥٣ 〃 استروب (ج .)

السويد

١٥٤ الأستاذ سترستين (ك . ف .)

البرازيل

١٥٥ الأستاذ سعيد أبو جمرة

ملاحظات شتى لغوية وعلمية

(١) تنتهي سُورِيَةُ بياء غير مشددة تليها تاء . — نشرت في المجلد السابع والثلاثين (سنة ١٩٦٢ ص ٣٠٦) من هذه المجلة صورة كتاب كنت أرسلته إلى وزارة التربية والتعليم ، بعنوان « سوريا وسورية » ، وبينت فيه أن القاموس والتاج وجملة من المراجع الموثوق بها لم تذكر هذه الكلمة إلا بياء غير مشددة تليها تاء لا ألف . وبعد أن أذاعت الوزارة هذا الكتاب أخذ الموظفون والكتاب والمذيعون ينهون اسم قطرنا بالتاء بدلاً من الألف . ولكنني لاحظت أن معظمهم ما برحوا يشددون ياء سورية حتى يومنا هذا فيقولون مثلاً : « إن سوريّة قطر عربي » بتشديد ياء سورية ، وذلك غلط . والصحيح تخفيفها ، في تلك الجملة فيقال : « إن سوريَةَ قطر عربي » . ومن الطبيعي أن تشديد الياء إنما يكون في النسب إلى سوريَة ، وذلك في مثل قولنا : « مصنوعاتٌ سوريَّةٌ » أي منسوبة إلى سوريَةَ . أما في الإضافة فيقال : « مصنوعاتُ سوريَةَ » بلا تشديد .

(٢) إِسْكَنْدَرُونة . — سمعت من محطة الإذاعة بدمشقَ ، ومن أفواه بعضهم أحاديث عن إسكندرونة التي فصلت عن سورية في زمن الانتداب الفرنسي عليها . ووجدت الكثيرين يسمون تلك الكورة السورية إسكندرون والإسكندرون بلا تاء في آخر الكلمة بعد النون . وكلا اللفظين غلط . والصحيح إنهاء الاسم المذكور بالتاء ، وعدم إضافة ال التعريف إليه ، على ما ورد في معجم البلدان لياقوت .

(٣) **نقطتا الياء المتطرفة** . — اعتادت المطابع في سورية ولبنان وغيرها من الأقطار العربية أن تستعمل حرفين من الياء : الأول تحته نقطتان وهو يدل على الياء ، والثاني ليس تحته نقطتان وهو يدل على الألف المقصورة . أما في القطر المصري فحرف الياء المستعمل في الحالين خالٍ من هاتين النقطتين . ولذلك يضل القارئ في قراءة مثل كلمات على ودنى وجرجى ودلهى وموسيقى وكثير من أشباهها فلا يدري هل آخر حروفها ياء أم ألف مقصورة ، لأن ياءاتها بلا نقط . وقد أخذت بعض المطابع تزيل هذا اللبس بوضع ألف فوق الياء غير المنقطة . ولكن أليس من الأسهل والأصلح الدوام على ما هو متبع في ديار الشام منذ القديم وهو استعمال حرف الياء منقطاً للدلالة على الياء ، وغير منقط للدلالة على الألف المقصورة .

(٤) **الفَرَس للذكر والأنثى** . — لا يطلقون في الشام كلمة الفرس إلا على أنثى الخيل ، على حين أن هذه الكلمة تطلق في المعجمات وفي كتب الخيل القديمة على الذكر وعلى الأنثى أي على الحصان وعلى الحِجْر . ففي المخصص : (ج ٦ ص ١٣٥) « الفَرَس واحد الخيل والجمع أفراس ، الذكر في ذلك والأنثى سواء ، وأصله التأنيث ، وتصغيره بهاء وغير هاء . وحكى ابن جِنّي فَرَسة فإن كان كذلك فإنما ذهبوا إلى التوثق من التأنيث .... ابن جني : الذكر منها حِصان ... والأنثى حِجْر » .

وفي لسان العرب : الفَرَس واحد الخيل والجمع أفراس الذكر والأنثى في ذلك سواء ولا يقال للأنثى فيه فرسة ... وحكى ابن جني فَرَسة الخ . »

وفي القاموس المحيط : الفرس للذكر والأنثى ، أو هي فَرَسة .

وفي تاج العروس نقل الزبيدي في الشرح كلام من عاشوا قبله .

والخلاصة أن الاقتصار على التأنيث ، كما في الشام ، غير صحيح . والصحيح أن يقال هذا الفرس للذكر ، وهذه الفرس للأنثى

(٥) تدل كلمة الغنم على الضأن والمعز وغيرهما . — لا تطلق كلمة الغنم في الشام إلا على الضأن ، على حين أنها تدل في كتب اللغة على الضأن والمعز وأشباهها . ففي اللسان : « الغنم الشاء لا واحد له من لفظه ... وهو اسم مؤنث موضوع للجنس يقع على الذكور وعلى الإناث ... وتقول هذه غنم لفظ الجماعة . فإذا أفردت الواحدة قلت شاة » .

وفيه : « الشاة الواحد من الغنم يكون للذكر والأنثى ... وقيل الشاة تكون من الضأن والمعز والظباء والبقر والنعام وحُمُر الوحش ... وقيل في الجمع شياهٌ ... قال ابن سيده : والجمع شاءٌ » . وفي المخصص « ج ٧ ص ١٧٦ » : والجمع شاءٌ وشياهٌ ... الخ .

ومن الواضح أن لفظ الغنم لا يقتصر مدلوله على الضأن ، بل يشمل الماعز من دواجن الحيوان المشهورة . وقصر المدلول في الشام على الضأن غير صحيح .

(٦) العَنْز لا العَنْزة . — في اللسان : « العَنْزُ الماعزة وهي الأنثى من المِعْزَى والأوعال والظباء . ففي الشام لا تطلق العنز إلا على الماعزة . ثم إنهم يضيفون إليها تاءً فيقولون « عَنْزة » . وزيادة التاء غلط ، لأن هذه التاء لا تدخل على كلمة عَنْز إلا إذا أُطلقت على الحُبارَى فيقال عَنْز وعَنْزة ، على ما جاء في لسان العرب . والعَنْز في كتب اللغة معان كثيرة منها : العُقاب وأنثى الصقور والنسور وضرب من السمك وطائر من طير الماء ، والعنز الأكمة ، والعنز الباطل الخ .

(٧) **ليمون الجنة** . — اسم جميل سمي به علمياً الليمون المعروف عند الإنكليز والأمريكيين باسم الكريب فروت (Grape - fruit) ، وهو اسم حرفته العامة في دمشق فصار يسمى غِريْفُون وكِرِيْفُون .

ومن المعروف عند دارسي النبات أن تصنيفات جنس الليمون Citrus كثيرة ، وأن النباتيين كانوا يدخلون الكريب فروت في نوع الليمون الهندي Citrus decumana المسمى Pamplemousse بالفرنسية والفراسكين في لهجة الدماشقة ، فيجعلونه صنفاً أي ضرباً من ذلك النوع . ومنذ سنين قليلة جعلته حديقة النبات الملوكية في انكلترة نوعاً نباتياً مستقلاً وسمته علمياً Citrus paradisi أي ليمون الجنة . والظاهر أن مقترح هذا الاسم يسمى Macfarlane ولذلك صرنا نجد هذا الليمونَ منسوباً إليه في الموسوعات الحديثة أي أن اسمه العلمي أصبح Citrus paradisii macfarlane أي ليمون الجنة ، مَكْفَرْلان .

وما برح علماء النبات يعدون ليمون الجنة هذا إما هجيناً وإما نتيجة افتجاء أي طفرة من الليمون الهندي .

(٨) **مشتقات عجيبة من الأعيان** — ذكرت في « كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية » قراراً كان مجمع اللغة العربية في القاهرة اتخذه وهو : « اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان . والمجمع يجيز هذا الاشتقاق — للضرورة — في لغة العلوم » . ومن الأمثلة على ذلك قولنا كَهرَبَ من الكهربا ، ومغنطَ من المغناطيس ، وحَرَّجَ من الحَرَجة . كما قال القدماء ذَهَّبَ من الذهب ونحّسَ من النحاس الخ .

ومما استوقف نظري لغرابته بضعة مشتقات قديمة جاءتني بها الباحثة المجدة الآنسة مالك هنانو المداومة على المجمع من مخطوطة (سير النبلاء) للذهبي في ترجمة أبي خليفة الفضل بن الحُباب الجُمَحي الأعمى البصري المتوفى سنة ٣٠٥ للهجرة . فالذهبي يقول في ترجمة أبي خليفة هذا : « الإمام العلامة الأديب الإخباري شيخ الوقت ... قال الصولي كنت أقرأ على أبي خليفة كتاب طبقات الشعراء وغير ذلك » .

ثم يذكر الذهبي قصة وقعت لأبي خليفة مع أمير البصرة جاء فيها أن الأمير دعاه إلى مأدبة ، فلما خرج سألوه عما جرى له فقال : أحضرَني مأدبته فأبطَّ وأدَّجَّ ، وأفرخَ وفَوْلَجَ لَوْذَجَ (كذا في المخطوطة بالذال وبلا واو العطف) . ومعناه أطعمنا أو قدم إلينا البط والدجاج والفراخ والفالوذج واللوزينج . أترى ابن خليفة وهو عالم استعمل هذه الأفعال المشتقة للتفكه ؟ فكلها لم تثبت بهذه المعاني في الأمهات المشهورة من المعجمات العربية . أم تراه تشبَّه بالإمام علي (رض) في قوله نيرزونا كل يوم من حلوى قدمت إليه يوم النيروز ، وقوله في المهرجان مهرجونا كل يوم .

(٩) اسم قَمَر الدين . — يطلق هذا الاسم في الشام ومصر وغيرهما من البلاد العربية على عصير المشمش يجفف في الشمس على ألواح من خشب فيصير شرائح تسمى قمر الدين . وهو إذا مُرث بالماء يحصل منه شراب لذيذ أكثر ما يستعمل في مصر ولا سيما في رمضان . وصناعة قمر الدين تكثر في الغوطة على ما هو مشهور .

ولم أهتد إلى زمن وضع هذا الاسم ، فهو ليس حديثاً بل ذكره ابن بطوطة (٧٠٣ — ٧٧٩ هـ) في رحلته فقال في ص ١٨٦ : « ... وفي قونية المشمش المسمى بقمر الدين وقد تقدم ذكره » .

وذكر القلقشندي (— ٨٢١ هـ) في صبح الأعشى (ج ٥ ص ٣٥٢) الجملة الآتية : (. . . وفيها « أي قونية » يوجد المشمس المعروف بقمر الدين » .

ولعل الثاني نقل الجملة المذكورة عن الأول . ومن الطبيعي أن المراد بكلمة المشمس هذه الشرائح المجففة لا ثمر المشمش . فمتى وُضع هذا الاسم ولأي سبب ؟

(١٠) **الإضْبارة والمِلَفّ** . — منذ قامت الحكومة العربية السورية عقب الحرب العالمية الأولى طُلب من المجمع العلمي العربي أن يوصي بكلمة عربية صحيحة تستعمل في الدوائر الحكومية بدلاً من كلمة دوسية (Dossier) الدالة على جملة أوراق متعلقة بشخص أو بقضية أو بغير ذلك ، فأشار المجمع بكلمة « إضبارة » وهي صحيحة وحسنة وجمعها أضابير . ففي اللسان : الإضبارة الحزمة من الصُّحُف وهي الإضمامة . وعن ابن السكيت يقال جاء فلان بإضبارة من كتب وإضمامة من كتب . وهي الأضابير والأضاميم . وعن الليث إضبارة من صُحُف أو سهام أي حُزْمة الخ .

وفي القاموس : والإِضبارة بالكسر والفتح الحزمة من الصحف ج أضابير » .

فمن البيّن إذن أن كلمة الإضبارة هي اصطلاح حسن يجوز استعماله أمام كلمة Dossier الفرنسية . أما كلمة المِلف فلا وجه لها . وهي اسم آلة من لفّ الشيءَ بالشيء أي ضمه إليه ووصله به . وهي بمعنى الدوسية محدثة تستعمل في مصر . ولذلك أثبتت في المعجم الوسيط وذُكر أنها محدثة . وعُرفت فيه بأنها : « الإضبارة تجمع أوراقاً مختلفة في موضوع واحد أو أكثر » .

والإضبارة تستعمل في ديار الشام منذ نحو نصف قرن على ما مر ذكره ؛ أما الملف المحدثة فقد أخذت تنتشر فيها حديثاً بتأثير صحافة مصر وإذاعاتها .

مصطفى الشهابي

أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

— ٦ —

(٦٠)

من لطائف المطبعيات ما ورد على الهامش في مادّة عَلَف .

قال المصحّح : « ضُبط في الأصل والصحاح بِسِرّ المكيم » فافهم يا فهيم !

قد يكون المقصود من « بسرّ المكيم » بكسر الميم والله أعلم على رأيهم .

هذه غلطة مطبعية إذا ذُكِرت فمن باب الدّعاب ولكنْ في تفسير هذه المادة غلط دماغيّ يظهر عملُه السّيِّئ في كثير من كتب اللغة ، وهو الاتّكال الدائم وبصورة قطعيّة على ما قال فلان وقال فلان — فبين « ابن بَرّي أنكرَهُ » و « ابن جِنّي أثبتَهُ » و « في الصحاح كذا » و « قال في القاموس كذا » تحدث الفوضى . — مثالُهُ : قال اللسان « والمِعلف (بكسر الميم) موضع العَلَف » — فكتب المصحّح على الهامش « قولُهُ والمِعْلف موضع العلف ضُبط في الأصل والصحاح وصرّح به في المصباح . وقال في القاموس « هو كمَقعَد » — كتبَهُ مصحّحه » . فالمصحّح ألقى المسؤولية على ابن منظور والجوهري والفيّومي من جهة وعلى الفيروزابادي من جهة ولم يشأ تركَ الاعتدادِ بمن قال — وهو لو اعتدَّ بمطابقة ما قيل لأحكام اللغة (وهي فوق كل فردٍ مهما كان) لكتب على الهامش : « اتفقوا على أن المعلف موضع العلف — والموضع مكان وما يدلّ عليه يقال له اسم المكان واسم المكان لا يكون بكسر الميم بل بفتحها فالمجد مصيب في قوله كمقعد أي مَعلف بفتح الميم . » وانتهى الأمر .

* * *

(٦١)

مادة ص و ب — أصْوَب .

قال : « وأصابَهُ بكذا فجعَهُ بهِ وأصابهم الدهر بنفوسهم جاحهم فيها ففجعهم – ابن الأعرابي : ما كنت مُصاباً ولقد أُصِبْتُ وإذا قال الرجل لآخر أنت مُصاب قال أنْتَ أصْوَبُ منّي حكاهُ ابن الأعرابيّ .

(١) أفعل التفضيل لا يُبنى ممّا فوق الثلاثي .

(٢) « « لا يُبنى ممّا هو للمفعول .

فأنت أصوب مني تفضيل من مُصاب وهذه من الرباعي وللمفعــــول . فالقول فاسد مضلّل .

أمّا الصحيح فهو ورود أصوب من صاب بمعنى صاب السهم قَصَدَ الرميّةَ ولم يحد ومنهُ رأي صائب وكذلك صاب الغيثُ – وأنا أرى غيرَ هذا المذهب أصوب » . هذه جملة من « العمدة » وبناؤها صحيح .

★ ★ ★

(٦٢)

مادّة فتن — اِستَفْتَنَ .

لا يذكر اللسان فعل استفتن . [ولا غيرهُ ذكرَهُ في ما اطّلعت عليه] وهذا الفعل وارد في شعر جرير – ولكنَّ الطالبة به ليست لأنهُ وارد في شعر جرير وحسبُ بل لأنَّ صاحب اللسان استشهد ببيت لجرير فيه هذا الفعل .

قال : « القُوْس [بضمّ القاف] صومعة الراهب قال جرير وذكر امرأة :

لا وَصْلَ إذ صُرِفت هندٌ ولو وقفت لاستَفْتَنَتْني وذا المِسْحَين في القُوْسِ

وفي المادّة ذاتها يقول فُتّان (بضم الفاء) جمع فَتّان (بفتحها) – ولا يقدّم شواهد.

وزن فُعّال (بضمّ الفاء) جمع لفاعلٍ صحيح اللام وصفاً لمذكر أو لمؤنّث: حُرّاس، طُلاّب. وندر استعمالُه في معتلّ اللام ولغير فاعل:

وفُعَّلٌ لفاعلٍ وفاعِلَهْ وصفين نحو عاذِلٌ وعاذلَهْ[1]
ومثلُهُ الفُعّال في ما ذُكِرا وذانِ في المُعَلِّ لاماً ندرا

فقولهُ إمّا غير صحيح وإمّا غير تامّ – فإنْ وَجدَ شاهداً لشاعرٍ معترفٍ به في بيت ليست فيه ضرورة وزن أو قافية فعليه بعد تقديم الشاهد أن يقول وهذا جمع شاذّ أو نادر وما الداعي إلى هذا سوى وقايةِ الطالبِ خَطَرَ القياس عليهِ فالنادر لا يقاس عليه.

وفي هذه المادة أيضاً يقول إنّ أبا بكر رأى بلالاً وقد مُطّيَ في الشمس (بتشديد الطاء – مجهول من الرباعي) وفي مادّة م ط و يقول إنّهُ رأى بلالاً وقد مُطِيَ (بلا شدّة مجهول ثلاثي) – ولا يذكر الفعل الرباعي مطّى في المادّة. فإن وُجد هذا الفعل الرباعي للمبالغة في معنى الثلاثي كما استعمله في ف ت ن وجب ذكرُه في م ط و. وإن كان غير موجودٍ في اللغة وجب تصحيح ما كتبَهُ في ف ت ن.

★ ★ ★

(٦٣)

مادّة ف ض ى – أفضى.

نصّهُ صريح صحيح. «أفضيت إليه بسِرّي» – الفعل يتعدّى بالباء. ولكن إذا قرأنا مادة ب ط ن نجد «أنّ المؤمنين نُهُوا أن يُفضوا إليهم

---

(١) لانها في ألفية ابن مالك. (لجنة المجلة)

أَسْرارَهم » وهي ليست مطبعيَّة لأنَّهُ وضع فتحة على الراء الثانية أي أنهُ أعربها مفعولاً به .

★ ★ ★

(٦٤)

مادة خ ش ي .

يقول : « هذا المكان أخشى من ذلك أي أشدّ خوفاً » .

لنبتدئ بتفسيرهِ الواقع بعد أي : أشدّ خوفا ، بموجب ما يقولهُ هو في مادة خ و ف ، معناها الذي يخاف أكثر من غيرهِ . فهل ينطبق هذا المعنى على ما يعنيهِ في عبارة هذا المكان أخشى من ذلك ؟

وفي أسفل الصفحة يقول مكرّراً : وهذا المكان أخشى من هـــذا أي أخْوَفُ منه . جاء فيه التعجّب من المفعول وهذا نادر وقد حكى سيبويه منه أشياء .

كرّر الخطأ ولكنه في التكريرة قال وهذا نادر وكان عليه أن يقول هذا في المرّة الأولى .

استند في قوله الأوّل إلى بيت للعجّاج « قطعت أخشاهُ إذا ما أحبَجا » ولا يصحّ الاستناد إلى بيت شعر مخالف للقواعد لضرورة الوزن وإن كان قائله العجاج . وفي المرّة الثانية استند إلى « وقد حكى سيبويه منهُ أشياء » وهو استناد ضعيف لأنه لم يذكر الأشياء المحكيَّة ولأن أحكام اللغة أعلى من سيبويه .

ثم إنه قال « جاءَ فيه التعجّب من المفعول » . وهو يعني التفضيل . الصيّغة واحدة ولكن التعجب شيء والتفضيل شيء آخر فلا يجوز أن يُخلط الواحد بالآخر في المعجم .

عود إلى السطر الأوّل : «أي أشدّ خوفاً» .

في تفسيرِه الخَطأ «أخشى من ذلك» خطأ آخر . فبدلاً من أشدّ خوفاً كان عليهِ أن يقول أشدّ إخافةً .

★ ★ ★

(٦٥)

مادّة م ل و – تَمَلّى .

يقول : تملّى العيشَ ، تملّيتُ حبيباً ، تملّى إخوانَهُ أي تمتّعَ (بهِ أو بهم) .

فِعْل تملّى يتعدّى بنفسِهِ (بلا واسطة) إلى المفعول بهِ والأمثلة التي قدّمهـــا تبيّن ذلك . ولكنّه في مادّة ل ب س خالف نفسَهُ فقال لبِسَ قوماً تملّى بهم دهراً فعدّى الفعلَ بالحرف . ومجد الدين فعل فعل ابن منظور وبالأمثلة نفسها فكأنهما نقلا عن كتابٍ واحد .. وجاءَ بعدهما نُقّال عصرنا والذي قبلَهُ فأوردوا الأمثلة عينها بالخطإ ذاتهِ – أمّا الزمخشري فانهُ قال لبِسْتُ أبي تملّيْتُ عمرَهُ ولبسَ أباهُ = مُلّيّهُ .

★ ★ ★

(٦٦)

مادة س ط ر : أسطورة .

قال : «الأساطير أحاديث لا نظام لها . قال أبو الحَسَن لا واحد لها . وقال أبو عُبيدة جُمِع سطر على أسطر ثم جمع أسطر على أساطير – وقال اللحياني واحد الأساطر أسطورة وإسطير وإسطيرة وقال قومٌ أساطير جمع أسطار وأسطار جمع سطر – وقال .... سطّر الأساطير وسطّر علينا أتانا الأساطير» – وعلى هذا النّسق جُرّ .

كل ما قالوهُ في هذه المادّة شبيهٌ بما قالوهُ في الاسطرلاب والمُدّ وإبليس وشمّتَ فلا يُعتدّ بهِ ، ففي العصور التي ظهرت فيها الأساطير لم تكن كتابة ولا تسطير ـ فالأساطير كانت تُروى عصوراً طوالاً قبل أن تُسطَّر . وأكثر الأمم القديمة أساطيرَ اليونان ويُقال للقصة عندهم إستوريا Istoria فجاءت إلينا كما جاءَ إبليس « ديابُلُسْ » .

★ ★ ★

(٦٧)

مادّة ص ر ر ـ صرصر

قال : « والصَّرْصَر دويبّة تحت الأرض تصِرّ أيامَ الربيع » .

الخطأ في قولهِ تحت الأرض ظاهر وتصِرّ في أيّام الصيف أيضاً ، إلاّ إذا كان قصدهُ أنّ الصيف كان يقال لهُ الربيع الآخر » .

★ ★ ★

(٦٨)

مادّة ر ب ع ـ ربيعة .

قال : « وربيعة الفَرَس أبو قبيلة رجلٌ من طيّيءٍ وهو ربيعة بن نِزار ابن معَدّ بن عدنان وأخوهُ مُضَر الحمراء » .

وفي مادّة ط و ء ـ طيّيء .

قال « طيّيء أبو قبيلة من اليمن وهو طيّيء بن أُدَدَ بن زيد بن كهلان ابن سَبَأ بن حِمْير » ـ وعدم الضبط لا يحتاج إلى التبيين .

يتبع : (سنپولو) توفيق داود قربان

بيان عن أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي)

في دورة سنة ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥

يسعدني أن أقدم إلى السادة الزملاء بياناً موجزاً عما أنجزه المجمع خلال الدورة السابقة من المشروعات التي كان أقرها مجلسكم الموقر ، ومن أهم هذه المشروعات طبع (١٦) كتاباً بالإضافة إلى المثابرة على إصدار مجلة المجمع .

إن المجلة سارت سيرها الطبيعي وصدرت أعدادها في مواعيدها ، وكان الجزء الأول من المجلد الأربعين جزءاً ممتازاً خاصاً بذكرى البدء باصدار ذلك المجلد الأربعين من المجلة ، وامتاز هذا الجزء بزيادة حجمه ووفرة مواده وتنوع أبحاثه ، واشترك بتحريره نخبة من أعضاء المجمع العاملين والمراسلين ومن أعلام أدباء البلاد العربية . وقد نال هذا الجزء إعجاب كل الذين اطلعوا عليه من عرب ومستشرقين .

أما في موضوع الكتب المخطوطة فقد تم طبع أكثر الكتب المقررة ، ونأمل أن ينجز الباقي منها خلال المدة الباقية من هذه السنة ، ويحول ما يبقى منها إلى الدورة القادمة ، وقد تم فعلاً طبعها أو قاربت نهاية طبعها وعددها أربعة عشر كتاباً وهي :

١ ــ المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث : بقلم الأستاذ الرئيس الأمير مصطفى الشهابي .

٢ ــ أخلاق الوزيرين (أو مثالب الوزيرين) لأبي حيان التوحيدى : بتحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

٣ ــ جمهرة المغنين لخليل مردم بك : بمراجعة الأستاذين عدنان مردم بك وأحمد الجندي .

٤ — ما بنته العرب على فعال للصغاني : بتحقيق الدكتور عزة حسن .
٥ — الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره لسليم الجندي (الجزء الثالث) : بتعليق وإشراف الأستاذ عبد الهادي هاشم .
٦ — تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوريني (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
٧ — شعر دعبل الخزاعي : صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر .
٨ — ديوان عبد الرحمن ابن النقيب : بتحقيق الأستاذ عبد الله الجبوري ومراجعة الأستاذ أحمد الجندي .
٩ — قرة العيون في أخبار باب جيرون لابن طولون الصالحي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
١٠ — الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
١١ — فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الحديث) : وضع الأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني .
١٢ — فهرس المجلدة العاشرة من تاريخ دمشق لابن عساكر : وضع الآنسة ملك هنانو .
١٣ — جزء من ديوان الفرزدق : بمقدمة وتعليق الدكتور شاكر الفحام (سيباشر طبعه قريباً جداً) .
١٤ — معجم مصطلحات الآثار القديمة (فرنسي عربي) وضع الأستاذ الأمير يحيى الشهابي ومراجعة لجنة مجمعية ومن موظفي مديرية الآثار (سيباشر طبعه هذا العام ونأمل أن يتم طبعه خلال النصف الأول من السنة القادمة) .

وقد تأخر طبع بقية الكتب المقرر طبعها في السنة المالية الحالية لعدم انجاز تحقيقها ولذلك حل محلها غيرها من الكتب الجديدة التي لم تقترح في الدورة السابقة .

الشؤون الادارية :

١ — إن موضوع ملء المقاعد الشاغرة بين الأعضاء العاملين والأعضاء المراسلين لم يتخذ أي قرار بشأنه لأنه يتعـــذر تأمين النصاب القانوني اللازم الانتخاب بسبب غياب أكثر من ثلث الأعضاء العاملين عن سورية .

٢ — تم استملاك واستلام القسمين من العقارين المجاورين لدار الكتب الظاهرية وهدمت الأبنية القديمة القائمة عليها تمهيداً لتنفيذ مشروع التوسيع في قاعات المطالعة والمستودع . وقد طلبنا إلى وزارة الأشغال العامة أن تعهد إلى أحد مهندسيها ليتولى وضع التصميم المطلوب تنفيذه .

٣ — وافق المجمع تنفيذاً للاتفاقية المبرمة بين سورية والاتحاد السوفياتي — على استقدام خبير روسي عالم بحفظ المخطوطات وترميمها وصيانتها ، ليعمل في دار الكتب الظاهرية مدة ثلاثة أشهر ضمن اختصاصه وأن يتحمل المجمع نفقات إقامته وتنقلاته في سورية .

٤ — تم جرد محتويات خزانة كتب المجمع والمستودع والأثاث بناء على طلب وزارة المالية ، وقد استغرق هذا الجرد بضعة أشهر .

اهداء الكتب :

أهدى ابن دمشق البار السيد فخري البارودي خزانة كتبه الثمينة إلى المجمع وبلغ عددها نحو أربعمائة مجلد تضم جملة نفيسة من الكتب والمجاميع الموسيقية النادرة مع مخطوطات من تآليفه الخاصة . وقد وجه إليه المجمع كتاب شكر وتقدير على هذه المأثرة الحميدة .

ــ دار الكتب الوطنية الظاهرية ــ

عدل الدوام في دار الكتب من ست ساعات إلى اثنتي عشرة ساعة يومياً وزيادة ساعتين إضافيتين في أيام الامتحانات المدرسية ، وكان لهذا التدبير أطيب الأثر في نفوس المواطنين المخلصين من رواد المكتبة ، وابدى موظفو ومستخدمو المكتبة جهداً مشكوراً لتحقيق رغبات المطالعين .

أغلقت المكتبة أبوابها أثناء العطلة الصيفية وانصرف موظفوها والمستخدمون للقيام بجرد عام لمستودعات الكتب المخطوطة والمطبوعة ، وتم هذا الجرد في تلك المدة لأول مرة منذ تأسيس المكتبة وتم في دقة وتنظيم .

ابتاع المجمع للمكتبة جهازاً حديث الصنع لنقل نسخ ثانية عن الأفلام الأصلية للمخطوطات المصورة حتى تتمكن المكتبة بواسطته من تلبية الطلبات التي تردها للحصول على أفلام مصورة لبعض المخطوطات من دون أن تلجأ إلى تكرار استعمال المخطوط في كل مرة يراد تصويره وذلك صيانة للمخطوط وحفظه من التداول المستمر .

انتهت المكتبة من وضع فهرس لكتب الحديث المخطوطة وقد عهد بوضعه إلى الأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني وباشر المجمع طبعه وانتهت من وضع فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الطب) : وضعه الأستاذ الدكتور سامي حمارنة .

كما أنها جادة في إنجاز فهرس كتب اللغة والأدب المخطوطة وهذا الفهرس باشرت وضعه أمينة المخطوطات السيدة أسماء الحمصي .

ودخل المكتبة بطريقة الإهداء أو الشراء (١١٠٧) مجلدة ورسالة مخطوطة ويضاف إلى هذا العدد (٤٢) مجلدة مخطوطة أخرى جمعت من الدشت الموجود في المستودع ، وهذا أكبر عدد يدخل من المخطوطات إلى المكتبة خلال سنة واحدة .

الوفيات :

فقد المجمع عضواً من أعضائه المراسلين وعلماً من أعلام اللغة العربية وهو : المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي تغمده الله برحمته ورضوانه .

مشروعات المجمع

للدورة الحالية (١٩٦٥ — ١٩٦٦)

إن نشر التراث العربي القديم هو من أكبر مهام مجمعنا ومن أبرز الأعمال التي حققها ، وقد حظي عمله بتقدير أهل الفضل في البلاد العربية وإعجاب المستشرقين في البلاد الأجنبية ، لذلك أولينا هذه الناحية ما تستحقه من الاهتمام ، وعزم المجمع في هذه الدورة أن يطبع بالإضافة إلى المجلة الكتب التالية :

١ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني في (قسم بلاد العجم) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

٢ — الاعرابيات لخليل مردم بك : بتعليق وإشراف الأستاذين عدنان مردم بك وأحمد الجندي .

٣ — تاريخ دمشق لابن عساكر (القسم الثاني من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٤ — الدلائل في شرح غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .

٥ — فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الطب) : وضعه الدكتور سامي حمارنة .

٦ — فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الرابع للمجلدات ٣١ — ٤٠) : وضع الأستاذ عمر رضا كحالة .

٧ — التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري : بتحقيق الدكتور عزة حسن .

٨ — زجر النابح لأبي العلاء المعري : بتحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي .

٩ — ديوان الغزي : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

١٠ — كتاب الهفوات النادرة لغرس النعمة الصابي : بتحقيق الدكتور صالح الأشتر .

١١ — معجم مصطلحات الآثار القديمة (فرنسي — عربي) : وضع الأستاذ الأمير يحيى الشهابي ، ومراجعة لجنة من أعضاء المجمع ومن مديرية الآثار القديمة .

١٢ — شرح أرجوزة أبي نواس « وبلدة فيها زور » لابن جني : بتحقيق الأستاذ الشيخ بهجة الأثري .

١٣ — مقدمة كتاب الحشائش والأدوية لدسقوريدس بترجمة مهران بن منصور ابن مهران وتعريف الدكتور صلاح الدين المنجد .

ومن الأمور التي تقلق المجمع ضيق بناء المكتبة الظاهرية في حالتها الحاضرة ، وقد فكر المجمع منذ عدة سنين في إصلاح البناء وتوسيعه ، ولم يتوفق لذلك . والآن تمكن المجمع بعد جهد سنوات من استملاك ما يحتاج إليه لتوسيع المكتبة وعزلها عن العقارات المجاورة الخطرة . واعتمد المال اللازم ، ولكن تأخير إنهاء الدراسة الفنية لهذا المشروع حال دون مباشرة العمل ونأمل أن يتم ذلك خلال السنة القادمة .

هذه خلاصة أعمالنا وأوضاعنا فأرجو أن يتفضل الزملاء الأفاضل بإبداء ما عندهم من الملاحظات سواء فيما تم من الأعمال أو فيما يراد عمله . وفقنا الله جميعاً في خدمة لغة القرآن وفي نشر كنوز الأجداد .

(جلسة ١٩٦٥/١٠/٧) أمين المجمع

جعفر الحسني

إهداء كتب

أهدت المواطنة الفاضلة الآنسة فلك طرزي دار الكتب الوطنية (الظاهرية) مجموعة من المخطوطات الثمينة والمطبوعات القيمة من مخلفات جدها الكبير الشيخ عبد الغني النابلسي . وهي بادرة طيبة تسجل لها مع الشكر ، آملين أن يكون عملها هذا أسوة حسنة للذين عندهم من المواطنين الكرام شيء من هذه المخطوطات والمطبوعات لأن في ذلك خدمة جليلة للغة العربية وقرائها .

❋❋

أغلاط مطبعية وتصويبات

صفحة	سطر	غلط	صواب
٧٥١	١٢	مجلة	مجلته
٧٥٢	٧	ونسبه	ونسبة
〃	٩	يصححا	يصححها
٧٥٤	١٥	صيغة	صيغه
٧٥٥	٢١	وقعت	وقد وقعت
٧٥٧	٢١	واستعمال	واستفحال
٧٥٨	٩	مواطنيهم	تواطنهم
٧٦٤	١٤	منها	منها
٧٦٤	١٦	وهما	وهو

صفحة	سطر	غلط	صواب
٧٦٧	١٤	للجهال	الجمال
٧٦٩	٢٢	في احتراز	لاحتراز
٧٧١	٨	من كثرة	كثرةُ
٧٩٨	١٣	ألفاظ عربية المادة خرجتها العامة في صيغة لم تسمع عن العرب	خرجتها العامة على صيغة معروفة إلا أن اللفظة لم تسمع عن العرب
٨٠٣	٦	على صيغة لم تسمع عن العرب	على صيغة معروفة إلاّ أن اللفظة لم تسمع
٨٠٤	٢١	للقدم	للفدم
٨٠٥	٣	بمصر على من (مَلّ)	في مصر على من (قَلّ)
٨٠٥	١٧	فهذه وأمثالها أكثر	فهذه وأمثالها كثير
٨٠٦	١	فالزنفة	الزنقة



مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

١ نيسان (أبريل) سنة ١٩٦٦ م ١١ من ذي الحجة سنة ١٣٨٥ هـ

تأويلات

في « المصون في الأدب » لأبي أحمد العسكري أن أوّل من وضع العربية أبو الأسود ، جاء إلى زياد بالبصرة فقال : إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم ، وقد تغيّرت ألسنتها ، أفتأذن إليّ أن أضع كلاماً يعرفون ـ أو يقوّمون ـ به كلامهم ، قال : لا ، فجاء رجل إلى زياد فقال : أصلح الله الأمير ، توفّي أبانا وترك بنوناً ، فقال زياد : توفّي أبانا وترك بنوناً ! ادعوا لي أبا الأسود ، فقال له : ضع للناس ما أردت أن تضع لهم .

جاء هذا الخبر في فصل عنوانه : تاريخ العربية ، وقد ذكرت في هذا الفصل طائفة من الذين برعوا في النحو ، ولكن الذي يهمّنا في الخبر أن العصر الذي عاش فيه زياد كان فيه تباعد بين العامية والفصحى ،

فهل كان ذلك العصر أوّل التباعد ، أم جاء قبله زمن بعدت فيه العربية عن الفصحى ، وهل تناهى إلينا قليل أو كثير من مفردات العامة وتراكيبها في لغتها ، نظن أن هذا الأمر لا يزال ثلمة في تاريخ أدبنا ، فكثير من حياة العامة في تلك العصور ، فضلاً عن لغتها ، لا يزال مطوياً عنّا ، وكل ما نعرفه في هذا الباب أنه على قدر القرب من خطط العرب ، ولا سيّما أهل الحجاز ، والبعد عن بلاد العجم كانت سلامة الألسنة من الفساد ، وعلى قدر المجاورة للفرس والنبط وغيرهم كان الوقوع في الخطأ واللحن .

وقد امتدّ تغيّر ألسنة العامة حتى عصر الكسائي فقد أراد الكسائي أن يشتري بابين ، فوقف على نجّار فقال له : بكم ذانك البابان ، والنجّار عاميّ لم يألف هذه الطبقة من الكلام ، فقال للكسائي : بسلحتان ! » فحلف الكسائي ألاّ يكلّم عامياً إلاّ بما يوافقه ويشبه كلامه .

إمام من أئمة النحو والعربية ، مؤدّب ولد الرشيد ، إذا قام ليلبس نعله لحاجة يريدها ابتدرها الأمين والمأمون فوضعاها بين يديه ، وإذا اعتلّ علّة منكرة أتاه الرشيد ماشياً ، متفزّعاً وخرج من عنده وهو مغموم جداً ، يسخر منه نجّار عامّي لحرصه على اللغة وتفاديه من الخطأ واللحن .

المهمّ في كل ما تقدّم أن لغة العامة في عصر زياد ، ثم في عصر الكسائي ، وهو عصر الرشيد كانت تختلف عن لغة الخاصّة وقد استمرّ هذا الاختلاف ، فقد جاء في القرن السادس إمام النحو في اليمن ، الحسن بن اسحاق اليمني ، فخاف ما كان يخافه الكسائي ، فلم يخاطب العامّة إلاّ بما يحسنون من كلامهم ، فقال :

لعمرك ما اللحن من شيمتي ... ولا أنا من خطأٍ ألحن

ولكنني قد عرفت الأنام ... فخاطبت كلاًّ بما يُحسن

وفي هذين البيتين دليل على أن الخاصة كانت تضطر إلى الانحدار إلى لغة العامّة في المخاطبات حتّى يتم التفاهم من جهة ، وحتّى لا يقع شيء من السخرية ، من جهة ثانية .

أما العصر الذي نعيش فيه فلا يزال اللحن شائعاً ، حتى في لغة الخاصة ، وإن كنّا نجد في بعض لغة العامّة ارتفاعاً إلى الفصحى في المفردات والتراكيب ، ونعتقد أن بين لغة العامّة في هذه الأيّام وبين لغتها قبل أربعين أو خمسين سنة فرقاً ليس بيسير ، وعلى الرغم من شيوع الخطأ واللحن في لغة العامة من عصور بعيدة فقد عاشت في آفاقها تراكيب كثيرة ومفردات كثيرة فيها روح الفصاحة ، من هذه التراكيب قولنا : أكل الدهر عليه وشرب ، أو قولنا : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء .

أمّا المثل الأول : أكل الدهر عليه وشرب ، فإنّا نستعمله في أحاديثنا للاشارة إلى كل أمر قديم أو شيء عتيق ، فكل أسلوب من أساليب الحياة مرَّ عليه الزمن الطويل حتى بطل صلاحه فإنما تعبّر عنه العامّة ، حتى الخاصة بقولهم : أكل الدهر عليه وشرب ، غير أن إماماً من أئمة الأدب في القديم قد فسّر لنا هذا المثل تفسيراً يختلف عن فهم العامّة والخاصة له ، يقول المبرّد في كامله : ومن أمثال العرب إذا طال عمر الرجل أن يقولوا : لقد أكل عليه الدهر وشرب ، إنما يريدون أنه أكل هو وشرب دهراً طويلاً ، قال الجعدي :

كم رأينـــا من أناس هلكوا أكل الدهر عليهم وشرب

والعرب تقول : نهارك صائم وليلك قائم ، أي أنت قائم في هذا وصائم في ذاك ، ثم أفاض المبرّد في الاستشهاد في هذا المجال ، فأصل معنى هذا المثل : أكل الدهر عليه وشرب ، بحسب رأي المبرّد أن الرجل قد طال

عمره حتى أكل هو وشرب دهراً طويلاً ، فاذا صحّ تفسير المبرّد ، وهو من أئمة الأدب ، فلم يبق من أصل معنى المثل شيء في يومنا هذا ، فقد تصرّفت العامّة والخاصّة فيه كل تصرّف ، حتّى نقلوه من وجه إلى وجهٍ .

أمّا التركيب الثاني فهو قولنا : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء ، ظاهر معناه أن الرجل إذا مات فيه الحياء فيلصنع ما يشاء فلم يبق منه موضع للومٍ أو تبكيت أو خجل ، وما شابه ذلك ، وهذا تركيب شائع في مخاطبات العامّة والخاصّة ، إلاّ أن أحد الأئمة ذهب في تفسير هذه الجملة مذهباً يختلف الاختلاف كله عمّا نذهب إليه ، قال ياقوت في معجم الأدباء : وحدّث المبرّد قال : سمعت المازني يقول : معنى قولهم إذا لم تستح فاصنع ما شئت ، أي إذا صنعت ما لا يُستحى من مثله فاصنع منه ما شئت ، وليس على ما يذهب إليه العوام ، قلت : وهذا تأويل حسن .

فاذا صحّ تأويل المازني لهذا القول المأثور : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء ، فما أدري ما بقي من أصل معناه الذي تفهمه العامّة والخاصّة ، فقد خرجنا بمعناه عن أصله حتى لم يبق له أثر .

ولا بأس بأن ننتقل من هذه التأويلات إلى لفظٍ مستفيضٍ في كلام العامّة والخاصة على السواء ، إنّا نسمع كل يوم في مخاطباتنا وأحاديثنا هذا اللفظ : متكاتفون ، ونحن نريد بهذا الاسم أنهم متضافرون ، متعاونون ، والظاهر أن هذه المادّة قد حرّفت ، ففي أخبار الخوارج في كامل المبرد وردت هذه الجملة : ثم انهم تراجعوا وتكانفوا ، وقد وردت : تكانفوا ، بالنون لا بالتاء ، ووضّح الأخفش معنى هذا اللفظ وردّه إلى أصله فقال : تكانفوا ، أعان بعضهم بعضاً واجتمعوا وصار بعضهم في كنف بعض . . .

فلا شك في أن ورود لفظة : كنف قد حلّ المشكلة ، ولم أجـــد في معجم الفيروزابادي لفظ : تكاتفوا ، بالتـــاء ، وإنما وجدت فيه : تكانفوا ، بالنون .

★ ★ ★

ما هي نتيجة هذه التأويلات :

إذا تباعدت العامية والفصحى من أحقاب مديدة فقد بقيت في العامية جمل ومفردات عاشت سنين طويلة ، مثل الجمل التي ذكرتها في هذا المقال ، وسواء أفهمنا معاني هـــذه الجمل على الوجه الذي وضّحه المبرّد والمازني والأخفش أم فهمنا معانيها على الوجه الذي تصرّفنا فيه ، إن لغتنا العامّة قد اتسع أفقها بأمثال هذه الجمل من بقايا الفصاح ، أمّا القول في هذه التأويلات من حيث الخطأ والصواب فإنما يرجع إلى أئمة اللغة في هذا العصر ولست واحداً منهم .

شفيق جبري

الاصطلاحات الفلسفية

- ٢٥ -

رأس المال

في الفرنسية	Capital
في الانكليزية	Capital
في اللاتينية	Capitalis

إذا استقرض المرء مبلغاً من المال وجب عليه أداؤه مع فوائده عند الأجل . ويسمى المبلغ الأصلي المجرد من الفوائد برأس المال .

غير أن بعض علماء الاقتصاد يوسعون معنى هذا اللفظ فيطلقونه على كل ثروة منتجة كالمزارع والمساكن والمعامل والآلات والأدوات والأوراق المالية والمتاجر بخلاف المآكل والملابس وأدوات الزينة فانهم لا يعتبرونها رؤوس أموال .

وإذا قصرنا الآن كلامنا على الناحية الفلسفية فقط أطلقنا اصطلاح رأس المال على المعنيين الآتيين :

١ — يطلق رأس المال على كل ثروة من جهة ما هي جالبة لصاحبها دخلاً . والمقصود بالدخل هنا العوائد والأرباح وبدلات الإيجار وغيرها .

٢ — ويطلق رأس المال أيضاً على كل ثروة من جهة ما هي معدة لإنتاج ثروات أخرى .

ورأس المال عنوان كتاب (كارل ماركس) (١٨٦٧) وهو انجيل الاشتراكية الاقتصادية المعاصرة ، جاء فيه أن قوانين تطور الأمم تابعة للأحوال المادية ، وأن الظواهر الاقتصادية تؤثر في كل حركة اجتماعية ، وأن النظام القائم على رأس المال حالة موقتة ، وأن قيمة الشيء ترجع إلى كمية العمل المدخرة فيه ، الخ .

ويطلق لفظ (الرأسمالية) Capitalisme في أيامنا هذه على النظام الاجتماعي الذي يكون فيه العمال غير مالكين للثروات التي يستثمرونها . ويطلق أيضاً على مذهب من يرى أن الفصل بين العمل ورأس المال أصلح لزيادة الانتاج وتحقيق الرخاء والعدل وتوفير الخير والسعادة . والرأسمالي هو المنسوب إلى رأس المال تقول رجل رأسمالي أو مشروع رأسمالي ، أو نظام رأسمالي ، الخ .

الرأي

في الفرنسية	Opinion
في الانكليزية	Opinion
في اللاتينية	Opinio

الرأي في اللغة الاعتقاد والعقل والتدبير . تقول رآه رأي العين ، أي ظنه بحسب مقتضى مشاهدة العين . وقيل : الرأي اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن ، وقيل أيضاً : الرأي إجالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها إنتاج المطلوب .

والرأي في اصطلاحنا حالة للنفس تقوم على اعتقادها صدق القضية مع التسليم بأنها قد تكون مخطئة في اعتقادها . لذلك قال (كانت) : الرأي هو اعتقاد صدق القضية مع الشعور بأن الأسباب الموضوعية والذاتية لذلك الاعتقاد غير كافية .

وكل قضية فرضها فارض فهي رأي . والفرق بين الرأي واليقين أن اليقين هو الاعتقاد المستند إلى أسباب موجبة تنتج المطلوب اضطراراً ، كاعتقادنا أن ٢ × ٢ = ٤ ، على حين أن الرأي هو الاعتقاد الذي تكون فيه أسباب الإيجاب أقوى من أسباب النفي ، كاعتقادنا أن الاقتصاد الموجّه أفضل من الاقتصاد الحر . وإذا كانت أسباب الإيجاب مساوية لأسباب النفي توقف العقل عن الحكم ووقع في الشك . فالرأي إذن هو الاعتقاد المحتمل ، لا الاعتقاد اليقيني ، وهو وسط بين الشك واليقين .

والرأي العام (Opinion publique) هو الاعتقاد الجماعي أو الحكم الذي يشترك فيه الجمهور . وهو لا يوجب أن يكون أصحابه شاعرين بما فيه من خطأ أو ضعف .

الرؤيا

الرؤيا ما يرى في النوم ، وجمعه رؤى . وقد يطلق لفظ الرؤى على أحلام اليقظة ، (Rêverie) . والفرق بين الرؤيا والرؤية أن الرؤيا مختصة بما يكون في النوم على حين أن الرؤية مختصة بما يكون في اليقظة . فالرؤيا بالخيال ، والرؤية بالعين ، والرأي بالقلب . ومنه رؤى المصلحين الاجتماعيين وأحلام الفلاسفة راجع لفظ الحلم (Rêve) ،

الرؤية

في الفرنسية Vision
في الانكليزية Vision
في اللاتينية Visio

الرؤية هي المشاهدة بالبصر ، وقد يراد بها العلم مجازاً ، وإذا كانت مع الإحاطة سميت إدراكاً .

وتطلق الرؤية في الفلسفة الحديثة على وظيفة حاسة البصر (راجع لفظ البصر) . قال (برغسون) : للرؤية عند مختلف الحيوانات درجات متفاوتة ، بحيث تكون قوتها واحدة يكون التعقيد في بنيتها واحداً .

وإذا أطلقت الرؤية على المشاهدة بالنفس سميت حدساً ، (Intuition) ، (راجع لفظ الحدس) .

وقد تطلق الرؤية على مشاهدة الحقائق الإلهية أو على المشاهدة بالوحي أو على الإدراك بالوهم أو المشاهدة بالخيال .

والرؤية في الله (Vision en Dieu) نظرية للفيلسوف (مالبرانش) جاء فيها أن الإنسان لا يدرك الأشياء والقوانين مباشرة ، بل يدرك صورها في الله لاتحاده المباشر به .

ومن الفلاسفة من نفى رؤية الله محتجاً بقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار » أي لا يرى بصورة أو شكل مخصوص ، ولأن الرؤية مختصة بالآخرة .

ورؤية الذات (Autoscopie) نوعان : خارجية وداخلية . فالخارجية (Autoscopie externe) هي التوهم ، وهي أن يرى المرء نفسه ماثلة أمامه ، والداخلية (Autoscopie interne) هي رؤية المرء أعضاءه الداخلية . راجع كتاب (سولييه – Sollier) ظواهر رؤية الذات (Les phénomènes d'autoscopie) .

الرائز

في الفرنسية Test

في الانكليزية Test

وفي اللاتينية (Testa) وهو إناء من الفخار كان الكيميائيون القدماء يختبرون فيه الذهب ، رازه جربه واختبره ، وراز الدينار وزنه حتى يعلم

مقداره ، وراز الحجر ونحوه اختبره حتى يعلم ثقله ، ومنه الرائز ، وهو في علم النفس اختبار يستخدم لتحديد صفات الشخص من الناحية الجسمية والنفسية تحديداً موضوعياً .

والرائز قسمان : رائز الاستعداد ورائز النمو . الأول يكشف عن استعدادات الفرد ، والثاني يكشف عن درجة تقدمه أو تأخره بالنسبة إلى سنه .

ومن الروائز ما تقاس به القدرة (Ability) ، أو الدقة (Accuracy) ، أو التداعي (Association) أو الفهم أو الذكاء العام ، أو المهارة العملية ، ومنها ما يقاس به درجة التحصيل أو قوة الشخصية أو كيفية الاستجابة لأمر من الأمور ، ومنها ما هو تشخيصي ، ومنها ما هو لفظي أو غير لفظي الخ . .

وقد تطبق طريقة الروائز في دراسة الجماعات . مثال ذلك أن الأخطاء التي يقترفها التلاميذ في درس الإملاء يمكن أن تتخذ رائزاً تقاس به درجة تعبهم .

الرائع

في الفرنسية	Sublime
في الانكليزية	Sublime
في اللاتينية	Sublimis

راع منه روعاً فزع ، وراع الشيء ريعاً نما وزاد ، وراع الأمر فلاناً أعجبه ، تقول : راعني جماله ، وراعني كلامه . والروعة المسحة من الجمال . وهي مشتملة في الأصل على معنى الفزع والإعجاب والنمو والزيادة .

والرائع في اصطلاحنا ما جاوز الحد في نواحي الفن والأخلاق والفكر .

وكل أمر جاوز الحد ، فهو يدهشنا ، ويروعنا ، ويثير إعجابنا ، لأنه يشعرنا بالصراع المفجع بين وجودنا الواقعي ووجودنا المثالي .

زعم (كانت) أن الرائع والجميل متحدان في الجنس مختلفان في النوع ، فالجميل ما كان تاماً ومتناهياً ، والرائع ما كان غير متناه . كالرائع الرياضي الذي لا يتناهى في الكم . والرائع الديناميكي الذي لا يتناهى في القوة . والجميل أيضاً ما دلّ على الانسجام والتناسق ، والرائع ما دلّ على الصراع بين الفكر والخيال . وحال المتصف بالروعة في ميدان الفن كحال المتصف بالتضحية والجود في ميدان الأخلاق ، كلاهما يجاوز الحدود المألوفة ، ويذهب إلى ما وراء الواقع .

أما الفلاسفة المتأخرون فانهم لا يفرقون بين الرائع والجميل ، بل يقولون إنهما مترادفان (غوبو ، سوريو) ؛ تقول : الصورة الرائعة ، أي الصورة الجميلة ، وتقول أيضاً المرأة الرائعة الجمال ، أي الفائقة الجمال .

الرابطة

في الفرنسية Copule

في الانكليزية Copula

في اللاتينية Copula

الرابطة هي العلاقة أو الوصلة بين الشيئين ، وعند المنطقيين الشيء الدال على النسبة أي على الوقوع أو اللاوقوع المتفق عليه في القضية . وقد سمي الشيء الدال على النسبة رابطة لأنه يربط المحمول بالموضوع .

وقد تكون الرابطة لفظاً ظاهراً كما في اللغـــة اليونانية أو الفارسية أو الفرنسية أو تكون حركة إعرابية أو هيئة تركيبية كما في اللغة العربية . فاذا كانت لفظاً كانت زمانية كما في فعل كان وأمثاله ، وإذا كانت في صورة

الاسم كانت غير زمانية كما في قولنا : زيد هو قائم وإذا كانت حركة إعرابية أو هيئة تركيبية ، دلّت على الوجود زمانياً كانَ أو غير زماني كما في قولنا : زيد قائم .

واللغات مختلفة في استعمال الرابطة وجوباً وامتناعاً وجوازاً ، فاللغات اليونانية والفارسية والفرنسية مثلاً توجب ذكر الرابطة ، واللغة العربية تحذفها .

وقد تطلق الرابطة على الفعل من جهة تعبيره عن وقوع النسبة بين حدود القضية كما في قولنا : اشترى زيد لعمرو كتاباً . فزيد وعمرو وكتاب حدود القضية ، واشترى رابطتها الزمانية .

ويطلق لفظ الرابطة عند المحدثين على الجماعة يجتمعون على أمر يشتركون فيه ، يقال رابطة الأدباء ، ورابطة العلماء ، ورابطة المدرسين . الخ .

الربط

في الفرنسية Association

في الانكليزية Association

في اللاتينية Associatio

الربط إحداث علاقة بين مدركين لاقترانها في الذهن بسبب ما . فاذا كان قيام العلاقة بين المدركات آلياً سمي الربط بتداعي الأفكار (Association des idées) ، أو بترابط المعاني . وإذا كان منطقياً سمي بتناسق الأفكار ، (راجع : تداعي الأفكار) .

الرجوع

في الفرنسية Retour

في الانكليزية Return

الرجوع هو العود إلى ما كان عليه مكاناً أو صفةً أو حالاً . كالرجوع

إلى المكان أو الرجوع إلى الفقر أو الغنى ، أو الرجوع إلى الصحة أو المرض ، أو غيره من الصفات . أما الرجعة فهي الرجوع إلى الحياة بعد الموت . والرجعي هو المنسوب إلى الرجعة وعند المحدثين : من يذهب مذهب سلفه ولا يساير الزمن . ومنه الرجعيّة أي الجري على مذهب السلف في الأفكار والعادات دون مسايرة التطور .

والرجوع الأبدي (Retour éternel) نظرية رواقية خلاصتها أن الأشياء ترجع بعد انقضاء الآلاف من السنين إلى ما كانت عليه أولاً . ولهذه النظرية في تاريخ الفكر عدة أشكال : (١) شكل ديني كقول بعض الملل بالرجعة أي بالرجوع إلى الحياة بعد الموت (٢) وشكل فلسفي كما في مذهب هرقليطس ومذهب الرواقيين (٣) وشكل شعري كما في آراء (هين – Heine) و(دوستويفسكي – Dostoïevski) و (غويو – Guyau) و (نيتشه – Nietzsche) (٤) وشكل علمي كما في نظريات (بلانكي – Blanqui) و (ناجلي – Naegeli) و (لوبون – Le Bon) و (بكرل – Becquerel) . وللرجوع الأبدي عند بعض الكتاب المعاصرين معنى أخلاقي ، لأنهم يقولون : إذا كانت كل لحظة من الحياة تعود إلى ما كانت عليه فمرد ذلك إلى أنها أبدية ، فالحاضر رجوع إلى الماضي ، والمستقبل رجوع إلى الحاضر ، ولا حد ولا نهاية لهذا الرجوع المتعاقب .

والرجوع التاريخي (Retour historique) نظرية للفيلسوف الإيطالي (فيكو) جاء فيها أن التاريخ يعيد نفسه ، وأن الأحوال الحاضرة ليست سوى رجوع إلى الأحوال الماضية ، وكذلك أحوال المستقبل فهي رجوع إلى أحوال الحاضر ، وهكذا دواليك .

والرجوع إلى الماضي (Rétrospection) أيضاً هو النظر إلى الوراء أي الذهاب من الحاضر إلى الماضي ، لا لتعليل الحاضر بالماضي فحسب ، بل لتفهم الماضي بالاستناد إلى الحاضر .

ويطلق لفظ الرجعي (Rétrograde) في أيامنا أيضاً على ما كان مضاداً للتقدم أي على كل مذهب يريد أن يرجع بالمجتمع إلى حالة سابقة أدنى من حالته الحاضرة .

الرحمة

في الفرنسية Charité

في الانكليزية Charity

في اللاتينية Charitas , Caritas

١ — الرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضّل والإحسان . وتطلق على إرادة إيصال الخير . وفرقوا بين الرحمة والرأفة بقولهم إن الرحمة إيصال المسرّة إلى المرء ، والرأفة دفع المضرة عنه . والرحمة أيضاً هي الإيمان والنعمة والرزق ، والنصر ، والفتح ، والعافية ، والمودة ، والسعة ، والمغفرة ، والعصمة .

٢ — ويطلق لفظ الرحمة في اللاهوت المسيحي على أولى الفضائل الدينية وهي المحبة . والمقصود بالمحبة هنا أن تحب الله لذاته ، وأن تحب الأقربين في الله وبالله ، ولهذه المحبة الدينية صفة تميزها من كل ما عداها ، لأنها مضافة إلى محبته تعالى ، فلولا حبّك لله لما احببت قريبك كما تحب نفسك . ومعنى ذلك أنها لا تدل على أنواع معينة من الفعل أو أنماط محددة من السلوك ، بل تدل على المبدأ الروحي المحيط بالفضيلة ، فاذا كان للانسان كل الإيمان كما يقول بولس الرسول ولم يكن له محبة لم يكن شيئاً .

٣ ـــ والرحمة عند بعض النظار المسلمين من صفات الذات ، لأن الله سبحانه أراد في الأزل أن يرحم عباده . وهي عند بعضهم الآخر من صفات الفعل ، بمعنى أن الله قادر على أن يعطي عبده ما لا يستحقه من المثوبة ، ويدفع عنه ما يستوجبه من العقوبة . لذلك قيل : إن الرحمة ترك عقوبة من يستحق العقوبة .

والله تعالى رحمن ورحيم . فالرحمن هو البالغ في الرحمة غايتها التي يقصر عنها كل من سواه ، والعاطف على جميع خلقه بالرزق لهم ، لا يزيد في رزق التقي بتقواه ولا ينقص من رزق الفاجر بفجوره . والرحيم هو الرفيق بالمؤمنين خاصة ، يستر عليهم ذنوبهم في العاجل ، ويرحمهم في الآجل .

٤ ـــ ويطلق لفظ الرحمة في الفلسفة الحديثة على الفضيلة المقابلة للعدالة . ولهذا التقابل بينهما وجهان :

آ ـــ فإما أن تقسم الواجبات الأخلاقية قسمين : الأول يشمل واجبات الرحمة وهي إيجابية ، والثاني يشمل واجبات العدالة وهي سلبية . فالرحمة توجب فعل الخير والجود بالنفس في سبيل الآخرين ، على حين أن العدالة توجب اجتناب فعل الشر ، والامتناع عن التعدي على حقوق الآخرين . لذلك قيل إن واجبات العدالة ضيقة وواجبات الرحمة واسعة . فكل ما كان عدلاً كان مطابقاً لحق معترف به في القانون ، وكان من حق صاحبه أن يطالبك بتأديته . وكل رحمة كان قيامك به تفضلاً وإحساناً .

ب ـــ وإما أن يكون التقابل بين الرحمة والعدالة كتقابل المبدأ والقاعدة . فالرحمة مبدأ أخلاقي عام أو مبدأ ذاتي ووجداني ، والعدالة قاعدة أخلاقية عملية موضوعية واجتماعية . ومعنى ذلك أن الرحمة والعدالة واجبان متحدان في الباطن مختلفان في الظاهر ، لأنه من الممكن أن يكون مبدأ الرحمة محرك الأفعال العادلة ، كما انه من الممكن أن تكون العدالة وسيلة لتطبيق

شروط الرحمـــة وتحقيق غاياتها . لقد قال (ليبنيز) : العادل رحيم ، وقال (اغجر) : الرحمة خلاف الإحسان ، فمن كان محسناً وجواداً لمنفعة أو عوض أو إعجاب بالنفس لم يكن رحيماً .

الردّ

في الفرنسية	Réplique
في الانكليزية	Reply

رده رداً أرجعه ، ورده إليه أعاده ، ورد عليـــه كذا لم يقبله ، ورد عليه أجابه ، ورد إليه جوابه رَجّعه وأرسله . والرد ما يرد به . ومنه في اصطلاحنا الرد على الأعتراض ، أو إخراج الشيء من الحكم العام ، أو استثناء الاستثناء .

الرذيلة

في الفرنسية	Vice
في الانكليزية	Vice
في اللاتينية	Vitium

الرذيلة ضد الفضيلة ، وهي عادة فعل الشر . وإذا كانت الفضيلة في الاعتدال كما يقول (آرسطو) فان الرذيلة في مجاوزة حد الاعتـــدال ، أي في اتباع الهوى ومخالفة العقل . وكما ندرك السعادة باتباع الفضائل فكذلك نساق إلى الشقاء باتباع الرذائل . والله سبحانه يحب الفضيلة ويكره الرذيلة . قال (دوسال) : سبب شقائنا أن خوفنا من الرذائل أشدّ من حبنا للفضائل . وقال (لابروير) : تنشأ الرذائل عن فساد في القلب والعيوب عن خلل في المزاج . وقال (جانكافيتش) : نسبة الرذيلة إلى الخطيئة كنسبة الهوى إلى الغضب .

الرسم

في الفرنسية Description

في الانكليزية Description

الرسم عند المنطقيين مقابل للحد ، وهو قسمان : رسم تام ، ورسم ناقص . فالتام ما يتركب من الجنس القريب والخاصة ، كتعريف الإنسان بالحيوان الضاحك . والناقص ما يكون بالخاصة وحدها ، أو بها وبالجنس البعيد ، كتعريف الإنسان بالضاحك ، أو بالجسم الضاحك أو بعرضيات تختص جملتها بحقيقة واحدة كقولنا في تعريف الإنسان إنه عاش على قدميه عريض الأظفار ، بادي البشرة ، مستقيم القامة ، ضحاك بالطبع (تعريفات الجرجاني) .

والرسم عند الأصوليين أخص من الحدّ ، لأنه قسم منه ، وعند الصوفية هو المادة والخلق وصفاته ، لأن الرسوم هي الآثار ، وكل ما سوى الله تعالى آثار ناشئة عن أفعاله .

ويرى فلاسفة (البور رويال) أن تعريفات الأشياء قسمان الأول هو الحد المؤلف من الجنس القريب والفصل ، والثاني هو الرسم المؤلف من عرضيات تختص بالشيء وتعين على تمييزه من غيره . والحدّ أدق من الرسم .

الرضى والرضاء

في الفرنسية Consentement

في الانكليزية Assent, Consent

في اللاتينية Consentio, Consensus

الرضى كمال إرادة وجود الشيء . والفرق بين الرضى والرضاء أن الرضى هو المرضاة ، والرضاء هو المراضاة . والرضى أخص من الإرادة . وهو

قسمان : قسم يكون لكل مكلف ، وهو ما لا بدّ منه في الإيمان ، وحقيقة قبول ما يرد من الله من غير اعتراض على حكمه وتقديره . وقسم لا يكون إلا لأرباب المقامات ، وحقيقته ابتهاج القلب وسروره بالمقضي .

والرضى فوق التوكل لأنه مرادف للمحبة . والرضوان بمعنى الرضى . والرضاء عند المعتزلة هو الإرادة ، وعند الأشاعرة ترك الاعتراض على ما قدره الله .

والرضاء هو القبول والتسليم تقول رضيه ورضي به اختاره وقبله ، وله درجات أدناها الظن وأعلاها اليقين . قال (مالبرانش) : ينبغي للمرء أن يسلم بالقول الذي يجده صحيحاً . لأنه إذا ثبتت له صحة القول وامتنع عن التصديق به شعر بقلق النفس وملامة العقل .

والرضاء هو المصادقة والموافقة ومنه قولهم الرضاء العام ، أو الرضاء الكلي بمعنى الإجماع والاتفاق . والرضاء أيضاً الموافقة على أمر أراده غيرك من غير اعتراض عليه ، كموافقة الوالد على زواج ولده ، تقول رضي الزواج له أي رآه أهلاً له فوافق عليه . ومع ذلك فالرضاء أضعف من الإرادة والقرار والتصديق لأن المرء قد يرضى بالشيء المكروه تسليماً لا حباً وإرادة ، كمن أصابته مصيبة فيرضى بما قدر له ويقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

الرغبة

في الفرنسية Désir

في الانكليزية Desire

في اللاتينية Desiderum

رغب في الشيء حرص عليه وطمع فيه ، ورغب الشيء وفيه أراده ، ومنه الرغبة وهي النزوع التلقائي الداعي إلى غاية معلومة أو متخيلة . وتحت

كل رغبة نزعة ، كما ان تحت كل إرادة رغبة . ومعنى ذلك أن الرغبات مبنية على النزعات . والفرق بين الرغبة والنزعة أن الرغبة أخص من النزعة وأكثر تعقيداً منها .

والرغبة مقابلة للارادة لأن الإرادة تقتضي عدة شروط وهي :

١ — تنسيق النزعات .

٢ — التفريق بين الذات المدركة والشيء المدرك .

٣ — الشعور بجدوى الفعل وإنتاجيته .

٤ — التفكير في الوسائل المؤدية إلى تحقيق الغايات .

وجميع هذه الشروط غير متوافرة في الرغبة . فالرغبة إذن وسط بين النزوع والإرادة . قال (رينان) : « الرغبة هي المحرك الإلهي الأكبر لفاعلية الإنسان » . وكل رغبة فهي توهم ، إلا أننا لا ندرك بطلانها إلا بعد إشباعها . وقال (لافل) : إن من خواص الرغبة أن تعمل على خلق المستقبل لا أن تقتصر على الاتجاه إليـــه ، وقال (ريكور) : اللذة المتخيلة تسمى رغبة والألم المتخيل يسمى خوفاً . وقال (رانسون) : إن اتصاف الرغبة بالتلقائية الطبيعية جوهر الفعل ومنبعه وأصله الأول .

وكل أثر من آثار الإنسان فهو يتولد من رغباته . حتى لقد قيل إن الإنسان باقة من الرغبات .

الرقابة

في الفرنسية Contrôle

في الانكليزية Control

رقب الشيء لاحظه وحرسه وحفظه ، ورقب النجم رصده . والرقابة في اصطلاح المحدثين المراقبة ، وهي التحقق من تنفيذ الأمر على وجهه .

وتطلق أيضاً على عمل من يراقب الكتب أو الصحف قبل نشرها أو على تدخل الحكومة في سعر الصرف وتسمى رقابة الصرف (Contrôle des changes) .

وتطلق الرقابة في علم التحليل النفسي على تأثير الجانب الأعلى من الأنا في منع التصورات والعواطف المكبوتة من الرجوع إلى مسرح الشعور (Censure) .

الرقم

في الفرنسية Chiffre

في الانكليزية Cipher

الرقم في الأصل الكتابة والنقش والعلامة والختم ، وما يكتب على الثياب وغيرها من أثمان ، وفي علم الحساب رمز يمثل عدداً .

والأرقام العربية هي : 1 ، 2 ، 3 .. الخ . أما الأرقام الهندية فهي : ١ ، ٢ ، ٣ .. الخ . ولفظ شيفر (Chiffre) الفرنسي مشتق من لفظ الصفر العربي . والرقم عند بعض الفلاسفة هو الرمز الذي يعبر به عن بعض التصورات وتأويلاتها فكل شيء رقم أي علامة ترمز إلى شيء كوني أو أمر إلهي .

والرقم القياسي هو الرقم الذي يتفوق به المتباري على غيره في الألعاب تقول : ضرب الرقم القياسي في القفز العالي .

والأرقام القياسية في الاقتصاد هي الأرقام التي تقاس بها درجة التغيرات التي تطرأ على بعض الظواهر الاقتصادية ، كالأسعار ، والأجور ، ومقادير الانتاج ، وغيرها . تقول : الرقم القياسي في إنتاج السيارات . أي النتيجة الخارقة التي تفوق ما سبقها في هذا الميدان من الانتاج .

الرمز

في الفرنسية Symbole

في الانكليزية Symbol

وهو مشتق من اللفظ اليوناني : Sumbolon

الرمز في اللغة الإيماء والإشارة والعلامة . وله في اصطلاحنا عدة معان :

١ — الرمز ما دل على غيره . وله وجهان : (الأول) دلالة المعاني المجردة على الأمور الحسية كدلالة الأعداد على الأشياء ، ودلالة الحروف على الكميات الجبرية . (والثاني) دلالة الأمور الحسية على المعاني المتصورة كدلالة الثعلب على الخداع ، والكلب على الوفاء ، والحرباء على التقلب ، والفراشة على الطيش ، والصولجان على الملك ، والشعار على الدولة .

٢ — ويطلق الرمز أيضاً على كل حد في سلسلة المجازات يمثل حداً مقابلاً له في سلسلة الحقائق ، وكل لفظ أخذ عن معناه وأطلق على آخر مجازاً فهو بمعنى ما رمز له .

٣ — ويطلق الرمز أيضاً على علامة التعارف بين الأفراد المنتسبين إلى جمعية سرية ، أو هيئة مخصوصة ، كرموز الماسونية ، أو إشارات المنظمات الثقافية والاجتماعية أو علامات الجيوش وغيرها .

والرمزي (Symbolique) هو المنسوب إلى الرمز كالكتابة الرمزية أو التمثيل الرمزي أو التفكير الرمزي ، وهو التفكير المبني على الصور الإيحائية خلافاً للتفكير المنطقي المبني على المعاني المجردة .

والرمزية (La symbolique) علم يبحث في أسرار الرموز المستعملة في بعض الديانات أو بعض الفرق الباطنية . والرمزية أيضاً نظرية الرموز ، وجبر المنطق (Logistique) .

وللطريقة الرمزية أو المذهب الرمزي (Symbolisme) عدة معان (منها) استخدام الرموز للدلالة على الأوضاع الاجتماعية كدلالة ملابس القضاة والسفراء وأساتذة الجامعات وأفراد الجيش مع مراتبهم (ومنها) الرموز المستعملة في الحساب والجبر ، و(منها) تأويل العقائد ، أو المذاهب القديمة تأويلاً رمزياً ، على النحو الذي فعله أفلاطون وبعض فلاسفة العـــرب في إلباس الحقائق الفلسفية ثوباً رمزياً (ومنها) مذهب من يقول ان العقل البشري لا يدرك إلا الرموز (ومنها) مذهب في الشعر يقول بالتعبير عن المعاني بالرمز والإيحاء ليدع للقارئ نصيباً في تكميل الصور أو تقوية العاطفة بما يضيف إليها من توليد خياله .

الروح

في الفرنسية	Esprit
في الانكليزية	Spirit
في اللاتينية	Spiritus

الروح ما به حياة الأنفس ، وهو اسم للنفس لكون النفس بعض الروح ، أو لكونها مبدأ الحياة العضوية والانفعالية . وله في اصطلاحنا عدة معان .

١ — الروح هو الريح المتردد في مخارق الانسان ومنافذه . وهي عند قدماء الأطباء جسم بخاري لطيف يتولد من القلب وينشر بواسطة العروق الضوارب في سائر أجزاء البدن ، ومنه الأرواح الحيوانية (Esprits animaux) عند ديكارت وأصحابه ، وهي أجزاء لطيفة من الدم تذهب من القلب إلى الدماغ ثم تنتشر منه بواسطة الأعصاب في سائر أجزاء البدن .

٢ — والروح مبدأ الحياة في البدن فإنّ من شروط حياته سريان الروح فيه كسريان ماء الورد في الورد .

٣ — والروح مرادفة للنفس الفردية . ويرى بعض المتصوفة وعلماء اللاهوت أن هذه النفوس الفردية صور إلهية قادرة على الاتصال بالله . ومنه قولهم ان الملائكة ، والجن ، والنفوس الإنسانية الباقية بعد الموت ، أرواح مجردة .

٤ — والروح هي الجوهر العاقل المدرك لذاته من حيث هي مبـــدأ التصورات ، والمدرك للأشياء الخارجية من جهة ما هي مقابلة لذاته المدركة وهذا التقابل بين الذات المدركة والشيء المدرك أي بين (الأنا) و (اللا أنا) شائع في الفلسفة الحديثة وله وجوه :

(آ) الروح ما يقابل المادة . وهذا التقابل ظاهر في قولنا : الفكر مقابل لموضوعه . ووحدة الجوهر العاقل مقابلة لكثرة العناصر الداخلة في تركيب مدركاته .

(ب) والروح مقابلة للطبيعة . كمقابلة المبدأ المحدث للشيء الحادث ، أو مقابلة الحرية للضرورة ، أو مقابلة التفكير المنطقي للفاعلية التلقائيـة .

(ج) والروح مقابلة للبدن ، لأن الروح تمثل القوة العاقلة والبدن يمثل الغرائز الحيوانية . لذلك قيل إن للبدن شهوات مضادة لمنازع الروح .

٥ — وإذا أطلق لفظ الروح على ما يقابل الحساسية دل على القوة المفكرة ، أي على القوة المستقلة عن الهوى . لذلك قيل إن الأرواح الضعيفة (Esprits faibles) هي العقول العاجزة عن التفكير الموضوعي المنظم ، أو العقول السريعة التأثر بالإيحاء وقد يضيق مدلول هذا اللفظ فيطلق على إحدى صفات الفكر بدلاً من إطلاقه على وظيفته العامة ، كقولهم : الروح الفلسفية ، أو الروح الهندسية ، أو الروح الانتقادية .

٦ — وروح الشيء نفسه ، فاذا أضيف لفظ الروح إلى الشيء دل على ماهيته وجوهره ، كقولنا روح المذهب الرواقي ، أو روح المذهب العقلي ، أو روح القانون ، أي معناه وحقيقته .

٧ — وقد يطلق لفظ الروح على الجزء الطيار للمادة بعد تقطيرها كقولنا روح الخمر ، ومنه المشروبات الروحية .

٨ — وللروح في القرآن الكريم عدة معان (الأول) ما به حياة البدن (والثاني) بمعنى الأمر (والثالث) بمعنى الوحي (والرابع) بمعنى القرآن (والخامس) بمعنى الرحمة (والسادس) بمعنى جبريل .

٩ — والروح الأعظم مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها ، وروح القدس عند المسيحيين أحد الأقانيم الثلاثة .

١٠ — والأرواح المتمردة أو الأرواح القوية (Esprits forts) هي الأرواح الغريبة أو الأرواح المعادية للعقائد الدينية ومنه قول (باسكال) : الإلحاد علامة الأرواح المتمردة ، وقول (لابروير) : هل تدري الأرواح المتمردة أننا لا نصفها بالقوة إلا تهكماً . الأرواح القوية هي الأرواح الضعيفة .

١١ — وقد اختلف العلماء في النفس والروح ، فقال فريق : هما متغايران ، لأن النفس بعض الروح ، وقال فريق : هما شيء واحد ، لأننا نعبر عن النفس بالروح وبالعكس ، وهذا القول في نظرنا هو الحق .

الروح (علم)

في الفرنسية Spiritisme

في الانكليزية Spiritism

وهو مذهب من يرى أن الروح تبقى بعد الموت على صورة جسم بخاري لطيف لا يرى بالعين بل يظهر بتأثير الوسطاء في ظروف خاصة .

والفرق بين علم الروح والمذهب الروحاني (Spiritualisme) :

١ — إن علم الروح لا يبحث إلاّ في أرواح الأموات .

٢ — وإنه يبني نظرياته على التجربة لا على الاستدلال .

٣ – وإنه يلبس الروح ثوباً مادياً يسمى بالغشاء البخاري لا يرى إلا في ظروف خاصة .

٤ – وأنه يعزو إلى الروح تأثيراً مادياً كتأثيرها في تحريك الأجسام .

على حين أن المذهب الروحاني لا يشتمل على شيء من ذلك .

والفرق بين علم الروح وعلم ما بعد الطبيعة ، ان علم ما بعد الطبيعة يحاول أن يفسر الظواهر التي يتكلم عليها علماء الروح بتأثير قوى أعلى من قوى النفس الانسانية ، على حين أن علم الروح يحاول تفسيرها بتأثير أرواح الأموات في العالم المادي .

الروحاني (المذهب)

في الفرنسية Spiritualisme

في الانكليزية Spiritualism

١ – المذهب الروحاني نقيض المذهب المادي . وهو القول بروحانية النفس واستقلالها عن البدن ، فكل مذهب يرى أن الانسان مؤلف من روح وبدن فهو مذهب روحاني .

٢ – والمذهب الروحاني في علم النفس مذهب من يرى أن التصورات والظواهر العقلية والأفعال الإرادية لا تعلل بالظواهر العضوية .

٣ – والمذهب الروحاني في فلسفة الأخلاق وعلم الاجتماع مذهب من يرى أن الفرد والمجتمع يهدفان إلى غايتين : إحداهما متعلقة بالحياة الحيوانية أو المادية ، والأخرى متعلقة بالحياة الروحية المحضة . وهاتان الغايتان متعارضتان .

٤ – والمذهب الروحاني في علم الوجود العام (الانطولوجيا – Antologie) مذهب من يرى أن في الوجود جوهرين متميزين : أحدهما روحي ومن صفاته

الذاتية الفكر والحرية ، والآخر مادي ومن صفاته الذاتية الامتداد والحركة . ومن نتائج هذا المذهب : (١) القول ببقاء النفس بعد الموت (٢) والقول بوجود الله (٣) والقول بتقدم القيمة الروحية أو المعنوية على القيم المادية .

٥ — ويطلق المذهب الروحاني أيضاً على القول إن الروح جوهر الوجود ، وإن حقيقة كل شيء ترجع إلى الروح السارية فيه .

٦ — وقد يطلق المذهب الروحاني أخيراً على علم الروح نفسه (راجع لفظ علم الروح) . والروحي والروحاني بمعنى ما مترادفان .

الروحي

في الفرنسية Spirituel

في الانكليزية Spiritual

في اللاتينية Spiritalis أو Spiritualis

١ - الروحي هو المنسوب إلى الروح وهو مقابل المادي والجسماني والبدني . فكل ما كان مادياً أو نباتياً أو حيوانياً لم يكن روحياً ، وعلى ذلك فالحياة الفكرية حياة روحية ، وهي مقابلة للحياة المادية . ومن قبيل ذلك قولهم : يجب أن تكون القيم المادية خاضعة للقيم الروحية .

٢ — والروحي أيضاً هو المنسوب إلى الأمور الدينية والصوفية ، ومنه التمارين الروحية والاتجاهات الروحية .

٣ — والروحي أخيراً ما يقابل الزمني (temporel) أي المتعلق بالحياة الدينية لا الحياة المادية والمصالح الدنيوية ، ومنه السلطة الروحية ، والسلطة الزمنية . قال (أوغوست كومت) : إن النظام الوضعي يزيد في اتصاف الحكومة بالصفات الروحية ، ويقلل من اتصافها بالصفات الزمنية .

الريبية

في الفرنسية Scepticisme
في الانكليزية Scepticism
وهو مشتق من لفظ Skeptikos
اليوناني ومعناه المفكر الذي يلاحظ
الأشياء ويمتحنها وينظر فيها

الريب في اللغة الظن والشك تقول رابه الأمر جعله شاكاً وارتاب فيه وبه شك .

والريبية مذهب الريب ، أي مذهب من ينهج طريق الشك في علمه وعمله متردداً أبداً بين الإثبات والنفي .

وقد تكون الريبية مطلقة أو تكون نسبية . فاذا كانت مطلقة أوجبت على المرء أن يشك في كل شيء ، وأن يتوقف عن الحكم لأنه عاجز عن الوصول إلى اليقين . وإذا كانت نسبية أوجبت على المرء أن يشك في بعض الأشياء دون بعض كالريبة الفلسفية ، أو الريبة الأخلاقية أو الريبة الدينية . فان بعض الناس يرتابون في الدين والأخلاق ويؤمنون بالعلم ، أو يشكون في القيم الروحية ويؤمنون بالقيم المادية وبالعكس .

وقد تطلق الريبية على طريقة من يتزيا بالشك في الحكم على بعض الحقائق الجزئية ويكون موقفه العقلي ازاءها موقف الارتياب والتهمة والظن .

والريبي هو المنسوب إلى الريب تقول : هذا الرجل ريبي أي متشكك في الأمور ، وهذه النتيجة ريبية أي ضعيفة لا يمكن الوثوق بها .

ويطلق (كانت) اصطلاح التصورات الريبية على الطريقة التي تثبت بها أن قبول أحد الرأيين المتعارضين يفضي إلى التناقض كاثباتنا أن العالم قديم أو حادث أو إثباتنا أن العالم متناه أو غير متناه ، وهو ما يسمى بمتناقضات العقل Antinomies de la raison

الرياضة (العلوم)

في الفرنسية Mathématiques

في الانكليزية Mathematics

يطلق هذا الاسم على الحساب والجبر والهندسة ونحوها ، وموضوعها الكم . فاذا كان الكم متصلاً كالامتداد ، سمي العلم الذي يبحث فيه بعلم الهندسة . وإذا كان منفصلاً كالعدد ، سمي العلم الذي يبحث فيه بعلم العدد وهو يشمل الحساب والجبر .

ويطلق اصطلاح الرياضيات الكلية (Mathématiques universelles) على الطريقة التي لا تفتقر إلى المادة في تفسير كل ما تتناوله من أمور متصلة بالترتيب والقياس ، وذلك على النحو الذي فعله (ديكارت) في تفسيره كل شيء بالامتداد والحركة . وقد سميت طريقته هذه بالرياضيات الكلية لأنها تجعل العلوم الطبيعية جزءاً من الرياضيات .

ويطلق لفظ الرياضي على العالم بالرياضيات أو على كل منهج شبيه بالمنهج الرياضي تقول الاستدلال الرياضي ، والعقل الرياضي ، والطريقة الرياضية ، وهي طريقة الاستنتاج الشرطي المطبقة في العلوم المختلفة .

جميل صليبا

أدب الفقهاء

- ٦ -

موضوعاته وأغراضه :

تلك وجوه ومعالم من أدب الفقهاء روعي فيها الناحية التاريخية والجغرافية وتنوع الاختصاص في أصحاب هذا الأدب إذ كان وصف الفقهاء كما قلنا يطلق على مختلف طبقات أهل العلم وخصوصاً في هذا السياق من النقد الأدبي . ونحن نشعر أننا قد اختصرنا الكلام اختصاراً شديداً فيما يقتضيه العرض التاريخي والتقسيم الجغرافي ، للامح هذا الأدب والتعريف برجاله ، ولكننا مع ذلك قد قاربنا ما يلتزمه مؤرخو الأدب العربي على العموم من الوقوف عند نهاية العصر العباسي في عملية التأريخ ، وإفراد الأدب المغربي والأندلسي بالذكر ، مراعاةً لأصحاب النظرية الإقليمية في الأدب الذين يقولون بتأثير العامل الجغرافي في الأعمال الأدبية ، أو نظراً فقط لبُعد الإقليم المغربي وتأخر وجود أدبه عن أدب المشرق . وعلى كل حال فاعتقادنا أننا قد أعطينا أمثلة حية من أدب فقهاء العصور الأدبية والأقاليم التي يُعنَى بها مؤرخو أدبنا العربي ، وهي من حيث الكمّ لا تقل عما يعطيه هؤلاء المؤرخون من أمثلة الأدب غير الفقهاء من كبار الشعراء ، ومن حيث الكيف على ما وصفنا في كل مثال عند عرضه .

فلنُلقِ نظرة على موضوعات هذا الأدب التي سبق أن عددْناها عدّاً إجمالياً في صدر هذا البحث ، لنقول كلمة في كل موضوع منها ، ولنعطي

مزيداً من الأمثلة على ما تقدم ذكره من بعضها ، غيرَ مصنّف ولا مَنْسوق في الباب الذي يخصُّه ، كما أن كثيراً من الأسماء التي لم يرد ذكرها في القسم التاريخي المار ، إنما يمكن استيعابها في هذا القسم الموضوعي بطريقة تعداد الأمثلة واختيار الشاهد ، وهكذا نكون قد قدمنا أدب الفقهاء مرتين ، قدمناه لمن يُعنَى بالناحية التاريخية في تراجم أعلامه مرتَّبة بحسب السنين ، ونقدّمه لمن يُعنَى بالناحية الموضوعية في فصول وأبواب تنتظم الأغراض والفنون التي تناولها الفقهاء في شعرهم ، والتي تعطينا نماذج من أدبهم الغض وفي كل موضوع ، ليسهل أمر مقارنتها مع أدب غيرهم على من يريد ذلك ثم إننا في هذا التقديم الثاني قد نتجاوز الحد التاريخي الذي وقفنا عنده إلى ما بعده من أزمنة وأشخاص ، فنذكر نماذج وأسماء من العصور المتأخرة حتى عهدِ ما قبل النهضة الحديثة ، ولربما تجاوزناه أيضاً رغبةً في ربط الحاضر بالماضي وإعطاء صورة كاملة في الموضوع الذي نعرض له ، والحديث شجون كما يقولون .

شعر العاطفة والوجدان :

ويدخل فيه الغزل والنسيب . وإنما لم نعبّر بهما لأنهما في شعر الفقهاء يتميزان غالباً بشيء من التحفظ الذي يقتضيه وقارُ العلم ، وهو تحفظ كثيراً ما بعث أصحابنا الفقهاء على اصطناع الأساليب الرمزية والاهتمام بالصفات المعنوية ، فصار غزلهم بذلك قلما يشبه غزل الشعراء الذي تغلب عليه الأوصاف الحسية ويغرق في المادية حتى يكون أدعى إلى الفجور والاستهتار ، وبكل وجه فهناك آفاق واسعة من الشعر الوجداني نظم فيها الفقهاء ، ليس الغزل إلا جانباً واحداً من جوانبها العديدة ، فحَمْلُه على الشعر الوجداني أولى من حمل هذا على الغزل .

ونفتتح هذا الباب بقول ابن أبي مُلَيْكة فيما هو من معنى قول شوقي (الحياة الحب والحب الحياة) :

من عاش في الدنيا بغير حبيب فحياته فيها حياةُ غريب
ما تنظر العينان أحسنَ منظراً من طالب إلفاً ومن مطلوب
ما كان في حُور الجنان لآدمٍ لو لم تكن حواء؛ من مَرْغوب
قد كان في الفردوس يشكو وحشةً فيها، ولم يأنَسْ بغير حبيب

نسب هذه الأبيات إلى ابن أبي مُلَيكة الراغبُ الأصبهاني في محاضراته ، وهي حرية أن تكون أم الباب في هذا المعنى نظراً لمكانة قائلها ، فانه من فقهاء التابعين ، وقضاة المسلمين - كان يلي قضاء الطائف لابن الزبير - ونظراً لما عبرت عنه من كون الحياة بغير حبيب غربة ، فالخَلِيُّ القلب من نوازع الحب كالغريب الذي لا يجد رفيقاً ولا صديقاً يأنس به ويشاطره أفراحه وأتراحه ، فيالِوحشتِه وقَلَق حياته ! وبذلك كان منظر الإلفين أو قل الحبيبين أحسنَ منظر تقع عليه العين ، فما السماء بقمرها ونجومها ، والأرض برياضها وحياضها ، والشروق بسحره وجماله ، والغروب بروعته وجلاله ، وكلُّ شيء مما كان حسناً جميلاً ، إلا انعكاسٌ لذلك المنظر الذي لا يحلو في العين شيء يدُونه ، ولا يبدو فيما يبدو به من حسن وجمال إلا لأن المحبين خلعوا عليه تلك الحُلَّة ، وزانوه بذلك الحِلْي . وابنُ أبي مليكة يُفرّغ الجنة من جميع الرغائب ، وهي الجنة حافلةً بما تصبو إليه النفس ويميل إليه القلب - إذا لم تكن فيها حواء تبادل آدم حباً بحب ، وتقابل شعور الإنس والعطف منه بمثله ، حتى الحُورُ العينُ لا تدخل تلك المداخل ولا تملأ ذلك الفراغ ، وهو معنى بديع لم يُسبق اليه ، وفيه طمأنينة وسكينة لعقائلنا ورفيقاتنا من الجنس اللطيف اللائي يتبرَّمْن كثيراً بهؤلاء الحُور العين ويستوحشْن من مُشاركتهن لهن في أزواجهن في الجنة ، فهذا شاعر

فقيه يبين أنْ لا جمالَ الحور العين ، وهو جمال ضربَ جميع الأرقام القياسية في هذا الصدد ، ولا شيء مما في الجنة من المُغْريات ، بقادر على أن يصرف الأحباب عن أحبابهم وبخاصّة الرجل عن شريكته في الحياة الأولى ، لأن ما بينها أسمى وأعلى من كل ذلك ، إنه رباط روحي وامتزاج قلبي ، بدأ منذ كانا مُنجدِلَيْن في الطين ، وما زال ينمو ويقوى ويجذب هذا نحو هذه ، حتى اندمج كل منها في الآخر وأصبحا ذاتاً واحدة تجرُّ وراءها من الذكريات بقدر ما اشتبكت به حياتُها الماضيةُ من الملاقات ، فكيف وأنّى للحور العين بهذا التجاوُب وما فيه من متاع ؟

إننا لهذه المعاني الجميلة التي تضمنتها هذه الأبيات ، ولتقدُّمها زمناً باعتبار أن قائلها من أهل الصدر الأول ، قلنا إنها حرية أن تكون أم الباب في شعر الغزل والنسيب ، وما أشبهها بأبيات ابن الرومي السائرة في حب الوطن التي يقول فيها (ولي وطن آليتُ أن لا أبيعه) فكما بقيت هذه غُرّةَ الشعر العربي في معناها ، كذلك يحق لأبيات ابن أبي مُليكة أن تكون واسطة العقد في بابها ، ولا ننس مع ذلك أن صاحبها فقيه .

ولأبي بكر بن عبد الرحمن الزُّهْري ، وهو من رجال الرواية والحديث :

ولمّا نزلنا منزلاً طَلَّه النَّدى أنيقاً وبُستاناً من النَّوْر حاليا

أجَدّ لنا طيبُ الزمان وحسنُه مُنىً ، فتمنينا فكنتِ الأمانيا

هذان البيتان من أحسن ما قيل في تمني لقاء الحبيب عند ما تجلو الطبيعة محاسنها ، ويروق المكان ويطيب المجلس ، فلا يكمل سرور المحب بذلك ، ولا تقرُّ عينه بما يرى ، حتى يحضر حبيبه ويُضفيَ من روحه وجماله على تلك المجالي ، ما يجعلها تحُلُّ من نفسه محلَّ الرضى والقبول ، وإلا فإن الجنة ونعيمها على ما مرَّ آنفاً لا يحلو منها شيء بدون مشاركة الحبيب . ولذلك كأن وجوده في مثل هذه الحال أقصى الأماني كما عبَّر عنه هذان البيتان أرق تعبير .

ولا يفوتنا أن نقول إنها من شعر الحماسة ، ولا يختار أبو تمام لديوانه هذا إلا ما كان غاية في حسن أسلوبه ومعناه .

ومن الشعر العاطفي المجرّد قولُ أبي بكر الشّبلي من أكابر الصّوفية :

رُبَّ ورقاءَ هتوفٍ في الضحى ذاتِ شجوٍ صدحت في فنِ
ذكرتْ إلْفاً وعيشاً سالفاً فبكت حُزْناً فهاجت حزَني
فبكائي ربما أرقها وبُكاها ربما أرّقَني
ولقد تشكُو فما أفهمها ولقد أشكو فما تفهَمُني
غيرَ أني بالجوَى أعرفُها وهي أيضاً بالجوى تعرفني
أتُراهَا بالبُكى مولَعةً أم سقاها البينُ ما جرّعني

وهي مقطعة تكاد تسيل رقة وعذوبة ، فما شئتَ من حسن التقسيم ورد العجز على الصدر ، ومن جمال الأداء لهذا التداعي بينه وبين الحمامة الشجية ، وتشابُه حاله وحالها في الشوق إلى الحبيب والبكاء لبعده ، إلى قوة التخيّل الذي جعله يعتقد أنها تحس بحرقته وجواه ، كما يحس هو بجواها وحرقتها ، وإن لم يكن الأمر كذلك فليمَ هذا البكاء المرّ ؟ هل هو وَلوعٌ فقط أم هو في الواقع شعور بالبين وفُرقة الحبيب مثل شعوره هو بذلك الذي هاج حزنه وبكاه ؟ الحقيقة ان القطعة معبرة أحسن من هذا الذي قلناه في شرحها ، وأنها في غنى عن كل تفسير ، فهي بشكلها ومضمونها قد استولت على الغاية من جمال الصياغة وحسن البيان .

ومن لطيف الغزل قول القاضي عياض :

رأتْ قمرَ السماءِ فأذْكرَتْني لَيالِيَ وصْلِها بالرَّقْمَتَيْن
كلانا ناظر قمراً ولكن رأيتُ بعَيْنها ورأتْ بعيني

لهذين البيتين شهرة كبيرة بين الأدباء، وهما وإن لم يعبرا عن عاطفة مشبوبة ولا عن شعور عميق ، فقد تضمنا صنعة بيانية عجيبة مبنية على خيال بارع ، جعلتها يمثّلان نوعاً فريداً من الرمزية في الأدب العربي ، وذلك هو سبب الشهرة التي حظيا بها حتى ادعاها كثير من الأدباء . (فقوله كلانا ناظر قمرا) هو أعمّ من أن يراد به قمر سماء ولذلك عقبه بما يفيد أن هناك قمرين ، المحبوبة الشبيهة بالقمر ، والقمر الحقيقي الذي هو قمر السماء ، لكنــــه يرى أن المحبوبة هي القمر الحقيقي فلذلك كان ينظر إليها بعينها هي التي تنظر إلى قمر السماء ، وهذا عنده هو القمر المجازي ، فلذلك جعل المحبوبة تنظر إليه بعينه هو التي ينظر إليها . وذلك هو قوله في الأول (ولكن رأيت بعينها) وفي الثاني (ورأت بعيني) ولا شك أن تخيله هذا هو من إغراقه في هوى المحبوبة بحيث جعلها هي التي يحق أن يشبه بها القمر ، ثمّ كان صَوْغُ هذا المعنى في بيتين اثنين من الشعر ؛ منتهى البراعة والمقدرة .

ومن بليغ الشعر في الرقة والنحول قول محمد بن عبد الكريم الفنْدلاوي الفاسي المعروف بابن الكَتّاني ، أحد مشائخ محيي الدين بن عربي :

وما أبقى الهوى والشوقُ مني سوى نفَسٍ تردّد في خيال

خفيتُ عن المنية أن تراني كأن الروح مني في مُحال

ولـكي نتبينَ فضل هذين البيتين في معناهما ، علينا أن نقارنهما بقول المتنبي في ذلك :

كفى بجسمي نُحولاً أنني رجل لولا مُخاطبَتي إياكَ لم ترني

فانه أثبت لنفسه جسماً وكونه رجلاً يخاطب صاحبه ، في حين أن صاحبنا لم يبق منه إلا نفَس متردد في خيال ، ثم إن المتنبي جعل صاحبه يراه ، وأما صاحبنا فقد خفي حتى عن الموت أن يراه وجعل روحه كأنها في محال ، فبين الشعرين بَوْنٌ بعيد .

والشيخ محيي الدين من أعظم شعراء الوجد والغرام من الفقهاء والصوفية ، وله ديوان سماه ترجمان الأشواق فيه كل معنى بديع من شعر الغزل والنسيب والحب الإلهي ، ونقتصر من قوله على هذه الأمثلة المختارة بمعرفتنا :

مَرَضِي من مريضة الأجفان علّلاني بذكرها علّلاني
هفت الوُرْق في الرّياض وناحتْ شجوُ هذا الحمام مما شجاني
بأبي طفلة لعوب تهادى من بنات الخدور بين الغواني
طلعت في العيان شمساً فلما أفلت أشرقتْ بأفْق جَناني
يا طُلولاً بِرامةٍ دارساتٍ كم حوتْ من كواعبٍ وحِسانِ
بأبي ثمّ بي غـزال ربيب يرتعي بين أضلعي في أمان
ما عليه من نارها ؛ فهو نور هكذا النّور مُخمِدُ النّيران

وله على طريقة مهيار :

واحرَبا من كبدي واحربا واطرَبا من خلدي واطربا
في كبدي نارُ جوى محرقةٌ في خلدي بدرُ دجا قد غربا
يا مَبْسِماً أحْبَبْتُ منه الحبَبا ويا رُضاباً ذقتُ منه الضَّرَبا
يا قمراً في شَفَق من خفَر بخده ، لاح لنا مُنتقبا
لو انه يُسفِر عن بُرقعه كان عذاباً ، فلهذا احتجبا

وله أيضاً ، والأبيات الثلاثة الأخيرة هي مما شرّق وغرّب من شعره :

ألا يا حمامات الأراكة والبان ترفّقْن لا تُضعِفْن بالشجو أشجاني
ترفقن لا تُظهرن بالنّوح والبكا خَفِيّ صباباتي ومكنون أحزاني
أطارحها عند الأصيل وبالضحى برَنّةِ مُشتاق وأنّة هَيْمان
ومن عجب الأشياء ظبيٌ مبرقع يشير بعُنّاب ويُومي بأجفان
ومرعاه ما بين الترائب والحشا ويا عجب من روضة وسْطَ نيران
لقد صار قلبي قابلاً كلّ صورة فمرعى لغزلان ودَيْرٌ لرُهبان

وبيت لأوثان وكعبـــةُ طائف وألواح توراة ومُصحَف قرآن
أدينُ بدين الحب أنى توجَّهتْ ركائبُه ، فالحبُّ ديني وإيماني

تعطينا هذه النماذج على اقتضابها فكرة عن شاعرية الشيخ الأكبر ، خاصة في موضوع المواجد والأشواق ، فهو شاعر واسع الأفق متفتح الذهن ، يزاوج بين النزعتين الحسية والمعنوية ، ويشير في خفاء إلى مرامه ولكنه لا يَرْمز ولا يُغمض ، ومن ثم كانت أغراضه مفهومة حتى انه لَمُؤاخَذٌ بها عند من لا يقبلون هوادة في ميدان التشرُّع . ونحن نقبل كلامه على أنه من طموح الشمس الشاعرة وبَسْطتها وتحليقها في سماء المعرفة ونُشدانها للكمال . وقد قال ابراهيم عليه السلام (رب أرني كيف تحيي الموتى) وقال موسى صلوات الله عليه (رب أرني أنظر إليك) وقال سيدنا محمد (ﷺ) « نحن أحق بالشك من إبراهيم » فكيف بنا معشرَ المحجوبين عن حكمة الخلق وسرّ الوجود لا نتطلع ولا نستفهم ؟ نعم قد يزِلُّ الواحد منا فيسبق لسانه إلى ما فيه مؤاخذة عليه ، لأننا غير معصومين ، وهل كان الغفران إلا للزلل ؟

وما أرقَّ كلام صاحبنا في القطعة الأولى ، وألطفَ صفتَه لحبه بالمرض ، ولحبيبته بمريضة الأجفان متوخياً في ذلك هذا الجناسَ الخفيف الذي لا تكلف فيه ، ثمّ محاورتَهُ بعد ذلك لرفيقَيْه ، وصفته للحمام طائراً ونائحاً في الرياض ، مثيراً لشجنه مهيجاً لحزنه ، مما جعله يعود لذكر الحبيبة وتفديتها بأبيه على عادة العرب في إظهار شعورهم نحو من يحبون ، وما أن جدد وصفَها في رشاقة وتحبُّب بما تعود الشعراء أن يصفوا به الحبائب حتى غلبت عليه نزعتُه المعنوية فأتى في البيت الرابع بما يُفهَم منه أنه يريد الحقيقة العليا مُلمِحاً إلى رؤيا الخليل للشمس بازغةً ثم آفلةً ، ولكنه لم يكن متعرّفاً بل واصفاً ، لأن شاهد الرسالة على المطلوب قائمٌ معه ، فلذلك

لم يكن غروب الشمس عنده نهايةً وعلامةَ نقص ، بل بداية للتجلي واستمراراً للاشراق الذي هو عينُ الكمال . ويرقى الحالُ بصاحبنا فيَهيم بين أطلال الأحبة ويفنى في ذات محبوبه فلا يشعر إلا وهو يُفدّيه بأبيه مرة ثانية ، ثم بنفسه ويجد حقيقة حبه بين جوانحه وأضلعه المتأججة بنار الشوق والغرام برداً وسلاماً كما كانت نار النمرود على ابراهيم . لا . بل انه ليَجِدُها نوراً مخمداً للنيران ، مُوحياً السكينة والاطمئنان فيأنسُ ونأنسُ معه ، لأننا لا نملك ، وقد خاطبَنا أولاً بما هو من طبيعتنا وبِغزل حِسّيّ رقيق إلا أن نصحبَه في رحلته التي انتهت بنا معه إلى هذا الجو من المعاني السامية ، فإذا نحن قد أحسسنا بما أحس أو ببعض ما أحس ، وأشرق باطننا بنور الإيمان واليقين .

ويطول الأمر لو تتبعنا أغراضه في القطعتين الثانية والثالثة ، وحللنا عناصر شاعريته فيها ، وإنما لا بد أن نشير إلى هذا المعنى الإشاري البارع الذي تضمنه البيتُ الخامس من القطعة الثانية ، وهو الذي يعلل احتجاب المحبوب بالشفقة على المحبين من بُهْر المُكافحة الذي لا تحتمِلُه بِنْيَتُهم الضعيفة وهو يرمز بذلك إلى قوله تعالى لِكليمه موسى لما سأله الرؤية : (انك لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) وقد مهد له بالبيت الرابع الذي لا كِفاء له في الجمال ، فجاء متمكناً من موضعه ، منسجما مع ما قبله غاية الانسجام .

كذلك نشير إلى اللمحة الشعرية الرائعة التي اشتمل عليها البيت الخامس من القطعة الثالثة ، وقد عبر عنها بصورة أخرى في البيت السابع من القطعة الأولى وعلقنا عليها بما فيه الكفاية . أما الأبيات الثلاثة الأخيرة من القطعة الثالثة فانها أشهر من أن تُعرَّف ، وقد تُرجمَت إلى كل اللغات

الحية من شرقية وغربية ، وهي تدل على روح إنسانية عالية تحتضن سائر العوالم بالحب الذي لا ينضب معينه ، ولا يُمنع من وِرْده أحد .

وغير خفي أن هذه الالتفاتات الروحية الجميلة التي يمتاز بها شعر القوم تجعل له قيمة يفوق بها شعر كبار الشعراء ، وترشّحه لأن يكون أدباً إنسانياً عالمياً ، وبالفعل فان ما نُقِل منه إلى اللغات الأجنبية أكثر مما نقل من شعر الشعراء الآخرين . ولو لم يكن له من ميزة إلا هذه لكان جديراً أن ينظر إليه بعين الإجلال والإكبار ، كيف وهو في الصنعة الشعرية أيضاً لا يقصر عن شعر فحول الشعراء كما رأينا ؟

ويُذكّرنا الشيخ محْيي الدين بسلطان العاشقين عمر بن الفارض ، ذلك الشاعر المُولَّه ، الذي تغنى بالحب الإلهي ما شاءَ له الولَه ، وتفنن في معانيه وتعمق أسراره حتى صار علَماً بين الشعراء بشعره الوجداني الرفيع ومقاصده العُليا التي يهيم بها أرباب القلوب ، وتجعلهم يحفلون بديوانه أشد الحفل ولا يعدلون به ديوان شاعر من شعراء العربية . ولاشتهار شعره وديوانه فانا نكتفي بنموذج واحد منه وهو أبيات مختارة من قصيدته الجيمية الرقيقة ، قال :

ما بَيْن مُعتَرك الأحداق والمُهَج ... أنا القتيلُ بلا إثمٍ ولا حرج

ودّعت قبل الهوى روحي لما نظرتْ ... عيناي من حُسن ذاك المنظر البَهِج

لله أجفانُ عين فيك ساهرة ... شوقاً إليك وقلبٌ بالغرام شَجِ

لا كان وجدٌ به الآماقُ جامدةٌ ... ولا غرامٌ به الأشواق لم تَهِج

عَذّبْ بما شئتَ غيرَ البُعدِ عنك تجِدْ ... أوفى مُحب بما يُرضيك مُبتَهِج

وخُذْ بَقيةَ ما أبقيتَ من رَمَق ... لا خيرَ في الحُب إن أبقى على المُهج

★ ★ ★

مَن لي بإتلاف رُوحي في هوى رشأ ... حُلوِ الشمائل بالأنفاس مُمتزج
مَن مات فيه غراماً عاشَ مُرتقياً ... ما بين أهل الهوى في أرفع الدَّرَج
تراهُ إن غاب عني كلُّ جارحة ... في كل معنى لطيف رائق بهج
في نغمة العُود والنَّاي الرخيم إذا ... تألّفا بين ألحانٍ من الهَزَج
وفي مسارح غِزْلان الخمائل ؛ في ... بَرْد الأصايل والأصْباح في البَلَج
وفي مساقط أنداءِ الغَمام على ... بِساط نَوْر من الأزهار مُنتَسِج
وفي مساحب أذْيال النسيم إذا ... أهدى إليَّ سُحَيْراً أطيبَ الأرج
وفي التثامي ثغرَ الكأس مُرتشِفاً ... رِيقَ المُدامة في مستنزَهٍ فَرِج

إن هذه الأبيات وحدها كافية لإظهارنا على شاعرية ابن الفارض ورقة معانيه ولطف تعبيره والأجواء الروحية التي يحلّق فيها ، فلم يكن القوم مُحابين له لما بَوَّأوه مكانَ الصدارة بين الناطقين بلسانهم المعبرين عن حالتهم . وانه فوق ذلك لخليقٌ أن يحتل مقاماً رفيعاً بين الشعراء الوجدانيين في الأدب العالمي ، لو أتيح لشعره ترجمة وافية بأغراضه إلى اللغات الحية المقروءة في جميع أنحاء المعمور .

وهذا لون آخر من شعر القوم ، وهو قصيدة للشيخ عبدالله بن القاسم الشهرزوري المنعوت بالمرتضى ، يصف فيها رحلة له في عالم الغَيْب طلباً للحقيقة الربّانية أولها :

لمعَتْ نارُهم وقد عسعس الليـ ... ـلُ ومَلَّ الحادي وحارَ الدليل
فتأملتُها وفكري من البيـ ... ـن عليلٌ ولحظُ عيني كليل
وفُؤادي ذاك الفؤادُ المُعنَّى ... وغرامي ذاك الغرامُ الدخيل
ثُمَّ قابلتُها وقلت لصحبي ... هذه النارُ نارُ ليلى فميلُوا
فرموا نحوَهـا لحاظاً صحيحا ... تٍ فعادت خواسئاً وهي حُول

والقصيدة طويلة أثبتها ابن خلكان بكاملها في وفيات الأعيان وأثنى عليها ، وكذلك أوردها العاملي في الكشكول ، ومن المهم الوقوف عليها فانها من عيونِ الشعر الرَّمزي في العربية .

وفي الباب شعر كثير لأبي مَدْيَن والجيلي والشُشتري والبَكري والنابُلسي والبُرَعي وابنُ وفاء وحُسين بن عبد الشَّكور والحَرّاق وسواهم ، مما يطول المقام بتتبعه ، ولكن لا بد أن نقدم ولو مثالاً واحداً للحراق باعتبار أنه مغربي ، قلما يُعرَف شعره في المشرق مع أنه صاحب ذوق سليم وصنعة محكمة . وليكن ذلك المثال هو الرائية التي ضمَّنها قول المجنون :

أماطتْ عن محاسِنِها الخِمارا فغادرتِ العقولَ بها حُيارى
وبثَّتْ في صميم القلب شوقاً توقَّدَ منه كلُّ الجسم نارا
وألقت فيه سرًّا ثم قالت أرى الإفشاءَ منك اليوم عارا
وهل يسطيع كَتْمَ السر صبٌّ إذا ذُكِر الحبيبُ لديْه طارا
به لعِبَ الهوى شيئاً فشيئاً فلم يشعُرْ وقد خلَعَ العذارا
إلى أن صارَ غيْباً في هواها يُشير لغيرها ولها أشارا
يُغالِط في هواها الناس طراً ويُلقِي في عيونهم الغُبارا
ويسأل عن معارفها التذاذاً فيحسبه الورى أن قد تمارا
ولو فهموا دقائق حب ليلى كفاهم في صبابته اختبارا
إذا يَبْدُو امرؤٌ مِن حيِّ ليلى يذِلُّ له وينكسرُ انكسارا
ولولاها لما أضحى ذليلاً (يقبِّلُ ذا الجدارا وذا الجدارا
وما حبُّ الديار شغَفْن قلبي ولكن حبُّ من سكن الديارا)

ولعلنا أسرفنا في إيراد الأمثلة من هذا النوع من الشعر الإشاري أو الرَّمْزي أو الصُوفي بعبارة أوضح ، وقد بقيت في النفس حاجة من شعر الغزل والنسيب الخالص وضاق المجال عن الزيادة فلنُلْمِع ببعض الأمثلة

القليلة لئلا يُظن أن أصحابنا الفقهاء إنما برعوا في هذا الشعر الصوفي وليس لهم في غيره من شعر العاطفة والوِجْدَانِ كبيرُ أثَر ، مع أن ما قدمناه في تراجم أفراد منهم كعُروة بن أُذَينة وعُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبة ابن مسعود وأحمد بن المُعذَّل وابنِ حزم ، كافٍ لإقامة البرهان على طول باعهم ورُحْب ذراعهم في هذا الباب على اتساعه . ولكن لا بد من أمثلة أخرى تتمِّم ما سبق وتُذكِّر في مَظِنَّتها هُنا ويكون بها مسك الختام للباب .

فمن ذلك قول القاضي أبي حفْص بنِ عمر :

هُمُ لحظُوا لواحظَها فهاموا وتشرَبُ عقلَ شاربها المدام
يخاف الناسُ مقلتَها سواها أيذعَر قلبَ حامِلِه الحُسام
سما طرفي إليها وهو باكٍ وتحت الشَّمْس ينسكِبُ الغمام
وأذكُر قدَّها فأنوحُ شوقاً على الأغصان تنتدِبُ الحمام
وأعْقبَ بينُها في الصَّدْرِ غمّا إذا غَربَت ذُكاءُ أتى الظلام

وله أيضاً :

مشتْ كالغُصن يثنيه النسيمُ ويعــدُوه النسيمُ فيستقيم
لها رِدْفٌ تعلَّقَ في لطيف وذاك الردفُ لي ولها ظلوم
يُعذبني إذا فكَّرتُ فيه ويُتعبُها إذا رامتْ تقوم
وما حُبِّي لها إلاَّ عذاب عليه من نضارتها نعيم

وكان هذا القاضي بارعاً في النظم والنثر ، وله في الغزل مقطعات رائعة ، ويقول ابن سعيد المغربي فيه انه « كان على غاية من الظرف إذا أقبل شُمَّت رائحةُ الطيب منه على بُعد ، وإذا غُسِلت ثيابه لا يكاد يفارقها ، وكان منزله كأنه جنة ، حتى وجد فيه أعداؤه مطعناً ورفعوا للمنصور (المُوحِّدي) أنه غير حافظٍ للنّاموس الشرعي بكثرة تغزله واشتهار مقطعاته وانهماكه في العشق » فنقله المنصور من قضاء فاس إلى قضاء إشبيلية .

وللوزير العالم عبد المهيمن الحضرمي السبتي هذه الأبيات الرقيقة في الحنين إلى عهد وصال الأحبة :

نفسي الفداء لعهدٍ كنت آلفُه ... وطيبِ عيش تقضّى كلّه كرَم
وجيرةٍ كان لي أنسٌ بوصلهمُ ... والأنسُ أفضلُ مافي الوصل يُغتنم
كانوا نعيمَ فؤادي والحياةَ له ... فالآن كلٌّ وجود بعدهم عدَم
بانوا فعاد نهاري كلّه ظُلماً ... وكانَ قربهم تمحى به الظُّلَم
فالعينُ منيَ لا ترقا مدامعُها ... كأنها سُحُب تهمي وتنسجم
تبكي عهودَ وصال منهمُ سلفت ... كأنما هنّ في إنسانها حُلُم
لئن ضحكتُ سروراً بالوصال لقد ... بكيتُ حزناً عليهم والدموعُ دَم
همْ علموني البكا ما كنتُ أعرفه ... يا ليتهم علّموني كيف أبتسم
واسترضعُوني لبانَ الوصل من صِغَري ... حتى إذا علِقَتْ روحي بهم فَطَموا

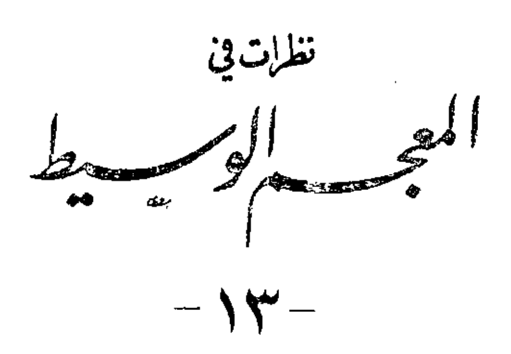
ولابن جابر المكناسي في المعنى :

تالله بعد أحبّائي الذين مضَوْا ... وخلّفُوني رهينَ البثّ والحزَن
ما أبصرتْ مقلتي من بعدِهم حسَناً ... ولا نظرتُ إلى شيءٍ فأعجبني

ولأبي عليّ اليُوسي ، وفيه تورية مليحة :

وعاذلٍ عن الهوى عاذلٍ ... يدعو لأمْرٍ في الهوى إمْر
قال اسلُهم واصبِرْ فكم ذائق ... أمرَّ في الهجر من الصبْر
وزَعْ عِنانَ القلب عما جرى ... عليه من بَلْواء أوْ يجْري
فأيُّ عُذر في اتّباع الصبا ... قلتُ له إن الهوى عُذري

عبد الله كنون



تتمة تعريف الأعلام الجغرافية والتاريخية والشعوب

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظـــات
القار	«الزّفت» (انظر زف ت). ويوم ذي قارٍ : يومٌ لبني شيبان ، وقعت حوادثه في مكان في النهاية الشرقية للجزيرة العربية إلى الجنوب من الكوفة ، وهو أوّل يوم انتصفت فيه العرب من العجم . [مادة ق و ر]	ذو قار ـ كما في معجم البلدان ـ ماء لبكر ابن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط . وحنوُ ذي قار على ليلة منه وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس ... يوم عطش الأعاجم فمالوا إلى بطحاء ذي قار وبها اشتدت الحرب وانهزمت الفرس وكانت وقعة ذي قار المشهورة في التاريخ . لقد كان من المستحسن أن يشير المعجم الوسيط إلى أن ذا قار بطحاء في جنوبي الكوفة من أرض العراق ، لأن إغفال مثل هذه الإشارة ، والقول بأن مكان المعركة كان في النهاية الشرقية للجزيرة العربية ، لا يعطي تعريفاً دقيقاً لذي قار .

القَارَةُ جبلٌ صغير منفرد أسود مستدير ململوم طويلٌ في السماء . و ـــ الأكمة . و ـــ الحَرَّة ، وهي أرض ذات حجارة سود . (ج) قارٌ وقُورٌ وقِيران . و ـــ قبيلة عربيّـة عرفت في الجاهليّة بالحذق في الرماية . وفي المثل : « قد أنصفَ القارةَ من اماها » . [مادة ق و ر]

الدَّبَّة الموضعُ الكثيرُ الرَّمْل ...

الدُّبَّة الطَّرِيقَةُ ...

رددت المعجمات القديمة تعريفات كثيرة لكلمة « قارة » واختار المعجم الوسيط واحداً من غريبها ، والقارة ، كما في اللسان ، الجبيل الصغير ؛ وقال اللحياني : هو الجبيل الصغير المنقطع عن الجبال ؛ وقيـــل : هي الصخرة العظيمة ، وهي أصغر من الجبل .

وفي لسان العرب ، كما في غيره ، القارة : الدُّبة (١) ، والقارة : قوم من رماة العرب ينتسبون إلى خزيمة من كنانة ، ومنه المثل : « أنصف القارة من راماها » (٢) .

لقد كان من المستحسن أن يكون التعريف كما يلي: القَارَةُ : الجبل الصغير ، والأكمة ، والصخرة العظيمة ، والكثيب من الرمل . . .

(١) الدُّبة ، ضبطت في كل من اللسان والقاموس وفي غيرهما من المعجمات، بضم الدال ، وضبطها محقق مقاييس اللغة لابن فارس بفتحها ، والدَّبة بالفتح : الكثيب من الرمل ، كما في اللسان والقاموس ، أما الدُّبة بالضم فهي الطريق وهي أنثى الدب . ومن يعتمد مقاييس ابن فارس يكاد يجزم بأن لا وجه لضم دال الدّبة في معاني القارة ، لولا ما ورد في اللسان والتاج من أنه قيل : القارة في هذا المثل الدبة ، وقيل في مثل لا يفطن الدب الحجارة ، وذكر ابن بري وجهاً آخر لهذا المثل فراجعه ، وفي مادة (ف ط ن) لا يفطن القارة إلا الحجارة ـ والقارة : أنثى الذئبة !

(٢) يلاحظ في المعجم الوسيط سقوط الراء في (راماها) أثناء الطبع ، والمثل من شعر ورد في اللسان ، وتتمته :

قد أنصف القارة من راماها
إنّا إذا ما فئـــة نلقاها
نردّ أولاها على أخراهـــا

بُعاث يوم بُعاث آخر موقعة بين الأوس والخـزرج في الجاهلية .

في القاموس المحيط : وبُعَاثٌ بالعين وبالغين ويثلث : موضعٌ بقرب المدينة ويومُه .

لقد كان من المستحسن أن يشير المعجم الوسيط ، إلى أن بُعاث اسم موضع قرب يثرب ، وفيه كانت آخر موقعة بين الأوس والخزرج .

يوم الحرّة يوم انتهب فيه المدينةَ عسكرُ الشّام أيامَ يزيد ابن معاوية سنة ثلاث وستين، وكان ذلك في حرّة واقم. مادة [ح ر ر]

في القاموس المحيط : الحرّة موضع بظاهر المدينة ، تحت واقم ، وبها كانت وقعة الحرّة أيام يزيد .

لقد كان من المستحسن أن يكتفي المعجم الوسيط بما ورد في القاموس ، إذ لا محل ، في معجم مثله ، للتعريف الذي اختاره .

الأُرمادا الأُسطول الأسباني الذي هزمه الإنجليز في القرن السادس عشر الميلادي ، وتردد ذكره في التاريخ . (مج) .

لم يكن تعريف (الأرمادة) لازماً في معجم استبعدت منه الأعلام التاريخية ، كما كان من المستحسن أن يكون التعريف ، إذا أثبت ، كما يلي :

الأرمادة : الأسطول الإسباني الذي حاول غزو انكلترة في القرن السادس عشر الميلادي فهزم .

الإخْشيد من ألقاب الأمراء عند الفرس . ومنحه الخليفة الراضي العباسيُّ محمدَ بن طُغْج حينما ولاّه إمارة عام ٣٢٦ هـ (٩٣٧ م) .

مما يلاحظ على تعريف « الإخشيد » الوارد في المعجم الوسيط ما ورد في التاج : « ومما يستدرك عليه الإخشيد بالكسر : ملك الملوك بلغة أهل فرغانة ، ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء » .

قال ابن الأثير : فرغانة ولاية وراء جيحون وسيحون ؛ ونستنتج من هذا أن فرغانة من بلاد التّرك وليست من بلاد الفرس ، أيْ أنها من أقاليم خوارزم ، وهي تتبع اليوم « ازبكستان » السوفيتية .

إن المعجم الوسيط كان في غنى عن تعريف الكلمة ، أما وقد عرّفها ، فكان من المستحسن أن يشير إلى أن دولة الإخشيديين تنسب إلى لقب محمد بن طغج .

التَّلْمُود كتاب لليهود فيه شرائعهم وسننهم .

[مادة ت ل م]

الجِمَارا عند اليهود : شَرْحٌ للـمِشْنى مَبسوطٌ باللغة الآراميّة.(انظر المِشْنَى).

[مادة ج م ر]

وردت هذه الكلمات الثلاث في المعجم الوسيط ، وكان مثله في غنى عن إثباتها ، لأنها موسوعية أكثر منها معجمية .

ومما يلاحظ أن المعجم لم يشر إلى صفة الكلمتين الأوليتين ، بينما ذكر أن الكلمة الثالثة معربة ، والكلمات الثلاث في حقيقتها دخيلة . يضاف إلى هذا أن التعريفات تخلو من الدقة .

المِشْنَى كتـــاب مؤلف بالعبريّة الحديثة في الفقه اليهوديّ. (مع). [مادة م ش ن]

فتعريف كتاب (المشنى) بأنه مؤلف بالعبريّة الحديثة، قد يوحي بأنه مؤلف حديث، بينما هو مؤلف قديم بالعبريّة ويعتبر جزءاً من التلمود.

والمعروف عن التّلمود أنه مجموعة التعاليم والتقاليد اليهودية المنقولة شفهياً والمفسرة من قبل رجال الدين، وأنه ينقسم إلى قسمين: الأول: المشنّى؛ ويضم النصوص، والثاني: الجمارة؛ ويضم شرحاً وتفسيراً للنصوص وتكملة لها (١).

قُرَيْشٌ قبيلة عربية من مُضَر، سكنت في مكة وقامت على الحج، ومنها رسول الله محمد ﷺ.

[مادة ق ر ش]

مادة (ق ر ش) في المعجمات العربية، أصل لمعانٍ مختلفة، أورد المعجم الوسيط أكثرهــا. وقد اختلف المؤرخون في السبب الذي من أجله سميت قريش قريشاً، فقال ابن فارس في مقاييس اللغة: القاف والراء والشين أصلٌ صحيح يدل على الجمع والتجمُّع، فالقَرْش: الجمع، يقال تقرَّشُوا: إذا تجمَّعوا. ويقولون: إنّ قَريشاً سمّيت بذلك. ... ويقولون: إنّ قريشاً: دابةٌ تسكن البحر تَغلِب سائر الدَّواب. قال (المشمرخ بن عمرو الحميري):

وقريشٌ هي التي تَسْكُن البحـ
ـرَ بهـــا سمّيت قريشٌ قريشاً

(١) انظر في الموسوعات الأجنبية الكلمات التالية: Talmud، و Mischna، و Gémara.

وقال الفيروزابادي : .. أو سُمّيت بمصغّر القِرْش (١) ، وهو دابة بحرية تخافها دوابُّ البحر كلُّها ، أو سميت بقُريش بن مَخْلَد بن غالبٍ بن فهر ، وكان صاحبَ عيرهم ، فكانوا يقولون قدمت عير قُريش وخرجت عير قريش ....

لقد كان مستحسناً ـ في رأينا ـ لو توسع المعجم الوسيط قليلاً في تعريف قريش وأشار إلى وجود اختلاف في سبب تسميتها بذلك . كما كان من المستحسن أن يضاف إلى التعريف : والنسبة إليها ـ كما في القاموس ـ قُرَشِيٌّ وقُرَيْشِيٌّ .

الأُحْبُوشُ والأُحْبُوشَةُ : الجماعة من النّاس اختلفت أجناسهم. (ج) أحابيش . وأحابيش قريش : جماعة من قريش وكنانة وخزاعة اجتمعوا عند حُبْشِيٍّ ، وهو جبل بأسفل مكة ، وتحالفوا . [مادة ح ب ش]

أجمعت معاجم العربية على القول : إن أحابيش قريش اجتمعوا عند جبل اسمه « حُبْشِيٌّ » ، ولكن اسمهم ـ كما يبدو بعد التدقيق ـ لم يأخذوه من اسم الجبل بل من تجمعهم من قبائل أوبطون شتى .

قال ابن فارس في المقاييس : الحاء والباء والشين كلة واحدة تدل على التجمع ، فالأحابيش : جماعات يتجمعون من قبائل شتى .

(١) عرّف المعجم الوسيط القِرش بأنه : حوت عظيم من حيتان البحر يفترس الإنسان ويخافه معظم السمك . وقد فاتنا نقد هذا التعريف في محله ، لأن القرش ليس من جنس الحيتان ، بل هو نوع من السمك .

وفي أساس البلاغة : اجتمعت قريشٌ والأحابيشُ ، وهي فرق مجتمعة من قبائل شتى ، حلفاء لقريش ، تحالفوا عند جبل يسمى حُبْشِيّاً . ويقال عندي أحْبُوشٌ منهم أي : جماعة .

إن التعريف الذي جاء به المعجم الوسيط ، قد يوحي بأكثر مما يستفاد من المعاني المتفق عليها في مختلف المعجمات ، لذلك كان المستحسن أن يكون التعريف كما يلي :

الأُحبوش والأُحبوشة : الجماعةُ من النَّاس .
و ـــ الجماعة من قبائل أو بطونٍ شتى ...

أُمَيَّةُ مصغر الأَمَةِ . وبنو أُمَيَّةَ : من قُرَيش والنسبة إليهم أمويّ على القياس . وأَمَوِيّ على السَّماع .

إن كان التعريف ببني أميَّة لازماً في المعجم الوسيط ، فهم يستحقون منه تعريفاً أكثر وضوحاً ، كمثل التعريف التالي :

بنو أميّة : بطن من قريش ينتسبون إلى أميَّة بن عبد شمس ، منهم معاوية مؤسس الدولة الأموية في الشام ، وعبد الرحمن مؤسس دولتهم في الأندلس .

الأَوْسُ الذئب .

الخَزْرَج الأَسد . و ـــ أحدُ فرعَي الأنصار ، والآخر الأَوْس .

اكتفى المعجم الوسيط في تعريف كلمة (الأوس) ببيان معناها اللغوي ، أما في تعريف كلمة (الخزرج) فقد أشار إلى الفرع الثاني من أنصار الرسول ﷺ ، وكان من حق الفرع الأول أن يشار إليه أيضاً في مادة (أ و س) .

الأَنباط قوم من الساميين يرجعون إلى أصلين ؛ أحدهما آرامي والآخر عربي ، كانت لهم دولة في القرن السابع قبل الميلاد ، وسقطت في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد ، وامتدت أملاكهم من الجزء الجنوبيّ الشرقيّ من فلسطين إلى رأس خليج العقبة ، وكانت عاصمتهم سَلْع أي الصخرة ، وهي التي سمّاها اليونان « بطرة » وسموا

أورد المعجم الوسيط تعريفاً لكل من : الأنباط والعرب والترك والغُزّ ، وقد توسع في بعض التعريفات دون بعضها الآخر ، وأدى توسعه إلى معلومات بعيدة عن الدقة ، كما كان في غنى عن الإشارة إلى قبيلة مثل الغُزّ .

لقد كان من المستحسن أن تكون جميع التعريفات دقيقة متقاربة في سعتها ، كأن تكون كما يلي :

الأَنباط : شعبٌ عربيٌّ قديم [1] ، كانت له دولة في شماليّ شبه الجزيرة العربية ، وعاصمتهم سَلْع [2] ، وتُعرف اليوم بالبتراء [3] .

(١) في تاج العروس : وفي حديث ابن عباس : نحن معاشر قريش من النبط ... وفي حديث الشعبي : أن رجلاً قال لآخر : يا نبطيّ ، فقال : لا حدّ عليه كلنا نبط .

(٢) في معجم البلدان سلع : حصن بوادي موسى .

(٣) في القاموس : البتراء موضع بقربه مسجد لرسول الله (ص) بطريق تبوك . وتبوك ـ كما في القاموس نفسه ـ أرض بين الشام والمدينة ؛ والبتراء هو الاسم الذي يطلق اليوم على الموضع نفسه !

البلاد كلها « أرِبْيا بطرا »
أي بلاد العرب الصخرية .
و ــــ المشتغلون بالزراعة ،
واستعمل أخيراً في أخلاط
الناس من غير العرب .

النَّبَطُ الأنباط..وكلمة نبطيّة: عامية.

العَرَبُ جيلٌ من الناس ساميّ الأصل،
كان منشؤه شبه جزيرة
العرب . (ج) أعْرُبٌ
والنسب إليه عَرَبيٌّ .

التُّرْكُ جيل من الناس . (ج)
أتْراك. والواحد: تُرْكيّ.

الغُزّ قبيلة من الترك . الواحد:
غُزْيّ .

العَرَبُ : أمّةٌ سامية الأصل ، نشأت في
شبه الجزيرة العربية ، ثم انتشرت
في جميع البلاد الواقعة بين الخليج
العربي شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً .

التُّرْكُ : أمّةٌ مغولية الأصل ، نشأت في
شرقيّ أسيّة ، والأتراك اليوم منتشرون
في بلاد أسيويّة كثيرة ، ويسكن
معظمهم في دولة تركية .

الكُرْدُ جيلٌ من الناس يسكنون
شماليّ العراق . الواحد :
كُرْدِيٌّ .

هذا التعريف غير دقيق وناقص ، والأصح
أن يكون كما يلي :

الكُرْد والأكراد : شعبٌ معروف يسكن
هضبــــة فسيحة في آسيا الوسطى ، وبلادهم
موزعة اليوم بين كل من دول روسية وتركية
وإيران والعراق .

البَرْبَرُ جيل من الناس يسكن أكثرهم بلاد المغرب . (ج) بَرَابِرُ وبَرَابِرَةٌ .

لقد كان من المستحسن أن يكون التعريف أكثر دقة ، كأن يكون كما يلي :

البَرْبَر : شعبٌ أكثره قبائل تسكن الجبال في شماليّ إفريقية .

فارِسُ أُمَّةٌ من النّاس ، وهم الفُرْسُ . وفارِسُ أيضاً : بلادالفُرْس .

لقد كان من المستحسن أن يضيف المعجم الوسيط إلى التعريف ، القول بأن بلاد الفرس تسمى اليوم : إيران .

العَجَمُ خلافُ العَرَبِ ؛ الواحد : عَجَمِيٌّ نطق بالعربية أو لم ينطق .

لقد فات المعجم الوسيط أن يضيف إلى تعريف كلمة « العجم » أنها : وعلم على الفرس خاصة ؛ بدليل أنه عرّف يوم ذي قار : بأنه أول يوم انتصف فيه العرب من العجم (١) .

السُّودانُ جيلٌ من الناس سُودُ البشرة . واحدُه والنسبةُ إليه : سودانيٌّ .

السواد لغة ضد البياض ، والأسود من كانت بشرته سوداء ، وجمعه (سودان) . والسودان من النـــاس ضد (البيضان) ، لذلك فكلمة سودان لا تعني لغة شعباً بعينه حتى يسوغ مثل التعريف الذي نقله المعجم الوسيط .

إن الشعوب السوداء تسكن أقاليم إفريقيّة غير واضحة الحدود ، تشمل عدة دول منها : تشاد ونيجريا ومالي والسنغال والكنغو ، ومنها

---

(١) انظر ص ٢٥٩ .

السّودان وهي دولة عربية تقع في إفريقية الشرقية جنوبيّ مصر .

لقد كان من المستحسن أن يعيد المعجم الوسيط النظر في تعريف الكلمة ليكون تعريفه صحيحاً ودقيقاً .

الحَبَشُ نوع من الجنس الأسود . و— سكان بلاد الحبشة . واحده حَبَشِيّ . (ج) حُبْشَان .

إذا كان المقصود من كلمتي حبش وحبشان سكان بلاد الحبشة ، فإن سكانها ليسوا من الجنس الأسود ، وإن علت وجوههم السمرة الشديدة ، وورود هذا التعريف في المعجمات القديمة لا يسوّغ نقله إلى معجم حديث .

النُّوبة جيل من السُّودان . الواحد : نُوبيّ . وبلاد النُّوبة ، وَطَنُ ذلك الجيل ويقع في الجزء الجنوبي من بلاد مصر .

لقد كان من المستحسن أن لا تذكر كلمة « السّودان » مرادفة للجنس الأسود ، للسبب الذي أشرنا إليه في تعليقنا على الكلمة نفسها المذكور آنفاً .

إن النُّوبيين – في حقيقتهم – عناصر حامية قديمة اختلطت بالعرب ، وهم يسكنون منطقة على شاطىء النيل تقع في جنوبيّ مصر وشماليّ السّودان ، وتسمّى بلاد النّوبة .

القِبْطُ جيلٌ من أهل مصر الأصليين ، واحده : قِبْطيّ . (ج) أقباطٌ .

تعريف كلمة « قبط » في المعجم الوسيط قاصر عن اعطاء المُراجع فكرة صحيحة عنها ، والكلمة يونانية الأصل كانت تطلق على سكان مصر القدماء .

أما اليوم فكلمة « قبط » تطلق على النصارى من المصريين .

الزَّنجُ جيلٌ من السودان يسكن حول خط الاستواء ، وتمتدُّ بلادهم من المغرب إلى الحبشة ، وبعض بلادهم على نيل مصر .

الزَّنجيُّ واحد الزنج أو الزنوج .

نقل المعجم الوسيط هذا التعريف عن معجم قديم ، ولا يصح لمعجم حديث أن يثبته .

والزّنج أو الزنوج اسم أطلق قديماً على القبائل الإفريقية القاطنة في أقطار شرقيّ القارة ، ومنه كان اسم جزيرة (زنجبار) المعروفة ، ثمّ أطلق العرب كلمة (الزّنج) على الرقيق المحمول من مختلف الأقطار الإفريقية . أما اليوم فأصبحت الكلمة ترادف : العرق الأسود ، وتطلق على جميع السلالات المنحدرة من القبائل الإفريقية المختلفة أنّى استوطنت .

الخزَرُ جيلٌ خُزْرُ العيون .

نقل المعجم الوسيط هذا التعريف عن القاموس ، وقد تكون فيه علةُ التسمية ، ولكن الخزر في الواقع : اسم إقليم وبحر معروفين ، ويطلق على شعب مغوليّ الأصل يسكن ذلك الإقليم .

الغجرُ قومٌ جفاة يسكنون الحُولة ونواحي الأُردنّ . والواحد منهم غجَريٌّ . ويوجد مثلهم في كثير من البلاد (د) .

ورد هذان التعريفان في المعجم الوسيط ، وهما منقولان عن معجمين مختلفين ، وكان من الواجب إعادة النظر فيها ، ليكونا أكثر دقة وصحة .

النَّوَر	جيلٌ من الناس دأبُهم التَّرْحال والتَّطواف ، لهم لغة خاصة ، ويعيشون في الغالب على السَّرقة والكِدْية ، والتكهُّن بمعرفة البخت . الواحد : نَوَريٌّ . (د) .	والمعروف عن الغَجَر أو النَّوَر أنهم شعب متجول منحدر من أصل هندي ، وهو منتشر في كثير من البلاد ، ويتمسك بتقاليد وعادات خاصة به ، وأفراده يدينون بدين الشعب الذي يقيمون في بلاده ، ويعتمد أكثرهم على التجارة في معاشه .
المَجُوس	قوم كانوا يعبدون الشمس والقمر والنار ، وأطلق عليهم هـذا اللقب منذ القرن الثالث للميلاد .	جاء المعجم الوسيط بهذه التعريفات دون أي إشارة إلى أن الكلمة في أصلها معربة على ما في الأمهات . قال ابن فارس في مقاييس اللغة : الميم والجيم والسين كلمة ما نعرف لها قياساً وأظنُّها فارسية . وقال الفيروزابادي في القاموس : مجوس كصبور : رجل صغير الأذنين وضع ديناً ودعا إليه . معرَّب منج كوش . وفي لسان العرب عن ابن سيده : المجوس جيل معروف جمعٌ ، واحـدهم مجوسيٌّ .... وهو معرَّب أصله : منج كوش ، وكان رجلاً صغير الأذنين كان أول من دان بدين المجوس ودعا الناس إليه ، فعربتـه العرب ، فقالت « مجوس » ونزل به القرآن .
المَجُوسِيُّ	الكاهن عند الأشوريِّين وقُدامى الفُرس . و ـ الكاهن الذي يقوم على النار . و ـ الكاهن الذي يباشر أعمال السِّحر .	
المَجُوسِيَّة	عقيدة المجوس في تقديس الكواكب والنار . و ـ دين قديم جدَّده وأظهره وزاد فيه زَرادُشت .	

والمعروف أن المجوسيّة : دين قدماء الفرس ، قبل الميلاد بعدة قرون ، والنسبة إليه : مجوسيّ ، وقد ورد ذكر المجوس في انجيل متّى ، يوم جاء المجوس يسألون عن مولد السيد المسيح .

الإفرنج والإفرنجة جيل من الناس يسكنون أوربّة .(مع) .

[مادة أ ف ر]

نقل المعجم الوسيط هذا التعريف عن معجمات قديمة ، وهو غير دقيق ، فكلمة (إفرنج أو إفرنجة) تعريب كلمة (Franc) وهي جرمانية الأصل كانت تطلق على مجموعة من القبائل ، وعلى قطعة من النقود ، ومنها أخذ الفرنسيون اسمهم واسم نقدهم ، وكان عرب الأندلس يطلقون الكلمة على نصارى إسبانية ، ثم أطلقها العرب في القديم وما زالوا يطلقونها على سكان أوربّة على اختلاف شعوبهم .

لقد كان من المستحسن أن يكتفي المعجم الوسيط بمثل التعريف التالي :

الإفرنج والإفرنجة : سكان أوربّة . (مع) .

كما كان من المستحسن لو أشار المعجم الوسيط إلى صيغة ثالثة في تعريب الكلمة، وهي (الفِرَنْجة). إذ عرّبت الكلمة ، كما ورد في تاج العروس : بإثبات الألف في أولها ، وعربها جماعة بحذفها .

الصَّقالِبةُ جيــــل من الناس كانت مساكنهم إلى الشمال من بلاد البُلْغــار وانتشروا الآن في كثير من شرقيّ أوروبا ؛ وهم المسمَّوْن الآن بالسُّلاف .

[مادة ص ق ل]

تعريف « الصّقالبة » في المعجم الوسيط ، حديث ولكنه غير دقيق ، لأن الصقالبة ليسوا شعباً واحداً ، بل هم مجموعة من الشعوب تقطن اليوم البلاد الواقعة بين جبال الأورال والبحر الأدرياتيكي .

ويلاحظ أن التعريف أشار إلى بلاد البلغار التي كانت معروفة في القرون الوسطى ، والتي هاجر كثير من سكانها نحو الغرب أي إلى البلاد التي تعرف اليوم بدولة بلغاريا ، ثم أصبحوا من الشعوب السّلافية ، أي من صقالبة الجنوب ، وهؤلاء هم أحد فروع ثلاثة كبرى للصقالبة : أولها صقالبة الغرب ومنهم البولونيون ، وثانيها صقالبة الشرق ومنهم الروس البيض .

الإِسْكِيمُو (انظر : إسكيمو) .

[مادة س ك م]

الإِسْكِيمُو جيل من الناس يسكنون القطب الشمالي .

[مادة ا س ك]

أورد المعجم الوسيط كلمة (إسكيمو) في مادتين ، بينما أغفل الإشارة إلى شعوب كثيرة لا تقل أهمية عن الإسكيمو .

وصياغة التعريف تخلو من الدّقة ، فكان من المستحسن أن يكون كما يلي :

الإسكيمو : مجموعةٌ من القبائل تسكن البلاد المجاورة للقطب الشماليّ . (د) .

	المعجم الوسيط	الملاحظة
اللاتينيّ	المنسوب إلى لاتينيوم: بلاد في إيطاليا. يقال: رجل ولسان لاتينيّ، وامرأة ولغة لاتينية. (ج) لاتينيّون. [مادة ل ت ن]	التعريف الدقيق لكلمة لاتيني هو: اللاتيني المنسوب إلى (لاتيوم) أحد أقاليم ايطالية. ومما تجدر ملاحظته: أن اللاتين: اسم طائفة من النصارى الكاثوليك، وهم الذين يستعملون اللغة اللاتينية في عباداتهم. واحدهم: لاتينيّ.
الأصفر	بنو الأصفر لقب الرُّوم من سكان آسيا الصغرى والقسطنطينية وما إليها.	قال صاحب القاموس: بنو الأصفر ملوك الرُّوم أولاد الأصفر بن روم ... وقال صاحب اللسان: وبنو الأصفر الرّوم، وقيل: ملوك الرّوم، قال ابن سيده: ولا أدري لم سموا بذلك. لقد كان من المستحسن أن يغفل المعجم الوسيط ذكر البلاد التي كان الروم يسكنون فيها، وأن يكتفي بالقول. بنو الأصفر: لقب الرُّوم أو ملوكهم.

(يتبع) عدنان الخطيب



محمد بن سلام

-٢-

فنون علمه ومؤلفاته

محمد بن سلاّم عالم واسع العلم ، أخذ من أكثر العلوم شيئاً ، و « تخصص » في علوم أخرى عرف بها واقترنت به . وأهم فنون علمه :

الحديث :

سمع محمد بن سلاّم الحديث مبكراً ، وبلغ به درجة تخوّل له الرواية وتهيئ له لقب « الحافظ »(١) ، وتبعث المؤلفين على ذكره والاهتمام بأمره .

قال الخطيب البغدادي إنه « حدث عن حمّاد بن سَلَمة ومبارك بن فضالة وزائدة بن أبي الرّقاد وأبي عوانة »(٢) .

وقال : « روى عنه أبو بكر بن أبي خيثمة وعبد الله بن أحمد بن حنبل وأبو العباس ثعلب وأبو بكر المطوعي وأبو العباس أحمد بن علي الأبّار وغيرهم »(٣) ، وذكر أبا خليفة الفضل بن الحباب الجمحي(٤) . وزاد آخرون : « محمد بن

---

(١) الذهبي ــ العبر ١ : ٤٠٩ .
(٢) الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، وينظر الذهبي ــ الميزان ٣ : ٦٦ ، العسقلاني ٥ : ١٨٢ .
(٣) الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، السمعاني ١٣٤ ب .
(٤) الخطيب ٥ : ٣٢٧ .

حاتم الرزي »(١) و « الإمام أحمد بن حنبل »(٢) .

« أخبرنا الحسن بن أبي بكر أخبرنا أحمد بن يعقوب الأصبهاني حدّثنا أبو خليفة عن الرياشي قال : أحاديث محمد بن سلاّم عندنا مثل حديث أيوب عن محمد عن أبي هريرة . قال أبو خليفة : وقال لي أبي مثل ذلك (٣) .

وقال الخطيب : « أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب حدّثنا محمد بن نعيم الضبّي أخبرني علي بن محمد الحبيبي ـ بمرو ـ قال : سألت أبا علي صالح بن محمد جَزَرة الحافظ عن عبد الرحمن ومحمد ابني سلاّم الجمحيين فقال : صدوقان . ورأيت يحيى بن معين يختلف إليهما » (٤) .

ويبدو أن عبد الرحمن أكثر انصرافاً إلى الحديث من أخيه ، وكان محدّثاً قبل أن يكون شيئاً آخر ، على خلاف محمد (٥) .

---

(١) ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ .

(٢) ابن الأنباري ١٠٩ .

ولم يذكر ابن الجوزي في كتابه عن أحمد بن حنبل اسم محمد بن سلاّم بين من ذكر من مشايخ أحمد بن حنبل وكبار من روى عنهم . ويبدو ان في المسألة مبالغة أو التباس .

(٣) ينظر الخطيب ٥ : ٣٢٨ ، الذهبي ميزان ٣ : ٦٦ ، العسقلاني ٥ : ١٨٢ .

ورد الخبر مصحفاً مشوهاً ، وقد أفادنا الأستاذ محمد المنتصر الكتاني ـ أستاذ علم الحديث في جامعة دمشق في تقويم العوج وذكر أن معنى النص أن الرياشي الأديب البصري يثني ويشيد بابن سلاّم ، ويعرض بالمحدثين الذين يطعنون في حديثه فيقول : أحاديث محمد بن سلام عندنا ـ معشر النحاة واللغويين والأدباء ـ مثل حديث أيوب عن محمد عن أبي هريرة .. أي انها في الذروة صحة وانقاناً واعتماداً عليها .

(٤) الخطيب ٥ : ٣٢٨ . السمعاني ١٣٤ ب ، وينظر : ابن الأثير ـ اللباب ١ : ٢٣٦ ، الذهبي ـ ميزان ٣ : ٦٦ ، العسقلاني ٥ : ١٨٣ ، التهذيب ٦ : ١٩٣ .

(٥) بعد أن روى المرزباني ٢٠٨ عن ابن قانع ان محمد بن سلام توفي ببغداد سنة ٢٣١ قال : « ومات أخوه عبد الرحمن .. بالبصرة في هذه السنة وبينهما أيام » . وينظر عنه : الذهبي ـ سير النبلاء ٧ : ٢٨٣ (مخ . بالمكتبة الظاهرية بدمشق) ، ابن شاكر الكتبي ـ عيون التواريخ ج ٦ (مخ بالمكتبة الظاهرية) . الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، السمعاني ١٣٤ ب ، العسقلاني ٥ : ١٨٢ ، ابن كثير (حوادث ٢٣١) .

والحقيقة أن محمداً لم يكن ذا مكانة عالية في علم الحديث، ولئن وردت شهادات توثقه، قد وردت أخرى تضعّفه. قال الخطيب: «أخبرني الحسن ابن علي الصيمري حدّثنا علي بن الحسن الرازي حدثنا محمد بن الحسين الزعفراني حدّثنا أحمد بن زهير قال: سمعت أبي يقول: لا يكتب عن محمد بن سلام الحديث، رجل يُرمى بالقدر، إنما يُكتب عنه الشعر، فأما الحديث فلا»[1]..

ولو لم يكن رميه بالقدر اعتباطاً، فقد كان يذاكر القدر في المجالس[2]، وكان يروي أخباراً ليست من القدرية ولكنها تدل على اهتمامه بالمسألة نفسها[3]. وعدّه الجاحظ في جملة البصريين المحدثين الذين قالوا بالقدر[4].

فلعله كان يضمر القدرية ويخشى التصريح بها.

ويبدو – على أي حال – أن محمد بن سلام كان يضيق – أحياناً – بأصحاب الحديث ويود لو تمرّدوا قليلاً. ولا غرو أن يروي عن يحيى بن سعيد القطان قوله: «رواة الشعر أعقل من رواة الحديث لأن رواة الحديث يروون مصنوعاً كثيراً، ورواة الشعر، ساعة ينشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون: هذا مصنوع»[5].

لقد كان محمد بن سلام أميل إلى علم الشعر والأخبار واللغة ..

---

(١) الخطيب ٥ : ٣٢٨، ينظر السمعاني ١٣٤، الذهبي – الميزان ٣ : ٦٦ – ٦٢، (٣ : ٥٦٨)، العسقلاني ٥ : ١٨٢ – ١٨٣.

(٢) الزبيدي ٥٠.

(٣) الجاحظ – الحيوان ٣ : ١١.

(٤) ابن المرتضى – طبقات المعتزلة ١٣٩. وقال ابن الأثير – اللباب ١ : ٢٣٦ : «... قيل انه كان قدرياً».

(٥) القالي ٣ : ١٠٥.

اللغة :

وضع الزبيدي محمدَ بنَ سلاّم على رأس « الطبقة الخامسة » [١] من « اللغويين البصريين » وفيها – بعده : ابن أخي الأصمعي (عبد الرحمن بن عبد الله) ، وأبو نصر (أحمد بن حاتم) ورفيع بن سلمة (كاتب أبي عبيدة في الأخبار – المعروف بدماذ) .

ومع أن التقسيم الطبقي هذا قائم على أساس زمني ، فانه يمكن أن يدل – كذلك – على « الأهمية » ، أو قلة الأهمية – إن شئت .

وقال الزبيدي نفسه إن ابن سلاّم « كان دون الأربعة : إبراهيم بن بكر الزيادي . وأبي محمد عبد الله بن محمد التوزي . والعباس بن الفرج الرياشي . وأبي حاتم السجستاني » [٢] علماً أن هؤلاء جاءوا في الطبقة السابعة من طبقات النحويين ، وأن بينهم من أخذ عن ابن سلام وروى عنه وأن الزبيدي لم يذكرهم في طبقات اللغويين [٣] .

ولئن لم يكن محمد بن سلام لغوياً كبيراً ، انه كان – على أي حال – « من أهل اللغة » [٤] وأنه « ثقة جليل » [٥] أخذ اللغة عن أعلامها وسمع مشكلها في مجالس العلماء ، واحتفظت له كتب اللغة بمكان .

ولا نعلم هل كان له مؤلف لغوي خاص ؟ ولو جمعت مروياته في دفتر خاص لكان له شأن ؛ وحفظت الكتب التي وصلت إلينا شيئاً مما وعى وروى ، وتنقل هذه الكتب عنه بثقة واطمئنان لأنه حذر فيما ينقل ، كأنه يخشى أن يجوز حدوده ويخاف أن يقع في وهم .

(١) الزبيدي ١٩٧ – ١٩٨ .
(٢) الزبيدي ١٩٧ .
(٣) كما رأينا ، وكما يذكر اللغوي ٦٧ .
(٤) القفطي ٢ : ١٤٣ .
(٥) اللغوي ٦٧ .

الأخبار :

« قال محمد بن يعقوب بن شبّة : حدّثنا جدّي قال : كان محمد بن سلاّم له علم بالشعر والأخبار وهما من جملة علوم الأدب »(١) ، وعده ابن النديم « أحد الأخباريين »(٢) في الفن الأول من المقالة الثالثة »(٣) من كتابه ، وهذا الفن « في أخبار الأخباريين والنسّابين وأصحاب السير والأحداث »(٤) . وقال ابن الأثير : « كان عالماً بالأخبار وأيام الناس »(٥) .

وقد عرف محمد بن سلام في هذا الفن ، فنقلت عنه الأخبار وروت كتب النسب ؛ وألف فيه الكتب ـ كما سنرى ـ وأمكن أن يُنعت بالأخباري (٦) .

وفي القليل الذي وصل إلينا مما رُوي عنه أو عن طريقه ما يدل على أهمية الأصل ــ وطرافته أحياناً .

الرواية ــ الملم بالشعر :

لنا أن نعد كل ما ورد لابن سلام أو عنه في الحديث واللغة والنحو من من قبيل المشاركات والعلم بالشيء ولوازم المعرفة ، ونرفعه في الأخبار درجة ؛ ولكن قيمة ابن سلام الأولى تنبع من كونه راوية « له علم بالشعر » .

(١) ياقوت ١٧ : ٢٠٤ ، وينظر الخطيب ٥ : ٣٢٩ .
(٢) ابن النديم ١٧١ .
(٣) ابن النديم ١٣٧ .
(٤) ابن النديم ١٧١ .
(٥) ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ .
(٦) الصفدي ٣ : ١١٤ ، الحنبلي ٢ : ٧١ .

وليس سهلاً في عصره أن يكون المرء « أحد الرواة »[١] و« من أهل الأدب »[٢] بل « من أعيان أهل الأدب »[٣] و« أئمته »[٤] يكتب عنه وينزل منزلة الشيخ الذي يقصد اليه الطلبة فيمن يقصدون من كبار العلماء .

لم يكن محمد بن سلاّم أول الرواة أو ثانيهم أو ثالثهم في التسلسل الزمني ، فما كان تاريخ ولادته ليسمح له بشيء من ذلك ؛ ولم يكن أكبر راوية في علم الرواية لأن هذا العلم قد بدأ يستنفد آخر عناصر وجوده عندما طلع اليه ابن سلام ؛ وفضيلة هـــذا الطالع الجديد أنه استوعب ما استوعب سابقوه ومعاصروه المتقدمون عليه ، فتنخّله ونقله وجوّد في تصنيفه والتأليف فيه . وتلقى الطلبة هذا العلم عليه في البصرة وبغداد وعلى تلاميذه من بعده ، وعليهم وعلى كتبه على مر العصور ؛ فما زال المؤلفون بعده يروون عنه ويستشهدون به ويرون فيه الرواية الثقة الذي لا ينحل أو ينتحل ، ولا يكذب أو يخون ؛ وإنما هو العالم الذي يرى من واجبه أن يحق الحق ويبطل الباطل ، ويؤيد الصادقين ويفضح المدلسين .

وكان ثمرة علمه وخلقه كتابه « طبقات الشعراء » ثم روايات هنا وهناك وصلت الينا منبثة في غضون كتب الأدب .

---

(١) ابن النديم ١٧١ .

(٢) الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، ياقوت ١٧ : ٢٠٤ ، القفطي ٢ : ١٤٣ . أو من جلة أهل الأدب كما لدى ابن الأنباري ١٠٩ .

(٣) ياقوت ١٧ : ٢٠٤ .

(٤) ابن تغري بردي ٢ : ٢٢١ ، العسقلاني ٥ : ١٨٢ .

مؤلفاته :

لمحمد بن سلاّم عدة مؤلفات ، وكان أكثر من روى هذه المؤلفات تلميذه ابن اخته أبو خليفة الفضل بن الحُباب [١] . وذكر ابن النديم أكثر ما بلغنا من أسماء كتبه ، وإن كان في روايته اضطراب وفي نسخ الكتاب تصحيف [٢] . وكان ممكناً تصحيح الاضطراب لو عُني المؤلفون الآخرون بذكر أسماء الكتب عناية ابن النديم ، ولو تردد ذكر هذه الكتب في بطون المؤلفات التالية عنها زمناً عندما تروى عن ابن سلام أوله ؛ ذلك أنه لم يصل الينا من كتب ابن سلاّم إلاّ كتاب واحد ، وهو الوحيد الذي يرد له اسم عندما تُقتبس من الروايات والأخبار ـ ألا وهو « طبقات الشعراء » .

وفيما يلي محاولة للحديث عن مؤلفات ابن سلام ـ وهي ترينا أن مجالات هذه الكتب تكاد تستوعب كل فنون علمه .

١ ــ طبقات الشعراء ــ ولم نستطع أن نعثر على نسخة تامة صحيحة له . وقد طبع عدة طبعات : أولاها بليدن عام١٩١٣ ــ ١٩١٦ م بتحقيق يوسف هل، وأخراها ــ وهي الأكمل والأجدر بالاعتماد ــ بالقاهرة (دار المعارف ، ١٩٥٢) بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ، إلاّ ان المحقق رأى أن يسمى الكتاب بـ « طبقات فحول الشعراء » .

ولا بد من النص على أن من المؤلفين من لم يذكر « طبقات الشعراء » باسمه وإنما ذكر اسمين لكتابين يكوّنان في حقيقتها هذا الكتاب ، فجاء في الفهرست : « كتـــاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب طبقات الشعراء

(١) ياقوت ١٦ : ٢٠٤ ـ ، وينظر ابن النديم ١٧١ والبغدادي ٢ : ٨ .
(٢) ابن النديم ١٧١ .

الإسلاميين »(١) ؛ وجاء في الوافي «كتاب طبقات شعراء الجاهلية ، طبقات شعراء أهل الإسلام »(٢) .

وقد يكون ابن سلاّم ألّف — أول ما ألّف — «كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، ثم ألّف كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين » وكتب لكل منهما مقدمة منفصلة ثم جُمع الكتابان في كتاب واحد بعد أن أضيفت إليها أشياء أخرى ؛ وقد يكون الذي فعل ذلك المؤلف نفسه وزاد المتأخرون ضروباً من الاضطراب .

٢ — كتاب بيوتات العرب — ذكره ابن النديم بهذا الاسم(٣) ، والصفدي بعنوان « كتاب نسب قريش وبيوتات العرب »(٤) . وليس تأليف مثل هذا الكتاب بمستبعد عن أخباري مثل ابن سلاّم ، ولكنه لم يصل الينا ولم يصل

---

(١) ابن النديم ١٧١ .

(٢) الصفدي ٢ : ١١٥ . وفي الكتبي ٦ : ١١٢ (مخ) : « وله كتاب طبقات شعراء الجاهلية وطبقات شعراء الإسلام » . ينظر شاكر ١٧ . « ان ذكر صاحب الفهرست .. كتابين .. لا يدل على انهما كتابان منفصلان .. » أما الدكتور محمد زغلول سلام فيميل في كتابه « تاريخ النقد العربي ١ـ» ـ القاهرة ١٩٦٤ ـ ص ١٠٣ ـ إلى ان لابن سلام كتابين في الطبقات معتمداً ما جاء على (ص ١٦) من طبعة مطبعة السعادة لكتاب طبقات الشعراء » : « فاقتصرنا في هذه على فحول الشعراء الاسلاميين للاستغناء عن فحول شعراء الجاهليين بطبقاتي المؤلفة في ذلك » ، ويقول : وهذه العبارة ساقطة من نسخة المعارف مع انها تورد بقيّتها ... » ، ويقول « .. ويدفعنا ذلك إلى الشك في ان المقدمة لم توضع للكتاب كله ، أي لجزئيه ، إذ قد تكون هناك مقدمتان اختلطتا مع ضياع بعض أجزائهما » .

(٣) ابن النديم ١٧١ ، البغدادي ٢ : ٨ .

(٤) الصفدي ٢ : ١١٥ ؛ الكتبي (مخ) ٦ : ١١٢ « وله كتاب نسب قريش وطبقات العرب » ، ينظر ابن سلام ، وشاكر ٢٧ .

منه أيُّ نقل مسند إليه ، وربما كان في النقول التي وردت عن ابن سلام بما يتصل بالبيوتات وقريش ما يمكن أن يكون مستمداً منه .

٣ — كتاب الفاضل في ملح الأخبار والأشعار — ذكره الصفدي والكتبي باسم « الفاضل في الأخبار ومحاسن الأشعار »(١) . ولم يصل إلينا الكتاب أو نقل عنه ، ولكن تأليف مثله يدخل في طبيعة علم ابن سلام وعمله ، ولعله ضمنه روايات لم يتسع لها كتاب « طبقات الشعراء » ولم تكن من منهجه وحدوده الزمنية ، وربما كان منه بعض ما ورد عن ابن سلام غير مسند إلى كتاب الطبقات .

وجاء اسمه في روايات أخرى على : « الفاضل ... »(٢) .

وقال الأستاذ محمود محمد شاكر وهو يعلق عليه : « وحدث فيما رواه أبو الفرج بأسانيده عن ابن سلاّم أكثر من أربعين موضعاً يذكر فيها المغنين ، ومواضع أخرى ذكر فيها بعض الشعراء كعمر بن أبي ربيعة ، ونابغة بني شيبان وبشاراً وغيرهم كسكينة بنت الحسين وسعدى بنت عبد الرحمن بن عوف والحارث بن خالد المخزومي وموسى شهوات ، فأخشى أن يكون لابن سلام كتاب أيضاً في المغنين أو تكون من الكتاب الذي ذكره ابن النديم في الفهرست : الفاضل ... »(٣) .

---

(١) الصفدي ٢ : ١١٥ ، الكتبي (مخ) ٦ : ١١٢ .

(٢) ابن النديم ١٧١ . وعلق الأستاذ شاكر ، هامش ص ١٤ بقوله : « لعله الفاضل بالضاد المعجمة » . وورد على « الفاضل » لدى البغدادي ٢ : ٨ (وكأنه يعتمد ابن النديم) .

(٣) شاكر ٢٨ .

وما أشار إليه الأستاذ شاكر يلفت النظر ، وليس مستغرباً أن يروي ابن سلام أشياء عن عمر بن أبي ربيعة وأمثاله ، ولا مستغرباً أن ينقل أشياء من حوادث معاصريه من الشعراء والمغنين فقد رآهم وخالط بعضهم وروى عمن خالط ، ولكن ما عرفناه من تزمته التأليفي ومن خلق رواة ذلك العصر الذين لا يعترفون إلاّ بالعصور التي سبقت زمنهم يجعلاننا نستبعد أن يكون لابن سلاّم كتاب في المغنين — زد على ان مثل هذا الاسم لم يرد بين ما ذكر من أسماء كتبه وفيما نقل عنه من روايات .

٤ — كتاب الحلاب واجراء الخيل — ورد لدى ابن النديم باسم « الحلاب وأجر الخيل »[١] ، ولدى الصفدي باسم « الحلايب واجراء الخيل »[٢] ، ولدى الكتبي : « الحلايب وأجر الخيل »[٣] .

وفيما رواه الجاحظ وحده في كتابه « الحيوان »[٤] عن ابن سلام ما يدل على اهتمام خاص بهذا الموضوع .

٥ — طبقات شعراء الفرسان — قد يكون لمحمد بن سلام كتاب خاص بهذا العنوان . وقد نبه إليه بروكلمان معتمداً ما جاء في الأغاني من نقول لا توجد في كتاب « طبقات الشعراء » وهي تخص الشعراء الفرسان مثل : دريد بن الصّمة الذي جعله ابن سلام أول شعراء الفرسان وخفاف بن نُدبة الذي جعله في الطبقة الخامسة من الفرسان[٥] .

---

(١) ابن النديم ١٧١ .
(٢) الصفدي ٢ : ١١٥ .
(٣) الكتبي (مخ) ٦ : ١١٢ .
(٤) الجاحظ ـ الحيوان ١ : ١٠٤ ، ٣ : ٢٢٥ ، ٥ : ١٦٦ ، ٢ : ٢٦٣ (وينظر ابن هذيل ٨٥) .
(٥) ينظر شاكر ٢٦ ـ ٢٧ .

وأيّد هذا الظن الأستاذ محمود محمد شاكر إذ قال : « وهذان النصّان هما اللذان حملا بروكلمان على الظن بأن ابن سلاّم قد ألّف كتاباً في طبقات فرسان الشعراء وقد أصاب بروكلمان كلّ الإصابة ، فإن ابن سلاّم قال في صدر كتاب الطبقات (ص ٥) : « .. ذكرنا العرب وأشعارها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها ، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب ، وكذلك فرسانها وساداتها وأيّامها ، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم ، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب فبدأنا بالشعر » .

« ولما كان كتاب الطبقات ، كما قال هو في الشعر والشعراء وحدهم على ما بيّن بعد في كتابه ، وقال إنه : « بدأنا بالشعر » فهذا وحده مُشعر بأنه سوف يتبع الشعر بالكلام على « فرسان العرب » ثم « أشراف العرب وساداتها » ثم « أيام العرب » وقد وجدنا كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، وذكر ابن النديم كتاباً سماه « بيوتات العرب » ، فهذا ، فيما نعتقد ، هو الذي ذكر « أشراف العرب وسادتها » . فجاء أبو الفرج فدلّنا دلالة قاطعة على كتاب آخر لابن سلام هو كتاب الفرسان أو كتاب « فرسان الشعراء » [1] .

وهو جهد في الاستقراء والاستنتاج ، لا يبعد أن يكون صحيحاً أو قريباً من الصحة .

وكان مما أثار الأستاذ شاكراً قول المستشرق الألماني يوسف هل ـ وهو يقدم للطبعة الأولى من كتاب « طبقات الشعراء » ـ : من الجائز أن يكون كتاب « فرسان الشعراء » قد اندمج في كتاب « الفرسان » لأبي خليفة الجمحي ، وقد ضاع كتاب أبي خليفة فيما يظهر » [2] .

---

(١) شاكر ٢٦ ـ ٢٨ ، ١٥ .

(٢) ينظر شاكر ١٧ .

ولم يكن لأبي خليفة - في حقيقة الأمر - كتاب باسم الفرسان ، لأن أبا خليفة راوية أمين لخاله محمد بن سلاّم ، وقد جاء عنه في معجم الأدباء : « روى عن خاله كتبه فأكثر وعن غيره وروى له من الكتب كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، وكتاب الفرسان ... »(١) . وكان الفهرست قد ذكر - قبل ذلك - وهو يتحدث عن أبي خليفة : « وله كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب الفرسان »(٢) .

ولا بد من أن تكون « له » هذه مسبوقة بما سبقها في رواية معجم الأدباء « ... وروى له .. » ، ولا بد من أن تكون صلة كتاب الفرسان بأبي خليفة صلة كتاب « طبقات الشعراء .. » به - أي انها لخاله ؛ وهو الذي رواهما - فيما روى .

ملاحظة : لمحمد بن سلاّم عناية خاصة بعلماء العربية من أهل البصرة ، يتقصى أول نشأتهم ويساير ترتيبهم وينقل ما علمه عنهم وما سمعه وما رآه ، فمن المحتمل أن يكون له كلام مجموع عنهم في مكان ما : مجلس أو حديث أو رسالة ... أو كتاب . فقد وردت هذه الأخبار متناثرة هنا وهناك من الكتب التي ألفت - بعده - في النحويين واللغويين ، وورد بعضها في كتاب « طبقات الشعراء » على شكل استطراد أشبه أن يكون مزجوجاً حتى ليخيل أنه وقع من إنسان آخر غير المؤلف(٣) .

---

(١) ياقوت ١٦ : ٢٠٤ (ولا بد من أن يكون شكل روى بفتح الراء على المعلوم ، وينظر الصفدي - نكت ٢٢٦ .

(٢) ابن النديم ١٧١ .

(٣) ابن سلام ١٢ - ٢١ .

ولدى السيرافي إشارة قد يفهم منها أن لمحمد بن سلام كتاباً في هذا الباب ، فقد قال : «قال أبو سعيد ثم وجدت بخط أبي أحمد الجريري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن محمد بن سلاّم في ترتيب النحويين من البصريين حماد ... وكان يونس يفضله» (١) .

وتكرر الخبر لدى الأنباري (٢) .

ملاحظة أخرى : ذكر أكثر من باحث أن لمحمد بن سلاّم كتاباً بعنوان «غريب القرآن» ، ومن هؤلاء الباحثين الزركلي (٣) وكحالة (٤) ومحمود محمد شاكر (٥) ... ولا بد من أن يكون السبب - فيما يكون - أنهم نقلوا عن ياقوت (٦) (أو عمن نقل عن ياقوت كالسيوطي) (٧) إذ ورد : «وله غريب القرآن» .

وياقوت مضعّف لأكثر من سبب : لأنه متأخر عن ابن سلاّم (بحوالى أربعة قرون) ، ولأنه تفرّد بهذه الرواية ، ولأنه غير متخصص فتجوز عليه الأمور وتختلط .

وسر الخلط وجود أكثر من ابن سلاّم في عصر واحد ، فهناك أبو عبيد القاسم بن سلاّم وهناك أبو عبد الله محمد بن سلاّم ، وقد اختلط

(١) السيرافي ٣٤ .
(٢) ابن الأنباري ٢٧ .
(٣) الزركلي - الأعلام ٧ : ١٦ .
(٤) كحالة - معجم المؤلفين ١٠ : ٤١ .
(٥) شاكر - ١٤ ، ٢٨ .
(٦) ياقوت ١٦ : ٢٠٤ .
(٧) السيوطي - البغية ٤٧ .

ـ كما رأينا ـ الأمر على الناس قبل ياقوت بثلاثة قرون أو أكثر ، كما اختلط عليهم في عصر ياقوت . ولم يكن القاسم بن سلاّم نكرة فيضيع حقه ، فقد عنيت به كتب التراجم وتحدثت عنه وعن مؤلفاته ، ولم تغفل أن تنص على كتابه « غريب القرآن » .

إذاً لم يؤلف محمد بن سلاّم « غريب القرآن » وإنما ألفه القاسم بن سلاّم .

الدكتور علي جواد الطاهر

أهم المصادر

ابن أبي حاتم .. الرازي ـ كتاب الجرح والتعديل ، حيدر أباد الدكن ١٣٧١/١٩٥٢ .

ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ . القاهرة ، المنيرية ١٣٥٧ (دون اس) .

ـ اللباب في تهذيب الأنساب . القاهرة ، ١٣٥٧ .

ابن الأنباري ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء . بغداد ١٩٥٩ .

ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٣٤٨ـ١٩٢٩

ابن حزم ـ جمهرة أنساب العرب ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

ابن خلدون ـ العبر ... ، بيروت ، ق ١ ، مجلد ٢ ، ١٩٥٦ ، مجلد ٣ ، ١٩٥٧ .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ، القاهرة ، ١٣٦٧/١٩٤٨ .

ابن دريد ـ الاشتقاق . القاهرة ، ١٣٧٨/١٩٥٨ .

ابن سعد ـ الطبقات الكبرى . بيروت ، ١٣٧٦/١٩٥٧ .

ابن سلاّم ـ طبقات فحول الشعراء ، القاهرة ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ١٩٥٢ .

ابن كثير ـ البداية والنهاية في التاريخ . القاهرة ، ١٩٣٢ .

ابن النديم ـ الفهرست ، القاهرة ، مط . الاستقامة (من دون تاريخ) .

الأصبهاني (أبو الفرج) ـ الأغاني . القاهرة ، مط . دار الكتب المصرية . التقدم (التزام ساسي) .

البغدادي (اسماعيل) ـ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، استانبول ١٣٦٤/١٩٤٥ .

ـ هدية العارفين وأسماء المؤلفين ، استانبول ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ .

بلاّت ـ الجاحظ ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني . دمشق ١٩٦١ .

ثعلب — مجالس ثعلب . القاهرة ١٩٦١ .
الجاحظ — الحيوان . القاهرة ١٩٣٨ - ١٩٤٧ .
الحاجري — الجاحظ . القاهرة ١٩٦٢ .
الحنبلي — شذرات الذهب . القاهرة ١٣٥٠ .
الخطيب (البغدادي) — تاريخ بغداد . القاهرة ١٩٣١ .
الذهبي — كتاب ميزان الاعتدال القاهرة ١٣٢٥ (ط. الحلبي ١٣٨٢-١٩٦٣).
— العبر في أخبار من غبر . الكويت ١٩٦٠ —
— سير النبلاء ج ١ ، القاهرة ١٩٥٦ ؛ ج ٧ مخطوطة الظاهرية بدمشق.
الزُّبيدي — طبقات النحويين واللغويين . القاهرة ، ١٩٥٤ .
الزبيري — كتاب نسب قريش . القاهرة ١٩٥٣ .
الزجّاجي — مجالس العلماء . الكويت ١٩٦٢ .
زكي (أحمد كمال) — الحياة الأدبية في البصرة ... دمشق ١٩٦١ .
السمعاني — الأنساب . ليدن (زنكوغراف) ١٩١٢ .
السيرافي — أخبار النحويين البصريين ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
شاكر (محمود محمد) — المقدمة التي كتبها على تحقيقه لكتاب طبقات الشعراء لابن سلام ، ينظر ابن سلاّم .
الصفدي — الوافي بالوفيات . دمشق ، ج ٣ ، ١٩٥٣ .
العسقلاني — لسان الميزان ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٢٩-١٣٣١ (دون نص)
— تهذيب التهذيب ، حيدر اباد ، ١٣٢٥ .
— الإصابة في تمييز الصحابة ، القاهرة ، ج ٣ ، ١٩٣٩ .
العلي (صالح أحمد) — التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة .. بغداد ١٩٥٣ .
القاسم بن سلاّم — كتاب الأموال . القاهرة ، ١٣٥٣ .
القالي — الأمالي ، ط ، القاهرة ١٩٢٦ (معه ذيل الأمالي والنوادر)
القفطي — إنباه الرواة على أنباه النحاة . القاهرة ١٩٥٢-١٩٦٠ (دون نص).
— كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، (مختصر الزوزني ليبسك ١٩٠٣.
الكتبي (ابن شاكر) — عيون التواريخ ، ج ٦ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق .
اللغوي(أبو الطيب .. الحلبي) — مراتب النحويين . القاهرة ، ١٩٥٥ .
المرزباني — « مختار من كتاب المرزباني في أخبار النحويين » ، استانبول ، مخطوطة مكتبة شهيد علي رقم ٢٠١٥ .
ياقوت (الحموي) — معجم الأدباء (ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب) . القاهرة ، دار المأمون ١٩٣٦ - ١٩٣٨ .

طرر على معجم الأدباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

— ٤ —

(المجلد الأول)

٢٦٨ : ١٥ الصواب : كما في الأغاني فنقط من القلم نقطة أو فكت القلم نقطة ، (١ : ١٨١ / ٤) .

٢٧٠ : ١٠ الديوان ١٠٩ من وِتْرى .

٢٧٠ : ١٥ لعل الأصل أما أنا فأستحسن ، (١ : ١٨٥/ ١) .

٢٧١ : ٢ الصواب : وأبي أن يَعِزَّ إلاّ بذُلِّي . الديوان ١٣٠ .

٢٧١ : ٩ البيت ترى لنا تخريجه في ديوان إبراهيم رقم ١٧٣ .

٢٧١ : ١٧ ثلاث ..... ثم ما ، (١ : ١٨٧/ ١٢) .

٢٧٢ : ١ الديوان أعقب ، (١ : ١٨٨ / ١) .

٢٧٣ : ٨ لعل الصواب من الحرب معتصَر ، (١ : ١٩٠ / ١٢) .

٢٧٣ : ١٠ الصواب : أزاله وأداله من الدولة .

٢٧٣ : ١٨ الصواب : خُطَّ لعيني آن ترى من قد . المرتضى ٢ : ١٣٠ .

٢٧٤ : ٢ الصواب : ومما روى .

٢٧٤ : ٥ الديوان٨٦ الحماسة بون١٣٧ بولاق ١ : ١٤٧ ، (١ : ١٩٢/ ٥) .

٢٧٤ : ١٠ (وما ان هذا الخ) كلام غير متّجه .

٢٧٤ : ١١ الصواب : بَقّاها أو أبقاها . وفي البيت الآتي آباء اللئام . الديوان رقم ١٢٥ ، (١ : ١٩٢ / ١٥) .

٢٧٤ : ١٤ حققنا عزو الأبيات وهي لأبي الأسد الدينوري في ديوان ابراهيم رقم ٥٧ والزيادات بعد ١٨٩ بما لا مزيد عليه ، (١ : ١٩٣ / ٤) .

٢٧٤ : ١٤ الصواب : في ناظري حيَّة ، (١ : ١٩٣ / ٥) .

٢٧٤ : ١٦ الصواب : وقد كددتني ، (١ : ١٩٣/٧) .

٢٧٥ : ٢ الصواب : أو إن هزلا .

٢٧٥ : ٣ الصواب : في الديوان ١٣٢ :

تأسّيا منه بما قد ضمنت من ذكر لا ، (١:١٩٤ / ١) .

٢٧٦ : ١٤ الركازة الخرافة نقله الصاغاني .

٢٧٦ : ١٨ الكلمة في ٢٠ بيتاً في الأغاني ١٩ : ١١٩ لابراهيم بن المدبّر ، (١ : ١٩٧ / ٤) .

٢٧٧ : ٥ البيتان لأحمد بن المدبر في أخيه ابراهيم في الأغاني ١٩ : ١٢٣ ، (١ : ١٩٧ / ١٣) .

٢٧٨ : ٧ نَأْثُرُه . والأبيات في البغية والوفيات (كافور) .

٢٧٨ : ١٩ الصواب : بما أشَمُّ مِسكاً ... لَفَاءَ بالفاء التراب وكل قليل وهما مثلان « رضي من الوفاء باللفاء » و « بدلٌ أعور » ، (١ : ٢٠١ / ٤) .

٢٧٩ : ٢ الأبيات لإياديّ يذكر عذرة الخطيب الايادي كما في البيان ١٩٢٦م والصواب والدَّجَى . إذا ضرّجوها ، (١ : ٢٠١ / ٦) .

٢٧٩ : ٩ الصواب : يَتَبَجّحُ ، (١ : ٢٠٢ / ٥) .

٢٧٩ : ١٥ ترجمته مستقصاة في أصل الزبيدي ١٦٨ وكل ما هنا منه وفي الشذرات سنة ٣٤٦ هـ ، (١ : ٢٠٣ / ١) .

٢٨١ : ٣ الصواب : وقد ذكر .

٢٨١ : ٩ الصواب : حُبيش بن محمد . ابن عساكر ٢ : ٢٣١ قال وضبطه ابن ماكولا جَيْش ، (١ : ٢٠٦ / ١) .

٢٨١ : ١٠ وفي لسان الميزان ج ١ رقم ٢٢٩ ابن الكبري ، (١ : ٢٠٦/ ٢).

٢٨١ : ١٨ الصواب : لأصحاب . ابن عساكر ، (١ : ٢٠٦ / ١١) .

٢٨٢ : ٦ الصواب : وقد أجاد فيه ، (١ : ٢٠٧ / ٧) .

٢٨٣ : ح١ وذلك أن أخاه أبا الوليد توفي سنة ٢٥٦ عن سن عالية كما في طبقات الزبيدي ، (١ : ٢٠٨ / ح ٢) .

٢٨٣ : ٨ ابن عساكر ٢ : ٢٥٢ النديم ٩٢ ، (١ : ٢٠٩ / ٧) .

٢٨٤ : ٥ (كان يكون بالشام) لا غبار عليه .

٢٨٤ : ١٧ الصواب : لفظ ابن عساكر وهو (أمره السلطان بشيء فلم يقبل فغضب عليه وضربه مائتي سوط فغضب له الأوزاعي فتكلم في أمره ، (١ : ٢١٢ / ٢) .

٢٨٥ : ٨ الصواب : ما فيها حرف . ابن عساكر .

٢٨٥ : ١٠ الصواب : يَنْخُلانها نَخْلا . ابن عساكر .

٢٨٥ : ١٥ الخُوْصَ . ابن عساكر .

٢٧٦ : ١٨ الفهرست ٧٩ ، (١ : ٢١٥/١٢) .

٢٨٨ : ١١ ابن شهر هو الهلال ، (١ : ٢١٨/٤) .

٢٨٨ : ١٦ الصواب : مُقْطِع ، (١ : ٢١٨/١٤) .

٢٨٩ : ٩ ولا تبرو الأصل تَبْرُؤُ من باب نصر ، (١ : ٢٢٠/٦) ،

٢٨٩ : ١٥ الصواب : إلاّ أن .

٢٩١ : ١١ (خط رائين) انظر .

٢٩١ : ١٨ الصواب : مَيْتاً بقفرة .

٢٩٢ : ٣ أخباره في الأغاني ١٩ : ١١٤ ، (١ : ٩/٢٢٦) .

٢٩٤ : ٥ حفظي بالقميص المستجدّ وفي كنايات الثعالبي ٣٥ كما هنا والبيت الثالث فيه ١٤ ، (١ : ١١/٢٣١) .

٢٩٤ : ٨ الصواب : سعدِ هذيم ، (١ : ١٤/٢٣١) .

٢٩٤ : ٩ الصواب : وزُبْد . بلا دال يريد الزُبّ وهو (الفَعْل) ، (١ : ١/٢٣٢) .

٢٩٤ : ١٠ الوَدّ الصديق وهو الوتد أيضاً وشبَّه به هنا الزُبَّ وهو الوتد من عصب وجلد ، (١ : ٢/٢٣٢) .

٢٩٤ : ١٤ ترجمته في لسان الميزان ج ١ رقم ٣٠٠ ، وفيه عن أبي نعيم في سنة وفاته ٢٨٠ هـ (١ : ٦/٢٣٢) .

٢٩٥ : ١ الطوسي والنجاشي بومباي ١٣١٧ هـ ص ١٢ ، وقوله (جبارا) في لسان الميزان عن أبي نعيم (غاليا) ، (١ : ١/٢٣٣) .

٢٩٥ : ١٤ المتعتان متعتا الحج والنكاح .

٢٩٥ : ١٧ لفظ النجاشي كتاب الأحداث حروب الغارات السيرة أخبار يزيد ، (١ : ٦/٢٣٤) .

٢٩٦ : ٤ لترجمة الفهرست ١٤٧ .

٢٩٦ : ٥ التشبيهات منه نسختان بمصر ، (١ : ١/٢٣٥) .

٢٩٦ : ٧ الصواب : بابن أبي القراقر ، وذكره ابن القارح ٢٠٠ سنة ١٣٣١ هـ .

٢٩٧ : ٢ الصواب : فأبى .

٢٩٧ : ٢ الصواب : للجُبْن ، (١ : ٥/٢٣٦) .

٢٩٧ : ٩ الجوابات المسكتة يوجد باستنبول وذُكر لي أنه طبع طبعة محدودة ، (١ : ١٤/٢٣٦) .

٢٩٧ : ١٣ وفي الأغاني ١٣ : ٢٤ أنها لأبي عمر أحمد بن المنجم، (١ : ٢٣٧/٦).

٣٠٠ : ١١ الصواب : حتى دانْ .

٣٠٠ : ١٧ الصواب : ولا يُعجزه قريب .

٣٠٣ : ١٢ الصواب : إذ كان يحقّق التناسخ .

٣٠٦ : ٩ لعله عن نكبته ، (١ : ٢٥٢/١٣) .

٣٠٧ : ٤ لترجمته الخطيب والزبيدي والنزهة والفوات والجزري ١٠٢ والفهرست ٨١ ، والمنتظم ج ٦ رقم ٤٢٧ ، (١ : ٢٥٤/١) .

٣٠٧ : ١١ قوله صيّره الخ ولا ملام عليه فانها كذا بالفارسية ، (١ : ٢٥٥/٨) .

٣٠٨ : ٢ النزهة ٣٢٩ البرنهاري الخطيب ٣٢٠٥ البربهاري رئيس الحنبلية وهو الصواب والبَرْبهاري كما في الأنساب ٧١ لجالب العقاقير والحشيش والأدوية من الهند ، (١ : ٢٥٦/٩) .

٣٠٨ : ١٦ الصواب : مجراها .

٣٠٩ : ٢ لعله قال ابن عرفة .

٣١٠ : ٢ وترجم الخطيب ٢٧٥٠ لابن داود ، (١ : ٢٦٠/٥) .

٣١٠ : ١٣ (المذهب) لا غبار عليه والمرهب في الحاشية صوابه المهرب ، (١ : ٢٦١/١٢) .

٣١١ : ١٠ الصواب : لا أخذ .

٣١١ : ١٤ تأتي الأبيات ٦ : ٢٢٤ و ٤٩٠ .

٣١١ : ١٨ ابن النديم ١٧٢ الوفيات (نفطويه) بيتان ببعض اختلاف لأبي عبد الله محمد بن زيد الواسطي المتكلم ، والثالث مما هنا في مختصر طبقات الزبيدي رومة رقم ٨٣ لابن الرومي ولا يوجد في نسخة الأصل ، (١ : ٢٦٤/٨) .

٣١٢ : ١٠ الخطيب ٣٢٠٥ والنزهة وعندهما وليس لي في حرام منهم، (١ : ١٤/٢٦٥) .

٣١٢ : ١٥ الخطيب من حيائي يوم، وهو الصواب ، (١ : ٧/٢٦٦) .

٣١٣ : ١٦ لعله ربّ امرئ أو (أو امرئ) .

٣١٤ : ٧ الخبر الآتي عن النشوار ٨ : ٥٣ ، (١ : ٨/٢٦٩) .

٣١٤ : ١٥ الصواب : أن تُلْفَي ..... سوى دلّ . ثم وجدته كذلك في النشوار ، (١ : ٥/٢٧٠) .

٣١٦ : ١ الصواب : ابن محمد بن العلاء ، عن نسخة الزبيدي .

٣١٦ : ٢ في الكلام سقط والأصل (حكى فلان عن المبرّد قال في تلاميذ أبي العباس ..... على أبي العباس الخ) . أو ما يشبهه ، (٢ : ٥/٣) .

٣١٦ : ٨ الصواب : ابن الإفليليّ بالفاء ينسب إلى إفليل أو إفليلاء بالشام كان سلفه منها ترجمته في الصلة رقم ١٩٥ والضبّيّ ٤٨٥ والوفيات .

٣١٧ : ٧ الصواب : أبو مروان بن حيّان وهو مؤرخ الأندلس الشهير ، (٢ : ١٥/٦) .

٣١٧ : ١٦ الصواب : عبد الرحمن المستكفي .

٣١٧ : ١٩ الصواب : ولحقته .

٣١٨ : ٢ الصواب : ثم أُطلق .

٣١٨ : ٧ الصواب : في العَمَى ، (٢ : ١/٩) .

٣١٩ : ٧ كامرئ القيس يريد قوله : (٢ : ٣/١١)

بكى صاحبي لما رأى الدَّرْبَ دونه وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا

٣١٩ : ١٨ الصواب لعله : بأكناف الحِمى ، ثم وجدته كذلك في المنتظم ٨ : ٢٨٨ ، (٢ : ٦/١٢) .

٣٢١ : ١ ترجمته عنه في نكت الهميان ٩١ ، (٢ : ٧/١٥) .

٣٢٤ : ٤ امحُ (اله) ، (٢ : ٧/٢٠) .

٣٢٤ : ٩ ترجمته الصابي في المعاهد ١ : ١٥٤ حكماء القفطي ، (٢ : ١٢/٢٠) .

٣٢٥ : ١٧ في الوفيات ٧١ سنة ، (٢ : ١/٢٦) .

٣٢٦ : ٨ الصواب : يَهْمِي على ، ثم رأيته كذلك في المعاهد ، وقوله في ح (٣) : لعله خلب رمحُه .

٣٢٧ : ١ (بَثّه وحزنه) تفسير (عجره وبجره) .

٣٢٧ : ٨ الأبيات في المعاهد أتمّ ، (٢ : ١٢/٢٩) .

٣٢٩ : ١٣ الأبيات في المعاهد والجواهر وانظر الأدباء ٦ : ١٤٧ ترجمة قابوس ، (٢ : ١٠/٣٤) .

٣٢٩ : ١٧ القبض عليه مختصراً في الجواهر ٢٥١ ومبسوطاً في ذيل أبي شجاع سنة ٣٧١ هـ ، (٢ : ١/٣٥) .

٣٣٠ : ٥ الصواب : ونَفِق عليه ، (٢ : ١٠/٣٥) .

٣٣٤ : ١١ الصواب : لك تَرّة .

٣٣٥ : ٦ الصواب : يلذع .

٣٣٧ : ١٣ الصواب : مُحَلأوْنَ مطرودون ، (٢ : ١/٥١) .

٣٣٨ : ١٢ الصواب : وعظاماً مسبريّة ، (٢ : ١٠/٥٥) .

٣٤٠ : ١١ البيتان من أربعة لابن العميد وقال ابن النجار إنهما لرزق الله الواعظ في ولده أبي العباس المعاهد ١ : ١٧٣ وهما لابن العميد في خاص الخاص للثعالبي ١٢٦ ، (٢ : ١١/٥٦) .

٣٤٦ : ١١ الأبيات في المعاهد ١ : ١٥٦ وانظر لبيتين آخرين في المعنى النشوار ٨ : ١٣٧ ، (٢ : ١٥/٦٨) .

٣٤٧ : ٣ في المعاهد ، (٢ : ٧٠/٤) .

٣٤٨ : ٢ الأبيات في النشوار ٨ : ١٣٧ ، (٢ : ٧٢/٧) .

٣٤٨ : ١٣ اسم غلامه على ما في الوفيات يُمْن وفيه : بياضه استعلى علوّ الخاتن ، (٢ : ٧٣/٧ و ٨) .

٣٤٨ : ١٨ الأبيات أربعة في الوفيات ، (٢ : ٧٤/١) .

٣٥٠ : ٥ الصواب : لعله فنعى حياتك .

٣٥٠ : ح (٢) الردى في اليتيمة غير محرّف .

٣٥١ : ٦ الصواب : كالدَّوْح ثم رأيت الأبيات في المعاهد .

٣٥٢ : ٤ وشبع الفتى الخ من ٤ أبيات في الحماسة بون ١٢٩ بولاق ١ : ١٤١ الجهشياري ٢٤٢ لبشر بن المغيرة بن المهلب وعزاها القالي ٢ : ٣١٧ ، ٣١٣ للبختري بن المغيرة ، (٢ : ٨١/١٥) .

٣٥٣ : ٤ تستحل هو الصواب من الحلالة .

٣٥٥ : ١٧ جِيْسُوَان معرّب گيسوان وهي الذوائب بالفارسيّة وهي جنس من النخل له بُسر جيّد (٢ : ٨٩/١٤) .

٣٥٦ : ١ البيتان في النشوار ٨ : ١٣٧ .

٣٥٦ : ٩ الصواب : أمِنوا .

٣٥٧ : ١٠ الأبيات في المعاهد ، (٢ : ٩٢/١٠) .

٣٥٨ : ح (٢) قول الصفدي هذا لابن خلّكان في وفياته . وأنا أراه وهما من ابن بسام إذ أن ابن رشيق وهو بلديّ الحصري وصاحبه يبعد أن يميته قبل ٤١ سنة .

٣٥٨ : ٢ الأبيات في المعاهد (٢ : ٩٣/١٢) .

٣٥٩ : ٦ الصواب : ذكّرتني .

٣٦٠ : ٤ (وله عندي كتاب الجواهر ..... كتبه عبد القادر البغدادي غريب من المصحح أن يدرج هذا الكلام في صلب المتن وإنما هي حاشية لصاحب خزانة الأدب عبد القادر في نسخة الأدباء بخزانة بادلي باكسفورد وكان يسمى الكتاب الجواهر الخ (الخزانة ١ : ١١، ٢٥١ ؛ ٣ : ١٦٨ ؛ ٤ : ٢٨٤) خلافاً لما ثبت في طبعة الكتاب جمع الجواهر وبخط المرحوم محمد حفني المهدي عقود الجواهر الخ ، (٢ : ٩٧/٨٠) .

٣٦٠ : ٩ ابن عساكر ٢ : ٣٠٨ الخطيب ٣٢٦٤ النزهة ٢٢٣ ابن الجزري ١٢٢ ، (٢ : ٩٧/١٤) .

٣٦٠ : ١٥ هذا المؤلف الجليل وجدته بخزانة كوبرولو رقم ٣٢٧ في ٢٠١ ورقة والمسطرة ١٨ سطراً نسخة عتيقة لعلها من القرن الرابع جليلة مقروءة مسموعة بالية مخرومة أقلّ من النصف الأوّل نقلت عن نسخة الشيخ وقوبلت بنسخة أبي الحسن المهلّبي ثم وقفت سنة ٥٨٠ هـ بالقاهرة لتجمل إماماً ، (٢ : ٩٨/٩) .

٣٦٢ : ١٠ الأبيات ثلاثة في جواهر الحصري ٦١ ، (٢ : ١٠١/٥) .

٣٦٤ : ٦ الصواب : ومِن جال ، (٢ : ١٠٥/١) .

٣٦٤ : ١٠ الصواب : بشكوال القرطبي صلته رقم ٤ .

٣٦٤ : ١٢ الحميدي وعنه بغية الملتمس رقم ١٥٦٣ و ٣٨٠ ، (٢: ٢٠٣/٧) .

٣٦٤ : ١٧ قوله ان ابن حزم لم يسمه قلت سمّاه كما هنا في رسالته النفح مصر ٢ : ١٣٢ وقال صاحبه ٢ : ٢٣٤ رأيت بعضه بفاس قلت ولا أعرف أحداً من المتأخرين رآه غير المقري ، (٢ : ٢٠٤/١) .

٣٦٥ : ح ٢ روايات الطوسي إن هي إلا سخافات النساخ ، وله ترجمة في لسان الميزان أيضاً ج ١ رقم ٤١٦ .

٣٦٥ : ٩ الصواب : ثابت قُطنـــة كما عند الطوسي والنجاشي ٦٨ ، (٢ : ٢٠٤/١٣) .

٣٦٦ : ٤ الصواب : غضروف .

٣٦٦ : ٦ حك (ثم) ، (٢ : ٢٠٦/٨) .

٣٦٧ : ١٠ لعله أبا عليٍّ ما ترى .

٣٧٠ : ٤ تبيَّغ وتبوّغ ثار وغلب .

٣٧١ : ١٥ الصواب : الشديد حجابه .

٣٧١ : ١٦ الصواب : الغايات .

٣٧٢ : ١٥ طبقات الزبيدي نسخته الفريدة ص ١٦٥ ، (٢ : ٢١٨/١٢) .

٣٧٣ : ٢ الزبيدي : أبا طالب ، (٢ : ٢١٩/١٠) .

٣٧٣ : ٣ الزبيدي : الملاحة يختال ، (٢ : ٢١٩/١٣) .

٣٧٣ : ٦ الصواب : والبين مُغتال والزبيدي : قتّال ، (٢ : ٢٢٠/٤) .

٣٧٣ : ٨ الزبيدي : سُقيتُ نجيعَ السم ان ، (٢ : ٢٢٠/٧) .

٣٧٣ : ١٦ الدَّنيّة قلنسوة كانت تشبه الدّنّ ، (٢ : ٢٢١/٦) .

٣٧٦ : ٨ والنجاشي ٧٠ ، (٢ : ٢٢٥/١٢) .

٣٧٦ : ٩ الصواب : حنظلة بن مالك بن زيد مناة كما في النجاشي أيضاً ، (٢ : ٢٢٥/١٣) .

٣٧٦ : ١٠ أبو أحمد الجلودي النديم ١١٥ قال وتوفي بعد سنة ٣٣٠ هـ النجاشي ١٦٧ الطوسي مع الذيل ١٨٣ ، (٢ : ٢٢٦/١) .

٣٧٦ : ١١ الشيعة يسمّون أهل السنّة عامّة ، (٢ : ٢٢٦/٣) .

٣٧٦ : ١٧ الجفر وفي نسخة الزبيدي الجبر ، (٢ : ٢٢٦/١٠) .

٣٧٧ : ١٠ المَذار قصبة مَيْسان بين واسط والبصرة . (٢ : ٢٢٨/١) .

٣٧٧ : (٢) ح حَكّتها .

٣٧٨ : ٢ البيتان في أدب الكتاب للصولي ١٠١ ، (٢ : ٢٢٨/١٣).

٣٧٨ : ٨ الصواب : حَسَن المعرفة ، (٢ : ٢٢٩/٨) .

٣٧٨ : ٩ بنات المخر في بيت طرفة : (٢ : ٢٢٩/٩) .

كبنات المخر يمأدن كما أنبت الصيف عساليج الخُضَرْ

٣٧٨ : ١٣ الأبيات في نسخة تصحيف العسكري بالدارق ٨ ب والطبعة ١٠ وأدب الكتاب للصولي ٤٩ وفيه كثير من شعر نطاحة ، (٢ : ٢٢٩/١٥) .

٣٧٩ : ١ له ترجمة في لسان الميزان ج ١ رقم ٤٣٣ ، (٢ : ٢٣٠/١١) .

٣٧٩ : ٤ كتاب الفتوح له ألفه سنة ٢٠٤ ﻫ وطبع ترجمته الفارسية وألّفت سنة ٥٩٢ ببومباي سنة ١٣٠٠ ﻫ انظـــر مجلة المجمع العلمي بدمشق ص ١٤٢ سنة ١٣٤٤ ﻫ .

٣٨٠ : ١٥ الصواب : إنَّ . والبيت الثالث يشبهه قول الحماسي :

ثم انصرفت إلى نضوى لأبعثه إثر الحمول الغوادي وهو مشكول

ثم وجدتها أربعة أبيات في أدب الصولي ١٩٤ وفيه تفضي إلى عرصة وراجعه لمعنى التعريض فقد أجحف أبو هفّان بالبيان ، (٢ : ٢٣٤/١٤) .

٣٨٠ : ١٨ الصواب : بشر بن محمد (ابن الفرضي رقم ١٠٢ الزبيدي ص ١٩٤ الضبّيّ ٣٨٦) وسنة وفاته ٣٢٦ عند الزبيدي وعند الآخرين ٣٢٧ ، (٢ : ٢٣٥/٥)

٣٨١ : ٧ ترجمته في النزهة ٤١٠ ولسان الميزان ١ : ١٤١ والوفيات رقم ٣٩ ، (٢ : ٢٣٦/٦) .

٣٨١ : ١٣ (وكان ابن) هو الصواب وكذا هو في النزهة .

٣٨١ : ١٦ النزهة ضمير الاثنين ضمير الاثنين إذا قلت أنتما تضربان كما تقول ضربتا فلمّا حذفت مع ضمير الاثنين علم أن فيها الخ وفيه سداد خرم نسختنا ، (٢ : ٢٣٧/٩) .

٣٨٢ : ٣ البغية ١٢٩ أحمد بن أبي بكر .

٣٨٢ : ٤ البغية يلقب بالمجد وبه يعرف . وأما (عرف سيرين) فإنه لم يأت به في بُلدانه وهناك بالشام معرّة مصرين ، (٢ : ٩/٢٣٨) .

٣٨٢ : ١٨ طبقات الزبيدي ص ١٤٦ ، (٢ : ٢/٢٤٠) .

٣٨٣ : ٢ الصواب : وعزا .

٣٨٣ : ٩ المنتظم ج ٦ رقم ٤٤٦ ، (٢ : ١/٢٤١) .

٣٨٣ : ١٢ لعل صوابه لقيّني به فانه لقيني يوماً فقال .

٣٨٣ : ١٦ خُنياگر المغنّي ومنـــه الخُنْكَرِين فيما سيأتي ص ٣٩٠ وفيما مرّ ١٤٥ ترجمته الخطيب ١٦٨٨ والوفيات والجواهر ١٨٢ .

٣٨٣ : ١٧ الصواب : متصرّفاً .

٣٨٤ : ١ لعل صوابه بجبُّل .

٣٨٤ : ٨ الصواب : عليلا .

٣٨٤ : ١٥ الخطيب بالعُمر واريتُه . ولعل صواب ما هنا أوثقتُه .

٣٨٥ : ٦ بَزُوْغَى قرية ببغداد على فرسخين منها .

٣٨٥ : ١٣ البيت فكان الخ لعمر بن أبي ربيعة .

٣٨٦ : ١٩ الصواب : من الحمير .

٣٨٧ : ٢ الصواب : أنْحَى عليّ (٢ : ١٢/٣٤٩) .

٣٨٧ : ١٣ الصواب : لشيْمة .

٣٨٧ : ١٤ وفي كنايات الجرجاني ١٢ شانِئتُهم وفيـــه الثلاثة الأبيات الأخيرة ، (٢ : ٣/٢٥١) .

٣٨٧ : ح (٣) و (١) حكتّيا .

٣٨٨ : ٩ القعموث الديّوث ، (٢ : ١١/٢٥٢) .

(يتبع) عبد العزيز الميمني

الشهاب الشاغوري

٥٣٣ ـ ٦١٥ هـ

١١٣٩ ـ ١٢١٨ م

حياته وآثاره

مراحل حياته

في بانياس الساحلية (١) ، ولد الشاعر فتيان بن علي بن فتيان بن ثمال الأسدي الخزيمي (٢) ، المعروف بـ « الشاغوري المعلم » : سنة ٥٣٣ هـ .

يظهر أنه اتخذ من حي الشاغور (٣) في دمشق مسكناً له ، فأنشأ فيه كتّاباً لتعليم الصبيان في مطلع حياته بعد ارتحاله عن مدينته .

ولا نعرف على الضبط سبب مغادرة بلده الساحلي الجميل ، وأغلب الظن أنه بسبب الأخطار المحدقة به ، ولا سيما بعد احتلال الفرنجة

---

(١) وهي غير بانياس الداخلية وقد سماها ياقوت (بلنياس) بضمتين وسكون النون ، وذكر أنها كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر (معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٨٩) وضبطها صاحب القاموس المحيط (بلنياس) بكسرتين وسكون النون ، وذكر أنها مدينة حسنة بسواحل حمص (القاموس المحيط ، ج ٢ ص ٢٠٣) .

(٢) نسبة إلى أسد بن خزيمة وهو أبو قبيلة من مضر ، وابن ربيعة بن نزار .

(٣) ذكر ياقوت أن الشاغور محلة بالباب الصغير مشهورة وهي في ظاهر المدينة (معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣١٠) .

الطراز الأخضر[١] السوري ، وهو العامل نفسه الذي اضطر ابن القسراني ، وابن منير الطرابلسي إلى الهجرة من بلديهما قبله .

لا نعرف عن طفولته شيئاً يذكر ، شأننا في ذلك عند معظم من نترجم لهم ، وكل ما يمكن ذكره أنه اشتهر أمره في دمشق ، وكانت له حلقة خاصة في الجامع الأموي ، يُقرئ النحو ، ويُدرّس الأدب ، وقد لقيه ياقوت الحموي في أخريات أيامه بعد أن ناهز التسعين ، فسمع منه بعض شعره ، وأعجب به كثيراً [٢] .

خدم الشاعر الملوك الأيوبيين ، ومدحهم بغر قصائده ، وآثر أن يختص ببعض أمرائهم الذين كانوا يجزلون له العطاء ، فتعلق بخدمة الأمير نور الدين مودود بن المبارك شحنة دمشق ، وهو أخو عز الدين فروخ شاه وابن أخي صلاح الدين لأمه ، فمدحه بقصائد كثيرة وأطنب في ذكره ، فكتب إليه صاحبه ابن عنين مداعباً :

يا من تلقب ظلماً بالشهاب ولن يأتي بظلمته في أفقها الشهبا
لا يَغْرُرَنَّك من مودود دولته وإن تمسكتَ من أسبابها سببا
فلست تنبح فيها غير واحدة حتى تلفّ على خيشومك الذنبا [٣]

لم يرتحل الشاعر عن دمشق إلا للإقامة في بعض ضواحيها القريبة فسكن الزبداني ، واشتغل فيها معلماً [٤] ، وقد ورد في ديوان صاحبه ابن عنين

(١) ذكر أبو شامة أن الطراز الأخضر هو بلاد الساحل المطفة على البحر من الداروم وغزة وعسقلان وعكا وصيدا وجبيل وغير ذلك ، وحبذا استعمال هذه التسمية الجميلة في كتبنا الجغرافية والتاريخية (ينظر في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ٢ ص ١٠٤) .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣١٠ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٠٨ .

(٤) ديوان ابن عنين ، ص ١١٩ .

المار ذكره أنه اجتاز بها ذات يوم ، وقصد مكتبه ليزوره فلم يجده فأخذ لوحاً من أحد الطلبة وكتب له فيه :

أتيت فما حظيت لسوء بختي بخدمة سيدي ورجعت خائب
إمام ما تيممنـــاه إلا رجعنـا بالرغائب والغرائب (١)

أعجب الشاعر بطبيعة الزبداني الجميلة ، فوصف ثلوجها وشدة قرّها ، ويلاحظ في حياته أنه كان كثير الخمول ، يفضل الاستقرار على الارتحال ، راضياً من الحياة بما قسم له ، مؤثراً السلامة على السعي وراء المجد والشهرة ، ثم يود بعد كل ذلك لو تبتسم له الأقدار عن حظ سعيد ، وهو قابع في كتّابه يسعى ما بين الشاغور والجامع الأموي والزبداني ويتساءل قائلاً :

علامَ تحركي والحظ ساكنْ ؟ وما نهنهت عن طلب ولكنْ
أرى نذلاً تقدمـــه المساوي على حرّ تؤخره المحاسن (٢)

هكذا قضى عمره يرقب الحياة ، فلا يرى فيهـا غير التناقض ، فآثر العزلة في كتّابه ، يسعى إليه الطلبة والأدباء ليلتقوا به حتى شاخ وهرم فناهز التسعين ، وتوفي سحر الثاني والعشرين من المحرم سنة ٦١٥ هـ ، ودفن بمقابر باب الصغير .

آثاره الأدبية

للشاعر ديوان شعر مشهور (٣) ، وهو كبير فيه مقاطيع حسان (٤) ، وأغلب الظن أنه لم يقم بجمع ديوانه في حياته ، وإنما قام بجمعه واختياره

---

(١) ديوان ابن عنين ص ١١٩ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٠٨ .
(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٢٧٤ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٠٨ .

ابنه بعد ثمانية أعوام من وفاته ، وفي الهند نسخة وحيدة مخطوطة منه [١] ، كتبت سنة ٦٢٣ هـ . وله أيضاً ديوان آخر صغير [٢] ، اقتصر فيه على ما نظمه وجمعه من الفن الشعري المستحدث المسمى بالرباعي ، والمعروف باسم « الدوبيت » ، وهو مفقود ، ولا نعرف منه غير مقطوعة واحدة سنذكرها في معرض حديثنا عن شعره ومذهبه الفني .

شعره ومذهبه الفني

أغراض شعره

في شعره وصف رائع للطبيعة الدمشقية ، تتجلى فيه بأزهى حللها ، وهو غالباً ما يتبعها بنسيب تقليدي ، ثم يخلص من كل ذلك لمدحه المختلفة .

طبيعة دمشقية

وصف الشاعر الطبيعة الدمشقية وصفاً دقيقاً ، تطرق فيه إلى كثير من متنزهاتها وغير ذلك ، فهو يضفي على وصفه طابعه الشامي ، ويقتصر منه على بيئة معينة ومكان معروف ، فلم يكن كسائر الشعراء يتحدث عنها حديثاً عابراً أو عاماً ينطبق على كل بيئة ويصلح لكل زمان ومكان .

أُعجب بالزبداني ، فأقام فيها ، ونقل إليها كتابه ، فراقه فيها ثلجها المندوف في كانون شتائها القارس ، فأنشد يقول :

قد أجمد الخمر كانونٌ بكل قدحْ ... وأخمد الجمر في الكانون حين قدحْ

يا جنــــة الزبداني أنت مسفرة ... عن وجه حسن إذا وجه الزمان كلحْ

(١) في المجمع العلمي بدمشق صورة مصورة عن المخطوط المذكور برقم ١٤١ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٠٨ .

فالثلج قطن عليك السحب تحلجه والجو ندافه، والقوس قوس قزح
متى يجل فيك طرف الطرف من مرح قرنته لحاً تأتي بحسن ملح
تلقى النواظر من روض نواضر في قلوبنا فرجاً من همها وفرح(١)

لا تخلو هذه الصورة من تصنع بديعي هام ، بيد أنها على الرغم من كل ذلك صورة حقيقية لمصيف قائم في مكان مرتفع شديد القر تعبث به الثلوج الكثيرة في أيام الشتاء .

وفي قلب دمشق ، في باب بريدها ، جنة عارشة ، أعجب الشاعر بها فتحدث عنها ، وأشار إلى ما حولها من متنزهات : كالنيرب وجسر ابن شواش ، والشرف الأعلى ، والقصر المنيف ، والمرج الأخضر ، ومما قاله :

يا حبذا جنة باب البريد بها والحسن قد حشيت منه حواشيه
فالمرج فالنهر فالقصر المنيف على الـــقصور بالشرف الأعلى فشانيه
فجسر جسر ابن شواش فنيربها تحلو معانيه لا تخلو مغانيه
كأن في رأس عليين ربوتها يجري بها كوثر سبحان مجريه
تلك المرابع لا رضوى وكاظمة ولا العقيق تواريه بواديه(٢)

تلك هي الطبيعة التي يرى الشاعر أن ينصرف إليها كل شاعر آخر ، فيكف عن ذكر البوادي والعقيق ورضوى وكاظمة . صورة تشعر بالجدة التي أخذ بها الشاعر نفسه في وصفه ، ولو شفعها بنبضات قلبه كما في غيرها لكانت عجباً ولكنها جاءت خفاجية الديباجة ، عبثت بها الصنعة الجناسية جرياً على أسلوب العصر .

---

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ٤٦ .
(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ١٢٤ .

يحلو لنا بعد هذا التجوال في ضواحي دمشق ومتنزهاتها النائية أن ندخلها مع الشاعر لنشهد طبيعتها عن كثب ، وقد تفتحت أكمامها ، ورقت أنسامها ، واختال ربيعها الضاحك ، فبدت رائعة الحسن تسر الناظرين :

نوح الحمام الورق في أوراقها دل أخا الشوق على أشواقها
فأظهـــر الدمع وأخفى زفرة خاف على البانات من إحراقها
لو بكت الورق ببعض دمعه لَمَحت الأطواقَ من أعناقها
فاعجب لها شاكيةً باكيـــة لم تسلك الدموع في آماقها
ما أفرقت مهجته من الجوى لكنه أشفى على فراقهـا
دع العريب والنقا وزينباً تجذب للبين بُرى نياقهـا
وعج على دمشق تلف بلدة كأنما الجنات من رستاقها
سقى دمشق الله غيثاً محسبا من مستهل ديمة دفاقهـا
مدينة ليس يضاهي حسنهـا في سائر البلدان من آفاقهـا
تود زوراء العراق أنهـا منها ولا تُعزى إلى عراقها
أهدت له يد الربيع حلة بديعة التفويف من خلاقهـا
بنفسج مثل الخدود أدميت بالقرص والتجميش من عشاقها
ونرجس أحداقـــه رانية عن مقل الغيد وعن أحداقها
تنزل المنثور من رياضهـا تنزل الأعلام من شقائقهـا
فأرضها مثل السماء بهجـــة وزَهرها كالزُّهر في إشراقها
مياهها تجري خلال روضها جري الثعابين لدى استباقها
مسفرة أنهارها ضاحكـة تنطلق الوجوه لانطلاقهـا
نسيم ريا روضهـا متى سرى فكّ أخا الهموم من وثاقهـا
قد خيّم الربيع في ربوعها وسيقت المنى إلى أسواقهـا

لا تسأم العيون والأنوف من رؤيتها يوماً ولا استنشاقهـا (١)

استهل الشاعر بوصف طبيعة دمشق مطلع المدحة التي خص بها ممدوحه مودوداً ، فتحدث بادئ الأمر عن الحمائم الورق ، وقارن بين حاله وحالها ، ووصف بعد ذلك ما يلقاه من الوجد والجوى ، وذكر أنه أشفى على الهلاك . ويخاطب صديقه بعد ذلك ، فيدعوه بصراحة إلى ترك التغني بزينب والعريب والنقا ، ويطلب منه أن يعرج على دمشق ذات الجنان والينابيع ، ويخلص من كل ذلك ليطنب في وصف ربيعها الذي أبدعته قدرة خلاقها ، ويصور بدقة البنفسج والنرجس والشقائق والمنثور ، ثم ينتقل لذكر الأنسام والجداول ، ولا ينسى في ختام هذا الوصف إشراك حاسة أخرى غير البصر ليصل ما بين الطبيعة والنفس بلذة الاستمتاع ونشوة الجمال .

نسيب تقليدي

كان الشاعر في الغالب يتبع وصف الطبيعة بنسيب تقليدي كما في القصيدة السابقة ، إذ تحدث بعد وصف الطبيعة عن شادن تحسده البدور ، ثم تطرق بعد ذلك لوصف الممدوح .

لم يكن الشاعر مبدعاً في نسيبه وغزله كما في وصف الطبيعة وشتان ما بينهما ، وإنما هما ضرورة اقتضتها طبيعة التقاليد في الفن الشعري العربي .

كان في نسيبه يجري في حلبة شعراء العصر ، وطبيعي فيمن طلب من صديقه أن يعرض عن ذكر زينب والنقا والعريب ويحذو حذوهم فيتغزل بظبي شادن من الترك .

---

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ١٢٤ .

وميض برق أرى في فيك أم شنبا ؟ وهل رشفت رضاباً منه أم ضربا ؟
أفدي الذي ما أبى بااللحظ سفك دمي لكنْ متى ما طلبت العطف منه أبى
ظبي من الترك أصمتني لواحظه وأسهم الترك إن أصمت فلا عجبا
يبدو بضدين في خديه قد جمعا ماء الشباب ونار الحسن فاصطحبا
فذلك الماء أبكى ناظريَّ دماً وذاك الجمر أذكى في الحشا لهبا
شكا فؤاديَ من عبء الهوى تعباً كما شكا خصره من ردفه تعبا
يهز أعطافَه دلُّ الصبا فترى غصناً من البان يثنيه النسيم صبا
يا مطلع البدر فوق الغصن معتدلاً يلوح ما بين شربوش وطوق قبا (١)
اعدل فإن رسوم الجور قد درست مذ صار فينا مكين الدين محتسبا (٢)

ليس في هذا النسيب غير ما ألفه الناس في شعر هذا العصر : صور تقليدية معروفة من أوصاف مبالغ فيها ، وذكر أحوال المحب وعذابه ، وما يلقاه من لاعج الشوق وحرقة الجوى . يضاف إلى ما أسلفنا ذكره استخدام بعض الألفاظ المعربة الشائعة على ألسنة العامة ، كما رأينا ذلك أكثر من مرة ، فمن قبل استخدم الرستاق ، واستخدم في هذه القصيدة الشربوش ، وقد وردت مراراً في ديوان شعره وغير ذلك كثير .

أما خمرياته فتكون تارة ضمن نسيبه ، وتكون أخرى مستقلة كما في هذه القصيدة التي جاء فيها قوله :

قم فاجل بنت الكرمة الخضراء في الكأس كالياقوتة الحمراء

(١) الشربوش : قلنسوة طويلة ، وهي معربة عن السربوش ، وتطلق على غطاء الرأس . والقبا : وهي مقصور القباء ، وهي ثوب يلبس فوق الثياب .

(٢) العماد الكاتب : الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ج ١ ص ٢٥٤ . هذه القصيدة غير موجودة في الديوان المخطوط .

راح متى ما أشرقت كاساتها فاضت أشعتها على الجلساء
في شربها من كل قلب شهوة فكأنها خلقت من الأهواء
وإذا انجلت في الليلة الليلاء هزمت ظلام الليـل بالآلاء
يا لائمي في شربها أغريتني باللوم فيها غاية الإغراء
يا حبذا هي في الخريف وغيره في سائر الأوقات والآناء
ما العيش إلا في المدام وشربها لكنْ مع الظرفاء والعقلاء (١)

يظهر أن الشاعر كان يعرض في بيته الأخير بالشعراء الإباحيين ، وقد سلك في هذه الخمرية سبيل عرقلة الكلبي (٢) إمام الجماعة في مذهبه الخمري ، وهم يمثلون علاقة شعراء هذه المدرسة الشامية بشعراء المدرسة الخيامية .

مدح الخلافة

يخلص الشاعر بعد مقدماته المستفيضة في وصف طبيعة دمشق ، والتخلص منه إلى النسيب التقليدي المعروف ليثني على ممدوحيه ، ومن الخير أن نقتطف الأبيات التي مدح بها صاحبه مودوداً من القصيدة التي استهللنا بها الحديث عن وصفه طبيعة دمشق ، وجاء فيها قوله :

أشكو إلى الأشواق ما شكته جلّـقٌ إلى المودود من أشواقها
حق لبدر الدين أن تحسده على العلى البدور في اتساقها
كماله أحسن من كمالها فصين ، طول الدهر ، عن محاقها
قد خيم الربيع في ربوعها وسيقت المنى إلى أسواقها
اختـاره الله لخير أرضه إذ ليس مثل الشام في آفاقها
فقابل الشام برأي رتق الـ أمور بعد شدة انفتاقها

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ٩ .
(٢) عرقلة الأعور حسان بن نمير بن عجل الكلبي (٤٨٦ – ٥٦٧ هـ) شاعر من الندماء في زمن صلاح الدين الأيوبي .

ما غُلّتْ في الحرب، ولكن غلّ أيـــدي عُصَبِ الكفر إلى أعناقها
لا فتئت أيامـــه سعيـــدة لا تُنكث الدهرَ قوى ميثاقها[١]

نشير إلى آخرين ممن مدحهم كالناصر صلاح الدين ، وقد مدحه وهو في دمشق مرارا ، ولا بأس أن نقف عند القصيدة التي أنشده إياها في قلعة دمشق بعد فتح بيت المقدس ، وهي تبلغ نحواً من مائة بيت ، ومنها قوله :

يا ناصر الإسلام فزت بمورد حسن الثنا في العالمين ومصدر
فلقد وأدت الشرك يوم لقيتهم وغدوت للإسلام عين المنشر
ورأيتهم لما التقى الجمعان بالـــبيت المقدس هول يوم المحشر
ورددت دين الله بعد قطوبه بالمسجد الأقصى بوجه مسفر[٢]

نكتفي بهـــذا القدر مما أوردناه من أغراض شعره ، ونخلص لنؤكد ما ذكرناه ، ونقول إن وصف الطبيعة الدمشقية كان أبرز أغراضه الوصفية ، وقد أبدع الشاعر فيها كل الإبداع ؛ أما سائر شعره فكان شأنه فيها شأن أي شاعر آخر من شعراء هذا العصر .

مذهبه الفنّي

لاحظنا أن الشاعر كان يؤمن بالثورة على المعاني التقليدية في بعض الأحيان ، وعلى الأساليب الشعرية الموروثة ، وبخاصة فيما يتعلق بهيكل القصيدة العربية ، فنظم في فن الرباعي الفارسي (الدوبيت) ديواناً كاملاً ، لم يصلنا منه مع الأسف الشديد غير رباعية واحدة اختارها لنا ابن خلكان من هذا الديوان المفقود ، وهي قوله :

---

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ١٢٥ .
(٢) المصدر السابق ، ج ١ ل ٦٧ .

الورد بوجنتيك زاهٍ زاهر والسحر بمقلتيك وافٍ وافر
والعاشق في هواك ساهٍ ساهر يرجو ويخاف فهو شاك شاكر (١)

ولم يكن ليقتصر في تجديده على الهيكل المعروف ، وإنما كان يحاول أن يخرج كما ذكرنا عن طوق التقليد الأعمى ، فقد كان يكره ذكر زينب والعريب والنقا ، وتأخذ طبيعة دمشق بلبّه ، فيعرض عن ذكر رضوى وكاظمة والبوادي وعقيق جرياً على سنة أبي نواس من قبله .

نترك هذا وذاك لنقرر أن الشاعر نهج في مذهبه الفني نهج شعراء عصره ، فأخذ نصيبه من التطبيق والتجنيس ، بيد أنه لم يكثر منها في شعره ، وأخذ من السهولة والانسجام نصيباً آخر ، فبدا تصنعه جميلاً في رونق الطبع ، ورشيقاً في قالب من الوضوح ، ودقيقاً في إطار من الطبيعة والوصف .

هكذا جمع الشاعر في مذهبه الفني بين اتجاهين معروفين في عصره : اتجاه من سبقه من الشعراء أمثال ابن القيسراني وابن منير الطرابلسي وغيرهما ، واتجاه من جاء بعده كابن عنين والشرف الأنصاري (٢) .

الدكتور عمر موسى باشا

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٠٨ .
(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٤٠ ، ج ٢ ، ج ٣ .

أبو عبد الله المقري

(٧٥٨ هـ — ١٣٥٧ م)

وكتابه الحقائق والرقائق

إذا كان أبو العباس المقري صاحب نفح الطيب المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٤١ هـ قد أخذ مكانته في عالم الشهرة عند الباحثين ولا سيما منهم عشاق الأدب المغربي والأندلسي .. فان جده الإمام أبا عبد الله قاضي فاس ، ونابغة تلمسان ودفينها ، قد وقفت به شهرته في حدود المعاجم والفهارس الخاصة ، ولم ينل في عصرنا هذا حظه من الدراسة والبحث ـ فيما نعلم ـ ولعل ذلك يرجع إلى أن مؤلفاته ظلت قليلة التداول بين الناس منذ أجيال ، رغم أهميتها العلمية ، ورغم أن مؤلفها كان في عصره ما فارس ميدان العلوم الإسلامية المعقول منها والمنقول ، وصاحب فكر موسوعي لا يعرف في الثقافة اختصاصات ولا حدوداً ... وصاحب عارضة قوية وتضلع من معارف عصره قدرها تلامذته : ابن الخطيب ، وابن خلدون (١) ، والإمام الشاطبي ، وابن عباد الرندي ، وغيرهم من الأعلام في المغرب والأندلس .

---

(١) يتحفظ ابن خلدون في شان تلمذته لأبي عبد الله المقري فرغم أنه يذكره في قائمة الشيوخ الذين أخذ عنهم فانه يعبر عنه بقوله : « صاحبنا » تارة ، وبقوله : « قاضي الجماعة بفاس ، وكبير علماء المغرب » انظر ذلك في كتاب « التعريف » ص ٥٩ و ص ٢٤٧ من طبعة لجنة التأليف سنة ١٩٥١ م .

عاش أبو عبد الله المقري في عصر بلغت فيه الثقافة الإسلامية أوج نشاطها وذروة عزها في بلاد المغرب العربي والأندلس وظهرت عبقريات في ميادين المعرفة المختلفة ... رغم الصورة الشوهاء التي رسمها ابن خلدون في المقدمة لانقطاع سند العلم ـ في عصره ـ في كل من المغرب الأقصى والأندلس ...

إلا أن الباحث المطلع على النشاط العلمي والأدبي وقائمة الهيئة العلمية ، وأخبارها ورحلاتها ، ومؤلفاتها ، ومدارسها ، لا يسعه استناداً على ذلك ، إلا أن يعتبر رأي ابن خلدون ـ في الباب ـ بمعزل عن الحقيقة التاريخية ، أو على الأقل مجرد وجهة نظر ....

ورأى المقري نور الحيـاة في مدينة تلمسان في تاريخ لم يحدده هو ولا من تولوا ترجمة حياته ... وقد سئل عن تاريخ ميلاده فأجاب برواية خبر مسلسل معنعن بالأشياخ إلى الإمام مالك ... وقد سأله الإمام الشافعي عن سنه ... فأجابه : أقبل على شأنك ... ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه (١) ... على أن المقري يذكر في نفس الجواب : أنه ولد على عهد السلطان : أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن الذي حكم تلمسان بعد فك الحصار المريني الطويل عنها ... وقد كان حكم أبي حمو هـــذا ما بين سنة ٧٠٧ هـ وسنة ٧١٨ هـ (٢) .

وقد وجد المقري نفسه يعيش في مدينة توالت عليهـا الفتن وأهوال الحرب والحصار ، وأسرة لها ماض في التجارة والثروة والجاه غير أن أهلها تنكر لهم الزمن وتبدلت بهم الأحوال الأمر الذي جعل المقري يقول :

---

(١) الإحاطة ج ٢ ص ١٦٤ الطبعة الأولى .
(٢) روضة النسرين ص ٥١ طبعة الرباط .

« فلم تزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمان .. فهأنذا لم أدرك من ذلك إلا أثر نعمة ، اتخذنا فصوله عيشاً ، وأصوله حرمةً ، ومن جملة ذلك خزانة كتب كبيرة وأسباب كثيرة تعين على الطلب فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة » [(١)] ويزيد قائلاً عن نشاط في الدراسة والتحصيل . . « فاستوعبت آهل البلد لقاء وأخذت عن بعضهم عرضاً وإلقاء ، سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن » .

وأخذ المقري في بواكير شبابه عن العالمين الشهيرين أبي زيد وأبي موسى المعروفين في كتب الطبقات والتاريخ بابني الإمام ، وكانت لهما شهرة عظيمة بالعلم والاطلاع في المغرب والمشرق لا سيما بعد رحلتهما إلى الشرق واتصالهما بعـدد من أعلام ذلك العصر ، ومناظرتهما الشهيرة للإمام الكبير تقي الدين ابن تيمية ، تلك المناظرة التي كان لها شأن عظيم في المحافل العلمية إذ ذاك حتى قال بعض المؤرخين ان ابني الإمام ظهرا فيها على ابن تيمية [(٢)] .

ويحدثنا المقري أنه حضر مجلسين علميين من المجالس التي كان يقيمها السلطان : أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو في تلمسان (٧١٨ هـ — ٧٣٧ هـ) إلى جانب شيخيه الأخوين أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام ، وشيخـــه أبي موسى عمران المشذالي ، وشارك بآرائه في المناظرة العلمية التي دارت في حضرة السلطان بين العلماء ... وعقب على ذلك بأنه كان إذ ذاك حديث السن [(٣)] ... ونحن نعلم هذه الحداثة من القرائن التاريخية إذ أنه كان في الغالب ما يزال في أوائل العقد الثالث من عمره ...

---

(١) الاحاطة ج ٢ ص ١٣٨ .

(٢) نفح الطيب ج ٣ ص ١١٦ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ١١٧ .

وتتميماً للعلاقة بين المقري وشيخيه ابني الإمام نذكر أنه انقبض عنهما وحاول الابتعاد عن الانتساب إليهما عندما رحل إلى الشرق ودخل مدينة بيت المقدس ولكنه فوجيء بما للرجلين من سمعة وشهرة هنالك بين العلماء فاضطر إلى العدول عن رأيه ، وقبول نصيحة المغربي الذي عرفه سوء مغبة الابتعاد من الانتساب إلى شيخيه اللذين أدركا شهرة لا يؤثر فيهما انقباضه أو ابتعاده ... منشداً شطر البيت الشهير :

« وليس لما تبني يد الدهر هادم » (١) .

وقائمة شيوخ المقري في تلمسان طويلة الذيل ذكرها ابن مريم في « البستان » (٢) وابن فرحون في « الديباج » (٣) وابن الخطيب في « الإحاطة » (٤) وابن خلدون في « التعريف » (٥) مع ما ذكره صاحب « نفح الطيب » (٦) ..... خلال ترجمته لجده ...

ونلاحظ أن صاحب البستان يجعل ضمن هذه القائمة اثنين من المرازقة وهما الأخوان ؛ أبو عبد الله محمد وأبو العباس أحمد ابنا ولي الله محمد ابن محمد ابن مرزوق العجمي وليس أحدهما بمن يعرف عند المؤرخين بابن مرزوق الجد ، ولا بابن مرزوق الحفيد ... بل ان أبا العباس المذكور هو والد ابن مرزوق الجد ... أما أخوه أبو عبد الله ، فهو عم لابن مرزوق الذي يعرف بالجد ... وهذه الملاحظة سوف نشير إلى أهميتها فيما يأتي :

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ١١٧ .
(٢) البستان في الأولياء والعلماء بتلمسان ص ١٥٦ طبعة الجزائر سنة ١٩٠١ م .
(٣) ص ٢٨٨ وما بعدها .
(٤) الإحاطة ج ٢ ص ١٤٣ .
(٥) ص ٦٠ .
(٦) ج ٣ ص ١١٦ وما بعدها .

أما ما درسه المقري على هؤلاء الأعلام فهو ما كان معروفاً في ذلك العصر من علم يرجع إلى العلوم الشرعية : الأصول ، والفقه ، والتفسير والحديث مع أبحاث علم التوحيد التي تتجاذبها العقليات والسمعيات ... أو علم يرجع إلى العلوم العقلية : المنطق ، والجدل ، وفلسفة الملل والنحل ... أو علم يرجع إلى اللغويات والأدبيات : من نحو وصرف وبيان وعروض ولغة ...

وكان لثقافة العصر طابع الربط بين مناهج العلوم العقلية والشرعية والأدبية من جهة وبين الأشواق الروحية والأذواق الصوفية من جهة أخرى حتى أن الباحث في محصول الفكر الإسلامي في هذا العصر ليخيل إليه أن الفكر الصوفي غزا النحاة والشعراء والفقهاء والقضاة والمؤلفين على اختلاف مشاربهم :

في الأندلس وأقطار المغرب العربي رغم أن الصولة والدولة والنفوذ كانت إلى جانب المالكية في الفقه والتشريع ... والأشاعرة في التوحيد والعقائد ... فان هؤلاء وأولئك لم يكونوا بمعزل عن الذوق الصوفي والمساهمة في الأدب الروحي ... بل إننا نجد منهم من إذا قرأنا شعره أو نثره من دون أن نعرف ترجمته الشخصية ووظيفته الاجتماعية ظنناه صوفياً متجرداً نفض يده من الدنيا وما فيها ومن فيها ...

وصاحبنا أبو عبد الله المقري ابن عصره يتسم بهذه السمة ويحمل هذا الطابع فهو إلى جانب علمه الغزير وثقافته الواسعة في المعقول والمنقول يأبى إلا أن يذوق من خمرة الحلاج ، والجنيد ، ورابعة ، والسري السقطي وابن الفارض وابن عطاء الله ....

وإذا قرأنا قصيدته التائية البديعة (١) التي عارض بها تائية ابن الفارض خيل إلينا أنهما يشربان من معين متحد الخصائص والصفات ويحلقان في جو متشابه المبادئ والغايات ... وإذا قرأنا رسالة الحقائق والرقائق خيل إلينا أن صاحبنا صنو ابن عطاء الله صاحب « الحكم » الشهيرة .

وينقل صاحب نفح الطيب أخباراً عديدة عن شيوخ جده أبي عبد الله وكلها تصور لنا فيهم طابع العصر في الذوق الصوفي والرياضة الروحية واحتقار الحياة المادية احتقار إيمان وزهد ويقين . ومن أجل ذلك لا نتعجب إذا رأينا المقري يتحدث عن رقعة التصوف التي ألبسه إياها أحد أشياخه وهو محمد بن محمد بن مرزوق (٢) العجمي ... وسندها إلى الرسول عليه السلام .

هذه ثقافة المقري وهذه عناصرها الأساسية وهذا هو الجو الفكري الذي عاش فيه في فترة من الزمن كانت فيها تلمسان تعيش في نوع من الاستقرار السياسي بين حصار أبي يعقوب المريني الذي دام أكثر من ثماني سنوات ولم ينته إلا بعد اغتياله سنة ٧٠٦ هـ وبين دخول السلطان أبي الحسن سنة ٧٣٧ هـ ... فهذه المدة التي تبلغ ثلاثين سنة فيها ولد المقري وفيها تعلم وفيها أصبح شاباً مستقيم الخلق مهذب النفس واسع المعرفة والشهرة . .

ورحل عن مسقط الرأس بعد دخول الجيش المريني وسقوط دولة بني عبد الواد ، وحط رحاله أولاً بمدينة بجاية وكانت في ذلك العصر مدينة علم وأدب وحضارة ، فاتصل بأعلامها وأخذ عنهم ... ثم حط رحاله ثانياً بمدينة تونس وهي في ذلك الظرف عاصمة الحفصيين ومساجدها ومعاهدها مثابة العلماء والفقهاء في ضروب العلوم والفنون فأخذ عن كثير من أعلامها وناقش

(١) اقرأها في نفح الطيب ج ٣ ص ١٦٨ وفي الإحاطة ج ٢ ص ١٤٦ .

(٢) نفح الطيب ج ٣ ص ١٢٨ .

وناظر وأفاد واستفاد ، ولعل هذه الرحلة القصيرة كان يقصد منها المقري الابتعاد عن الأحداث التي قلبت الأوضاع في تلمسان فقتل السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن ... كما قتل الشيخ أبو عبد الله السلاوي شيخ المقري وعمدته لجريمة سياسية قديمة كان أبو الحسن يعتدها عليه وينتظر الفرصة للانتقام منه [١] بسببها ...

ورجع المقري إلى تلمسان ليحظى بمجالس شيخ العلوم العقلية أبي عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي الذي رافق ركاب السلطان أبي الحسن إلى تلمسان ... وكان الآبلي هذا من رجال الفكر الذين أخذ عنهم ابن خلدون وتحدث عنهم بإعجاب كبير ، ومن تلمسان رحل المقري إلى المغرب الأقصى فزار مدينة فاس واتصل بأعلامها وأخذ عنهم وجال في المغرب من الشمال إلى الجنوب ... من سبتة إلى اغمات وقال :

« فاستوعبت بلاد المغرب ، ولقيت بكل بلد من لا بد من لقائه ، من علمائه وصلحائه ثم قفلت إلى تلمسان فأقمت بها ما شاء الله تعالى » [٢] .

وهكذا سلم أبو عبد الله المقري من الرواجف والروادف السياسية التي أصيب بها غيره وظهر أمام الملأ بمظهر العالم الذي يعمل بعيداً عن دنيا المطامع والمطامح ، باحثاً عن علم يستفيده ، أو كتاب يقتنيه ، أو شيخ يأخذ عنه .

وبعد رجوعه من رحلته إلى المغرب ومكثه بتلمسان ـ ما شاء الله تعالى ـ على حد قوله السالف رحل إلى المشرق ماراً في طريقه إلى مكة بمصر حيث لقي عدداً من أعلامها ... وفي مقدمتهم أثير الدين بن حيان الغرناطي النحوي الشهير صاحب التفسير المعروف بالبحر ...

---

(١) انظر « التعريف » لابن خلدون ص ٦٠ .

(٢) نفح الطيب ج ٣ ص ١٣٣ .

وحج سنة ٧٤٤ هـ وكان وقوفه بعرفة يوم الجمعة [١] ولقي بالحرمين عدداً من العلماء فأخذ عنهم واستفاد منهم وتحدث عنهم باعجاب وفخر ... وعرج على مدينة دمشق فاتصل بالإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية العالم السلفي الشهير وأخذ عنه ... كما مر على القدس واتصل بشيوخه وأخذ عنهم .

وكانت هذه الرحلة تعريفاً بقيمته العلمية لدى أعـــلام الشرق ، وربطاً لأسانيد أهل المغرب والأندلس بأسانيد علماء الشام ومصر والحجاز ..... فنجد في فهارس أهل المغرب والأندلس الذين أخذوا عنه أو أخذوا عمن أخذ عنه يجعلونه واسطة في رواياتهم وإجازاتهم وأسانيدهم العلمية إلى شمس الدين ابن قيم الجوزية مفخرة دمشق وأثير الدين ابن حيان إمام النحو وغيرهما ممن أخذ عنهم المقري في رحلته هذه ... كما أن كتب الطبقات التي ألفت في الشرق في القرن الثامن الهجري وما بعده لم تهمل ترجمته والتعريف بمكانته العلمية ...

ولو وصلتنا فهرسة شيوخه كاملة وهي التي سماها :

« نظم اللآلي [٢] في سلوك الأمالي » لعرفنا الشيء الكثير عن شيوخه المشارقة وما أخذه عنهم وارتساماته وملاحظاته ومشاهداته في رحلته إلى الشرق ... وقد اطلع على هـذه الفهرسة حفيده أبو العباس المقري وروى لنا شيئاً منها في نفح الطيب ، وقد استغرقت هذه الرحلة ما يقرب من ثلاث سنوات رجع بعدها إلى مسقط رأسه ليجد وضعاً سياسياً جديداً نشأ عن الأحداث الكبرى التي تعرض لهـــا السلطان أبو الحسن المريني في تونس والنكبات التي تعرض لها جيشه وأسطوله ... الأمر الذي جعل ولده أبا عنان

---

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ١٤٥ .

(٢) فهرس الفهارس ج ٢ ص ٩٢ ويلاحظ ان المقري في النفح يسميها مشيخة وان صاحب فهرس الفهارس يسميها رحلة انظر ج ١ ص ٢٠١ .

يقوم بالدعوة لنفسه ليتبوأ عرش أبيه المنكوب إثر الاخبار المتضاربة التي وصلته عن مصير الجيش البري والأسطول وثورة الأعراب بزعامة بعض أحفاد الملوك الموحدين ...

ورغم هذا الوضع فان المقري عزم أول الأمر على أن يتمسك بخطته في الانقطاع إلى العلم والمعرفة وسار في هذا السبيل خطوات لولا أن الأحداث أخذ بعضها برقاب بعض فدخل أبو عنان تلمسان ، وانتهت مأساة أبي الحسن ... ووقع اختيار أبي عنان على المقري ليكتب بيعته ويرافق ركابه إلى مدينة فاس ليتولى قضاء الجماعة بها وذلك سنة ٧٤٩ هـ (١) .

وفي مدينة فاس أصبح المقري عمدة في القضاء والتدريس ونال الشهرة والجاه والقبول وازدحمت على أبوابه وفود الطلبة وطوائف أهل العاصمة المرينية على اختلاف مشاربهم وأهوائهم لإفادة علم أو نيل حظوة أو الفوز بوساطة ... وقد اشتهر عن المقري أنه كان صارماً في أحكامه عدلاً ضابطاً (٢) ، كما اشتهر عنه في تدريسه أنه كان متبحراً واسع الأفق قوي العارضة فصيح اللهجة ...

وكانت أيام أبي عنان في فاس أياماً شهيرة في التاريخ المغربي لا حاجة بنا إلى تكرار القول فيها وقد حفلت كتب التاريخ والتراجم بأعلامها من أمثال ابن خلدون وبني رضوان ... وبني الحضرمي ... وبني الفشتالي ، وبني أبي مدين ، وابن الأحمر ... وغيرهم ... وكانت هناك اتصالات بين المقري وبين هؤلاء الأعلام ، كما أن المقري اتصل بمن كان يفد على السلطان أبي عنان من سفراء وزائرين من الأندلس والشرق ...

---

(١) الإحاطة والنفح ج ٣ ص ١٤٥ و « التعريف » ص ٦٠ .
(٢) حضر ابن الخطيب بعض مجالس حكمه الاحاطة ج ٢ ص ١٣٩ .

وقد بنى أبو عنان المدرسة العظمى الحاملة لاسمه في فاس وكان مدرسها الأول أبا عبد الله المقري كما أن مجالس العلم والمناظرة التي كانت تقام في حضرة أبي عنان كان يتصدرها المقري ويملي فيها دروسه ومحاضراته واشتهر عند المؤرخين موقفان للمقري في مجالس أبي عنان .

الأول : امتناع المقري من الوقوف إجلالاً لنقيب الشرفاء وقد كانت العادة أن يقف له السلطان فمن دونه .

الثاني : تقريره الحديث « الأئمة في قريش وغيرهم متغلب »(١) .

وظل المقري أثيراً عند أبي عنان إلى أن سخطه لبعض النزعات الملوكية على حد تعبير ابن خلدون(٢) وأخره عن القضاء سنة ٧٥٦ هـ وكان ابن خلدون شاهد عيان لهذا السخط وهذا التأخير ...

واستعمل المقري بعد ذلك في السفارة إلى الأندلس ودخل غرناطة سنة ٧٥٧ هـ وهناك اتصل به ابن الخطيب (٣) اتصالاً وثيقاً وأخذ عنه كما أخذ عنه عدد كبير من أهل غرناطة وفيهم أبو اسحاق الشاطبي وطبقته .

وحينما أدى واجبه في السفارة عزم على الاستيطان بالأندلس والانقطاع عن العمل السياسي إلى جانب أبي عنان ... الأمر الذي هاج ثائرة أبي عنان فأرسل إلى ابن الأحمر رسالة في الموضوع طالباً رد سفيره ... وبعد مراسلات(٤) بين بلاط غرناطة وفاس من إنشاء وزير الدولة لسان الدين

(١) انظر ذلك في نفح الطيب في ترجمة المقرى من الجزء الثالث .
(٢) التعريف ص ٦٠ .
(٣) الاحاطة ج ٢ ص ١٣٩ .
(٤) انظر نصها في نفح الطيب .

ابن الخطيب في شأن تأمين المقري وأخذ الضمانة على إعفائه من كل مؤاخذة ... رجع المقري صحبة قاضي غرناطة أبي القاسم الشريف والشيخ أبي البركات ابن الحاج البلفيقي ... إلى فاس وشاهد ابن خلدون هذا الرجوع وأرخه ... وقال (واستقر القاضي المقري في مكانه بباب السلطان ُعطلاً من الولاية والجراية ... وجرت عليه بعد ذلك محنة من السلطان بسبب خصومة وقعت بينه وبين أقاربه امتنع من الحضور معهم عند القاضي القشتالي ، فتقدم السلطان إلى بعض أكابر الوزعة ببابه بأن يسحبه إلى مجلس القاضي حتى أنفذ فيه الحكم فكان الناس يعدونها محنة [1] .

ثم ولي قضاء عسكر أبي عنان في رحلته إلى قسنطينة ورجع إلى فاس آخر سنة ٧٥٨ ﻫ مريضاً وبها أسلم روحه سنة ٧٥٩ ﻫ ودفن بها لمدة سنة ثم حمل إلى مسقط رأسه تلمسان وأقبر بها ...

أما مؤلفاته فهي : كتاب القواعد الشهير في الفقه وكتاب الطرف والتحف .. وكتاب عمل من طب لمن حب ... وكتاب المحاضرات ... ونظم اللآلي في أسلاك الأمالي ... وكتاب الحقائق والرقائق [2] .

(١) التعريف ص ٦١ .

(٢) أرسل إلينا الأستاذ صاحب هذه المقدمة نسخة من كتاب (الحقائق والرقائق) لنشره في المجلة . ولما كان موضوع الكتاب على جلالة قدره وطرافة أسلوبه هو في التصوف وخارجاً عن منهج مجلتنا ولذلك اكتفينا بنشر المقدمة التي تعرف بالمؤلف ومنزلته العلمية . (المجلة)

ولعل في إحياء بعض آثار هذا الإمام ما يؤدي بعض الواجب نحو رجل كان من ضمن تلامذته الإمام الشاطبي مؤلف الموافقات والاعتصام ... وابن الخطيب الوزير الشهير .. وابن خلدون أستاذ علم الاجتماع ، وألف في ترجمة حياته الإمام ابن مرزوق الحفيد كتاباً سماه « النور البدري[1] في التعريف بالفقيه المقري » وكذلك الونشريسي كما في النفح ..

فاس (المغرب الأقصى) **عبد القادر زمامة**

❖❖

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ١١٠ وما في فهرس الفهارس ج ٢ ص ٩٢ من أن التأليف المذكور لابن مرزوق « الجد » مجرد سبق قلم ، وانظر مناقشة هذه التسمية وكلام صاحب النفح في ضبط كلمة « المقري » بالتشديد أو التخفيف ، والخلاف في ذلك شهير .

أضواء على ماهية

معركة ذات الصوارى

ودورها في تطور خطة الحرب العربية

بينما كانت جيوش الفتح الإسلامية سائرة في طريقها بسرعة لإخضاع الأقاليم الشرقية فإننا نجد بأن موجة الفتح هذه قد هدأت في سورية ، بعد أن استتب بها الأمر فأصبحت نقطة ارتكاز وبمدنها الثغرية هدّدت سيطرة الروم في آسيا الصغرى .

فبعد موت الامبراطور هرقل لم تكن الروح المعنوية في الامبراطورية تشجع أية بادرة تهدف إلى استئناف الصراع مع العرب ، ورغم ذلك فقد بذلت عدة محاولات فاشلة على الساحل السوري ، ولم تتلُها بعد ذلك أية مبادرة أخرى . وفي هذا الوقت كان معاوية بن أبي سفيان منهمكاً في تنظيم الجهاز الإداري في سورية ، عاملاً في الوقت نفسه على تقوية وضعه في سورية تمهيداً للظروف الآتية هذا بينما ساد السلام في الجبهة الجنوبية إذ أن عمرو بن العاص قد تمكن من إخضاع مصر لإدارته القوية .

وبالرغم من أن الدولة البيزنطية قد فقدت مُعظم أقاليمها المهمة ، فان ذلك لم يعن بأنها سلمت بالأمر الواقع ، فقد قامت عدة محاولات لإخراج العرب من تلك الجهات ولكنها لم تكن ذات أثر عميق على مجرى الحياة في البلاد . فالروم وبعض السكان الذين تخوّفوا من الحكم الإسلامي ، تواطؤوا مع البلاط البيزنطي وبنتيجة ذلك جهز اسطول من (٣٠٠) سفينة

بقيادة مانويل والذي استطاع في ٦٤٦ م (٥ هـ) استرداد الاسكندرية بدون أي مقاومة تذكر ، وطرد منها الحامية العربية [١] . غير ان نتيجة هذا النصر كان مؤقتاً ، وتمكن العرب من طردهم من المدينة . ومما لا شك فيه أن المصريين لم يسهموا في هذه الأحداث ومساندة الروم ، إذ أنهم لم يرغبوا في الدخول في محاولات جديدة تجرهم للدمار ولا سيا وهم تمتعوا بحريات دينية وشخصية لم تكن مكفولة لهم من قبل .

لذلك اتجهت المحاولات التالية إلى الشرق ، وبصفة خاصة لمناطق الحدود بين الامبراطورية والدولة العربية الناشئة .. وكانت هذه المناطق ثغوراً ومدناً واقفة على الحدود ، وهي دائماً كانت معرضة لرحمة الأقدار ، هذا إلى جانب دور العرب في أرمينية وتشجيعهم لأهل البلاد على التمرد والثورة على الروم .

وقد لعب معاوية دوراً بارزاً في هذه المراحل الأولى للاصطدامات . إذ أنه سرعان ما أصبح مسؤولاً عن كل سورية بعد موت أخيه يزيد ، وصار الحاكم المطلق اليد خلال حكم الخليفة عثمان بسبب رابطة الدم والقرابة [٢] .

وبنتيجة السياسة الجديدة للامبراطور قنسطانس الثاني (Constans II) فقد توقع العرب بعض الاصطدامات القليلة الأهمية على الحدود ، ولهذا تمتعت سورية إلى وقت ما ببعض الراحة والسلامة . غير أنه في عام ٦٤٧ أي العام الثاني لتولي عثمان الخلافة نجد بأن معاوية قد أفزعته تحركات بعض التجمعات الرومية في آسيا الصغرى ، والتي لم يستطع أن يقف في سبيلها ، لذلك سرعان ما طلب المدد من الولايات الشرقية فانضم إلى جنده ٨٠٠٠ متطوع وقوي بذلك مركز الجند الشامي ، واستطاع إبطال أثر التحرك الرومي [٣] .

---

(١) الطبري جزء ٥ ص ٤٧ .
(٢) البلاذري ـ فتوح .. ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .
(٣) الطبري . جزء ٥ ص ٤٥ .

وقد شجع هذا النجاح العرب فداهموا آسيا الصغرى ، مجتازين بأرمينية حتى وصلوا إلى طبرستان ، وبذلك أمّنوا سلامة همزة الوصل بينهم وبين إخوانهم الذين يحاربون في منطقة بحر الخزر [١] .

ومنذ تلك اللحظة استحكمت العداوة بين العرب والروم وتجدد التصادم بينها في كل صيف ، وخرج العرب من الغزوات الصائفة . . وآزر العرب في ذلك الأسطول الإفريقي الذي تجمع في الموانئ الإفريقية ، واندفع القادة في سورية في طريقهم لتوسيع مدى غزواتهم في آسيا الصغرى ، ومنطقة شرقي البحـــر المتوسط معززين بذلك تخومهم بالثغور ، ورادئين الموانى والثغور الساحلية .

ومما لا شك فيه أن تلك الخطوط الجديدة في السياسة الحربية التي اتبعها العرب بركوب البحر في غزواتهم ، والتي لم تكن تلقى الأذن الصاغية من الخليفة عمر ، حازت على رضاء الخليفة الجديد عثمان الذي وافق على محاولات معاوية المتكررة في تكوين الأسطول العربي . وقد وافق عثمان أخيراً على شرط أن تكون خدمة البحرية غير إجبارية . وكان أول أمير عربي للبحر هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح حاكم مصر ومتولي جبايتها من قبل [٢] .

وكانت أولى بشائر هذا الأسطول أن توجه إلى قبرص في عام ٦٤٩ (٢٨ هـ) بقيادة أبي قيس [٣] . وقد جهز أسطول الفتح هذا بـ (٧٠٠)

---

(١) الطبري . جزء ٥ ص ٤٥ .

(٢) بصدد انشاء الأسطول راجع مقدمة ابن خلدون ص ١٥٠ والطبري جزء ٥ ص ٥٢ ، ٥٣ ، وابن الأثير جزء ٢ ص ٢٦٤ .

(٣) ابن العبري : تاريخ الأمم طبعة بيروت ص ١٠٤ . الطبري جزء ٥ ص ٥١ و Constantine Porphyrogenitus : De administrendo Imperio بودابست ١٩٤٩ ص ٨٩ .

سفينة (١) بعد أن انضم إليه ابن أبي سرح ببعض السفن المصرية التي جهزت بملاحين مصريين إلى جانب محاربي الحامية العربية بالاسكندرية (٢) . وقد سقطت قبرص بدون أي مقاومة تذكر . وجمع كثير من الأسرى والرهائن من الجزيرة ومن كافة أنحائها . وقد وافق القبارصة على دفع نفس الضرائب التي كانوا يدفعونها من قبل للروم . ولكن الخليفة أعفاهم من دفع الجزية لأنها حماية للرأس وهذا مالم يستطع العرب القيام به في ذلك الوقت (٣) .

وبهذه العملية سقطت أولى القواعد البحرية الرومية في أيدي العرب الذين أصبحوا على مقربة من السواحل الرومية (٤) .

وبينما كان معاوية مشغولاً في حملة قبرص تجمعت لديه المعلومات بأن هناك تحركات رومية موجهة نحو سواحل الشام ، وذلك رداً على حملة قبرص ولاتخاذ مواقع للمراقبة على الساحل الشامي (٥) .. لذلك أسرع معاوية في أواخر عام (٢٨ هـ) بالسير نحو جزيرة « أرادوس (أرواد) Aradus » الواقعة أمام الساحل الشامي للاستيلاء عليها حتى لا تكون قاعدة صالحة يستعملها الروم ضد سورية . وقد وطّد العزم على تدمير تلك القاعدة الخطيرة ذات الأهمية

(١) أغابيوس « محبوب » : كتاب العنوان نشره فاسيليف ص ٢٢٠ ذكر بأن عدد السفن ١٧٠٠ ولكن Constantine VII أورد في ص ٨٩ بأن السفن هي ١٢٠٠ ولكن فاسيليف ناشر « العنوان » رجح أن العدد ٧٠٠ .

(٢) رواية الواقدي في الطبري هي : « غزا معاوية في عام ٢٨ هـ قبرص وغزاها أهل مصر وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح حتى لقوا معاوية فكان على الناس » ج ٥ ص ٥٣ .

راجع لذلك Becher : Cambridge Mediuale History Vol II P. 352

و Muir. W. The Calphato P. 205 .

(٣) أغابيوس ص ٢٢٠ والطبري ج ٥ ص ٥٣ .

(٤) فاسيليف : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ج ١ ص ٢٨٢ .

(٥) بروكلمان : تاريخ الشعوب . لندن ١٩٥٩ ص ٧٣ .

الاستراتيجية حتى لا يستفيد منها الروم . وقد وكل إلى الأسقف توما بابلاغ أوامره إلى سكان المدينة باخلاء الحصن وهجر الجزيرة والانصراف إلى الروم ... غير ان السكان القوا القبض على الأسقف واعتصموا بالمدينة ، فاضطر معاوية لإرجاء الحملة إلى حين انقضاء فصل الشتاء الذي كان على الأبواب (١) . وعاد إلى دمشق (٢) .

وفي الربيع التالي عاد اليها معاوية ومعه حامية قوية ، وحاصر الجزيرة بعد وصوله وشدد عليها الحصار فاضطر أهلهـــا إلى طلب الأمان بشرط أن يسمح لهم في السكن في سورية فوافق معاوية على ذلك ثم هدم المدينة وحطم أسوارها وأحرقها (٣) .

وانتبه معاوية إلى أهمية جزيرة رودس لذلك غزاها في عام (٦٥١ م) واستولى عليها وأصبحت الجزيرة قاعدة للمراقبة وثغراً (٤) . وقد روت المصادر الرومية بأنه حطم تمثال رودس المشهور اثناء الحصار . وهذه رواية ضعيفة(٥) .

وبسقوط قبرص ورودس وتقوية السواحل والثغور الشامية أصبح الأمر مستتباً في يد معاوية ، وبذلك زال خطر الغزو الرومي غير المتوقع ، هذا بينما توصل إلى تهديد السواحل الجنوبية لا سيما الصغرى والتي أصبحت في

---

(١) أغابيوس ص ٢٢٠ .

(٢) أغابيوس ص ٢٢٠ .

(٣) أغابيوس ص ٢٢٠ و Constantine VII ص ٨٥ .

(٤) أغابيوس ص ٢٢٠ و ص ٢٠٠ Halphen L. Les Barbars des grand Invision aur Conquest Turque du XI siecle, Paris 1930

(٥) ابن العبري ص ١١١ . اغابيوس ص ٢٢٠ - نقل رواية ثيوفانس Theophanes في كتابه طبعة دي بور ص ٣٤٥ وهي مذكورة كذلك ص Constantine VII . وهذه الرواية الأخيرة تتفق مع الطبري (ج ٥ ص ٧٧) حتى ان معاوية غزا مضيق القسطنطينية في عام ٢٢ ه .

متناول البحرية العربيـــة التي أصبحت منذئذٍ تهدد سلامة الملاحة الرومية وتهدد هذه المناطق بالغزو .

وقد استغل معاوية كراهية أهل أرمينية للامبراطورية ، وأسهم بدور كبير في الثورة التي قامت في أرمينية أثنـــاء سقوط رودس (٦٥١) منه قنسطانس والتي قادها البطريق بسجناطس Pasaguatha [١] وقد تم الاتصال بين المتمرد وبين معاوية الذي وجه إليه جيشاً وأخضع الحامية الرومية بها ، وذلك أثناء تحرك قنسطانس لإسعاف حامياته هناك ، غير أنه رجع عن محاولته وقد يكون ذلك لفقده الأمل في اخضاعها [٢] .

وتذكر إحدى المصادر الموثوق بها بأن قنسطانس الثامن أرسل إلى معاوية بعد فتح قبرص وتحطيم جزيرة أرادوس وفداً طالباً منه عقد معاهدة للصلح وهذه الرواية لا تتفق مع المنطق . إذ أنه من المتوقع أن تكون محاولة قنسطانس هذه ، بعد احتلال العرب لجزيرة رودس وبعد التمرد الذي قام ضـده في أرمينية ، وليس قبل ذلك .. إذ أن سقوط قبرص وأرادوس لا تشكل خطراً كبيراً على الدولة مثل سقوط رودس ذات الأهمية الاستراتيجية والتي تهدد بسقوطها سلامة عاصمته . ومن المتوقع كذلك أن يطلب عقد مثل هذه المعاهدة عند ما بدأ العرب في التدخل الفعلي في أمور أرمينية وليس قبل ذلك . وقد أورد أغابيوس تفاصيل هذه المحاولة وكيف أن قنسطانس أوفد رسولاً إلى معاوية يسأله الصلح وكان بدمشق وكان الرسول هو منويل الذي قام

---

(١) ثيوفانس ص ٢٢٤ ــ واغابيوس ص ٢٢٢ .

(٢) أغابيوس ص ٢٢٢ ، وقد ذكر الطبري (ج ٥ ص ٥٤) رواية بأن حبيب بن مسلمة غزا سورية الروم SYRIAE PORTAE وقال بأن هذه الغزوة كانت عام ٢٨ ﻫ .

من قبل ينزو الاسكندرية عام (٦٤٥) غير أن معاوية فرض شروطاً قاسية لم يقبلها الروم[١] .

وبسقوط جزر شرقي البحر المتوسط في أيدي العرب ، أصبحت مناطق كاريا وليقية وقليقية (Caria, Cilicia, Lycia) قريبة المنال وأصبحت مهددة بخطر الغزو العربي وعزلها عن بقية آسيا الصغرى ، وذلك لاستحالة وصول الإمدادات الحربية إليها براً بسبب موقعها الجغرافي الذي يجعل خطط الدفاع عنها منصبة بالدرجة الأولى على البحر فقط .

ومنذ عام (٦٥٤) بدأ معاوية بعد سيادته على مناطق ارتكاز وقواعد بحرية متاخمة للساحل الرومي ، بدأ في الاستعداد لغزوة كبرى ضد الامبراطورية، وقد شجعه على ذلك السهولة التي حاز بها على انتصاراته السابقة وعلى نجاح حملاته المستمرة على الثغور الرومية الأمامية .

لذلك أخذ في إعداد وتجهيز أسطول كبير يساعده في تنفيذ غرضه[٢] هذا وجعل مركزه مدينة طرابلس الشام وأخذ في تجهيزه بالسلاح والعتاد ، غير انه قام تمرد ضد قيادة الأسطول العربي . قام به أخوان من البحارة المسيحيين الذين كانوا يعملون في خدمة الأسطول والترسانة البحرية ، وهما ابنا بقنطر « Baqantar »[٣] ويظهر بأن السبب في هذا التمرد يرجع إلى أعمال الضغط والسخرة التي استعملها معاوية أثناء تجهيزه للأسطول . وتمكن المتمردون بمساعدة بعض الأسرى الروم في سجن حصن طرابلس من إطلاق

(١) أغابيوس ص ٢٢٢ نقل رواية ثيوفانس ص ٣٤٤ .
(٢) أغابيوس ٢٢٣ .
(٣) أغابيوس ٢٢٣ نقلاً عن ثيوفانس ص ٣٤٥ .

سراح بقية الأسرى ، وقتلوا عامل المدينة وأتلفوا بعض السفن ثم ركبوا البحر ولحقوا بالروم [١] .

ويظهر بأن هذا التمرد دفع معاوية إلى الإسراع بتنفيذ خطته والقيام بغزوته . وهنا يظهر نبوغ معاوية الحربي الذي أثبت بأنه يملك عقلية ذات مستوى حربي عال ، إلى جانب تمرّسه في مسائل الاستراتيجية العسكرية الذي يضعه في مصاف كبار القادة العسكريين . وكانت نتائج هذه الغزوة روايات مشتتة لما يسمى بذات الصواري . تلك الموقعة التي أخطأ الكثير من المؤرخين في تقييمها ووضعها في مكانها الصحيح . وقد تم الخلط في هـــذه الرواية منذ الأيام الأولى للتاريخ الإسلامي ... إذ أن الرواة قد خلطوا بينها وبين تدمير الأسطول الرومي المنسحب من ذات الصواري قرب الاسكندرية ، وأطلقوا عليها مصطلحاً جديداً وهو موقعة الاسكندرية .

وقد وضع معاوية خطته الحربيـــة التي تعتمد على شقين للوصول إلى القسطنطينية ... وهذا ما لم تأت به المراجع الحديثة ... فقد هدف معاوية إلى استخدام البحر والبر للوصول إلى هدفه ... واستخدام الجيش البري يهدف إلى خديعة الروم وجذبهم بعيداً عن العاصمة ... وفي نفس الوقت يقطع خط الهجوم المعاكس الرومي في حالة ما إذا فكروا في الاغارة على الشام وقت انشغال الجيش العربي بغزوته . هذا إلى عزل الجيش الرومي عن العاصمة بعملية إنزال جيوش عربية خلف ظهر الروم القادمين لملاقاة الجيش البري العربي وذلك في منطقة ليقية Lycia [٢] .

---

(١) أغابيوس ٢٢٣ . وابن عبد الحكم ص ١٨٩ .

(٢) أغابيوس ٢٢٤ .

لذلك توجه جيش بري صوب ملطية (Malatia) فوطأ أرض الروم وافتتح في طريقه المدن الصغرى ووصل إلى حصن المرّه بباب ملطية وسبى من أهلها حسب بعض الروايات مائة ألف نفس (١)، وكان الهدف من هذه التجريدة قطع الطريق على نواحي بيزنطة (٢).

وفي نفس الوقت تحرك الأسطول العربي في عام (٣٤ هـ) (٦٥٥ م) في يونيو أو يوليو (٦٥٥) إذ أن عام (٣٤ هـ) يبدأ في (٢٧) يوليو (٦٥٤) ولهذا التاريخ أهمية تتعلق بمركز التجمع في رودس إذ أنها تقع في منتصف الطريق إلى القسطنطينية . وقام عبد الله بن سعد بن أبي سرح (٣) بانزال نصف قواته على ساحل ليقية Lycia بقيادة بُسر بن أبي أرطاة ، وذلك حتى يقطع الطريق على قوات الروم في آسيا الصغرى في حالة انسحابها نحو العاصمة للدفاع عنها (٤). تلك القوات التي خدعتها التجريدة العربية المتوجهة إلى ملطية . هذا وإن هذه القوات النازلة في ليقية سوف تستدرج بقية القوات المرابطة بالقرب من العاصمة ، وبذلك يضعف مركز العاصمة العسكري ويسهل الهجوم عليها .

فدخلت القوات العربيه ميناء فونيقية Pheonix الواقعة على ساحل ليقية (٥) وقامت بعمليات ذات طابع ارهابي شديد ونهبت حسب بعض الروايات أفسوس وازمير ووصلت إلى Halicarnassus وإلى بعض المدن الايونية (٦).

---

(١) أغابيوس ص ٢٢٤ . والطبري ج ٥ ص ٨٥ ذكر رواية مقاربة لغزو معاوية لحصن المرّه التي جاءت في أغابيوس .
وقد ذكر ابن العبري ص ١٠٤ بأن أنقرة سقطت في يد العرب .

(٢) أغابيوس ص ٢٢٤ و Constantine VII ص ٨٠ ، ٨٩ .

(٣) أغابيوس ص ٢٢٤ ابن العبري ص ١٠٤ ـ ابن عبد الحكم ص ١٨٩ الطبري ج ٥ ص ٦٨ .. وأخيراً رواية ثيوفانس ص ٣٤٥ .

(٤) ابن عبد الحكم ص ١٨٩ . والسيوطي في حسن المحاضرة ص ١٠٣ .

(٥) أغابيوس ص ٢٢٤ نقلاً عن ثيوفانس ص ٣٤٥ ، وميشيل السوري ج ٢ ص ٤٤٥ .

(٦) Constantine VII ص ٨٠ .

غير أن قنسطانس تنبه إلى خطورة الأمر وأحس بأن العاصمة قد أصبحت في خطر إذا ما هاجمها العرب عن طريق البحر (١) لذلك رأى أن يفاجىء الأسطول العربي القادم إليه فتوجه إلى ساحل ليقية ليلقى العرب هناك (٢) .

ورغم التقاء الأسطول العربي بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح مع الأسطول الرومي بقيادة أخي الامبراطور ثيودوسيوس Theodosius (٣). ورغم أن قوى العرب الضاربة كانت منقسمة إلى قسمين برية وبحرية (٤) ، إلا أن الغلبة كانت للعرب إذ سرعان ما التحمت المراكب وتلاصقت وأخذ القتال يتم بالنبل والنشاب وقد وصفه ابن عبد الحكم وصفاً دقيقاً . وما لبث الأسطول الرومي أن انهزم (٥) وفر قنسطانس هارباً إلى صقلية (٦) ، غير ان الريح ألقت به قرب الاسكندرية فغرق معظم اسطوله وأخيراً وصل إلى صقلية في حالة يرثى لها (٧) .

ولكن تلك الخطة العسكرية المنطقية قد أساء الكثير من مؤرخي الغرب فهمها إذ أنهم تجاهلوا القسم البري من حركة الغزو ، ونقلوا الجزء الأخير البحري بعد أن قسموه إلى واقعتين (٨) . وتجاهلوا الأساس المنطقي لهذه الخطة واستمسكوا بالروايات التي وصلت إليهم من مراجع عربية خالصة لذلك لم يكن مستغرباً أن يذكروا معركة ذات الصواري وما يسمى النصر

---

(١) أغابيوس ص ٢٢٤ .
(٢) ابن عبد الحكم ص ١٨٩ وبروكلمان ص ٧٣ .
(٣) الطبري ج ٥ ص ٦٨ ، ٦٩ . ابن عبد الحكم ص ١٨٥ .
(٤) أغابيوس ص ٢٢٤ أورد نفس رواية ثيوفانس ص ٣٤٥ .
(٥) ابن عبد الحكم ص ١٨٩ ، الطبري ج ٥ ص ٦٨ .
(٦) انظر ما قبله ٣٤ ، ٣٣ .
(٧) عبد الحكم ص ١٩٠ ــ السيوطي ص ٩٧ الطبري ص ٦٨ ، ٧٠ جزء ٥ .
(٨) موير ص ٢٠٦ وجيبون .

البحري بالاسكندرية كل منها على أساس منفصل عن الآخر .. والواقع فان ذات الصواري بدأت بعد التمهيد البري للجيوش في أواخر شهر ذي الحجة لعام (٣٤ هـ) الموافق لـ (٦٥٥ م) وشهر ذي الحجة يقع في شهري يونيو ويوليو (٦٥٥ م) . بينما تحطم الأسطول الرومي في عاصفة قرب الاسكندرية في عام (٣٥ هـ) التي تبدأ في (١١) يوليو (٦٥٥) طبيعياً . إن هناك حدثاً واحداً ، الانهزام في ذات الصواري والتحطم قرب الاسكندرية وهو يستغرق عامين . فقد بدأ في نهاية (٣٤ هـ) وانتهى في أوائل (٣٥ هـ) . وهذه الحقيقة التي تنبه لها مؤرخونا العرب جعلهم يفصلون شطري الحدث الواحد ويذكرونها من أحداث سنتي (٣٤ هـ) ، (٣٥ هـ) [1] ... ولكن الرواة المتأخرين زمنياً اختلط عليهم الأمر ووجـــدوا رواية لتحطم الأسطول الرومي قرب الاسكندرية ... لذلك حاولوا تقليد ذلك بأنه ، أي الأسطول الرومي كان موجهاً لغزو الاسكندرية ، وبسبب الإسناد الواحد للرواية الواحدة التي شطرت .. نجدهم يخلطون أحداث الشق الأول بالشق الثاني وينسبونه للغزوة الاسكندرية . والسبب في ذلك هو أن التصنيف التاريخي كان حولياً ولم يكن موضوعياً [2] .

وليس من المعقول أن يكون قنسطانس الذى هزم هزيمة نكراء في ذات الصواري في صيف (٦٥٥ م) قد حاول أن يهاجم ويسترد الاسكندرية بعد هذه الكارثة مباشرة . غير أن السبب الذي دفع هؤلاء المؤرخين الغربيين أمثال موير وغيره من مؤرخي الغرب المعاصرين هو اعتمادهم بدون تفكير أو تفهم لروح النصوص على نصٍ مثل نص ابن عبد الحكم الذي نقل من

---

(١) السيوطي وابن عبد الحكم ، الطبري ٦٨ ، ١٦١ جزء ٥ .

(٢) لقد ادم لنا الطبري في ج ٥ ص ١٦١ أوضح رواية عن الأحداث فقد ذكر في حوادث عام ٣٥ هـ ما يفيد ذلك .

تاريخ حولي إلى تاريخ خاص بموضوع هو فتح مصر الذي كان موسوعياً . فوقعوا في الخطأ بينما ابن عبد الحكم وغيره عند ذكره لهذه الرواية إنما حاول تعليل تحطم الأسطول قرب الاسكندرية ، فلذلك ذكر موقعة ذات الصواري هذا بالرغم من اعترافه اعترافاً صحيحاً بأن الأسطول قد تحطم بدون أي هجوم على الاسكندرية ، أو اشتباك مع حامية الاسكندرية . ومن البديهي أن ذكر ذات الصواري كان لتعليل هذه الكارثة بقرب الاسكندرية (١) .

ولكن تسلسل الأحداث في مختلف الروايات يبين بجلاء وضوح الأمر ، وأن الأسطول تحطم بسبب الريح العاصف عقب فراره من ذات الصواري (٢) .

أما سبب عدم الاستمرار حتى تنفيذ خطة الغزو والتوجه للقسطنطينية رغم الانتصار في ذات الصواري ، فان المراجع تقف عاجزة عن تقديم أي بارقة من الإيضاح ... ولكن عسى الأيام تقدم لنا وثائق تشرح هذا الصمت ، ولكن قد يكون السبب المباشر لذلك هو الوضع الداخلي المتأزم في الخلافة وخروج الأقاليم على عثمان بن عفان بسبب سياسته الداخلية ..

وبطبيعة الحال فان معاوية ما كان يترك جيوشه بعيدة عن مسرح الأحداث وهو رجل ذو أطماع وآمال عراض .

وإجمالاً فقد أثبتت أحداث ذات الصواري بأن العرب قد وصلوا خلال أعوام قليلة إلى مستوى عال من المعارف العسكرية .

(بودابست)

عبد المنعم مختار
المحاضر في جامعة بودابست
Dr. Mukatar Abel

(١) موير ص ٢٠٦ رجع في روايته إلى ابن الأثير وقسم الغزوة وحدد لذت الصواري عام ٣١ ﻫ .

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٩٠ ـ السيوطي ص ٩٧ الطبري ج ٥ ص ١٦١ بروكلمان في ص ٧٣ و Constantine VII ص ٨٥ .

مدرسة سالرنو الطبية

- ٢ -

مدرسة سالرنو الطبية :

نشأت هذه المدرسة في مدينة سالرنو كما ذكرنا ، وقد أطلق عليها بعض الكتاب اسم جامعة (١) وسماها بعضهم مدرسة ، وهذه التسمية الأخيرة « مدرسة » هي الأصح لأنه لا يمكننا القول بقيام جامعة بالمعنى المعروف في سالرنو حيث لا نعلم عن نظم هذه المدرسة شيئاً كما يقول المؤرخ الشهير (راشدال (٢)) ، ويؤيده في ذلك الأستاذ (٣) ألفرد گيوم حيث يقول : كانت سالرنو مدرسة طبية بكل ما في كلمة مدرسة من معنى وبساطة ، فهي لم تكن جامعة لأن أقدم الجامعات المسيحية في بولونيا وباريس ومونبلية واكسفورد لم تنشأ إلا في القرن الثاني عشر » .

تأكد لدينا إذاً أن سالرنو كانت مدرسة وليست جامعة ، فما علينا الآن إلا أن نستقصي أخبار تأسيسها .

---

(١) راجع كتاب معالم تأريخ الانسانية تأليف (ا ج جي ولز) ج المجلد الثالث الصفحة (٧٢١) .

(٢) راجع Rashdal Vol. 1. P. 7

(٣) راجع تراث الإسلام ج ٢ من ص ٣٨٥ ـ ٣٩٤ .

تأسيس مدرسة سالرنو :

إن المصادر المتعددة التي تكلمت على سالرنو وعلى نشأتها الأولى كانت على اختلاف وتباين بيّن ، ذلك لأنها لم تستند على حقائق تأريخية ثابتة ، بل اعتمدت على ما حكته الأساطير ؛ فما دام الأمر كذلك فما علينا إلا أن نسرد ما قالته المصادر لنلتقط من هنا ومن هنا ما نراه الأقرب إلى الصحة فنضيف بعضه إلى بعض .

قال محمد كرد علي [١] « وفي باليرم Palermo أنشأ العرب أول مدرسة للطب ما عهد مثلها في جميع أوربا بل إن مدارس الطب في الغرب أُنشئت بعد مدرسة صقلية العربية بأعوام ومنها انتشر الطب في بلاد إيطاليا على يد أساتذة من العرب وغيرهم في جامعة سالرنو » .

وقال كامبل [٢] « وكان بعض الجوّابين من اليهود قد حملوا علوم الطب العربي وتوغلوا بها في شبه الجزيرة الإيطالية ، ونشروا وصفات العرب وأساليب علاجهم بين مرضاهم . وأشهر هؤلاء الجوابين سبّاي بن ابراهيم المشهور بدونولو Donnolo وقد استقر بجنوب إيطاليا وألف كتابين أحدهما في الصيدلة ضمنه بعض الوصفات الطبية ... وإن بعض الأساتذة العرب استقروا بسالرنو منذ بداية القرن الثامن الميلادي » .

وقال الدكتور التجاني الماحي [٣] « تعتبر الحروب الصليبية التي شبت نارها عام (١٠٩٧ م) وامتد لهيبها إلى عام (١٢٧٢ م) من العوامل المهمة في

---

(١) راجع كتاب حضارة العرب والإسلام لمحمد كرد علي ج ١ ، ص (٢٧٢) .

(٢) Arabian Medicine Camphbel . P. 115 .

(٣) راجع كتاب مقدمة في تأريخ الطب العربي ص ١٣٥ .

نقل العلوم العربية وخاصة الطب إلى بلاد الغرب فقد حمل كثير من المرضى والأطباء وغيرهم من الراجعين إلى أوطانهم الكثير من الوصفات العربية إلى بلادهم وكانت « سالرنو » أهم الثغور التي يرجع عن طريقها المحاربون العائدون إلى أوطانهم » .

وقالت « زيغرد[١] هونكه » المستشرقة الشهيرة « إن أصل سالرنو يضيع في دفق من الأساطير ، ولكن هذا الأصل كأشباهه من الأساطير فيه شيء من الحقيقة ؛ وهذه الحقيقة تقول إن أربعة رجال أسسوها ، وهم يوناني ولاتيني ويهودي وعربي ؛ والعربي يدعى عضله ؟ (Adala) وأنا أقول بأن الأرجح « عبد الله » كما هو معروف في التسمية العربية[٢] . وليس عجباً في شيء أن يشترك عربي في تأسيس هذه المدرسة . فايطاليا الجنوبية عرفت في القرن التاسع فتوحات عربية كثيرة بل وسلطة عربية على أراضيها ويكفي أن نذكر أيضاً العلاقات المتبادلة بين صقلية العربية والشواطيء الإيطالية ، هذه العلاقات التي ظهرت في أكثر من مناسبة » .

وورد في دائرة المعارف البريطانية[٣] « ان أهمية سالرنو التاريخية تتمركز حول مدرستها الطبية ، تلك التي بني هيكلها العلمي على أربعة أعمدة من الثقافات ، هي الثقافة اللاتينية والثقافة الإغريقية والثقافة العبرية والثقافة العربية » .

وقال هـ . ج .[٤] . ولز : « وفي عام ١٢٢٤ أسس فردريك جامعة نابولي وأغدق الأموال على المدرسة الطبية الكبيرة بجامعة سالرنو أقدم الجامعات ووسعها .

---

(١) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرقة زيغرد هونكه (ص ٢٩٢).
(٢) أو لعل الاسم أيضاً « عطا الله » . (لجنة المجلة)
(٣) راجع دائرة المعارف البريطانية ج ١٩ ص ٨٧٧ .
(٤) راجع كتاب معالم تأريخ الإنسانية . المجلد الثالث (ص ٧٢١) .

وقال أيضاً [(١)] : « وكان الأمراء والمتعلمون في أوربة يقرأون رسائل فردريك ويتناقشون فيها ، واستساغوا كتب فردريك التي في متناول أيديهم باللاتينية . وألقت سالرنو على روما نوراً مهلكاً مؤذياً » .

ويقول ول ديورانت [(٢)] « ويرجع الفضل في بقاء الطب العلمي في بلاد الغرب أثناء العصور المظلمة إلى الأطباء اليهود الذين نشروا المعلومات الطبية اليونانية ـ العربية في بلاد العالم المسيحي وذلك عن طريق الثقافة البيزنطية التي انتشرت في جنوب إيطاليا ، وترجمة الرسائل الطبية اليونانية والعربية إلى اللغة اللاتينية . وربما كانت مدرسة سالرنو الطبية قائمة في أحسن المواقع ، وكانت أحسن المدارس استعداداً للإفادة من هذه المؤثرات ، فقد كان الأطباء اليونان واللاتين والمسلمون واليهود يُعَلّمون ويتعلمون فيها » .

وقال الدوميسيلي [(٣)] : « إن تاريخ نشأة مدرسة سالرنو مظلم حقاً ، وترجع الأسطورة الفضل في تأسيسها إلى أربعة أساتذة مختلفي الأوطان وهم :

الأستاذ « هلينوس » وهو يهودي كان يقرأ على تلاميذه بالعبرية ، والأستاذ « يونتوس » الذي كان يقرأ باليونانية ، والأستاذ « عبديلا » ـ أقول هو (عبدالله) ـ الذي كان يقرأ بالعربية ، والأستاذ « سالرنوس » الذي كان يقرأ باللاتينية [(٤)] .

وقال الدوميسيلي كذلك [(٥)] « ولا نستطيع ان نتعرف فعلاً على تأثير معين

(١) المصدر السابق رقم (٢٣) .
(٢) راجع الجزء السادس من المجلد الرابع من كتاب « قصة الحضارة » ١٨٨ .
(٣) راجع كتاب العلوم عند العرب لدوميسلي .
(٤) يلاحظ أن رواية « دوميسلي » حول نشأة مدرسة سالرنو ورواية المستعرقة « زيغرد هونكه » تتشابهان .
(٥) راجع كتاب العلوم عند العرب لالدوميسلي ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

للعلم العربي في الطب الغربي إلا في أواسط القرن العاشر للميلاد ، ففي سالرنو (موطن ابقراط) ازدهرت زمناً طويلاً مدرسة للطب مؤسسة على النقل والاتصال المباشر على وجه كاف بالإغريق . وليس علينا أن نبحث كيف تكونت هذه المدرسة وكيف كانت أحوال هذه المدرسة نفسها مؤاتية لنموها وازدهارها . وحسبنا أن نذكر أن يهودياً ولد قريباً من « اوترانته » سنة ٩١٣ واسمه « شبطاي بن ابراهيم بن يول » كان قد وقع أسيراً عند العرب وسيق إلى مدينة « پالرمو » وفي هـذه المدينة تعلم العربية ثم استطاع بعد ذلك الرجوع إلى أوترانته وتوفي بعد سنة ٩٨٢ م . وهذا اليهودي المعروف على وجه العموم باسم « دومنولوس » أو « دونولو[١] » صنّف بالعربية بعض الكتب الطبية التي كان أشهرها كتاب في قوانين الأدوية اسمه « سفر هاياقر » أي « الكتاب النفيس » ، ويعد دونولو هذا أيضاً من الشخصيات التي أسهمت بقوة في إنشاء مدرسة سالرنو . فلا شك انه اجتذب اليها بعض العناصر العربية . ولكن من المؤكد أن هذا التأثير لم يكن جد عظيم كما أنه على كل حال لا يشبه ذلك التأثير الذي حصل بعد ذلك بنحو قرن والذي يبقى فريداً حقاً بل غريباً تقريباً حتى إذا جردناه مما حيك حوله من أساطير المبالغات» اه . إن التأثير الذي يعنيه الدوميسيلي والذي حصل بعد قرن هو تأثير ترجمة « قسطنطين الإفريقي » لكتب في الطب العربي كما سنرى في الأبحاث القادمة .

وقال الأستاذ ألفريد گيوم Alfred Guillaume [٢] : « وفي أوربة كانت « سالرنو » قد طار صيتها بوصفها جامعة . فلو كانت هذه المدرسة من بقايا مدرسة الطب اليونانية الغابرة فالفضل في ذلك يعود إلى أن إيطاليا الجنوبية

(١) ان رواية الدوميسيلي هنا ورواية كامبل التي سبق ذكرها تتشابهان تقريباً .
(٢) راجع كتاب ترات الاسلام ج ٢ صفحة ٣٩٤ ـ ٣٩٥ .

كانت جزءاً من الامبراطورية البيزنطية حتى القرن الحادي عشر فبقيت حتى بعد الفتح النورماندي منزلاً لأمة كبيرة تتكلم اللسان اليوناني ؛ كما ان فاتحي صقلية من النورمان بسطوا رعايتهم على الدراسات العربية واقتبسوا العادات الإسلامية بصورة واسعة حتى صار من الصعب علينا أن لا نستنتج بأن الطب العربي كان له بدون شك نفوذ عظيم على تلك المدرسة إن لم يكن تأثيراً ابتداعياً خلاقاً فهو على أقل تقدير تأثير تغذية وإدامة » .

وقال غوستاف لوبون [1]« لا أحد يجهل أن هذه المدرسة ـ مدرسة سالرنو ـ التي غدت أول مدرسة في أوربة زمناً طويلاً هي مدينة للعرب بشهرتها وذلك أن النورمان لما استولوا على صقلية وعلى جزء من إيطاليا في أواسط القرن الحادي عشر من الميـــلاد أحاطوا مدرسة الطب التي أنشأها العرب بما أحاطوا به المدارس الإسلامية من الاعتناء الكبير ، وأن قسطنطين الافريقي الذي كان من عرب قرطاجنة عين رئيساً لها .

يتضح للقارىء ـ استناداً إلى الروايات العديدة التي تدور حول نشأة مدرسة سالرنو والتي سقناها تباعاً ـ أن العرب هم الذين أنشأوا مدرسة سالرنو الطبية وحدهم أو بمعاونة علماء يونان ويهود ورومان ؛ ولا يخفى أن اليهود ـ إن صح أنهم ساهموا في تأسيسها ـ كانوا عرباً في ثقافتهم [2] وعلومهم

(١) راجع كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر صفحة ٤٩٣ .

(٢) جاء في كتاب حضارة العرب في الأندلس (تأليف جوزيف ماك كيب) تعريب (الدكتور تقي الدين الهلالي) ص ٦٠ « وجميع الكتب التي ألفها العرب ترجمت الى العبرانية » ؛ « وكان اليهود بالخصوص أطباء نطاسيين ، وكان كبار أطبائهم يقلدون العرب في التضلع بجميع الفنون الثقافية » . وفي ص ٦٣ نفس المصدر « واليهود هم الذين نقلوا معظم ثقافات العرب الى الآفاق كما قال اسكوت » .

الطبية بالخاصة لذا فان الفضل الأكبر في تأسيس هذه المدرسة الطبية يعود للعرب كما يعود لهم الفضل في تغذيتها وإدامتها كذلك ؛ هذا وإن الشهرة الواسعة الخالدة التي تدفقت من سالرنو لتدور العالم وتلفه لفـــاً آنذاك ، لم تكن ثمرة النبتة الرومانيه أو الإغريقية في أرض سالرنو الخصبة بل كانت ثمرة للتراث العربي الأصيل الذي حُوول طمسه والقضاء عليه وعلى أسماء أعلامه ولكن دون جدوى ، إذ من بإمكانه أن يحجب شمس الحقيقة إلى الأبد [١] ؟

بماذا اشتهرت مدرسة سالرنو

« لا يخفى على أحد من الناس أن سالرنو خالدة [٢] بشهرتها
تلك الشهرة التي تلف الأرض لفاً وتشفي الغليل ، لذا كان
طلب العلم فيها من أشهى الأمور ، وإني بهذا لمقر » .

بهذه الكلمات المتدفقة إعجاباً وحباً والنابعة من صدر شاب ملأت عليه نفسه السنوات التي أمضاها في دراسة الطب على أساطين هذا العلم في مدينة سالرنو الواقعة على خليج Paestum أو بوستانوس ، بهذه الكلمات توجه هذا الشاب عند عودته إلى كولونيا ومقابلته لقيصر الامبراطور (راينالدفون داسال) في عام (١٦٦٢ م) . فبماذا امتازت سالرنو التي تغنى بذكرها هذا الشاب ومن أين أتتها الشهرة ؟

يروى أن هاينريش [٣] المسكين ، أحدق به المرض حتى فقد الأمل

(١) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب تأليف المستشرقة (زيغرد هونكه) ص ٢٩٣.
(٢) راجع المصدر السابق (رقم ٣٣) ص ٢٩١ .
(٣) راجع المصدر السابق رقم (٣٤) ورقم (٣٣) صفحة ٢٩١ و ٢٩٣ .

بالحياة ولم يفد معه نطس أطباء مونبليه فلم ير بداً من تعليق آماله في الشفاء على أطباء سالرنو في القرن الثاني عشر للشهرة العظيمة التي كانت لسالرنو في عالم الطب . وقد توجه إلى سالرنو كذلك ولهلم الفاتح ملك انجلترا فيما بعد ، رغبة منه في مداواة الجروح التي أصابته خلال الحرب ، وإلى أطباء سالرنو الذين طبقت شهرتهم الآفاق بفضل معارفهم الطبية الواسعة ذهب بعد أول حملة صليبية عام (١١٠١ م) ابن النبيل روبير النورمندي مع رهط من رفاقه للتداوي ومعالجة الجروح التي خلفتها فيهم سيوف العرب وسهامهم في القرون الوسطى ، فسالرنو هي الواحة الوحيدة في وسط الصحراء الأوربية التي يتعلل بها المرضى المسيحيون ، وهي مدينه العلم الوحيدة خارج عالم الثقافة الإسلامية التي أمدت النشء الجديد بمعارف طبية صحيحة وثقافة علمية عالية ، شأنها في ذلك شأن المدارس الإسلامية في دمشق وبغداد وقرطبة ، فهنا ، كهناك قمة في العلم ، قمة لها حديث طويل ، ولا عجب في ذلك فقد كانت سالرنو هذه مركزاً عالمياً في وسط المحيط الطبي الاكليريكي ؛ ففيها رجال من كل حدب وصوب ، وأبوابها مفتوحة أمام كل الأديان والعقائد ، ورؤساؤها وأساتذتها متآلفون ، وفيها أساتذة رجالاً ونساءً يدرسون فيها على حد سواء ، وكانت النساء يدرسن التمريض والقبالة في سالرنو ، وأكبر الظن أن النساء اللاتي يسمين طبيبات سالرنو كُنَّ قابلات تدربن في تلك المدرسة .

وكان من أشهر ما أخرجته مدرسة سالرنو الطبية رسالة في التوليد (١) نشرت في القرن الثاني عشر بعنوان « تروتولا وعلاج أمراض النساء » وأكثر المؤرخين يجمعون على أن تروتولا Trotula هذ كانت قابلة سالرنو .

(١) راجع كتاب قصة الحضارة تأليف (ول ديورانت) الجزء السادس من المجلد الرابع صفحة ١٨٨ و ١٨٩ .

لقد وصلتنا من مدرسة سالرنو عدة رسائل هامة تشمل فروع الطب كلها تقريباً منها رسالة لارخماتيوس Archimatheus تشير على الطبيب وهو واقف بجوار سرير المريض أن يتحلى وهو ينظر إلى حال المريض بالرزانة حتى لا تقلل من مكانته خاتمة المريض السيئة ، وحتى يضيف شفاؤه عجيبة أخرى إلى ما اشتهر به من عجائب ؛ وعليه أن لا يغازل زوجة المريض أو ابنته أو خادمته ، وحتى إذا لم تكن ثمة ضرورة لدواء ما وجب عليه أن يصف له مركباً عديم الضرر ، حتى لا يظن المريض أن العلاج لا يساوي أجر الطبيب ، وحتى لا يظن أن الطبيعة هي التي شفت المريض دون الطبيب .

واشتهرت كذلك بطبها العملي الذي استند إلى الطب العربي في تطبيقاته ومداواته كما سنرى في الأبحاث القادمة . واشتهرت بالجراحة كذلك ، وأشهر جراحيها روجر السالرني الذي نشر حوالى عام ١١٧٠ م كتابه « العمليات الجراحية » وهو أقدم رسالة في الجراحة معروفة في بلاد الغرب المسيحي . وهذه الرسالة هي مزيج من تجاربه الخاصة وما ورد في كتاب كامل الصناعة لابن المجوسي من معلومات جراحية قيمة هي تلك التي ترجمها عن العربية قسطنطين الافريقي .

وامتازت مدرسة سالرنو الطبية بقضايا أخرى ذات صلة بالطب والصيدلة سنذكرها تباعا .

اجازة ممارسة الطب تمنحها سالرنو :

لقد حظيت[1] سالرنو باعتراف رسمي عام (١٢٣١ م) عندما أصدر الامبراطور[2] فردريك الثاني في تلك السنة مرسوماً خاصاً بممارسة مهنة

---

(١) راجع : Rashdall Vol 1, P. 82 .

(٢) راجع الملحق .

الطب وأصول تدريس هـــذه المهنة داخل دولته حتم بموجبه الحصول على ترخيص ملكي لكل ممارس على أن يعطى هذا الترخيص بعد امتحان الطالب أمام لجنة من أساتذة سالرنو. وقد دون الامبراطور لذلك بنوداً في المرسوم ذاته يحدد بموجبها السنوات التي يجب أن يقضيها الطالب في دراسة الطب. فاذا أراد أي إنسان أن يحصل على إجازة في الطب وجب عليه أن يتلقى منهاجاً يدوم ثلاث سنوات في العلوم المنطقية Scientia Logicalil ؛ والمقصود من هذا اللفظ (العلوم الطبيعية والفلسفية). وكان عليه بعدئذ أن يدرس الطب في المدرسة مدة خمس سنين وينجح في امتحانين ويتمرن عاماً تحت اشراف طبيب مجرب [1] ويمنح الخريج درجة علمية ويعطى كتاباً ويوضع له في إصبعه خاتم وتطبع على جبينه قبلة .

إن مرسوم فردريك الثاني [2] الذي قصد به تنظيم مهنة الطب قد جاء إعادةً حرفيةً لتعليمات الملك روجر الثاني في امتحان الأطباء على أيدي أساتذة سالرنو . وقد دونت في هـذا المرسوم الامبراطوري البنود الخاصة بلزوم مناقشة الأطروحة التي يقدمها طالب الإجازة بحضور الامبراطور شخصياً. وقد فرق الامبراطور فردريك الثاني بين مهنتي الطب والصيدلة حاذياً في ذلك حذو العرب .

يلاحظ القارئ أن الامبراطور فردريك الثاني في مرسومه حذا حذو جده الملك روجر الثاني وأنهما معاً سارا على نهج العرب في هذا الباب ، فقد دعى المقتدر بالله الخليفة العباسي (– ٩٣١ م) نحو تسعمائة طبيب للامتحان من أجل الحصول على إجازة في التطبيب ؛ وهؤء هم غير الأساتذة الثقات الذين

(١) راجع كتاب قصة الحضارة تأليف ول ديورانت الجزء السادس من المجلد الرابع صفحة ١٩٠ وكتاب قصة الطب تأليف جوزيف جارلند ترجمة سعيد عبده صفحة ٧٣ .

(٢) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب لزيغرد هونكه صفحة ٣٣٠ .

تجاوزوا مرتبة(١) الامتحان ، فمنح منهم الاجازة من استحقها وحجبت عمن أخفق في الامتحان . وقد أجرى المقتدر للصيادلة مثل ما أجراه للأطباء وسبق المقتدر في امتحان الصيادلة المعتصم الخليفة العباسي إذ أمر هذا الخليفة بامتحانهم لأول مرة في تاريخ الطب والصيدلة .

لقد كانت هذه الإجراءات التي اتخذت في مدرسة سالرنو شيئاً غير مرغوب فيه بنظر بقية البلدان الأوربية ، لأن الكنيسة قد رأت في ذلك تهديداً مباشراً لمصالحها ، وكيف لا ترى هذا وقد أصبح جل هذا الموضوع منوطاً بالدولة في شخص رئيسها . فالأطباء والصيادلة يقسمون اليمين أمام الامبراطور ، ولا يعملون إلا بترخيص منه ، كما تعمل البيمارستانات والصيدليات باشرافه .

وأمام هذا الأمر لم ير البابا غريغوريوس التاسع بدأً من أن يتخذ من التدابير ما يحفظ عليه كيانه وسلطته وهيبته فأصدر تصريحاً علنياً وجهه إلى الإمبراطور يقول له فيه أن لا يشتط في أعماله فيعتدي على حقوق الكنيسة .

ومع ذلك فقد صارت قوانين فردريك الثاني فيما بعد هي القوانين المعمول بها في البلاد الأوربية . وكانت بمثابة الخطوة الأولى نحو العصر الحديث بعد ليل العصور الوسطى المدلهم ، قوانين ممارسة مهنتي الطب والصيدلة استمدت أصولها من السوابق العربية ، ورأس الجسر الذي انتقل بالطب وصناعة الصيدلة من العصور الوسطى إلى العصر الحديث كان من صنع العرب في القرنين الثامن والتاسع للميلاد .

---

(١) راجع أثر العرب في الحضارة الاوربية لعباس العقاد .

(٢) راجع شمس العرب تسطع على الغرب صفحة ٣٣٠ و ٣٣١ .

التدريس والأساتذة :

كان قيام أستاذ بالتدريس في جامعة من الجامعات الثلاث — سالرنو وباريس وبولونيا — أو السماح له بالانضمام إلى نقابة الأساتذة فيها يعطيه حق التدريس في غيرها من المعاهد العلمية التي تأتي دونها في المكانة والشهرة في حين لم يكن من السهل على أي استاذ أن يقوم بالتدريس في باريس أو بولونيا أو سالرنو إلا بعد امتحان جديد شاق وذلك نتيجة للصفة العالمية التي خلعتها هذه الجامعات الثلاث على أساتذتها (١) .

الزي الجامعي :

كان زي الطلاب في جامعات أوربا في العصور الوسطى موحداً ، أي زياً أكاديمياً خاصاً ، ففي الجامعات الايطالية ومنها مدرسة (٢) سالرنو حتمت اللوائح أن يرتدي الطلبة عباءة سوداء (Cappa) (ولعل هذا الاسم اللاتيني محرف من كلمة عباءة العربية) (٣) وكان غطاء الرأس قلنسوة من الفراء السنجابي .

علم الأدوية في سالرنو (والصيدلة) :

إن البلاد الأوربية الكائنة في شمال جبال الآلب لم تعرف الصيدليات بمفهومها العربي ومفهومها الحديث إلا بعد زمن طويل . وقد انتقل نظام الصيدلة والأقرباذين ، إلى دستور الأدوية المركبة ، من العرب إلى بلاد أوربة عن طريق مدرسة سالرنو الطبية وطرق أخرى كصقلية والبندقية والأندلس .

---

(١) راجع كتاب راشدال Vol 1. p. 7.

(٢) راجع : Rashdal Vol. I PP 194 — 195 & Vol. 3 PP 385 — 388

(٣) أو قَبَاء العربية ، بفتح القاف وهو ثوب يلبس فوق الثياب . (لجنة المجلة)

فالفارماكوبيا الحديثة اشتقت أصولها ونظامها من الأقرباذين العربي ؛ هذا وقد غمر سالرنو دفق من العقاقير الطبية العربية ودفق كذلك من الكتب الطبية منها ما هو خاص بعلم الأقرباذين — كما سنرى في الأبحاث القادمة — . وقد وصلت العقاقير العربية وبعض كتب الطب العربي بلاد الراين حيث سطع تأثيرها في الآفاق فقلدها المقلدون وأفاد منها المبتكرون .

إن عميد [١] مدرسة سالرنو الطبية طبع بعد موت قسطنطين الإفريقي كتاباً على الطريقة العربية يبحث في علم الصيدلة أسماه Offizinell وقد أصبح فيما بعد أساساً لعمل أجيال وأجيال من الصيادلة مع كتاب آخر وضعه عالم آخر من سالرنو بعنوان Circa Instans .

هذا وقد وصف « روجر السالرني » [٢] الأعشاب البحرية عام ١١٨٠ م لعلاج تضخم الغدة الدرقية — وهي تحتوي على مادة اليود كما هو معروف في الطب الحديث — وقد استنبط هذا العلاج من دراسته للطب العربي حيث درس الطب في مدرسة سالرنو وتتلمذ فيها على كتب العرب الطبية .

ووصف السالرني كذلك مركبات الذهب — متأثراً بالطب العربي كذلك — لعلاج آلام المفاصل . ومازال بعض الأطباء في الطب الحديث يستعملون مركبات الذهب لعلاج أمراض المفاصل الرثوية (الروماتزمية) .

لقد كان الترياق من أكثر العقاقير استعمالاً في القرون الوسطى ، في سالرنو وغيرها من كليات الطب في ديار الغرب ، والترياق Theriacum [٣]

---

(١) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب لزيغرد هونكه صفحة ٣٢٢ .

(٢) راجع كتاب قصة الحضارة العربية (لول ديورانت) الجزء السادس من المجلد الرابع صفحة ١٩٠ .

(٣) راجع المصدر السابق صفحة ١٩٠ .

هو مزيج غريب من نحو سبع وخمسين مادة أشهرها لحم الأفاعي ، استعملوه كواق وشاف من السموم . والترياق اختراع عربي أدخلوه في علم الأقرباذين وانتشر في اوربة ردحاً طويلاً من الزمن .

وهكذا نرى أن رأس الجسر الذي انتقل بالطب وصناعة الصيدلة من العصور الوسطى إلى العصر الحديث كان من صنع العرب في القرنين الثامن والتاسع للميلاد . وقد احتلت أسماء علماء العرب مكاناً سامياً في جامعات الغرب حتى لجأ بعض أطباء ايطاليا إلى نسبة كتبهم إلى أعلام الطب العربي لرفع شأن تلك الكتب وإلباسها ثوب الوجاهة العلمية ؛ فقد نسب أحدهم كتاباً وضعه في علم الأقرباذين إلى عربي زعم أنه كان تلميذاً لابن سينا في بغداد وسماه ماسويه الصغير Massawih وفي اللاتينية Grabadin Meseues [1] .

كلمات عربية في الطب والصيدلة دخلت لغات الغرب

من القضايا المسلم بها أن الغرب اقتبس الكثير من الكلمات العربية في شتى أنواع المعرفة ومنها ما هو في الطب والصيدلة والكيمياء ، وقد دخلت الكلمات العربية في اللغات الأوربية من مسالك مختلفة أهمها مدرسة سالرنو — في الطب وفروعه — ؛ ولما كان بحثنا يطول إذا ما أحصينا جميع الكلمات العربية الداخلة في لغات الغرب اكتفيت بذكر القليل للاستشهاد وليس للحصر ، والكلمات التي انتخبتها وانتقيتها هي من الانكليزية فحسب وهي :

(١) راجع شمس العرب لهونكه صفحة ٣٣٢ .

Saffron	أصلها في العربية (زعفران)
Syrup	〃 〃 〃 (شراب)
Lemon	〃 〃 〃 (ليمون)
Borax	〃 〃 〃 (بورق)
Alanbic	〃 〃 〃 (الأنبيق)
Seasame	〃 〃 〃 (السمسم)
Cubebs	〃 〃 〃 (كبابة)
Rhubarbe	〃 〃 〃 (راوند)
Alhandal	〃 〃 〃 (حنظل)
Sugar	〃 〃 〃 (سكر)
Coffe	〃 〃 〃 (قهوة)
Senna	〃 〃 〃 (سنامكي)
Sesban	〃 〃 〃 (سيسبان)
Natron	〃 〃 〃 (نطرون)
Cummin	〃 〃 〃 (كمون)
Lablab	〃 〃 〃 (لبلاب)

الخ .

يتبع : (الموصل) الدكتور فيصل دبدوب

التعريف والنقد

من كنوز السنة : رسائل أربع

١ — كتاب الإيمان للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة (١٥٩ — ٢٣٥)
٢ — كتاب الإيمان للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام (١٥٩ — ٢٣٤)
٣ — كتاب العلم للحافظ أبي خيثمة زهير بن حرب (١٦٠ — ٢٣٤)
٤ — كتاب اقتضاء العلم العملَ للخطيب البغدادي (٣٩٢ — ٤٦٣)

حقَّق الرسائل الأربع [١] ، وخرَّج أحاديثها وعلَّق عليها
الأستاذ المحقِّق محمد ناصر الدين الألباني

هذه الرسائل تغذي العقول بلبان التوحيد الخالص ، وتشرب النفوس حب الإيمان الصادق ، وتطهر القلوب من كل ما يخالطها من أدران الشوائب ، فتصح العقائد ، وتزكو الأخلاق ، وتتوحد المبادئ والغايات . يذكر هؤلاء الأئمة مسائل الإيمان ما للعلم واقتضاءه للعمل ، بأسانيدها المرفوعة إلى النبي ﷺ ، والموقوفة على الصحابي ، والمرسلة للتابعين ، والمنقطعة السند ، ويعزو المؤلِّفون والمعلِّق ناصر الدين الأقوال إلى أهلها مُوضحين أنَّ القصد من العلم ، وإن قلّ ، هو العمل بمقتضاه ، ثم يبيِّن دليل القول وتعليله ، مع الإشارة إلى ترجيح الراجح ، وتضعيف غيره ، وفي أول كل رسالة ترجمة موجزة لمؤلفها ، وفيها تخريج أحاديثها ، والأستاذ الألباني هو محققها

---

(١) هي موجودة في خزانة دار الكتب الظاهرية بدمشق .

ومصححها ، ومورد أدلة أحكامها على كثرتها واختلافها ، وقد بذل في هذه السبيل جهداً عظيماً . وإنما يقدره قدره من غاص في بحر السنة نظراً واستدلالاً ، وأمعن في كتبها بحثاً واستقراءاً . ومن مزايا هذه الرسائل — علاوة على تحقيقها وتصحيحها على أصولها — أنها تسند كل حديث وأثر إلى أصله المنقول عنه ، وتتبعه بما عليه من الكلام من تصحيح وتحسين ، أو تضعيف وتوهين ، وضبط ما أشكل من أسماء الرجال ، أخذاً من شروح الحديث ، وغريب جامع الأصول ، ومجمع الزوائد ، ومختصر نهاية ابن الأثير ، وغيرها من أمهات المراجع ، وكتب اللغة ، ويشير المحدث ناصر الدين إلى أجزاء المراجع المطبوعة وصفحاتها ، ليكون المطالع على علم بها وليرجع إليها إذا شاء .

هذا وإن من مشكلات الأحاديث ما كان منها معلولاً بعلة خفيّة ، أو شاذاً من رواية ثقة أو غير ثقة ، وقد قال الحافظ ابن كثير : علّة الحديث سبب غامض خفي قادح في الحديث ، مع أن الظاهر السلامة منه ، والعلّة قد تكون بالإرسال في الموصول ، أو الوقف في المرفوع ، أو بدخول حديث في حديث ، أو وهم واهم ، أو غير ذلك مما يتبيّن للعارف بهذا الشأن ، من جمع الطرق ومقارنتها ، ومن طرائق تنضم إلى ذلك اه .

ومن الفوائد المهمة مما جاء في الكتاب الأول لابن أبي شيبة من حديث الجارية التي كانت ترعى غنماً لمعاوية بن الحكم السلمي ، وإذا ذئب قد ذهب بشاة من غنمها ، فلطمها على وجهها ، فأتيتُ الرسول (ﷺ) فعظّم ذلك علي ، فقلت يارسول الله ألا أعتقها ، قال : ائتني بها ، فقال لها : أين الله ؟ قالت في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : فأعتقها فإنها مؤمنة .

قال الأستاذ المحدث الشيخ محمد ناصر الدين ، إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وقد أخرجه مسلم من طريق المصنف وغيره ، وأخرجه أحمد (٤٤٧/٥ و ٤٤٨) بإسناده ، ومن طرق أخرى (قال) : والأحاديث الدالة على علوّه تبارك وتعالى على خلقه أكثر من أن تحصر ، وفي ذلك ألّف الذهبي كتابه « العلو للعليّ الغفّار » وهو مطبوع ، ومن قبله الشيخُ ابن قدامة ، وكتابه مخطوط . ثم إن جواب الجارية مستفاد من مِثل قوله تعالى : « أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض » ؟ الآية .

ويقول الضعيف كاتب هذه السطور : قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبي وأبا زرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، حجازاً وعراقاً ومصر وشاماً ويمناً ، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه ، بائن من خلقه ، بلا كيف ، أحاطَ بكلّ شيء علماً ، وقد قدّمنا في (كتاب حياة شيخ الإسلام ابن تيمية) بعض العبارات الصريحة لأولئك الأئمة الأعلام في إثبات صفة العلوّ المُطلق (لا النسبيّ) لله تعالى على خلقه ، وأنه عال على عرشه ، ومستغنٍ عنه كاستغنائه عن سائر المخلوقات ، وحسبنا في ذلك قصة المعراج وهي متواترة ، وفيها تجاوز النبي ﷺ السمواتِ سماءً سماء ، حتى انتهى إلى ربه تعالى ، فقرّبه وأدناه وفرض عليه وعلى أمته الصلاة .

وفي مقدمة الألباني للكتاب ، أن الأستاذ السلفي الشهير الشيخ محمد نصيف هو الذي اقترح عليه أن ينتخب رسائل نافعـــة للطبع والنشر ، فاختار هذه الرسائل الأربع ، وصورها بطلب منه ، وقدّمها إلى فضيلته ، فأعجبته ، ورأى أن يطبعها بدمشق مع التعليق عليها ، قال المحقق : فاستجبت لرغبته ، وشرعت في إعداد الرسائل الأربع للبطع ، فاستنسختها وقابلتها

بالأصول ، وعلّقت فيها تعليقات مختصرة مفيدة ، وأضفتُ إلى ذلك بيان حال بعض أحاديثها المرفوعة صحة أو ضعفاً ، وكذلك بينتُ حال بعض الآثار الموقوفة إذا كان لها أهمية خاصة في نظري .

بلغ الكتاب أكثر من (٢٥٠) صفحة ، وقد قرأته بالحرف ، واستفدت منه كثيراً ، ووضعت له جدولاً للخطأ والصواب ، سائلاً منه سبحانه أن يولي المؤلفين والمحقق والناشر والمدقق أجزلَ الثواب ، إنه هو الكريم الوهاب :

(١) كتاب الإيمان لأبي بكر بن أبي شيبة

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
— ه —		مما يجوز	مما لا يجوز
٤٢	١٨	مضي	مضى
١٠٩و٤٣	١٦و٢١	بن	ابن (رأس سطر)
٤٦	٩	يزعمون إنّ	يزعمون أنّ
٤٦	١٤	وإسمه	واسمه

(٢) كتاب الإيمان للقاسم بن سلام

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٤	١٢	لا يلزمه إسم	اسم
٥٤	١٥	كانوا حديث عهد	حديثي عهد
٥٨	١	فزادهم إيمانا	« فزادتهم »
٦٦	٨	عندما ما نصّ	عندما نصّ
٧٠	٤	الاستكما	الاستكمال
٧٧	٨	لي عمل	« لي عملي »
٨٠	١٣	كأيمان	كإيمان
٨١	٤	السيباني	الشيباني

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٢	٤	والبراة	والبراءة
٨٢	١٦	والقديرية	والقدرية
٨٤	٤	والبراة	والبراءة
٨٦	١٦	رضي الله أجمعين	عنهم أجمعين
٩٠	١٤	وإسم	واسم
٩٠	٢	أولئك الوارثون	« أولئك هم الوارثون »
٩٥	١٧و٢١٤/٤	أبو يعلي	أبو يعلى
١٠١	٩	(١٢)	(١٢٢)

(٣) كتاب العلم للحافظ النسائي

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٢	٣	حصي	حصى
١١٧	٥	فقهم	فقههم
١١٩	٢	اكتفى	اكتفي
١٢٠	٣	وبحسه	وبحسبه
١٢٢	١٩	في إسمه	في اسمه
١٢٣	(السطر الأخير)	إسنادة	إسناده
١٢٨	٢١	جوبرية	جويرية
١٣٣	١٠	إذا إنتهينا	انتهينا
١٣٩	١١	لا يألوا	لا يألو
١٤٤	٢٠	وسلون	وسكون
١٤٦	(السطر الأخير)	أوئل	أوائل

(٤) اقتضاء العلم العمل لأبي بكر الخطيب البغدادي

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥٨	١٠	ولكن أجمع	ولكن اجمعْ
١٥٩	٦	والرضي	والرضى
١٦٠	١٤	الحرّاز	الخزّاز
١٦٤	٥	إعملوا	اعملوا
١٦٧	٨	أبو الدرداءَ	أبو الدرداءِ
١٦٨	٤	مَن يعمل	« فَمَنْ يَعْمَلْ »
١٧٦	١١	ولكن أنظروا	انظروا
١٩٢	١٣	(٢٦)	(٢٧)
١٩٧	آخر السطر	سنة ستة	ست
١٩٨	١	أتاه الله	آتاه
١٩٨	١	(٣٠)	(٣١)
١٩٨	١١	(٣)	(٣٢)
٢٠٠	٧	(صلى الله)	(مكرّرة)
٢٠٠	١٠	(٣٢)	(٣٣)
٢٠١	٩	قىل	(قيل)
٢٠١	٢٢	(٣٣)	(٣٤)
٢٠٢	١٢	(٣٤)	(٣٥)
٢٠٣	١٦	(٥٣)	(٣٦)
٢٠٦	٤	شغلا	شغل
٢١٥	٧	فاغتنمو	فاغتنموا

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١٥	١٥	علی	علي
٢١١	١٦	بغتة	بغتهْ (بالهاء (٤) أبيات)
٢٣٠	١٧	لا يلبس	لإبليس
٢٣١	٥	فابه	فإنّـه
٢٣١	٧	من كلاب	من كلام
٢٣١	١٥	ضعفه الحديث	ضعف الخ
٢٣٢	١١	إما	« إماما »
٢٣٥	١٦	نصيبك الدنيا	« من الدنيا »
٢٣٨	٣	مَن غشنا ليس منا	(فليس)
٢٣٨	٥	يفقه	(يفقهه)
٢٤٠	١٢	تافع	نافع
٢٤٠	١٣	بالطاغوث	بالطاغوت
٢٤٢	٤	زنا	زَنَا
٢٤٣	٣	يعطى	يعطي
٢٤٧	١١	تفقه	يفقهه
٢٤٨	١٦	الشباء	السْباب

هذه آخر صفحة من الكتاب وبها تم جدول الخطأ والصواب ، ولله تعالى الحمد والشكر .

محمد بهجة البيطار

مع صيدح في كتابه عن أدب المهجر :

أدب مهجري أم أدب عربي في المهجر ؟

ُعني مؤرخو أدبنا المعاصر بالأدب المهجري عنايتهم بالأدب العربي في مختلف عصوره ، وربما كانت الدراسات التي ظهرت عن أدب المهجر أوفى وأغزر ، لا لشيء إلا لأنه كما يرى بعضهم ، ظاهرة جديدة في أدبنا سواء في محتواه أو في مضمونه .

وعلى كثرة الدراسات المنهجية ، المتزنة منها والمهلهلة ، فقد ظلّ مصدراً ثرّاً لمن يريد أن يتناوله بالدرس والبحث ، ورد منازعه وأهدافه إلى العوامل التي أثارت الأدباء والشعراء إلى هذا اللون من الأدب .

ولعل أوفى دراسة ظهرت في هذا المجال الدراسة التي كتبها الأستاذ جورج صيدح في كتابه « أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية » . فقد تناول الموضوع من مختلف أصوله وفروعه . فظهرت في هذه الدراسة موهبة الباحث ، ونزعة الشاعر ، وروح الأديب ، ورصانة المؤرخ النزيه ، يضاف إلى كل ذلك معرفته الخاصة بالكثيرين الذين أرخ لهم .

ففي الفترات التي قضاها في المهجر استطاع أن يعايشهم ويسامرهم ويستمع إليهم ويتقارض معهم الثناء والهجاء ـ أريد الهجاء الإخواني إنّ صح التعبير ـ فعرف الكثير من خصائصهم ونزعاتهم وهجساتهم ومباذلهم ، وهذا الذي كوّن عنده فكرة صادقة عن مراحل حياتهم الفكرية والذاتية ، فكتب آراءه بكثير من الصدق والواقعية ، وأعطانا الكثير من الصور التي كنا نجهلها حتى عن العمالقة منهم .

وهكذا ، فقدم للقارئ العربي ، بهذا الأثر النفيس ، لوحات واضحة الإشراق عن أدب المهجر الذي اختلفت الآراء حوله بين محبّذ وناقد ، وبين منصف ومتهجم ، فعرض الأستاذ صيدح شتى الآراء المتباينة ، ودافع بحرارة دون أن تثنيه حرارة الدفاع عن النقد العف — نقد ذاتي هو إلى التجرد والإنصاف أقرب ، وبذلك رسم الرأي المتزن والفكرة الملتمعة التي لا يعتورها الخلل والاضطراب .

والطريقة التي اتبعها في تأريخ سير أدباء المهجر ذاتية وموضوعية في آن واحد ، اعتمد على الإنتاج من حيث قيمته الفنية ، ثم على الحياة الشخصية والعوامل التي ألهمتهم هذا الأدب ، وكان واسع الإلمام بكل ما خطته يراعتهم ، متتبعاً مراحل حياتهم مرحلة مرحلة ، إلى أن كوّن عنهم ، كما قلت ، الفكرة الصحيحة ، وإذا هو يعكس صوراً واضحة على ضوء فن التراجم ، يكفي أن يقرأ القارىء هذه الصفحات القليلة عن الريحاني أو جبران ، عن الشاعر القروي أو فرحات ، وغيرهم من المشهورين وغير المشهورين ، ليعرف كل ما تنطوي عليه أحاسيسهم وصفوة آرائهم ، نزواتهم وهواجسهم ، ما ظهر منها وما بطن ، ومقام كل واحد في عالم الفكر والأدب ، ومدى تجاوبهم مع مجتمعهم ، ومع التيارات القومية والإنسانية ، وهذا منتهى ما يتطلب من الباحث الذي يعرض إلى التاريخ الأدبي وتاريخ السير الذاتية بصورة خاصة .

والكتاب في تسعة عشر فصلاً تضمن دراسات عن هجرة الأدباء وبواعثها وأدق المراحل في حياة المهاجرين ، والأدب المهجري وخصائصه ورسالته القومية والاجتماعية والإنسانية ، وسر تفوقه ومناحيه ، وعرض لآراء الناقدين ، ثم صور قلمية واضحة الملامح للأدباء والشعراء ، فجاء الكتاب بحق موسوعة كاملة عن أدب المهجر الذي أخذت أضواء نجومه — وا أسفاه — بالانطفاء وشمس كواكبه بالمغيب .

- ٢ -

بعد هذه التوطئة عن ملامح الكتاب نقف وقفة قصيرة عند فصل من فصوله نتبين خصائص هذا الأدب وسر تفوقه .

وقد أوضح الأستاذ صيدح هذه الخصائص بقوله : « إن الأدب المهجري يتميز بالنزعة التجديدية الطامحة إلى الكمال ، وهي بارزة في قالبه ، وفي مضمونه ، ففي القالب يتميز بالتحرر التام من قيود القديم مع استبقاء ما لان للصياغة الحديثة وما طاوع منها نزعة التجديد .

ثم يوضح هذا الرأي بقوله « انهم قد انتقلوا من الاتباع إلى الإبداع ، ومن عبودية التقليد إلى الاستقلال بالشخصية الأدبية ، لا جمود في القوالب الجاهزة ، ولا ميوعة من المسارب المستحدثة ، انعتق النثر من المدلولات الثابتة والرواسب المنحطة ، وانطلق الشعر إلى أصوات متعددة وأوزان قصيرة مجزوءة ، وموشحات تتبارى بالفن مع ما خلفته لنا الأندلس » .

وأما في المضمون فأوضح أنه ذو منازع مختلفة ، فالشعر العاطفي مثلاً يتميز برقة ما بعدها رقة ، يتجلى ذلك في الشوق والحنين إلى الوطن البعيد ، في نغمات مؤثرة لم تعرف لغة الضاد أوقع منها جرساً ولا أرهف حساً » ؛ كما يتميز شعرهم الصوفي والتأملي بحب الجمال المثالي نتيجة تأملهم الطويل في الذات وفي ما حولهم من الكائنات شأن الفلاسفة الروحيين ؛ وشعرهم الأخلاقي صورة من أدب التوجيه نحو ممارسة الفضائل واجتناب الرذائل ؛ أما القومي فهو أدب الوطنية الصحيحة التي تركزت على وحدة اللغة ووحدة التاريخ ووحدة الهدف .

وحين يتحدث عن الطابع الإنساني في أدبهم يراه أدباً يشع بروحانية الشرق ، متطلعاً بروحه إلى المثل العليا في الحياة ، متعاوناً مع قوى الخير لخلق عالم أفضل شأن الأدباء العالميين .

وقد سرد نماذج من أقوال الشعراء والأدباء في كل ظاهرة من هــــذه الظواهر لينتهي إلى القول بأن أدباء المهجر كتبوا شعرهم ونثرهم بهذه الخصائص البارزة ليعرضوه على محكمة التاريخ .

أي أنه ترك للنقاد أن يعالجوا هذا الرأي الذي طرحه والذي ألمع إليه إلماعاً ، لأن النماذج التي عرضها من أدبهم الفلسفي والصوفي والتأملي والقومي لا تروي غليل القارىء ، وقد كنــــا نود أن تكون أوسع وأبلغ وأعمق لتعطي صوراً أوضح .

– ٣ –

لي رأي بالأدب المهجري يندمج بالسؤال التالي ؟

إذا استثنينا قصائد الشوق والحنين ، وهذه ظاهرة لا يستطيع الشاعر أن يتخلى عنها ، ونظرنا نظرة مجردة إلى ما أنتجوه في مختلف النواحي القومية والوجدية والتأملية ، هل نجد فوارق ظاهرة في المضمون والمحتوى بين شعرهم والشعر الذي هجس به شعراء لبنان بعد الحرب العالمية الكبرى ، أو بينه وبين ما نظمه شعراء الأقطار العربية ؟

في المجال القومي هل تختلف قصائد الشاعر القروي عن قصائد الكثيرين من فحول شعرائنا المعاصرين ؟

ولو ظل الشاعر القروي في الوطن يعيش مع أحداثه أكان شعره أقل صياغة وأقل شاعرية ووقدة حماس عن شعره في المهجر ؟

وما نقوله عن الشاعر القروي نقوله عن فرحات وأبي ماضي وشفيق المعلوف وغيرهم .. فلو ظلوا في لبنان أكان مستوى شعرهم في التأملات والوجديات أقل من مستوى شعرهم وهم في المهجر ؟

فحين نقرأ الأدب المهجري لا نجد فيه هذه الانطلاقة التي تنأى به عن الانطلاقة التي حاولها الأدباء المجددون خلال الحربين العالميتين . .

وإذا استثنينا حرارة الوجد ، وجذوة الشوق نحو الأهل والوطن — إذا استثنينا هذه الظاهرة كما قلت — لا نجد أي فرق بين شاعر مهجري وشاعر لبناني في الصياغة والأسلوب ، وفي التعبير عن دفقات الشعور في شتى المجالات والميادين .

فهذا الذي نسميه أدباً مهجرياً هو أدب « لبناني الطابع » أكثر من أن نعتبره أدباً مهجرياً .

والأستاذ صيدح يعطينا في كتابه أكثر من دليل على صحة ما أذهب إليه ، فحين أشار إلى الكتب التي ألّفها أمين الريحاني في المهجر ذكر عدة كتب ألفها في فجر شبابه وهي « تاريخ الثورة الفرنسية » و « المحالفة الثلاثية » و « المكاري والكاهن » و « زنبقة الغور » و « خارج الحريم » وقسم من الريحانيات ...

وقد وقف إنتاجه المهجري عند هذا الحد ، وان كل ما كتبه بعد ذلك سواء باللغة الانكليزية أو العربية فهو خارج المهجر ، وقد بلغ عدد كتبه الانكليزية أحد عشر كتاباً أولها لزوميات المعري ، وعدد الكتب التي أصدرها في أثناء إقامته في الوطن أربعة وعشرين كتابا ، ثم قال :

« إذا قابلنا هذا النتاج الضخم بالكتب التي سميناها ، وجدنا أن نصيب المهجر من أدبه كان ضئيلا لا يجوز لنا اعتباره أدباً مهجريا .

وميخائيل نعيمة ما نصيب المهجر من أدبه ؟

يقول الأستاذ صيدح :

« لكي نحدد حصة المهجر من أدب نعيمة نرجع إلى مادة الكتب التي طبعها في مصر وبيروت وإلى تاريخ صدورها ، فنؤكد أنه بعد أن أصدر في نيويورك مسرحية « الآباء والبنون ١٩١٨ » وكتاب « الغربال ١٩٢٢ » ، حمل إلى الوطن مخطوطات عديدة منها « همس الجنون » و « كان ما كان » و « المراحل » و « مذكرات الأرقش » ، أما الكتب « زاد المعاد » ، « البيادر » ، « لقاء » ، « الأوثان » ، « جبران خليل جبران » ، « في مهب الريح » ، « صوت العالم » ، « النور والديجور » ، « مرداد » ، « دروب » ، « أكابر » ، فلا يدّعيها المهجر » .

نخرج من هذا الاستطراد إلى أن إطلاق « الأدب المهجري » على الأدب الذي أنتجوه في فترات من سني غربتهم ، غير صحيح ، وهو يمتّ بأصوله وفروعه . بمضمونه ومحتواه ، إلى الوطن العربي بصورة عامة ، وإلى لبنان بصورة خاصة .

وكان في وسعنا أن نعتبره أدباً مهجرياً بحق لو أن الجيل الثالث الذي ولد في المهجر ونشأ على حب العربية ، وأخذت جذوة الحنين تعتلج في صدره للتعبير عن هواجسه وأمنياته بآراء وصور عاشت تحت سماء المهجر وتفاعلت مع شتى تياراتها المختلفة ـ لو أعطانا الجيل الثالث أدباً عربي الصياغة ، مهجري الطابع ، يصور هذا القلق الذي يربط بين وطن أجداده والوطن الذي ربطت الأقدار حياته ومستقبله بكل ظاهرة من ظواهره ، لقلنا هذا أدب مهجري بحق .

أما أن يهاجر الكثيرون وهم أدباء وشعراء ، ولبعضهم قصائد وموشحات ، ويقيموا شطراً من عمرهم ثم يعودوا إلى الوطن فيتوالى إنتاجهم ، ولا نجد

ثمة فرقاً ظاهراً بين شعرهم في المهجر وشعرهم في أرض الوطن - أما أن نطلق على أدبهم هذا «أدباً مهجرياً» فهو تخريج غير صحيح ..

فخصائص الأدب المهجري الذي أشار إليها الأستاذ صيدح سواء في ميداني النثر أو الشعر نجد ما يماثلها عند شعراء مصر وسورية ولبنان والعراق، ولم تعرف العربية في أدبنا المعاصر، شاعراً اتخذ طريقةً خاصة التزم بها.

ولنأخذ أي ديوان من دواوين المعاصرين نجد فيه الشعر العاطفي والوصفي والقومي والتأملي سواء في ذلك شعراء الأقطار العربية أو الشعراء الذين اعتبرناهم مهجريين.

يختلفون في الصياغة بعض الاختلاف ويتفقون في المنهج، فليست السنوات التي أمضاها ميخائيل نعيمة في المهجر هي التي جعلت منه هذا الأديب المرموق في عالم الأدب، وللشخروب، ولجبل صنين، وللجوّ العربي الذي عاش في ظلاله، ولتجاوبه مع أحداث وتيارات الفكر العالمي - لجميع ذلك أثره غير المنكور في صقل مواهبه وتفتح ذهنه.

ورحلات الريحاني في الشرق والغرب، وإنتاجه الفكري في شتى المجالات من أدب إلى تاريخ إلى شعر إلى نقد إلى فلسفة هي نتاج الجو العربي الذي عاش في صميمه، لا سماء نيويورك التي ضاق بجوها الخانق، وشعر كأنه بلبل حبس في قفص ضيّق، وما نقوله عن هذين العملاقين - وللموهبة أساس في إبداعها - نقوله عن الكثيرين ممن أرخ الأستاذ صيدح سيرتهم.

اني في كلمتي هذه لا أستطيع أن أغيّر المدلول الصارخ الذي طبع به أدب هذه الزمرة التي هاجرت في سبيل العيش الكريم فكافحت كفاح الأبطال وظلت رغم مرارة الحياة وقساوتها محتفظة في صدرها بهذه الجذوة تشع أدباً أصبح رمزاً لهجرتهم - أقول لا أستطيع أن أغير من مدلوله إلى

اسم آخر ، ولكني أميل إلى القول أنه أدب سوري لبناني الطابع عاش في المهجر فحافظ على روحه وأصالته وشتى ألوانه .

وها هو ذا أديب مهجري كبير يلتقي معي في هذا الاتجاه — فيوضح هذه الفكرة أبلغ توضيح .

يقول الأستاذ جورج حسون معلوف ، وهو من أعلام الأدب العربي ومن أركان العصبة الأندلسية :

« وإذا قلت الأدب العربي في المهجر فاني أعني الأدب عينه في البلاد الناطقة بالعربية ، فهناك أرومته وجرثومته ، وفي المهاجر بعض أغصانه وأثماره ، وما أدباء المهجر إلا شطر من أدباء البلاد العربية » .

وقال :

« وقد لغطت الجرائد آخراً بنهضة مزعومة في المهجر ، وتفاءل البعض بها ، فقالوا إن فيها بعثاً لعصر الأندلس وعوداً إلى أيام غرناطة ، مع أنه لا نهضة أدبية في المهجر ، وما أدباء المهجر وشعراؤه كما قلت وكما يدعون إلا بعض أدباء العربية وشعرائها ، ولا يصح والحالة هذه تسميتهم أدباء المهجر ، والصحيح تسميتهم الأدباء المهاجرين .

كما لا يصح تسمية الشعراء من القافلة الأولى بشعراء الأندلس ، فان شعراءها الحقيقيين هم أولئك الذين ولدوا فيها ، وفيها تلقنوا الأدب ، ونظموا الشعر ، وتفننوا في أساليبه ، وتصرفوا في بحوره .

وسيبقى الأدب في المهجر قسماً مكملاً للأدب في البلاد العربية وصورة له في المرآة ، يرتقي ذاك إذا ارتقى هذا ، وينحط هذا فيحط معه ذاك ، لأن مواليد الناطقين بالعربية في المهجر ما قام قط ولن يقوم منهم أديب عربي لأن العجمة تتغلب عليهم ، وإذا قدرنا فيهم الشاعرية العربية وقد تسربت إليهم

بالإرث ، فانها تتجسم بلغات الأغيار ، وكم بيننا من أديب لامع يلتهب غيرة على العربية وبنيها ولكنه يكتب بلغة البلاد التي ولد فيها من بلدان المهجر »(١) .

وهو رأي له قيمته ودلالته ، نعم ، وقد يصح أن يسمى هذا الأدب أدباً مهجرياً لو أنه نتاج الجيل الثالث ـ كما قلت ـ ، أما وانه نتاج أدباء وشعراء هاجروا في سبيل العيش الكريم وظلوا مرتبطين بالوطن الأم وبجواء الحياة العربية في شتى تفاعلاتها وتياراتها وهم في الأصل أدباء وشعراء فلا نستطيع أن نعتبره « أدباً مهجرياً » والتسمية الصحيحة له هو « أدب عربي في المهجر » .

وما أظن الأستاذ صيدح يجانف هذا الرأي وهو الذي أعطى العالم العربي صورة صادقة عن هذا الأدب ، فكان بحق المؤرخ الأمين لجميع فتراته ولجميع رجالاته من أدباء وشعراء ومفكرين ـ من العباقرة الأفذاذ إلى الموهوبين المغمورين ـ .

سامي الكيالي

❋❋❋

---

(١) مقدمة الأستاذ معلوف لديوان الربيع وهو الجزء الأول من ديوان فرحات ، سان باولو سنة ١٩٣٢ ، ص ٣٥ .

العراق في الشعر العربي والمهجري

تأليف الدكتور محسن جمال الدين

كلية الآداب — جامعة بغداد

كتاب من القطع المتوسط عدد صفحاته (٤٩٤)

طبع في مطبعة الارشاد ـ بغداد

أهدى المؤلف هذا الكتاب إلى مجلة المجمع وهو كتاب قال مؤلفه في مقدمته انه ألفه ليبين « شعور إخواننا العرب نحونا ، أي نحو العراق ، مقتصراً بذلك على العصر الحديث ومختاراً النماذج من شعر البارزين منهم ، والذين اهتموا كثيراً بهذه الناحية ، على أنني لم أبخس الآخرين قدرهم وشعورهم الذي قد عبروا عنه نثراً ، وخطابةً ، ومقالةً ، وكتاباً » .

وأهدى المؤلف كتابه إلى « الوطن الذي رباني صغيراً ، واحتضنني كبيراً ، العراق الأبي » كما أثبت في صفحة أخرى بعد صفحة الإهداء ، أبياتاً لشاعر متقدم هو « ابن المعلم الواسطي » .

لكن الكتاب كما رأيناه يمكن أن يعتبر شكلاً من أشكال المعاجم التي تتناول الشخصيات الأدبية ، ولو أن هذا الكتاب لم يلتزم في وضعه الترتيب الأبجدي ؛ وقد بدأه بالشاعر اللبناني حليم دموس وأنهاه بشاعر من الخليج العربي هو عبد الرحمن بن قاسم المعاودة ؛ ولا نعلم على وجه التحديد الطريقة التي لجأ إليها المؤلف في ترتيب هذه الشخصيات الشعرية ؛ فان الترتيب مفقود فيها ، وحبذا لو جعل شعراء كل بلد على حدة ليسهل على

القارئ مراجعة ما يريد العودة إليه من أبحاث في هذا الكتاب ، فبدوي الجبل السوري وضع إلى جانب محمد محمود الزبيري اليمني ، وعمر أبو ريشة السوري أيضاً جاء ترتيبه إلى جانب شاعر جزائري هو صالح الخرفي .

وهو يقسم الشعراء الذين نظموا شعرهم في موضوعات عراقية قسمة متناسبة مع الروابط التي ربطتهم بالعراق ودفعتهم إلى القول فيـــه ، فمنهم - على حد قول المؤلف - من صاهر العراق وسكنه زمناً ، ومنهم من أحبه ولا زال حبه يسري في دمائه ، ومنهم من وصفه يوم أن كانت له مصلحة مادية معه وغرض في نفسه ونظم ما نظمه بدافع تلك المصلحة وحصوله على ذلك الغرض ، وما إثبات شعره ، إلا كتذكير له على ما أسداه العراق له من نعم وفضل واحتضان وضمان في أيام شدته وزمن حاجته » .

ونحن لا نوافق المؤلف على البحث في كتاب أدبي ، له صفة ثقافية عامة ، في أمور خاصة تتعلق بأشخاص قد يجدون غضاضة في تذكيرهم بما أسداه العراق إليهم ، فالعراق قطر شقيق كريم لا يمنّ ولا يذكر ، والأقطـار العربية أشقاء يحن كل منهم إلى أبناء البلد الشقيق الآخر حين الحاجة ، وما من قطر عربي إلا وقد شارك في هذا الحنان الأخوي ، والوفاء العربي ، فالمنّ في هذا الباب غير وارد ، والتذكير به أمر لا يتعلق بالبحث الأدبي ، والغاية العلمية التي رمى إليها الكتاب .

ومما لفت نظرنا أيضاً أن الصورة المثبتة في الكتاب غير مطابقة لصاحب الصورة ، ولا تشبهه من قريب أو بعيد ، وقد ينكر القارئ أصحاب الصور الذين يعرفهم حين يرى صورهم ، وكنا نفضل لو كانت هذه الصور فوتوغرافية لتكون أقرب إلى الحقيقة بكثير .

أما الأغلاط المطبعية فكثيرة مبثوثة في الكتاب نذكر بعضها على سبيل المثال ، فقد قرأت في الصفحتين ٣٢٦ ، ٣٢٧ وحدها أبياتاً خمسة لبدوي الجبل وجدت فيها غلطتين ، في البيت الثاني ، وفي البيت الثالث . وفي الصفحة (٤٠٤) خطيئة لغوية أيضاً وقعت في عنوان البحث عن الشاعر القروي في قول المؤلف « صوت العروبة الداوي » ولا توجد من هذه الصيغة إلاّ صيغة الـ « مدوّي » لأن الفعل رباعيّ الأصل ، والداوي معناه الكثير وهو غير ما قصد إليه المؤلف .

هذه ملاحظات عنَّت لنا لدى قراءة الكتاب ، وهي لا تمنع من القول بأنه ذو فائدة لا تنكر فقد عرّفنا بكثير من الشعراء الذين لم نسمع بهم إلا قليلاً ولم نقف على آثارهم لحداثة عهدهم بالاتصال بالبلاد العربية الأخرى بسبب ظروف مختلفة ، وفي ذلك خدمة أدبية وعربية مشكورة للمؤلف .

أحمد الجندي

آراء وأنباء

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عالم الجزائر

نعت إلينا الأنباء في ٢٤ أيار ١٩٦٥ العالم الكبير ، والكاتب الأديب الشهير ، الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، رئيس جمعية العلماء في الجزائر ، وأحد أعضاء مجمعنا العلمي العربي ، تغمده المولى برحمته ورضوانه ، وقد كان لنعيه بدمشق رنة أسف وحزن شديدين عند عارفي فضله وأدبه ، إذ كان قضى مدة دعي فيها إلى تدريس اللغة والأدب في تجهيز دمشق ، فكان المجلي في دروسه ، وتخرج عليه عدد وافر ، كان لهم أثر ظاهر في مجتمعنا العربي ، ومنهم الدكتور جميل صليبا زميلنا في المجمع العلمي ، وهو أحد المعجبين بأدب الأستاذ الإبراهيمي ، قال الدكتور : إنا كنا في مدرسة تجهيز دمشق جيد مغتبطين بدروس الأستاذ البشير القيمة التي كانت بعذوبة أسلوبها كالماء الزلال ، بل السحر الحلال ، قال : وكان الأستاذ يملي علينا القصائد الطوال ، لأرقى الشعراء في العصور الذهبية ، ويشرحها شرحاً لغوياً وأدبياً وافيين ، فكنا إذا رجعنا إلى دواوين الشعر وشروحها أخذنا العجب من صحة الرواية للأستاذ ودرايته ، وتحقيقه العلمي والأدبي . وقد انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق عضواً مراسلاً فيه في ١٤ ايلول ١٩٥٤ .

وأقول : كنا نجلس الساعات الطوال ، من ليل أو نهار ، ونحن مقبلون على عالمي تونس والجزائر الشيخ محمد الخضر حسين والشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، وهذان العالمان ينثران على مسامعنا من درر المباحث العالية ، والمطالب الغالية ،

ما يعدّ لباب اللباب ، في كل علم وباب بله الدلالة على الكتب النفيسة ، والنقل عنها بضبط وإتقان والتعليق عليها ، من دون رجوع اليها ، وكنا نشعر أننا أمام دائرة معارف حوت من كل شيء أحلاه وأغلاه .

تلك الأيام كانت غرًّا محجلة في ديار الشام ، ثم طلعت علينا « البصائر » من عاصمة الجزائر ، فأسمعت العالمَين الشرقي والغربي صوتها العالي المرفوع ، ففي أرض الجزائر غرست شجرة الإصلاح الديني والمدني بيد جمعية العلماء الأجلاء ، فأزهرت وأينعت ، ومن سمائها سطعت شمسه فأضاءت وعمّت ، ومن بين جوانحها سمعت صيحة الحق ، فأيقظت الراقد ، وحركت الجامد ، وزلزلت أقدام المستبد الطامع ، فوقف حيران لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا .

مضى العصر الذي كان فيه معظم علماء الدين لا يلتفتون لشيء خارج مساجدهم ومعاهدهم ، وجاء اليوم الذي يتولون فيه قيادة الأمة في بلادهم . حسب الجزائريين مجداً وفخاراً أن يكون منهم الإمام الأول للنهضة الإصلاحية الجزائرية الشيخ عبد الحميد بن باديس تغمده المولى برضوانه ، والإمام الثاني لهذه النهضة المباركة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي يحق للشام أن تفاخر به كما تفاخر بأبنائها المخلصين ، وأن تشكر له بيض أياديه كما تشكر له الجزائر حسن صنيعه .

أكان للناس عجباً أن يروا جمعية العلماء الأبطال ، يتقدمون صفوف الرجال الأحرار ، مجاهدين في سبيل استرداد الحق المغصوب ، ورفع شأن الوطن المحبوب ؟ إن تعجب فعجب قول بعض المتفرنجين يجب أن يبقى الدين محصوراً في المساجد ، ويعدّ ذلك بعض الجامدين قضية مسلّمة فإذا دعي إلى المشاركة في عمل إصلاحي — كعمل جمعيـــة العلماء — يجب التعاون فيه ، قال :

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ! » آهِ ما أشد قسوة الاستعمار الأوربي على الوطن العربي : هاجمه في الدين فاستضعف طائفة من أبنائه فسخرهم لمحاربته ، وفي الجنس ففرق بين أبناء الدين الواحد باسم الجنس والعنصر وأغرى بعضهم ببعضهم ، وفي اللغة التي وسعت كتاب الله علماً وحكمة — كما قال حافظ إبراهيم — فجعل فريقاً من أبنائها لا يقيم لها وزناً ، ولا يرفع بها رأساً ، وفي العلم فاجتاح أسفاره وملأ بها خزائنه ، وفي الآثار والعاديات فاستخرج منها كنوزه وملأ بها متاحفه ، وفي الوطن فجعله بين دوله نهباً مقسما . من أجل ذلك كله قام الشرق على اختلاف ملله ونحله ، يثأر لنفسه ، ويطالب بحقه ، ولمّا كان من سنن الله تعالى أن ينصر الحق على الباطل إذا هب أهله لنصره ، رجونا أن تكون كَرّة الحق رابحة ، وكفة الباطل خاسرة ، تحقيقاً لقوله عز شأنه « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » رحم الله الفقيد الكبير ، وعوض العرب والمسلمين عنه خيرا ، لا سيما أسرة « البصائر » وجمعية العلماء الأجلاء ، وأفضل ما يقوله الصابرون « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

محمد بهجة البيطار

ظهور نسخة ثانية
من كتاب الإتباع لأبي الطيب اللغوي
في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية

كنا عثرنا في خزانة آل عابدين بدمشق على مجموعة لغوية مخطوطة تشتمل على كتاب المثنى وعلى كتاب الإبدال وكتاب الإتباع ، والكتب الثلاثة للإمام أبي الطيب اللغوي ، وبعد مراجعة فهارس دور الكتب والإحفاء في سؤال المختصين بمعرفة المخطوطات كالأستاذ عبد العزيز الميمني والشيخ راغب الطباخ عرفنا أن هذه الكتب فرائد ليس لها في الخزائن توائم ، ونشرنا في مجلة المجمع العلمي العربي كلمة للعلماء ليبحثوا للمجمع عن نسخ ثانية لنسخ هذه المجموعة المخطوطة لأنا عازمون على نشرها ، ثم مضى على ذلك السؤال سنون كثيرة بدون جواب .

وكان كل ذلك قبل أن توجد جمعية اليونسكو ، وقبل إنشاء معهد المخطوطات وجامعة الدول العربية ، ثم شرعنا سنة ١٩٦٠ في تحقيقها ونشرها المجمع العلمي تباعاً ، ولم ندر يومئذٍ بأن معهد المخطوطات المنقب عن تراث أجدادنا قد حصل على نسخة كاملة من كتاب الإتباع ضمن المجموعة التي صورتها وحدة اليونسكو من الرباط ، وقد حملت الحمية العلمية الأستاذ السيد توفيق البكري مدير معهد المخطوطات على إرسال نسخة مصورة من كتاب الإتباع للمجمع العلمي الذي يشكر السيد البكريّ على أريحيته هذه أطيب الشكر .

ونسختنا الدمشقية بخط نسخي جميل وصحيحة الإعراب والشكل ، ونسخة المعهد الرباطية بخط مغربي دقيق وغير مشكولة ، وبذلك تكون نسختنا أجمل خطّاً وأصح نصّاً وضبطاً ، ففي النسخة الرباطية بعض جمل ناقصة ، ولكنها تمتاز بكمال خطبتها ، التي ليس منهـــا في مخطوطتنا إلا الثلث الأخير ، فحمدنا الله على إكمال نسختنا بقيه خطبتها المهمة ، لأن خطب الكتب تدل على آراء مؤلفيها ، ونحن الآن ننشر هذه الخطبة كاملة ليُغنى بنسخها من اقتنى نسخة من إتباعنا ليتمم بها خطبته المبتورة من أولها ، وتلك هي الخطبـــة بكمالها وجمالها :

بســـــــــمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين ، وصلى الله على سيد المرسلين ، وإمام المتقين وخاتم النبيـــين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وذريته المنتجبين ، وعترته الهادين المهديين وسلم كثيرا .

قال عبد الواحد عليّ : هذا كتاب الإتباع والتوكيد دعانا إلى تأليفه إغفـــال سلفنا إفراد كتاب فيها ، شافٍ في استيعابها وتقصّيها ، مع كثرة استعمال العرب لها ، واستعانتهم في الكلام بها ، حتى قال بعضهم ، وقد سُئل عن كلمـــةٍ في الإتباع ما معناها ؟ فقال : شيءٌ نَتِدُ به كلامنا ونقوّيه ونثبّته ، يقال : وَتدتُ الوَتِد أتِدُه وَتْداً إذا أثبتّه في حائطٍ أو أرضٍ ، فأنا واتد وهو موتود ، والواتد أيضاً المنتصب الثابتُ قال أبو دواد الإياديّ يصف بقرةً وحشيةً :

وبدت لنـــا أذُنٌ تَوجّـــسُ حرّةٌ وأحَمُّ واتِدْ

يعني قرنها ؛ وإنّما قرنّا الاتباع بالتوكيد لأن أهل اللغة اختلفوا ، فبعضٌ جعلوهما واحداً ، وأكثرهم اختاروا الفرق بينها ، فجعلوا (الاتباع) ما لا تدخل عليه الواو نحو قولهم عَطشان نَطشان ، وشيطان ليطــان ، و (التوكيد) ما دخل عليه الواو نحو قولهم : هو في حِلٍّ وبِلٍّ ، وأخذ في كلّ فن وفَنَن [1] ، ونحن بحمد الله نذهب إلى أن الاتباعَ ما لم يختص به بمعنىً يمكن إفرادُه به ، والتوكيد ما اختصّ بمعنىً وجاز إفرادُه ، والدليل على صحة [قولنا الخ من تتمة خطبة كتاب الإتباع الذي نشرناه] .

عز الدين التنوخي



(١) الفَنَن الفرع والغصن أو ما تشعّب منه ويجمع على أفنان ، والفن على فنون .

آراء واستفتاء

قد يكون مصاب العربية بأبنائها
أكبر من مشكلتهم بها

لا أدري لماذا نعقّد ـ نحن العرب ـ قضايا لغتنا بلا سبب ، وهو شيء لا يفعله غيرنا من سائر أبناء اللغات ، في شرق هذا العالم وغربه .

فأحياناً نريد تسهيل القواعد ، وقد يكون في ذلك شيء من الفائدة ، لو أن التسهيل وقف عند حد مقبول معقول . ولكنه كثيراً ما يتجاوز حده ، فنقع في شر مما هربنا منه .

وتارة ، نريد أن نسهل الإملاء ، وهو إملاء سهل هيّن ، مبني على أصولٍ وقواعدَ ، ليس عند الأمم كافة شيء من مثله : سهولة ووضوحاً ، وقد ضربنا غير مرة الأمثال على ما عند غيرنا من صعوبات في إملاآتهم ، وعلى رضائهم بما عندهم ، حرمةً للغاتهم ، وحفاظاً على قدسيتها ووحدتها .

وطوراً نريد أن نخضع لغتنا إلى غيرها من اللغات ، فنحاول أن نزيد حروفاً على ما عندنا من الحروف ، ليستقيم لنا لفظ الكلمات الأعجميـــة ـ ولا سيما الأعلام ـ كما يلفظها أصحابها ، وليس في الأمم من يفعل هذا . فحروفنا الحلقية ـ وأكثرها لا يستطيع غربي أن يتلفظ بها ـ فما سمعنا أنه قام عندهم أحد يدعو إلى إحداث حروف جديدة معينة على التلفظ بكلماتنا . فإذا قيل : إننّا في حاجة إليهم ، فوق حاجتهم إلينا ؟ قلنا : لا ! . فالحاجات من لغوية ومعاشية واجتماعية ـ ولا سيما في يومنا هذا ـ متبادلة بيننا وبينهم على قدم المساواة .

إذا اختل ميزان الحاجة ، بأن شالت كفته عندنا من ناحية ، رجحت من أخرى . فعلامَ لا يفعلون فعلنا ، وحتامَ لا نفعل فعلهم . ذلك لما رُكِّب في نفوسنا من ضعف ، واستقر فيها من استسلام حتى في المجال اللغوي .

★ ★ ★

ثم إذا حاول مجمع من المجامع اللغوية ، أو قام لغوي من الثقات الذين يُطمأن إلى علمهم ، ويستأنس برأيهم ، فوضع لمعنى من المعاني المستحدثة ، لفظاً يليق به ، أخذاً من دواوين اللغة ، على الحقيقة أو المجاز ، أو الاستعارة أو الاشتقاق ، انبرى له من يناقشه في جزئيات ودقائق ، قد لا يكون في كثير من الأحيان من طائل تحتها .

فكأنهم يريدون أن تكون اللفظة وفاق المعنى ، كأنها موضوعة في أصلها له ، مفصَّلة على قدره ، لا تزيد عليه ولا تنقص عنه . وهذا شيء لا ينطبق على لغة من لغات العالم . وقد يكون من اللائق أن نذكر في هذا المجال بعض ألفاظ وضعها الأجانب في لغاتهم للدلالة على معان ، بَعُد ما بين حقيقة معناها ، وما وُضعت له بعداً كبيراً . ومع هذا فقد ارتضوها ، وأحلّوها في معجماتهم .

من ذلك :

١ — انسيكلوبيديا (Encyclopedie) ومعناها الحرفي (في الدائرة) ثم انتقلت إلى معنى (التربية الكاملة) فأين هذا الاسم من ذاك المسمى ؟ وقد كان البستاني يوم وضع معلمته ، حاول أن يسميها (الكوثر) لخيل بينه وبين هذه التسمية ، فأطلق عليها (دائرة المعارف) فكان في تسميته هذه ، أكثر توفيقاً ممن سمى أول ما سمّى كتابه بـ (انسيكلوبيديا) .

٢ — أكاديمية (Academie) وهذه لفظة قد تكون أكثر غرابة من سابقتها ، وأشد بعداً مما وضعت له . فالأكاديمية : حديقة في ضواحي أثينا كان يختلف إليها الفيلسوف أفلاطون فيجتمع فيها بتلاميذه ، يدرسهم الفلسفة . فأطلق من ثم اسم هذه الحديقة على جماعة تعمل للعلوم .

٣ — كنديدا (Candidat) يغلب أن تطلق هذه اللفظة على من يطلب عملاً ، أو يترشح له . ومعناها الحقيقي (أبيض) ذلك أن الذين كانوا يرشحون أنفسهم لعمل أو لانتخاب في رومية كانوا يلبسون أبيض [1] .

٤ — بنطلون (Pantalon) هذا اللباس الذي لا نعرف ماذا نطلق عليه ؟ قال بعضنا (سروال أو سراويل) وقال بعضنا الآخر لا بأس من تعريبه بلفظه في صيغة عربية كأن يقال مثلاً (بنطال) . وبنطلون في الأصل اسم رجل إيطالي من أهل البندقية يقال له السنيور (بنطلوني) . جاء باريس في عهد لويس الثالث عشر يمثل على ملاعبها ، وهو في زي بلاده ، يلبس السراويلات الطويلات ، في حين كان الافرنسيون يلبسون السراويلات القصيرات ، أو التبابين . فقلدوه في لباسه . وتسمَّى هذا اللباس باسمه . وكان أول من لبسه منهم الجند . ثم عمَّ . فلبسه الأهلون بعد ثورة سنة ١٧٨٩ .

٥ — الغيوتين (Guillotine) وضع المعربون لها المِقصلة (من قصل أي قطع) وهي آلة كانت تستعمل لقطع الرؤوس . والكلمة مأخوذة من (غيوتين) اسم طبيب افرنسي اخترع هذه الآلة . وشقوا منها فعلاً فقالوا (Guillotiner) ثم تصرفوا بالفعل فكان منه اسم وصفة .

(١) ولم يبق من المعنى الحقيقي لمادة (Candidat) سوى (Candide) تطلق على الرجل (أبيض القلب) . (سليم الطوية) . أو هو الخُدَعة بضم فسكون . وهو الذي يُخدع .

٦ — بيرو (Bureau) ترجمت إلى العربية بمعنى مكتب ، وهي منضدة ذات ادراج . ثم استعيرت للغرفة يوضع فيها هذا المكتب ، ثم لغرفة الأعمال ، فغرف الوزارات ، فغرف الاجتماعات ، إلى غير ذلك مما يطول شرحه . أما (البيرو) بمعناه الوضعي ، فهو قطعة من الصوف الغليظ .

٧ — البيده (Bidet) هو الحصان الصغير (وقد يكون النغل) استعاروها للمرحاضة يُقعد عليها . فأين هذا المعنى من هذا الاستعمال ؟

٨ — بوده (Baudet) ومعناهـا الحمار استعاروها لصقالة من خشب أو حديد ذات أرجل ترفع عليها الألواح . ومن غريب الاتفاق أن العرب استعملوا هذا اللفظ نفسه ، لهذا المعنى نفسه . واستثقلت العامة هذا الاستعمال فحوّلت الحمار إلى الجحش . وأحسنت إذ هو أقرب في وضعه وعلوه إلى الجحش منه إلى الحمار . ويقول العلامة أحمد رضا العاملي رحمه الله في هذه اللفظة ، (وهل الجحش إلا ابن الحمار) .

٩ — البرلمان (Parlément) لفظة غريبة الوضع ، غريبة الاشتقاق ، أخذت من (Parler) على غير قياس . وشقوا منها فعل فقالوا (Parlementer) وقد يكون الانكليز أول من استعملهـا .

١٠ – لونات (Lunettes) ومعناها قُميريات . استعملوها لهذه الزجاجات التي تكبر المرئيات لشبه في الاستدارة ليس غير . على ما بين (القمر) أو (البدر) وبين هذه الآلة من فرق .

أما العامة عندنا ، فقد استعملت لهذه الأداة المكبرة للأشياء ، والمساعدة للعين على النظر (العوينات) . وهو استعمال موفق . إلاّ أن الخاصة انتقدت هذا الاستعمال بأنه خطأ وأنه كان يجب أن يقال : « العيينات » لا « العوينات » . وكأن العامة استثقلت أن تجمع بين يائين متعاقبتين فأبدلت بالواو الأولى ياء . وهذا ما كانت تفعله العرب قديماً . فلم تقل في تصغير (واصل) (وويصل)

بل قالت (أويصل) . كما قالت (الدُجية) وهي الظلمة ، بدلاً من (الدجوة) و (الدجية) واوية في أصلها ، كما هو معلوم . وقال الرسول (ﷺ) في كتـابه إلى هرقل : أدعوك (بدعاية) الإسلام : أي بدعوته ، وهي الرواية الراجحة . ولم يقل (بدعاوة) الإسلام . كما قالوا (تُخَمة) من (وخم) و (ترات) و (ورت) .

١١ — سندويش (Sandwich) سموا بها هذه اللقمة العجلاء التي يأكلها المسرع . وسندويش في أصلها اسم لمجموعة من جزائر الاتلنتيك نُسب إليها رجل كان يقامر ويستعمل هذه (الشطائر) كي لا يفارق مائدة القمار . والشطائر جمع شطيرة ، وزن فطائر وفطيرة ، أفضل ما يستعمل للفظ السندويش . وقد يكون الزميل العز التنوخي نائب رئيس المجمع العلمي أول من استعملها .

هذا شيء يسير من تحويل الألفاظ عن معانيها الحقيقية إلى معانٍ (مجازية) حتى انتهى الأمر بأن تُنوسي المعنى الحقيقي في كثير من الأحيان ، وقام مقامه المعنى المجازي .

هذا ما جرى ويجري عند سائر الأمم . وهو ما جرى عليه العرب من قبل ، ولا بد لنا « اليوم » من أن نتبع هذه الخطوات ، على أن تقر المجامع العلمية ، ما عسى أن يضعه الأفراد من ألفاظ ، بعد دراسة وتمحيص .

عارف النكدي

تحقيق حول لفظتي
المرافد والمشادّ

قرأت في الجزء الثامن من المجلد الأربعين ـ نيسان سنة ١٩٦٥ ـ من مجلة المجمع العلمي العربي مقالاً طيباً للأخ الصديق الأستاذ ظافر القاسمي تحت عنوان « مصطلحات شدياقية » عني فيه صاحبه بإيراد عشرات وعشرات من الألفاظ التي استعملها الشيخ أحمد فارس الشدياق لأول مرة في كتابيه الطريفين : « الواسطة ، في معرفة أحوال مالطة » . « وكشف المخبا ، عن فنون أوربا » .

وقد كان جميلاً من صديقنا القاسمي ، ابن المفسر ، وحفيد المحدّث ، أن يستنبط الطرق التي سلكها الشدياق في بعث المفردات والمصطلحات التي سبق بها أعلام النهضة في القرن التاسع عشر ، كما كان جميلاً أن يتتبع تلك المفردات على سبيل تكاد تكون أقرب إلى الحصر وَفْق ورودها متتابعة في الكتابين ، فانه بذلك قد كشف لنا عن فضل الشيخ أحمد فارس في حركة الترجمة والتعريب لألفاظ الحضارة الحديثة ، وفي بعث ألفاظ عربية ، كانت خبيئة في المعجم العربي ، تقابل المصطلحات الأعجمية .

والحق أن عمل الشيخ أحمد فارس الشدياق في هذا المجال اللغوي التعبيري شبيه بعمل الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي الذي يتجلى واضحاً في كتاب رحلته المشهور « تخليص الإبريز ، إلى تلخيص باريز » ، والذي كان سابقاً على عمل الشدياق في رحلتيه إلى مالطة وأوربا .

ولسنا الآن بسبيل الموازنة بين الرجلين ، فقد كانا في مجال وضع مصطلحات الحضارة الحديثة فرسي رهان ، وإنما أردت أن أذكر ـ من باب التلازم

أو تداعي المعاني ـ ما يقتضيه الإنصاف لعلمين من أعلام نهضتنا الحديثة تعاصرا ، وتقابلا ، وحررا في « الوقائع المصرية » . وأعجب كل منهما بصاحبه وشق كل منهما في الحياة طريق الإمامة ؛ فالطهطاوي إمام النهضة الفكرية ، والشدياق إمام النهضة اللغوية .

وإني لأتمنى على الصديق القاسمي أن يتبع الفضل بفضل ، فيكتب لنا مقالاً آخر عن « مصطلحات طهطاوية » يتتبع فيه الألفاظ والمصطلحات الكثيرة التي وضعها الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي ، سواء في إبريزه أم في كتبه الأخرى ، فانه سيتحف قراء مجلة المجمع العلمي العربي بحصيلة عظيمة من المفردات والمصطلحات التي سلك فيها مسلك التعريب حيناً ، والترجمة أحيانا . وإني على ثقة أننا سنخرج من قراءة المقالين ـ بعد استجابة القاسمي الكريم لرجائنا ـ بمقارنات ذات قيمة في حركة الترجمة والتعريب في النصف الأول من القرن الماضي ...

فقد ماتت مثلاً عبارة « التذاكر اليومية [١] » التي وضعها الشيخ رفاعة في مقابل لفظة « Journeaux » الفرنسية ، وبقيت ـ أو بقي شطر ـ عبارة : « صحيفة [٢] الأخبار » التي وضعها الشيخ فارس الشدياق .

وماتت عبارة « خزائن المستغربات [٣] » التي وضعها رفاعة الطهطاوي في مقابل لفظ (Le Musée) الفرنسية ، وعاشت لفظة « مُتْحَف » [٤] التي وضعها الشدياق بدلاً منها .

(١) انظر تخليص الابريز ص ١٤٤ .
(٢) انظر كشف المخبا ، عن فنون أوربا ص ١٦٢ .
(٣) انظر تخليص الابريز ص ١٣٥ .
(٤) انظر كشف المخبا ص ٢١٥ .

وستوضح لنا المقابلة بين فارس الشدياق ورفاعة الطهطاوي ـ لو أنّ لنا ما تمنيناه على الأستاذ ظافر القاسمي ـ كيف كان الشدياق يؤثر ترجمة المصطلحات على تعريبها حين يكون له في الترجمة منادح ، على حين كان الشيخ رفاعة يميل كثيراً إلى تعريب اللفظة الأعجمية ـ أعني الأجنبية ـ بما يكاد يقرب من لفظها الأجنبي . فالطهطاوي يستعمل كلمة « فاميلة » تعريباً للفظة Famille الفرنسية ، مع أن كلمة « أسرة » هي المقابل العربي الفصيح لها . وكثيراً ما كان يُدخل الشيخ رفاعة هذه الألفاظ المعربة في شعره ، كقوله :

ومذ زهت الأفراح قلت مؤرخاً بهيج العلا تأهيل « فاميلة » الملك (١)

وكقوله في القصيدة نفسها يصف « البال » التي عربها عن لفظة Bal الفرنسية بمعنى محل الرقص :

وملعب « بال » بالحسان منعم عيون غوانيه تغازل بالفتك

وقد ظلت لفظة « البال » مستعملة بعد الطهطاوي بعشرات من السنين ، وآثر الشاعر أحمد شوقي أن يستخدمها في عنوان لقصيدته « أثر البال في البال » التي نظمها في وصف ليلة راقصة بقصر عابدين ...

ولم يكن الشيخ رفاعة وحده مؤثراً للتعريب على الترجمة ، فمن مأثورات فارس الشدياق ألفاظ معربة غير قليلة كاستعمال لفظة « هسبيتاليتي » بمعنى قرى الضيف ، و « طوست » تعريباً لكلمة Toast الانجليزية ، و « بنك » وإن كان ترجمه بعد ذلك بكلمة « مصرف » .

ولقد لفت نظري في مقال الأستاذ ظافر القاسمي أنه وقف عند لفظة « المرافد » التي استعملها الشدياق مشيراً إلى قلة استعمالها في عهده لقلة

---

(١) انظر كتاب « الكواكب النيرة » لرفاعة الطهطاوي ، طبع بولاق سنة ١٢٨٩ هـ .

استعمال السوالف المجعدة . وعلق القاسمي على لفظة « المرافد » بقوله : (ولعل من عنده علمها يعلمنا) .

ويسعدني أن أقول هنا لا متعالماً على الصديق العالم الذي نماه الله إلى نبعة العلم الأصيل ، بل مستذكراً معه بعض قراءاتي من مؤلفات أحمد فارس الشدياق أن الرجل استعمل كلمة « المرافد » ـ في كتابه الساق على الساق ـ لكل ما تعظم ، أو تضخم به المرأة عجيزتها جذباً لعيون الرجال .... وللشدياق في هذا المجال كلام من إحماضه الذي لا يليق ذكره هنا ، ولعل الرجوع إليه في موضعه من الساق على الساق أولى ، فهو هناك في صفحة ١٩٩ من الطبعة المصرية .

وقد أورد الشدياق للمرافد بضعة من المترادفات ، منها الزناجب ، والمنافج ، والرفائع ، والغلائل ، والمرافق ، والعُظّامات ، والحشايا ، والأضاخيم ، والمصادغ .

أما الزناجب ـ بالزاي المعجمة والنون والجيم والباء الموحدة التحتية ـ فجمع (زنجبة) وهي : العُظّامة ـ بالعين المضمومة والظاء المعجمة المشددة ـ كما جاء في القاموس المحيط باب الباء فصل الزاي .

وأما المنافج ، فهي العُظّامات أيضاً ، وامرأة نُفُج الحقيبة ضخمة الأرداف . ولم أهتد إلى مفرد المنافج ، وقد أوردها الفيروزابادي على صيغة الجمع ، ولم يشر إلى مفردها . ولكن « المعجم الوسيط » ذكر أن مفردها : مِنفج ، ومِنفجة ـ بكسر الميم في الحالين ـ وعرّفها بأنها ما تعظم به المرأة عجيزتها .

أما الرفائع فهي جمع رفاعة ، وقد ذكرها صاحب « المخصص » في باب « لباس النساء وثيابهن » . وفي القاموس المحيط ان (الرفاعة ، ككتابة ، ويُضم : العُظّامة) .

والغلائل جمـــع غلالة ـ ككتابة ـ وهي : العُظَّامة ، كما ورد في القاموس المحيط .

والمرافق جمع مِرفقة ـ بكسر الميم ـ وهي : المخدة ، ولم أجد نصاً على تخصيصها بالعظامات إلا عند فارس الشدياق ، ولعله استعملها على سبيل المقاربة لأن العظّامة لا تعدو أن تكون مخدة ، أو حَشِيَّةً تعظم بها المرأة عجيزتها . ومن هنا استعمل الشدياق أيضاً كلمة « حشية » وجمعها : حشايا ، للعظّامة ولكنه جاء بها من القاموس المحيط الذي نصَّ على أن الحشية : « مرفقة ، أو مصدغة تعظم بها المرأة بدنها أو عجيزتها » . ومن هنا أيضاً كان الشدياق على حق حين جعل المرفقة مقابلة للمرفد وللعظامة . وإن كان هذا المعنى لم يرد في القاموس المحيط في مادة « رفق » ، ولكنه جاء في غير مظنته ، أي في مادة : حشا .

ولقد فات الشدياق ـ وهو الذي كان يحفظ القاموس المحيط عن ظهر قلب ـ أن يشير أيضاً إلى أن لفظ « المحشى » ـ بكسر الميم وفتح الشين ـ هو من مرادفات المرفد .

أما المصادغ فجمع مِصدغة ـ بكسر الميم ـ على وزن مكنسة ، وهي : المخدة ، كما جاء عند الفيروزابادي مادة « صدغ » ، ولكن النص على تخصيصها بما تعظم به المرأة عجيزتها جاء في مادة : حشا ، كما جاءت لفظة الرفقة ، كما سلف القول .

أما الأضاخيم فجمع : أضخومة بالضم ، وهي عُظّامة المرأة ، كما جاء في القاموس ، وقد فات الشدياق مرادفات أُخر لمرفد المرأة ، وقد جاء بها ابن سيده في المخصص ، وهي : العُظمة ، بضم العين ، والعِظامة بكسر العين وتخفيف الظاء ، والعظيمة ، والإعظامة ـ وجمعها : أعاظيم ، والعِجازة بكسر العين ، والإعجازة .

وبهذه المناسبة جاء في الجزء الثالث من مجلة المجمع العلمي العربي بحث مفيد تحت عنوان « مصطلحات جدد لكلمات إفرنجية » ، بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين الكواكبي . وقد ترجم فيه لفظة (Corset) بلفظة : أضخومة ، أو أعظومة . وفسره بأنه « عظامة المرأة ، أي ما تعظم به عجيزتها » ، وليس الكورسيه لإعظام العجيزة ، ولكنه لضم الأرداف واعتصار لحمها ... فهو لعمل آخر غير ما صنعت من أجله المرافد والأضاخيم . والحق أنهما عملان متضادان ... وقد كانت لجنة المجلة ـ حفظها الله ـ على حق حين علقت على ترجمة الأستاذ الكواكبي وتعريفه ، بما أقرت به الأمر في نصابه . فهو تعليق جدير بالإشارة إليه ، والثناء عليه .

محمد عبد الغني حسن



أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

– ٧ –

(٦٩)

في الكلام على حرفي الهجاء الطاء والظاء قال : وتكون الطاء أصلاً أو بدلاً [لا يقدّم مثالاً ولكنه يعني أمثال اطَّيَّرَ من تطيَّر أبدل من التاء طاء وأدغمت في الطاء التي بعدها وزيدت همزة الوصل لدفع الابتداء بالساكن] وقال الظاء لا تكون بدلاً ، [والصحيح أنها تكون فاظّلّم من تظلّم مثل اطّيّر من تطيّر – الظاء بدل من التاء .] .

وفي مادة حثّ يقول ا ن ت د ط ظ الخ من حروف البدل .

★ ★ ★

(٧٠)

مادّة ف ض ل — فضيل

في ثلاث صفحات فيها تكرير كثير لا يذكر لفظة فضيل ومعناها ذو الفضل ، مع أنها واردة في شعر الأعشى ورواها المبرّد في الكامل . وهي فعيل بمعنى الفاعل :

وعلمتُ أنّ النفس تلقى حتفها ما كان خالقُها الفضيلُ قضى لها

★ ★ ★

(٧١)

مادّة ض ر ب

أورد شاهداً على ضريب بمعنى الشَّهْد :

تَدِبّ حُمَيّا الكاس فيهم إذا انتشَوا … دبيبَ الدُّجى وَسْطَ الضريب المعسَّلِ

لا بُدَّ لنا من التخمين لكي نعرف كيف وقع الحيف على ابن منظور فالأرجح أن الكلمة التي يجب أن تكون مكان الدجى لم تكن واضحة فأنعم الناشر نظرَهُ فيها وقال « لفظة ثلاثية أوّلها د وآخرها ي » وأخذ يعدّ من الهمزة إلى الياء فبدت لهُ ثلاث كلمات دُجى دُمى دُنى فقال الدنى لا تدب والدمى لا تدب أما الظلام فإنّهُ يدبّ فجاءَ في البيتِ « دبيبَ الدُّجى » أي سورة الشراب تدِبّ في الشاربين كما يدِبّ الظلام وسطَ العَسَل . ولو خطر ببالِهِ أنّ النمل يُقال لهُ الدَّبَى ما ظلم ابن منظورٍ هذا الظلم .

★ ★ ★

(٧٢)

مادّة ضرب وسفق — سفيقة ، ضريبة .

لا يذكر سفيقة ولا ضريبة بمعنى القطعة الطويلة الرقيقة ، والقاموس ذكر سفيقة في س ف ق وذكر ضريبة في تفسير سفيقة ولكنه لم يذكرها في بابها . قال المجد : السفيقة الضريبة الدقيقة الطويلة من الذهب والفضة ونحوها .

★ ★ ★

(٧٣)

قال : جثم وقع على صدرهِ واستشهد بأبي النجم « إذا الكماةُ جثموا على الرُّكَب » .

فما معنى هذه الشهادة ؟ الخطأ هنا في الترتيب فالشاهد وجب أن يؤتى بهِ بعد الجملة السابقة .

★ ★ ★

(٧٤)

مادّة ودق — استودق .

لا يذكر لفعل استودق إلاّ معنى واحد : استودقت الناقة اشتهت الفحل . على أنه يستعمل هذا الفعل في تفسير (اجتمل) بمعنىً آخر . قال الاجتمال أنْ تشوي لحماً فكلّما وكَفَتْ إهالتُه استودقتَه على خبزٍ ثم أعَدْتَه (إلى النار) ومعنى استودقتَه وكّفتَه أي جعلتَه يقطر .

وفعل (وكّفْتَه) لا يذكره اللسان في مادّة وكف ، بهذا المعنى بل يقول وكّف الدابة وضع عليها الوِكاف ، ووكّف الوِكاف عملَه . والمجد لم يذكر غير هذا ، لذلك لا نرى المعنى الآخر في الذين نقلوا عنها . على أنّ ابن منظور استعمل هذا الفعل بهذا المعنى في تفسيره « الجميل » . قال : « الجميل الشحم يُذاب فكلّما قطر وُكِّفَ على الخبز ثمَّ أُعيد » . [وُكّف بضم الواو رباعي مبني للمجهول الفاعل] .

★ ★ ★

(٧٥)

مادّة ج ث م .

روى المبرّد للأعشى : « أبَوْا غيرَ ضرب يُجْثِم الهامَ وَقْعُه » .

الأعشى موضع ثقة اللسان أي أن صاحب اللسان والذين أخذ عنهم كانوا يتخذون الأعشى حجةً ـ والمبرّد من الذين يذكرهم اللسان بقوله قال المبرّد . والبيت ليس فيه شذوذ . ومع هذا لا يذكر أجْثَمَ (بزيادة الهمزة لتعدية (جثم) مثل جلس وأجلس ووقع وأوقع الخ .) .

★ ★ ★

(٧٦)

مادّة ح ث ث — أحَثَّ .

يذكر احتث واستحث وحثّثَ ولا يذكر أحَثَّ ـ الفيروزابادي

ذكرَهُ ، والمبرّد ذكرَهُ في بيت للبَهْراني :

إذا ما حُدِينَ بمدح الأمير   سبقنَ لحاظ المُحِثّ العَجِلْ

والبَهراني من الذين استشهد بهم اللسان وفسّرَ شعرهم ـ انظر س ف ه .

★ ★ ★

(٧٧)

مادّة ع ق ل — عُقْلة .

قال : « لفلان عُقْلة يعقِل بها الناس يعني أنّه إذا صارعهم عقَلَ أرجلهم وهو الشّغزبيّة [ولكي يُفهم قصدُهُ يجب أن يُرَدّ القارئ إلى ما سبق صرعَهُ الشغزبيةَ وهو أن يلوي رجلَهُ على رجلِهِ » .

وقال أيضاً : « ويُقال بهِ عُقْلة من السحر وقد عُمِلَت لهُ نُشْرة » ـ ولا يفسّر لأنّ الطالب يَستْنتج ـ هذا ما قاله عن العُقلة . ولكنّهُ ذكر معنىً آخر لهذه اللفظة في تفسيره حُبْسَة ـ قال هناك « العُقْلة التواء في اللسان عند إرادة الكلام » تفسير صحيح ساعد على إفهـــام معنى حُبْسة ولكن الواجب كان أن يُذكر أيضاً في مادّة ع ق ل .

وفي بداية هذه المادّة قال : العَقْل الحِجْر والنُّهى ضِدّ الحُمْق .

(١) العقل ضدّ الحمق وغير الحُمْق كالفَكّ والجهل .

(٢) العَقْلُ ، مصدراً ، ضدّ الحمق لأنّ الحُمْق مصدر حَمِق : مصدر يقابل مصدراً ولكن العقل بمعنى الحِجْر [اللّب لإمساكِهِ ومنعِهِ وإحاطتهِ بالتمييز.] .

والنُّهى [أي الألباب] ليس ضدّ الحمق ـ لأن الحِجْر والنهى من قُوى الإنسان الروحية أو من وظائف النفس أو قُلْ ما شئت ولكن لا الحِجْر مصدر ولا النّهى بدليل أن النُّهى جمع وأن الحِجر يُجمع ، ولكن الحمق لا يجمع لأنّهُ مصدر . فالخطأ هنا من عدم التدقيق في التعبير والمعجم لا يجوز أن يكون فيه إخلال بدقة التفسير .

يتبع :   (سنپولو)   **توفيق داود قربان**

تصويبات الجزء الأول والثاني من المجلد (٤١)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٦	٤	لدى الفقهاء	لدى النقّاد
٢٦	٩	صلة تشريف	صفة تشريف
٢٧	١٠	بأكثر المقصورة	بأكثر المقصور
٣٤	٥	أن يختاطوا	أن يحتاطوا
٣٤	٢١	بمقام الأسف	مقام الأسف
٣٩	٤	في قول الشعر	إلى قول الشعر
١١٩	١٨	الجزئيات	الجزيئات
١٢٥	٤	وأن تكليفه	وأن يكون تكليفه
١٢٧	١٩	الكلام	الطعوم
١٣٣	٥	لون الحدس	لون العدس
٢٤٩	٤	في	فني
٢٥٦	١٩	يقبل ذا الجدارا	يقبل ذا الجدارَ
٢٦٧	٦	أسيّة	آسية
٢٧٦	٤ (من الحاشية)	أو التباس	أو التباساً
٢٨٠	١١	الرواية الثقة	الراوية الثقة
٣١٣ — ٣٢٤		في المقال الذي عنوانه «أبو عبد الله المقري» وردت نقط مختلفة العدد بين الجمل كان يجب إزالتها لأن وضع بضع نقط في جملة أو بعد جملة من الجمل لا تكون إلا للدلالة على تخطي قسم من النص إلى ما يثبت منه بعد النقط . وقد اعتاد بعض الكتاب وضع نقطتين أو أكثر جزافاً من دون أن يكون هنالك نص تجاوزوه .	
٣٢٥	٢	معركة ذات الصوارى	معركة ذات الصواري
٣٢٩	حاشية (٤)	Les Barbars du grand invi·ion aur Conquest Turque	Les Barbares des grandes invasions aux Conquetes turques

الجزء الثالث ٤١ ٣ المجلد الحادي والأربعون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تموز (يوليو) سنة ١٩٦٦ م ربيع الأول سنة ١٣٨٦ هـ

دعوى الصعوبة في تعلّم العربية

في الثلث الأخير من الشهر الثالث من هذا العام ألّف التّلفاز (١) اللبنانيّ العربي ندوةً أدبيةً من ثلاثة أعضاء ، ودار البحث فيها عن صعوبة تعلم العربية ، وأن الطالب الأجنبيّ والمستشرقين يجدون في تعلمها من المشاق ما لا يجدون مثله في تعلّم لغة أجنبية ، وكان من الأعضاء اثنان ذهبا إلى أن تلك الصعوبة من طبيعة اللغة العربية ، وأكّد الثالث لرفيقيه أن مردّ تلك الصعوبة إلى سوء أساليب التأليف والتعليم ، ولو أن العربية كانت تُعلّم للمبتدئين كما تعلم اللغة الأجنبية بالأساليب المنطقية الحديثة لما صعبت حين خفيت عليهم مطالبها ، واستعجمت مذاهبها ، وذكرت في هذه الندوة كثرة الأسماء في العربية للمسمى الواحد ، وأنها مما يتحيّر له البادئ فلا يدري بأيّها يأخذ ، ولا أيّها هو بالاستعمال أجدر وأولى .

(١) التلفاز استعملها مجمع اللغة العربية بدمشق للتلفزيون وهي على وزن تبيان وجلواز ، وتشتق منها التلفزة مصدراً .

ونحن رأينا بعض تلك المصاعب أيام الطلب ، ومنها كثرة الوجوه في الإعراب ، والتعليل النحوي والصرفي ، ثم عرفنا بعد ذلك أن أمثال تلك الصعاب إنما نشأت من سوء تأليف تلك الكتب للأحداث والمبتدئين ، ومن فقد حكماء المعلمين المحكمين لصناعة التعليم والتفهيم ، فمن سوء تأليف تلك الكتب المدرسية أنها مؤلفة على الطريقة التقريرية بقواعد يكثر فيها التجريد وتقل عليها الأمثلة والشواهد ، فهي بذلك فوق مستوى عقول المبتدئين الذين يجب أن يتدرّجوا في دروس القواعد ، من المحسوس الواضح إلى المجرّد الغامض ، ومن السهل إلى الصعب ، والمعلم البارع يبدأ بتعليم المفردات الفصيحة التي يحتاج إليها في الكلام ، ثم بتعليم تركيبها مع الأفعال تركيباً صحيحاً ، ثم يطالب تلاميذه باستعمال هذه التراكيب في محاوراتهم ومحادثاتهم ، ويعلمهم تصريف الأفعال الضرورية للمحادثة مجنّباً إياهم إعراب الجمل الصعبة وحفظ عباراته الطويلة التي يلوكونها ولا يدركون لها معنى ،

الشواذ والغوامض في اللغات الأجنبية . — وقلّما خلت لغة أجنبية من الشواذ ، وفي اللغة الفرنسية كثير من تلك الشواذ في النحو والصرف معاً ، وهي من طبيعة هذه اللغة التي اعتوروها بالإصلاح كثيراً ، ولم تتعرض لها كتب النحو عندهم ، ولا يذكر المعلم الفرنسي علل التحول في تصريف فعل الكون مثلاً verbe être لكيلا يتحير عقل التلميذ في إدراك السر من تحول الفعل je suis في الحاضر إلى je serai في المستقبل ، أو في تحول فعل الذهاب aller ، لم يقول المتكلم je vais والمتكلمون nous allons وفي المستقبل j'irai ؟ وفي جموعهم كثير من الشواذ ، وليست المفردات تنتهي بحرف s في جموعها كلها ، فان الطالب لا يدري لِمَ كان اسم الشغل le travail يجمع les travaux ، ولِمَ mal يُجمع على maux و chacal ابن آوى لا يجمع مثلها

ويجمع على des chacals بحرف s لا بـ aux ؟ ولو سأل الطالب معلمه عن سر هذه الشواذ لقال له : هكذا يتكلم الفرنسيون جواباً على السؤال ، وكفى الله المتعلمين شرور العلل والجدال .

ومن صعوبة الرسم في الفرنسية أن من الأحرف ما يكتب ولا يُلفظ كعلامة الجمع ent في جميع التصاريف ، ولا يدري الطالب لم يكتب اسم البنت la fille بلامين يلفظها ياءً ، ولا يكتب كذلك اسم الحياة la vie ؟

ولو أردنا استقراء هذه الشواذ والمشاكل في اللغة الفرنسية ، ولا يعرف الطالب العربي لتفسيرها وتعليلها وجهاً منيراً ، لخرجنا من موضوعنا إلى غيره .

طريقة التهجئة القديمة . — لقد كان تعلم القراءة قديماً آليّاً بصيغ يلوكها المبتدىء في التهجئة ، ولا يفقه لها معنى ، أيام كان شيوخ الكتاتيب لا يفكرون في تيسير القراءة على الصبيان ، فكانوا يرقصون أمام شيخهم وهم يقرؤون ألواحهم ، وأنا ممن تعلم على هذه الطريقة المنهكة المضحكة ، ثم أخذ رجال التربية والتعليم إبّان النهضة الفيصلية ، وعلى رأسهم المربّي العربي الكبير الأستاذ ساطع الحصري الذي عالج على عهد الملك فيصل الأول مشكلة القراءة العربية فوضع (مبادىء القراءة الخلدونية) وهي أول رسالة عربية في القراءة الصوتية ، ثم جرى المعلمون بدمشق وغيرها على طريقته هذه المثلى .

وبذلك عولجت القراءة العربية وأصبحت بفضل الطريقة الصوتية سهلة على المبتدىء العربي سهولة الفرنسية على المبتدىء الفرنسيّ ، وبقيت قضية الكتابة العربية والإملاء ، وبالطريقة الصوتية أيضاً ذُللت صعابها برسم مقاطع الكلمات بحسب أصواتها المسموعة فيكتب التلميذ كما يسمع « والضحا ، والليل إذا سجا » (١) بالألف مطلقاً فلا يشغل صدره الضيّق وعقله المحدود بالحالة التي

(١) هذا رأي في التيسير للصبيان .

يكتب فيها الاسم أو الفعل بالألف في آخرهما ، ولا بالحالة التي يكتب آخرها بالألف المقصورة كالفتى والعصا ؛ وقد أجاز الإمام الفرّاء مثل هذه الكتابة تيسيراً لها ، كما أجاز الإمام مالك كتابة المصاحف بغير الرسم العثماني تيسيراً على الصبيان الذين يقرؤون القرآن .

تيسير الكتابة بالطريقة الصوتية . — وكنت قد وضعت لوزارة المعارف السورية رسالة في الكتابة الصوتية نشرتها في مجلتها التربوية وطبعتها رسالة على حدة ، ويذهب اليوم كثير من المعلمين هذا المذهب في تعليم الكتابة ؛ على أن في الفرنسية كما بيّناه وفي الانكليزية والألمانية كثيراً من هذه المشكلات الكتابية والحروف التي تكتب ولا تقرأ ، ولم يقل المشرفون على تعليم هذه اللغات غيرةً عليها وحرمةً لسلفهم بوجوب حذف زوائدها وتبديل قواعدها .

هذا وقد تحسّنت أصول تعليم القراءة والكتابة في أيامنا هذه كثيراً ، كما صلحت كتب النحو والصرف المدرسية التي حذا مؤلفوها حذو كتب المتعلمين للغات الأجنبية ، فلا نرى فيها تلك الفلسفة الإعرابية ولا التحاويل الصرفية التي لا يرجع الطالب منها إلى محصول ، ولا تُسفر له عن معنى معقول ، وليس في هذه الكتب ما يتعب المبتدئ حفظه من المفردات الفصيحة المختارة ، ولا من كثرة الأسماء للمسمّى الواحد كما زعمت الندوة التلفازيّة ، فهو لا يتعلم إلا اسم السيف ويركب عليه جمله الكلامية ؛ وأما بقية أسمائه ، وهي في الواقع من صفاته ، فموضعها بطون المعاجم اللغوية ، والأدباء من الدارسين للأدب العربيّ في حاجة ماسةٍ إلى البحث عنها لفهم هذا الأدب ، شعراً ونثراً ، وبما ذكرناه يتضح لنا أن تلك الصعوبة التي يعيبون بها اللغة العربية ترجع إلى سوء التأليف وضعف صناعة التعليم .

لجنة تيسير القواعد العربية . — وهذه لجنة تيسير قواعد اللغة العربية التي ألّفتها وزارة المعارف المصرية [1] ، ترى من تيسير تعليم العربية حذف ذلك الإعراب الفلسفي التقديري والمحلّي معاً ، بل ذهبت إلى حذف كل إعراب غامض كإعراب صيغ التعجب والتحذير والإغراء والندبة والاستغاثة والمدح والذم ، بل ترى أن تحذف من علم الصرف ما هو من أبحاث فقه اللغة ، وأن لا تبقي منه إلاّ ما يحتاج المبتدئ إليه من تصريف الأفعال ، وما لا يستغني عنه في البيان .

ونحن من الإصلاح اللغويّ لا نريد إصلاح اللغة بل إصلاح أساليب تعليمها وطرق تأليف كتبها ، فيبقى جوهر اللغة سليماً . وأذكر أني ـ أيام كنت مفتشاً للغة العربية ـ شاهدت معلماً في حلب كتب على اللوح الأسود صيغتي التعجب ؟ « ما أسهله وأسْهِلْ به » وعجز عن إفهام تلاميذه إعراب الصيغتين كما عجز طلابه عن فهم كلامه ، وكان أحد الأذكياء منهم يقول لأستاذه : أنا لا أفهم كيف يكون فعل الأمر فعلاً ماضياً في إعراب (أسهِلْ به) حين نقول (أسهِلْ) فعل ماض جاء على صورة الأمر ، ولم يدرك في إعراب (بهِ) من هذه الصيغة كيف تكون الهاء المكسورة فاعلاً ، والفاعل لا يكون إلاّ مرفوعاً !

ولذلك أحسنت لجنة تيسير القواعد المصرية باقتراحها أن يقال في إعراب جملة التعجب (ما أسهلَ النحو) : إنها صيغة تعجب والاسم المتعجَّب منه بعدها منصوب ، وكذلك في إعراب (أسْهِلْ به) يقال (أسهِلْ) صيغة

---

(١) عساعي وزيرها الغبور بهيّ الدين بركات ، ومن أعضائها طه حسين وأحمد أمين وابراهيم مصطفى وعلي الجارم .

تعجب والاسم بعدها مكسور مع حرف الجر؛ واقترحت في إعراب عبارات التحذير والإغراء مثل إياكَ والنارَ ، أو (النارَ النارَ) أن يقال في كل من هاتين الجملتين أنها صيغة تحذير والاسمان بعدهما منصوبان ليس غير ، ولا حاجة إلى تقدير العامل .

من أسباب الصعوبة كثرة وجوه الإعراب . — وحسبنا منها أن نذكر كثرة تلك الوجود في إعراب مثل (ان هذان لساحران) فقد ذكر النحاة قديماً أن لإعرابها وجوهاً ستة ، كما ذكروا في إعراب البسملة تسعة أوجه سبعة منها جائزة الإعراب ، ووجهان لا يجوزان وهما :

إن ينصب الرحمن أو يرتفعا فالجرّ في الرحيم قطعاً منعـا

ومثل هذا الإعراب الكثير الوجوه والإعنات ، ممّا يقصد ببعضه الامتحان والمعاياة ، وكان كثير من الطلاب يكرهون لأجله درس النحو بالأزهر ، وفرّ بعض الأئمة من الأزهر كله راجعاً إلى قريته ، ولولا أن تداركه بعض أقربائه الذى أدرك سر فراره ، وأخذ يلقنه مبادئ النحو متدرجاً به المحسوس إلى المعقول . ومن السهل إلى الصعب ، ففهم بذلك من معلمه القريب اللبيب ما لم يستطع فهمه في الأزهر ، والتذّ بالنحو ودروسه فرجع إلى الأزهر ، وهو أفهم وأعلم من رفقائه الذين لم يظفروا بمثل معلمه البارع في أصول التعليم ، ولولاه لما أصبح من علماء الأزهر وأئمة المسلمين المصلحين ، وذلك مما يثبت أن صعوبة اللغة العربية هي من سوء التعليم وفساد طريقة التلقين والتفهيم ، وإن هنالك من اللغات ما هي أصعب من العربيه ويتعلمها الطالب لحسن أساليب التعليم بأسرع وقت وأيسر سبيل ، والمبتدي العربيّ والأجنبيّ في ذلك سواء .

كثرة التجريد في قواعد النحو . — وقد انتبه لما في قواعد النحو من التجريد الذي لا يلائم مدارك الصبيان الأستاذ ساطع الحصري في كتابه (دروس في أصول التدريس)[1] كتعريف الفعل الماضي في بعض الكتب على الوجه التالي : «الفعل الماضي ما يدل على معنى مستقل بالفهم والزمن جزء منه» ، فيقول الأستاذ : لا شك ان هذا التعريف مجرّد جدّاً فلا يلائم مدارك الأطفال ، وزد على ذلك انه غير جامع ولا مانع ، لأن هنالك كثيراً من الكلمات التي لها معنى مستقل بالفهم والزمن جزء منه ، كما جاء في التعريف مع أنها لم تعتبر من الأفعال باتفاق جميع علماء اللغة مثل قديم ، سريع ، ماضٍ ، آتٍ ، متأخر ومستمر وهلم جراً ، فيجب علينا أن لا نعتمد على هذا التعريف ، وأن نرجح عليه التعريف الذي يستند إلى مفهوم الحديث : «الفعل ما يدل على حدث مقترن بزمن» .

كذلك التعريفات المبنية على الإعراب لا على المعنى مثل تعريف الفعل اللازم على الصورة التالية : «الفعل اللازم ما لا ينصب المفعول به ، والفعل المتعدي ما ينصب المفعول به» فلا حاجة بنا إلى ذكر أن هذا التعريف بمثابة تعريف الشيء بما هو أغمض منه ، وبما يحتاج إلى تعريف أكثر منه ، إذ ليس من الممكن أن يعرف التلميذ ما إذا كان للفعل مفعول به أم لا ، فلا يجوز أن يقال ذلك بل يجب أن يقال : «ان المفعول به يلفظ منصوباً ، وإن الأفعال اللازمة لا يكون لها مفعول به» .

ثم نرى هذا المؤلف الحاذق ينتقل إلى بحث علامات الكلمات وإلى تعريفها وتوضيحها فيقول ما نصه : واعتادت الكتب المدرسية أيضاً أن تذكر ثلاث

---

(١) ١٥٣/٢ .

العلامات فتقول : علامة الماضي أن يقبل تاء الفاعل أو تاء التأنيث الساكنة ، وعلامة المضارع أن يصح وقوعه بعد (لم) وأن يبتدئ بحرف من حروف أنيت ، وعلامة الأمر أن يقبل نون التوكيد (١) .

لذلك نرى معظم المعلمين (قديماً وحديثاً) يهتمون بتعليم هذه العلامات وباستجواب الطلاب فيها ، وكثيراً ما يسألونهم عندما يجيبهم أحد التلاميذ بأنه ماض أو مضارع : كيف عرفت ذلك ؟ هل يقبل تاء الفاعل ، هل يصح وقوعه بعد لم ؟ هل يبتدئ بأحد حروف أنيت ؟ وهلم جرا ...

ومن المعلوم أن علامة الشيء منطقياً يجب أن تكون أوضح وأظهر من الشيء نفسه ، فتعليم علامةٍ ما لا يكون مفيداً إلا إذا كان فهمها وتمييزها من غيرها أسهل بكثير من فهم الشيء نفسه وتمييزه من غيره ، أما العلامات المذكورة فلم تكن من هذا القبيل .

ومن البديهيات أن تمييز فعل الأمر بحسب معناه أسهل بكثير من معرفة ما إذا كان يقبل نون التوكيد أو لا ، بل أسهل من معرفة نون التوكيد نفسها إذا كانت متصلة بالكلمة ولاحقة بها حقيقة ، وكذلك تعريف الفعل الماضي بالنظر إلى معناه أسهل من معرفة ما إذا كان يقبل تاء الفاعل أو تاء التأنيث الساكنة .

---

(١) ويقول ابن هشام في كتابه (شذور الذهب في كلام العرب) ما نصه : « والفعل إما ماض وهو ما يقبل تاء التأنيث الساكنة كقامت وقعدت ؛ أو مضارع وهو ما يقبل (لم) كلم يقم . وافتتاحه بحرف من نأيت مضموم إن كان الماضي رباعياً كأُدحرجُ وأجيب ، ومفتوح في غيره كأَضربُ وأَستخرج ؛ أو أمر وهو ما دل على الطلب مع قبول ياء المخاطبة كقومي . أقول : ونرى ابن هشام يميّز فعل الأمر بحسب معناه قبل العلامات كما يريد الأستاذ الحصري .

ذلك لأن هنالك كثيراً من الكلمات التي تبتدئ بالتاء أو تنتهي بها ، وليست مضارعاً ولا ماضياً ولا فعلاً ، فكلمات (تابوت ، حانوت ، بنات ، نبات) هي من هذا القبيل ؛ أما القول بأن التاء في هذه الكلمات هي من المادة الأصلية فانها لا تبطل الملاحظات الآنفة ، لأن معرفة المادة الأصلية وتمييزها من مزيداتها أصعب من معرفة الأفعال ومن تمييز بعضها من بعض ، زد على ذلك أن كثيراً من الكلمات تبتدئ بتاء مزيدة على المادة الأصلية وهي ليست فعلاً مضارعاً مثل تورّطَ ، تباركَ ، تكرّرَ وهلم جرا .

كذلك نرى الأستاذ يذلّل كثيراً من صعاب تعليم القواعد بطرق صحيحة معقولة ، وهو مما يدلّ على أن مردّ أكثر تلك الصعوبة إلى سوء التأليف والتعليم لا إلى طبيعة اللغة العربية ، فإن في اللغات الإغريقية واللاتينية والألمانية من من المشاكل ما هو أعضل من مشاكل العربية التي يقول في منطقيتها رئيس القسم العربي لطلابه في مدرسة الدراسات الشرقية بلندن [١] :

« إن اللغة العربية إنما يسلس لكم قيادها إذا استعنتم عليها بالمنطق السليم » .

طريقة التعليم بالنصوص . — وذلك باختيار كتب للقراءة مؤلفةٍ من نصوص عربية مختلفة ، يتمرن الطالب الإعدادي حين القراءة في الدرس على أن ينطق المفردات والمركبات نطقاً صحيحاً ، ويستعين بفهم النص على معرفة مواقع الكلمات وحركات حروفها الأخيرة ، فاذا لفظ كلمة مرفوعة سأله المعلم عن سبب الرفع ، وعن سبب نصبها أو جرها إن نطق بالكلمة منصوبةً أو مجرورة ، كما يسأله عن العوامل وعمل كل منها ، وبذلك

(١) ورئيس القسم العربي هذا هو السير طوماس آرنولد كما جاء في رسالة الأستاذ اسحق موسى الحسيني : (رأي في تدريس اللغة العربية) .

ترسخ القواعد التي درسها في ذهنه ، وتقوى فيه ملكة القراءة الصحيحة ، وبذلك تتوحّد لهجات أبناء الصف إن كانوا من مناطق مختلفة ، ويتعلمون كثيراً من الألفاظ والجمل القوية التركيب ، ويحسن بالمعلم البارع اتخاذ هذه الطريقة في الصفوف الإعدادية والثانوية ولا يكلمهم فيها إلا بجمل صحيحة وألفاظ فصيحة ، وأفضل طريقة لتعليم العربية للمبتدئين هي طريقة المحادثة التي سنبين مزاياها ، وبما ذكرناه يتضح لنا جلياً أن تلك الصعوبة المبالغ فيها مردّها إلى جهل المعلم بأساليب التدريس ، وإلى سوء تأليف كتب المبادئ التي يتعاور قواعدها النحوية كثير من التجريد والتعقيد ، فليست تلك الصعوبة إذن من طبيعة اللسان العربي المبين .

أسباب سهولة الإعراب . — فمن أسباب صعوبة الإعراب في لغتنا أن لا يوجب المعلم على طلابه حينما يتعرّضون لإعراب آية من الكتاب أو بيت من الشعر أو قول من النثر ، أن يهتموا بادئ الرأي بفهم معنى ما يعربونه فهماً صحيحاً ، ولا يسرعوا في الإعراب قبل ذلك بالعبارات التي اعتادوا أن يمضغوها ولا يفهموها ، فكثيراً ما تزلّ قدم المعرب بهذا الاسراع ، وقد نبّه لذلك الامام ابن هشام في مغنيه حين ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض بها على المعرب ، فأكد أن الجهة الأولى أن يراعي المعرب ما يقتضيه ظاهر صناعة الإعراب ، ولا يراعي المعنى ، قال : وكثيراً ما تزل الأقدام بسبب ذلك ، وذكر لذلك أمثلة جمة منها ما حكاه بعضهم أنه سمع شيخاً يعرب لتلميذه (قيّما) من قوله تعالى : ﴿ ولم يجعل له عِوَجاً ، قيّماً ﴾ (١)

(١) من الآية الأولى والثانية من سورة الكهف وهما : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتابَ ولم يجعل له عِوَجاً ، قيّماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسنا » .

فجعل (قيماً) صفةً لـ (عوجاً) ، قال ابن هشام فقلت له : يا هذا ، كيف يكون العوج قيما ! وترحّمت على من وقف من القراء على ألف التنوين في (عوجا) وقفة لطيفة . دفعاً لهذا التوهم ، وإنما (قيما) حال من اسم محذوف هو وعامله أي : أنزله قيماً .

إعجاب المستشرقين بالإعراب . — ومن شيوخ المستشرقين مَن جعل الإعرابَ من مزايا اللغة العربية ، وهو الأستاذ ماسينيون الذي قال في بحث له بمجلة مجمع مصر اللغوي (١) ما نصه : « إن اختراع الإعراب ليس كما يزعم أكثر المستشرقين اختراعاً باطلاً ، وإنما هو توحد صحيح وربط بين الأسماء والأفعال المضارعة والجمل التي لها محل من الإعراب ، وهذا للغة العربية فضل عظيم لا يمكن إبقاؤه إلا بالاستمساك بالكتابة العربية ، إلى أن يقول : وقد ذكرت كيف آمنت بعبقرية النحو ، ورفضت مذهب تغيير الكتابة العربية بحروف لاتينية . »

اختلاف لغة الخطاب عن لغة الكتاب . — على أن من الأسباب الأساسية لصعوبة تعليم العربية اختلاف اللغة العامية عن اللغة الفصحى ، والمعلمون البارعون يبذلون جُهداهم للتغلّب على هذه العقبة بتمرين التلاميذ على التكلم بجمل صحيحة وألفاظ فصيحة بطريقة المحادثة والاستجواب ، ولا يكلمهم المعلم ولا يلقي عليهم الدرس إلا باللغة الفصحى ، لأن التلميذ الذي لا يسمع من معلمه إلا التراكيب الصحيحة والمفردات العربية يسهل عليه التخاطب بمثل ما اعتاد سماعه ، كما كان الصبيّ العربي في صدر الإسلام

(١) المجلد التاسع ص ٥٧ .

لا يتكلم إلا بالفصحى التي يسمعها في منزله من والديه ، ومن أقربائه وأترابه في بيئته ومرباه ، فهو يعرب بالسليقة العربية فيرفع بطبعه الفاعل الذي يفعل الفعل ، وينصب المفعول ويجر الأسماء بعد حروف الجر وعند الإضافة ، ذلك أن الصبيان يتعلمون بآذانهم قبل ألسنتهم ، وانطباعهم على لغة الأسماع يسهل عليهم تركيب الجمل العربية القويمة ، وييسّر عليهم فهم قواعد اللغة المستنبطة من الكلام العربي القويم ، وهو ما يسرعون معه في فهم القواعد لمشابهتها لأصول كلامهم الذي به يتخاطبون .

وذلك مما يوجب علينا أن نعوّد أبناءنا التكلم بالفصحى ، وأن لا نكلمهم في منازلنا ، إن استطعنا ، إلاّ بالفصحى ، ويكثر المعلم من استجوابهم بالفصحى ، وهو مما يوجب علينا أن لا نشرع في تعليمهم لقواعد لغتهم إلا بعد بضع سنين من التمرين الشفهي والمحادثة بلغة صحيحة ، والطالب الأجنبي والمستشرق يجب أن يتعلم في كتب مؤلّفة على غط الكتب التي تعلّم بها لغته ، وأن لا يشرع في تعلم قواعد النحو والصرف إلا بعد أن تقوى لغته العربية بطريقة المحادثة ويستطيع الإجابة بالجمل العربية الصحيحة ، وطريقة المحادثة هذه هي لتعلم اللغات الطريقة الطبيعية والسليقيّة المثلى .

وبهـــذه الطريقة نرى أن الصبيّ العربيّ الذي اكتسب ملكة الإفصاح عما في قلبه ، يستطيع الانتباه إلى الجمل غير القويمة ، شأن ذلك الأعرابيّ الذي كان إذا كلّموه في القرى بلغة غير صحيحة مجّها فوه ، وردّها بسليقته العربية ، ولسان حاله يقول للنحويّ الذي لا يُبين :

ولستُ بنحويٍّ يَلوك لسانَه ولكن سَليقيٌّ أقولُ فأعربُ

التنوخي

الأسلوب هو الرجل

من الأقوال التي انتقلت إلينا من الأدب الفرنسي قول « بوفون » : الأسلوب هو الرجل ، وقد فُسّر هذا القول على غير وجهه ، سوآء أكان هذا التفسير صادراً عن بعض أدباء فرنسة أم كان صادراً عن بعض أدباء العرب في هذا العصر ، ولا بأس بتوضيح فكرة « بوفون » بعد يسيرٍ من المقدمة .

ظهر « بوفون » في القرن الثامن عشر ، واشتهر بكتابه « التاريخ الطبيعي » وبخطابه في المجمع العلمي الفرنسي وموضوعه « الأسلوب » ، أمّا تاريخه الطبيعي فلا أتعرض له في هذا المقام ، فهو يدخل في باب العلم ، وحسبي الإشارة إلى أن السبيل القويم إلى تقدّم العلم في نظر « بوفون » إنما هو الوصف ، فالعالم يلزمه أن يرى كثيراً وأن يصف بعد الرؤية ما ظهر من الخصائص وما بطن ، وأن يعمل على هذا النحو تاريخ النوع .

غرضي في هذا المقال الإلماع إلى خطاب « بوفون » : الأسلوب ، وعلى وجهٍ أصح إلى جملةٍ من هذا الخطاب ، وأرى أن نعلم تعريف « بوفون » للأسلوب ، فقد عرّفه على هذا الشكل : الأسلوب إنما هو الترتيب الذي يدخله المرء على أفكاره ، والحركة التي يجعلها في هذه الأفكار ، وهو يعني بالحركة السرعة الناشئة عن تسلسل الأفكار المنظّم .

ولكن ما هي جملة « بوفون » التي يدور عليها هذا المقال ؟ قال « بوفون » : الأسلوب هو الرجل ، وقد ظنّ بعض الأدباء أن « بوفون أراد بهذا القول

أن الأسلوب هو الذي يرسم خصال المرء وسجاياه ، فهو المرآة التي ترينا باطن الإنسان ، فلا نمرّ بأسلوب كاتب من الكتّاب إلاّ مررنا خلال هذا الأسلوب بكل دقيق وجليل من طبائع الكاتب وشيمه وما شاكل ذلك .

قد يكون في هذا التفسير وجه من الصواب في بعض الحالات ، فمن أقوال « موروا » في هذا المعنى : كل أثر من آثار الفن يكشف الغطاء في وجه من الوجوه عن بواطن روح صاحبه ... أجل ، قد يكون الأسلوب مرآة الرجل ، فالكاتب الرقيق القلب قد تظهر رقته على بعض كتابته ، والشاعر الغليظ الروح قد تبين غلظته في شعره ، إلاّ أن « بوفون » لمّا قذف بعبارته المشهورة لم تكن غايته أن يقول إن الأسلوب هو الذي يرسم خصال المرء وسجاياه ، وإنما الذي أراد أن يوضّحه إنما هو هذا الأمر : في كل أثر من الآثار الفنية ، الصيغة والتأليف هما وحدهما من صنع الرجل ، من داخله ، أمّا الأفكار فقد تأتيه من الخارج ، وقد عبّر عن الأفكار بلفظة الأشياء فقال : هذه الأشياء إنما هي من خارج الإنسان ، الأسلوب هو الرجل ذاته ، معنى هذا أن المؤلف تأتيه أفكاره من خارج نفسه ، ولكنه هو الذي يصوغها ويؤلفها ، فالصيغة والتأليف من عنده ، ودفعاً لهذا اللبس المستفيض اقترح بعض نقّاد فرنسة أن تُقرأ عبارة « بوفون » على هذا الوجه : الأسلوب إنما هو من الرجل نفسه ، بدلاً من القول : الأسلوب هو الرجل ، وأي بأسٍ بعد هذا كله بأن نقول : الرجل هو الأسلوب ؟

وقبل النظر في قول « بوفون » لا أرى محذوراً في إمضاء القول في الأسلوب ، فاذا قلنا : الأسلوب ، فانّا نعني بذلك المذهب الذي يذهبه كل واحدٍ منّا في التأليف بين ألفاظه ، فالأسلوب لا يراد به اللفظ وحده ،

وإنما يراد به التأليف بين الألفاظ ، يراد به تنسيق هذه الألفاظ وترتيبها ، إذ أن الأسلوب يختلف عن الألفاظ ، فقد يجوز أن يستعمل مؤلف من المؤلفين ألفاظاً صحيحة وأن يدخل الضيم على أسلوبه ، فيكون هذا الأسلوب جافاً ، غير مطبوع ، وعلى هذا فان الذين يجعلون للأسلوب المقام الأول يفرّقون بين الأسلوب واللفظ ، فالأسلوب شيء واللفظ شيء آخر .

وكما أن الأسلوب يختلف عن الألفاظ فقد يختلف عن العلم ، فقد نجد علماء ملأ العلم أذهانهم ولكنهم في ميدان الكتابة نجدهم كتّاباً غير مجوّدين ، فقد نمت فيهم ملكات العقل وصحّة التمييز والذاكرة ، ولم ينمُ فيهم الحسّ والخيال ، فنشأ عن ذلك أن أسلوبهم غير جذّاب ، لا لطف فيه ولا حرارة .

وقد تختلف الأساليب على اختلاف الرجال والأمم ، فالرجل صاحب الفهم الثاقب أسلوبه سريع ، وجيز ، ململم ، والرجل الذي يغلب عليه الخيال له تعابير برّاقة ، مصوّرة ، والرجل الذي يعوزه التمييز لا تربط جمله وأجزاء تآليفه صلة من الصلات .

وهذا الاختلاف نشهده في الأمم نفسها ، فأهل الشرق ، وهم أصحاب خيال ، قد حمّلوا أساليبهم في كل زمنٍ من الأزمان صوراً قويّة تظهر عليها آثار الغلوّ ، وأهل أثينة ، وهم شعب مصقول ، ليّن ، قد جعلوا لأنفسهم أسلوباً واضحاً ، صافياً ، أمّا اليونانيون في آسية ، وهم أصحاب نفخة وبهرجة ، فقد كان لهم أسلوب فيه ثرثرة وانتفاخ .

فلندخل الآن في موضوعنا ، ولننظر في الذي ذهب إليه « بوفون » من أن المعاني تأتي من خارج الإنسان ، وأن الصيغة والتأليف إنما هما وحدهما من صنعه .

إنّا نجد في الأدب الفرنسي أن « ڤولتير » لم يكن مبدعاً من المبدعين ، أي لم يأت بشيء جديد من الأفكار والمعاني ، فقد كان لا يستطيع أن يسلك مسلكاً إلاّ إذا كان هذا المسلك ممهّداً له ، فقد اغتصب أفكار غيره وجعلها أفكاره الخاصّة ، جعلها ملكه الخاص ، فقد قالوا إنه لم يكتب بالفرنسية كاتب أحسن من « ڤولتير » ، إن جمله قصيرة ، سريعة ، وعبارته واضحة ، وأوضح صفات أسلوبه البساطة ، إنه يستخدم لغة كل الناس في أسلوب لا يفوقه أسلوب من حيث الطبع والسهولة .

إنّا نجد في هذا الوصف الذي تشتمل عليه بعض كتب الأدب الفرنسي ما يؤيد قول « بوفون » من أن الأفكار تأتي من الخارج ، أمّا صيغتها وتأليفها فانها من صنع الرجل نفسه ، فقد نهب « ڤولتير » أفكار غيره ، ولكنه استطاع أن يجعلها ملكه الخاص بفضل أسلوبه وبفضل مزايا هذا الأسلوب التي تقدّمت الإشارة إليها .

ولقد قال بعض نقّاد الانكليز في كاتبهم العظيم « برنارد شو » ما يقرب من قول الفرنسيين في كاتبهم « ڤولتير » ، فقد كان « شو » يعرض أفكاره على شكل بديع ، وإن لم يكن مبدعاً لهذه الأفكار على الرغم من عبقريته وقوة حجته .

يُستنبط من كل ما تقدم أن الشأن كل الشأن إنما هو للأسلوب ، أي لصيغة الأفكار وتأليف المعاني ؛ وقد ذهب هذا المذهب كبار الكتّاب في فرنسة ، أمثال ڤولتير » و « فرانس » و « فاكه » و « موروا » وغيرهم ، فمن كلام « ڤولتير » أن الأشياء تؤثر فينا في الأغلب من نواحي أساليبها ، أي من نواحي القوالب التي تصبّ فيها ، لأن للناس أفكاراً واحدة بوجه التقريب ، ولكن الأسلوب هو الذي يفرّق بين كاتب وكاتب .

ومن كلام « فرانس » : ليس الفكر ملكاً لمن يبدعه ، وإنما هو ملك الذي يثبّته في الأذهان .

ومن كلام « فاكه » أن الذي يخلّد الكاتب إنما هو حسن الأسلوب .

وقريب من هذا الرأي قول « موروا » : الصيغة في أي أثرٍ من آثار الفن إنما هي سرٌ من أسرار البقاء .

أمّا كتّاب العرب الذين هم على هذا الرأي فيأتي على رأسهم إمام البلاغة ، وأعني به الجاحظ الذي قال :

« المعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتحبير اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة الطبع ، وجودة السبك » .

وقد تصدّى أستاذ فاضل من أساتذة جامعة القاهرة لقول الجاحظ ، وآخذه بهذا القول ، ولامه على استخفافه بمقادير المعاني وتفضيل الألفاظ عليها ، ورأى أن الذي حمل الجاحظ على أن ينزع هذه النزعة إنما هو أمر ديني ، فقد كان يرى أن القرآن معجز بنظمه وتأليفه ، وهذا ما حمله على تعظيم الألفاظ والتهاون بالمعاني . إني لا أريد أن يتشعّب الموضوع حتى لا يتعقّد ، فلا أرى مناظرة الأستاذ الفاضل في هذا المعنى ، فاني أعتقد أنهم خرجوا بكلام الجاحظ عن طبيعته ، إنه لما قال : المعاني مطروحة في الطريق ، لم يختلف في قوله عن قول « بوفون » : الأفكار تأتي من الخارج ، فالجاحظ لم يستخف بالمعاني وإنما عبّر عن سهولة الحصول عليها ، فكأنها ماثلة لكل عين ، فاذا مرّ أحدنا في الطريق بفقير رث الثياب ، يكاد ينسلخ لحمه عن عظمه من الجوع ، أفلا نجد في هذا المشهد معنى من المعاني الدالّة على البؤس ؟ إلاّ أن تمثيل هذا المعنى للأذهان إنما هو من عمل

الأسلوب ، أي من عمل الصيغة والتأليف ، من عمل السبك وحسن النظم ؛ وكتب الجاحظ تدلّ على محاسن هذه الصيغة والسبك والنظم وما ماثلها ، إنها تدلُّ على براعة الأسلوب ، ومعاذ الله أن نتهمه بالإقلال من مقادير المعاني والأفكار وتآليفه كلُّها قد غصَّت بالمعاني والأفكار على اختلاف وجوهها ، في كل باب من أبواب الفلسفة والأخلاق والتربية والاجتماع والعلم وما شابه ذلك ؛ فاذا كان الجاحظ لم يتهاون بالأسلوب فهو لم يتهاون بالمعاني ، إلاّ أنه كان ماهراً كلّ الماهر ، يعرف كيف يناسب بين ألفاظه ومعانيه ، فهو كالخيَّاط الحاذق الذي يفصّل الأثواب على مقادير الأجسام ، ولست في حاجة إلى المجيء بالبرهانات الصادقة على اهتمامه بالمعاني والألفاظ معاً ، وفي كتابه : البيان والتبيين كثير من الشواهد على هذا الأمر ، إلاّ أن المقام لا يتسع للإفاضة في هذا الموضوع ، فلماذا نأخذ كلام الجاحظ على ظواهره ولا نتعمق قليلاً في بواطنه ؟

لقد تباينت نظرات نقّاد العرب في شأن المعاني وصيغتها أمثال ابن قتيبة والعسكري وابن رشيق وابن الأثير ، إلاّ أن لهذا الموضوع مقاماً يختلف عن موضوعنا ، أصل الموضوع توضيح فكرة « بوفون » : المعاني تأتي من الخارج ، أمَّا نحن فنملك صيغتها وتأليفها ؛ فالأسلوب هو من عندنا ، والمعاني من خارجنا ، فليس موضوعنا تفضيل المعنى على اللفظ أو تفضيل اللفظ على المعنى حتى ندخل في هذه التفاصيل .

لقد دفعت إغارة الشاعر أو الكاتب على أفكار غيره بعض نقّادنا في القديم إلى نسبة السرقة إلى هذا الشاعر أو هذا الكاتب ، على أن العرب قد تشترك في طائفةٍ من الألفاظ والمعاني ؛ وقد عمل الآمدي كتاباً في هذا الموضوع ، فقد جاء في معجم الأدباء أن له كتاب الخاص والمشترك ، تكلم فيه على الفرق بين الألفاظ والمعاني التي تشترك فيها العرب ولا ينسب

مستعملها إلى السرقة وإن كان قد سبق إليها ، وبين الخاص الذي ابتدعه الشعراء وتفرّدوا به ، وما قصّر الآمدي في إيضاح ذلك وتحقيقه ؛ وقد فطن ياقوت إلى هذه المسألة فقال : أكثر ما ينسب إلى الشعراء من السرقات إنما هو من باب توارد الخواطر .

ولا ريب في أن الذي لا يدخل في باب توارد الخواطر إنما هو أن يغير المؤلف على أفكار غيره ، فينهبها بألفاظها نفسها ، فهذا يدخل في باب السرقات ، أمّا إذا أغار المؤلف على أفكار غيره ، كما فعل « فولتير » فأفصح عنها بأسلوبه الخاص ، بأسلوب يجمع خصائص البلاغة ، فهذه الإغارة تأتي مؤيدة لقول « بوفون » الأسلوب هو الرجل ، أو بعبارة أوضح إذا جاز لي هذا التصرف : الرجل هو الأسلوب .

شفيق جبري



الاصطلاحات الفلسفية

-٢٦-

الرواقية

في الفرنسية Stoïcisme

في الانكليزية Stoicism

مذهب زينون (Zénon) وكليانت (Cléanthe) وكريزيب (Chrysippe) وسنكا ، وابكتاتوس ، ومرقص أورليوس ، وغيرهم من فلاسفة اليونان والرومان ، وقد سموا بالرواقيين لأن (زينون) الفيلسوف صاحب هذا المذهب كان يعلم تلاميذه في رواق .

والرواقي (Stoïcien) يرى أن السعادة في الفضيلة ، وان الحكيم لا يبالي بما تنفعل به نفسه من لذة وألم ، حتى ان عدم مبالاته بالألم قد يبلغ درجة النفي والإنكار . وكل من كان رواقياً كان مطمئن النفس ، رابط الجأش ، صابراً لا يفرح بشيء ، ولا يحزن على فقد شيء ، ولا يبالي بما يصيبه من بؤس وشقاء . وإذا كان الرواقي يعيش عيشة راضية مرضية فمرد ذلك إلى اعتقاده أن الإنسان جزء من الكون ، وان غايته أن يجعل سلوكه مطابقاً لما تمليه عليه الطبيعة ، منصرفاً عن العواطف والأفكار التي تحيد عن جادة القانون الطبيعي .

ومعظم الرواقيين يرون أن المادة تتجزأ إلى غير نهاية ، وأن النار أصل الوجود ، وأنها توحّد أجزاء الجسم ، وتربط أجزاء العالم بعضها ببعض ، وان العالم لا ينفصل عن الله .

زبدة الشيء

في الفرنسية Quintessence

في الانكليزية Quintessence

زبدة الشيء خياره وخلاصته . وأصله في اللاتينية (Quinta essentia) أي العنصر الخامس ، أو الجوهر الخامس ، لأن العناصر عند فلاسفة اليونان آمبدقلوس ، وآرسطو وغيرهما) أربعة ، وهي التراب والماء والهواء والنار . أما السماء فهي مكونة من عنصر آخر ، وهو أعلى من العناصر الأربعة ومتقدم عليها ، ويسمَّى هذا العنصر السماوي بالعنصر الخامس .

ويطلق لفظ (Quintessence) في أيامنا هذه على زبدة الشيء أي على أعمق ما فيه . فزبدة الشيء تمثل إذن خواصه الذاتية ، وتطلق على ما فيه من عيوب ومزايا خالصة مقومة له ، تقول زبدة الكتاب خلاصته ، وزبدة الأخلاق خيارها .

الزمان

في الفرنسية Temps

في الانكليزية Time

في اللاتينية Tempus , Temporis

في اليونانية Chronos

١ — الزمان الوقت كثيره وقليله . وهو المدة الواقعة بين حادثتين أولاهما سابقة وثانيتها لاحقة ، ومنه زمان الحصاد ، وزمان الشباب ، وزمان الجاهلية . وجمع الزمان أزمنة ، تقول : السنة أربعة أزمنة ، أي أقسام وفصول ، وتقول أيضاً : الأزمنة القديمة ، والأزمنة الحديثة .

٢ – والزمان في أساطير اليونانيين هو الإله الذي ينضج الأشياء ويوصلها إلى نهايتها .

٣ – والفرق بين الزمان والدهر والسرمد ان نسبة المتغير إلى المتغير هي الزمان ، ونسبة الثابت إلى المتغير هي الدهر ، ونسبة الثابت إلى الثابت هي السرمد .

٤ – لقد زعم (ارسطو) أن الزمان مقدار حركة الفلك الأعظم ، وذلك لأن الزمان متفاوت زيادة ونقصاناً ، فهو إذن كم ، وليس كماً منفصلاً لامتناع الجوهر الفرد ، فلا يكون مركباً من آنات متتالية ، فهو إذن كم متصل ، إلا أنه غير قار ، فهو إذن مقدار لهيئة غير قارة ، وهي الحركة .

٥ – وقد أخذ معظم فلاسفة العرب بهـــذا المعنى الارسطي ، إلا أن (المتكلمين) زعموا أن الزمان أمر اعتباري موهوم . وعرفه الأشاعرة بقولهم إنه متجدد معلوم يقدّر به متجدد آخر موهوم . وقال (الرازي) في المباحث المشرقية إن للزمان كالحركة معنيين : أحدهما أمر موجود في الخارج غير منقسم وهو مطابق للحركة ، وثانيهما أمر متوهم لاوجود له في الخارج .

٦ – والزمان عند بعض الفلاسفة إما ماضٍ أو مستقبل . وليس عندهم زمان حاضر ، بل الحاضر هو الآن الموهوم المشترك بين الماضي والمستقبل .

٧ – ومن معاني الزمان في الفلسفة الحديثة انه وسط لا نهائي غير محدود ، شبيه بالمكان ، تجري فيه جميع الحوادث فيكون لكل منها تاريخ ، ويكون هو نفسه مدركاً بالعقل إدراكاً غير منقسم سواء كان موجوداً بنفسه كما ذهب إلى ذلك (نيوتون) و (كلارك) ، أو كان موجوداً في الذهن فقط

كما ذهب إلى ذلك (ليبنيز) و (كانت) . فمما قاله (ليبنيز) : الزمان تصور مثالي ، ومما قاله (كانت) إن الزمان صورة عقلية محيطة بالأشياء الحدسية ، وإن المقادير المحدودة من الزمان ليست سوى أجزاء لزمان لا نهائي واحد . فكأن الزمان إطار محيط بالأشياء إلاّ أنه ذو بعد واحد وهو الطول . وأكثر العلماء يرمزون إلى الزمان بخط مستقيم غير محدود كل نقطة من نقاطه مجانسة للأخرى .

٨ — والزمان عند بعض المحدثين هو التغير المتصل الذي يجعل الحاضر ماضياً . قال (هنري برغسون) : « العقل ينفر من كل شيء سيّال ، ويجمد كل ما يتناوله . ونحن لا نفكر في الزمان الحقيقي بل نحيا فيه ، لأن الحياة تطغى على العقل من كل جانب » (التطور المبدع ، ص : ٥٠) . فالزمان الحقيقي . وهو الديمومة (Durée) مختلف إذن عن الزمان الرياضي أو الزمان العلمي ، وهو دفعة سيالة ، أو مجرى متحرك ، أو تيار مستمر يجري أمام المدرك الواقف على شاطئ الحاضر ، ومنه قولهم مجرى الزمان ، وسير الزمان

٩ — ومعنى ذلك أن معنى الزمان قد يكون مرادفاً لمعنى الديمومة أو يكون مختلفاً عنه فاذا كان مرادفاً له دل على الوسط الذي تجري فيه الأفعال والحوادث ، كما في قولنا زمان سقوط الأجسام ، أو زمان الذوبان ، أو زمان الحالات النفسية ، وإذا كان مختلفاً عنه دل على الزمان المطلق أو الزمان المجرد .

١٠ — والزمان الوجودي هو الزمان الذاتي أو الزمان الوجداني المصبوغ بالانفعال كزمان الانتظار ، أو زمان الأمل . وهذا الزمان ليس كمّاً ، وإنما هو كيف لا يقبل القياس على خلاف الزمان الفاعل الذي يطلق على التأثير في الأشياء فهو موضوعي وكمي وقابل للقياس .

الزماني

في الفرنسية Temporel

في الانكليزية Temporal

الزماني هو المنسوب إلى الزمان ، أو الموجود في الزمان ، وهو مضاد للأبدي لأن الزماني يدل على التغير ، والأبدي يدل على الثابت . ونسبة الزماني إلى الأبدي كنسبة المتناهي إلى اللامتناهي .

وفرقوا بين الزماني والأبدي أيضاً بقولهم إن الزماني متعلق بالحياة المادية ، على حين أن الأبدي متعلق بالحياة الروحية . ومن قولهم السلطة الزمنية ، والسلطة الروحية .

والزمانية صفة ما كان زمانياً ، وهي عند الوجوديين (Existentialistes) حركة تدفع المستقبل إلى الماضي حتى توصله إلى الموت ، أي إلى لحظة لا مستقبل بعدها .

ويطلق لفظ اللازماني (Intemporel) على ما كان ثابتاً خارج الزمان لا تغيره صروف الدهر ، ولا تقلبات الحدثان .

الزمان المحلّي

في الفرنسية Temps local

الزمان المحلي مضاد للزمان المطلق (Temps absolu) ، إلا أن القائلين بالنسبية ينكرون الزمان المطلق لزعمهم انه لا يوجد مقياس واحد للزمان ينطبق على منظومات مختلفة الحركات . وكل معية (Simultanéité) بين الحوادث الواقعة في أمكنة مختلفة فهي عندهم معية نسبية . بل الحادثتان قد

تكونان موجودتين معاً بالنسبة إلى راصدٍ ، وغير موجودتين معاً بالنسبة إلى آخر لاختلاف المكان الذي يرصدانها منه . ولكل منظومة زمانها الخاص بها ، أعني زمانها المحلي ، وهو وحده حقيقي .

وبينما نحن نجد (سبنسر) يرجع المكان إلى الزمان نجد (هنري برغسون) يرجع الزمان المتجانس (Temps homogène) – وهو ضد الديمومة – إلى المكان . أما علماء النسبية (Relativité) فيجمعون الزمان والمكان في مفهوم واحد ، وهو الزمان المكاني (Le temps - espace) .

الزمان الخاص

في الفرنسية Temps propre

يطلق اصطلاح الزمان الخاص على الزمان الداخل في العلوم الفيزيائية ولا سيما في مذهب النسبية . ويرجع القول بالزمان الخاص إلى استحالة نسبة حوادث الكون إلى زمان واحد (كالزمان الذي ذهب إليه نيوتون وكانت) ، لأن لكل قسم من المادة زمانه الخاص به . وغاية ما يستطيعه العالِم أن يقارن بين الأزمنة المختلفة الخاصة بقسم قسم من المواد المتحركة .

زمان الانعكاس

في الفرنسية Temps de réaction

في الانكليزية Reaction - time

زمان الانعكاس هو المدة الواقعة بين المؤثر ورد الفعل . وله عدة أنواع كزمان الانعكاس البسيط ، أو زمان الانعكاس لمؤثرين مختلفي الشدة ، أو لمؤثرين متحدين ، أو الإجابة باشارة معينة عن أنواع مختلفة من المؤثرات .

الزهد

في الفرنسية Ascétisme

في الانكليزية Ascetism

Asceticism

أصل (Ascétisme) في اليونانية (Askesis) ومعناه التمرين والرياضة . والرياضة في الاصطلاح هي استبدال الحالة المحمودة بالحالة المذمومة أي الإعراض عن الشهوات .

أما في اللغة العربية فالزهد ترك الميل إلى الشيء ، تقول زهد في الشيء زهداً وزهادة أعرض عنه وتركه لاحتقاره له أو لتحرجه منه أو لقلته ، وزهد في الدنيا ترك حلالها مخافة حسابه ، وحرامها مخافه عقابه . لذلك قيل الزهد نوعان : أحدهما الزهد في الحرام ، والآخر الزهد في الحلال . فإذا كان في الحرام كان فرضاً ، وإذا كان في الحلال كان فصلاً .

والزهد في اصطلاح أهل الحقيقة هو بغض الدنيا والإعراض عن شهواتها . وهذا المعنى قريب من معنى التقشف لأن التقشف ترك الترفه والنعمة ، ومحاربة النفس في سبيل الوصول إلي الكمال الأخلاقي .

والزاهد من ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ، أي لا يفرح بشيء منها ، ولا يحزن على فقده ، ولا يأخذ منها إلا ما يعينه على طاعة ربه مع دوام الذكر والمراقبة ، والتفكر في الآخرة . لذلك قيل : الزهد ترك راحة الدنيا طلباً للآخرة ولذلك قال الإمام علي بن أبي طالب : من زهد في الدنيا هانت عليه الآخرة .

وأعلى درجات الزهد الزهد فيما سوى الله تعالى من دنيا وجنة وغيرهما إذ ليس بصاحب هذا الزهد إلا الوصول إليه تعالى والقرب منه . لذلك قيل : الزهد ترك ما يشغلك عن الله .

ويطلق الزهد أو التقشف في الفلسفة الحديثة على المذهب الأخلاقي الذي لا يحسب للذّات والآلام حساباً ، ويعرض عن إشباع الغرائز الحيوانية والنزعات الحسية والطبيعية . وجميع مذاهب الأخلاق تقول بوجوب سيطرة الإرادة على الدوافع التلقائية ، إلا أن هذه السيطرة لا تصبح زهداً أو تقشفاً إلا إذا أفرط صاحبها فيها .

وكثيراً ما يكون الزهد نتيجة اتجاه ديني أو أخلاقي أو يكون المقصود به الحصول على الكمال الذاتي بممارسة الرياضة الروحية .

وإذا اشتد الزهد وصحبه تلذذ بالألم لذاته أصبح انحرافاً عن الجادة أو مرضاً في النفس .

الزواج

في الفرنسية Mariage

في الانكليزية Marriage

الزواج هو الاقتران الشرعي بين الرجل والمرأة لتكوين أسرة جديدة . وتختلف شروط عقده وفسخه والحقوق والواجبات المترتبة عليه باختلاف الجماعات . فإما أن يكون للرجل الواحد امرأة واحدة كما في الزواج الفردي (Monogamie) أو عدة نساء كما في نظام تعدد الزوجات (Polygamie) ، وإما أن يكون للمرأة الواحدة عدة رجال كما في نظام تعدد الأزواج

(Polyandrie) . وقد يتحتم على الرجل أن يختار زوجته من عشيرته وأهله كما في نظام الزواج الداخلي (Endogamie) أو يتحتم عليه اختيارها من خارج عشيرته كما في نظام الزواج الخارجي (Exogamie) . وهذا النوع الأخير شائع في نظام الطوطمية (Totémisme) .

والفـــرق بين الزواج الديني (Mariage religieux) والزواج المدني (Mariage civil) أن الأول تابع للسلطات الدينية على حين أن الثاني تابع للسلطات المدنية .

وقد يبنى الزواج على العاطفة فيكون نتيجة حب متبادل بين الرجل والمرأة أو يبنى على العقل فيكون نتيجة تفكير كل من الزوجين في مصلحته . ولكن الزواج الكامل يبنى على العاطفة والعقل معاً لأنه إذا خلا من الحب أو من الشروط المادية والاجتماعية التي تصونه لم ينشئ أسرة سعيدة . فليس الزواج إذن وسيلة لإشباع الغريزة الجنسية وإنما هو عقد اجتماعي لتكوين أسرة يشعر فيها كل من الرجل والمرأة بالطمأنينة الروحية .

من أجل هذا قيل يجب على الرجل أن يحب امرأته كما يحب نفسه حتى يصبح الاثنان شخصاً واحداً .

الزي

في الفرنسية Mode

في الانكليزية Fashion

الزي الهيئة والمنظر واللباس ، يقال : أقبل بزي العرب أي بلباسهم . ويطلق الزي مجازاً على مجموع الأحوال والعادات والآراء المنتشرة في

المجتمع ، تقول تزيّا بعادات الأوربيين ، وأقام مأدبة على زي الأمريكيين ، ونظم الشعر على زي الرمزيين ، وفلان يتزيا بالهوى أي يتظاهر به ويدعيه .

وفرق الفيلسوف تارد (Tarde) بين مفهوم الزي ومفهوم العادة الاجتماعية بقوله : إن الزي يقوم على تقليد المعاصرين ، على حين أن العادة الاجتماعية تقوم على تقليد السابقين .

السبب

في الفرنسية Cause , motif , raison

في الانكليزية Cause , motive , reason

١ — السبب الحبل ، وما يتوصل به إلى غيره ، والجمع أسباب ، وأسباب السماء مراقيها أو نواحيها أو أبوابها .

والفرق بين السبب والشرط أن السبب هو ما يكون وجود الشيء موقوفاً عليه كالوقت للصلاة ، على حين أن الشرط هو ما يتوقف وجود الشيء عليه كالوضوء للصلاة . وقيل أيضاً إن السبب ما يلزم من عدمه العدم ومن وجوده الوجود ، على حين أن الشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده لذاته وجود ولا عدم .

والسبب مرادف للعلة (Cause) ، إلا أن النظار يفرقون بينها من وجهين : أحدها أن السبب ما يحصل الشيء عنده لا به ، والعلة ما يحصل به . والثاني أن المعلول ينشأ عن علته بلا واسطة بينها ولا شرط على حين أن السبب يفضي إلى الشيء بواسطة أو بوسائط . ولذلك يتراخى الحكم عنه حتى توجد

الشرائط وتنتفي الموانع . أما العلة فلا يتراخى الحكم عنها ، إذ لا شرط لها ، بل متى وجدت أوجبت وجود المعلول . ومعنى ذلك أن السبب أعم من العلة . لأن كل علة سبب .

ويقسم السبب إلى تام وغير تام ، فالتام هو الذي يوجد المسبب بوجوده ، وهو مرادف للعلة . وغير التام هو الذي يتوقف وجود المسبب عليه ، لكن المسبب لا يوجد بوجود السبب وحده (الجرجاني) .

والسبب عند الأصوليين ما كان طريقاً للوصول إلى الحكم من غير تأثير فيه ولا توقف للحكم عليه .

٢ ــ وللسبب في اصطلاحنا ثلاثة معان :

آ ــ السبب هو العامل في وجود الشيء ، ويطلق على كل حالة نفسية شعورية كانت أو غير شعورية تؤثر في حدوث الفعل الإرادي . وهو قسمان عقلي وانفعالي ومن عادة العلماء المحدثين أن يسموا الأول عاملاً (motif) والثاني دافعاً أو باعثاً (mobile) .

ب ــ السبب هو المبدأ الذي يفسر الشيء تفسيراً نظرياً . وهو ما يتوصل به إلى غيره أو هو كما قال بعض الفلاسفة ما يحتاج إليه الشيء في ماهيته أو في وجوده لذلك سمي سبباً عقلياً (Raison) أو مبدأ (Principe) ، ومنه قولهم سبب الوجود (Raison d'être) .

ج ــ والسبب عند علماء الأخلاق ما يفضي إلى الفعل ويسوغه ، وهو مرادف للحق ، تقول إن للقلب حقوقه أي أسبابه . وتقول فلان يبغضني بغير سبب أي بغير حق . وقد يطلق السبب على الحجة التي يعتمد عليها في إثبات الحق حتى لو كانت غير صادقة . فيكون السبب بهذا المعنى

قوياً أو ضعيفاً ومنه قولهم إن الأسباب التي يحتج بها الأقوياء أوقع في النفس من الأسباب التي يحتج بها الضعفاء .

٣ — والسببي (Causal) هو المنسوب إلى السبب ، ويطلق على ما يتعلق بالسبب أو يختص به أو يقومه .

٤ — والسببية (Causalité) هي العلاقة بين السبب والنتيجة ، ومبدأ السببية (Principe de causalité) أحد مبادئ العقل ، ويعبرون عنه بقولهم : لكل ظاهرة سبب أو علة . فما من شيء إلا كان لوجوده سبب ، أي مبدأ ، يفسر وجوده . حتى لقد زعم (كانت) أن السببية إحدى الماثلات الضرورية لتفسير التجربة ، ولها عنده وجهان أحدهما مبدأ الاحداث أو الانتاج (Principe de la production) والآخر مبدأ التتابع الزماني وفقاً لقانون السببية (Principe de la succession dans le temps suivant la loi de causalité) . أما المبدأ الأول فيوجب أن يكون لكل حادث سبب يتوقف وجوده عليه قبل حدوثه ، وأما المبدأ الثاني فيوجب أن تحدث جميع التغيرات وفقاً لقانون الارتباط بين السبب والنتيجة (أي بين العلة والمعلول) .

٥ — مبدأ السبب الكافي (Principe de raison suffisante) — قال (لينيز) هناك مبدآن كبيران للاستدلال العقلي : الأول مبدأ التناقض (Principe de contradiction) والثاني مبدأ السبب الكافي . وهو يوجب أن يكون لكل شيء سبب يتوقف وجوده عليه ، أو هو ما يتوصل به بصورة قبلية إلى تعليل وجود الشيء أو عدم وجوده ، أو إلى تفسير كونه على هذه الحالة أو غيرها . وقد قسم (شوبنهاور) مبدأ السبب الكافي

أربعة أقسام وهي مبدأ السبب الكافي للصيرورة (Devenir) ، ومبدأ السبب الكافي للمعرفة ، ومبدأ السبب الكافي للوجود العقلي (كما في العلاقات الرياضية) . ومبدأ السبب الكافي للفعل ، وهو المبدأ الذي يجعل حصول الفعل موقوفاً على عوامل وبواعث خاصة . ومن مشتقات مبدأ السبب الكافي مبدأ السببية ، ومبدأ القوانين (Principe des lois) ومبدأ الحتمية (Principe de déterminisme) ومبدأ الجوهر (Prin. de substance) ومبدأ الغائية (Principe de finalité) . (راجع الألفاظ الآتية : العلة ، المبدأ ، العقل) .

جميل صليبا



أدب الفقهاء

- ٧ -

الشعر الفلسفي :

الفلسفة بالاستعمال القديم لم تكن قاصرة على علميْ النفس والأخلاق كما هي اليوم، بل كانت تشمل سائر المعارف الإنسانية من نظرية وعملية، فتدخل فيها العلوم الطبيعية والرياضية والطب والأخلاق وعلم الجمال . وبهذا المعنى كان أرسطو يستعملها ، وكذلك علماء عصر النهضة الأولون في أوربا مثل فرنسيس بيكون وديكارت وأضرابهما . وبالطبع فإن من نتكلم عنهم من الفلاسفة الأدباء العرب إنما كانوا من هذا القبيل ، ولكنا مع ذلك لا نقدم من شعرهم إلا ما كان له صلة وثيقة بالمباحث الفلسفية بمناها المحدود كمشكلة الوجود والحقيقة الأزلية وما إلى ذلك . على أن المراد هو أن تكون هذه المباحث هي مُنطلَق التفكير الشعري لا الدخول في التفاصيل وعرض أنظار الفلاسفة في الموضوع ، فان ذلك يؤول إلى تأليف نظم تعليمي في الفلسفة كألفية ابن مالك في النحو وأرجوزة ابن سينا في الطب ، وما أبعد هذا عن اغراض الشعر والشعراء .

ولعل الشاعر العربي الوحيد الذي تناول في شعره مشكلة الوجود الإنساني والحقيقة العليا واختلاف المذاهب والآراء فيها وكان للتفكير الفلسفي ظل سابغ في معظم إنتاجه الشعرى هو أبو العلاء المعري ، وبالرغم من ذلك فانه لا يمكن أن يقال في شعره انه فلسفة خالصة ، ولكنه شعر ينطلق من محط أنظار الفلاسفة ومجالات تفكيرهم

وهكذا أصحابنا الفقهاء أو العلماء بلفظ أعم ، وإن كانوا فلاسفة حقيقيين ، لا يعرضون علينا في شعرهم إلا جانباً من النظر الفلسفي في ثوب من الخيال الشعري ليكون إنتاجهم عملاً أدبياً ناجحاً .

وأول من نذكره منهم الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا ، فان قصيدته العينية في النفس هي العَلَم المرفوع في هذا الباب ، ما زالت منذ قالها صاحبها تتناقلها الرواة ، وتكتب عليها الشروح ، وتُخَمَّس وتُشطَّر نظما ، وتترجم إلى اللغات الشرقية والأوربية ، وذلك كله من الأهمية التي لها لدى الأدباء والفلاسفة على السواء ، وجوهر الموضوع فيها هو اتصال النفس بالجسد وفراقها له ، وهي َعبْرَ ذلك تطرح التساؤلات الآتية : لأي شيء كان هذا الاتصال ؟ فان كان لغير تحصيل الكمال فهي حكمة طواها الخالق عن إدراك الإنسان ، وإن كان لتحصيل الكمال فلم يقع الفراق قبل حصوله ؟ وهذا طبعاً بأسلوب يتراوح بين التقرير والتخييل ، هو الذي أعطاها تلك الصفة الأدبيه التي جعلتها من عيون الشعر الفلسفي . وها هي ذي :

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذاتُ تعزُّز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كُرْه إليك وربما ... كرهت فراقك وهي ذات تفجع
ألِفت وما سكنت فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى ... ومنازلاً بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها ... عن ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت ... بين المعالم والطلول الخضع
تبكي وقد ذكرت عهوداً بالحمى ... بمدامع تهمي ولما تقلع
وتظل ساجعةً على الدِّمَن التي ... درست بتكرار الرياح الأربع

إذ عاقها الشَّرَكُ الكثيف وصدها ... فقَصٌ عن الأوج الفسيح المَرْبَع
حتى إذا قرُب المسير من الحمى ... ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدت مخالفة لكل مخلَّف ... عنها حليفِ التُّرب غير مشيع
سجعت وقد كُشف الغطاء فأبصرت ... ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق ... والعلمُ يرفَع كل من لم يُرفَع
فلأي شيء أُهبطت من شاهق ... عال إلى قعر الحضيض الأوضع
إن كان أهبطها الإلهُ لحكمة ... طُويت على الفذ اللبيب الأروع
وهبوطها إن كان ضربة لازبٍ ... لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية ... في العالمين فخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها ... حتى لقد غربت بغير المطلَع
فكأنها برقٌ تألق بالحمى ... ثم انطوى فكأنه لم يلمع

أثبتنا هذه القصيدة بكاملها لأننا كلما أردنا الاجتزاء منها بقسم وجدنا أنّ روعتها لا تكمل إلا بالقسم الآخر ، فهي وحدة مترابطة باشارتها ورموزها لا يصح تجزيئها . ونحب أن ينتبه القارىء إلى جمال التعبير عن النفس بالورقاء وهي الحمامة ووصفها بالتعزز والتمنع وكونها محجوبة سافرة ، وإلفها لخراب الجسم مع تطلعها للمحل الذي هبطت منه وذكرها لعهودها بذلك الحمى المنيع ، إلى آخر ما وصفها به . وما أحسن ما وقَعَ قولهُ في مدح العلم : « والعلم يرفع كل من لم يرفع » بعد ذكر المحنة التي مرت على النفس واكتسبت بها من المعرفة ما رفعها إلى الأوج . وأخيراً يتطرق الشيخ إلى مذهب التناسخ في البيت الذي قبل الآخر فينفيه بتلك العبارة القاطعة مؤكداً مفهوم جواب الشرط المذكور قبله ، من أنه لا كمال في الحياة الفانية ولا رجوع إليها لتحصيله كما يقول أصحاب ذلك المذهب ، فلله در ابن سينا ما أجلَّه فيلسوفاً وأديباً ومؤمناً صادقاً ...

وثاني قصيدة بعد العينية ألمت بالمقاصد الفلسفية وإن لم تكن لها شهرتها هي قصيدة ابن الشِّبْل البغدادي وهو كما في عيون الأنباء : « أبو علي الحسين ابن يوسف بن شبل[1] ، مولده ، ومنشأه ببغداد . وكان حكيماً فيلسوفاً ومتكلماً فاضلاً وأديباً بارعاً وشاعراً مجيدا . وكانت وفاته ببغداد سنة أربع وسبعين وأربعمائة . وهذه القصيدة من جيّد شعره ، وهي تدل على قوة اطلاع في العلوم الحِكْمية والأسرار الإلهيّة . وبعضُ الناس ينسبها إلى ابن سينا وليست له » . وهذا هو في مطلعها الرائع يلقي السؤال الذي لا جواب عليه :

بربك أيها الفلك المدار أقصدٌ ذا المسير أم اضطرار

مَدارُك قل لنا في أي شيء ففي أفهامنا منك انبهار

وفيك نرى الفضاء وهل فضاء سوى هذا الفضاء به تُدار

إنها مشكلة الزمن والمكان ، أو الفضاء ، التي حيرت العقول منذ القدم وما زالت بدون حل حتى في عصرنا هذا ، عصر الصواريخ والأقمار الصناعية التي تغزو الفضاء يومياً بالعلم الذي جعل من هذا الفضاء ومباحثه مادة اختصاص يعكف عليها مئات العلماء في الشرق والغرب ، فلا ينتهون إلا إلى أبعاد سحيقة إنما هي مظهر من عظمة الكون وهندسته العجيبة ، فأما عِلّتُه وسرُّ تكوينه فأمر محجَّب لا سبيل إلى معرفته والاطلاع عليه ، وذلك ما صاغه ابنُ الشبل في هذا المطلع بلباقة حِكْمية وبراعة أدبية لا نجدها إلا عند أمثاله من العلماء الأدباء .

ويتابع صاحبنا أسئلته الحائرة عن مصير الإنسان بعد مفارقة الحياة ، وعن المجرّة ونهرها العجيب والشمس والنجوم والشهب الضاربة فيقول :

---

(١) في الوافي للصفدي : محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبل . (لجنة المجلة)

وعندك تُرفع الأرواح أم هل ... مع الأجساد يدركها البوار
وموجٌ ذي(١) الجرّة أم فرِنْدٌ ... على لُجَج الدروع له أوار
وفيك الشمس رافعة شعاعاً ... بأجنحةٍ قوادمُها قِصار
وطوق في النجوم من الليالي ... هلالُك أم يَدٌ فيها سوار
وشُهْب ذي الخواطف أم ذُبال ... عليها المَرْخُ يُقدَح والعَفار
وترصيعٌ نجومك أم حَباب ... تؤلف بينه اللجج الغِزار
تُمَد رقومُها ليلاً وتُطوى ... نهاراً مثل ما طُوي الإزار
فكم بصقالها صديء(٢) البرايا ... وما يصدا(٢) لها أبداً غِرار

ويطول بنا التعرض لما تناولته القصيدة بعد هذا من تقلب الزمن بأهله وعكس مرادهم ، وخطيئة الانسان الأول وما جرته من شقاء على الانسانية ، وإن كان لا يصح غض الطرف عن قولها في وصف القيامة ، وفيه ملامح من وصف القرآن لذلك اليوم الهائل ونصه :

إذا التّكوير غالَ الشمسَ عنا ... وغال كواكبَ الليل انتشار
وبُدّلنا بهذي الأرض أرضاً ... وطوّح بالسموات انفطار
وأذهلت المراضع عن بنيها ... لحيرتها وعُطّلت العشار
وسُيّرت الجبالُ فكُنّ كُثْباً ... مَهيلاتٍ وسُجّرت البحار
فأين ثباتُ ذي الألباب منا ... وأين مع الرجوع لنا اصطبار

وهو وصف بليغ يدل على مقدرة ابن الشبل البيانية وعلى إيمانه العميق ، برغم ما أبداه من حيرة وأثاره من إشكال ازاء بعض المأثورات . ثم هو ينهي قصيدته العظيمة بقوله في عظمة الكون والاعتبار بقدرة الخالق :

---

(١) في عيون الأنباء الذى ننقل عنه : ذا

(٢) في عيون الأنباء صدي بدون همز ، ويصدى بياء ألف .

فما لِسُموّ ما أعلى انتهاء ولا لسُمُوكِ ما أرسى قَرار
ولكن كل ذا التهويل فيه لِذي الألباب وعظ وازدجار

ولابن الشبل أيضاً قصيدة في رثاء أخيه أحمد ينبغي أن تكون تَوْأم قصيدة أبي العلاء المعري المشهورة في رثاء أحد فقهاء الحنفية بما طرقه فيها من أفكار في فلسفة الموت والحياة مع جودة التعبير وبلاغة الأداء ومنها قوله :

صحةُ المرء للسّقام طريق وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نغتذي نموت ونحيي أقتلُ الداء للنفوس الدواء
ما لَقِينا من غدر دنيا فلا كا نت ولا كان أخذُها والعطاء
راجع جودها عليها فَمَهْما يَهبِ الصبحُ يستردّ المساء
ليت شعري حُلْماً تمرُّ بنا الأيامُ أم ليس تُعقَل الأشياء
من فساد يجْنيه للعالَم الكو نُ فما للنفوس منه اتقاء
قبَّح الله لذة لأذانا نالهَا الأمهاتُ والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقدَ فإيجادُنا علينا بَلاء

وهذه أبيات مشهورة في معان فلسفية مختلفة ، فمنها للشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل :

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلها وردّدت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كفّ حائر على ذَقَنٍ أو قارعٍ(١) سنّ نادم

وللفخر الرازي :

نِهايةُ أقدام العقول عِقالُ وأكثرُ سعي العالَمين ضلال
وأرواحنا في عُقْلة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال

---

(١) لعلها : أو قارعاً . (لجنة المجلة)

ولم نستفد من بحثنا طولَ عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادُوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شُرفاتِها ... رجالٌ فزالوا والجبال جبال

ولابن أبي الحديد :

فيك يا أغلوطة الفكـ ... ـر غدا الفكر عليلا
أنت حيرتَ ذوي الا ... لب وبلبلتَ العقولا
كلما أقبل فكري ... منك شبراً فرَّ ميلا

ولابن المظفَّر بن معرّف في الرد على الطبائعيين :

وقالوا الطبيعةُ مَبْدا الكيان ... فياليت شعريَ ما ذِي الطبيعة ؟
أقادرةٌ طبعت نفسَها ... على ذلك أم ليس بالمستطيعة ؟

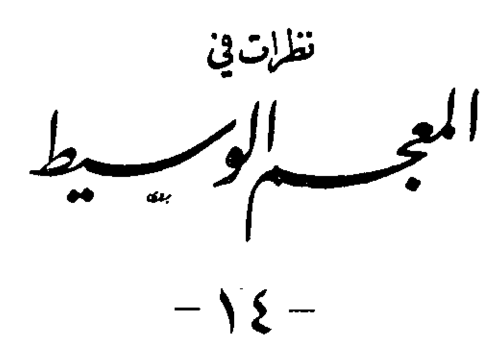
ولأبي سليمان المنطقي ، ويحتوي على نزعة وجودية مع الإقرار بخلود الحقيقة العليا :

لذةُ العيش في بهيميَّة اللـ ... ـذة لا ما يقوله الفلسفي
حكم كأس المنون أن يتساوى ... في حساها الغبي والألمعي
ويحلُّ البليد تحت ثرى الأر ... ض كما حلَّ تحتها اللوذعي
أصبحا رِمَّةً تزايلَ عنها ... فصلُها الجوهريُّ والعَرَضي
وتلاشَى كيانُها الحيوانـ ... ـيُّ وأودَى تمييزُها المَنطِقي
فاسأل الأرض عنهما إن أزال الشـ ... ـكَّ والمِرْيةَ الجوابُ الخَفِي
بطلت تلكم الصفاتُ جميعاً ... ومُحال أن يبطُل الأزَلي

هذه نماذج من شعر أصحابنا الفقهاء العلماء في موضوع الفلسفة وما يتصل بها من المباحث العقلية ، هي من جهة مادة عزيزة في الأدب العربي قلما

نعثر على نظير لها فيما أنتجه غيرهم من شعر يتجافى كثيراً عن منازع الفكر ومُشتجَر الآراء في مطالب النفس وحقيقة الوجود ، وذلك طبعاً باستثناء فيلسوف الشعراء أبي العلاء المعري . ومن جهة أخرى هي أعظم دليل على قوة ملكتهم الشعرية وعارضتهم الأدبية ، إذ أخضعوا تلك الأنظار والمذاهب المختلفة لحكمهم وعبروا عنها بعبارات دالة وكلام واضح لم تضق عنه قوالبُ النظم ولا عيّت به أساليبُ البيان . وذلك غاية ما يطلب من أئمة الأدب وحملة الأقلام .

عبد الله كنون



- ١٤ -

تتمة تعريف الأعلام الجغرافية والتاريخية والشعوب

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
الهلال	... و ـــ شعار لبعض الدُّول الإسلاميّة يقابل شعار الصَّليب عند الدُّول المسيحية . (محدثة) .	تتخذ بعض الدّول الإسلاميّة الهلال شعاراً لها ، ومنذ القديم كان الهلال شعاراً لدولة بني عثمان المسلمة ، ومنها اقتبست تلك الدُّول هذا الشّعار ؛ أما القول بأن الهلال شعار يقابل شعار الصَّليب عند الدُّول المسيحية ، فلا سند له من الحقيقة التاريخية ، لهذا كان من المستحسن أن يغفل المعجم الوسيط هذه المقابلة . على أنه كان جديراً بالمعجم أن يثبت في تعريف الهلال ، مدلول اصطلاح

(الهلال الأحمر) شعاراً للجمعيات الدّولية في مختلف الدّول الإسلامية [1] ، القائمة على مبادئ إنسانية صرفة للعمل على تخفيف آلام بني البشر ورفع مستواهم الصحيّ ، وذلك تنفيذاً لاتفاقية جنيف الدّوليـــة لسنة ١٨٦٤ م ، وبدلاً من شعار (الصّليب الأحمر) لدى الدّول المسيحيّة وغيرها من دول العالم .

الصّليب ... و ـــ كلّ ما كان على شكل خطّين متقاطعين ...

كان من المستحسن أن يضيف المعجم الوسيط إلى تعريف الصّليب ، مدلول اصطلاح « الصليب الأحمر » فيثبت مثلاً : و ـــ الأحمر : شعار جمعيات دُولِيَّة تعتنق مبادئ إنسانية بحتـــة ترمي إلى التخفيف من الآلام البشريّة والعمل على رفع مستوى الصحة العامة ، وهي منتشرة في جميع دُول العالم تنفيذاً لاتفاقيـــة جنيف الدُّولية المعقودة سنة ١٨٦٤ م .

الصّليبيُّونَ جيوش من نَصارَى أوربا ، غزت الشرق الإسلامي مراراً في أثناء

لو أن المعجم الوسيط عرّف الحـــروب الصّليبيّة ، لاستغنى عن تعريف الصّليبيّين الذين جيّشوا الجيوش الصّليبية أو كانوا في عدادها .

(١) أكثر الجميات المذكورة في الدّول الإسلامية تتخذ الهلال الأحمر شعاراً لها ، باستثناء دولة إيران ، إذ تتخذ جمعيتها « الأسد الأحمر » شعاراً لها ، وهناك بعض الدول ما زالت تقوم فيها جميات شعارها « الصليب الأحمر » الدّولي نفسه كما كان الأمر قبل استقلالها .

القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، للاستيلاء على بيت المقدس وما حوله .

ويلاحظ أن جملة (للاستيلاء على بيت المقدس وما حوله) لا تكفي في بيان غاية الصّليبيّين من حروبهم ، لأنه من الثابت أنّ غايتهم كانت أوسع من ذلك وأنهم لم يكتفوا بالاستيلاء على بيت المقدس وما حوله .

[مادة ص ل ب]

هُرْمُزْ كلمةٌ فارسية من معانيها : الله ،وكوكبالمُشتري(1)، وأحد ملوك الفرس هُرمز (٢٧٢ م) . وقد أطلق العربالهرُمزَوالهارَمُوز والهُرْمُزان على الكبير من ملوك العَجَم .

[مادة هـ ر م]

تعريف كلة (هرمز) في المعجم الوسيط جُمّع من عدد من المعجمات القديمـــة ، وكان من المستحسن إعادة النظـــر في بعض أجزاء التعريف في ضوء المعلومات التاريخية الثابتة ؛ فالكلمة في أصلها الفارسيّ اسم عَلَم تسمّى به خمسة من ملوك الفرس في الدّولة الساسانية ، وكان أولهم هُرمُزد الأول الذي تولّى المُلْك سنة ٢٧٢ م وتوفي في السنة التالية لولايتـه .

أما الهُرمُزان فهو اسم عَلَم آخر ، وكان اسم أمير الجيش الفارسيّ الذي هزمه العرب المسلمون في موقعة القادسيّة سنة ٦٣٧ م .

(١) كنا في نظراتنا في اسماء النجوم الواردة في المعجم الوسيط ، ذكرنا أن لفظة (هرمز) هي صيغة معرّبة وليست فارسيّة أو دخيلة لأن اللفظة الفارسية هي (هرمزد) . انظر المجلد ٤٠ ص ٥٩٣ سنة ١٩٦٥ .

الشاهِنْشاه ملك الملوك ، أو الملك الأعظم . (فارسية) . انظر : (ش و ه) . [مادة ش ه ي]	أثبت المعجم الوسيط كلمة (شاهِنشاه) في مادة (ش ه ي) مع بيان معناها والإحالة إلى مادة (ش و ه) وفي هذه المادة أعيد بيان معنى هذه الكلمة الدخيلة مع ذكر صيغتين لها ، مما زاد في تضخيم المعجم العربي بدون داعٍ .
الشّاهُ المَلِكُ . (فارسية) : ومنه الشّاهُ المستعمَلُ في رُقعَةِ الشِّطْرَنْج .	وكان من المستحسن الاكتفاء بإثبات كلمة (الشّاه) دون غيرها .
شاهِنْشاه، وشَهِنْشاه : ملكُ الملوك . (فارسية) . [مادة ش و ه]	إنّ هذه الملاحظة تَرِد بالنسبة إلى عدة مواد في المعجم الوسيط .
الهُمايون السُّلطان، أو الامبراطور. (فارسية) .	هُمَايون لفظة فارسيّة معناها : العزيز أو السلطان ؛ والكلمة مركبة من : (هُما) أي عنقاء ، ومن (يون) وهي أداة النسبة . وقيل إنّ (هُمايون) في الأصل : اسم طائر عزيز ، لذا أطلق على السلطان [1] . وفي أقرب الموارد : ... ولذا أطلق على العزيز والسلطان ، وقول الأتراك : باب هُمايون أي باب السلطان .

(١) انظر كتاب « الألفاظ الفارسية المعربة » لأدي شير ص ١٥٨ بيروت ١٩٠٨ م .

الهُماء العُقابُ . و ـــ طائرٌ تتَّخذ الملوك من ريشه في تيجانهم،لعزَّته.(فارسية).

الهُماي لُغـــةٌ في الهُماء بمعنى الطائر السابق .

واللاحظ في تعريف المعجم الوسيط كلمـــة (هُمايون) حشر لفظة (الإمبراطور) (١) ، وإدخال أداة التعريف على الكلمة ، ولم يرد كل هذا في معجم قديم .

وأشار المعجم الوسيط في تعريف كلمـــة (الهُماء) إلى أنها (فارسيّة) بمعنى الطائر الخرافي ، وهذه الكلمة في حقيقتها (معرّبة) عن كلمة (هُما أو هُمايُ) الفارسية .

وأثبت المعجم الوسيط صيغة (الهُماي) على أنها لغة في (الهُماء) ولم أعثر على مصدر موثوق ذكر هذه الصيغة .

ومما يلاحظ وجود خطأ مطبعي في تعريف الهماء ، بزيادة لفظة (في) .

الدِّهْقان رئيس القرية.و ـــ رئيس الإقليم . و ـــ القويّ على التصرف مع حِدَّة . و ـــ من له مال وعَقار . و ـــ التاجر. (كلُّه مع) . (ج) دَهاقنة، ودَهاقينُ. [مادة د هـ ق]

تكاد تعريفات كلمة « الدّهقان » في معاجم العربية تكون متماثلة ، فهي تعني : رئيس الاقليم وزعيم فلاحي العجم . وقد اكتفى المعجم الوسيط بذكر أن الكلمة في جميع معانيها معرّبة ، وفي رأينا أن هذا لا يغني عن الاشارة إلى أن الكلمة كانت تطلق على رئيس الاقليم أو رئيس القرية الفارسيّ ، لأن تعريب الكلمة لم يرق بها إلى

(١) أثبت المعجم الوسيط كلمة (إمبراطور) بصيغة ثانية في مادة (ع هـ ل) إذ أورد التعريف التالي : العاهل : الملك الأعظم يحكم شعوباً مختلفة كالخليفة والأنبرور !

أن تكون اسماً لأي مركز إداري في البلاد العربية .

هذا وقد حيرنا في فهم المقصود من جملة (القوي على التصرف مع حدّة) الواردة في كل من اللسان والقاموس وغيرهما من المعاجم العربية ، وشككنا في أن يكون في الأمر تصحيف ما ، وأخيراً وجدنا في معجم متن اللغة : (الدّهقان « مثلثة الدّال » القويّ على التصرف مع شدّة خبرة ...) وبهذا تأكدنا من وجود التصحيف ، ولكن كيف فات صاحب التاج الاشارة اليه ؟ خاصة وأننا لم نعثر على المصدر الذي اعتمد عليه صاحب متن اللغة فيما أثبته من معنى ؟

النّوّروز أو(النَّيْرُوز)« بالفارسية »: اليوم الجديد ، وهو أوّل يوم من السنة الشمسيّة الايرانيّة ، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس من السنة الميلادية . وعيد النّوروز أو النّيْرُوز أكبر أعياد الفرس .

[مادة ن و ر]

كان من المستحسن أن تضاف كلمة (قومية) إلى جملة : أكبر أعياد الفرس تمييزاً لهذه الأعياد عن الدينية منها ، لأن الفرس مسلمون ودولتهم دولة إسلامية .

هَرْبَذَ سارَ سيْراً دون الخَبَب .

الهِرْبِذُ الكاهن المجوسيُّ القائم على بيت النّار . و ـــ حاكم المجوس (فارسيّ معرب) وهو بالفارسية هِرْبَدْ .
(ج) هرابِذَةٌ .

الهِرْبِذى مِشْيَةٌ فيهـــا اختيالٌ وعُجب . و ـــ مِشيةُ الجمل ونحوه عندما يميل إلى أحدِ جانبيه .

[مادة ه ر ب]

من الثابت عند علماء العربيــة أن العرب عرّبوا كلمة (هِرْبد) بصيغة (هِرْبِذ) واشتقّوا منها فعلاً واسم مشية تتفق وما تصوروه في مشية الهِرْبذ .

واختلف أصحاب المعجمات في بيــان معنى الهِرْبِذ ، فمن أجــل صنع معجم عربي حديث يجب استبعاد كل معنى لا يتفق هو ومعنى الكلمة الأعجمية أو يبتعد عن المعنى الذي من أجله اشتق العرب فعلاً من تلك الكلمة وأدخلوه لغتهم .

إن كلمة (هِرْبد) الفارسية تعني : قَوَمَة نار المجوس وحكامهم[1] ؛ لهذا كان من المستحسن أن يكتفي المعجم الوسيط بمثل التعريفات التالية[2] :

هَرْبَذ : مشى الهِرْبذَى .

الهِرْبِذّى : مَشْيَةٌ فيها اختيال كمَشي الهرابذة .
ومن المجاز عدا الجَمَلُ الهِرْبِذَى
أي في شقٍّ .

الهِرْبِذُ : حاكم المَجُوس أو القيّم على بيت نارِهم . (مع) . (ج) هَرَابِذة .

---

(١) انظر القاموس المحيط وغيره من المعجمات . وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدّي شير ص ١٥٧ .

(٢) انظر تاج العروس : مادة (هـ ر ذ) .

الكَرُوبيّون المقرّبون إلى الله من الملائكة ، منهم جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل .

كَرَبَ فلانٌ ـُـ كَرْباً : زَرَعَ في الكريب .

. . . . . .

وكَرَبَ يفعل كذا ، وكَرَبَ أن يفعله : قارب أن يفعله ...

. . . . . .

الكَرْبُ الحُزْنُ والغَمُّ . . . .

جاء في المعجم الوسيط تعريف كلمة « الكَرُوبيّون » المنقول عن بعض المعاجم القديمة ، ضعيف الصلة بمادة (كَرَبَ) إذ لم يثبت المعجم من معانيها التي تتصل بالكلمة المذكورة ، إلا قوله : كَرَبَ يفعل كذا أي قارب أن يفعله ، فإذا رجعنا إلى المادة في الأمهات وجدنا ما يلي :

في صحاح الجوهري : كَرَبَ الشيء أي دنا .

وفي لسان العرب : كَرَبَ الأمر يَكْرُبُ كُرُوباً : دَنا ، ... وكلُّ شيءٍ دَنا فقد كَرَبَ ... وكَرَبَتِ الشمسُ للمَغيب : دَنَتْ ، وكَرَبَت الشمسُ : دَنَتْ للغروب ... قال أبو عبيد : كَرَبَ أي دَنا من ذلك وقَرُبَ . وكلُّ دانٍ قريب فهو كاربٌ ... والكَرْبُ : القُرْبُ . والملائكة الكَرُوبيّون : أقرب الملائكة إلى حَمَلَة العَرْش .

وفي أساس البلاغة : وكَرَبَتِ الشمسُ أن تغرب . ومنه : الكَروبيّون والكَروبيّة من الملائكة .

وفي القاموس المحيط : وكَرَبَ كروباً : دنا ... والشّمسُ : دنت للمغيب ... والكَرُوبيّون مخفّفة الرّاء : سادة الملائكة .

وفي مقاييس اللغة : . . فأما كَرَبَ الشيء : دنا فليس من الباب [١] ، لأنّ هذا من الإبدال ، وإنما هو من القُرْب ، لكنَّهم قالوا بالقاف قَرُب بضم الراء ، وقالوا في الكاف كَرَب بفتحها ، والمعنى واحد ، والملائكة الكَرُوبيّون فَعُوليّون من الكروب ، وهم المقرَّبون

من هذا العرض لما ورد في معاجم العربية ، نجد أن المعجم الوسيط قد أغفل معنى (الدنو والقرب) في مادة (كرب) ، لذلك فمن المستحسن أن يضاف هذا المعنى إلى معانيها العديدة ، على أن يكون في فقرة مستقلة على الشكل التالي :

(١) أخرج ابن فارس بكلامه هذا فعل (كرب بمعنى دنا) من مادة (كرب) الأصيلة جاعلاً إياها مبدلة من مادة (قرب) وهذا التخريج الذي لم يقبله علماء العربية ، يضفي شكاً على أصالة كلمة الكرب بمعنى القرب ، ويفسر ما نجده في كتب المحدثين ، فقال جاء في «أقرب الموارد» ما يلي : (الكرُوبيّون والكروبيّة ، وقد تبدل الكاف شيناً : سادة الملائكة أو المقرّبون منهم عبرانيتها كَرُوبيم جمع كَرُوب ، وربما استعمِلت بلفظها العبراني ومعناها : حافظ أو حارس أو مقرّب ، قال أميّة : « كَرُوبيّةٌ منهم رُكوعٌ وسُجَّدُ » .

وفي هامش كتاب « الألفاظ السريانية في المعاجم العربية » للبطريرك أفرام برصوم : « كروب : قال الرهاوي ص ١٠ (كروب لفظة عبرية مدلولها الحاذق في صناعته ، أرادوا بالملاك الكروب أو الكروبي والجمع كروبيم وكوارب الجزيل العلم وبالتالي رسوخ الملائكة : الجليّ الباهر في الاستنارة) وفي سفر التكوين ٢٣ : ٢٤ بحسب الترجمة السريانية : وأقام شرقي فردوس عدن الكواريب » .

كَرَبَ ـُ كروباً : دنا ، وكَرَبَتِ الشّمسُ للمغيب : دَنتْ ، وكَرَبَتِ الشمس : دنت للغروب .

الكَرْب القُرب .

الكَرُوبيّون المقَرّبون . و ـــ من الملائكة : المقرّبون إلى الله تعالى كالكروبيّة [1] .

مَارُوتُ رفيقُ هاروتَ : مَلَكَان هبطا ببابلَ فعلمَّا الناسَ السحر .

[مادة م ر ت]

كان المعجم الوسيط في غنى عن إثبات هذا الاسم ، كما استغنى عن إثبات كل من : هاروت وطالوت وجالوت ، وهي جميعها أعلام أعجمية ممنوعة من الصرف للعلمية والعجمة كما في أصح الأقوال .

البنّاءون الأحرار جماعة سِرّيّة لها نظم داخلية دقيقة يتعاون أعضاؤها فيما بينهم ، وإن اختلفت أجناسهم وأوطانهم وأديانهم . وكوّنها فريق من البنائين في القرن الرابع عشر ، وانتشرت في كثير من الأقطار . (انظر: ماسونية) .

[مادة ب ن ي]

في تعريف المعجم الوسيط لجمعية (البنّائين الأحرار) قطع في أمر مختلف عليه وهو زمن تأسيس تلك الجمعية ، وفي هذا تجاوز المعجم طبيعته اللغوية [2] .

ومما يلاحظ في التعريف الإحالة إلى تعريف (ماسونية) وهذه الكلمة لم يدخلها المعجم الوسيط في مواده وحسناً فعل ، مما يقتضي معـــه حذف الإحالة .

(١) أثبت اللسان هذه الصيغة ، كما أثبت شعر أميّة المنفرل في أقرب الموارد كما في الهامش السابق .

(٢) انظر كلمة : Franc - maçonnerie في الموسوعات الأجنبية .

قَرَهجُوز دُميً صغيرة من الورق المقوىّ أو الخشب الرقيق، يحرّكها إنسان مختفٍ وينطق بما تقول، فترى كأنها تتحرك وتتكلّم. (مج).

[مادة ق ر ه]

كان من المستحسن وقد شاء مجمع اللغة العربية إدخال كلمة (قره غوز) إلى المعجم العربيّ أن يُشار إلى تركيبها ومعناها (أسود العَينين).

كما كان من حق العربية أن يشار في التعريف إلى الاسم الذي أطلقه البعض على مسرح (قرهغوز) وشاع في كثير من البلاد العربية وهو (مسرح العرائس).

البَحْرِيّ الملاّح. و — كل منسوب إلى البحر.

البَحْرِيَّة عُدَّة الدولة في البحر، من سفن وغوّاصات، وطائرات وجنود، ونحو ذلك.

البحريّة صفة مؤنثة لكلّ منسوب إلى البحر، وهي ما لم تضف إلى اسم آخر، كقولنا وزارة البحريّة أو مشاة البحريّة أو القوات البحريّة، لا تدل على شيء معين، إلا بتقدير مضاف محذوف تدل عليه دلائل توحي بالمقصود منها.

لقد درج المعجم الوسيط على إثبات العلمية لكلمات كثيرة لا ترقى إلى العلمية إلا بتقدير محذوف ولفظة «البحرية» منها، وكان من المستحسن إن أُريد إثباتها بالمعنى المذكور في التعريف القول:

البَحْرِيَّة: القواتُ البحريَّة: عُدّة الدولة ...

القَوْم الجماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها ... و — الجماعة من الناس تؤلف بينهم وحدة اللغة والتقاليد الاجتماعية وأصول الثقافة وأسباب المصالح المشتركة . (محدثة) .

القَوْميّ من يؤمن بوجوب معاونته لقومه ومساعدتهم على جلب المنفعة ودفع المضَرّة. و — الوطني . يقال : العيد القومي ، والزعيم القومي . (محدثة) .

القَوْميّة صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللّغة والمنافع . وقد تنتهي بالتضامن والتعاون إلى الوحدة ، كالقومية العربية.(محدثة) .

أدخل المعجم الوسيط في تعريف الكلمات المتصلة بالأقوام والشعوب بعض معانيها الاصطلاحية المحدثة ، غير أن التعريفات ، التي أثبتها المعجم ، على جدة بعضها ، لم تأت دقيقة في مدلولاتها منسجمة بعضها مع بعض .

ولا بد قبل إعادة النظر في مختلف التعريفات المشار اليها من الرجوع إلى مؤلفات المختصين الذين أوفوا تلك الكلمات حقها من البيان من حيث معانيها اللغوية ومعنى كل منها في الاصطلاح المتعارف عليه في العصر الحديث . وفي مقدمة هذه المؤلفات كتاب « القومية العربية »[1] للأمير مصطفى الشهابي حيث أثبت المعاني اللغوية والتعريفات الاصطلاحية الحديثة لكلمات : القوم ، والقوميّ ، والقوميّة ، والأقواميّ أو اللاقوميّ ، والأقواميّة ، وغيرها من الكلمات مثل : الوطن والوطنيّ والوطنية والمواطن والمواطنة ، والأمة والشعب والدولة .

(١) مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية مصر ١٩٥٩ .

الأُمَّة	جماعة من الناس أكثرهم من أصل واحد ، وتجمعهم صفات موروثة ، ومصالح وأمانيّ واحدة ، أو يجمعهم أمر واحد من دين أو مكان أو زمان . يقال : الأمة المصرية ، والأمة العراقية . و ـــ الجيل . و ـــ عشيرة الرجـــل . (ج) أمم . ومجلس الأمـة : المجلس النيابي في مصر ، انشىء بمرسوم عام ١٩٥٧ .
الشَّعْبُ	الجماعة الكبيرة ترجع لأبٍ واحد، وهو أوسع من القبيلة. و ـــ الجماعة من الناس تخضع لنظام اجتماعيٍّ واحد. و ـــ الجماعـة تتكلّم لساناً واحـداً . (ج) شُعُوبٌ .
الجيلُ	الأمّة . و ـــ الجنس من الناس : فالتُّرك جيل ، والرُّوم جيل . و ـــ القرن من الزمن . (ج) أجيال .

أصبح لكل من كلمتي « أمّة » و « شعب » مدلول اصطلاحي جديد في هـذا العصر عصر نهضة الأمة العربية ، مما يجب معه على المعاجم الحديثة عدم إغفال المعاني الاصطلاحية الجديدة إلى جانب المعاني اللغوية والمعجمية القديمة ، كما يجب إهمال أي مثل يناقض المعنى الاصطلاحي الحديث ، فيجب مثلاً أن يقال في تعريف كلمة « أمّة » : الأُمَّة العربية ؛ لا أن يقال : الأمَّة المصرية والأمة العراقية ، فليس في مصر أو في العراق سوى شعب من شعوب الأمة العربية .

كما يجب أن يمثل في تعريف كلمة « شعب » بأي شعب من شعوب الأمة العربيـة أو غيرها من الأمم .

وإذا كانت كلمة « الجيل » تعني فيما تعنيه : الأمة والجنس من الناس ، فيجب أن يثبت بأنها قد تعني أيضاً « الشَّعب » .

الوَطَنُ مكانُ إقامةِ الإنسـان ومقرُّه ، وُلد به أو لم يولد . (ج) أوطان ...

الإقليمُ عند القدماء : واحـد الأقاليم السبعة ، وهي أقسام الأرض . و ـــ بلاد تسمى باسم خاص كإقليم الهند وإقليم اليمن . و ـــ منطقة من مناطق الأرض تكاد تتحد فيها الأحوال المناخية والنظم الاجتماعية ، كالإقليم الشمالي والإقليم الجنوبي .

الدَّوْلَةُ جمع من الناس مستقِرُّون في إقليم مُعَيَّن الحدود ، مُستقِلُّون ، وفق نظـام خاص . (ج) ...

إن التعريفات الواردة في المعجم الوسيط لكلمات « وطن وإقليم ودولة » جاءت غير دقيقة في معانيها الاصطلاحية المحدثة ، فيجب إعادة النظر فيها ، وسلّ معنى الموطن من تعريف الوطن ، مع بيان المقصود من اصطلاح « الوطن الأم » المنتشر استعماله كثيراً عند المغتربين في المهاجر .

كما يجب إضافة معنى « القطر » إلى معاني الإقليم ، للدلالة على جزء معـين من دولة أو بلاد تتميّز باسم خاص .

وفي تعريف كلمة « دولة » يجب إضافة المعنى القانوني لها المتصل بالشخصية الاعتبارية المعترف بها دُوَليّاً أو في المنظمات الدوليّة .

الجِنْسِيَّةُ الصِّفةُ التي تلحق بالشخص من جهة انتسابه لشعب أو أُمة ، مثل: فلان مِصْرِيٌّ ، أو عَرَبيٌّ . (مو) .	تعريف كلمة « الجنسيَّة » الذي أثبته المعجم الوسيط هو تعريفها من ناحية اجتماعية وقد شاع في القرن الماضي ، أما في العصر الحاضر فأغنت كلمة « القومية » عن « الجنسية » بالمعنى الذي أورده المعجم الوسيط .
	لقد فات المعجم الوسيط الإشارة إلى المعنى القانوني لكلمة جنسية المعروف في جميع البلاد العربية : وهو المتصل برابطة الولاء والحماية بين الانسان ودولة معينة .
العِرْقُ أصلُ كل شيءٍ	كما فات المعجم الوسيط عند تعريف كلمة « عِرْق » أن يشير إلى المعنى الاصطلاحي الحديث للكلمة وهو السلالة Race .

(يتبع)

عدنان الخطيب



أبو يعقوب الخُرَيْمي

- ١ -

(١)

أبو يعقوب إسحاق بن حسَّان (بن قُوهي) (١) الصُّغْديُّ أصلاً ، الخريمي ولاء . والصُّغْد « كورة قصبتها سمرقند ، وقيل هما صغدان : صغد سمرقند وصغد بخارى ... » (٢) وهو « في الأصل اسم للوادي والنهر الذي تشرب منه هذه النواحي » (٢) .

ونسب إسحاق إلى الصغد لا نقاش فيه ، نصَّت عليه عدة مصادر ، وافتخر هو نفسه فقال :

إني امْرُؤٌ من سراة الصُّغد ألبسني   عِرق الأعاجم جلداً طيِّبَ الخَبَرِ (٣)

وتقع الصغد في « ما وراء النهر » ، ويعد هذا النهر — أي جيحون — « الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية أي إيران وتوران ، فما كانَ في شماله أي ورائه من أقاليم قد سماها العرب ما وراء النهر » (٤) ، فالأولى — على هذا — أن يتبادر إلى ذهن الباحث في أصل إسحاق أن

---

(١) وردت « ابن قوهي » لدى الجاحظ ـ الحيوان ١ : ٢٢٤ ، البيان ١ : ١١٥ ، ٢ : ٣٥٢ ؛ الحصري ١ : ١٠٤ ، البغدادي ٦ : ٣٢٦ ، البكري ٢٧ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ . وينظر ابن الجراح ١٠٣ .

(٢) ياقوت ، كلمة « الصّغد » ٣ : ٤٠٩ ـ ، وقد يقال السُّغد .

(٣) ابن قتيبة ٢ : ٧٣١ .

(٤) لسترنج ٤٧٦ .

يكون تركياً . ولابد من أن تعني كلمة « الأعاجم » أو « العجم » [١] التي ترد عند الحديث عنه : الترك . وانه لكذلك ، بدليل صريح ، هو قول ابن المعتز : « كان من نسل الترك » [٢] .

وكان المبرد يروي أنه « كان يرجع إلى بيت في العجم كريم » [٣] .

ويبدو أن علم الباحثين المعاصرين لنا أنه مولى ورؤيتهم كلمة « العجم » في نسبه مما دفع بهم إلى الجزم السهل بأنه فارسي الأصل ؛ ومن هؤلاء الباحثين بروكلمان وبرون وأحمد أمين ومحمد نبيه حجاب وغيرهم [٤] .

وليس لدينا ما يدل على أن إسحاق وُلد في الصغد ، وإنما لدينا قوله :

رسا بالصُّغد أصل بني أبينـا ... وأفرعنا بمرو الشّاهجان

وكم بالصُّغد لي من عمّ صدقٍ ... وخال ماجدٍ بالجُوزجان [٥]

وقد يكون الراجح — على هذا — في ولادة إسحاق أن تقع في إحدى هـــذه المدن الكثيرة من خراسان ؛ وأنها في مرو الشاهجان ، إن لزم التخصيص . أما تاريخ الولادة فلم يشر اليه أحد ، وقد ذُكر أن إسحاق من طبقة تلي سِنّاً طبقة بشار (وأبي نواس) [٦] .

ثم كان في سجستان ، ترعرع وشبّ وتعلم وطلب العلم والأدب ثم قال

---

(١) ابن قتيبة ٢ : ٧٣١ ، ويبدو أن العباسي ١ : ٢٥٢ أخذ عنه .

(٢) ابن المعتز ٢٩٣ .

(٣) الحصري ٢ : ١٠٧١ ، ومثله ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ .

(٤) بروكلمان ٢ : ١٩ ، برون ١ : ٢٦٨ ، أحمد أمين ١ : ٦٥ ، حجاب ٣٠٥ ، الحوفي ٤٥٠ ، الشايب ٢٣٢ . وينظر محمود مصطفى ٢ : ٣٥٣ ، بيومي ٢٩٣ .

(٥) ياقوت كلمة الصغد ، وينظر ياقوت ولسترنج عن أعلام المدن الواردة في البيتين .

(٦) ابن رشيق ١ : ١٠٠ وذكر في ولادة بشار عام ٩٦ وفي قتله عام ١٦٧ أو ١٦٨ ، وفي ولادة أبي نواس ١٤١ ــ ١٤٥ ووفاته ١٩٦ ــ ٢٠٠ .

وأصبح يرى نفسه مظلوماً مغموط الحقوق لا ينال لقمة العيش بعز وكرامة :

أدركتْني ـ وذاك أوّل دابي ـ بسجستان حرفةُ الآدابِ [(١)]

وأكثر ما كان يشكو أنه يُضطر إلى قصد من لا يستحق من الممدوحين ، وكرر المعنى نفسه في أبيات أخرى انتهى فيها إلى أن قال .

لا تَنْظُرَنَّ إلى عقلٍ ولا أدبٍ إن الجُدود قريباتُ الحماقاتِ [(٢)]

ولكنه ما زال في أول مراحل النظم لما يبلغ الدّرجة التي تصوّر أنه بلغها . ولا بد من أن يكون الضيق الذي عاناه أهم ما بعثه على قول الشعر ؛ ذكر الجاحظ « قال أبو يعقوب الخريمي الأعور ، أول شعر قلتُــه هذان البيتان :

بقلبي سَقامٌ لستُ أحسنُ وصفَهُ على أنه ما كان فهو شـديدُ
تمرُّ به الأيامُ تسحبُ ذيلَها فتبلى به الأيامُ وهو جديد [(٣)] »

ولا بد من أن يتصبَّر ، فقد تطول الأزْمة ، ولا بد من السعي ، فقد يقع على من يفرّج عنه الكرب ويوسع له الأمل — وهذا ما كان .

(٢)

فقد وقع على « قائد جليل وسيّد شريف[(٤)] » « عظيم القدر » [(٥)] ، عرف قدره وأغدق عليه المال وهيأ له الجاه . وكان لإسحاق من الصفات ما يجعله

---

(١) الآمدي ١ : ١٢١ . وينظر ابن عساكر ٢ : ٤٣٥ . وينظر عن سجستان ياقوت ولسترنج .

(٢) ابن عساكر ٢ : ٤٣٥ ـ ٤٣٦ . وينظر الجاحظ ـ الحيوان ١ : ٣٥٤ .

(٣) الجاحظ ـ البيان ١ : ٢٢٤ ، ٣ : ٣٢٥ . وينظر للأعور ابن الجراح ١٠٤ .

(٤) الحصري ٢ : ١٠٧٢ ، البغدادي ٦ : ٣٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ .

(٥) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٢ .

أهلاً لذلك ، فإنه إلى عمله وأدبه و « ظرفه »[١] « كان يتأله ويتدين »[٢] و « يرجع إلى إسلام ووقار »[٣] .

ذلكم « القائد » هو « عثمان بن عُمارة بن خُرَيْم الناعم الذي ينتهي نسبه إلى ذُبيان إلى غطفان من العدنانية[٤] . وكان جدُّه خريم مسيّداً في قومه ، جعلته مكانته علماً لأولاده وأحفاده فقيل عمارة الخريمي ، وعثمان الخريمي ، وأبو الهيذام (عامر) الخريمي . حتى إذا كان اسحاق بن حسّان مولى لعثمان قيل له إسحاق بن حسان الخريمي ، وأبو يعقوب الخريمي أو الخريمي فقط (وكثيراً ما صحف بالخزيمي ، وقد يصحف بالخرمي أو الجرمي — ولا قيمة لذلك ولا أساس) .

مدح أبو يعقوب عثمان كثيراً وسارت أماديحه ، ولا بد من أن يكون منها اللامية التي يقول فيها :

... فلو لم يكن إلاّ بنفسك فخرها لكان لها يوم الفخار بك الفضل[٥]

وربما كان في هذه القصيدة الأبيات التي يقول فيها :

أبالشُّغدِ بأسٌ إذ تعيّرني جُمل سَفاهاً ومن أخلاق جارتي الجهلُ

---

(١) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٢ .

(٢) ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ .

(٣) ابن عساكر ٢ : ٤٣٢ — كأنه يروي السند عن المبرد .

(٤) ينظر عن خريم ، ابن قتيبة ٢ : ٧٣١ ، ابن الجراح ٢٣ ، ابن حزم ٢٤٠ ، الميداني ٢ : ٣٠٥ — ٥٦ ، ابن عساكر ٥ : ١٢٨ ، القلقشندي ٤١٩ ، ٢٥٤ ، ٣٨٨ ، ٢٨٨ ، الزركلي ٢ : ٣٤٨ .

(٥) العسكرى — ديوان ١ : ٧٤ ، وينظر الجاحظ — البخلاء ١٦٧ ، البيان ٢ : ٣٥٢ (وينظر ١ : ٢٧٤) ، الحيوان ٢ : ٩٥ (وينظر ١ : ٢٧٤) ؛ ابن قتيبة ٢ : ٧٣٥ .

فان تفخري يا جُمْلُ أو تتجملي فلا فخرَ إلاّ فوقه الدينُ والعقل
أرى الناسَ شَرعاً في الحياة ولا يُرى لقبْرٍ على قبر علاءٌ ولا فضل
وما ضرّني أنْ لم تلدني « يحابرٌ » ولم تشتمل « جرمٌ » عليّ ولا « عُكْل »[1]

ذكر هذه الأبيات أكثر من مصدر دون أن يعلق عليها أو أن يربطها بالشعوبية ، ولكن الباحثين المعاصرين لنا ربطوها[2] واشتدوا على الشاعر وزاد بعضهم أن نسب الربط إلى ياقوت[3] — ولا صحة للنسب[4] ، وما كان مناسباً أن يكون شعوبياً شاعر كأبي يعقوب وهو يمدح قائداً كعثمان الخريمي .

ظل الشاعر قريباً من عثمان يواصل المدح ويتلقى المال ويلقى الجاه[5] . ثم كانت نهاية عثمان على غير ما يحب وهو القتل[6] ، كما يبدو ، فرثاه[7] .

وكان طبيعياً أن يلحق بأخيه أبي الهيذام .

وجمع أبو الهيذام بالشام جمعاً عظيما ، فقد كان « أحد فرسان العرب المذكورين » وهو زعيم قيس في الفتنة التي وقعت بينهم وبين اليمن ، وقد

(١) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٥ ، ياقوت ، كلمة الصغد — واختلط على ياقوت الأمر فحسب ان الخريمي كان في عصر فيه صحابة .

(٢) احمد أمين ١ : ٦٦ ، حجاب ٣٠٥ ، وينظر الحاجري ٣٦٤ .

(٣) حجاب ٣٠٦ .

(٤) ينظر ياقوت . كلمة الصغد .

(٥) يبدو ان عثمان نزل سجستان عاملاً للرشيد بها كما يفهم من ابن الجراح ٢٣ ، والمرزباني — معجم ٢٥٦ .

(٦) ينظر المرزباني — معجم ٢٥٦ ، العباسي ١ : ٢٥١ ، ابن الجراح ٢٣ ، ابن عساكر ٧ : ١٧٦ .

(٧) دون أن يصل الينا الرثاء . وصلت أبيات تنسب لأبي الهيذام يرثي أخاه ، ينظر ابن الجراح ٢٣ ، ابن عساكر ٧ : ١٧٦ ، العباسي ١ : ٢٥١ — ٢٥٢ .

غلظ أمره واشتدت شوكته وأعيت الرشيد الحيل فيه ، وكان إلى جواره ابنه خريم — وهو فارس شاعر — وكان ذلك عام ستة وسبعين ومائة .

ولكن الرشيد استطاع أن يقضيَ على الفتنة بمهارة موسى بن يحي بن خالد بن برمك فقد ورد الشام وأصلح بين أهلها ، ولما انتهى الخبر إلى الرشيد بمدينة السلام ردّ الحكم في « الثائرين » إلى يحي فعفا عنهم [١] ، قال - في ذلك - الخريمي أبياتاً امتدح فيها يحي [٢] .

ولم نعلم — بعدها — من أخبار أبي الهيذام إلاّ أنه توفي سنة اثنين وثمانين ومائة [٣] ، وقد رثاه الخريمي [٤] ، وخلفه ابنه خريم فأقام عنده الشاعر يمدحه ويمجده ، حتى إذا توفي رثاه وأكثر من رثائه [٥] فقال :

... وقالوا : ألا تبكي « خريم بن عامر » فقلت على أن كان ذلك ينفعُ
سأبكي « أبا عمرٍو » لضيف مدقّعٍ وذي حاجة أعيي بها كيف يصنع
وكان لسانَ الحي قيسٍ ونابَها وكانت به قيسٌ تضُرُّ وتنفع [٦]

---

(١) ينظر عن أبي الهيذام عامر بن عمارة بن خريم و« نورته » بدمشق أيام الرشيد : ابن الجراح ٢٣ ـ ٢٤ ، ابن قتيبة ٢ : ٧٣١ ، الطبري III ٦٢٥ (وينظر الجهشياري ٢٠٦) ابن دريد ٢٨٩ ، المرزباني ـ معجم ٢٥٦ ، ابن عساكر ٧ : ١٧٦ ـ ، العباسي ١ : ٢٥١ ـ ٢٥٢ ولا تخلو الروايات من اضطراب .

(٢) الأبيات لدى الطبري III ٦٢٥ سنة ١٧٦ . وربما ورد الخريمي بغداد في هذا العام . ينظر البغدادي ١٤ : ٢٩٦ ، ابن عساكر ٤٣٥ .

(٣) ابن عساكر ٧ : ١٩٣ .

(٤) ابن المعتز ٢٩٣ ، ابن الجراح ١٠٣ — ولم يصل الينا رثاؤه ، كما يبدو .

(٥) ابن عساكر ٥ : ١٢٦ ـ ١٢٨ .

(٦) ابن عساكر ٥ : ١٢٦ ـ ١٢٧ .

وقال :

... وكان لنا الخليفة من أبيه لينهض بالمهات الثقـــال (١)

وقال عينيته التي تعد من بدائعه ومن خير ما قال ويقال :

قضى وطَراً منك الحبيب المودِّعُ وحلَّ الذي لا يُستطاع فيُدْفَعُ
وأصبحتُ لا أدري إذا بان صاحبي وغودرتُ فرداً بعده كيف أصنع

* * *

وقالوا : ألا تبكي خُريمَ بنَ عامرٍ فقلت : وهل يُبكى الذلول الموقّع
لقد وَقَذَتْني الحادثاتُ فما أرى لنازلة من ريبهـا أتوَجّع
صبرتُ وكان الصبرُ خيراً مغبَّة وهل جزَع أجدى عليَّ فأجزع

* * *

ألم تَرَني أبني على الليْثِ بيتَهُ وأحثو عليه التربَ لا أتخشَّعُ

* * *

وكان خريمٌ من أبيه خليفةً إذا ما دجا يوم من الشرِّ أشنع

* * *

وأعددته ذُخراً لكلِّ مُلِمَّةٍ وسهمُ المنايا بالذّخائر مولع
بقية أقمارٍ من الغُرِّ لو خبَتْ لظلَّت « مَعَدٌّ » في الدّجى تتكسَّع
إذا قَمَرٌ منها تغوّر أو خبـا بدا قَمَرٌ في جانب الأفق يلمع
فلو شئتُ أن أبكي دماً لبكَيْتُهُ عليه ، ولكنْ ساحةُ الصبر أوسع
وإني ـ وإن أظهرتُ صبراً وحسبة وصانعت أعدائي ـ عليك لموجع(٢)

---

(١) ابن عساكر ٥ : ١٢٧ .

(٢) ابن عساكر ٥ : ١٢٧ - ١٢٨ وينظر ٢ : ٤٣٦ .

والقصيدة من رائع الشعر وبارعه وهي تبين عظم المصاب على الشاعر ومدى الحزن الذي ساوره وقد فقد سيداً كريماً وموئلاً شريفاً فقال ما قال صادقاً .

وابن عساكر الوحيد الذي أوصل إلينا القصيدتين الأوليين في رثاء خريم بن عامر ، والوحيد الذي أوصل القصيدة الثالثة بواحد وعشرين بيتاً صريحة على أنها للخريمي في رثاء خريم .

أما الآخرون (١) فقد أوردوا البيت والأبيات ، معجبين ، ولم يرد لديهم ذكر لخريم وربما وصلت إلينا روايات بعضهم على أن القصيدة في أبي الهيذام ، ويبدو أنها جازت على هذا خلال العصور ، وليس من دليل ، ولا دليل بعد رواية ابن عساكر وورود اسم خريم صريحاً فيها .

والمهم ، أن الدنيا ضاقت بالشاعر بعد هذا الفقد الجسيم ولم تعد له الشام دار إقامة (٢) ، ولعله أقام حيناً في الجزيرة الفراتيـــة - في ديار مضر - مثلاً ، وقد قيل فيه إنه « جَزَري » (٣) وقيل « .. نزل الجزيرة والشام » (٤) ، ولا بد من التفكير ببغداد مقر الخلافة ومطمح الناهين .

---

(١) الجاحظ - الحيوان ٣ : ٩٤ ، ١٤٨ (وينظر ٦ : ٤٢٣) ، البيان ١ : ٤٠٦ ؛ المبرد ٢ : ١١٧٤ ، المرزباني - الموشح ٣٠٧ ، القاضي الجرجاني ٢٠٤ ، ٣٢٢ ، ٣٣٦ ، العسكري - ديوان ٢ : ١٧٥ ، المرزوقي ٣ : ١٠٥٣ ، عبد القاهر ١٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٦ ، النويري ٥ : ١٨١ ، العباسي ١ : ٢٤٦ - التبيان ٣ : ١٠ ، ٣٣٣ .

(٢) كان لأبي الهيذام عامر ولد آخر اسمه موسى ولكنه كان محدثاً - مات سنة ٢٥٥ - الذهبي ٤ : ٢٠٩ ، العسقلاني - تهذيب ١٠ : ٣٥١ ، تقريب ٥١٢ - ٥١٣ ، لسان ٦ : ٧٣٤ .

(٣) البغدادي ٦ : ٣٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ .

(٤) البغدادي ٦ : ٣٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ - ترى هل الخبر يعني التسلسل الزمني ؟ .

(٣)

« نزل بغداد »(١) و « سكنها »(٢) أيام الرشيد ، وبدأ يمهد لنفسه حتى كانت له مكانة ، وكان له صوت ؛ وورد في أخباره أنه « كان يمدح الخلفاء والوزراء والأشراف فيُعطى الكثير »(٣) ؛ وورد أنه اجتمع بعبد الله بن الرشيد (أي المأمون قبل خلافته) وكان عند عبد الله جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ومعه منصور النَّمري والعباس بن زفر(٤) ؛ وورد مرة أخرى أنه جالس جعفر بن يحيى والفضل بن يحيى(٥) وأنه مدح يحيى ابن خالد(٦) .

وبرز في صِلات الشاعر اسمان ، الأول : محمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة . وكان « سخياً سرياً ، وكان الرشيد يسميه فتى العسكر »(٧) ، وكان للخريمي « فيه مدائح جياد »(٨) وصلت إلينا منها سبعة أبيات رائية يعترف فيها الشاعر بالنِّعم التي أولاه إياها ابن منصور(٨) . ثم مات محمد فرثاه الخريمي(٩)

---

(١) البغدادي ٦ : ٣٢٦ .
(٢) ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ .
(٣) ابن المعتز ٢٩٣ .
(٤) الأصبهاني ١٢ : ٢٠ ـ ٢١ .
(٥) الجهشياري ٢٩٣ .
(٦) الصولي ١١٧ .
(٧) الجهشياري ٢٦٦ . وكان أبوه كما يروي الجهشياري ٢٢٤ ـ « ضيِّقا بخيلا » .
(٨) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٢ .
(٩) ابن الجراح ١٠٣ ـ ١٠٤ : « ومن قوله .... أنشدنيه محمد بن القاسم ، قال ، أنشدني الرياشي ... » وينظر ابن قتيبة ٢ : ٧٣٤ ، عيون ٣ : ١٦٠ ، المبرد ـ الفاضل ٩٥ ، الوشاء ، ٤٥ ، الجهشياري ٢٦٧ ، القاضي الجرجاني ٣٥٤ ، التبيان ٤ : ٦٥ .

والثاني : أبو علي الحسن بن التختاخ كاتب الفضل بن يحيى [١] ، وله فيه مدائح . ولما ولاه الرشيد مصر (وقد بلغها يوم الاثنين لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين ومئة) قال بائية حسنة يتشوق بها إليه ، جاء في مطلعها :

ألا مبلغ عنّي خليلي ـ ودونَه ُ مطا سَفَرٍ لا يطعَمُ النومَ طالبُه
رسالة ثاوٍ بالعراق وروحُه ُ بفُسطاط مصرٍ حيث جمّت عجائبه
له كلّ يوم حنّةٌ بعد رنّـةٍ يجيش بها في الصدر شوق يغالبه

ومنهـا :

أرى بعدَك الإخوانَ أبناء َعلّة لهم نَسَبٌ في ودّهم لا أناسبُه
فهل يرجِعنْ عيشي وعيشَك مرةً ببغداد دهرٌ منصفٌ لا نعاتبه

والأبيات من رائع ما قاله مادح في التشوق إلى ممدوح ، إنهـا فوق « الرسميات » ـ كما نقول اليوم وهي تدل ، فيما تدل عليـه ، على نفس الخريمي بين الإباء والسماح ، وعلى شخص الحسن بين التواضع والوداد [٢] .

ولما مات الرشيد (في جمادى الاخرى من السنة نفسها) وولي الخلافة ابنه الأمين عزل الحسن بن التختاخ « فسار متوجهاً في طريق الحجاز ، لفساد طريق الشام ، وذلك يوم السبت لثمان بقين من ربيع الأول سنة

(١) الجهشياري ١٩٤ .
(٢) أورد القصيدة الحصري ٢ : ١٠٧٢ وينظر ابن قتيبة ٢ : ٧٣٤ ـ ٧٣٥ ، العسكري ـ ديوان ١ : ٢٧٩ .

أربع وتسعين ومئة ... فكانت ولايته على مصر سنة واحدة وشهراً وثمانية وعشرين يوماً »[١] .

ثم مات فرثاه الخريمي[٢] .

ولم تكن كل صلات الخريمي ببغداد صلات ود ومدح ، فقد يهجو ، وحسبك أنه هجا أبا دُلَفَ[٣] وأنه أغرى بعلي بن الهيثم الأنباري الكاتب[٤] .

أما علاقاته الأدبية فلا بد من أنها كانت واسعة ، وكانت علاقة الجاحظ به علاقة إعجاب وما يدل على ملازمة ما ، ومثلها علاقة أحمد بن عبيد بن ناصح المعروف بأبي عصيدة[٥] .

---

(١) مصدرنا الأول عن ولاية ابن التختاخ على مصر : الكندي ١٧٢ ـ ١٧٣ ، وينظر المقريزي ـ القسم الثالث ١٢٦ ، ابن تغري بردي ٢ : ١٤١ .
وقد وردت التختاخ لدى الجاحظ – البيان ١ : ٢٠٩ ، ابن الجراح ١٠٣ ، الكندي ١٧٢ ـ ١٧٣ ، المقريزي ق ٢ : ١٢٦ (وزاد انه التختاخ بن التختكان)
أما الجهشياري ١٩٤ ، وابن تغري بردي ٢ : ١٩٣ فقد وردت لديهما على «البحباح» وقد اقرها الحاجري ٣٦٣ كأنه يعتمد الجهشياري وفي الخبر الذي أورده الجهشياري ١٩٦ خلط واضطراب فهو يقول : ان الحسن « كان قد خدم المهدي وموسى وتقلد أيام موسى مصر ، وخدم بعده الرشيد ، وفارق عند توسط أيام البرامكة السلطان وتخلى عن الدنيا وجاور بمكة ، فكتب اليه أبو يعقوب قصيدته الطويلة التي يقول فيها :
ألا بكرت لُبنى عليه تعاتبُـه ... تحدّثهُ طوراً وطوراً تلاعبـه
وأكبّ على سماع الحديث » ـ وينظر الحاجري ٣٦٤ وقد اختار أن الخريمي بعث بها الى الحسن حين تقلد مصر في أيام موسى الهادي .
(٢) ابن الجراح ١٠٣ ـ ولم يصل الينا الرثاء . وينظر الجاحظ ١ : ٢٠٩ .
(٣) الجاحظ ـ البيان ٢ : ٣٥٦ ـ ٣٥٧ (ثلاثة أبيات) وأبو دلف هو القاسم بن عيسى بن معقل بن ادريس العجلي ، كان أميراً سيد قومه وقائداً شجاعا ـ ينظر الطبري ، ابن النديم ، ابن المعتز ..
(٤) ابن الجراح ١٠٥ ، ياقوت ـ معجم الأدباء ترجمة علي بن الهيثم ١٥ : ١٤٠ .
(٥) ابن بلنجر ، نحوي كوفي ديلمي الأصل من موالي بني هاشم ادّب ولد المتوكل وهو من رواة أصحاب الأشعار ، ومن مصنفاته « عيون الأخبار والأشعار » ، مات سنة ٢٧٨ (وقيل ٢٧٣) ، ينظر عنه اللغوي ٩٧ ، ابن النديم ٧٣ ، البغدادي ٤ : ٢٥٨ ـ ٢٦٨ ، القفطي ١ : ٨٤ ، ياقوت ٣ : ٢٢٨ ـ ٢٣٢ .

وورد له خبر عن مجلس فيه حماد عجرد وحماد الراوية (١) . وليس من المعقول أن نقول إنه نشأ في مجلسهما كما فعل الأستاذ طه الحاجري إذ قال : « قد نشأ الخريمي في مجلس حمّاد الراوية وحمّاد عجرد . واتصل في أول نشأته بهذه الجماعة من الشعراء التي كانت تضم مطيع بن إياس ويحيى بن زياد . ولعل هذه الصلة كان لها أثرها في الوجهة الشعرية التي توجهها » (٢) ، والدكتور محمد نبيه حجاب إذ قال : « إنه ، كما أشار أبو الفرج ، نشأ في مجلس حماد . . . » (٣) ؛ فقد بعد عهد الخريمي بالنشأة الأولى ، ولم نجد أن أبا الفرج الأصبهاني أشار إليها ، كما لم نجد في وجهة شعره ما يدل على تأثر لصلته بحماد وزمرته . لقد كان الخريمي « ظريفاً » ولكنه كان يتأله ، وينشد في شعره الفخامة والسمو والبعد عن أغراض المجون وكان يودّع الكهولة ، ويؤلمه الظلم وتؤذيه عوامل العبث . واتضح ذلك جلياً في أساه لما أصاب بغداد أيام الفتنة بين الأمين والمأمون .

(٤)

جعل الرشيد ولاية عهده في أولاده الثلاثة (٤) : محمد الأمين ثم عبد الله المأمون ثم القاسم المؤتمن ، وكتب بذلك وأشهد الشهود ، فلما توفي سنة ١٩٣ ، وآلت الخلافة إلى الأمين بدأ يعمل على خلع أخويه ونقل الولاية بعده إلى ابنه الطفل ، وقد فعل وسماه « الناطق بالحق » فكان ذلك بدءً لسلسلة

(١) الأصبهاني ٥ : ١٦١ وينظر ١٠ : ١٢٠ ، ١٥ : ١٠٤ ، ٢١ : ١٥٧ .
(٢) الحاجري ٣٦٣ في « تعليقات وشروح » ذيل بها تحقيقه كتاب البخلاء للجاحظ .
(٣) حجاب ٣٠٥ .
(٤) فصل الطبري أمر هذه الولاية وما تبعها من أحداث ، وهو مصدرنا الأساس في هذا التلخيص ينظر في أول أحداث سنة ١٧٦ III ٦١٠ .

من الفتن والحروب كانت الغلبة في جملتهـا للمأمون. وقد نال الناسَ من جراء ذلك عنت شديد وذهب منهم ضحيته خلق كثير .

وانصبَّ الشر بخاصة على بغداد إذ سارت إليها جيوش المأمون فذعر أهلها واضطربت أمورهم واختل نظامهم وعبث بهم العابثون و « ثقب أهل السجونِ السجونَ وخرجوا وفتن الناس ووثَب على أهل الصلاح الدُّعار والشُّطـَّار فعزَّ الفاجر وذل المؤمن واختل الصالح وساءت حال الناس . . . حتى . . . خربت الديار » .

فلما دخلت سنة سبع وتسعين ومائة . . حاصر طاهر بن الحسين وهرثمة ابن أعين وزهير بن المسيَّب محمدَ الأمين فنُصبت المجـانيق والعرّادات ، واحتُفرت الخنادق ، ورُميت المحال بالنفط والنيران ، واستَشرى القتال ، فثقل الحصار على الأمين ، وقد فرّ من أصحـابه مَن فر ، واستأمن منهم إلى طاهر من استأمن ، وتفرق من تفرق ، ولم يبق معه إلاّ قلة يطمع أكثرهم بما بقي لدى الخليفة من مال ، وهم في الغالب ليسوا أهل رأي قدر ما هم أهل سلب وحب للقتال ، من « باعة الطريق والعراة وأهل السجون والأوباش والرعاع والطرّازين وأهل السوق ، وكان حاتم بن الصقر قد أباحهم النهب وخرج الهرش والأفارقه فكان طاهر يقاتلهم لا يفتر عن ذلك ولا يمله ولا يني فيه » . وهكذا عمَّ الفسـاد وذهبت معالم بغداد وذوت نضارتها واضمحل جانب العيش فيها .

سُميت تلك فتنة ، وهي كذلك وأكثر من ذلك ، إنهـا كارثة حلـّت بعاصمة الحضارة والمدنية فقال الخريمي قصيدة طويلة تقع في خمسة وثلاثين ومائة بيت ، وصف ما آلت إليه بغداد تحت وطـأة الفتنة العـارمة (سنة ١٩٧) مطلعها :

قالوا ولم يلعبِ الزمانُ ببغـ ـداد وتَعثُرْ بهـا عواثرُها

ومنها :

جنةُ دنيا ودارُ مَغْبطةٍ قل من النائبات واثرها

* * *

أورد أملاكُنا نفوسَهُمُ هُوّةَ غَيٍّ أعيَتْ مصادرها

ما ضرّها لو وَفَتْ بموثِقِها واستحلَمت التُّقى بصائرُها

ولم تسافك دماءَ شيعتِها وتَبْتَذِلْ فِتيةٌ تكابرُها

وأقنعتها الدُّنيا التي جُمعَتْ لها ـ ورَغبُ النفوس ضائرُها

* * *

يا هل رأيتَ الجنانَ زاهرةً يَرُوقُ عينَ البصير زاهرُها

* * *

فإنها أصبحت خلايا من الـ إنسان قد دَميت محاجرُها

قفراً خلاءً تعوي الكلابُ بها يُنكِرُ منها الرُّسومَ داثرُها

وأصبح البؤسُ ما يفارِقها إلفاً لها والسرور هاجرها

* * *

يا بؤسَ بغدادَ دار مملكة دارت على أهلها دوائرها

أمهلها الله ثم عاقبها لما أحاطت بها كبائرُها

بالخسف والقَذْف والحريق والـ حربِ التي أصبحت تساورها

* * *

حلّت ببغداد وهي آمنةٌ داهيةٌ لم تكن تحاذرها

طالعها السوء من مطالعه وأدركت أهلها جرائرُها

* * *

من يرَ بغداد والجنودُ بها قد ربّقَتْ حولها عساكرها

* * *

يعلمُ أنّ الأقدارَ واقعــــةٌ   وفقاً على ما أحبَّ قادرهــا
فتلك بغدادُ ما يُبنى من الـــــدّ   له في دورها عصافيرها
محفوفةٌ بالردى منَطَّقَةٌ   بالصُّغر محصورةً جبابرهــا

. . .

والكرخ أسواقُهــا معطَّلةٌ   يستنّ عيّارهــا وعائرها
أخرجتِ الحربُ من سواقطها   آساد غيل غُلْباً تساورها
من البواري تراسُها ومن الـ   خوص إذا استلأمت مغافرها
تغدو إلى الحرب في جواشنها الـ   صُّوف إذا ما عُدَّت أساورها
كتائب الهرش تحت رايته   ســاعد طرّرها مقامرها
لا الرزقَ تبغي ولا العطاءَ ولا   يَحْشُرها للقــاء حاشرها

. . .

وهل رأيتَ الفتيانَ في عَرْصة الـ   معرك معفورةً مناخرها
كل فتى مَنّـــاعٌ حقيقتَه   تشقى به في الوغا مساعرها
باتت عليه الكلاب تنهَشُه   مخضوبةً من دم أظافرها
أما رأيت الخيولَ جائلةً   بالقوم منكوبةً دوائرهــــا
تعثُرُ بالأوجه الحِسان من الـ   قتلى وغُلّت دماً أشاعرها
يطأن أكبادَ فتيةٍ نُجُدٍ   يَفْلِقُ هاماتهم حوافرها
أما رأيت النساء تحتَ المجا   نيق تعــادي شُعثا ضفائرها
عقائلَ القوم والعجائزَ والـ   عُنّسَ لم تخبر معاصرهــا
يحملن قوتاً من الطحين على الـ   أكتافِ معصوبةً معاجرها
وذات عيش ضنك ومُقعِسة   تشدَخُها صخرةٌ تعاورها(١)

(١) ومُقعسة : في نسخة مقعصة .

تسأل عن أهلها وقد سُلبت وابتُز عن رأسها غفائرها
يا ليت ما والدهرُ ذو دُوَلٍ يُرجى وأخرى تُخشى بوادرها
هل ترجِعَنّ أرضُنا كما غنيت وقد تناهت بنا مصايرهـــا ...

ولهذه القصيدة أكثر من أهمية ، فهي تصور ما حل ببغداد تصويراً يقنعك بأنه الذي وقع ، وأن الشاعر لم يكن أكثر من امرئ سجل ما حدث دون تزيد ، ودون أن تشغله الكليات عن جزئيات الأسماء والوقائع والفئات ، ومن أدلة قيمتها التأريخية أن الطبري نقلها كاملة ، وهو الرجل الذي تهمه الروايات فعدها رواية ، ورواية صادقة(١) .

سجل الأحداث رجل يعرف بغداد تمام المعرفة ، في خيرها وشرها ، وفي نعيمها وبؤسها ، فكانت ـ بذلك ـ أبياته التي تصور حياة الترف وثيقة أخرى لما كانت عليه بغداد (قبل الفتنة) . وقد دعاه إلى تسجيل هذا الجانب عامل المقابلة بين ما يرى ورأى ، وعامل في يُظهر الفرق الهائل بين ما هو كائن وما كان ، فيتضح أثر الفتنة ويبدو سوؤها ولا بد من أن يكون هذا العامل قائماً في نفس الشاعر .

ولم يكن أبو يعقوب من دعاة الفتنة ، ولم يكن راضياً عما حل ببغداد وبأهل بغداد ، وإنما كان ساخطاً متألماً متحسراً ثائراً ، وموقفه موقف الرجل العاقل الحكيم المجرب الذي يتأمل الأسباب والنتائج ويلتزم جانب المنطق فيزيده ذلك تألماً لآلام الآخرين ، وتقض مضجعه أعمال الطيش والاعتداء ، موقف الرجل الخيّر الذي لا يرتضي الشر يعم النـاس ، ولا يرضى الفتنة

(١) أما ابن الأثير ٥ : ١٥٩ فقال : وقال الخريمي قصيدة طويلة نحو مائة وخمسين بيتاً أتي فيها على جميع الحوادث ببغداد في هذه الحرب ـ تركنها لطولها » . وقد ورد الخريمي لديه على : الجرمي . وهو تصحيف . وينظر ابن كثير ١٠ : ٢٣٩ .

أن تقع . وإذا قامت فتنة فإنها لا تعرف جائراً ومهتدياً ولا تميز مخطئاً من بريء ، ولا يسود فيها إلا الأشرار من كل صنف .

ولا أدل على عقله من أنه عرض مظاهر الأسى في الفتنة على وجه يكرهها ويبشعها ، وأنه لم يشتف بجهة من الجهات ولم يجعل وكده شتماً أو سباً . ومع أنه كان أقرب إلى المأمون وكان يرى الحق إلى جانبه فان الذي شغله ، أكثر ما شغله ، وكل ماشغله ، مظاهر الفتنة وما سببت من خراب ودمار وجوع وما أشاعت من أذى وظلم واعتداء .

لقد كان « إنسانياً » في قصيدته ، وإذ صوّر فتنة بعينها فلقصيدته قوة تبشع بها كل فتنة ، وتدعو عقلاء القوم إلى الحذر من الفتن والعمل على تجنب وقوعها .

ولم يكن الخريمي سيء القصد أو سيء النية ولم يقصد إلى أن يتملق حاكماً أو أن يحصل بشعره مالاً أو جاهاً وإنما سجل ما أحس وأرخ ما علم هادفاً إلى صالح عام . إنه شاعر ناصح غيور ، وكان الموقف أكبر من التفكير بعرض الدنيا وأكبر من الانتهاز ، وأكبر من الأمين والمأمون ، وأكبر من أن يستغله شريف لمآربه الخاصة وحاجاته القريبة .

إنه إذ ذكر المأمون ذكره عابرا ، وإذ ذكر وزيره ذا الرياستين (الفضل بن سهل) رجاه أن يسود العقل ودعاه إلى إحقاق الحق ، وألاّ يأخذ البريء بالمذنب ، وأن يتولى العامة برعايته وعفوه . إنها نصيحة جليلة . ثم إنه لم يتقدم بقصيدته إلى القادة الفاتحين .

ولا تقل الأهمية الشعرية للقصيدة عن الأهمية التأريخية ، فقد جمعت مزايا جمة تحلها محلاً مرموقاً وترتفع بها عن مستوى التعليم والتقرير والوعظ الرخيص ؛ ودلّت على أن صاحبها من كبار شعراء العربية وأن رائيته جديرة أن تنال حقها من العناية فتحسب في عداد مختارات العصر،فكم لنا مثلها !

القصيدة طويلة ولكنها لم تفقد توازنها بين المبدأ والمنتهى ، ولم يجن الطول فيها على النفس ، وإنما بقيت شعراً ، وإلاّ فلا يكفي الطول وحده في بلاغة الأشياء .

واستعان الشاعر ـ بقصد وبغير قصد ـ بعرق من النثر في الأسلوب ، فجعل قصيدته أقرب إلى السرد والقصص ، وجعل عبارته أقرب إلى عبارة الكاتب المتحدث مما أعانه على التفصيل وعلى الربط بين الأجزاء وعلى تشعيب الكلام وتفنينه ؛ ولكنه ، على الرغم من ذلك ، وعلى الرغم من البحر المنسرح الذي نظم عليه ، لم يخرج عن العرق الشعري ، أي أن كلامه لم يستحل نثراً يؤول بالشعر إلى الجفاف والهلهلة ، ويودي بالموسيقى والخيال .

إن الذي أدار دفة القصيدة أستاذ متمكن ، عارف بأسرار اللغة وأسرار التراكيب ، وقد جرّب طويلاً في البنـاء . وإنه لم يقل الشعر لكي يقال إنه شاعر ، ولم يُطل لكي يقال إنه طويل النفس ، وإنما قال لأنه متأثر متألم متأجج العاطفة في حزنه وأساه ، عميق الحسرة ، شديد « الغيرة » ، وقد ترك عاطفته حرّة في الإبانة والظهور وسار معها أنـّى سارت حتى إذا قاربت أن تهدأ هدأ ووقف . وقد كانت عوامل الألم في النفس الإنسانية مبثوثة في كل مكان لا تكلف المرء في البحث عنها ، وكانت مظاهر الفتنة عديدة ومتنوعة ومتجددة فإذا استدعت مقابلة بما كان قبلها من نعيم ازدادت تعدداً وكان حديث الشاعر عنها متنوعاً داخل الإطار العام مما يزيد القارئ شداً إلى القصيدة وتأثراً بها وانسياقاً معها .

إنها جديرة أن تعد في المعلقات ، لو كنا في عصر المعلقات . ترى أين كان كبار شعراء العصر العباسي عن أمثالها !

(٥)

كان الرجل يطيل التأمل في الناس ويميل إلى التبصر في أمور الدنيا والتفكير بالآخرة ؛ وفي الأحداث العامة ما يبعث النفس على ذلك ؛ ويكفي أنه شهد الفتنة ، فاذا جدّت أحداث خاصة ازدادت النفس رقة ومالت عما يشغل الناس به كيانهم من طمع .

ومن أحداث الخريمي الخاصة في هذه المرحلة من العمر ، هذه الشيخوخة التي ألقت بكلكلها عليه ، وهذا الموت الذي نزل بأخيه :

أقول لعيني إن يكن ملّ مُسعدي فأيتها العينُ السخينة أسعدِي

. . .

نظرت إليه فوق أعواد نعشه بمطروفة حيرى تجور وتهتدي[1]

ثم نزل بابنه :

ألا كلُّ عيش بعد فرقة أحمد وكلُّ سرور ـ ما بقيت ـ ذميم[2]

وكان فقده عينه الثانية من أقسى ما ألمّ به وأشعره بالعجز ، فأكثر من النظم في رثائها وسار شعره في ذلك واشتهر ، ومنه قوله :

---

(١) روى ابن عساكر ٢ : ٤٢٧ سبعة أبيات في رثاء أخيه .

(٢) تقع المرثية في ٢٣ بيتاً أثبتها ابن عساكر ٢ : ٤٣٦ ـ ٧ برواية ابن أبي الدنيا ، وهو أبو بكر عبيد الله بن محمد بن عبيد وكان قرشياً في ولاء ، وكان يؤدب المكتفي ، وكان ورعاً زاهداً ، عالماً بالأخبار والروايات توفي يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من سنة ٢٨١ وقيل ٢٨٢ ينظر الكتبي (محمد بن شاكر) ـ فوات الوفيات الخ . محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، (مطبعة السعادة) ١٩٥١ ح ١ : ٤٩٤ ـ ٤٩٥ ، ابن كثير ١١ : ٧١ س ٢٨١ .

أصغي إلى قائدي ليُخْبِرَني ... إذا التقينا عمّن يحييني

أريد أن أعدِل السلام وأنْ ... أفصِلَ بين الشريفِ والدّونِ

أسمع ما لا أرى فأكره أنْ ... أُخطيء ، والسمعُ غيرُ مأمون

لله عيني التي فُجعتُ بها ... لو أنّ دهراً بها يواتيني

لو كنتُ خُيِّرتُ ، ما أخذتُ بها ... تعميرَ « نوح » في ملك « قارون »

حقٌّ أخلاّئي أن يعودوني ... وأن يُعَزّوا عنّي ويبكوني[1]

إنه مكروب دون شك ، ولكنه في مستوى اجتماعي حسن يدل على مال وجاه وعز . وعرض نفسه على الطبيب تلو الطبيب ، وهم يعدونه خيراً ، حتى يئس منهم وبدا يستشعر النهاية :

إذا ما مات بعضُك فابك بعضاً ... فان البعض من بعضٍ قريبُ[2]

---

(١) الجاحظ ـ الحيوان ٣ : ١١٣ ؛ ابن قتيبة ٢ : ٧٣٣ ، عيون ٤ : ٥٧ ؛ ابن الجراح ١٠٤ ، الصفدي ٧١ (أورد الصفدي الأبيات في مقدمة كتابه « نكت الهميان في نكت العميان » ولم ترد للخريمي ترجمة فيه ، ولا في كتابه الثاني « الشعور بالعور » ، مخطوط في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة برقم ١٢٨ من قسم كتب التاريخ ـ وقد استعنت على مراجعته بأحد المدنيين) .

(٢) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٣ ، ابن الجراح ١٠٤ ، الأصبهاني ١٥ : ١٠٤ ـ ١٠٥ (أخبار أبي الشيص) ، العباسي ١ : ٢٥٣ .

وتنظر أبيات أخرى قالها في فقده عينه لدى ابن قتيبة ٢ : ٧٢٢ ، ٤ : ٥٧ ؛ الصفدي ٧٢ ، العباسي ١ : ٢٥٢ ، وينظر المقابلة الجاحظ ـ الحيوان ٣ : ١١٣ ـ ١١٤ .

كان يشعر ضيقاً شديداً ويحس بغربة خانقة ، مع أن الناس باقون على احترامهم إياه ووفائهم له ؛ ولكنها الحالة النفسية التي يعانيها :

كفى حَزَناً أن لا أزور أحبَّتي ... من القُرْبِ إلا بالتكلُّف والجهدِ
وإني إذا حييت ناجيتُ قائدي ... ليعدِلني قبلَ الإجابة في الردِّ
إذا ما أفاضوا في الحديث تقاصرتْ ... بيَ النفسُ حتى ما أحير وما أبدي
كأني غريب بينهم لستُ منهمُ ... وإن لم يحولوا عن وفاءٍ ولا عهدِ
أقاسي خطوباً لا يقوم بثِقْلها ... من الناس إلا كلُّ ذي مِرَّة جَلْدِ(١)

ونحن نعلم أن الخريمي « عمي .. في آخر عمره »(٢) و « بعد ما أسنّ »(٣) ، ولكننا لا نملك من المصادر ما يعيّن سني العمر أو تاريخ الوفاة أو مكانها ، ولعله توفي ببغداد بعد أن نيَّف على الثمانين(٤) .

وقد ذكر أحد المؤلفين المعاصرين لنا أن الخريمي مات سنة ٨١٥ — ٨١٦ للميلاد(٥) أي ما يمكن أن يساوي عام الـ ٢٠٠ للهجرة ؛ وقال آخر إنه توفي سنة ٢١٤ للهجرة(٦) ، ولم يدُلّ على مصدرها .

---

(١) الجاحظ ـ الحيوان ٧ : ١٥١ ـ ١٥٢ . وقد وردت فيه وإن لم يحولوا ، على : فان لم يحولوا .
(٢) ابن الجراح ١٠٤ .
(٣) ابن قتيبة ٢ : ٧٢٢ .
(٤) وقد يعني التعمير ـ العيش أكثر من المئة ـ ينظر السجستاني ـ المعمّرون .
(٥) بروك ١ . ٢٦٨ .
(٦) محقق كتاب ابن المعتز ٥١٧ .

ويمكن القول إن الخريمي عاش أكثر من ذلك .

وتبقى المسألة خاضعة للنقاش ؛ ويبدو أن خبر وفاة أبي يعقوب فقد مبكراً [١] . كما لم نعلم عن أعقاب الشاعر شيئاً [٢] .

(يتبع) الرياض — جامعة الرياض الدكتور علي جواد الطاهر

***

(١) فلم يعن به مصدر من هذه المصادر الكثيرة التي تسير في نظامها على السنوات ، وفي مقدمتها الطبري الذي لا يجهل الخريمي . ولعل عمى الخريمي وشعوره العميق بالعجز دفعاه إلى أن يعتزل الناس ويموت منسياً أو شبه منسي .

(٢) وقد يكون أعقب مالاً وما إليه ، لكننا نجهل كل شيء عن أولاده بعده ، وعمن يكونه « يعقوب » .

طرر على معجم الأدباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

- ٥ -

(المجلد الأول)

٣٨٨ : ١٥ الزلّة ما يحمل من المائدة من الطعام لغة عراقيّة وهي بالفارسيّة أيضاً ، (٢ : ٢/٢٥٣) .

٣٨٨ : ١٧ الصواب : ومُسْمِعةٌ وحُكّ ح (٢) .

٣٨٩ : ١٠ لعل الصواب دانت له الحِكَمُ أو واتت .

٣٩٠ : ٩ غرس النعمة في الهفوات (ورأيت منه نسختين باستنبول) والتنوخي في النشوار ١ : ٢٠٥ ، (٢ : ٢٥٦ / ٦) .

٣٩٠ : ١٠ النشوار أبو الحسين بن عيّاش ، (٢ : ٢٥٦ /٨) .

٣٩٠ : ١٤ النشوار حتى أجلسكما على لبود وأطعمكما طباهجة بكُبود الخ ، (٢ : ٢٥٦ / ١٢) .

٣٩٠ : ١٥ النشوار غناء الممدود ، (٢ : ٢٥٦ / ١٥) .

٣٩٠ : ١٩ (ولن) ليس في النشوار .

٣٩١ : ٣ النشوار حُبّاً للصبيّ ، (٢ : ٢٥٧ / ١٠) .

٣٩١ : ٤ الصواب : فطرب كالنشوار .

٣٩١ : ١١ الصواب : وحالفه كالخطيب وعنده بسنين و (عظم النعمة) ، (٢ : ٢٥٨ / ٦) .

٣٩١ : ١٦ الصواب : وفي غضار كالخطيب وعنده موارد . والغضارة تأتي على الصواب في ص ٣٩٥ ، (٢ : ٢٥٨ / ١٢) .

٣٩٢ : ١١ الصواب في الخطيب : وغناء مغنّية أحضرتها له كنت آلفُها ، (٢ : ٢٦٠ / ١) .

٣٩٢ : ١٣ الصواب محفّته ، (٢ : ٢٦ / ٤) .

٣٩٣ : ١١ المَصوص : طعام من لحم ينقع في الخلّ ثم يطبخ .

٣٩٤ : ٩ الصواب : للّقاء ثم منعني .

٣٩٦ : ٨ الصواب : يا ابن الكبير ، (٢ : ٢٦٧ / ٦) .

٣٩٧ : ٦ لعله (إلى خِلٍّ لنائله) أو (ونائِله) ، (٢ : ٢٦٩ / ٥) .

٣٩٧ : ٧ أبو علي المحسّن في النشوار ١ : ٢٠٣ ، (٢ : ٢٦٩ / ٧) .

٣٩٧ : ١١ افتديتها وفي النشوار أقريتها ، (٢ : ٢٦٩ / ١٢) .

٣٩٨ : ٢ الصواب : في النشوار وأسرج لي وعنده (أكلت شيئاً) .

٣٩٨ : ٨ الصواب : عن تشعيثه كالنشوار ، (٢ : ٢٧١ / ٣) .

٣٩٩ : ٣ النشوار تَبَكَّر ، (٢ : ٢٧٢ / ٦) .

٣٩٩ : ٤ كارة كالنشوار ما يحمل على الظهر ، (٢ : ٢٧٢ / ٨) .

٣٩٩ : ٩ النشوار عليك الكثير ، (٢ : ٢٧٢ / ١٤) .

٤٠٠ : ١ الصواب : النشوار فلما أصبحنا .

٤٠٠ : ٢ الصواب : وفي الآخر كالنشوار ، (٢ : ٢٧٤ / ١) .

٤٠٠ : ٤ قال أبي التنوخي في نشواره ١ : ٢٤٩ ، (٢ : ٢٧٤ / ٥) .

٤٠٠ : ٨ النشوار كان طاوي سبع وأراه الصواب ، (٢ : ٢٧٤ / ١٠)

٤٠٠ : ٩ النشوار يرمقه بغيظ ونحن الخ وهو الوجه ، (٢ : ٢٧٤ / ١١) .

٤٠٣ : ١٢ الصواب : غِلالته وهي ثوب ، (٢ : ٢٨٠ / ٥) .

٤٠٥ : ٤ الصواب : باب الأزَج من محالّ بغداد .

٤٠٥ : ٦ الصواب : حذا فيها حذو الحريري ، (٢ : ٢٨٢ / ١٥) .

٤٠٥ : ١٠ مراتب النحويين نسخته الفذّة ص ١٣٤ . وترجم الزبيدي ١٢٧ لأبي نصر ، (٢ : ٢١٣ / ٦) .

٤٠٥ : ١١ المراتب : جعفر بن محمد يتكره ، (٢ : ٢٨٣ / ٧) .

٤٠٧ : ٤ لترجمته الفهرست ١٠٤ .

٤٠٨ : ٤ البيت مختلّ الوزن ، (٣ : ٥ / ١) .

٤٠٨ : ٨ الخطيب ١٧٩٣ والصواب : سمع من المدائني ، (٣ : ٥ / ١٠).

٤٠٨ : ١٤ البيتان في الفهرست ورسالة الحجاب في طراز المجالس ٩٢ ، (٣ : ٦ / ٤) .

٤٠٩ : ١ الأبيات عند الطبري سنة ٢٥١ ستة عشر .(٣ : ٦ / ١٢) .

٤٠٩ : ٥ الصواب : (في بشر حاجب الخ) .

٤١٠ : ١٩ الصواب : (إنما هو لحُسن) .

٤١١ : ٥ الصواب : على ما في النزهة ٣١٥ والبغية ١٣٠ (أحمد بن الحسن) ، (٣ : ١١ / ١) .

٤١١ : ٩ الصواب : (أبي بكر بن السرّاج) .

٤١١ : ١٨ الصواب : على ما في المنتظم ٧ : ١٦٥ صاحب الفلسفة وترجم له هو والجزري في القراء رقم ٢٠٨ .

٤١٢ : ٧ الصواب : بن خُزيمة .

٤١٣ : ١ الصواب : مُشكان ترجم له ابن الجزري ٣٦٢٨ قال ويقال بالسين أيضا ، (٣ : ١٤ / ١٢) .

٤١٣ : ٧ وفي القراء رقم ٣٩٠ علي بن عبيد الله بن عمر وكذا المنتظم ٩ : ١٣٥ رقم ٢٠٨ والشذرات ، (٤ : ٤٦ / ١) .

٤١٤ : ٥ أبو علي الصَدَفي هذا رواية مكثر ولابن الأبّار معجم في أصحابه وطبع باسبانيا ، (٤ : ٤٧ / ١٦) .

٤١٤ : ١٦ طبقات المفسرين للسيوطي رقم ٥ ، (٤ : ٤٩ / ١) .

٤١٥ : ١٤ ينابيع اللغة هذا رأيت مجلده الأوّل بدهلي عند السيد الجعفري وتاج المصادر طبع مراراً بومباي ولكنو ودهلي ، (٤ : ٥٠ / ١١)

٤١٦ : ٧ الصواب : لغوياً ناسباً لأنه كان من علماء الأنساب . هذا وللرشيد ترجمة في الوفيات والطالع السعيد ٤٧ والشذرات سنة ٥٦١ و ٥٦٢ هـ . ويأتي أخوه ٣ : ١٥٧ وكنيته في الطالع والشذرات أبو الحسن . قال الأدفوي وقد وقفت على محضر كتبه باليمن فيه خط جماعة كثيرة إنه لم يدّع الخلافة وأنه مواظب على الدعوة للخليفة الخ ، (٤ : ٥٢ / ٣) .

٤١٦ : ١٧ الصواب : أمنية الألمعي ومنيّة المدعي وتعرف بالمقامة الحُسينية طبعها الصديق O. Rescher سنة ١٩١٤ م في المجلة Le Monde Oriental عن كتبخانة راغب باشا (أدبيات رقم ١١٥٩) في ١٣ ص والأصل مع الشرح في ٢٥٩ ورقة ومنها نسخة بالخالدية ، (٤ : ٥٤ / ١١) .

٤٢٠ : ٣ الصواب لعله : فتَرَبَّدَ وجه .

٤٢٠ : ١٧ أولها راجع له ٣ : ١٥٨ فالصواب هكذا : (عن قصيدته أي المهذب التي أولها :

يا ربع أين ترى الأحبة يمّموا [هل أنجدوا من بعدنا أم أتهموا])
رحلوا فلا خلت المنـــازل منهم ونأوا فلا سلت الجوانح منهم

أعني أن قصيده المهذب أولها يا ربع البيت وأول كلمة الرشيد رحلوا البيت .

وانظر الشذرات سنة ٥٦٢ هـ وفيه في البيت الثاني قد كتموا النداة وهو الصواب ، (٤ : ٦٢ / ١١) .

٤٢١ : ١٣ الصواب : سهرت كما في الشذرات ، (٤ : ٦٤ / ٦) .

٤٢٣ : ١١ عُصرة المنجود في بيت أبي زُبيد في جمهرة الأشعار ١٣٨ ، (٤ : ٦٨ / ١١) .

صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عُصرة المنجودِ

٤٢٤ : ١٧ الصواب : بالحريم الطاهري .

٤٢٥ : ٣ الصواب : أبي الحسين المبارك (٤ : ٧١ / ٩) .

★ ★ ★

(المجلد الثاني)

٣ : ٤ لُغدة هذا تأتي ترجمته ٣ : ٨١ ، (٤ : ٧٢ / ١١) .

٣ : ٥ الصواب : عبد العزيز بن دلف . . . ودوّنها ، (٤ : ٧٣ / ١) .

٣ : ١٢ الصواب : من مُجْرها .

٤ : ١٤ الصواب : ودبّ البِلَى .

٥ : ١٢ الصواب : أشعار كثيرة .

٦ : ١ الصواب : عدَسْ من زجر البغال و ح (١) غلط ، (٤ : ٧٩/٢).

٦ : ٦ الحاشية (٢) غلط .

٦ : ٩ ابن الجوزي في المنتظم ٧ : ١٠٣ رقم ١٣٧ وانظر لابن فارس اليتيمة ٣ : ٢١٤ الوفيات النزهة ٣٩٢ الدمية ٢٩٧ طبقات المفسرين للسيوطي رقم ٦ فهرست الطوسي رقم ٧١ البغية ١٥٣ . وقوله (مات سنة ٣٦٩

وقال الخ) هذا كله من قول ابن الجوزي وفي البغية عن الذهبي أنه توفي سنة ٣٩٥ قال وهو أصح ما قيل في وفاته على ما يأتي هنا أيضاً ص ١٢ ، (٤ : ٨٠ / ٢) .

٦ : ١٤ الصواب : على كتاب تمام الفصيح ومعلوم أن الفصيح ليس له وإنما له تمام فصيح الكلام وهو في معنى فائت الفصيح لأبي عمر الزاهد وكنت نسخته في ٢١ صفحة سنة ١٣٤٨ ﻫ عن نسخة ياقوت صاحبنا نقلها سنة ٦١٦ بمرو الشاهجان عن نسخة ابن فارس بخطّه في رمضان سنة ٣٩٣ (لا ٣٩١ كما هنا عنه) بالمحمديّة وهي حصن بالريّ هذا وطبعة الصاحبي سنة ١٣٣٨ أصلها عن نسخة عليها خط المؤلف بالمحمديّة سنة ٣٨٢ رأيتها بعينيّ في كتبخانة ولي الدين بجامع بايزيد في استنبول .

٦ : ١٧ الصواب : عن أبي بكر . . . . . . راوية ثعلب كما في النزهة

٧ : ٦ الصواب : ممّن رُزق . كما نقله غير واحد .

٧ : ١١ و ١٧ جعل الكتاب الواحد (فقه اللغة الصاحبي) كتابين . طبع من المجمل جزء . والصواب مقدمة في النحو . في النزهة والبغية كتاب دارات العرب . وكتابه في السيرة هو كتيّب صغير كان طبع قبل القرن الحاضر ببومباي على الحجر . ويوجد بأياصوفيا التذكرة السعدية نقل مؤلفه في كل باب عن حماسة ابن فارس أشياء . وأما مقاييس اللغة له فانه يوجد بالعجم والنجف ومصوّراته بمصر ودمشق رأيته ، وذكر ابن خير ٣٧٤ كتاب التاج له ورأيت بخزانة لالهلي ١٧١٦ شرحه على الحماسة الجزء الأول واستنسخ صديقنا أحمد صافي النجفي شاعر العراق أيام مقامه بطهران كتاب الأنواء لابن فارس وهو في ١٣ ورقة . وله المذكر والمؤنث بالتيمورية .

٨ : ٢ خلق الانسان طبع بمجلة لغة العرب بغداد فبراير ١٩٣١ م في ست صفحات . وطبع بمجلة Islamica كتاب اللامات ص ٨١ — ٨٨

سنة ١٩٢٤ م وطبع العاجز مقالة كلاّ له في ثلاث رسائل مصر ١٣٤٤ هـ (٤ : ٨٤ / ١٣) .

٩ : ١٣ اليتيمة فلس إفلاس ، (٤ : ٨٧ / ١٣) .

١٠ : ٢ الصواب : إلاّ .

١٠ : ٥ حفظي من شرح المتنبي للعكبري ففعالك للخير قل لي متى ، (٤ : ٨٨ / ١٥) .

١٠ : ١٣ الصواب : أحمد بن فارس بن زكريّا ، (٤ : ٨٩ / ١٠) .

١١ : ١ الغلاّبي لعله محمد بن زكريا المترجم له في لسان الميزان برقم ٥٧١ والفهرست ١٠٨ وهو ضعيف توفي بعد ٢٨٠ هـ ، (٤ : ٩٠ / ٣) .

١١ : ٦ وذكر في ٣ : ٤٩ قصيدة أخرى في مثل معناها للفارقي وترى في تاج العروس أن معاني العين أوصلت إلى ٥٠ وهي كالخال ، (٤ : ٩٠ / ٩) .

١١ : ١٠ الصواب : تدني مشعشعةً ، (٤ : ٩١ / ١) .

١٢ : ١٢ من ثلاثة أبيات لامرأة من طيء خرّجناها في السمط ٢٧٢ ، (٤ : ٩٣ / ٣) .

١٣ : ٤ ابن بابك هذا له ترجمة في اليتيمة ٣ : ١٩٤ والمعاهد ١ : ٢٤ ورأيت الجزء الثاني من ديوانه بكتبخانة لا له لي (د — ش) برقم ١٧٥٧ ، (٤ : ٩٤ / ٤) .

١٣ : ٩ نواكم لا غبار عليه .

١٤ : ٢ الصواب : أبا الحسين ، (٤ : ٩٦ / ٣) .

١٤ : ٣ الصواب : موضع الخِلال ، (٤ : ٩٦ / ٤) .

١٥ : ٦ الصواب : الحُباب ، (٤ : ٩٩ / ٣) .

١٥ : ١١ البغية ١٥٣ علي بن لال ، (٤ : ٩٩ / ٩) .

١٥ : ١٧ الصواب : وناولتُها .

١٦ : ٥ السمعاني في الأنساب ٦٠ وابن الجزري في القراء رقم ٤٤٠ ، (٤ : ١٠١ / ١) .

١٦ : ٩ السمعاني (من أبي عبد الله محمد بن إسحق بن منده الحافظ وأبي إسحق إبراهيم بن عبد الله بن خُرْسَنْد قوله (؟) التاجر) وفيه بعض الصواب ، (٤ : ١٠١ / ٧) .

١٦ : ١٨ الصواب : ابن يزيد أبو بكر . ترجمته عند الخطيب برقم ٢٢٠٩ ولسان الميزان ج ١ رقم ٧٧٦ .

١٧ : ٣ الخطيب : وتواريخ أصحاب الحديث ، (٤ : ١٠٤ / ٢) .

١٧ : ١٢ الصواب : وأبو عبيد الله ، (٤ : ١٠٤ / ١٠) .

١٧ : ١٤ الخطيب : للأخبار والعِبَر ، (٤ : ١٠٥ / ١٤) .

١٧ : ١٧ الخطيب : عن فضل إنعام وقُبح أثام أي ان فضل الإحسان وقبح الإثم مما لا يختلف فيه اثنان وما هنا مصحَّف ، (٤ : ١٠٦ / ٥) .

١٨ : ٣ الخطيب : على الأخبار .

١٩ : ٤ المنتظم ٨ : ٨٣ الضبي ٤٦٢ المصارع ١٩٤ تزيين الأسواق ١٦٢ الواضح المبين ٩١ ، (٤ : ١٠٩ / ١) .

١٩ : ٥ ولا أدري ألخ وذلك أن راوي الخبر هو محمد بن الحسن المذحجي الزبيدي وتوفي ٣٧٩ كيف يشاهد وفاة ابن كايب سنة ٤٢٦ ، (٤ : ١٠٩ / ٣) .

٢٣ : ٢ قال القائل هو أبو محمد بن حزم ، (٤ : ١١٥ / ١٤) .

٢٣ : ١٤ التزيين ١٧٠ وديوان الصبابة بهامشه ٢٥٠ (سعيد) في المظان كلّها ، (٤ : ١١٦ / ١٤) .

٢٤ : ٣ الصواب : مبرّحاً وجعل يعمل ، (٤ : ١١٧ / ٨) .

٢٥ : ١٣ الصواب : عليه مسرحه .

٢٦ : ٩ الخبر في المصارع ١٥٩ و ٤٠٠ و ٣٤١ والتزيين ١٦٣ وديوان الصبابة ٢٥٢ عن معجم الأدباء . وترجم الخطيب لمدرك هذا ٧٢٣١ وسماه ابن محمد أبا القاسم الشيباني وله ترجمة في هذا السابع المنحول من الأدباء رقم ٨٨ ، (٤ : ١٢٢ / ١٠) .

٢٧ : ٥ القصيدة في مائة بيت .

٢٨ : ٩ خبر الأحول أحمد المحرر من وزراء الجهشيارى في بدائع البدائة ١٢٧٨ هـ ص ٢٧ . وانظر للأحول المحرر ٢ : ٢٢٥ ، (٤ : ١٢٦ / ٧) .

٢٨ : ١٦ الصواب : ولكن أُعطيه ، (٤ : ١٢٨ / ٤) .

٢٩ : ١ الصواب : كلّ ماكان .

٢٩ : ٩ الصواب : ربيطَه ، (٤ : ١٢٩ / ٧) .

٣٠ : ١٢ الفهرست في الأثواب منبطحٌ .

٣٠ : ١٦ الصواب : أبي عبد الله محمد كما في الفهرست ، (٤ : ١٣٢ / ٦) .

٣٠ : ١٧ الصواب : البَرَقي القُمّيّ ، (٤ : ١٣٢ / ٧)

٣٢ : ٢ الصواب : كتاب الزَجْر .

٣٣ : ١٩ يعصى لا غبار عليه بمعنى يضرب به كالعصا ، (٤ : ١٣٨ / ١) .

٣٤ : ١٥ ابن عساكر حننت وهو الصواب وحببت وحلات تصحيفتان .

٣٥ : ١٤ وله بيتان آخران في حروف المعجم ذكرهما الزبيدي أيضا :ـ (٤ : ١٤٢ : ١٣) :

فطلبتها ومضى الفرزدق ظاعنـا إذ صحّ شخص بالمعيشة كهمسا

حجّ الرُعيّ بخُنث ظاعناً نطغى وضقت بالبين صدراً إذهم شحطوا

٣٥ : ١٨ هاك سواد البياض أو رَأبَ الثأى من الزبيدي :ـ

نفسي تحدّثني بأنك غـــادر وهوايَ فيك على ذنوبك ساترُ

تَعِدُ الوقاء وأنت تُظهر غيره ولقد يدلّ على الضمير الظاهرُ
لك مقلة طمّاحة مقسومة بين الجميع كما يدور الدائر
لو زار بيتَكَ كلّ يوم عسكرٌ أرضاهم لحظٌ بعينك فاتر
ومن البلاء بأن عينك فاتنٌ للعالمين وأن وجهك ساحر
(الميمني : كذا ولو كان قال ومن البلايا أن سم وقوله فاتن أي شيء فاتن)
وإذا برزت فكل قلب طائر شوقاً إليك وكل طرف ناظر
ولديك إسعاف لهم وإجابة وهو الذي ما زلت منك أحاذر
في دون هذا للمتيَّم سَلوة عن إلفه لو أن قلبي صابر
ولأهجرنّك جازعاً أو صابرا إني إذا إلفٌ تنكّرَ هاجر
(٤ : ١٤٣ / ٤) .

٣٩ : ١ أبو هفان عبد الله بن أحمد ترجم له في النزهة ٢٦٧ الخطيب ٩ : ٣٧٠ الفهرست ١٤٤ ، (٤ : ١٤٩ / ١١) .

٣٩ : ٦ الصواب : نثاهم بتقديم النون ، (٤ : ١٥٠ / ٤) .

٤٠ : ١٣ ديوان البحتري الجوائب ١ : ١٥٨ وفيه أنها في أبي العباس ابن بسطام وفيه في البيت الأخير كفيت مُهِمَّها كأدب الصولي ١٧٧ وفيه حكاية المبرّد يرويها عنه الصولي ، (٤ : ١٥٢ / ١٢) .

٤١ : ١٤ عبد السلام ترجمته في المنتظم ٧ : ٢٧٣ وأبي العلاء وما إليه ١٢١ والخطيب ٥٧٣٩ وطبقات الجزري ١٦٤٤ ، (٤ : ١٥٤ / ٨) .

٤٤ : ١٣ الصواب فالعقل يدفع ، (٤ : ١٤٠ / ١٣) .

٤٦ : ٣ الصواب : إيزاع الشكر ، (٤ : ١٦٣ / ١٠) .

٤٦ : ١٠ الصواب إن شاء الله : بشيخ دَبَّراني أدبر شبابه ، (٤ : ١٦٤ / ٧)

٤٦ : ١٢ لعله من كل الأطراف .

٤٧ : ١٣ الصواب : والله وليُّ المؤمنين ، (٤ : ١٦٧ / ١) .

٤٨ : ٦ الصواب : مجدور من الجُدَريّ .

٤٨ : ١٢ الصواب : من طرائف ، (٤ : ١٦٨ / ١٢) .

٤٩ : ٢ الميل والتخت أو اللوح كانوا يستعملونها للمسائل والحساب والهندسة وكان يكون الميل من الرصاص وذلك لقلّة الورق قال ابن هندو :

بين يديه الميل والتخت كي يحسب ما يبلغ كم يبلغ .

راجع ذيل سمط اللآلي ٤٢ الدمية ١١٥ طبعتا القالي ٨٨ ، ٨٧ و ١٨٦ ، ١٨٢ ، ٤ ؛ (١٦٩ / ١١) .

٤٩ : ١٥ وجيباً هو الصواب ووجوباً لا معنى له .

٥٠ : ١٨ الصواب : عبيد الله كذا يقال وكذا قال ياقوت غير ما مرة ، (٤ : ١٧٣ / ٥) .

٥٢ : ٣ تهذيب الألفاظ ص ١٦٦ .

٥٢ : ١١ الصواب : نبت بن جميل ، (٤ : ١٧٦ / ٩) .

٥٢ : ١٤ المعروف في السيرة في النسب الزكي إدريس بن يَرْد ، (٤ : ١٧٦ / ١٣) .

٥٢ : ١٩ الصواب : بالعشرة ، (٤ : ١٧٧ / ٦) .

٥٥ : ٧ (روشن قبادوا) انظر هل هو تصحيف رُوسْتُقُبْاذ بقرب بغداد الكوفة ، (٤ : ٦٨١ / ٧) .

٥٥ : ١١ الصواب : وكتبت في لخَبْس ، (٤ : ٦٨١ / ١٣) .

٥٥ : ٢٠ الصواب : كلّ مـا .

٥٨ : ٣ ولكن لا يوجد في ترجمة الصولي من هذا الجزء السابع المنحول ، (٤ : ١٨٧ / ٥) .

٥٨ : ٦ الصواب : وروى الفهرست ٨٠ ، (٤ : ١٨٧ / ٨) .

٥٨ : ١٣ الفهرست ١٣٥ ، (٤ : ١٨٩ / ٥) .

٥٨ : ١٨ الفهرست ٨٤ .

٦٠ : ٩ ترجم له الخطيب ٢٥٤٧ قرّاء ابن الجزري ٥٢٧ و ٥٢٩ ، (٤ : ١٩٣ / ١) .

٦٠ : ١٤ هذا كله لا يوجد في طبعة الفهرست هذه ، (٤ : ١٩٣ / ٨) .

٦٠ : ١٧ هو أحمد بن الحسين بن مهران مؤلّف الغاية في العشر ترجم له ابن الجزري في القرّاء ٢٠٨ ، (٤ : ١٩٣ / ١٣) .

٦٠ : ١٩ هنا خلاف المعروف فالمعروف إلى طَبَرِيّة الشام طبراني وإلى طبرستان طَبَري ، (٤ : ١٩٤ / ١) .

٦١ : ١٠ عمير وتقدم عميرة . وقد روى هذا الخبر والشعر الخطيب في التطفيل له ٤٦ قال أخبرنا علي بن أبي علي (يريد القاضي التنوخي الصغير) أنا إبراهيم بن أحمد (نسخة : محمد) بن محمد المقري نا المظفر بن يحيى أنشدني أبو الحسن الأسدي لنفسه : ـ كنت الخ . وفيه لرأيت العذراء و (لو رأيت) مجرّد استشراق لا وجه له ، (٤ : ١٩٦ / ٧) .

٦٢ : ١٩ جراب الدولة هذا ترجم له ابن النديم ١٥٣ وانظر مقالتي « جراب الدولة رجل لا كتاب » في الزهراء ص ٣٢٦ ذو القعدة ١٣٤٧ هـ ورأيت الجزء الأول من الترويح والأصل بباريس في ١٣٤ ق وانظر الزهراء ذو القعدة ١٣٤٦ هـ ص ٥٦٢ أيضا . وروى الجرجاني في الكنايات ٣٠ عنه خبرا ، (٤ : ١٩٨ / ١٣) .

٦٣ : ٥ لترجمته الفهرست ١٥٤ .

٦٣ : ١٠ أبو عبيد . ومرّ آنفاً أبو عبد الله كما سيأتي أيضا ، (٤ : ٢٠٠ / ٦) .

٦٣ : ١٧ الزبيدي ١٤٨ وقد ترجم للوليد أبي الولاد بن محمد الجد ولأخيه أبي القاسم عبد الله ولأبيه محمد ولكن الزبيدي نسبه هكذا (محمد ابن الوليد بن ولاد) وتقدم له أن الولاد هو الوليد وعند ابن خير ٣٨٦

و ٣٥٤ (... الوليد بن ولاّد) وأخرى مايوهم أن الوليد هو الولاد ، (٤ : ٢٠١ / ١) .

٦٤ : ١ سنة ٣٠٢ . الذي في أصل الزبيدي بخط ابن هشام اللخمي أحمد بن علي سنة ٦٥٨ هـ (سنة ٣٣٢ هـ) وقوله سادّاً في أصل الزبيدي أستاذا ، (٤ : ٢٠٢ / ١ و ٢) .

٦٤ : ٨ الصواب : (وقال ليس في كلام) عن الزبيدي وترى هذا المجلس مع شرح المسألة في الأشباه ٣ : ٩٢ و ١٤٨ مع مسائل أخرى جرت بينهما عن سفر السعادة للعلم السخاويّ إلى ص ١٧١ .

٦٤ : ١٠ الصواب : وإنما تغفّله .

٦٤ : ١٣ زد في مؤلفاته كتاب النقائض له ، (٤ : ٢٠٣ / ٥) .

٦٤ : ١٤ لترجمته الأنساب والبغية ، (٤ : ٢٠٣ / ٦) .

٦٤ : ١٧ الصواب : (فاق فضلاء) كما فيها ، (٤ : ٢٠٥ / ١) .

٦٥ : ١٧ أبو تراب هذا ذكره النديم ٨٤ ، (٤ : ٢٠٨ / ٥٢) .

٦٦ : ٤ الصواب : بالحِرْميّ المنسوب إلى الحَرَم حِرْميّ بالكسر انظر الزهراء ٦٣ الربيعان ١٣٤٦ .

٦٦ : ٦ الصواب : وجدت عنه .

٦٦ : ١٨ البغية : فإذا تكلّم ، الأنساب : ولكن إذا ، (٤ : ٢١٠ / ٦) .

٦٧ : ٧ ترجم له ابن الفَرَضي ١١٨ والضبّيّ ٣٢٧ والمطمح الجوائب ٥١ واليتيمة ١ : ٣٦٠ والوفيات رقم ٤٤ والنفح مصر ٢ : ٢٦٦ و ٣٢٢ . ٤ : ٢١٧ . والصواب حُدير لا غير ككميت كذا ضبطوه .

٦٧ : ٩ (سنة ٣٤٨) صوابه ٣٢٨ هـ .

٦٧ : ١٤ قول الصاحب مثله في رسالة أبي علي بن الربيب التميمي كتب بها إلى أبي المغيرة بن حزم في النفح ٢ : ١٢٦ .

٦٧ : ١٧ الصواب : للحكم بن عبد الرحمن وهو المستنصر بن الناصر ، (٤ : ٢١٥ / ٥) .

٦٨ : ٨ الصواب : حتى رثى ، (٤ : ٢١٦ / ٤) .

٦٨ : ١٣ الصواب : في كبدي ، (٤ : ٢١٦ / ١٣) .

٦٩ : ١٣ الأبيات ٦ في المطمح والضبي ، (٤ : ٢١٨ / ١٢) .

٦٩ : ١٦ الصواب : ذو النَسَبَيْن بين دِحْية . راجع لترجمته النفح ١ : ٢٦٨ وحسن المحاضرة ١٢٩٩ هـ ١ : ٢٠١ ومرآة الزمان ٨ : ٤٦٢ سنة ٦٣٣ وتوفي سنة ٦٣٣ هـ وأما سنده للعقد فإن ابن خير رواه عن ابن معمَّر الخ ص ٣٢٧ فهرسته ، (٤ : ٢١٩ / ٤) .

٧٠ : ١٧ الصواب : في التُحَف والهدايا والنُتَف والفُكاهات والمُلَح .

٧١ : ٥ الصواب : أفظع يوم . وهذه الأبيات في اليتيمة ١ : ٣٥٧ لحبيب بن أحمد الأندلسي ، (٤ : ٢٢١ / ١١) .

٧١ : ٩ المطمح : أبا الوليد بن عباد وعنه النفح : الوليد بن عقال . وقوله (قال) لم يتقدم مرجع الضمير وهو صاحب المطمح . والأبيات القافية منسوبة في اليتيمة ١ : ٣٦٤ لعبد الملك بن سعيد المرادي ولابن عبد ربه في شرح مقصورة حازم ١ : ١٨٣ ، (٤ : ٢٢٢ / ٤) .

٧١ : ١٤ الصواب : من الحياء ، (٤ : ٢٢٢ / ١٢) .

٧٢ : ٩ للنحاس أصل الزبيدي ص ١٤٩ الوفيات رقم ٣٨ النزهة ٣٦٣ البغية ١٥٩ ، (٤ : ٢٢٤ / ٧) .

٧٢ : ١٢ وثبت على نسخته شرح السبع له في أحمد الثالث أنه توفي سنة ٣٣٨ هـ ، (٤ : ٢٢٥ / ٢) .

٧٢ : ١٦ الصواب : وحدّثني . وهذا الحديث عن الزبيدي ويوجد في

النفح ١ : ٢٣٢ والضبي والأبيات لم أجدها في الأغاني ولا في ديوان المجنون رواية الوالبي تبريز ١٢٧٣ هـ ، (٤ : ٢٢٦/ ٦) .

٧٣ : ٦ الصواب : (قيل لي أين أنت من أبي العباس) عن الزبيدي والنفح ، (٤ : ٢٢٧ / ٩) .

٧٣ : ٧ الصواب : فأخرجه إليّ .

٧٣ : ٩ الصواب : التقتير وهو الإقتار .

٧٣ : ١٠ الصواب : شراء حوائجه ، (٤ : ٢٢٨ / ٣) .

٧٤ : ١٥ في نسخ الفهرست ١٣١ حماوه و حماده أيضا ، (٤ : ٢٣٠/ ١٠) .

٧٥ : ١ عنه البغية ١٦٠ .

٧٥ : ٩ ابن الفرضي ١٩٢ ونكت الهميان ١١٤ .

٧٥ : ١٤ العروضي هذا كان مرسوماً بتأديب المتقى وكان له عند الراضي جاه ومكانة ذكره الصولي في أخبار الراضي ٨ وغيرها ترجم له الخطيب ٢٥٦٩ قال وذكر ابن الثلاّج إنه توفي سنه ٣٤٢ هـ ، (٤ : ٢٣٣ / ١١) .

٧٦ : ٢ علي بن أحمد . كذا وتقدم أحمد بن محمد ، (٤ : ٢٣٣/ ١١) .

٧٦ : ١١ الضبي ٣٢٩ و ٣٢٨ والتاريخي غير الرعيني .

٧٦ : ١٤ الصواب : ذكره ابن حزم ، (٤ : ٢٣٥ / ٣) .

٧٦ : ١٥ الضبي ٣٣٠ ابن الفرضي ١٣٥ رسالة ابن حزم في النفح ٢ : ١٣٣

٧٧ : ٩ فَرْح بالحاء المهملة الساكنة لا غير النفح ١ : ٤٢٢ وترجمة أبي عمر في المطمح ٧٩ ، (٤ : ٢٣٦ / ١١) .

٧٧ : ١٠ الصواب : أبو عمر ، (٤ : ٢٣٦ / ١٢) .

٧٧ : ١٥ الصواب : تكرّر . و (لأبي بكر) كذا عند غيره أيضا ولا أستبعد (كأبي بكر) ، (٤ : ٢٣٧ / ٦) .

٧٨ : ٥ مختصر ابن عساكر ٢ : ٥٢ وعنده (... بن أحمد بن محمد ابن سعيد بن أبي مريم) وذكر له مؤلفاً سمّاه فَتْق الأفهام ، (٤: ٢٣٨/ ٧) .

٧٨ : ١٣ ترجمته في المنتظم ج ٧ ص ٢٦٠ الخطيب ٢٤٧٠ ، (٤ : ٢٣٩ / ٥) .

٧٨ : ٢٠ أبو اليمن بالضم زيد بن الحسن الحافظ ترجمته في البغية ٢٤٩ ومرآة الزمان ٨ : ٣٧٧ سنة ٦١٣ هـ ، (٤ : ٢٤٠ / ٧) .

٧٩ : ١ في الكلام سقط سداده من الكتابين : كتبي بعشرة آلاف درهم وجاريتي بعشرة آلاف درهم وسلاحي بعشرة آلاف درهم ودوابّي الخ ، (٤ : ٢٤٠ / ١٠) .

٧٩ : ٤ أغفل عنه أبو نعيم في أخبار أصبهان وذكره ابن عساكر ١ : ٤٤٤ وابن الجزري في القرّاء ٤٦٤ والصواب ... بن الحسن بن سعيد ، (٤ : ٢٤١ / ١) .

٧٩ : ١٣ ترجم له ابن الفرضي ١٣٦ والزبيدى ص ٢٠٦ ، (٤: ٢٤٢/ ٤) .

٧٩ : ١٨ الصواب : محمد بن الحسن وإن كان عند ابن الفرضي غير محلّى بأل ، (٤ : ٢٤٢ / ١٢) .

٨٠ : ١٢ النديم ١٤٠ وكناه أبا كبير ، (٤ : ٢٤٤ / ٤) .

٨١ : ٦ الباغ الحديقة بالفارسيّة والنسخ الأخرى من تغيير النسّاخ ، (٤ : ٢٤٥ / ١٢) .

٨١ : ١١ الصواب : سوى السِحْر كما في اليتيمة والفوات .

٨١ : ١٣ من ولد زيد الخ ابن السبكي في الشافعية ٢ : ٢١٨ ولم يثبت ذلك اه والظاهر أنه منسوب إلى جدّه الخطّاب وبخط الصاغاني في مقدمة عبابه نسخة الدار (لغة ١٤١) في نسبه حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطّاب بن طَهْمان بن عبد الرحمن بن أَنبُوْيْ بن هَزَارْبَنْدَهْ كأنه عجميّ الأصل

وكذا سماه حَمْداً ابنُ خير ١٩٠ و ٢٠١ والوفيات رقم ١٩٣ ج ١ : ١٦٦ والشذرات سنة ٣٨٨ هـ والخزانة ١ : ٢٨٢ والشافعية والبغية ٢٣٩ والمنتظم وسماه أحمد السمعاني ٢٠٢ ب وتذكرة الذهبي ٣ : ٢٠٩ قال ووهم الثعالبي في اليتيمة حيث سماه حمدا قلت وسيأتي لياقوت أن الثعالبي سماه أحمد كما في طبعة دمشق ٤ : ٢٣١ وعنه الشافعية والجليّة ما سيأتي غير أن الذهبي لم يقف عليها ، (٤ : ٢٤٦ / ٩) .

٨٢ : ٩ الصواب : وكانا مُعاصريه .

٨٣ : ٧ الصواب : لابن خُزيمة ، (٤ : ٢٥٣ / ٤) .

٨٤ : ٧ الصواب : الريحاني إذْناً ، (٤ : ٢٥٥ / ٣) .

٨٤ : ١١ الصواب : زَهتْه الريحُ ، (٤ : ٢٥٥ / ٨) .

٨٥ : ٣ الصواب : اعتماد ذوي الفضل .

(يتبع) عبد العزيز الميمني

ابن الرومي

شاعر لم ينصفه التاريخ

لم أجد في تاريخ الأدب العربي ولا فيما اطلعت عليه من تاريخ آداب الأمم الأخرى شاعراً اصطلحت عليه الأيام ، وظلمته الأحداث ، كهذا الشاعر الذي اجتمعت الآراء الأدبية المنصفة على أنه من أكبر شعراء العرب ، بل على أنه من أعظم شعراء الدنيـا .

كان في حياته مضرب المثل في الفقر وسوء الطالع واضطراب الأعصاب وثورة النفس حتى لم يكن يستطيع تحمل النسمة الفاترة أو الكلمة العابرة ، فهو متوتر النفس دائماً ، يثور كالأطفال ، وتغلي عواطفـه غلياناً شديداً يؤرق جفنه ويعذب ضميره ، حتى يقول من الشعر ما يخفف من ألمه ، فتثور الدنيا عليه ويأتمر به الناس ممن أصابهم هذا الشعر الجارح ، فيصبح ثانيةً غرضاً للأذى ورَميّة للسهام المسمومة من أعداء لا يرحمون ومنافسين لا يهدأون .

تلك كانت حياة هذا الشاعر العجيب الذي ملأ الدنيا شعراً وشعوراً ، وخلّف لنا من التراث الفنى ما لا يقوم بمثله عدد كبير من الشعراء .

لقد أتاه الظلم من جميع النواحي فلم يستطع الدفاع ، وغزاه الإجحاف من كل فج حتى ضاع صوابه وهارت أعصابه ، وأنّى لقريحته الفياضة أن تقوم بكل هذا العبء ، وهل يستطيع مقول واحد مقاومة هذا السيل من الناس وكلهم يحب أن يؤذيه إما تشفياً وإما تسلياً ، والرجل الشاعر

الفنان ، المرهف الحس ، حائر بين هذه المصائب المتدافعة يحاول أن يرد الأذى عنه فما يقدر ، حتى أصابه أحد هـــذه السهام « بخشكنانة »(١) مسمومة فارق فيها الحياة فأراح واستراح .

ولعلك تعجب أشد العجب حين ترى هذا التناقض التاريخي في النظر إلى هذا الشاعر الكبير ، بل يأخذك الاستغراب إذ تعلم أن القدماء شغلوا بهذا الشاعر حتى ملأ عليهم الوقت والتفكير ، ولكن هؤلاء القدماء أنفسهم ، أهملوا ابن الرومي إهمالاً لا مبرر له فلم يكتبوا تاريخه ، ولم يدونوا أحداث حياته ، ولم يتعرضوا لسيرته إلا في روايات قليلة لا غنيان فيها ولا فائدة ، ومع هذا فان الشاعر في رأي الكثيرين من مؤرخي أدب ذلك العصر وما تلاه من العصور لم يكن نكرة ولا مجهولاً ، بل كان ذا شهرة مستفيضة ، يروي الناس شعره ويستشهد به النقاد والأدباء بل لقد ذكر صاحب العمدة أنه ، أي الشاعر (كان في من غطوا على الشعراء بشهرتهم) .

أهمل المؤرخون تاريخ هذا الشاعر عن قصد ونية ، وكانوا يضعون الكتاب يذكرون فيه كل الشعراء المعاصرين لابن الرومي ، حتى إذا مرّ ذكر الشاعر وجاء دوره ، ذكروا اسمه فقط أو نبذة صغيرة عنـــه ، ثم تجاوزوه إلى غيره بسرعة لا ريث فيها مما يترك قارئ هذه الأيام في حيرة لا مخرج منها ، وشك لا كاشف له .

وهذا أبو الفرج الأصفهاني الذي وضع أكبر موسوعة أدبيه في عصره يذكر البحتري ويترك ابن الرومي وهما معاصران ؛ وهذا ياقوت الحموي في معجم الأدباء لا يذكر ابن الرومي ولكنه يترجم للكثيرين من معاصري الشاعر وأساتذته وتلامذته وممدوحيه ومهجويه .

---

(١) الخشكنانة نوع من الفطير يشبه « الكاتو » اليوم ، والكلمة فارسية الأصل .

كل ما ذكره أولئك المؤرخون الأعلام عن ابن الرومي أنه : (ولد يوم الأربعاء بعد طلوع الفجر لليلتين خلتا من رجب سنة ٢٢١ ببغداد في الموضع المعروف بالعقيقة ودرب الختلية في دار بإزاء قصر عيسى بن جعفر ابن المنصور) ، وهذا ما نقلناه عن ابن خلكان ، وما كتبه غير هذا المؤرخ عن ابن الرومي ليس أكثر تفصيلاً ولا أوفر مادةً وعلماً .

ولعل من أكثر الكتاب في عصرنا الحديث اهتماماً بموضوع ابن الرومي المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد وقد شاركه في إكبار الشاعر ، المازني وعبد الرحمن شكري ، إلا أن العقاد كان أكثرهم اهتماماً وأبعدهم أثراً في دراسة هذا الشاعر وإحياء ذكره وتعريفه إلى القراء من أبناء الجيل الجديد . ولقد ركّز العقاد دراسته لشعر ابن الرومي على نقطتين : أولاهما أن الرجل لم يُنصف في تاريخ الأدب العربي ولم يُعط محله الذي يستحقه ، وثانيها أنّ تفرّدَ ابن الرومي في طريقة شعرية خاصة ، وامتيازه من غيره من الشعراء العرب ؛ إنما يرجعان إلى أصله الرومي ، هذا الأصل الآري الذي يترك أثراً في سلالاته غير الأثر الذي نعرفه عند السلالات العربية السامية .

أما النقطة الأولى فالعقاد يتردد في تقرير رأيه فيها ثم يخرج من هذا التردد بفكرة جديدة غير واضحة ولا مستقرة ، فهو يقول ما معناه أن ابن الرومي لم يكن خاملاً في زمانه أو بعد زمانه ، ويحتج لرأيه هذا بأن ديوان الشاعر قد حُفظ ولم يَضِع منه شيء ؛ وهو يعتبر بقاء هذا الديوان وعدم ضياعه دليلاً على شهرته واهتمام الناس به وعرفانهم لقدره معرفة تامة .

ولكن ضياع الدواوين الشعرية العربية لم يكن إلا نتيجة للنكبات التي أصابت المكتبة العربية خلال الغزوات التتارية من هولاكو وجنكيز وتيمورلنك ، وقد يكون حظ ديوان ابن الرومي أعظم من حظ صاحبه

فسلم من هذه النكبات كما سلم ديوان المتنبي والبحتري وأبي تمام وغيرهم كثير ، وليس هذا الضياع دليلاً على إهمال شاعر كبشار أو دعبل وإن ضاع ديوانهما .

وكذلك فان ذكر هذا الشاعر في كثير من الكتب ، وحفظ مختاراته ، لا يمكن أن يُعد دليلاً على اهتمام الناس به ، لأن حفظ المختارات عمل يتناول حتى الشعراء المهملين حقاً ، أو الشعراء الذين تنحط مرتبتهم الفنية انحطاطاً كبيراً عن مرتبة ابن الرومي وأمثاله من الشعراء الأفذاذ .

والذي أعتقده أن من أهم أسباب إهمال هذا الشاعر ما ورد في ديوانه من إقذاع وأدب مكشوف تجنبه الناس من الأدباء نتيجة ضغط ديني أو أخلاقي ، ونحن حتى في عصرنا هذا نجد من الصعب العسير أن يتعرض الأدباء لشرح الألفاظ النابية الصريحة التي لا تستطيع الكثرة الكاثرة من الناس احتمال قراءتها أو روايتها مكتوبةً أو مطبوعة ، ولسنا بسبيل مناقشة هذا الرأي ، ولكن الواقع هو أن رأي غالبية الناس ما زال مستقراً على أن مثل هذه الألفاظ الصريحة لا يجوز نشرها على الناس عامةً ، وإن جاز أن يطلع عليها أولو الاختصاص في سبيل هدف أدبي آخر .

إن هذه الألفاظ (المكشوفة) تعتبر في حد ذاتها خروجاً على المألوف وتحدياً لما هو معروف بين الناس من قواعد واصطلاحات خلقية واجتماعية ، وقد رأينا ما وقع لكتاب طه حسين (الشعر الجاهلي) ، وكتاب علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) فهذا التفكير الجديد لم يجد فيه حتى المثقفون إلا إلا خروجاً على التقاليد والأعراف والعادات ، ثم من ناحية الألفاظ النابية نذكر كتاب (المختار من شعر بشار) للخالديين ، فقد طبع هذا الكتاب مرة منذ سنين ثم أعيدت طبعتُهُ منقحةً بعد أن حُذف منها كل ما يشير إلى الصراحة والتبذل والجرح ، وكذلك كتاب (أخبار أبي نواس) الذي طبع منه الجزء الأول ثم فُقد ، ولم يُعَد طبعه حتى الآن .

أما ما نراه من التسامح في طباعة بعض الكتب الصريحة كالأغاني ويتيمة الدهر فهو لا يقوم نقضاً لرأينا في أن هذه الألفاظ كانت وتكون دائماً سبباً من أسباب عدم الاهتمام بالشاعر أو الكاتب ، وانصراف الناس عنها تجنباً لسخط الطبقة المحافظة وغضبها .

يضاف إلى ما أسلفنا أن (الحنق الشخصي) الذي أشار إليه الأستاذ العقاد والذي عزاه إلى أبي الفرج الأصفهاني واعتبره سبباً من أسباب عدم إدراج الشاعر في كتابه ، إن هذا الحنق لا يصح اعتباره سبباً من أسباب الإهمال ، وإلا فكيف نفسر إهمال بقية المؤرخين لهذا الشاعر ؟ وهل يمكن أن نتصور أن هنالك حنقاً عاماً على هذا الشاعر ؟ قد يمكن ذلك إذا رجعنا إلى الفكرة التي سبق شرحها وهي أن (بذاءة) الشاعر قد حجبت عنه أقلام المؤرخين حتى تجنبوا الخوض في ذكره والإتيان على شرح حياته وشعره . إذا كان هناك إهمال فليس له سبب نراه غير هذه الألفاظ التي جاءت على لسان الشاعر نتيجة لثوراته واضطراب أعصابه وهوسه ؛ ولقد وصلت به الحال إلى تشاؤم أبعده عن الناس ، وجعله في عزلة عن كل معارفه وأصحابه ، حتى تسلط الأولاد عليه فراحوا يداعبونه مداعبة خشنة قاسية كانت تثير فيه الغضب الكاسح والسباب الجارح ، فانصرف الناس عن مزاياه الفنية ، ولم يروا عنده إلا هذه الشتائم المتطرفه التي يندى لها الجبين . وربما جاز لنا أن نخالف هذا الرأي كلية فنقول : إن هنالك مؤرخين تعرضوا لذكر ابن الرومي دراسةً وتفصيلاً ، ولكن كتبهم ذهبت في النكبات المتعاقبة ؛ وقد قيل إن ما بقي من الكتب العربية لا يحسب شيئاً بالقياس إلى ما ذهب منها ؛ فاذا صدقنا هذا الرأي أصبح من السّهل لدينا أن ننفي عن تاريخ ابن الرومي الإهمال كله لنقول بأن حظه السيء قد أزال من عالم الأدب الكتب التي تعرضت لذكره وعُنيت بأمره .

والنقطة الثانية التي شغلت العقاد في دراسته لشعر ابن الرومي هي هذه (الرومية) التي جعلها مصدراً لنبوغ الشاعر في «التصوير» و «التجسيد» للمرئيات التي كانت تقع عليها عينه ؛ ولكن هذه «الرومية» ليست في نظرنا إلا «نظرية» ما تزال محتاجة إلى «الإثبات» قبل أن تصبح حقيقة ملموسة مقررة ؛ ولقد شارك العقاد في هذا الرأي كثيرون من مؤرخي الأدب العربي من مثل سليمان البستاني فوصل ما بين شاعرنا وهوميروس بسبب من القرابة الفنية والتماثل في الأسلوب والمعاني والتشبيهات ، ورأى بطرس البستاني أيضاً هذا الرأي في كتابه «أدباء العرب» ، فعزا عبقرية ابن الرومي إلى أصله «الأعجمي» وهو يشير إلى أصله اليوناني ، وخالف العقاد بعض الأدباء أيضاً من مثل الأستاذ أنيس المقدسي والدكتور عمر فروخ ؛ ومعنى هذا أن هذه الفكرة (الرومية) قد أوجدت خلافاً أدبياً ونقاشاً علمياً حول مسألة لا يمكن البت بها ، ولا تقرير شيء فيها .

فابن الرومي كان أبوه يونانياً ، وهذا ما أثبته جميع المؤرخين ؛ ولكنه من جهة ثانية يرجع إلى أصل فارسي من جهة أمه ؛ وما نشك نحن ولا علماء الوراثة في أن الأب والأم يشتركان في توريث الابن خصائصها ، بل ربما كان نصيب الأم في الوراثة أقوى وأشد ، إذا نظرنا إلى التجارب والمشاهدات ، فكيف قصرنا أثر هذه الوراثة عند ابن الرومي على أبيه ، وأهملنا ذكر أمه الفارسية ؟ هذا سؤال يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى ، لأن العقاد والقائلين برأيه يحددون نسب الشاعر فيجعلونه يونانياً ويقولون إن الأثر التصويري الذي انتقل إليه جاء من اليونان أهل أبيه ؛ وكان على أصحاب هذا الرأي أن يلتفتوا إلى أصله من جهة أمه فلعل للفرس نصيباً في هذا الشاعر الذي اختلف الناس في تعليل طريقته الشعرية .

إن الأسباب التي دعت إلى تفرد ابن الرومي في صفات لا تشبه صفات الشعراء الآخرين في عصره أو في العصور الأخرى يمكن إعادتها إلى ثلاثة أمور أو أربعة :

أولها : أن ابن الرومي ، رغم نبوغه الفني كان مريضاً ، يبتعد عن الناس ، والناس يبتعدون عنه مما جعل الاهتمام منحصراً في شعره فقط فحفظ بعض هذا الشعر واختير للمناسبات والاستشهادات وأعجب الناس به رغم كرههم لشخص ناظمه ومنشئه .

وثانيها : أن البذاءة التي انتظمت الجزء الكبير من هذا الشعر حجبت عن الديوان الرائع كثيراً من العيون التي يحب أصحابها المحافظة على الأخلاق والاصطلاح العام ويأنفون من قراءة الأدب المكشوف والكلام على عورات الناس وعيوبهم .

وثالثها : أن ابن الرومي هجا شخصيات كثيرة لها أثرها ووزنها في عالم تلك الأيام ، فقد تناول في هجائه عدداً من الوزراء والكتاب والقواد والأغنياء والوجهاء ، وهؤلاء كانوا مرجعاً للشعراء والأدباء ، كما كانوا مصدراً لرزقهم ، ومورداً لعيشهم ، لذلك اضطر أولئك إلى تجنب الحديث عن ابن الرومي مداراةً لأصحاب النفوذ وتجنباً لغضب من بيدهم الحل والعقد .

يضاف إلى الأسباب التي مرت سبب رابع هو عندي أهمها جميعاً ، وأعني به هذا التعقيد الذي يرين على شعر ابن الرومي ، وهذا التوليد في المعاني الذي يجعل هذه المعاني متراكبة متشابكة يتعب قارئها ويجد في فك رموزها وطلاسمها عَنَتاً كبيراً ، فشعر ابن الرومي صعب على الحفظ ، لأن ابن الرومي من شعراء المعاني لا شعراء الديباجة والأسلوب ؛ وشعراء الأسلوب الرائع والديباجة السمحة هم أكثر الشعراء قراءاً وحفاظاً ، فأنت تحفظ شعر شوقي والبحتري في يسر وسهولة ، ولكنك تجد شيئاً من الصعوبة

حين تحفظ شعر أبي العلاء وأبي تمام ، لأن الكلمة عند شوقي تستدعي الكلمة التي بعدها للقرابة القريبة بينها ، ولأن شوقي والبحتري يهمها قبل كل شيء الموسيقى والتناسق والانسجام في النغمة بين ألفاظ البيت الواحد ، ولو أدّى هذا القصد إلى السطحية أحياناً ؛ أما أبو تمام مثلاً فاهتمامه منصبٌ على إيجاد المعاني الجديدة والصور الطريفة فهو مشغول الذهن بهذه الناحية ، منصرف عن اللفظ إلى الفكرة ، وهو يضع الكلمة في البيت الواحد كيفما اتفق ، بشريطة أن تؤدي المعنى الذي يرمي إليه ، لذلك فان الكثير من ألفاظه يخرج نابياً على السمع ناشزاً عن الأذن لفقدان النغم بين الكلمات المتجاورة والألفاظ المتقاربة . وابن الرومي من شعراء الفكرة والصورة — أما الموسيقى عنده فتأتي بعد هذا كله ، ولهذا فان حفظ شعره كان صعباً على الحفاظ ورواد الأدب وأصحاب الميل الفني ، ولهذا أيضاً كان شعره أبعد عن الاهتمام به من شعر زميله ومعاصره البحتري ؛ فاذا قدرت أيضاً هذا الشرح والتطويل والتعقيد الذي تراه في شعر الشاعر استطعت فهم سبب هام من أسباب زهد الناس في دراسة شعر ابن الرومي وشرحه .

وخلاصة البحث أن الناقد في هذا الزمن ، وبعد أن مر على ابن الرومي أكثر من عشرة قرون ، يجد صعوبة بالغة في تقرير حقيقة تتعلق بشخصه وأدبه ؛ ومن الخير للأديب وللأدب أن لا يرسل الناقد آراءه إرسالاً ، وأن لا يجعل منها أحكاماً لا تقبل المناقشة ، فان طبيعة الرأي الأدبي تجعله ليّناً قابلاً للأخذ والرد ، وإن كل رأي أدبي معرض للخطأ ما دام هذا الرأي مبنياً على التخمين والتقدير .

أحمد الجندي

مدرسة سالرنو الطبية

- ٣ -

التخدير فن عربي انتقل إلى مدرسة سالرنو

للعرب على علم الطب فضل كبير في غاية الأهمية وهو استخدام المرقد (المخدر) العام في العمليات الجراحية [١] .

وكم كان التخدير العربي فريداً في نوعه صادقاً في مفعوله رحيماً بمن يتناوله ؛ وهو يختلف كل الاختلاف عن المشروبات المسكرة التي كان الهنود واليونان والرومان يجبرون مرضاهم على تناولها كلما أرادوا تخفيف آلامهم . وينسب بعضهم هذا الكشف العلمي إلى طبيب إيطالي أولاً وإلى بعض الاسكندنافيين ثانيا ، في حين أن الحقيقة تقول والتأريخ يشهد أن فن استعمال الاسفنجة المخدرة فن عربي لم يعرف قبلهم [٢] .

كانت توضع الاسفنجة المخدرة في عصير من الحشيش والأفيون والزؤان والبنج (هيوسيياموس) ، ثم تجفف في الشمس وتحفظ وتبلل الاسفنجة قبيل استعمالها للتخدير [٣] ، ثم توضع فوق الأنف والفم فتمتص أنسجة المريض المخاطية المواد المخدرة فيركن المريض إلى نوم عميق يقيه أوجاع العملية الجراحية .

---

(١) راجع حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ١٤٠ .
(٢) راجع شمس العرب تسطع على الغرب (زيغرد هونكه) ص ٢٧٩ وص ٢٨٠ .
(٣) راجع مقدمة في تأريخ الطب العربي للدكتور التجاني الماضي ص ١٤٠ .

وقد ورد ذكر الاسفنجة المنومة في المصادر الأوربية في القرن التاسع ومابعده [١] ؛ وكان يصحب استعمال الاسفنجة بعض الأحيان شرب مزيج أساسه [(المندرغورة)[٢] ، ويحتوي كذلك على الأفيون وعصير الشوكران والتوت] . وأما التخدير الموضعي فكان يستعان عليه بضمادة تغمس في محلول شبيه بالمزيج المخدر الذي ذكرناه والذي يؤخذ بطريق الفم فتوضع الضمادة على المكان المراد تخديره موضعياً . وكان المريض يوقظ بتشميمه عصير الشمر .

لقد دخل فن التخدير أوربة بطرق كثيرة مختلفة منها (مدرسة سالرنو) ؛ وظل معمولاً به حتى القرن الثامن عشر حين كشف عن التخدير بالاستنشاق عام ١٨٤٤ ، فاختفى التخدير الأول وغمره النسيان ؛ أما نحن فما علينا إلا أن نعطي كل ذي حق حقه فنرجع فضل اكتشاف التخدير العام (بالاسفنجة) بطريق الفم والأنف إلى العرب « والفضل للمتقدم » .

التشريح في سالرنو :

كان تشريح الجثث محرماً في أوربة بأسرها وفي عام ١٢٣٨ أمر فردريك الثاني (الامبراطور) بأن تشرح جثة مرة كل خمس سنوات في مدرسة سالرنو ، وظل تشريح الجثث يجري بانتظام في إيطاليا بعد عام ١٢٧٥ م [٣] .

وفي عام ١٢٨٦ فتح طبيب في كرمونا جثة ليدرس عليها سبب وباء انتشر في ذلك الوقت فكان هذا أول تشريح لجثة بعد الموت لمعرفة سبب الوفاة ؛ وقد رخص في سالرنو بتشريح الموتى من أسباب جنائية في البداية ، ثم سمح بتشريح جثث المحكوم عليهم بالإعدام بين الحين والحين وعلى رؤوس الأشهاد.

(١) راجع قصة الحضارة (ول ديورانت) ص ١٩٥ الجزء السادس من المجلد الرابع .

(٢) المندرغورة هي اليبروح ويسمى اللفاح ، وهو نبات عشبي معمر سام طبي من الفصيلة الباذنجانية (انظر Mandragore في معجم الألفاظ الزراعية) .

(٣) راجع كتاب قصة الحضارة . الجزء السادس . المجلد الرابع الصفحة ١٩٣ .

إن الكتاب الأول في علم التشريح لمدرسة سالرنو المسمى تشريح الخنزير[1] Anatomia Porci والمنسوب على غير أساس أكيد إلى من يدعى كوفوني Anatomia cophoni هو كتاب يرجع بلا شك إلى السنوات الأولى من القرن الثاني عشر م . وهو يفتتح التشريح التجربي الجديد الذي أجري على جسم الحيوان حقاً (وهو الخنزير في هذه الحالة) ، ومن ثم يسلك طريقاً لم يسلكه العرب من قبل . ولكن الآثار العميقة للعرب توجد هنا في دائرة المصطلحات .

وفي الكتاب الثاني في التشريح[2] لمدرسة سالرنو أيضاً وهو العرض التشريحي لجسم الإنسان الذي صنف بعد ذلك لا نجد هذه الآثار العربية فحسب بل نجد أيضاً قطعاً من كتاب Pantgeni لقسطنطين .

والكتاب الثالث في التشريح لمدرسة سالرنو وهو كتاب Magister Marcns المتوفى عام (١٢١٤ م) والذي صنف مع ذلك كتباً كثيرة أصيلة هو كتاب قسطنطيني أيضاً أي أنه كان عربياً في مادته الطبية مع إظهار استقلال أعظم من ذي قبل .

وقد نشرت نصوص كتب التشريح لمدرسة سالرنو (في جانب منها) في طبعة نقدية أخرجها George W. corner بعنوان :

Anatomical Textes of the carlier Middles—ages Washington 1927.

الترجمة والتراجمة في سالرنو

نظرة احصائية في الترجمة من العربية الى اللاتينية في القرون الوسطى :

عندما وصل الطب والعلم الإسلاميين محجة الوقوف حوالى عام (١١٠٠ م) أخذا ينتقلان معاً إلى أوربة بتراجم لاتينية . لقد وصف شارلس سنكر

(١) راجع كتاب قصة الطب تأليف (جوزيف جارلند) ترجمة سعيد عبده ص ٧٣ .

(٢) راجع كتاب العلوم عند العرب للدوميلي ص ٤٣٤ و ٤٣٥ .

Charles singer بدقة الطب الرهباني في خلال ذلك العصر في كتـــابه (موجز تأريخ الطب) قال :

« لقد قضي القضاء المـــبرم على علمي التشريح والفسيولوجيا ، وتحول التشخيص الطبي إلى جس باليد سخيف جداً ـ إن وجد ـ وصار علم النبات عبارة عن قائمة أدوية ، وتسللت أعمال السحر والشعوذة ، وأسفّ الطب إلى مجموعة من الوصفات تتأرجح بين الدجل والرقى ، ذلك لأن الجدول العلمي كان دم حياته قد نضب إلى آخر قطرة ؛ وبقيت زاوية واحدة في أوربة حافظـــة لتراث الطب الاغريقي وهي (سالرنو) القريبة من نابولي ، بهذه المدينة مرَّ المغامر التونسي المتنصر (قسطنطين الإفريقي) قبل أن يترهب في الدير الشهير المسمى بدير (مونت كاسينو) في كامبانيا بسنوات ؛ وفيهـا شرع بالترجمة حوالى عام (١٠٧٠ م) إلى أن وافاه الأجل [١] سنة ١٠٨٧ م » وسنفرد له بحثاً خاصاً يلي بحثنا هذا .

لقد سقطت طليطلة في عام ١٠٨٥ م وهي أعظم مركز للثقافة الإسلامية في الغرب بأيدي الإسبان المسيحيين ، وصار تلاميذ اللاتين يفدون إلى العاصمة الجديدة ليظهروا إعجابهم بما يرون من بقايا حضارة العرب ، ولـكي يدرسوا الفنون العربية Artes arabum وكان الوسط الناقل للدراسة ثم الترجمة بعدئذ هم اليهود المتنقلون المتوطنون والاسبان الذين كانوا خاضعين للحـكم الإسلامي (المستعربة) (Mozarabe) ولقد رسم شارلس ودروثيا سنكر في مجلد آخر من هذه السلسلة صورة حية لهذا التعاون الذي يقدم لنا فكرة واضحة عن الامتزاج العلمي العجيب .

---

(١) راجع كتاب تراث الاسلام ج ١ ص ٢١١ و ص ٢١٢ و ص ٢١٣ .

وكان أول شخصية علمية أوربية جاءت إلى طليطلة هي أديلارد الباثي الرياضي الانجليزي والفيلسوف ، ودانيال مورلي [1] وروجر أوف هيرفورد واسكندر نكوام ، وكانت رسالة أديلارد الباثي في المسائل الطبيعية أول مؤلف علمي أنتجته أوربة الغربية في القرون الوسطى .

وكان يوجد يهودي إسباني متنصراً اسمه بطرس الفونسي Petrus alphonsi ذهب إلى انكلترا وصار طبيباً لهنري الأول ونشر علوم المسلمين هناك لأول مرة .

إن الحياة العلمية التي انتعشت في طليطلة خلال القرن الثاني عشر تذكرنا من طرق شتى بفترة الترجمة في بغداد التي حدثت قبلها بثلاثة قرون . فمثلما أنشأ الخليفة المأمون (بيت الحكمة) كذلك أسس ريموند رئيس الأساقفة مدرسة للترجمة بإشراف رئيس الشمامسه (الارخدياقون) (دومنيكو گنديسالفي) وقد دام ازدهار هذه المدرسة في طليطلة حتى القرن الثالث عشر . إن الدور الذي لعبه العلماء النسيحيون والصابئة والمسلمون بلغات عدة في بغداد لعبه في طليطلة اليهود الذين يعرفون اللغة العربية والعبرية وأحياناً اللاتينية . فقد ترجم اليهودي المتنصر ابن داود الإشبيلي Avendeath كتباً كثيرة جداً في الرياضة والفلك والتنجيم من العربية إلى اللاتينية مثلما نقل ثابت بن قرة الصابي كتب اليونان إلى العربية . وعمل جيرار الكريموني للشعوب اللاتينية كما عمل حنين بن إسحق للعرب في ترجمة مؤلفات الفلاسفة والرياضيين والأطباء والطبيعيين .

ولد جيرار في كرمونا من أعمال إيطاليا (سنة ١١١٤ م) ورحل إلى طليطلة للبحث عن كتاب المجسطي لبطليموس ثم ترجمه إلى اللاتينية سنة ١١٧٠ م .

---

(١) راجع اثر العرب في الحضارة الاوربية لعباس العقاد ص ٤١ و ص ٤٢ .

وما عتم أن أصبح أعظم وأشهر مترجمي العربية ؛ وقد ساعده في ذلك مواطنان مسيحيان ومواطن يهودي واحد . وقد أصدر في العشرين سنة التي سبقت وفاته عام (١١٨٧ م) حوالى ثمانين مترجماً بعضها نفيس لدرجة لا تقدر ففتح بذلك أبواب الكنوز الثقافية اليونانية والعربية على مصاريعها فضلاً عن أنه أضحى مثالاً لأتباعه الذين ساروا على نهجه واحتذوه فكان الأب الحقيقي للاستعراب في أوربة .

إننا مدينون لجيرار في حقل الطب بترجمات لمؤلفات ابقراط وجالينوس وجميع مترجمات وآثار الكندي تقريباً وقانون ابن سينا العظيم . وكتاب الجراحة الشهير لأبي القاسم الزهراوي .

لقد ترجم في علم الطبيعة من العربية عدة مؤلفات لأرسطو يدخل في عدادها كتاب الجواهر المنسوب إلى هذا الفيلسوف العظيم ، فضلاً عن مؤلفات الفارابي وإسحق الإسرائيلي وثابت بن قرة . كذلك أدى (مرقس اللاهوتي) الطليطلي الذي ربما كان الند الأصغر لجيرار خدمة كبيرة فترجم رسالة أبقراط (في الأهوية والمياه والبلدان) وكثيراً من مؤلفات جالينوس عن مترجمات حنين وحبيش العربية .

وترجم روفينو Rufino وهو باحث من مدينة (ألسندريا) في إيطاليا - وإن عاش في مرسيه باسبانيا - ترجم كتاب حنين الشهير (مسائل حنين) بعنوان (مسائل طبية) . وعمد إبراهيم الطرسوسي اليهودي إلى مساعدة سمعان الجنوي على ترجمة كتاب (التصريف) لأبي القاسم الزهراوي باسم Liber Servitoris ، وكتاب ابن سرابيون في الأدوية المفردة ؛ وترجمت أقسام من آثار أبي القاسم بقلم المدعو بركنر البلنسي Beregnar وارنالد من فيلانوفا الذي ترجم كتاب الأدوية القلبية لابن سينا .

سقطت صقلية نهائياً بيد النورمان عام (١٠٩١ م) بعد أن ظلت في قبضة الإسلام زهاء مئة وثلاثين سنة ، وبقيت المركز الخصيب لانتشار العلوم العربية وكانت اللغات التي يتكلم بها سكانها بلهجاتها الدارجة اليونانية والعربية واللاتينية ؛ وكان المثقفون فيها يتقنون الفصيح من هذه اللغات الثلاث . وكان ملوكها من روجر الأول حتى فردريك الثاني ومانفرد وشارل الأول من أسرة أنجو يستقدمون العلماء إلى بالرمو مهما كان دينهم ولسانهم . فشرع العلماء في بالرمو كما في طليطلة ينقلون من العربية واللاتينية واليونانية . وكانت أغلب هذه التراجم في الرياضة والفلك . هذا ولم تظهر في صقلية مترجمات طبية مهمة خلال القرن الثاني عشر ؛ ولكن نجد في القرن التالي أيام حكم شارل الأول (١٢٦٦ — ١٢٨٥ م) المترجم اليهودي (فرجوت الجرجنتي) .

لقد ظهر في بالرمو يهودي آخر اسمه (موسى البالرمي) درب على الترجمة اللاتينية بأمر من الملك شارل . ولا نعرف من آثاره إلا ترجمته لكتاب مشكوك في نسبته لابقراط في أمراض الخيل . وترجم ميخائيل سكوت الاسكتلندي أحد ندماء الملك فردريك الثاني جميع كتب أرسطو في علمي الأحياء والحيوان من العربية والعبرية إلى اللاتينية نخص منها بالذكر (مختصر علم الحيوان) مع شروح ابن سينا عليه وقدمه للامبراطور عام ١٢٣٢ م .

أما أثر الحروب الصليبية في نقل علوم المسلمين من القرب فانه كان من الضآلة بدرجة يقف أمامها المرء مشدوهاً .

والكتاب المهم الذي ندين به لهذا الحدث التأريخي هو الكتاب الكامل أو (كامل الصناعة) لعلي بن العباس المجوسي ترجمه (اسطيفان البيزي) وهو من سكان بيزا نال ثقافته في سالرنو وصقلية ثم رحل إلى إنطاكيا وفيها ترجمه عام ١١٢٧ م باسم Liber Regales وتعرض فيه لنقد الترجمة التي عملها قسطنطين الإفريقي للكتاب نقداً مراً كما سنرى .

لقد أنجزت بعض الترجمات اللاتينية في القسم الشمالي من إيطاليا نذكر على سبيل المثال (برغنديو البيزي) الذي أكمل ترجمة عشرة كتب عن جالينوس عن اليونانية رأساً حوالى سنة ١١٨٠ . وترجم (اكيوريوس) Accurius كتاب جالينوس في قوى الأطعمة de Vibilus Alimentorum عن ترجمة حبيش العربية له حوالى سنة ١٢٠٠ م .

وترجم (بانا كوزا اليهودي المتنصر) كتاب الكليات لابن رشد في بادوا سنة ١٢٥٥ م .

ونقل (بارفيسيوس) كتاب التيسير لابن زهر بمعونة يعقوب اليهودي في البندقية سنة ١٢٨٠ م .

أما عن المترجمين الآخرين فلا نعرف شيئاً عن مواطنهم والزمان الذي عاشوا فيه (كداود هرمنيوس) David Hermenus الذي ترجم كتاب علاج أمراض العين لعمار الموصلي .

حفل ذلك العصر كذلك بتراجم كثيرة لاتينية نجهل أسماء مترجميها منها ، رسائل لموسى بن ميمون وابن سينا وجابر والرازي وابن الهيثم ، ومما يجدر التنويه به أن أغلب الترجمات الكيماوية نجهل أسماء مترجميها .

سارت عملية الترجمة سيراً حثيثاً حتى القرن السادس عشر ، وإننا لنجد ذكر (أندريا الباكو البلوني) (توفي سنة ١٥٢٠) ضرورياً بوصفه أحد مشاهير مترجمي كتب ابن سينا (القانون Canon والنفس de Animia وتقدمة المعرفة) ؛ وترجم كذلك كتاب (السكنجبين) لابن سينا (والكناش) لابن سيرابيون وآثاراً صغيرة لابن رشد ويوحنا بن سيرابيون ومعجم الأطباء الذي كتبه ابن القفطي . وثم تراجم عديدة تعود إلى ما بعد ذلك التأريخ استخدمت بصورة واسعة في التدريس الجامعي على الأخص في فرنسا وشمالي إيطاليا .

وهكذا انتقلت مئات (١) من تراجم التراث العربي الاغريقي العلمي إلى تربة أوربة المجدبة ؛ وكانت النتيجة زخات من المطر الوابل أحيت تلك الأرض الموات . هذا وبعد القرن السادس عشر صار الطب والعلم وعلى الأخص في شمالي إيطاليا يبتعد عن العربية ليدنو أكثر فأكثر من الترجمة عن اليونانية مباشرة فحصل نزاع بين الاتجاهين العربي واليوناني ، واشتد الخصام بين أنصار الجهتين وإن لم يكن كبير فرق ثَمَّ بين الاثنين ، فالطب العربي استمدت بعض جذوره موادها العلمية من الطب اليوناني كما نعلم ، وقد بوشر طبع جميع الكتب اليونانية والعربية (العلمية والطبية) بعد اختراع فن الطباعة وأعيد طبعها مراراً عديدة وبرغبة مستمرة .

قسطنطين الإفريقي

أشهر تراجمة سالرنو

تقول دائرة المعارف (٢) البريطانية عنه إنه مغامر اشتهر في الطب ، وكان نصرانياً عربي القومية ، ولد في قرطاجنة (تونس) عام ١٠٢٠ م وقيل إنه درس الطب في حواضر العالم الإسلامي . وبالحقيقة فإن قصة حياته منذ ولادته حتى عام ١٠٧٠ غامضة ، فقد ورد في رواية أخرى ذكرتها أيضاً دائرة المعارف البريطانية أنه نشأ وترعرع في صقلية ، واستدلت على ذلك باتقانه اللغة العربيـة التي كانت سائدة في صقلية ، (بجانب اليونانية واللاتينية) حتى القرن الحادي عشر ولمعرفته معرفة حسنة لليونانيـة واللاتينية كذلك .

---

(١) راجع كتاب تراث الاسلام ج ١ ص ٢١٨ و ٢١٩ .

(٢) راجع دائرة المعارف البريطانية ج ص ٣٠٤ .

لقد اشتهر قسطنطين بترجماته من العربية إلى اللاتينية تلك التي تمت بعد ١٠٧٠ ، حيث حط رحاله في سالرنو أولاً ثم التحق بدير للبندكتيين في مونت كاسينو Monte Cassino ، وفي هدوء وسكينة ترجم معظم الكتب التي نسبت إليه ترجمتها ، والتي كانت السبب في شهرته التي لفت العالم آنذاك لفاً ؛ وقد وافاه الأجل عام ١٠٨٧ ، هذه خلاصة ما ورد عن قسطنطين في دائرة المعارف البريطانية ؛ أما المصادر الأخرى فتذكر قصة حياته بشيء من التفصيل أكثر وتنسب سيرته إلى الأسطورة وليس إلى التاريخ .

قالت المستشرقة زيغرد هونكه (١) في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب وأيدها في معظم ما سردته الدومييلي قالت : أبصر النور في عام ١٠٢٠ م طفل نجهل عنه الشيء الكثير ، أبصر النور في قرطاجنة (تونس) في نفس العام الذي ولد فيه (هيلديبراند) Hildebrand وهو الذي تربع على عرش البابوية باسم غريغوريوس السابع Gregor VII ؛ أما الاسم الحقيقي لهذا الطفل فنحن نجهله ، ولكن قيل إنه دخل المسيحية فيما بعد وسمَّى نفسه قسطنطين .

نما هذا الطفل حتى أصبح فتىً يافعاً وأمضى نصف عمره يرحل إلى أرجاء الأرض ويطوف بحواضر العالم .. وقد عمل بالتجارة وتاجر بالعقاقير واحتك بالطب العربي احتكاكاً مباشراً وسمع من أساطينه أكثر من مرة ، وها هو قسطنطين يلتقي في بغداد أولاً وفي حلب وانطاكية ثانية بابن بطلان وقد دخل هذا في خدمة أمير شيزر وهو جد أُسامة الأول .

وكان ابن رضوان في القاهرة رئيس الطبابة فيها ، وكان سائراً على خطى أسلافه في علم التداوي والشفاء .

---

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٩١ وما بعدها وراجع كذلك كتاب العلوم عند العرب للدومييلي ص ٤٢٨ وما بعدها .

وعندما بلغ قسطنطين الأربعين زار لأول مرة صقلية ، وكانت هذه الزيارة أول اتصال له بأرض الفرنجة ، واتصل بالقصر ، وكان هناك حديث طويل بينه وبين شقيق أمير سالرنو الذي كان طبيباً ... تحدثا خلاله عن أشياء كثيرة ، وتطرقا إلى موضوع الطب والعقاقير ، بل تناولا هذا الموضوع بالذات قبل أية موضوعات أخرى ، وأي عجب في هذا وصاحبنا كان تاجر أدوية له من التاجر تفكيره وحسه وطرقه ، وكان محدثه طبيباً له من الطبيب تفكيره وطموحه وفضوله ! وحدثه قسطنطين عما سمعه من معجزات الطب العربي وصاحبه منصت إليه مرهف السمع ، ووعد محدثه (بعد أن عرف ببصيرته الفارق الكبير بين الطب الإفرنجي والطب العربي) بأن يزودهم في سفراته القادمة بكنوز من الطب العربي إضافةً إلى العقاقير .

وعاد قسطنطين إلى مصر ليدرس الطب تدفعه رغبة ملحة جامحة . وبعد سنين من الكفاح المتواصل والدرس والتحصيل عاد مرةً ثانيةً إلى سالرنو وفي حوزته رزمة من الكتب ؛ وكانت سالرنو آنذاك في أيدي النورمنديين يحكمها الدوق روبرت جيسكارد Robert Guiskard .

وكان أول شيء قام به تعلمه للغة البلاد ومعارف علمائها ، ومن ثم أكب على العمل إكباباً كلياً يترجم المخطوطة تلو المخطوطة فتتناقلها الأيدي باعجاب كبير .

كبر مقام قسطنطين ، وأصبح يشار إليه بالبنان ، واعتبر من أعاظم العلماء الذين لم تر مثلهم سالرنو من قبل . لقد أراد قسطنطين أن يعتزل لينصرف إلى الترجمة بكليته فاعتكف في الدير البندكتي بمدينة مونت كاسينو وانهمك تماماً في ترجمة ما تبقى معه من نفيس الكتب إلى اللاتينية مكملاً وسع جهده الثغرات التي سببها غرق بعض المخطوطات التي جلبها معه ، عند قدومه إلى سالرنو ، كما تقول الرواية . وقد وافاه الأجل ١٠٨٧ بعد أن عاش

سنتين اثنتين من بعد موت البابا غريغوريوس السابع الذي أطلق عليه أحد أصحابه الشيطان القديس Heiliger Satanas .

كانت اللغة اللاتينية التي كتب بها قسطنطين ترجمته ركيكة يصفها ماير هوف [١] بأنها لاتينية بربرية ؛ وقد استخدم تلميذه أتو Atto [٢] للوثوق من صحة ترجماته من وجهة النظر العلمية . وقد ظل العلماء طويلاً يفترضون أن من كتب قسطنطين ما هو أصيل ، وليس هذا بصحيح ، ولكن مما ساعد على هذا الرأي بلا ريب أنه يقدم كثيراً من كتبه دون التصريح بأنه ترجمة ؛ والكشف عن الأصول العربية وحده هو الذي سمح بالوقوف على هذه الحقيقة ؛ فقد تعرّضت شهرة قسطنطين للخطر في اللحظة التي قرر فيها في انطاكية الطبيب اللومباردي اسطيفان Stephan البيزاوي (الذي أوردنا ذكره سابقاً في إيجاز) أن ينقل بعضاً من كنوز العرب في الطب لشعوب أوربة المسيحية . نقول في هذه اللحظة دخلت شهرة قسطنطين في منطقة الخطر .

ابتدأ [٣] اسطيفان عام ١١٢٧ بنقل كتاب « كامل الصناعة » المعروف بالكتاب « الملكي » لهالي « Hali » أي (علي بن العباس) إلى اللاتينية ، وما إن نقل بعض صفحات منه حتى انتابه العجب وشعر بأنه أمام أشياء يعرفها من قبل . ترى ألم يقرأها من قبل ، ألم يُمض من عمره سنوات ثلاثاً في درس أعمال الأستاذ قسطنطين في سالرنو ؟ ألم يسهر الليالي في درس ما جاء فيها وهو ما يراه في الكتاب العربي كاملاً منسقاً ؟ .

---

(١) راجع تراث الاسلام الجزء الأول ، بحث الترجمة .
(٢) راجع العلم عند العرب لدومييلي ص ٤٣٢ .
(٣) راجع شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٩٧ .

إذن ما نسبه قسطنطين لنفسه لم يكن من بنات أفكاره بل كان نقلاً عن عالم عربي ؛ وأيقن أنه أمام سارق كبير فشن هجوماً عنيفاً مقذعاً على مولف Liber Pantegni المزعوم .

وفي صقلية وجد المترجم دمتريوس Demetrius في كتاب قسطنطين عن البصريات De oculis كتاب حنين في أمراض العين ، ووجد في مخطوطة قسطنطين الهامة Viaticum كتاب زاد المسافرين لابن الجزار . ووجد في كتبه عن علم الحمية والبول والحمى ترجمات بتصرف لمخطوطات اسحق الاسرائيلي . وأما جراحة قسطنطين فهي في الواقع من صنع علي بن العباس ، وكيمياؤه من صنع الرازي . ولم يكن هناك إلا بضع مخطوطات لأبقراط وجالينوس لم يعبث بها ، وكان قد أخذ معه إلى إيطاليا ترجماتها العربية بقلم حنين ابن اسحق وابن اخته حبيش بين الأعسم دون أن يغير من أسماء مؤلفيها اليونانيين ، على عكس ما فعل تماماً بالمخطوطات العربية ، إذ لم يكن من يعرف أسماء مؤلفيها في أوربة فكان أن نسب كل مخطوط عربي إلى نفسه وتجاهل اسم مؤلفه ؛ فعل ذلك خوفاً من أن يقطف ثمار عمله سارق آخر غريب على حد قوله ، وهو في عمله هذا كاللص الداهية الذي ينادي أمسكوا السارق في حين أنه هو السارق بالذات .

وفي الحقيقة فان هذه السرقات لم يكن لها أهمية إلا عند نفر قليل من المثقفين ، لذا ظل اسمه على تلك المخطوطات ، إذ لم يكن الناس آنذاك شديدي الحرص والمحافظة على حقوق التأليف ؛ وكان له منافسون في السرقة لهم مركزهم العلمي والديني في زمنه . ألم يسبقه رئيس أساقفة سالرنو الفانوس Alphanus إلى سرقة مخطوطة إغريقية ترجمها إلى اللاتينية ونسبها إلى نفسه ؟

ولكن مؤرخ الطب الفرنسي دارمبارغ Daremberg أبي إلا أن يقول كلمة شديدة اللهجة وعادلة في حق قسطنطين ، فقد وجه إليه انتقاداً مراً لاذعاً لسرقاته ، ولكنه شعر في قرارة نفسه أن قسطنطين هذا يستحق التكريم لفضله العظيم بنقل آثار العرب إلى أوربة وفي إيقاظ علم الطب الأوربي من سكونه الذي كان يشبه الموت فكان أن اقترح إقامة نصب تذكاري له على قمة الجبال المشرفة على سالرنو .

الكتب التي ترجمها قسطنطين [1] : ألمحنا سابقاً إلى الكتب التي ترجمها قسطنطين ونضيف أنه ترجم قسماً كبيراً من الكتاب الملكي لعلي بن العباس ، وكتاب زاد المسافرين لابن الجزار ، وكتاب طب العيون لحنين بن اسحق ، وترجم كثيراً من كتب إسحق الإسرائيلي في البول والحميات والحمية عن الطعام والأدوية المفردة .

وترجم قسطنطين من العربية أيضاً كتباً كثيرة إغريقية الأصل كانت توجد نصوصها في العربية مثل كتابي Aphorismes و Prognosticon ، ومثل Mikrotechne و Megatechne وغير ذلك من شروح أبقراط الكثيرة لجالينوس ، الخ .

وفي تأريخ بطرس دياكونوس Petrus Diaconus (المتوفى بعد سنة ١١٤٠) نجد كتابات قديمة عظيمة الدقة عن قسطنطين الإفريقي كما نجد قائمة للكتب التي صنفها .

---

(١) راجع العلم عند العرب للدوميلي ص ٤٣٢ .

تلامذة قسطنطين :

كان هناك رجلان ساعدا قسطنطين في ترجمته عن العربية إلى اللاتينية ، أولهما تلميذه الفتى العربي يحي بن عقلة الذي أنقذه معلمه من الفقر والعوز وقربه إلى نفسه فاعتنق المسيحية وسمى نفسه يوحنا أفلاسيوس Johannes Afflatius أو يوحنا الفاسي Johannes Saracenus وأصبح طبيباً شهيراً بعد وفاة معلمه وعمل على إدارة ما خلفه له .

وثانيهما تلميذه أتو Atto الذي أصبح فيما بعد طبيب الامبراطورة اغناس Agnes (١) الخاص ، ونقل لها ترجمات أستاذه إلى الشعر الروماني .

أما تلميذه الثالث بارتلماوس Bartolomaus فقد نقل إلى الألمانية الفصحى والألمانية العامية والداغركية كتابه Paractica الذي حمل مباشرة إلى الشعب في القرن الثالث عشر علم الشفاء العربي .

وفي عام ١٢٥٠ م ترددت أسماء عربية مع اسمي قسطنطين وبارتلماوس في خطب برتولد فون رجنبورغ التي كان يلقيها في أوربة ، ولم يكن كل هذا إلا قطرات من الماء تلمع في جو ربيعي عاصف ما لبثت أمطاره أن انهمرت فوق أرض أوربة المتحجرة فغسلتها من تحجر المعتقدات وبعثت فيها ربيعاً يانعاً مثمراً .

إذن فقد كان أثر هذا السيل العرم من نتاج العرب عظيماً وبعيد المدى ؛ والواقع انه لم يكن هناك طبيب في سالرنو إلا وقد استقى علومه ومعارفه من مؤلفات العرب ، كما لم يكن هناك أي كتاب جديد في العلوم أو في الطب خاصة إلا وتأثير التفكير العربي واضح فيه .

الدكتور فيصل دبدوب (الموصل)

(١) شمس العرب تسطع على الغرب زيغرد هونكه ص ٢٩٩ .

التعريف والنقد

كتاب المعتمَد في أصول الفقه

تأليف : أبي الحسين محمـــد بن علي بن الطيّب البصري المعتزلي
المتوفّى ببغداد سنه ٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ م

اعتنى بتهذيبه وتحقيقه محمد حميد الله ، بتعاون محمد بكر وحسن حنفي
الجزء الأول ، دمشق : ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م
والجزء الثاني ، دمشق : ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

لا يخفى أن المعتزلة طائفة كبرى من المسلمين ، ويسمّون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقَدَرية ، وهم نفاة القدر القائلون بأن الله تعالى لا يعلم الأمور إلا بعد وقوعها . والذي يعمّ هذه الطائفة من الاعتقاد ، هو القول بأن الله تعالى قديم ، والقِدَم أخصّ وصف ذاته ، ونفَوا الصفات القديمة أصـــلاً ، فقالوا هو عالم بذاته ، قادر بذاته ، حي بذاته ، لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به ، واتفقوا على أن كلامه محدث لمخلوق في محل ، واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته ، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار ، في دار القرار . ومن أمعن النظر وتدبر كلام أئمة السنّة المشاهير في باب أسمائه تعالى وصفاته ، علِم عِلم اليقين أنهم كانوا أدقّ الناس نظـــراً ، وأعلمهم بصحيح المنقول ، وصريح المعقول ، وأن أقوالهم هي الموافقة لها ، ولهذا تأتلف ولا تختلف ، وتتوافق ولا تتفارق .

الإسلام يجمع الفِرَق ويعمّها

قال الإمام أبو الحسن الأشعري في أول مقالات اختلاف الإسلاميين : اختلف المسلمون بعد نبيهم في أشياء ضلل فيها بعضهم بعضاً ، وتبرأ بعضهم من بعض ، إلاّ أن الإسلام يجمعهم فيعمهم ، فهذا مذهبه وعليه أكثر الأصحاب ، وقال ابن تيمية في كتابه المعقول والمنقول : ثم إنه ما من هؤلاء إلاّ من له في الإسلام مساع مشكورة ، وحسنات مبرورة ، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنّة والدين ، ما لا يخفى على من عرف أحوالهم ، وتكلم فيهم بصدق وعدل وإنصاف (١) .

وقد ترجم ابن خلكان لأبي الحسين البصري المعتزلي مؤلف هذا الكتاب فقال : كان إمام وقته ، وله التصانيف الفائقة في أصول الفقه ، منها المعتمد ، وهو كتاب كبير ، ومنه أخذ فخر الدين الرازي كتاب المحصول ، سكن بغداد وتوفي فيها (سنة ٤٣٦ هـ) .

والحق انه كتاب ضخم فخم ، من أوسع كتب الأصول وأهمها ، فقد بلغت صفحاته في جزءيه ، ألفاً وخمسين صفحة ، عدا الفهارس المستقلة في آيات الاستشهاد الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، وفهرس عام لمواضيع الكتاب والأعلام والأماكن ، ومنها تكــــرر اسم العلَم في الصفحات والأسطر يشار إليه ، أو يدل عليه ، فقاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي مثلاً قد أشير إليه بالأرقام المتعددة بما يقرب من مائتي مرة ! !

هذا وإن من القواعد القرآنية الآتي بعضها ، والمبادي الكلية العامة التي اشتقت منها ، أخذ علماء الأصول قواعدهم ، وبنى عليها الفقهاء أحكامهم ،

---

(١) من « حياة شيخ الإسلام ابن تيمية » ص ١١٦ .

فالقرآن الكريم في هذا الباب هو أصل الأصول ، ومصـــدر التشريع والتفريع ، والاستنباط والتخريج ، وقد أسند فيه الإفتاء والقضاء إلى منزله ، فقال سبحانه : « قل الله يفتيكم » « فالله يحكم بينهم » وقضت به سنة النبي عليه الصلاة والسلام في النوازل والأحـكام ، وسار على هذين الأصلين الصدر الأول ، ومن تبعهم باحسان ، أخذاً واستدلالا ، واجتهاداً وقياساً ، فتولَّدت الفروع من الأصول ، وتنوعت فيها المآخذ والمدارك ، ودونت المذاهب على تراخي العصور ، ورتب الفقه هذا الترتيب الذي نراه في مصنفاته ، ففي أول سورة المائدة « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وهو أمر بالوفاء في كل عقد عقده المؤمن وارتبط به مع غيره ، ويدخل في هذا الباب العقد بالفعل ، كإعطاء المال لمن بيده تذاكر السفر في البواخر ، والمراكب البرية والجوية ، وقوله « وأوفوا بالعهد » فهو أمر بالوفاء بالعهود كلها ، وقال : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » فهذه الأدلة تثبت النظرية العامة في العقود ، ويدخل فيها جميع ما أورده الفقهاء في أبواب المعاملات التي عقدوها في كتبهم ، وما سكت عنه الشارع رحمة منه غير نسيان ولا إهمال .

ألا وإن الكتاب العزيز والسنة النبوية وافيان بالنصوص ، في العقود والعهود ، والشروط والواجبات والالتزامات ، وهي دالة على معانيها ومقاصدها ، بعموم ألفاظها لا بطريق الاجتهاد والاستحسان ، وقد ذكر الإمام ابن القيم طائفة منها في (أعلام الموقعين) هي في نفسها قواعد كلية ومبادي عامة ، مشتملة على المصالح والمطالب الشرعية ، معللة بعللها وأسبابها .

رتب كتاب « المعتمد » أبوابه على قواعد الأصول ، وبين الحقيقة والمجاز ، ووصف الحقائق الشرعية والعرفية ، وبحث في الأوامر والنواهي ، وعقد أبواباً للعموم والخصوص ، والمجمل والمبيَّن ، وتكلَّم في الأفعال ، وفي الناسخ والمنسوخ ، وبه ختم الجزء الأول . وأما الجزء الثاني فقـــد بدأ

فصوله في الإجماع وكونه حجة بشروطه ، والأخبار المتواترة وغيرها ، وما يترجح به أحد الخبرين إذا تعارضا ، ثم الكلام في القياس والاجتهاد ، وفي الحظر والإباحة ، وأخيراً في المفتي والمستفتي ، وكتاب زيادات المعتمد ، وكتاب القياس الشرعي . وصوّر في نهاية الكتاب صفحات من نسخه الاستانبولية واليمانية التي طبع عليها .

وأثبت الأستاذ المحقق محمد حميد الله في آخر الكتاب مقدمته التي بلغت أكثر من أربعين صفحة باللغة الفرنسية ، ذكر فيها أن هذا الكتاب قد امتاز بخاصتين ثنتين ، وهما كونه في أصول الفقه ، وكون مؤلفه من علماء المعتزلة ، وشرح هاتين المزيتين بنحو تسع صفحات ، ثم كتب فصلاً بعنوان : محلّ هذا المؤلّف في تاريخ أصول الفقه ، وفصلاً آخر في صفات المؤلِّف وخصائصه ، وآخر في الشهادات العليا لهذا « المعتَمَد » الأصولي ، وشذرات بالعربية والفرنسية في أماكن النُّسَخ الخطية من هذا الكتاب ، وتاريخ خطها ، أو وقفها ، وأسماء واقفيها أو مالكيها ، وهذا مثال من المكتوبات (ص ٣٦) : الحمد لله ، هذا من كتب الوقف منقولاً من ظفار ، بأمر مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله ، حفظه الله ، وأحيا به معالم الدين ، وأمر بوضعه في المكتبة العامة الجامعة لكتب الوقف ، بمحروس جامع صنعاء المقدّس التي أمر بعمارتها بأزاء الصومعة الشرقية ، بتاريخه (شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٨ هـ) ، وفي (ص ٣٨) : الحمد لله ، قد صار هذا المجلّد من جملة كتب مولانا العلامة سيف الإسلام وزير الخارجية عبد الله بن أمير المؤمنين ، المتوكل على الله ، يحي بن محمد ، حفظ الله لنا أيامه ، (الحجة الحرام سنة ١٣٧٠) .

وفي هذه الصفحة زيدت زيادات ليست من العقل ولا من النقل في شيء ، وليت المحقق لم ينشرها ، إذ ليست من أصل الكتاب ، ولا من

مباحثه ، منها ما نصه : وروينا عنه صلى الله عليه وآله أنه نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام فبكا (كذا) ، فهابه أهله أن يسألوه عن بكائه ، فوثب الحسين عليه السلام ، فقال : ما يبكيك يا أبة ؟ قال : يا بني إني سررت بكم اليوم سروراً ، لم أسَرّ بكم قبله مثله ، فأتاني جبريل فأخبرني أنكم قتلاوان (كذا) مصارعكم شتّى فقال : يا أبة ، فمن يزورنا على تباين قبورنا ؟، فقال عليه السلام : قوم من أمتي ، يريدون بذلك بري وصلتي ، إذا كان يوم القيامة أتيت إليهم . فأخذت بأعضادهم ، فأنجيهم من شدائدها وأهوالها » وهذه الرواية ليس لها سند ، وهي مخالفة للواقع ، إذ أن الحسن عليه السلام لم يقتل ، وقال (قتلاوان) بدل (قتيلان) ، وبعد إيراد خبر ثان ، قال الكاتب : وأخبرنا رواية هذه الأخبار للأميرين الأوحدين السيدين يحيى ومحمد ابني أحمد ، تولا (كذا) الله تعالى توفيقها ، ثم نوّه بالمعتمد ومزاياه ، وذكر مختصره وعزاه لمؤلفه ، وفي (ص ٤٠ و ٤١) ذكر كتاب تجريد المعتمد ، واسم من ملكه شراء ، ومن انتقل إليه من بعد .

وختم الأستاذ محمد حميد الله مقدمته بأداء واجب الشكر وعرفان الجميل ، إلى الأستاذ هنرى لاوست لتقديمه دراسات قيمة ، حول هذا النص من مجموعة مصادر موجودة في المعهد الفرنسي العربي بدمشق (قال) وهو الذي يحمل إلينا دائماً أكبر وأثمن المساعدات .

النسخ ومعناه

إن اسم النسخ شائع في كتب أصول الفقه ، وقد كتب هذا الكتاب (المعتمد) فيه صفحات ، والنسخ : حقيقة الإزالة ، وله شروط معروفة في الأصول ، وقد سمّوا به ما ليس منه توسعاً وتسامحا ، كتفصيل المجمل ، وبيان المبهم ، وتخصيص العام ، وكالاستثناء ، وقد أجمع علماء الأصول

وعموم المفسرين على أن الآية التي لا تتعارض مع غيرها تبقى على إحكامها ، وإن الناسخ والمنسوخ غير وارد إلاّ في الآيات القرآنية التي يتعذر الجمع بينها ، وجميع الآيات التي أوردت في هذا الباب ، يمكن الجمع بينها ، بدون إبطال الحكم في أية آية منها ، وإني مورد ثلاثة أمثلة لذلك بالكلم الوجيز .

١ — آية الدّين (٢٨٢ — ٢٨٣) من أواخر سورة البقرة : « يا أيها الذين آمنو إذا تداينتم بدّين إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه » ثم قال : « فإنْ أمن بعضكم بعضا ، فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه » فالظاهر من مجموع الآيتين أنه إذا أمن بعضهم بعضاً ، فلا تجب كتابة الدّين ، وإلا وجبت .

٢ — وقوله تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ؛ فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل إحداهما ، فتذكّرَ إحداهما الأخرى ٢٨٢ » جعل تعالى المرأتين مكان الرجل الواحد في آيتي الأموال والديون وآجالها ، لأن الأصل في مثل هذه الأعمال هم الرجال ، أما ما يختص بهنّ فقد فرّق الرسول (ﷺ) بين رجل وامرأته بمجرد أن أخبرت امرأة موثوقة بأنها أرضعتها .

٣ — وقوله سبحانه : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، مع قوله : « لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها ٢٨٤ — ٢٨٦ » يحاسبنا تعالى على ما يتأصل في نفوسنا من الصفات والملكات ، إن كانت خيراً أو شراً وسواء علمنا أظهرناها أم أضمرناها ، أما الخواطر السوانح البوارح التي تمر بالانسان ، فيدفعها مستعيذاً بالرحمن ، فلا يحاسب عليها ، إذ هو لم يقصدها ولم يعمل بها « إن الذين اتقوا ربهم إذا مسّهم طائف من الشيطان ،

تذكروا فإذا هم مبصرون » فكلُّ آية باقية على إحكامها ، لا ناسخة ولا منسوخة .

وما يورده بعضهم من النسخ في آيات السّلم ، وأن ليس لغير المسلمين إلا اعتناق الإسلام أو الحرب ، فهذا خطأ لا يحتمل الصواب ، بل الإسلام ، دين السلام ، لجميع الشعوب والأقوام ، وهو حرب على الأعداء الاثام ، « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » فالآية صريحة في قتال المعتدين ، لا في من ألقى إلينا السَّلَم وكفَّ عن الحرب ، ولا فيمن لم يقاتل من النساء والشيوخ والمرضى ، فآيات السلم والحرب كلها محكمة ، ليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى   مضرّ كوضع السيف في موضع الندى

هذا وإنا نقدم أعطر الشكر ، وأطيب الثناء ، للأستاذ محقق الكتاب ومعاونيه ، وللمعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ، الذي نهض بطبعه على حسابه ، وقدّم نسخاً منه إلى المجمع العلمي العربي ، رئيسه وأعضائه ، راجين أن تزداد هذه الروابط العلمية بيننا على الدوام . وكنا نود لو نقلت مقدمته الفرنسية إلى العربية ، إذاً لكانت فائدتها أعم وأشمل ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

محمد بهجة البيطار

تفسير القرآن الكريم

للإمام أبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي
المتوفّى سنة ١٦١ هـ = ٧٧٧ م
رواية أبي جعفر محمد ، عن أبي حذيفة النهدي عنه ، صحّحه ورتبه
وعلّق عليه : امتياز علي عرشي ، مدير مكتبة رضا
رامبور ، الهنـــد
طبع باعانة وزارة المعارف لحكومة الهند (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م)

هذا الكتاب صفحة ناصعة من دراسة سلفنا للقرآن الكريم وفهمه ، فهو يفسره بأقوال الصحابة الكرام ، والتابعين ، ومن تبعهم باحسان ، ولو عُني سائر المفسرين عناية أولئك الأئمة السابقين بالذكر الحكيم ، لجدّدنا في عصرنا عهدهم ، وأعدنا لأمتنا مجدهم . قال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما ، أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي ﷺ عشر آيات ، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً . فهذه هي الطريقة المثمرة التي تجدّد لنا عهداً بدراسة أولئك الأقطاب الذين استخلفهم الله تعالى في الأرض ، ومكن لهم فيها ، وأورثهم علوم الأمم وحضارتهم . وهـذا المنهاج القديم هو الذي يطبع الدارسين بطابع اللغة والإسلام والفضيلة .

والآن نوجز القول بوصف ما اشتمل عليه هذا التفسير الجليـــل مع تحقيقاته وتعليقاته .

فأوله مقدمة المصحّح في أربعين صفحة ، وقد أبانت التفسير في عهد النبي وصحابته ، والتابعين وأتباعهم ، فترجمة المؤلف منذ ولادته إلى حين وفاته ، ذكر فيها تحصيله للعلم وأساتذته وتلاميذه ، ومؤلفاته ، وما لقيه في سبيل الحق الذي كان يحافظ عليـــه ويدافع عنه ، وفي نهاية الترجمة (ص ٣٩ و ٤٠) مآخذ الترجمة ومصادرها ، ومعها أرقام الأجزاء والصفحات . ومما قيل في رثائه رحمه الله :

لقد مات سفيان حميداً مبرّزاً على كل قارٍ ، هجّنته المطامع

ومنهـا : ، ، ، ، ،

جعلتم فداءاً للذي صان دينـــه وفرّ به ، حتى حوته المضاجع

ومنهـا : ، ، ، ، ،

فعيني على سفيان تبـكي حزينـة شجاها طريدٌ نازح الدار شاسع

ومنهـا : ، ، ، ، ،

على مثله تبكي العيون بفقـــده على واصل الأرحام ، والخلق واسع

وقد وصف المصحح النسخة الوحيدة التي طبع عنها إذ لا يوجد غيرها ، وعرّفها تعريفاً وافيا .

وهذا التفسير جامع لتسع وأربعين سورة ، أولها البقرة ، وآخرها الطور ، وقد سقط من بينها تفسير سورة محمد وسورة الدخان ، كأن الثوري لم يكن عنده فيها شيء . هذا الكتاب الذي انتهى بسورة الطور ، كله روايات بالمأثور ، وقد بلغت ٩١١ رواية ، وأكثرها مروي عن مفسري مكة ، وفيها روايات رفعت إلى رسول الله ﷺ ، وروى المؤلف بالسند عن الصحابة كأبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وغيرهم ومن أمهـات المؤمنين عن عائشة وأم سلمـــة رضي الله عنهم أجمعين . وأكثر رواياته منقطعة رواها عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم .

ويكاد يكون هذا التفسير مما يُسمى تفسير غريب القرآن ، فهو تفسير للمفردات ، لا للسور والآيات ، وإليك أمثلة منها :

١ — سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير ، في قوله جلّ وعزّ : « أو كصيّب من السماء » قال : السحاب فيه المطر [١] (الآية ١٩) .

٢ — سفيان عن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله جلّ وعزّ : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » قال : تطيعون [٢] — (الآية ٢١) —

٣ — سفيان عن مجاهد « فلا تجعلوا لله أندادا » قال : عدلاء ، « وأنتم تعلمون » يا أهل الكتاب ، تعلمون أنه واحد في التوراة والإنجيل [٣] ، (الآية ٢٢) .

هذه أمثلة من هذا السِّفر الجليل ، وقد ذكر المصحّح مراجع التفسير ، ونحن أغفلنا ما ذكره هذا المصحح الكبير من تراجم الرواة بالكلم الوجيز ، فقد سمّى مراجعها من المعاجم التاريخية مشيراً إلى أرقام الأجزاء والصفحات كما في عمل كتب التفسير . وقد بلغ هذا التفسير (٤٨٨) صفحة ، منها (٢٤٤) صفحة ، وهذا هو النصف الأول ، الذي بلغ سورة الطور ، وهي آخر التفسير ، وأما النصف الثاني ، فقد عنونه الأستاذ امتياز علي عرشي — وهو الذي صححه ورتبه وعلق عليه — بعنوان (الخاتمة) في تراجم

---

(١) روى الطبري ١ / ١١٤ عن سوار بن عبد الله العنبري ، قال ، قال سفيان الصيّب الذي فيه المطر ، وليراجع ابن كثير ١ / ٥٤ والدر ٣٣ .

(٢) رواه الطبري ١/١٢٤ عنه بزيادة « لعلكم » قبل « تطيعون » — وليراجع الغرناطي ١ / ٩٦ والدر ١ / ٣٤ .

(٣) روى الطبري ١ / ١٢٦ عن الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد ، وأنتم تعلمون أنه إله واحد ا هـ وليراجع ابن كثير ١ / ٥٨ والدر ١ / ٣٥ .

رجال الثوري . قال : وأدرجت فيها كل من له ذكر في هذه الأحاديث والآثار ، سواء كان ذلك في أسانيدها أو متونها ـ ورتبتها على الصحابة والتابعين وأتباعهم ، والتزمت في التراجم على اختصارها ، أن لا تقصر عن إظهار ما في الرواة من القوة والضعف عند أرباب الجرح والتعديل ، وذكرت من المآخذ والمراجع كل ما كان في يدي من المطبوعات والمخطوطات ، إتماماً لفائدة من يريد أن يكتب على أحد منهم مستقلاً منفرداً . وقد بلغت هذه التراجم (٢٩٩) ترجمة ، وطريقته فيها أنه يترجم للراوي ملخص ما ذكروه ، مما تهمّ معرفته ، ثم ينوّه بالكتب التي لخصها منها سواء أكانت مطبوعة أو مخطوطة ، مع الدلالة على أرقام الأجزاء والصفحات .

وفي آخر الكتاب استدراكان مطوّلان ، أحدهما على الحواشي (أي التي على التفسير وهي النصف الأول من الكتاب) وثانيهما على التراجم ، وهي النصف الأخير . وهذه المستدركات هي أسماء مراجع من كتب وأرقام لما فات المحقق ذكره في صفحاته ، مشيراً إليها ، ودالاً عليها ، ثم ختم الكتاب بأربعة فهارس ، أولها فهرس المآخذ والمراجع ، فعدّ منها (٢١) لكتب التفسير والقراءات ، وقد بلغت مع كتب الحديث والأصول والكلام (٥٦) ثم مع كتب التاريخ والسيرة والرجال (١٨١) ومع كتب اللغة والأدب (٢٠٥) . ثانيها فهرس الأشخاص والقبائل والأقوام ، هادياً إلى الأرقام ، مهما تكررت هذه الأعلام ، ثالثها فهرس الأماكن والبلاد ، رابعها فهرس الكتب والألسنة . والحق أقول : إني لم أر كتاباً شرقياً أو غربياً أوسع استيعاباً ، أو أكثر عناية وإتقاناً من هذا الكتاب ، وتعليقات الأستاذ المصحح ليس عليها أثر للعجمة ، بل هي مثل رائع في فصاحتها ، ولعمري إن هذا ببركة القرآن المنزل الذي عرّب الأقطار ، وبلغ بلغة العروبة ما بلغ الليل والنهار .

★ ★ ★

ملاحظة مهمة

ذكر المصحّح في مقدمته (ص ٣٥) خصائص هذه النسخة الوحيدة في الكتابة ، كعدم كتابة الألف في بعض المفردات ، وكعدم كتابة الهمزة والواو في بعضها الآخر . وقد نبه على هذا الاصطلاح لكيلا يشكل على القارئ إذا رأى ذلك .

ب . ب .



[النسائيّات] من الأحاديث النبوية الشريفة

مبوّبة مشروحة شرحاً موجزاً وافيا ، مع تراجم الصحابة
تحقيق وشرح فضيلة الأستاذ الشيخ محمد صالح فرفور
الناشر : المكتبة الحديثة بدمشق

جعل العليم الحكيم حق الولاية العام في الإسلام للرجال والنساء على السواء ، وهي ولاية النصح والتذكير ، والتوجيه والتحذير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال سبحانه : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكر » ويدخل في هذا التضامن والتعاون على البر والتقوى ، وعظ النساء ، حتى للخلفاء ، والملوك والأمراء . وقد كان النساء يعلمن هذا ويعملن به كالرجال ، كما فعلت تلك التي ذكّرت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) في أمر المهور ، وهو واقف على منبر الرسول (ﷺ) ، فاعترف بخطئه ، ورجع إلى قولها عن قوله . النساء ربّات البيوت ومربيات الأطفال ؛ بل هنّ أميرات الداخل ، ومعاقل المنازل ، والإسلام هو الذي أنزلهن المنزلة اللائقة بهن ، إذ قد

منح المرأة حقوقها ، وعرّفها واجباتها ، وآية : «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة» قد ساوت بين الرجال والنساء ، في الحقوق والواجبات ، وخصت الرجل بدرجة الرئاسة الشورية (لا الاستبدادية) ، إذ لا بدّ لكل أسرة وجماعة من نظام ، ولا بدّ لكل نظام من رئيس منفذ ، والرجل أولى بتطبيق النظام المنزلي وتنفيذه .

وكتاب (النسائيات) لمؤلفه الأستاذ الجليل الشيخ محمد صالح فرفور جامع لما يجب للمرأة وعليها ، وقد فصّل القول في هذا الموضوع وجعله في ستة أقسام ، مُتَوّجاً كل قسم بأحاديث نبوية ، مشكولة ومعزوة إلى رواتها من الصحابة الكرام ، وإلى مخرّجيها في الصحيحين وكتب السُّنَن ، مشروحة شرحاً واضحاً بالكلم الوجيز ، وفي طليعة الكتاب تراجم الرجال المخرجين من أئمة الحديث الذين ورد ذكرهم في (النسائيات) ، وعقب كل حديث شرحه الموجز ، وترجمة الصحابي الذي رواه أو الصحابية . وهذه الأقسام الستة أولها في فريضة العلم ووجوب طلبه وتحصيله ، والثاني في العبادات المفروضة ، والثالث المحرّمات في الإسلام في طريق الحياة الزوجية ، والرابع المحرّمات في طريق الحياة العامة ، والخامس في الأخلاق الحميدة والندب إليها ، والسادس في الزهد والتواضع والتقوى ، وتحت كل قسم أبحاث منوعة في موضوعه . وختم المؤلف كتابه بثلاث فهارس ، أولها في الأحاديث النبوية مع بيان موضوعها ، مقرونة بأسماء رواتها من الصحابة ، والثاني للأعلام وتراجمهم بأرقامها ، والثالث في مواضيع الكتاب ، وذكر المصادر والمراجع .

والكتاب في جملته يصلح أن يدرس في الثانويات وفي كليات الشريعة ، وأن يكون أساساً من أسس الحياة المنزلية ، وتربية الآباء والأمهات ،

للأولاد بنين وبنات ، على أشرف الخصال ، وأفضل الفعال . أثاب المولى تعالى المؤلف ثواب العاملين المخلصين .

وهنا نستدرك الكلمات القليلة التي سها عنها المؤلف في جدول الخطأ والصواب :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢	٣	لتلبس ثيابها	لتلبَس
٥٣	٦	وقل	« قل »
٥٣	٩	إلا لبعولتهم	« لبعولتهن »
٥٤	٥	مع بعضهم	بعضهم مع بعض
٦٤	٩	عن بعضها	بعضها عن بعض
٧٢	١٣	النساء أن يسجدوا	أن يسجدن
٧٦	٢	العاس	العاص
٨٠	٧	لكنّ . . . وإقذار	وأقذاراً
٨٣	١٠	إن لكل أمة شيمةُ	شيمةً
٩٨	١٦	من سلطانا	سلطانا
١٢٣	١	دعوى العرس	دعوة العرس
١٢٧	٩	وعلى شرّا	وعلى شرٍّ
١٤٦	٦	بشَماله	بشِماله
١٥٣	٧	والتخمةَ	والتخمةِ
١٦٢	١٢	ليكفرَّها	ليكفّرَها
١٧٧	٨	ويلبِسون	ويلبَسون

ب . ب .

التاريخ الحربي الإسلامي

في سلسلة من المؤلفات القيمة

صنع اللواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

« إن تاريخ العرب المسلمين الحربي ، مفخرة من مفاخر تاريخ الحرب العالمي ، وهذا التاريخ إذا أحسن عرضه ونشره غني بالدرس والعبر لكل عربي ولكل مسلم ، بل لكل منصف من غير العرب والمسلمين ؛ فلماذا يستورد العرب والمسلمون الدروس والعبر من تواريخ الأمم الأخرى ويتركون تاريخهم العريق وراءهم ظهرياً ؟ وإلى متى يبقون عالة على الأمم وأمتهم بأمجادها الشامخة أحرى الأمم بالتقدير والإعجاب ؟ ! » .

هذه الفقرة التي ُسلّت من كلام طويل ، تتضمن دعوى ذات عرض بالغ ، إذ أنها تؤكد أن التاريخ الحربيّ للعرب المسلمين يعتبر مفخرة في تاريخ الحرب عند مختلف أمم العالم ، كما أنهـا تجزم بغنى ذلك التاريخ بالدروس القيمة والعبر المفيدة في بناء مستقبل زاهر لأمة العرب ذات المجد الغابر والحضارة العريقة ، وهي تتضمن أيضاً ، حث علماء العرب والمسلمين على دراسة تاريخهم دراسة عميقة ، ونشر تراثهم نشراً علمياً يغنيان أمتهم عن اللجوء إلى تواريخ غيرها من الأمم ، أو إلى دراسات غيرهم من العلماء للاستعانة بكل ذلك في تحصيل الدروس واستلهام العبر .

فمن هو صاحب هذه « **الدعوى** » ؟ وهل « **شروط الادعاء** » متوافرة

فيه ؟ وما هي « **البراهين** » على صحة مدعاه ؟ وماذا صنع مما يدعو العلماء إليه ؟ وإلى أي حدّ وُفّق فيما صنع ؟

من الأمور المبتوت فيها ، أن المؤرخين العرب والمسلمين – كما يقول الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، في مقدمة كتابه القيم (علم التاريخ عند العرب) – تركوا « ذخيرة تعتز بها المكتبة العربية ، وتفاخر بها في الميدان العالمي ، وتباهي بها من ناحية التوثيق الإخباري الذي يستند إلى الرواية والسند ، راوياً عن راوٍ ، بما لا نجد له نظيراً في تواريخ الأمم الأخرى (١) » وقيمة هذه الذخيرة التاريخية ، لم تكن إلا بفضل الجهود الجبارة التي بذلها علماء العرب والمسلمين في تدوين التاريخ ، بعد أن وضعوا القواعد الدقيقة لهذا التدوين ، واشترطوا فيمن يتصدى لكتابة التاريخ شروطاً قاسية ، عبر عنها أحد كبار المؤرخين المسلمين ، هو الإمام تاج الدين السبكي صاحب كتاب (طبقات الشافعية) بقوله : « فلا بد أن يكون المؤرخ عالماً ، عدلاً ، عارفاً بحال من يترجمه ، ليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له ، ولا من العداوة ما قد يحمله على الغض منه . وربما كان الباعث له على الضعة من أقوام مخالفة العقيدة واعتقاد أنهم على ضلال ، فيقع فيهم ، أو يقصر في الثناء عليهم لذلك (٢) » .

من هذا نجد أن المصادر الموثوقة لتاريخ الدولة العربية الإسلامية متوافرة في عصرنا هذا ، ولا عناء في دراستها واستنباط ذخائرها المفيدة في حياتنا المعاصرة ، بشرط أن تتوافر – فيمن يتصدى لذلك – الصفاتُ العلمية والخلقية التي تجعل منه أهلاً للبحث والنقد والاستنباط ، لأن التاريخ وهو في جوهره علم من أهم العلوم الإنسانية وأفيدها « يعوزه ما يعوز

(١) انظر ص ٣ ، طبعة القاهرة ١٩٦١ .
(٢) انظر المرجع السابق لمحمد عبد الغني حسن ص ٢٨ .

سائر العلوم الأخرى من طب وهندسة وفقه وغيرها وأنه لا بد لصاحبه من أن ينشأ نشأة علمية خالصة يتربى فيها على الشروط الفنية التى يقتضيها كل علم [١] » كما أنه لا بد لمن يتصدى للاستنباط من التاريخ من « التضلع من الفلسفة والعلوم الاجتماعية والجغرافية للاستبصار بنورها والتذرع بوسائلها واستنتاجاتها في فهم الماضي وإيضاحه ، فلا بد للمؤرخ من فهم العقل البشري فهماً وافياً كافياً ، وعليه أن يتعرّف إلى المحيط الذي عاش أو يعيش فيه الإنسان من وجهتيه الجغرافية والمادية [٢] » . فإذا ما وُجد مثل هذا العالم أمكنه أن يبدأ ـ كما يقول الأستاذ أسد رستم ـ باستعراض الحقائق وإدراك كنهها ، وله أن يكوّن في نفسه فكرةً عنها أو نظرية منها يؤمن بصحتها ، فيحمل لواء التبشير بها والدفاع عنها .

★ ★ ★

بعد هذه المقدمة التمهيدية ، نستطيع أن نعود إلى الفقرة التي توّجنا بها حديثنا هذا ، ونقول بأنها فقرة وردت في ثنايا تقديم كتاب أخرجته المطابع العربية في بغداد سنة ١٩٦٥ م [٣] ، وقد صنعه ضابط ولد في بيئة عربية صافية ، ونشأ في أسرة مسلمة متمسكة تقيم في الموصل شماليّ العراق ، فلما أتم تحصيله الثانوي ، كان سنة ١٩٣٧ م في عداد طلاب الكلية الحربية في بغداد ، حتى إذا ما تخرج ضابطاً في الجيش العراقيّ ، كانت الروح الحربية والعلوم العسكرية قد استحوذت عليه فراح وراءها ، ثم كان سنة ١٩٤٧ م ضابطاً في كلية الأركان وفيها أخذ يتبحر في العلوم

(١) انظر أسد رستم في كتابه « مصطلح التاريخ » المقدمة ، بيروت ١٩٥٥ .
(٢) انظر المرجع السابق ص ١٣٧ .
(٣) انظر مقدمة كتاب « الفاروق القائد » .

العسكرية ، على أيدي ضباط الجيش العراقي العظام ، ولما تخرَّج من كلية الأركان أخذ يتدرج في المراتب العسكرية حتى حصل على مرتبة الأمراء في الجيش العراقي ، وكان في جميع مناصبه يتابع الدراسات العسكرية والمؤلفات التاريخية ، ومما أخرجته له مطابع بغداد الكتب التالية : « القضايا الإدارية في الميدان » و « التدريب الفردي ليلاً » و « المشير فون رونشتد » .

وعكف الضابط العربيّ المسلم على دراسة التاريخ الإسلامي ، وقد دفعته دراسات كلية الأركان ، إلى الوقوف على أخبار الغزوات والحروب والارتواء منها ، وأخذ يتابع هذه الأخبار في جميع مصادرها ، في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي ، وفي كتب السيرة والتاريخ ، وفي معاجم البلدان وكتب الجغرافية ، وبين ثنايا كتب الفقه والنظم الشرعية المختلفة ، فإذا به ينتهي إلى نظرية آمن بها ، فجعلها « **دعوى** » لخَّصها في الفقرة التي يدور حديثنا حولها ، ثم أخذ يحدد معالمها ويقيم البراهين على صحتها ويزود المكتبة العربية بما خطط له من مؤلفات ودراسات .

★ ★ ★

إن الضابط الذي نتكلم عنه ، هو اللواء الركن محمود شيت خطاب أحد أعضاء المجمع العلمي العراقي الجديد ، وقد طلع علينا خلال السنوات القليلة الماضية بسلسلة من المؤلفات المبتكرة في التاريخ الحربيّ الإسلامي ، دبجها ببراعة العالم المتتبع ، ورسم خطوطها رسم الخبير الضليع ، وإذا كان تدوين التاريخ الإسلامي تدويناً حديثاً يحتاج إلى عشرات العلماء المختصين ، فإن قيام ضابط بمفرده بالتصدي لحمل عبء الجانب الحربيّ من هذا التاريخ ، وهو جانب لعمري بالغ الأهمية جليل الفائدة ، يدل على شجاعة وإقدام فائقين ، وإذا كانت هاتان الصفتان غير مستغربتين في ضابط عربي ، فإن

ما أقدم عليه اللواء خطاب جدير بالإعجاب والتقدير ، لأنه بعمله ألقى ضوءاً جديداً على سائر جوانب التاريخ الإسلامي التي مازالت بحاجة إلى من يتفرغ لدراستها وعرضها عرضاً جديداً صادقاً يتفق وطموح العرب والمسلمين في نهضتهم الحديثة .

يذكر اللواء الركن محمود شيت خطاب البواعث التي دفعته إلى دراسة التاريخ الإسلامي قائلاً : « إن أنس فما أنس يوم كنت تلميذاً في الكلية العسكرية عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) وضابطاً في كلية الأركان عام ١٣٦٧ — ١٣٦٨ هـ (١٩٤٧ — ١٩٤٨ م) وكان تاريخ الحرب أحد المواضيع التي تُدرس في هاتين الكليتين العربيتين في العراق البلد الإسلامي ، فقد ملأ ذلك التاريخ عقول التلاميذ والضباط فيها بفيض غامر من أسماء القادة الأجانب ... والعجيب أن بعض تلك الأسماء هم قادة جيوش الاستعمار في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨ م) الذين أدخلوا الاستعمار إلى البلاد العربية ! ويكفي أن أذكر أن من محاضرات تاريخ الحرب المهمة في الكلية العسكرية موضوع : حرب العراق ، وهي الحرب التي استعمر بها البريطانيون وادي الرافدين ! . . ولم أسمع حين كنت تلميذاً أو ضابطاً في هاتين الكليتين محاضرة واحدة عن قائد عربيّ مسلم مثالاً للقادة الفاتحين . . . [1] »

ويقول اللواء خطاب بعدئذٍ : « كانت أمنية غالية على القلب والعقل معاً ، تراودني منذ ما يزيد على العشرين عاماً خلت ، أن أتفرغ للكتابة عن تاريخ قادة الفتح ، الذين حملوا رايات الإسلام من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً ، إلى حدود سيبريا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً .

(١) انظر مقدمة كتاب « الفاروق القائد » ص ١٠ .

لقد كنت أشعر شعوراً عميقاً بعظمة هؤلاء الرجال ، وأشعر بالحزن والأسى يحزّان في نفسي ، حين ألمس أن هؤلاء الرجال ـ على عظمتهم في آثارهم وفي تضحياتهم ـ لا نعرف حتى أسماء أكثرهم ، وما نعرفه عن بعضهم لا يتجاوز بعض المعلومات السطحية المشوشة التي يشيع فيها التناقض والاضطراب[١] » .

« وأخيراً ـ يقول اللواء خطاب ـ تيسّر لي التفرغ المنشود الذي كنت أتمناه على الله ، فعكفت على المصادر القديمة والحديثة : أجمع أخبار قادة الفتح من شتات كتب (السّير) و (المغازي) و (طبقات الرجال) وكتب التاريخ والأدب ، وكنت كلما وجدت اسم قائد فاتح أبادر إلى تسجيله في سجل خاص وأشير إلى كل مصدر ومرجع يتحدث عنه ؛ وفي النهاية تجمّعت عندي مادة غزيرة عن بعض القادة وشذرات مقتضبة عن أكثر القادة .. [٢] » :

ولا يكتفي اللواء خطاب في بيان ما يتغياه من جهوده في تدوين تاريخ المسلمين الحربي ، بما ذكره في الفقرة التي نقلناها عنه في صدر هذا المقال ، بل تجاوز ما ألمع إليه من غايات عامة ، إلى التصريح بما يتوخاه ويرجوه من وراء جهوده قائلاً : « وكان من فضل الإسلام على العرب ، أنه وحد صفوفهم ، وجمع كلمتهم ، ووجههم للفتح ، فكان الإسلام بحق عقيدة منشئة بناءة ذاد عنها حماة قادرون ، هم العرب الموحدون الذين أصبحوا بفضل وحدتهم قوة جبارة ، ولن يعيدوا سيرتهم الأولى بغير الوحدة والتوحيد .... أقولها كلمة صريحة حاسمة موجهة لقادة العرب خاصة ولقادة

---

(١) انظر مقدمة كتاب « تاريخ فتح العراق والجزيرة » ص ٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٨ .

المسلمين عامة . إن التاريخ لم يخلد غير الذين وحدوا وجاهدوا : وحدوا الصفوف ، ولموا الشعب ، وكونوا قوة موحدة من قوى متفرقة ، وجاهدوا في سبيل مثل عليا لمصلحة أمتهم ، ولمصلحة الإنسانية ، فالحياة تافهة ، إذا خلت من مثل عليا ... إن القائد الذي يقدم على توحيد العرب وجهاد أعدائهم ، سيجد القلوب في الوطن العربيّ تهدي إليه ، وسيجد النفوس في دار الإسلام تبارك خطواته ، وسيجد الذين يقاومون جهوده يتهاوون تحت أقدامه كما تتهاوى أوراق الشجر في الخريف [١] » .

ولم ينس اللواء خطاب أن يشير إلى الروح التي سيطرت عليه في مؤلفاته فذكر في كتابه عن « الرسول القائد » قوله : « لقد درست حياة الرسول العسكرية بروح علمية محايدة ، توخّيت منها إظهار الواقع العملي من قيادة محمد ﷺ ، ذلك الواقع الذي يستحق التقدير كل التقدير .

ولم أنس المواقف التي تستحق التقدير من أعمال المشركين ، لأن قيادتهم وقواتهم قامت بأعمال ذات قيمة عسكرية في قتالها ضد المسلمين ، مما يجعلنا نلمس ما لاقاه الرسول ﷺ من مصاعب في القضاء على المشركين [٢] » .

★ ★ ★

إن هذه المقدمة لا بدّ منها – في رأينا – لأنها تمهد لنا عرض ما صنعه اللواء الركن محمود شيت خطاب حتى اليوم مما حمّل نفسه عبء التبشير به والدفاع عنه ، وأمامنا الآن خمسة مؤلفات هي :

(يتبع) عدنان الخطيب

---

(١) انظر ص ٢٢ من كتاب « الرسول القائد » الطبعة الثالثة .

(٢) انظر ص ١٢ من كتاب « الرسول القائد » الطبعة الأولى .

الشذرات

كتاب عدد صفحاته (٣٢٠) صفحة من القطع المتوسط
أخرجتـــه (دار الكتاب الجديد) في لبنان عام ١٩٦٦
تأليف الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي
رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي غني عن التعريف ، فهو من أكبر الشخصيات العلمية في الشرق العربي في عصرنا هذا ، وهو مع ما ناله من الألقاب العلميـــة حتى الآن ، صاحب أكبر مجموعة من معاجم الألفاظ والمصطلحات العلمية التي يصعب تقدير نفعها وتحديد فائدتها ، حتى لقد عد صاحب الاختصاص الأوحد في هذه الناحية من نواحي المعرفة .

ولسنا بسبيل إحصاء مؤلفات الأستاذ وتعداد آثاره لولا ظهور كتاب جديد له ، هو من أحسن الآثار الأدبية التي ظهرت في هذه الأيام ، ولعل ما يلفت النظر هنا أن هذا الكتاب يختلف عن كتب الأمير الأخرى السابقة التي تناولت الشؤون اللغوية والمصطلحات العلمية لأن كتاب اليوم « الشذرات » الذي نقدمه للقارئ قد اشتمل على « مقالات ومحاضرات في الأدب والعلم والفلسفة » كما أشير إلى ذلك في عنوان الكتـــاب المثبت في صفحته الأولى .

ومما يغري بقراءة هذا الكتاب أن يجد القارئ فيه ناحية جديدة كل الجدة ، طريفة كل الطرافة ، وهي ناحية الكتابة الأدبية الصرفة التي تصوّر أخلاق بعض الناس ، وترسم لك بعض المواقف والهواجس عند الكثير ممن عرفهم الأستاذ الكبير ؛ مما يمكن أن يدخل في عداد الكتابات الأدبية التي سميت في المصطلح الحديث « الفن للفن » فهي كتابة فنية حقاً

تعنى بتصوير الآراء ورسم الأفكار ، ولا ترمي إلى إثبات نظرية أو تحقيق مفهوم علمي غامض .

هذا اللون من الكتابة يعتبره النقاد أرفع ألوان الأدب لأنه أقرب إلى الشعر الذي يُلتفت فيه إلى الصورة والنغمة واللمحة الخاطفة الأخاذة يتخلل كل ذلك ظرف ظاهر ، ونقد سافر ، فيه كل المتعة والجمال .

والأستاذ الأمير في كتابه هذا يطلعك على ناحية هامة غير هذه ، هي النظرة الواسعة الشاملة ، والإنسانية التي تنتظم حياة الإنسان وما حولها ، ولو قرأت الموضوع الأول من الكتاب « الأزهـار المدوسة » لأحسست بشفقة الكاتب ورحمته للأزهار التي داسها جاره وتركها « ذابلة ملقاة في الطريق » دون أن يستشعر الرحمة والعطف عليهـا .

ولو قرأت الموضوع الثاني « غرائب الصانعين » لأعجبك ما فيه من فكرة نفاذة ولفتة أخاذة ، تحصي على الناس أخطاءهم وتعرف دخائل نفوسهم ، فلا يعجزها أن تعددها وأن تثبتها في مقال رائع .

ولو اطلعت على موضوع « حديث بغل وحمار » لضحكت ملء فيك للنكتة البارعة الموفقة ، والوصف الذي يختار اللفظ وينتقيه فعل اللغوي المتبحّر والأديب المتخصص ، ولأذْكَرَكَ هذا « الحديث » ما مرّ بك من قصص « كليلة ودمنة » وآثار لافونتين في حكاياه عن الحيوان .

وبعد فان هذا الكتاب الجديد الجميل إنما هو عدد من المقالات الأدبية والفلسفية والاجتماعية اختير من مقالات كثيرة ومحاضرات عديدة في شتى الموضوعات ، كتبت منذ سنين عديدة ونشرت في أهم المجلات والصحف كالمقتطف والهلال والرسالة وغيرها ، وهو خلاصة طيبة ونخبة صالحـة مما كتبه الأمير في أوقات فراغه من أعمال الدولة يوم كان موظفاً من كبار موظفي الحكومة ، وهو من أجدر الكتب بالقراءة والاطلاع .

أحمد الجندي

فن الترجمة في الأدب العربي

كتاب عدد صفحاته (٢٣٨) صفحة من القطع الصغير
من منشورات « الدار المصرية للتأليف والنشر » في القاهرة عام ١٩٦٦
تأليف الأستاذ محمد عبد الغني حسن

هذا كتاب فريد في بابه ، جديد في نوعه ، فإن فن الترجمة « لم يعالج في الإنتاج الفكري العربي بكتاب واحد » كما قال مؤلف الكتاب الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، بصراحة ووضوح .

والأستاذ المؤلف شاعر وكاتب ومؤلف ، عرفته المجلات العربية منذ سنوات طويلة ، فقد جال قلمه في ميادين الفكر والفن جميعاً وكان في كل ذلك موفقاً مستحقاً للإعجاب والإطراء . ونعتقد انه لقي في هذا الكتاب « فن الترجمة » من الجهد والصبر ما لم يلقه في كتاب آخر من كتبه الكثيرة ، لطرافة هذا البحث ، وقلة المراجع فيه ، وصعوبة العثور على الضوء الذي يقود المؤلف إلى الحقيقة إن أعوزه النور .

ولقد حاول المؤلف منذ أول صفحة في الكتاب حتى آخر صفحة منه أن يقدم للقارئ بحثاً علمياً عن الترجمه ، فبحث الموضوع لغوياً ، ثم تعرض للمشتغلين في هذا البحث منذ الجاحظ حتى عصرنا الحاضر ، كما تعرض لموضوع يمكن أن نسميه من باب التجوز « فلسفة الترجمة » فكتب عن شروط الترجمة ، والترجمة بين الإغراب في اللفظ والوضوح ؛ والترجمة بين الزيادة على النص والحذف منه ، والترجمة من حيث ترجيح المعنى على اللفظ وبالعكس ، إلى غير ذلك من نواحي الترجمة التي يصعب الوصول فيها إلى نتيجة خالصة سالمة من النقد ، وكان عمل المؤلف في إخراجها وكتابتها عملاً شاقاً صعباً .

وقد كنا نتمنى لو أن المؤلف خص « تاريخ الترجمة عند الشعوب » أو عند العرب بفصل خاص ، بدلاً من أن تترك المعلومات التاريخية عن الترجمة مبثوثة في موضوعات مختلفة العناوين متعددة الاتجاهات ، كما أن لنا رأياً في ترجمة الشعر نسير فيه مع الجاحظ الذي قال بـ « عدم استطاعة الترجمة نقل الشعر ، أو المادة الشعرية ، من لغة إلى لغة أخرى لأن السر كل السر في الشعر كائن في تقطيعه ونظمه ووزنه ، مما لا يمكن نقله ، فاذا حول كل ذلك ذهب حسن الشعر وسقط موضع التعجب منه » .

والشعر العربي ، خاصة ، يمتاز بصعوبة قد لا نلقاها في شعر أمة أخرى حين نتعرض لترجمته أو نقله ، لأن الشعر العربي ذو لفظٍ ظاهر الجرس ، بارز الواقع ، ترتبط فيه الكلمات برباط النغمة والموسيقى الصوتية ، قبل أن ترتبط بالمعاني والأفكار ، والترجمة مهما نبغ أصحابها لا يمكنها أن تنقل إلاّ الفكرة ، أما بقية عناصر الشعر التي تعتبر الفكرة واحدة منها ، فلا يمكن نقلها ، وهكذا فان الشعر العربي إذا نُقل ، نُقِل مشوهاً محطماً ناقصاً .

ويمكن أن نلجأ إلى الترجمة الشعرية أحياناً ، تجنباً لما سماه الأستاذ : « حرمان كبير للتراث الأدبي من كنوز يجب أن لا يحجر عليها » على أن يقصد من هذه الترجمة إلى (عدم الحرمان) من الاطلاع على آداب الأمم الأُخرى ، وأن يكتفي فيها بنقل بعض الأفكار التي كتبت شعراً في اللغات الأخرى لكي لا يحرم منها من لا يعرف لغتها الأصلية وعلى أن يسمى هذا الجهد اسماً آخر غير « النقل » وغير « الترجمة » .

رغم هذه الملاحظات التي مرت بك فان كتاب « فن الترجمة » يعتبر بحق فريداً في بابه ، بل لعله فاتحة جريئة لكتب أخرى تتناول هذا الموضوع الهام عند أصحاب الثقافة العربية الحديثة . ولعل للأستاذ محمد عبد الغني حسن فضل السبق في ريادة هذا الموضوع ، أو هو رائده الأول في كتاب .

أ . ج .

صور قروية

كتاب من القطع الصغير عدد صفحاته (١١٠) صفحات
من مطبوعات دار الكتـــاب اللبناني في بيروت عام ١٩٦٦
تأليف الأستاذ رياض المعلوف

هذا كتاب صغير الحجم أثبت فيه صاحبه الأديب والشاعر اللبنـــاني المعروف رياض المعلوف بعض « الصور القروية » التي كتبها « بسواد العين » على حد تعبيره لأنه أحب لبنان حباً جماً وخاصة بلدته زحلة التي عاد إليها بعد أن زار عدداً من بلاد العالم لم يجد فيها الجمال والألفة التي أحسهـا في بلده القديم .

والقارئ يجد أن موضوعات الكتاب هي أقرب إلى الصور واللمحات منها إلى البحوث والمقالات ، فمضمون الكتاب منطبق على عنوانه وموافق لما قصد إليه المؤلف ، فاذا قلبت هذه الصفحات الصغيرة الأنيقة عثرت على عناوين مغرية تذكرك بلبنان وتحمل إليك صورة عنه متعددة الخطوط والألوان ، من مثل : السنونو والربيع ، حانوت الضيعة ، الصيف ، بيوتنا في الجبل ، جرن الكبة ، والعنوان الأخير هذا يكاد يكون عنواناً لزحلة ذاتها فهي أشهر بلدة في الشرق بصنع هذا اللون الشرقي من الطعام ، كما أشار الكاتب في كتابه إلى حبه العميق للطيور فصور لنا عدداً منها ولو أن بعض هذه الطيور لا يعيش في لبنان كالطاووس والكناري .

ولا ندري السبب الذي جعل الكاتب يختار لكتابه « الصغير » هذا الحرف الكبير الذي جعله أشبه بالكتب التي تؤلف لقراءة الاطفال في

المدارس . كما لفت انتباهنا قصر هذه الصور التي لم يتجاوز أطولها الصفحات الثلاث أو الأربع من الكتاب الصغير .

على أن بعض هذه الصور قد بلغ حدّ التوفيق في اللغة والتصوير كما رأينا في « أنشودة الغيم » التي تحدث فيها الأستاذ المؤلف حديث الشاعر عن سماء زحلة فوصف غيمها وصفاً لا ينقصه غير الوزن والقافية حتى يصير شعراً غنائياً جميلاً . يضاف إلى ما سبق لغة صحيحة ، وألفاظ رشيقة ، وبيان مشرق .

أ . ج



البيت في حياة العرب

كتاب في (٩٧) صفحة من القطع المتوسط

طبع عام ١٩٦٦

تأليف الأستاذ عبد القادر عياش المحامي

الأستاذ عبد القادر عياش يمكن أن يعد بين المختصين البارزين في البحث عن مظاهر الفن الشعبي في بلادنا وآثار هذا الفن ، وهو لكفاءته هذه انتخب عضواً في لجنة الفنون الشعبية لدى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بدمشق . وقد أصدر كتباً عديدة ، كما أن له مجلة خاصة هي « صوت الفرات » ، ينشر فيها بين الحين والآخر مقالات وبحوثاً مستفيضة حول الفن الشعبي الذي يستغرق اهتمامه ويفتح الميدان فسيحاً أمام قلمه .

أما الكتاب الجديد الذي أهدانا نسخة منه ، فيتعلق بموضوع يلفت النظر حقاً إلى بحث لا نعرف أن أحداً تطرّق إليه أو وقف عليه كتاباً بأسره ، فقد تحدث المؤرخون القدامى والمحدثون عن البيت في حياة العرب عرضاً ، ومرّ بهم البيت مروراً سانحاً فلم يتركوا له بحثاً خاصاً ، أو كتاباً منفرداً قبل كتاب الأستاذ عياش .

هـــذه مزية هامة ، وللكتاب مزايا أخرى منها أنه كتب بلغة سهلة وبتفصيل لا يتعب المتتبع لهذا البحث الذي يهم أصحاب التاريخ والجغرافية والاجتماع على السواء ، أما أبحاث الكتاب فثلاثة عشر بدئت بالإهداء وانتهت بالمنازل والطلول في الشعر .

ونحن نعتقد أن كتاب الأستاذ عبد القادر عياش قد سدّ ثغرة في حياتنا الثقافية وفي أدبنا الشعبي .

أ . ج



آراء وأنباء



المرحوم عز الدين علم الدين التنوخي
نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق
(١٨٨٩ – ١٩٦٦ م)

عز الدين علم الدين التنوخي

نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

(١٨٨٩ — ١٩٦٦ م)

فجع مجمع اللغة العربية بدمشق صباح يوم ٢٤ حزيران سنة ١٩٦٦ بزميل كريم ، وعلامة كبير ، وركن من أركان اللغة العربية ، وعاملٍ مخلصٍ في دعم صرحها والذود عن سلامتها ، وهو المغفور له عز الدين التنوخي الشهير بـ (شيخ العروجية) نائب رئيس المجمع ، وهو آخر الأحياء الذين أسسوا المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية الحالي) ، وممن عملوا جاهدين في رفع شأنه ووفرة إنتاجه . كان رحمه الله حجة في اللغة العربية وقواعدها وآدابها ، يُرجع إليه في حل معضلاتها ، ويُستفتى عن غوامضها ، ما ضنَّ بعلمه على مستفسر أو مستفيد ، يزودهم بإرشاداته ، ويستزيدهم بتواضعه . وكان معلماً حيثما وجد ، في المدرسة ، أو في داره ، أو مقر عمله . سلك في حياته سبيل السلف الصالح ، يعمل مخلصاً لربه وأمته ، زاهداً بالشهرة ، متجنباً آفاتها . وقد أنشأ على مقاعد التدريس جيلاً عاملاً ، يشيد أبداً بفضله ، ويترنم بذكره العاطر .

ولد رحمه الله سنة ١٨٨٩ م . ختم القرآن بدمشق في المدرسة الابتدائية السباهية ، ودرس مبادئ العلوم واللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية في المدرسة الرشيدية ـ الابتدائية والعالية ـ ثم انتقل بعد أخذ الشهادة الرسمية التركية إلى مدرسة الفرير الفرنسية ، ثم ذهب إلى مصر وطلب العلم في الجامع الأزهر ، ثم ذهب إلى فرنسة مع البعثة العلمية الأولى الدمشقية .

مكث في فرنسة ثلاث سنوات في مدرسة زراعية ، وبعد عودته عين بيروت معلماً لزراعة مركزها الزراعي ، ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى ، دُعي لخدمة العلم ، وعندما شعر بسوء نية الأتراك وعزمهم على الغدر بشباب العرب والتخلص منهم ، فرّ من الجيش التركي بحلب والتحق بثورة الملك حسين ، وعين في دولته وزيراً للزراعة ، وعاد إلى دمشق بعد أن دخلها الجيش العربي .

وفي دمشق ألفت وزارة المعارف مجلساً للمعارف كان من أعضائه الأولين . ثم تحوّل هذا المجلس إلى المجمع العلمي العربي ، وبعد العدوان الفرنسي واحتـــلال دمشق هاجر إلى العراق وعين أستاذاً للأدب العربي في دار المعلمين الأولى ثم دار المعلمين العالية ببغداد .

ثم عاد إلى دمشق فعين أميناً لسر المجمع العلمي العربي وأشرف على إصدار مجلته زمناً ، ثم عين مدرساً للأدب العربي في بعض المدارس الثانوية ، فمفتشاً للغة العربية ، فمديراً لمعارف محافظة السويداء ، فأستاذاً في كلية الآداب بجامعة دمشق ، فنائباً لرئيس مجمع اللغة العربية .

وهذا ثبت الكتب التي ألفها أو ترجمها أو حققها :

١ — الفتح المبين في شرح عينية ابن سينا الرئيس .

٢ — دروس في صناعة الإنشاء .

٣ — مبادئ الفيزياء جزآن .

٤ — قلب الطفل « .

٥ — تحقيق (كتاب المنتقى من أخبار الأصمعي) للإمام الربعي .

٦ — « (تكملة إصلاح ما تغلط به العامة) .

٧ — « (بحر العوّام في ما أصاب فيه العوام) .

٨ — شرح (الإيضاح) للقزويني .

٩ — إحياء العروض .

١٠ — تحقيق كتاب (الإبدال) لأبي الطيب اللغوي جزآن .

١١ — تحقيق كتاب (المثنى) لأبي الطيب اللغوي

١٢ — تحقيق كتاب (الإتباع) 〃 〃

١٣ — تحقيق (مقدمة في النحو) لخلف الأحمر .

١٤ — شارك في وضع (المعجم العسكري) بقسميه (الفرنسي - العربي والانكليزي - العربي) .

رحم الله الفقيد وأجزل ثوابه .



الشيخ محمد رضا الشبيبي[1]

(١٨٨٨ — ١٩٦٥ م)

نعت أنباء العراق في شهر تشرين الثاني ١٩٦٥ م علماً من أعلام اللغة العربية وهو العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع العلمي العراقي. وقد شق نعيه على زملائه وصحبه لمكانته العلمية والوطنية، ولما كان يتحلى به من أخلاق رصينة. افتقدت بوفاته اللغة العربية رائداً من روادها وحامي ذمارها وشاعراً من كبار شعرائها، وكان رحمه الله منذ نشأته وطنياً مخلصاً، وفياً لوطنه وعروبته، مناضلاً عن حقوق بني قومه وسيادتهم.

ولد المرحوم في النجف الأشرف سنة ١٣٠٦ هـ، ودرس فيها العلوم العربية على الطريقة المألوفة في كتبها المعروفة، وعلى هـذا النحو تلقى المسائل العقلية والشرعية، ثم مال إلى الدرس الحر والتفكير المجرد من تأثير المعلم والمربي واتجه إلى درس الفلسفة ومذاهب أهلها، والتمرس بالفنون والآداب وحصل منها جميعاً نصيباً وافراً انتفع بها ونفع الناس بثمراتها. واعترافاً بفضله وتقديراً لعلمه :

---

(١) له ترجمة وافية بقلمه نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد الثامن صفحة ٤٩٤ بمناسبة انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق.

١ – انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق في سنة ١٩٢٣ .

٢ – انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة في سنة ١٩٤٧ .

٣ – انتخب أول رئيس للمجمع العلمي العراقي في سنة ١٩٤٨ .

٤ – انتخب رئيساً للمجمع العلمي العراقي الجديد بعد ثورة ١٤ رمضان من عام ١٩٦٣ .

آثاره :

للمرحوم آثار كثيرة مطبوعة منها :

١ – ديوان الشبيبي .

٢ – مؤرخ العراق ابن الفوطي في مجلدين .

٣ – أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية .

٤ – رحلة إلى المغرب الأقصى .

٥ – رحلة في بادية السماوة .

٦ – أصول اللهجة العراقية .

٧ – إحصاء العلوم للفارابي (تحقيق) .

وله مقالات وأبحاث ومحاضرات كثيرة نشرت في كبريات المجلات العربية .

تغمد الله الفقيد برحمته وجزاه كل خير عما أسداه إلى أمته ولغته ودينه من نفع وخدمات جليلة .

القائف والأضخومة [1]

أبدى أعضاء لجنة المجلة الزملاء الأفاضل رأيهم في بعض من مصطلحاتي الجدد المنشورة في المجلد ٤٠ — الجزء ٢ — ص ٥٢٥ منها كلمة (قائف) لما يقابل Archéologue وكلمة (أضخومة) لما يقابل Corset .

وإني أشكرهم للاحظاتهم ، فقد أتاحت لي فرصة إعادة النظر في الكلمتين الافرنجيتين أولاً ، فالاهتداء ثانياً ، إلى مصطلح جديد لما يقابل (الكورسه) أحسب انهم يستحسنونه لما فيه من معنى يحقق التصحيح الذي نشدوه من (المشدّ) ويتفق مع المقصود من الكلمة الافرنجية على السواء .

١) — القائف : (الذي يتتبع آثار الأقدام ويعرفها أي آثار الأقدام الخ ما ورد في الملاحظة) .

قلت : أليس (الاركثولوغ) كذلك يتتبع آثار القدماء المندفنة تحت الأرض بتقادم العهد ويقوم بشتى الدراسات فالحفريات ويكشف عنها ويتعرف عليها ؟ فمصطلحي ـ في اليوم الحاضر ـ يوافق المقصود من الكلمة الافرنجية ويدل على الغرض .

٢) — (الكورسه) : قلت ، لم أجد في شرح الكلمة الافرنجية في معجم لاروس (ذي المجلدين) ما يشير إلى (الهيف والنحول) وإنما يذكر (تعديل القامة pour maintenir la taille) .

ويغلب على الظن أن نساء العرب في القديم لم يكنّ ذوات عجيزات فبدا لهن تعظيم العجيزة وتضخيمها ليروق منظرهن في عين بعولتهن .

---

(١) تحترم لجنة المجلة آراء الكتاب الشخصية وتترك البت فيها الى القراء الكرام .
(لجنة المجلة)

فهن إذن يقوّمن اعتدال قامتهن بهذه الاعظومات ... وانعكس الأمر الآن فنجد أكثرهن عظيمات العجيزات ، فيلجأن إلى (الكورسه) لضغط العجيزة بعض الشيء لتعديل القوام ... فاذا كانت (الاضخومة) لتعظيم الأرداف قديماً ، واليوم لم تعُد تصلح للتعديل والتضييق ، فلنقل أذن (أنحولة ، من النحول) أو ما هو أدل على المعنى من هذه ، كلمة (أردوفة ، من الرّدف وهو الراكب خلف الراكب ، وأردفه أركبه خلفه) فالأردوفة ، على هـــذا ، ما تُركّبها السيدة خلفها . وفيها معنى (ما يحقق للأرداف الغاية المطلوبة) .

فهل توافق اللجنـــة المحترمة على هذا المصطلح الجديد (للكورسه) المطابق للمعنى والواقع على قدر الإمكان ؟

أما أن يُحاوَل إيجاد كلمة أو مصطلح ينطبق تمام الانطباق على معنى الكلمة الافرنجية ، حذو القذة بالقذة ، فهو محاولة المحال إلا فيما هو أندر .

هذا وأقدّر دقة الملاحظة التي أبداها الزملاء الكرام أعضاء اللجنة وحرصهم على تحري الصواب والأصلح فشكراً لهم جميعاً مرة ثانية .

الكواكبي



أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

– ٨ –

(٧٨)

مادة غ ز ل – غَزِلَتْ .

ورد في الكامل « غزِلَتْ أُمّ حبيب » أي أُحبّت أن يُتَغَزَّل بها لا يذكر اللسان هذا المعنى .

★ ★ ★

(٧٩)

مادة ص ل ع – صَلَّعَ .

ورد في الكامل لنصر بن حجاج البيت الآتي وفيه « صلَّعَ » :

فصَلَّعَ رأساً لم يُصَلِّعْهُ رَبُّهُ يرِفّ رفيفاً بَعْدَ أسودَ جائِلِ

صلَّعَ الرأسَ = أزال شعرَهُ . أفقده الشعر ، صيَّره أصلع .

هذا المعنى لم يذكرْهُ ولكنّهُ ذكر وكرّر : « وصلَّعَ الرجُل إذا أعذر (تبرّز) والتّصليع السُّلاح (النجْو) وقد صلّع إذا بَسَطه (فرش سلحَهُ) قال ابن برّيّ صلَّع الرجل إذا أحدث (تغوّط) ويُقال للعِذْيَوط (الذي إذا أتى امرأتَهُ سلح) إذا أحدث عند الجماع صَلَّع » .

★ ★ ★

(٨٠)

مادة ع ر ض — ط و ل — ق ص ر .

قال مفسّراً : « العرض خلاف الطول » .

« القِصَر خلاف الطول »

فالنتيجة العَرْض هو القِصَر - وعلاوة على هذا : لم يفسّر شيئاً لأنّ التفسير بالنقيض والخلاف وبألفاظ من المادة عينها لا يجلو المعنى وهذه السقطة متكررة في اللسان آلاف المرّات .

★ ★ ★

(٨١)

مادة ذ ك ر — أ ن ث .

قال مُوضحاً « الذكر خلاف الانثى »

« والأنثى خلاف الذكر من كل شيء »

★ ★ ★

(٨٢)

مادة رأى — رِئة .

قال : الرّئة موضع النَّفَس والرّيح من الإنسان وغيره ولم يفسّر أفي موضعٍ واحدٍ هما أم لكلٍّ موضعه ؟ .

★ ★ ★

(٨٣)

مادة أ س ر — أسْرى .

قال « وفَعْلى جمع لكلّ ما أُصيبوا به في أبدانهم وعقولهم مثل مريض مرضى وأحمق حمقى وسكران سَكْرى » ولكن إذا كان وزن فَعْلي جمعاً لما أُصيبوا به وجب أن يكون جمع مَرَض وحُمْق وسكر — فكان عليهِ أن يقول « لكل من أصيب في بدنه وعقلِهِ » .

* * *

(٨٤)

مادة م ج ج — مَجَّ .

قال : « مجَّ الشرابَ والشيءَ من فيهِ رماهُ » .

رماه تؤدّي معنى مجّ في قولِهِ مستشهداً : « وأخذ حُسْوة ماء من الدّلو فمجّها في بئر ففاضت » . وفي قولهم مجازاً « هذا كلام تمجّه الأسماع » ولكن متى وصلنا إلى قول الشاعر :

« ولا ما تَمُجّ النحل من متمنّع فقد ذقتُهُ مستطرفاً وصفا ليا »

وقول ابن أبي ربيعة :

« يمُجُّ ذكيَّ المسك منها مفلَّجٌ رقيق الحواشي ذو غروبٍ مؤشَّرُ »

رأينا أن رمى لا يُؤدّي معنى مَجَّ .

* * *

(٨٥)

مادة أ س ر .

قال الجمع أُسراء وأُسارى وأَسارى وأسرى — قال ثعلب ليس الأسر بعامة فيجعَلَ أسرى من باب جرحى في المعنى ولكن لمّا أُصيب بالأسر صار كالجريح واللديغ فكُسِّرَ على فَعْلى كما كُسِّر الجريح .

ظاهرٌ بوضوح تام أو (كما كان يُقال في سورية على عهد الأتراك) آشكاره بللي ، أن المصنّف كتب عاهة فحوَّلها الناشر إلى عامة وغفلت عنها عين المصحّح ، على أن الطالب قد يفهم أن عامة جمع عائم كما أن قائف (من قاف يقوف) جمعها قافة وسائد جمعها سادة فتصير الجملة بلا معنى ، هي مطبعية ولا شك ولكن أيها « المراجعون » ضرر الغلطة المطبعية مثل ضرر الأصلية

★ ★ ★

(٨٦)

مادة أ س ر — أَسَّرَ ، مُؤسَّرٌ .

ورد لابن أبي ربيعة :

وحبسي على الحاجات حتّى كأنّها   بقيَّة لوح أو شِجارٍ مُؤسَّرِ

مُؤسَّر اسم مفعول من أسَّر للتكثير أو المبالغة في أسَرَ بمعنى ربط ، واللسان الذي يذكر كسَّر مبالغة في كسر لا يذكر أسَّر — و « الناقلون » نقلوا عنه عدم ذكر أسَّرَ .

★ ★ ★

(٨٧)

مادة أ س ر .

روى للعجاج :

فأصبحا بنجوة بعد ضَرَرْ مُسلَّمَيْنِ من إسارٍ وأَسَرْ

ففسَّر « أصبحا بنجوة » [ولا يُطلَب من صاحب المعجم أن يفسّر كلمة في غير بابها] بقولِهِ : « شُرِّفا من ضيق » [بضم الشين وتضعيف الرّاء] . ولكنَّهُ لا يذكر شُرِّفَ ، مجهول الصورة الثانية من الرباعي القياسيّ ، في مادة ش ر ف ولا المعلوم شَرَّفَ بالمعنى الذي أرادَهُ عندما قال : « شُرِّفا من ضيق » فالطالب مضطر إلى الاستنتاج أنَّ شَرَّفَهُ = جعَلَهُ يعلو ، رَفعَهُ ، وذلك لأنَّهُ يقول تشرَّفَ المربأ = علاهُ وتشرَّف مطاوع شرَّف مثل كسَّرهُ = جعَلَهُ يتكسّر : شرَّفَهُ = جعَلهُ يتشرَّف أي يعلو أللاستنتاج وُضع المعجم ؟

★ ★ ★

(٨٨)

مادة و م د .

قال « والوَمَد لَثْق (ثاء ساكنة) وندًى يجيء من جهة البحر إذا ثار بخاره وهبَّت بهِ الريح الصَّبا فيقع على البلاد المتاخمة لَهُ مثل ندى السماء وهو يُؤذي الناس جدًّا لِنَتْن رائحته » .

(١) قال « لثْق » بسكون الثاء — وفي مادة ل ث ق يورد لَثَق بفتح الثاء تسع مرات ويؤكد الفتح بقوله « لَثَق بالتحريك » .

٢ — إذا كان البحر غربيّ البلاد المتاخمة لهُ كالبحر الأحمر والشواطىء العربية فهل تكون الريحُ الهابّةُ بالوَمَد ريحَ الصَّبا ؟

٣ — تهبّ الصّبا في الحجاز وسورية ولا تجيء بالوَمَد — وعندما خاطب ابن الفارض ريحَ الصَّبا بقولهِ .

أيْ صَبَاً أيَّ صَبَاً هِجتِ لنا سَحَراً من أينَ ذيّاكَ الشَّذَيْ

هل عنى بالشّذَيْ نَتْنَ الرائحة ؟

سبب الخطإ تعميم المخصَّص — ابن منظور نقل عن الأزهري وأبو منصور (الأزهري) خصَّصَ البحرين وأما الناقل فعمَّم فأخطأ والناقلون لم يقعوا في الغلط هذا لأنهم نقلوا هذه المادة عن الفيروزابادي بالحرف الواحد .

★ ★ ★

(٨٩)

مادة و د ع : مودوع .

قال : مودوع : « سكينة ووقار ، مصدر على وزن مفعول مثل معسور وميسور الخ ومودوع : ذو سكينة ووقار ، اسم مفعول ولا فِعْل لهُ كقولك مُدَرْهَمٌ كثير الدراهم ولا تقول دُرْهِمَ فلان ، ومفؤود مُصاب في فؤادهِ ولا تقول فُئِدَ . »

أيّد قولَهُ « ولا فِعل لهُ » بمثالين : مُدَرْهم ولا تقول دُرْهِم . وفي مادة د ر م (حيث يضع « درهم » كأنها مشتقة من د ر م) يقول قال أبو زيد « ولم يقولوا دُرْهِمَ » وقال ابن جنّي « لكنَّهُ إذا وُجد اسم المفعول فالفعل حاصل » .

شهادة أبي زيد شهادة بالنفي وهي شهادة مردودة . فأبو زيد لم يسمع أنهم قالوا كذا ، ولم يصل إلى علمِهِ أنهم قالوا ولكن هل سمع أبو زيد كلّ ما قالوهُ ؟ وهل انتهى إلى علمِهِ كلّ ما قيل ؟

وشهادة ابن جني شهادة العقل المفكّر الذي لا يدّعي أنّه وعى كل شيء بل يبني قولَه على أحكامٍ أساسيّة لا تخالف النواميس العامة ولا تنافي روح اللغة إذا وُجِدَ اسم المفعول فالفعل حاصل .

قد يكون الفعل المشار اليه قليل الاستعمال ولكن القول بعدم وجودِهِ مناقض للوضع الأساسي وهو أنّ اسم المفعول يُشتقّ من الفعل .

ولابن جنّي قول آخر : « يجوز للشاعر أن ينطق بما يُنتِجُهُ القياس وإنْ لم يُرِد به سماع » — هذا ليس تجويزاً للشاذّ بل هو تقديسٌ للأُصول . وما جوّز الشواذ إلاّ السماع لأنَّ السماع بُني على الرّواية والرواية أُصيبت بالنسيان والتبديل والحذف والزيادة عن غير عمد وبُليت بالكذب المقصود أيضا ، وابن جني لم يخصص الشاعر بالجواز قصدَ نفيهِ عن الناثر بل قال يجوز للشاعر لأن معظم الأدب العربي كان شعراً .

والمثال الثاني « مفؤودٌ ولا تقول فُئِدَ » هذا قولُهُ في مادة و د ع ولكنَّهُ في مادة ف أ د يقول « فأَدَهُ يَفأَدُهُ فَأْداً أصاب فؤادَهُ » . فكيف يتفق هذا وقولُهُ ولا فعل لَهُ أو ولا تقول فُئِدَ .

هذا بشأن المثالين وأما مودوع فإنّهُ قال فيها « مصدر على وزن مفعول » وكلهم خلا سيبويه قالوا هذا القول ، والصحيح أنّهُ اسم مفعول استعمل مصدراً واستعمالُهُ شاذ فلذلك حُصِرَ في ألفاظ بعينها ، وهي ألفاظ قليلة الاستعمال وقال أيضاً « ذو سكينة ووقار اسم مفعول لا فعل لَهُ » وكلام العرب دَعْ ويَدَعُ ولا يأتي منه الماضي ولا المصدر (وَدْعٌ) ولا اسم الفاعل » .

الماضي : ابن منظور يقدّم شواهد على ورود الماضي منه شذوذاً والواقع أن الوارد هو القياسيّ وأن قولَهُ هو الشاذّ . فيذكر الآية : « ما ودّعك ربُّكَ وما قلى » . (سورة الضحى ٣) أي لم يقطع الله الوحيَ عنك — [وابن عبّاس يقول في تفسيره « ما تركك منذ أوحى إليك » ولفظة

ودعك غير مشكّلة — والطبعتان العثمانية والمصرية تقولان ودّعك بتشديد الدّال] على أن ابن منظور يقول « وعليه قرأ بعضُهم (ومنهم عُرْوة بن الزبير) « ما ودَعَكَ ربُّكَ » بتخفيف الدال . فبموجب هذه القراءة (ولا تناقض في المعنى بين القراءتين) الفعل الماضي وَدَعَ موجود في الاستعمال .

ثم أورد بيتاً لأبي الأسود الدّؤلي :

ليت شعري عن خليلي ما الذي غالَهُ في الحبّ حتى وَدَعَهْ

روى مثلَهُ عن الأصمعي لأنس بن زُنَيم :

ليت شعري عن أميري ما الذي غالَهُ في الحبّ حتى وَدَعهْ

وروى لشاعرٍ :

وكان ما قدّموا لِأنفسهم أكثرَ نفعاً من الذي وَدَعوا

وروى عن ابن برّي لسُويد بن أبي كاهل .

سَلْ أميري ما الذي غيَّرَهُ عن وصالي اليومَ حتى وَدَعَهْ

وأنشد لآخر :

فسعى مسعاتَهُ في قومهِ ثم لم يُدْرِك ولا عجزاً وَدَعْ

ونقل عن ابن الأثير (النهاية) « وقد جاءَ في غير حديث حتى قُرِىءَ به » .

فبناءً على شواهدِهِ : الفعل الماضي الثلاثي موجود أو حاصل كما أصابَ ابنُ جني .

المصدر : أورد ابن منظور من حديث ابن عباس ان الرسول قال لينتهيَنَّ أقوامٌ عن وَدْعِهم الجُمُعاتِ أي عن تركهم إياها . فالمصدر موجود وقد رُوي عن أفصح العرب .

اسم الفاعل : وأورد بيتين فيهما وادع بمعنى تارك .

عن الفارسي : فأَيُّها ما أتبعَنَّ فانَّني حزين على ترك الذي أنا وادعُ

لمَعْن بن أوس : عليه شريبٌ لَيِّنٌ وادعُ العصا يساجلها حمّائِهِ وتساجِلُهْ

فاسم الفاعل موجود أيضاً .

وكما أن الماضي من يدع بمعنى ترك موجود رغم قول بعض النحاة بعدم وجوده ، لنا أن نستنتج ان الفعل الماضي من هذه المادة ، بمعنى جعلَه ذا سكينة ووقار موجودٌ أيضاً .

يقول : مودوع ذو سكينة ووقار . ولا فعل لَه .

وابن جنّي يقول « اسم المفعول موجود فالفعل موجود » — والفعل الذي اشتُقّ منه اسم المفعول يجب أن يكونَ متعدّياً .

الفعل اللازم ورَد : ودُع وَدَاعة أو دَعَةً . كان ذا سكينة ووقار .

فهل في طبيعة اللغة أن يُقال وَدَعَه أي صيَّره ذا سكينة ووقار ؟

لنأخذ مثالاً قياسيّاً (غير نادر) : مَنُعَ مَنَاعة كان حصيناً عزيزاً

(محارمُك امنَعْها من القوم انني أرى جفنة قد ضاع فيها المحارم)

مَنَعَه حماه وصيَّرَه حصيناً عزيزاً .

فالماضي من مودوع موجود أمّا كثرة استعمالِه أو قلته وإقبال الشعراء والكتّاب عليه أو إيثارهم سواه فأمور متعلّقة بعلم البلاغة أو بعلم المعاني والبيان .

★ ★ ★

(٩٠)

مادة هـ ل ع — أهلع .

في مادة جَزِع يذكر تعدية هذا الفعل بالهمزة : « وأجزعَه غيرُه » .

ولكنّه لا يذكر في مادة هلعَ تعديتَه بالهمزة كأنّ أهلع غير موجود .

روى المبرّد للرّياشي (وقدْرُ ابنِ المكرّم المبرّد معروف)

حتّى إذا انقطعت عنّي وسائلُه كفّ السؤال ولم يُولَعْ بإهلاعي

★ ★ ★

(٩١)

من مظاهر عدم مبالاة الناشر بالمراجعة والضبط ما يأتي :

جاء في بداية الأوّل : « وُلد في المحرّم سنه ٦٩٠ وتوفي سنة ٧٧١ » .

وفي ختام الجزء : « وِلد سنة ٦٣٠ في المحرّم ومات في شعبان سنة ٧١١ » .

★ ★ ★

(٩٢)

الأ لِف في الجزء الأخير في باب الألف (وهي الحرف الثامن والعشرون ، الحرف الذي لا يُبتدأ به ولا يقبل الحركات مطلقاً والذي يحتاج إلى حرف مفتوح يُكتب قبلَه) قال : « الألف تأليفها من همزة ولام وفاء وسُمّيَتْ ألفاً لأنها تألف جميع الحروف » .

غريب إقبالهم على الأخذ بالظواهر ، بهيأة الكلمة ، وأعجب منه إقدامهم على الاستنتاج من الشكل الخارجيّ . أوَلَمْ يقل الجَدُ إنَّ أصل اسطرلاب أنّ رجلاً اسمُه لاب كتب أسطراً في الفلك ؟ » أولم يَرِد في القاموس وفي اللسان أن أصل « المُد » [لفظة موروثة في الأُم الشاميَّة] أن يمدَّ الرجل يديهِ فيملأ كفَّيهِ طعاماً » « ومِلْءُ كفَّي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومدَّ يدَهُ بها [أي مدَّ يدَهُ بكفَّيهِ — هذا تعبير يحتاج تفسيرُه إلى معجم كبير] ومثلها أمثال كثيرة .

سُمّيَتْ الألف ألِفا لأنّ الذين وضعوا الأبجدية سَمّوها « أوْلُفْ » وعنهم ورثناها وتصرفنا في لفظها موافقةً لطبعنا .

★ ★ ★

(٩٣)

مادة هـ ر ر — تعَقَّرْ .

في آخر مادة « هرّ » يورد بيتاً للمؤرِّج .

يا لكِ مِنْ قُنْبُرَةٍ وقُنْبُرِ كنتِ على الأيامِ في تعقُّرِ

ويفسّر كلمة تعقّر في مادة هرّ (وهو ليس مطلوباً منه) بقولِه أي « الصبر والجلادة والله أعلم » ، وجميلٌ جدًّا إظهاره التقوى واتّضاعُه أمام عِلم الله تعالى .

لو قرأ طالبٌ هذا البيت في كتابٍ ما ولم يفهم معنى تعقّر فأين يطلب الكلمة ؟ هل يطلب تعقر في هرّ ؟ بل يطلبها في عقر فيقرأ تسع صفحات أكثرها لَوْكٌ ، ولا يجد ما هو طالبُه — وان كان المصنّف مكتفياً بقولِه تعقّر الشحمُ اكتنز كل موضع من الجسم شحماً لِيَخْرُجَ التفسيرُ بالمجاز والمقابلة فلماذا فسّر في هرّ بالصبر والجلادة ؟

★ ★ ★

(٩٤)

مادّة ح ن ن — مُسْتَحِنّ .

استشهد بالبيت الآتي :

لقد تركت فؤادَكَ مُسْتَحِنّاً مُطَوَّقةٌ على الغُصْنِ تَغَنّى

فقال في التفسير المُسْتَحِنُّ الذي استحنَّهُ الشوقُ إلى وطنِهِ .

(١) فسَّرَ المستحنّ بفعل استحنّ وهذا ليس بمستغرَب فإنّهُ آفة علمائنا في القرن العشرين أيضاً إذْ ترى الكبير منهم يفسّر فعل اقتدى بقولِهِ هذا من الاقتداء .

(٢) في البيت مستحِنٌ اسم فاعل ، صفة للفؤاد فيكون الفؤاد هو فاعل الاستحنان .

وفي التفسير يحوّل الفؤاد إلى الذي وقع عليه الاستحنان والذي فَعَل هو الشّوق . فالتناقض بين الوضع في البيت والوضع في التفسير جليٌّ . والبيت صحيح والتفسير غير صحيح — وابن منظور نفسُهُ يورِدُ هذا الفعلَ فعلاً لازماً بقولِهِ استحنّت الريحُ واستحنَّ استطرب كما فعل المجد بقولِهِ استحنَّ مثل حنّ حنيناً — على أنَّهُ في تفسيرِهِ البيت حوّلَهُ إلى فعل متعدٍّ .

★ ★ ★

(٩٥)

مادة غ ف ل — اغتفل .

لا يذكر فعلَ اغتفل — وهو واردٌ في الكامل ومعناهُ « اغتنم غفلةَ ... »
« حَذِرٌ سؤولٌ فأنا آمَنُ أن يُغْتَفَلَ » .

★ ★ ★

(٩٦)

مادة ج س و — جَساوَة .

لا يذكر لفظة جساوة — ومعناها الصلابة .

وردت في الكامل : « ومن غلبت عليه الجساوة وكان طبعُهُ إلى القساوة فقد اختلط كلٌّ بكلٍّ » .

★ ★ ★

(٩٧)

مادة أ ر ز — أَرُزّ ، رُزّ ، رُنْز ، أُرْز كلّهُ ضرب من البُرّ .
وهو الذي يقول برز البُرْ الحِنطة والبُرّ أفصح من قولهم القمح والحِنْطة .

★ ★ ★

(٩٨)

مادة أ ر ز — الأرز .

قال اللسان : « قال أبو عبيدة الأرز شجر الصنوبر » .

« الأرز العرعر شجر بالشام ويُقال لثمره الصَّنَوبر » .

« وقال أبو حنيفة أخبرني الخَبِير أن الأرز ذكر الصنوبر » .

لا أبو عبيدة ولا أبو حنيفة ولا ابن منظور رأى شجرة أرز أو شجرة صنوبر فتوهم أبو عبيدة واتكل أبو حنيفة على « خَبِير » وعنهما نقل ابن منظور فأخطأوا ، وفهمنا لماذا أخطأوا — ولكنّ مُعْجَميّي القرنَين الأخيرين التاسع عشر والعشرين ، [والثلاثة أبنـــاء لبنان — الثلاثة عاشوا بين الأرز والصنوبر] كان الواجب عليهم ولو في هذه النبذة فقط أن يرتفعوا عن النقل الأعمى . ففي محيـط المحيط وأقرب الموارد والبستان الأرز هو الصنوبر أو ذكر الصنوبر .

★ ★ ★

(٩٩)

في مادّتي حلا وحكى يَكْتُب سَئِلَ : [الهمزة في الوسط ومتحرّكة تُرْسم على حرف حركتها] — تحرّكت بالكسر فكتبت على ياء . هذا رسم الهمزة

على قاعدة . وفي مادة سأل يقول والمضارع يَسْأَل : الهمزة في الوسط وحركتها فتحة فكتبت فوق ألِف . وهذا على القاعدة ذاتها . ولكنَّهُ عندما يكتب تَسْئَلُ في الشاهد (مادة حلا) فهل في استطاعته كان أو في إمكان أحد أن يضع قاعدةً لرسم همزة مفتوحة ومتوسطة وما قبلها ساكن على ياء ؟ وإن كان في استطاعتِهِ أن ينُصَّ فلماذا رسمها في باب سأل يَسْأَل على ألف ؟ قد لا يكون المخطىء ابن منظور فليُجِبِ الناشر .

★ ★ ★

(١٠٠)

الخفّة في النقل .

قال في مادة أ ث ر : وأَثْرُ السيف (المثلثة ساكنة) تسلسلُهُ وديباجتُهُ .

فإني إنْ أقَعْ بكَ لا أُهلّكْ   كوقع السيف ذي الأَثَرِ الفِرِنْدِ

روى الراوي الثاءَ بالفتح فقام ثعلب [وكانَ نِدّ المبرّد] وقال إنما أراد ذي الأَثْرِ (بالسكون) فحرّكه للضرورة . وقول ثعلب خلط بل علاك إنْ صحَّ أنّه قال ، إذ لا ضرورة هنا في الوزن — ومع أنَّ ابن سيده قال « لا ضرورة » أصرّ ابن منظور على نقل كلام ثعلب .

★ ★ ★

(١٠١)

مادة خ ض ع — اختضع .

قال : « اختضع ذلّ — خضع الرجل رقبتَهُ فاختضعت — يظلّ مختضعاً أي مطأطىءَ الرأس — والاختضاع المرُّ السّريع — والاختضاع سُرْعة سير الفَرَس . »

خمس مرات يذكر فعل اختضع وهو فيها كلّها فعلٌ لازم ولا يُورده متعدّياً - والقاموس مثله حتى انه لما قال اختضع خضع (وخضع يأتي متعدّياً ولازماً) زاد مستدركاً كاخضوضع (ووزن افعوعل لا يكون إلا لازماً باستثناء اعرورى واحلولى) خوفاً من أن يفسّر اختضع يخضع لازماً ومتعدياً .

لكنّه في مادة د ل ف ، يفسّر الدالف بقولِه « الكبير الذي اختضعته السِنّ » فهنا جعل خضع متعدّياً ، وعلى فرض مجيء اختضعَ متعدياً ، فلماذا لم يذكر ذلك حيث يجب ذكره مفصّلاً بل أبقاه لدلف فورد عرَضاً .

★ ★ ★

(١٠٢)

مادة ث ن ي — اثنين .

قال : « والألف في اثنين ألف وصل فإذا كانت مقطوعة في الشعر فهو شاذّ كما قال قيس بن الخطيم :

إذا جاوز الإثنين سِرٌّ فإنّه بنَثٍّ وتكثيرِ الوشاةِ قمينُ

(١) هو نفسُه يقول في باب الألف : « الألف على ضربين ليّنة ومتحرّكة فالليّنة تُسمّى ألفاً والمتحرّكة تُسمّى همزة . » معناه أن الألف القديمة التي كانت قبل الإصلاح العربي العظيم ، أي ألِف السريان والفينيقيين واليهود ، قسمها العرب إلى قسمين : التي لا تُستعمل إلا لتمديد صوت الفتحة ولا تقبل الحركات عليها مطلقاً أي لا تتحرك ولذلك لا يصح تسميتها المتحركة — أمّا التي كانت تُهمَز في الأُمم الشامية وتحرّك كما لا يزال السريان والعبران يهمزونها ويحركونها ، فسُمّيَت همزة ووُضِعت لها علامة وصارت الهمزة الحرف الأول والألف صارت الثامن والعشرين فلا يجوز لأحد بعد الإصلاح أن يعود إلى المخلَط القديم فيسمّي الهمزة ألِفاً .

(٢) قال « فإذا كانت مقطوعة ... » كلمة مقطوعة ضلَّلت كثيرين لأنهم فهموا أن القطع هو ذلك الصوت الحلْقي القاسي الذي عناهُ الرسول بقولِهِ لا تنبر اسمي لما ناداه أحدهم أيها النبيء . ولكن القطع في الهمزة شيء آخر كما سيجيء وقسم العرب المصلحون الهمزة إلى همزة أصل كما في أخذ وسأل وقرأ وهمزة فصل كالتي في أكرم وهمزة وصل — ثم أطلقوا « همزة قطع » على القسمين الأوَّلين فشملت التسمية همزة الفعل المهموز وهمزة الاستفهام وهمزة المضارعة وهمزة الزيادة وهمزة القلب أو البدل . وسمّيت « همزة قطع » لأنها تقطع ما قبلها عمّا بعدها في القراءة فتُلْفَظ لفظاً واضحاً وإن سبَقها مقطع فكلمة همزة تدل على نبر الصوت وكلمة قطع تدل على وظيفة الهمزة ، فهي بموجب وظيفتها قاطعة غير مقطوعة . كذلك همزة الوصل فوظيفتها أن تكون واصلة ما قبلها بما بعدها فما قبلها موصول بما بعدها أو ما بعدها موصول بما قبلها لذلك تسقط لفظاً لا خطاً حيث يقع الإلتباس وتسقط لفظاً وخطاً حيث يُؤمن الالتِبْس — ولكنَّها تثبت في الابتداء أي في أوَّل الجملة أو في الكلمة المنفردة : أي تثبت خطاً ولفظاً .

فبموجب الإصلاح العربيّ الفريد الذي لا مثيل لَهُ في لُغة أخرى أغربية كانت أم شرقية ، كان على المصنّف أن يقول : « والهمزة في اثنين همزة وصل فإن أُبدِلَتْ منها همزة قطع في الشِّعر فهو شاذ » .

ثم يقول بعد الشاهد الثاني :

ألا لا أرى إثنينِ أحسنَ شيمةً على حدَثانِ الدهر منّي ومن جُمْلِ

« وقد « قطعها » الشاعر على التوهم » — ونقل المجميّون عنه مع إيضاح على التوهم فقالوا « على توهم الأصالة » أي أن الشاعر توهم أن همزة الوصل همزةُ أصل ، وهذا لا معنى لَهُ لأن الشاعر مهما كان لا يتصور مثل هذا التصوّر . ولكن الشاعرَين استعملا همزة القطع (شذوذاً) مكان همزة الوصل

محافظةً على الوزن لأنّكَ إذا وصلتَ الزاي المفتوحة أو الراءَ المفتوحـــة (في المثالين أعلاه) اختلّ الوزن وإذا قطعت الراء والزاي عن اللام والثاء بلفظك الهمزة صحّ الوزن .

والمزج بين الألف والهمزة بعد الإصلاح ليس محصوراً في ابن منظور بل هُوَ عامّ — وابن فارس الذي فاخر بأن العرب أوّل من همز يمزجها أيضاً فكأنه ضربٌ من « الإسكيزوفرنيا » [ولم أطلع على الاسم الذي وضعته مدارس الطب العربية لهذه الحالة العقلية] : مفاخرة بالإصلاح وحنين إلى القديم المطـّرَح .

★ ★ ★

(١٠٣)

في مادة س ن ر يقول قال أبو عبيدة ... وأنشد :

سَهِكينَ من صدإِ الحديد كأنّهم تحت السَّنَوَّر جُبَّةُ البَقّار

[بضمّ جيم جُبَّة رفعاً للشك]

ولم يذكر لمن البيت — فيكون قد شبَّهَ الجيش بجُبَّة بائع البقر فلأنَّهُ كلام بلا معنى فقول إن فيهِ غلطةً من الناشر — ولكن صاحب البستان نَقَلَهُ كما هو ولو كان بلا معنى : كفاه أنّه « هكذا ضبطه اللسان » كما يقولون .

وفي مادة س ه ك يستشهد اللسان بهذا البيت مرة ثانية ويقول قال النابغة (يعني الذبياني) ... تحت السَّنَوَّرِ جِنـَّةُ البَقّار .

فصار للبيت معنى : كأنهم الجِنُّ القاطنون في بقّار (اسم موضع) .

★ ★ ★

(١٠٤)

مادة هبق — الهِبْرِقيّ .

قال الهِبْرِقيّ من الثيران المسنّ الضخم واستعاره صخر الغيّ للوعل المُسِن ، فقال يصف وعلاً [وقد استعار له اسم الهبرقي] .

به كان طِفْلاً ثم أَسْدَسَ فاستوى فأصبح لَهْماً في لهـــوم

ولكن أين الشاهد؟ وأين تتمة البيت ؟ أين الهبرقي .

المصحّح اكتشف أن البيت ناقص فكتب على الهامش « كذا بالأصل وهو ناقص فليحرّر » ولكنه لم يرَ أن لَهْماً بفتح اللام خطأ وأن الصحيح اللِّهْم بكسر اللام .

هذا البيت أولاه المصنّف في مادة ق ر ب — قرهب — وفي مادة ل هـ م تاماً وبلام لِهْم مكسورة . فأصبح لِهْماً في لُهُومٍ قَراهِبِ — ولكن أين الشاهد على الهِبْرِقي ؟

★ ★ ★

(١٠٥)

مادة س ب ب .

يذكر سبّ وسابّ واستسبّ ولكنه لا يذكر استبّ مع أنه استشهد بقولٍ فيه هذا الفعل ، في مادة ب س ت ق :

ولم يُستبّ ساكنها عشاءً

وفي الكامل قال أبو العباس « وفي مجلسِهِ لا يستبّ اثنان » .

★ ★ ★

(١٠٦)

مادة هـ ب ل .

قال مستشهداً : « قال الهُذَلي .

لا تَقِهِ الموتَ وَقِيَّاتُهُ خُطَّ لَهُ ذلك في المهبلِ

البيتُ فيهِ فلسفة الهذلي في القدَر ولو قال « لا تدفع الموتَ » لكانت لغتُهُ صحيحة وما تغير شيءٌ من نظرهِ . ولكنَّهُ تظرَّف فقال « لا تقِهِ » للمجانسة بين الفعل والفاعل وإذْ لم يسمح لهُ الوزن برفع المضارع جزَمَهُ في غير نهيٍ فبدلاً من (لا تقيهِ) قال لا تقِهِ ، أي أنَّهُ فضَّل قشرة المجانسة على لُباب القاعدة ، واللسان روى هذا الإخلال غير معترضٍ وعن اللسان روى البستان فزاد على الإخلال إفساد المعنى وكسر الوزن بقولِهِ .

خُطَّ لكَ ذلك في المهبــــل

★ ★ ★

(١٠٧)

الفساد الحاصل من التساهل في اللغة مثل الفساد الحاصل من التساهل في الشرائع .

الخطأ مرفوض فلا يخرَّج عليه خطأ ثانٍ ولو نطق بها كبيرٌ — العين ، عضو البَصَر ، لفظة مؤنَّثة ، فلا يجوز تذكيرها بالحمل على بَصَر ولا على طَرْف . والشاعر الذي يخِلّ بالأصول من أجل الوزن أو القافية ليس شاعراً من الطبقة التي يستشهد بها في اللغة وإن جاز أن يُذكر قولُه في مبحث فلسفي .

قال في مادة صرد — صرخد : « قال الراعي .

ولَذٍّ كطعم الصَّرْخَديِّ طرحتُهُ عشيَّةَ خِمْسِ القومِ والعينُ عاشقَهْ

واللذّ النوم قال ابن برّي ورواهُ ابن القطّاع و « العين عاشِقَهْ » (بفتح القاف) قال والضم أصح لأنَّ قبلَهُ .

وسِرْبالِ كَتّانٍ لبست جديدَهُ على الرَّحل حتى أسلمتهُ بنائقُهْ

والهاء في عاشِقُهْ تعود على النوم وذكّر العين على معنى الطَّرف كقول طفيل « والعين بالإثمد الحاريِّ مكحول » فبناءً على هذا التخريج بالحَمْل على معنى كذا يجوز أن يُقال أذناهما طويلان » على معنى مِسْمَعَيْهما — أفمن أجل بنائق يقول والعين عاشق ويثبتهُ اللسان حجة لمن يريد العَبَث بل العَيْث .

★ ★ ★

(١٠٨)

مادة ص خ د . الصُّخَّد .

قال صخرة صيخود صمَّاء راسية شديدة — الملساء الصُّلبة لا تحرّك من مكانها ولا يعمل فيهـــا الحديد : « حمراء مثل الصخرةِ الصيخودِ » قال ذو الرُّمة « يتبعن مثل الصخرةِ الصيخودِ » وفي حديث علي « ذوات الشناخيب الصُّمّ من صياخيدها .

استشهد بعليّ وذي الرُّمّة وآخر لم يُسَمِّهِ ، فما بقي عليه كان إلا أن يورد بيت حَكَم الشعراء وشيخ عكاظ .

بتكلم لو تستطيع كلامَهُ لدنت له أروى الهضــاب الصُّخَّدِ

وبعد رواية البيت أن يُفسِّر الصُّخَّد أي أنه يفسح لها في اللسان .

★ ★ ★

(١٠٩)

مادة ق ذ ع — قاذَعَ .

بمعنى الشتم ، يذكر قَذَعَ (ويُنكرهُ الأزهري) وأقذَعَ والصفات : مُقْذِع وقَذَعٌ وقذيع وقَذِع وأقذعُ بمعنى فاحش . ولكنه لا يذكر فعل قاذَعَ بمعنى شاتم أو هاجى ، وهذا الوزن (مبادلة الشتائم) وارد في شعر الذبياني :

فقبلَكَ ما شُتِمْتُ وقاذعوني فما نَزُرَ الكلامُ وما شجاني

القاموس يذكرهُ : قاذعَهُ = فاحشَهُ وشاتمهُ .

★ ★ ★

(١١٠)

مادة ن ك ح — مرض الاسترخاء هو آفة المصابين بداء « هكذا ورد » ولو خالف المبادئ .

قال وفي حديث معاوية « لستُ بنُكَحٍ طُلَقَةٍ » أي كثير التزويج والطلاق — والمعروف أن يُقال نُكَحَة لأن فُعَلَة من أبنية المبالغة لمن يكثرُ منهُ الشيء ولكن هكذا رُوِي — انتهى .

أفلا شجاعة فيقولَ أخطأ الراوي أو أخطأ معاوية ؟ !

★ ★ ★

(١١١)

مادة ن ي ب — ناب .

قال « الناب المسنة من النوق ولا يُقال للجمل (المذكَّر) ناب » . ثم قال « أعطاهُ ثلاثة أنياب جزائرَ » . هذا تناقض فثلاثة لا تكون إلا مع المذكر وأنياب جمعٌ لمؤنث . أمطبعية ؟ فأين الناشر ؟ هذا مُعجَم ! هذا مَرْجِع !

★ ★ ★

(١١٢)

مادة ذ ك ر .

قال امرأة ذكيرة ومذكَّرة ومتذكِّرة = متشبِّهة بالذكور .

استعمال متشبِّهة صحيح لأنّ المرأة عاقلة — ويقول أيضاً وناقة مذكَّرة متشبِّهة بالجمل في الخَلق والخُلق . أما هنا فاستعمال متشبِّهة خطأ لأن الناقة لا تمارس فعل الإرادة والاختيار فتتشبّه بالجمل في الخَلْق والخُلْق . فالناقة المذكَّرة إنما هي الشبيهة بالجمل ولا يجوز الاعتذار بأنّهُ حمل الناقة على المرأة لأنَّ هذا الحملَ هو الخطأ بعينهِ .

★ ★ ★

(١١٣)

مادة ف ه س — فِهْرِس .

قال { عن الليث : الفِهرس = الكتاب الذي تُجمع فيهِ الكتب .
وعن الأزهري : ليس بعربيّ محض ولكنَّه معرّب . }

عبارة الأزهري فيها حشو — فقولُهُ « ليس بعربي » كافٍ — وقولُهُ « معرّب » يفيد الشيء ذاتَهُ ومحض لا تفيد شيئاً .

وأما جملة الليث فلا يفهم منها شيء — لنفرض أننا رأينا « فِهْرس الكتاب » وأردنا أن نفهم معناها من المعجم — لنضع بطريقة إبدال مساوٍ بمساويهِ كما في علم الجبر ، حدّ الليث لفهرس مكان فِهْرِس في « فهرس الكتاب » فالنتيجة تكون : الكتاب الذي تجمع فيه كتب الكتاب . فهل يُقدم عاقل على إعادة طبع اللسان وذا الهذيان فيه ؟

★ ★ ★

(١١٤)

مادة ن ص ر .

قال : نَصَّرُ صنم وقد نفى سيبويه هذا البناء في الأسماء .

قال الأصمعي إنما هو [أي نبوخذ نصّر الذي استولى على اورشليم] بُوْخَتُنُصَّر — وبُوخَتُ ابن ونَصَّر صَنَم وكان وُجد عند الصَّنم ولم يعرف له أب فقيل هو ابن الصنم .

متى كان الأصمعي عالماً باللغة البابلية ؟

نبو : اسم إله ومعناه العليّ .

خدّ = الحد

نصّر = أعان — حمى — فالاسم معناه : نبو يحمي الحدود .

يتبع : (سنپولو) توفيق داود قربان

تصحيح تاريخ وفاة

نشرت مجلة مجمـــع اللغة العربية بدمشق في الجزء الأول من المجلد الحادي والأربعين الصادر بتاريخ (كانون الثاني ١٩٦٦ م = رمضان ١٣٨٥ ه) بحثاً بعنوان « قاسم بن ثابت السرقسطي وكتابه في غريب الحديث المسمى بالدلائل » للأستاذ التنوخي ، وقد جاء في حاشية الصفحة الرابعة من المجلة المذكورة أن النضر بن شميل كانت وفاته في سنة ٥٨١ ه سهواً ، فقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان وابن خلكان في وفيات الأعيان أن وفاته كانت سنة ٢٠٣ ه أو ٢٠٤ ه ، وقد نبه المجمع العلمي إلى هذا الخطأ الاستاذ علي الفقيه حسن ، ولذلك ينشر المجمع هـــذا التصحيح التاريخي لإفادة القراء ، وليجزل للأستاذ الفاضل الشكر والثناء .

الجزء الرابع ٣٤٢ المجلد الحادي والاربعون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٦٦م جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦هـ

الموسوعة العربية الميسرة

مقدمة :

الموسوعة مصطلح عربي حديث لما يسمى بالفرنسية Encyclopédie أي جملة المعارف ، أو الكتاب الذي يتناول أسس جميع العلوم ، أو الذي يتناول جميع أجزاء علم من العلوم ، كقولنا أنسيكلوبيدية حقوقية أو زراعية وهكذا .

ومن المصطلحات العربية الحديثة لهذه الكلمة الفرنسية « المَعْلَمة » ، ومنها « دائرة المعارف » . فهذه ثلاثة مصطلحات معروفة لمسمى علمي واحد مشهور . وهذا الأمر دليل من الأدلة الكثيرة على حاجتنا إلى توحيد المصطلحات العلمية ، وهي الحاجة التي طالما بحثنا فيها .

والظاهر أن الشيخ ابراهيم اليازجي كان أول من سمى هذا النوع من المؤلفات بكلمة « موسوعات » ، ذاهباً إلى أن طاشكبري زاده استعمل هذه الكلمة في كتابه « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » . ولكن ما جاء في كتاب طاشكبري المذكور هو كلمة « موضوعات » ، أما كلمة « موسوعات » التي رآها اليازجي فهي مصحفة ، على ما كان أثبته أحمد تيمور باشا والأب أنستاس الكرملي [١] .

وكلمة موسوعة التي هي اسم مفعول من وَسِعَ الشيءَ لا وجه علمي لها ، فهي لا تدل على أنها تسع العلوم ، وهي حديثة كما قلت لم أرها في معجم قديم ولم أصادفها في كتاب من كتب الأدب القديمة حتى في مثل قولهم موسوعة الأشياء لا العلوم .

أما « المَعْلَمة » فقد وضعها الأب أنستاس الكرملي . وهي أصلح بكثير من « الموسوعة » ، فالمعلمة على وزن مَفْعَلَة ، صيغت قياساً من كلمة « عَلِمَ » الثلاثية ، وهي تدل على المكان الذي تكثر فيه العلوم . ومثل هذا المكان قد يكون أداةً أو يكون وعاءً ، فالمعلمة وعاء العلوم . ويجوز كسر ميمها لأن الوعاء ربما حُمل على أنه آلة للحفظ .

وأما اصطلاح « دائرة المعارف » فقد كان المعلم بطرس البستاني أطلقه اسماً لسفره الجليل الذي يعاد اليوم تأليفه وطبعه في بيروت في حلة جديدة . وكان هذا الاصطلاح اسم علم لذلك المؤلف ، ثم صار اسم جنس لكل معجم جامع للعلوم . ولهذا كان الأستاذ محمد فريد وجدي قد سمى معجمه العلمي الموجز « كنز العلوم واللغة » ، وسماه بعد أن وَسَّعه « دائرة معارف القرن العشرين » الميلادي ، أو « دائرة معارف القرن الرابع عشر » الهجري . ونرى الذين ترجموا الأنسكلوبيدية الإسلامية قد سموها « دائرة المعارف الإسلامية » .

---

(١) من بحث لأحمد تيمور باشا في هذه المجلة (المجلد الثالث سنة ١٩٢٣ ص ٥٦) .

والكلمة الفرنسية من أصل يوناني . وهي مؤلفة من ثلاث كلمات بمعنى « في دائرة المعارف » ، فمصطلح « دائرة المعارف » هو إذن أصلح المصطلحات الثلاثة من حيث المعنى ، ولكنه مؤلف من كلمتين . ومن الأصلح أن يكون المصطلح كلمة واحدة تيسيراً للنسبة إليه ، فهل نختار « المعلمة » أم نختار « الموسوعة » ؟ فالأولى لها وجه علمي صحيح كما قلت ، وهي تستعمل في العراق والشام . أما الثانية التي لم أر لها وجهاً علمياً فهي شائعة في مصر خاصةً . وقد بدأت تشيع في غيرها . ويكفي لإشاعتها أن تجيء اسماً لمثل المعجم العامي الذي نتكلم عليه (١) . وقد فتشت في « المعجم الوسيط » عن المصطلحات الثلاثة فلم أجدها . ولا أدري هل أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة أحدها ، أم أقر غيرها ، أم لم يقر للكلمة الفرنسية مصطلحاً عربياً ما حتى الآن وهو ما أظنه .

ما هي « الموسوعة العربية الميسرة » ؟

للولايات المتحدة الأميركية ، في البلاد العربية ، خطة سياسية ترمي إلى بث ثقافتها بالانفاق على ترجمة كتب أميركية إلى لساننا . وقد تُرجمت حتى الآن كتب كثيرة مفيدة . وآخر ما اطلعنا عليه منها هذه المعلمة التي نُشرت في سنة ١٩٦٥ .

وأداة النشر هي « مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر » ، فهي التي أنفقت على إنجاز قسم من المشروع ، كما أنفقت « مؤسسة فورد » الأميركية على

(١) صدر في سنة ١٩٦٥ م في بيروت معجم سمي « الموسوعة في علوم الطبيعة » . وصدر في بيروت أيضاً معجمان أحدهما سمي « المرجم » ، والثاني « الرائد » ، ولعلنا نتمكن من إبداء رأينا فيها .

إنجاز قسمه الأكبر . وقد اتخذت معلمة أميركية أساساً للعمل ، وهي « موسوعة كولمبيا فايكنج دساك » ذات المجلد الواحد .

ومن الطبيعي القول بأن فائدة الأميركيين في مثل إصدار هذه الموسوعة بالعربية إنما هو تعريفنا برجالاتهم من علماء وسياسيين ، وتعريفنا بتاريخ بلادهم وجغرافيتها وغير ذلك ، ونحن لا ننكر الاطلاع على ثقافة الشعوب الأجنبية أياً كانت بشريطة أن لا يؤثر ذلك تأثيراً مضراً في ثقافتنا العربية .

أما فائدتنا من مثل هذه الموسوعة فهي أنها تطلعنا على مجمل معارف عصرية مختلفة ، عدا أنها تتيح لنا أن نضم إليها الكثير من معارف بلادنا العربية في القديم والحديث .

فمنذ بضع سنوات تألف في القاهرة مجلس سمي مجلس المديرين مهمته إصدار هذه الموسوعة مستعيناً بعدد من الخبراء الاختصاصيين بمختلف العلوم .

وكان زميلنا في مجمع القاهرة المرحوم محمد شفيق غربال رئيسَ هذا المجلس . وفيه سبعة عشر عضواً ، معظمهم مصريون ، وكلهم من العلماء والأدباء المعروفين بسعة معارفهم . أما الخبراء فعددهم يقارب المائة . ومعظمهم مصريون أيضاً . وكل منهم اختصاصي بمادته العلمية .

صدرت الموسوعة سنة ١٩٦٥ م ، وقامت على أساس اطراح التفصيلات التي لا تهمنا في الموسوعة الميسرة الأميركية الملمع إليها ، وعلى إضافة ما له صلة بنا من المعلومات في العلوم المختلفة ، فجاءت المعلمة في مجلد واحد ضخم يشتمل على ألفي صفحة كبيرة ونيف .

ومن الطبيعي أن لا يجيء هذا العمل الشاق خالياً من الأغلاط والهفوات والنواقص والزوائد ، وهذا ما أدركه القائمون عليه فقالوا في المقدمة : « إنها (أي الموسوعة) تطمع في أن تتلقى عشرات بل مئات من الملاحظات

والنقد الأمين المخلص الذي يتطلع إلى الكمال ، لا الذي يتلمس النقص أو يتصيده . إنها ترجو أن تكون هذه الطبعة المحدودة العدد بمثابة التجربة الأخيرة من تجارب المطبعة ، تعرض على القراء ليشاركوا بدورهم في أن تكون طبعتها المقبلة أقرب إلى الكمال » .

وفي آخر المقدمة قالوا : « وكلنا أمل في أن تكون هذه الموسوعة العربية الميسرة مجرد البداية الطيبة المتواضعة في سبيل الموسوعة العربية الكبرى التي نأمل ألا تطول أعوام انتظارها » .

إن كلاماً مهذباً كهذا الكلام يقوله واضعو المقدمة قد حداني على تقليب صفحات من الموسوعة وإبداء ملاحظات موجزة جداً على ما استوقف نظري فيها .

ملاحظاتي على الموسوعة العربية الميسرة :

١ — جميع مواد الموسوعة غير مشكلة . وهذا نقص كبير أرى ضرورة تلافيه كلياً أو جزئياً ، ولا سيما في أسماء الأعلام الأجنبية وأسماء الأعيان المعرَّبة .

٢ — من الضروري في نظري أن تكتب بحروف لاتينية أسماء الأعلام الأجنبية كأسماء الأشخاص وأسماء البلاد والمدن والمواقع الجغرافية ، وكذلك الأسماء العلمية للنبات والحيوان ، فقد جاءت كلها بحروف عربية غير مشكلة ، ولم تذكر بحروف لاتينية ، ولهذا أمسى من الصعب جداً معرفة صحة عدد كبير من تلك الأسماء . ولنضرب كلمة مُغاث مثلاً فالمغاث معروف في مصر . وجاء اسمه في الموسوعة بالتاء ، والصحيح بالثاء . ثم جاء اسمه العلمي هكذا « جلوسستيمون بروجيوري » فهل يستطيع غير العارف بهذا الاسم أن يحزر ما هي صحته ؟ وهو بالحروف اللاتينية Glossostemon Bruguieri . ولنذكر أيضاً الخيار مثلاً ، فقد ذكروا أن اسمه العلمي « كيوكيوميس ساتيفس » ،

والصحيح « كُوكوميس ساتيڤوس » لأن الاسم العلمي ليس انكليزياً ، وهو بالحروف اللاتينية Cucumis sativus . ومثل ذلك كثير .

٣ — خبراء الموسوعة بالعلوم الزراعية المختلفة متفاوتون في معرفة مصطلحاتها العربية ، فمنهم من استعملوا مصطلحات صحيحة أو راجحة ، ومنهم من خبطوا في المصطلحات خبط عشواء ، فتراهم يستعملون كلمات عامية بدلاً من الكلمات الصحيحة كقولهم مثلاً السنامكي والحبهان والكراوية والحمام الزاجل والصحيح السنا المكي وحب الهال والكرويا وحمام الزاجل . وفي مادة دفيئة قالوا الخضروات والصحيح الخضراوات . وفي مادة خرنوب ولوبياء قالوا إنها من الفصيلة البقلية والصحيح من الفصيلة القرنية . وفي مادة الكرات المصري قالوا إنه من العائلة الزنبقية ، والصحيح من الفصيلة الزنبقية . وفي مادتي الفول والفول الرومي ذكروا أن الأول من الفصيلة القرنية والثاني من الفصيلة البقلية ! وجعلوهما نوعاً واحداً هو ڤيسيافابا Vicia faba . وفي مادة « سرابيفو ، جامعة » قالوا الأحراش ، والصحيح الأحراج . وفي مادة نعناع قالوا الزعتر والصحيح السعتر والصعتر . وفي مواد أخرى استعملوا كلمات المتك والمتاع والحسلة ، والصحيح المثبر والوزيم (أو المدقة) والنَّوَويّة . وأطلقوا « عيش الغراب » على جميع الفطور السامة والتي تؤكل . والذي نعرفه أن هذا الاسم العامي في مصر يطلق خاصةً على الغاريقون الزراعي الذي يؤكل ، ولا يجوز استعماله بمعنى الفطر عامةً .

ولم يتحروا في معجم الألفاظ الزراعية أو في غيره الأسماء العربية لبعض الفصائل النباتية بل ارتاحوا إلى سهولة التعريب . فالفستق عندهم من الفصيلة الأناقردية ، والصحيح الفصيلة البطمية ، والقلقاس من الفصيلة الأراسية ، والصحيح الفصيلة القلقاسية (أو اللوفية) . وأذن الحمار من الفصيلة البوراجينية ، والصحيح الحمْحِمية وهكذا . ولا يجوز الاكتفاء بالأسماء المعربة .

ولم يُذكر نوع الضأن ، بل قالوا الغنم ، ولا نوع الخيل ، بل قالوا الحصان . وسواء في هذا النوع من الحيوان أو ذاك جعلوا سلالاتها أنواعاً ! الخ . الخ .

والخلاصة أن مواد العلوم الزراعية ولا سيما مواد النباتات الزراعية جاءت كثيرة الأغلاط ، فلعل القائمين على الموسوعة يختارون للطبعة القادمة بضعة علماء زراعيين قادرين على تمييز الصالح من المصطلحات ، (وكذلك في سائر العلوم) فالموسوعة لم تصنف للعامة بل للمثقفين ، ولغتها يجب أن ترفع لغة العامة لا أن تهبط إليها ، ومن المؤسف أن هذه الحقيقة لا يراعيها كثير من المؤلفين بالعلوم الزراعية في البلاد العربية .

٤ — من الأمور الصعبة التي يجب الانتباه إليها تحديد الأعلام الجغرافية التي يفيد نقلها من الموسوعة الأمريكية إلى الموسوعة العربية ، وتحديد الأعلام الجغرافية العربية التي يفيد إضافتها إلى هذه الموسوعة العربية . فقد لاحظت مثلاً أنهم ذكروا نهر كوكا في أمريكة الشمالية ، ولم يذكروا نهر الخابور في سورية . وذكروا في مادة « ربوة » أنها تل في الولايات المتحدة ، ولم يذكروا ربوة دمشق حتى ولا غوطتها الشهيرة . وذكروا من المدن الصغيرة التي لا شأن لها بلدة شالون سورسون في فرنسة ، وبلدة أسكي شهر في تركية (وقد عرفتها) ، ولم يذكروا في سورية بلدة درعا ولا بلدة الحسكة وكل منها مركز محافظة . ومثل ذلك كثير [1] .

٥ — لم يتبعوا في بعض شؤون المصطلحات قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة .

---

(١) للأستاذ الشيخ حمد الجاسر أحد أعضاء مجمعنا المراسلين مقال ثمين عنوانه « الموسوعة العربية الميسرة » نشر في عدد الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٣٨٥ والثامن من ابريل « نيسان » سنة ١٩٦٦ من صحيفة « المدينة » التي تصدر في جدة ، ولا بد أن يكون القائمون على الموسوعة قد اطلعوا على ذلك المقال .

فمن جملة تلك القرارات مثلاً : « لا مجال للنحت ولا للتركيب المزجي في تصنيف المواليد الثلاثة ، ولا حاجة إليها » . وعلى الرغم من ذلك نجد في الموسوعة مثل قولهم : « بَطْنُ قَدَميَّات » و « رأس قدميات » بدلاً من « بطنيات الأقدام » ، و « رأسيات الأقدام » . ومثل هذه الرطانات التي اقتبسوها غير قليل .

٦ — الشؤون التاريخية والجغرافية والقومية في كل قطر عربي لا يجوز أن يكتب فيها إلا علماء اختصاصيون من ذلك القطر ، ومن المشهود لهم بالمعرفة والتدقيق ، وإن يكن عددهم صغيراً ، ولو راعى القائمون على الموسوعة ذلك لما قالوا في مادة « الاستقلال العربي ، حزب » :

« قامت في سورية الكتلة الوطنية (١٩٢٨ — ١٩٤٨) برياسة خالد العظم » ! ولما كتبوا ما كتبوه من الخلط في مادة « حوران » كقولهم إن غالبية سكانها من الدروز ، وقولهم : « سادها الدروز اليمنيون وبنو حمدان وآل الأطرش » فتأمل ! .

٧ — رمزوا في الأعلام الأعجمية إلى الحرف اللاتيني (g) والحرف اليوناني (γ) بالحرف العربي (ج) . ورمزوا إلى الحرف (j و dj) بحرف جديد أوجد في مصر حديثاً ، وكاد يشيع فيها ، ثم أخذ استعماله يقل ، وهو الحرف (چ) بثلاث نقط فترى في الموسوعة مثلاً :

چورچ أبيض بدلاً من جورج أبيض ، وچنيف بدلاً من جنيف . وعلى العكس من ذلك مثل « جاربو ، جريتا » ، ومثل جازولين ، وجلاسجو ، وجليسرين وأمثال ذلك من الرمز إلى الحرف الأعجمي (g) بالحرف العربي (ج) .

وسبب ذلك معروف وهو أن سكان القاهرة والوجه البحري ينطقون بحرف الجيم العربي غير معطش أي مثل الحرف (g) ، على حين أن سكان الصعيد في مصر وثمانية أعشار البلاد العربية الأخرى على الأقل تنطق به

معطشاً أو مخففاً (أي مثل dj أو j بالفرنسية) ، وهذا هو النطق الصحيح به في القرآن الكريم أيضاً . ولذلك لا يجوز في تعريب الأعلام الأعجمية أن ينقل الحرف (g) اللاتيني والحرف (γ) اليوناني إلا بأحد حرفين : إما بالغين كما فعل علماؤنا القدماء جميعاً ، وكما نفعل اليوم في سورية ولبنان وغيرهما ، وإما بحرف جديد نضعه لهما وأصلحه في نظري حرف الكاف له خطان معترضان بدلاً من خط واحد (گـ) ، وهو المستعمل بالفارسية والأردو والتركية التي تكتب بحروف عربية . وقد قلت في كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية (ص ١٧٣) : « أما اعتبار الحرف العربي (ج) رمزاً للحرف اللاتيني (g) في المعرّبات فهو غير صحيح ، ومن الغلط أيضاً وضع ثلاث نقط في وسط الحرف (چ) وعده جيماً معطشة في مثل كتابة چيولوچية التي نراها أحياناً في القاهرة ، فان معنى ذلك عند سكان الصعيد وسكان سائر الأقطار العربية أن الجيم الشجرية أو المعطشة في القرآن وفي المؤلفات العربية قد أصبح لها حرف جديد هو الحرف (چ) بثلاث نقط . وبعد يؤمل أن ينتبه مديرو الموسوعة إلى هذا الموضوع الهام[1] .

٨ — لا أدري لماذا جعلت الموسوعة في مجلد واحد مع العلم بأنها تتألف من ألفي صفحة رقيقة ونيف . فالمجلد الواحد نقله صعب ، وهو ثقيل الحمل على أمثالي من الشيوخ ، وما الحكمة في عدم جعل هذا المصنف مؤلفاً من جزأين أو من ثلاثة أجزاء مثلاً ؟

٩ — الأغلاط المطبعية كثيرة ولا سيما في الأسماء العلمية المعربة للنباتات والحيوانات . ثم إنني قلبت صفحات خمس نسخ من مجلدات الموسوعة فوجدت في

(١) انظر موضوع الحرف اللاتيني (g) في الطبعة الثانية لكتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » (ص ١٧٢ — ١٧٤) .

ثلاث منها صفحات بيضاً لم تُطبع ، ومع ذلك أدخلت تلك الصفحات في النسخ المذكورة فجاءت ناقصة .

١٠ — لم تذكر بعض المواد في مواضعها ، ففي مادة « الشهابي » مثلاً ذكروا أربعة أشخاص من أسرتنا هذه ، ولكنهم ذكروا غيرهم في مواد أخرى كالرئيس فؤاد شهاب فقد ذكروه في مادة فؤاد ، وكحيدر الشهابي فقد جاء ذكره في مادة حيدر .

وقد لاحظ الأستاذ حمد الجاسر في مقاله الذي أشرت إليه ملاحظات أخرى من هذا القبيل ، فمن الضروري الانتباه إلى مثل ذلك .

الخلاصة : — هذه أهم ملاحظاتي على « الموسوعة العربية الميسرة » ، وعندي ملاحظات أخرى لم يتسع الوقت لإبدائها . وهناك رأي قديم لي نشرته منذ عدة سنين وهو أن تصنيف معجم إفرنسي عربي ومعجم انكليزي عربي للمصطلحات العلمية يجب أن يسبق تصنيف الموسوعة العربية ، وذلك لكي لا تجيء هذه الموسوعة مملوءة بمصطلحات عربية سقيمة أو مرجوحة أو غير صحيحة [١] .

وبعد إن المعلمة التي نتكلم عليها مفيدة في جملتها ، على الرغم مما اشتملت عليه من أغلاط وشوائب . وعمل كبير كهذا العمل لا يمكن أن يجيء في بادئ الأمر أي في أول طبعة خالياً من الهنات . ولنا ثقة بأن العلماء الذين يتولونه سيحرصون كل الحرص على أن تجيء الطبعة الثانية أصلح من الطبعة الأولى .

مصطفى الشهابي

(١) أنظر الطبعة الثانية من كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » (ص ١٤٧) .

لكل عصر لغة

إذا لم يكن تحوّل اللغة على اختلاف العصور أعظم خصائصها فإن هذا التحوّلَ ، ولا ريب في ذلك ، أوضح هذه الخصائص ، فلا نكاد نمرّ بعصرٍ من العصور إلاّ وجدنا لكل عصرٍ لغة خاصّة وأساليب خاصّة ، فقد تشيع في زمنٍ ألفاظ ثم تبطل هذه الألفاظ في زمنٍ آخر ، وقد تستفيض فيه أساليب ثم لا نجد لهذه الأساليب أثراً بعده ، وقد يكون تحوّل اللغة في بعض الأحيان آية من آيات قوّتها وحياتها ، فاللغة الجامدة التي لا تستجيب لبعض الحاجات قد يقلّ صلاحها للحياة على تراخي الأحقاب ، ففي كل عصرٍ تولد أشياء وتموت أشياء ، ولا بدّ لهذه الأشياء التي تولد من ألفاظٍ تعبّر عنها ، فالإسلام حوّل ألفاظاً في أوّل عهده عن وجهٍ إلى وجهٍ ، والنحو استعمل ألفاظاً على غير المألوف من معانيها ، وما يقال في الإسلام والنحو يقال في العلم والفلسفة والأخلاق والاجتماع وما شابه ذلك ، ففي هذه الآفاق نجد ألفاظاً ومصطلحات لم يكن لها من قبل المعنى الذي أراده واضعوها .

الخلاصة إن لكل عصرٍ لغة خاصّة ، فقد تعيش طائفة من مفرداتها فيه ثم تموت في عصرٍ آخر ، إني لا أحتاج إلى الإكثار من الشواهد في هذا الباب ، فكل واحدٍ منّا قد مرّ في خلال مطالعاته بقليلٍ أو كثيرٍ من هذه الشواهد ، وإذا كان لا بدّ من الاستشهاد فاني أقتصر على اليسير منه .

كنت أطالع معجم الأدباء فوجدت في أخبار أسعد بن المهذّب الممّاتي هذه العبارة : « فلمّا رأوا أنني لا وجه لي قيل لي : تحيّل ونجّم هذا المال

عليك في نجوم ... » . لست أخجل من الاعتراف بأني لم أفهم معنى نجّم ونجوم في هذا المقام ، ولمّا رجعت إلى القاموس المحيط علمت أن نجم المالَ ، مخفّفة ، ونجّمه ، مشدّدة ، أدّاه نجوماً ، والنجوم جمع نجم ومعناه الوقت المضروب ، فمن الذي يستعمل في عصرنا هذا نجّم على النحو الذي استعملت عليه في القرنين السادس والسابع ، أو في القرون السابقة ؟ فنحن نقول في يومنا إذا ركب أحدنا دين ولم يستطع دفعه مرّة واحدةً : قسّطه ، بدلاً من نجّمه ، ونقول : الأقساط بدلاً من النجوم ، فالتنجيم بمعناها الأول قد خفيت في عالم الاقتصاد والمال ، وهي لا تعيش إلاّ في عالم معروف ، فالمنجّم هو الذي ينظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها ، أو الذي يستخرج من هذا النظر التخرّص والأحاديث الملفّقة التي أشار إليها أبو تمّام في قصيدته الخالدة :

أين الرواية ، بل أين النجوم وما صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كذب
تخرّصاً وأحاديثاً ملفّقة ليست بنبع إذا عُدّت ولا غَرَب

من هذا كله يتبيّن لنا أن التنجيم بمعنى التقسيط قد عاشت في عصرٍ من العصور ثم بطل استعمالها في عصرٍ آخر . ولست ألجأ إلاّ إلى مثل آخر في هذا الباب ، ففي أخبار المّاتي الومأ إليه وقع نظري على هذه العبارة : « وإنما كان مقصودي أن أدعك تعيش خائفاً ، فقيراً ، مجحّجاً في البلاد .... » . لقد أصابني في فهم المجحّج ما أصابني في فهم نجّم ، ولما استعنت بالقاموس المحيط وجدت أن قولهم : أمجّ زيد معناه : ذهب في البلاد . وقد ورد في معجم الأدباء مجحّج بدلاً من أمجّ . وسوآء أكانت هذه المادّة أمجّ أم كانت مجحّج إنّ معناها القديم : ذهب في البلاد ، شُرّد ، ولم تبق لهذه المادة حياة في عصرنا ، وما أكثر الشواهد في هذا الباب .

إلاّ أن هذه الموادّ التي شاعت في حِقْبة من الحقب، ثم بطل استعمالها على ممرّ الأحقاب قد نستطيع أن نرى لأكثرها تفسيراً في معجمات اللغة، مثل تفسير نجَّم وأمجَّ وغيرها، أمّا المصيبة في عصرنا فاننّا نمرّ بتعابير لا نفهمها ونحن نعيش مع أصحابها، ولست أبالغ في قولي إذا قلت إن أكثر هذه التعابير المستحدثة إذا وقفت عليها فاني أسأل عن معانيها فريقاً من أصدقائي الذين يتصلون بالحياة العامة وبمطالعة صحف هذا العهد أكثر مني، وما أكثر هذه التعابير وما أكثر الذين لا يفهمون معانيها. رجعت وأنا أكتب هذا المقال إلى دفتري الذي أدوّن فيه لغة هذا العصر فوجدت في جملتها قولهم: محاولاً مسح الماء عن وجه الزعيم الروديسي... وقد استعملت هذه الجملة على المجاز ولم تستعمل على الحقيقة، ولو استعملت على الحقيقة لما أشكل عليّ معناها، إلاّ أن استعمالها على المجاز قد غمَّض معناها، فاذا كنت أعيش في العصر الذي شاع فيه هذا التعبير ولم أفهم معناه فما قولنا في العصور الآتية، كيف يستطيعون أن يفهموا بعد خمسين سنة أو مائة سنة أو أكثر معاني ما يستحدث من التراكيب، ولا نرى معجماً من معجمات العصر يشرح معاني هذه التراكيب، فما هي نتيجة هذا كله؟ إن العصور الآتية يتعذّر عليها فهم طائفة من لغة الحاضر، فاذا كان تحوّل اللغة على ممرّ الأحقاب قد يدلّ في بعض الأحيان على قوة هذه اللغة وحياتها فان هذا التحوّل إذا أفرطوا فيه واشتطّوا قد يؤدي إلى غموض اللغة بحيث يدقّ على الأذهان فهم أكثرها.

وإذا كان لكل عصرٍ لغة تتحوّل من زمنٍ إلى زمنٍ أفلا نجد للعصور كلها لغة تكاد تكون ثابتة؟ أفلا نجد أن اللغة السهلة، البسيطة، هي لغة العصور كلها، الخالدة على وجه الدهر، ولا أدلّ على هذا الخلود من بقايا الفصاح التي لا تزال تعيش في أيامنا على أفواه العامّة وقد مرّ عليها

ألف سنة أو أكثر . فاذا كنت مولعاً بهذه البقايا ، حريصاً على التقاطها وجمعها ، فالسبب في هذا الولع وهذا الحرص سهولتها وبساطتها من جهةٍ ، ثم دلالتها على أمورٍ كثيرة من أمور العمران والاجتماع وغير ذلك .

فمن هذه البقايا قولنا في لغتنا العامة : رجع لونه ، نجد في أخبار إسحاق ابن إبراهيم الموصلي في معجم الأدباء أنه وقع بينه وبين إبراهيم بن المهدي شيء من التشاتم ، وقد استخف كل واحدٍ بالآخر ، فرفع الأمر إلى الرشيد وقال له إبراهيم بن المهدي : يا أمير المؤمنين ! شتمني وذكر أمي ، واستخفّ بي ، فغضب الرشيد ، وسأل خادميه عن القصة وكانا حاضرين ، فجعلا يخبرانه ووجهه يربدّ إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة ، وقد كان الموصلي قال لإبراهيم بن المهدي : أرجو ألاّ يخرجها الله تعالى ، أي الخلافة ، عن يد الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها ، فلمّا انتهى الخادمان إلى هذا القول سرّي عن الرشيد ورجع لونه ...

إن مثل هذا التعبير ، رجع لونه ، شائع في لغتنا العامّة ، فهو حيّ ، قويّ ، لم يذهب من حياته وقوته شيء على طول السنين ؛ فكثيراً ما يساور أحدنا بعض الغضب أو بعض الخوف وما ماثل ذلك فيربدّ وجهه ويصفرّ ، ثم يهدأ صاحب هذا الوجه وتدخل الطمأنينة عليه فنقول : رجع لونه ، فهذا التعبير من التعابير الثابتة في كل زمنٍ ، لم يتحوّل معناه عن وجهٍ إلى وجه ، وهو سهل ، بسيط ليس في استعماله انحدار عن أفق البلاغة ، إن رأس البلاغة إنما هو البساطة ، فالذين يميلون في عصرنا إلى تراكيب معقّدة ، لا تفهم معانيها ، إنما يبعدون عن البلاغة ، ويبهم كلامهم فلا يفهمه من يأتي بعدهم في مستقبل الأيّام ، فاذا كان لبقايا الفصاح مزيّة فان من بعض مزاياها السهولة والبساطة .

ومن هذا القبيل قولنا اليوم في عاميتنا : طار نومه ... فقد جاء في ترجمة الوزير الصاحب في معجم الأدباء كلام لأبي حيّان على الصاحب ، فقد قصّ أبو حيّان قصة طريفة لا سبيل إلى تلخيصها ، وردت فيها هذه العبارة : «فما زاغ الرجل عن باب ركن الدولة حتى وصل ودخل في ذلك الوقت الفائت إليه ، فقيل لابن عبّاد ذلك ، فطار نومه وقال : أي شيطان هبط علينا .... » . فقد عاشت جملة أبي حيّان : طار نومه ، حتى يومنا هذا ، أفيستطيع أحدنا أن يقول في مثل هذه الحالة التي يغلب فيها علينا القلق أو الاضطراب ولم ينم في الليل أبلغ من هذا القول : طار نومي .

على أن لبقايا الفصاح وجهاً آخر غير السهولة وغير البساطة ، فقد نجد في بعضها ما يصوّر لنا ناحية من نواحي العمران والاجتماع وغير ذلك ؛ إني لا أستعين الآن على توضيح هذه الفكرة إلاّ بثلاث موادّ : برّاني ، جوّاني ، طرّاحة .

كنت أطالع قبل كتابة هذا المقال كتاب معجم الأدباء ، فوقع إليّ في ترجمة المنّاتي ما سمّاه ياقوت : نوادره الحادّة ، قال :

«وكان له نوادر حسنة ، حادّة ، منها ما حدّثني به الصاحب القاضي الأكرم ، قال : ركبنا وخرجنا يوماً نسير بظاهر حلب ، فكان خروجنا من أحد أبوابها ، ودرنا سور البلد جميعه ، ثم دخلنا من ذلك الباب ، فقال : اليوم تسييرنا تدليك ، قلت : كيف ، قال : من برّا ، برّا ...» . إني لا ألتفت إلى هذه النادرة مقدار التفاتي إلى هذه اللفظة : برّا ، برّا ؛ إنّا نقول اليوم في لغتنا العامّة : برّا ، أي أخرج ، وقد جاء في القاموس المحيط : من أصلح جوّانيه أصلح الله برّانيه ، وتوسّع الشارح في حاشيته في شرح هذه الجملة واستند إلى من فسّرها على هذا الوجه : من أصلح

سريرته أصلح الله علانيته ، أخذ من الجوّ والبرّ ، فالجوّ كل باطن غامض ، والبرّ المتن الظاهر . وسوآء أكان هذا الكلام من كلام المولّدين أم كان من كلام فصحاء العرب في البادية إني لا أدخل في هذا الاختلاف ، فالذي يهمني إنما هو لفظ : برّاني ولفظ : جوّاني ، وقد عاش هذا اللفظ في عصرنا ، فالبرّاني في لغتنا العامّة معناه : الخارج ، والجوّاني معناه : الداخل ، فنقول : الجرح برّاني ، أي في ظاهر جسم الإنسان ، والجرح جوّاني ، أي في باطن جسمه ؛ وفي دمشق حارة يسمونها : البحصة البرّانية والبحصة الجوّانية ، إلاّ أنّا نلفظ الجوّانية بضم الجيم ، وهي بالفتح ، وبعض دور دمشق القديمـــة التي كان يملكها طبقة من الوجوه والأغنياء تحتوي على برّاني وجوّاني ، فالبرّاني يستقبل فيه صاحب الدار ضيوفه من الرجال في الصباح أو المساء ، وهو ينفصل عن الجوّاني الذي تقيم به النساء ، فهذا البرّاني يدلّنا على نمطٍ من عيشة طائفة من الموسرين والوجوه في دمشق قبل خمسين سنة أو أقل أو أكثر ، فقد كانوا يجلسون فيه ، فيتحدّثون ويسمرون بدلاً من جلوسهم في المقاهي أو المجالس العامّة ؛ أمّا في العمران الحديث فقد بطل هذا البرّاني ، فالدور كلها تشتمل على قسم واحدٍ لا غير ، فيه بهو للضيوف غير منفصل عن أصل الدار .

هذا ما يتعلّق بالبرّاني والجوّاني ، أمّا اللفظة الثالثة فهي : الطرّاحة ، فقد جاء لياقوت في ترجمة إسماعيل بن الحسين بن جعفر الصادق المروزي ما يلي : فلما وقف عليه نزل عن طرّاحته وجلس على الحصير وقال لي : اجلس على هذه الطرّاحـــة ، فأعظمت ذلك وخدمته .... » . وورود الطرّاحة في هذه الجملة يدلّ الإجلاس عليهـا على نوع من التكريم ، لم أجد في القاموس المحيط ذكراً للطرّاحة ، والذي نعلمه أن الطرّاحة

إنما هي نوع من فرش البيت ، تبسط على الأرض للجلوس عليها ، وقد تكون مربّعة أو مستديرة أو مستطيلة ، يحشونها بالقطن أو بالصوف ، يجلسون عليها في حالة التبذّل ، لما في الجلوس عليها من راحة ، وقد كنّا في دمشق نستعملها في دورنا القديمة ، في الصيف نضعها في المساء في صحن الدار ونجلس عليها ، وفي الشتاء نضعها بالقرب من المدافئ التي نتحلّق حولها فنجلس عليها أو قد نسند ظهورنا إلى مخدّات على الحيطان ، فالطرّاحة كانت تدخل في أصل فرش الدار ، أمّا اليوم في العمران الحديث فأكثر الجلوس يكون على الكرسي ، أو على ما يسمونه : الديوان أو الكنباية ، فليس في الدور الحديثة صحون دار يجلسون فيها في الصيف على الطرّاحات ، وقد تشتمل بعض هذه الدور على غرفة يسمونها : غرفة القعود ، وقد توضع الطرّاحة في هذه الغرفة .

★ ★ ★

أفرأينا كيف ان طائفة من بقايا الفصاح التي تعيش على أفواهنا في عصرنا هذا تفصح لنا في بعض الأحيان عن نمطٍ من أنماط العمران أو الحياة الاجتماعية وأشباه هذه الأمور ؟ فإذا شئت أن أختم هذا المقال فلست أختمه إلاّ بما يلي : إذا كان لكل عصر لغة خاصة ، وأساليب خاصة قد يذهب بعضها بذهاب العصر الذي ظهرت فيه فان اللغة التي تصلح لكل العصور إنما هي اللغة السهلة ، البسيطة ، مثل قولنا : رجع لونه ، وطار نومه ، ونظير هذه الطبقة من بقايا الفصاح .

شفيق جبري

أدب الفقهاء

- ٨ -

الأخلاق والآداب :

وشعر الأخلاق والآداب أو الوصايا والحكم في أدب الفقهاء ينبوع ثرّ ، ومعدن غني بالأعلاق النفيسة والجواهر الكريمة ، إذ كانوا هم مصدر الآداب و مُقعّدي قواعد الأخلاق ، ما بين شرعية وسياسية . فالمتشرعون منهم يستمدون من الأصلين العظيمين اللذين اشتملا على أحسن الهَدْي ، وهما الكتاب والسنة . والمتفلسفون يأخذون خير ما عند أصحاب التعاليم وعلماء الأخلاق ، مما يتوافق ومبادىء الدين الحنيف الذي يقول رسوله الأكرم ، ﷺ : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وبذلك يكون الشعر الصادر من الفقهاء في هذا الباب من أمثل هذا الشعر من حيث المضمون ، لاحتوائه على زبدة ما جاءت به الشريعة وأيّدته الحكمة من قواعد السلوك ومعاملة الناس بعضهم لبعض ، وأما من حيث الشكل فهو على ما سنرى وما رأيناه في غيره ، حُسنَ بناء وإحكامَ صنعة .

ولعل خير ما نؤيد به قولنا هذا هو شعر الفخر الذي قاله فقهاؤنا رحمهم الله ، فهو يسير على وتيرة غير التي يسير عليها فخر الشعراء الذي يستحيل في بعض الأحيان إلى بهلوانية أدعى ما تكون إلى السخرية منها إلى الإعجاب ، وذلك بما يتضمنه من الادعاء الفارغ والتطاول الذي لا حد له ، في حين أن فخر العلماء ينحو منحى تهذيبياً ويمثل الاعتزاز بالعلم والهمة العالية

والخلق الكريم ، ولذلك أدخلناه في الشعر الحكمي ولم نجعله باباً مستقلاً كما هو في شعر الشعراء غير الفقهاء .

ولنستمع إلى ما يقوله الإمام الشافعي في هذا الصدد :

علي ثياب لو يُباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاقُ غمده إذا كان عضباً حيث وجهته فرا

فهو يفخر بنفسه ويعتز بها ويقارنها بنفوس من يرى من البشر المتنافسين في الدنيا المتهالكين على الأطماع ، فترجح بها وتسمو عليها ، لأنها ليست من بابتها ولا من واديها ، إذ بينما هذه مطلبها الكمال وتطلعها إلى معالي الأمور ، إذا بتلك إنما تستهويها المادة وليس لها مطلب غير الدينار والدرهم اللذين تتوصل بهما إلى قضاء مآربها الوضيعة ، والظهور بمظاهر العظمة الكاذبة من لباس فاخر وزينة متناهية ، لم يكن للشافعي رحمه الله منها إلا ثياب بسيطة تُراد للستر لا للمباهاة بحيث لو عرضت للبيع في السوق لما تجاوز سومُها الفلس الواحد من بخس ثمنها ووكس قيمتها . ولكن متى كانت قيمة الشافعي وأمثاله فيما يلبسون أو يأكلون أو يسكنون ؟ وأين هم الآن أولئك الذين عايشوه من أهل الثراء الواسع ، والمآكل والملابس ، والدور والقصور ، والخدم والحشم ، والرياش والأثاث ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ؟

إنها ملايين النفوس وأعداد الذر من الناس ، لا نعرف لهم اسماً ولا نقف منهم على أثر ؛ تمتعوا بزينة الحياة الدنيا وكانت هي غاية مرادهم ، فذهبوا ولم يتحدث عنهم رائح ولا غاد ؛ والشافعي في ثيابه الرخيصة ونفسه الغالية ، ما يزال على مر العصور وتعاقب الأجيال ، خالد الذكر ، عالي القدر ، ملء سمع الدنيا وبصرها .

فهذا فخر يقترن بالتوجيه ، ويوحي بمعان من السمو والعظمة لا يعرفها إلا أهل العلم ، ولذلك جعلناه من أمثلة شعر الأخلاق والآداب .

ومن شعرهم السائر الذي بلغ الغاية في الاعتزاز بالعلم وترفّع حملته عن الابتذال ، قول القاضي أبي الحسين علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه :

يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ولكنّ نفسَ الحر تحتمل الظما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما بدا طمع صيّرته ليَ سُلّما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأُخدَما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة إذن فاتباع الجهل قد كان أحزَما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعُظّما
ولكن أهانوه فهانوا ودنّسوا محياه بالأطماع حتى تجهّما

تمثل هذه الأبيات قمّة شعر الفخر في أدب الفقهاء سواء من حيث المعنى أو الأسلوب ، فهي تعبر بأحسن عبارة عن أعمق المشاعر التي يحس بها من أكرمهم الله بالعلم فأغناهم عن كل مطلب سواه ، وصاروا بحيث لا يغريهم المال ولا يغرهم المنصب ، لأن الأجواء التي يحلقون فيها تتكشّف لهم عن عوالم في منتهى الروعة والجمال ، تملأ نفوسهم غبطة وسرورا ، وتغمر قلوبهم رضاً وطمأنينة ، فما المال وما المنصب بازاء السعادة التي يجدونها في الانقطاع إلى العلم وحياته الهنية ؟

والناس يرون عزوفهم عن تجمعاتهم اللاهية ، وعدم خوضهم فيما يخوض فيه غيرهم من الأباطيل ، فيصفونهم بالانقباض والشذوذ ، والحال أن وقار العلماء يمنعهم من النزول إلى حضيض الابتذال ، فإذا كان غيرهم من ذوي السلطة والنفوذ يتصنع ويتكلف للمهابة والتوقّر ، فإنّ سمْت العلم

قد أحاطهم بهالة من التعظيم والاحترام تنحسر عنها الأبصار . وإذا كان هذا شأن العلماء الحقيقيين ، فإن غيرهم من المدعين لا نصيب لهم من هذا الشرف ، لأنهم لم يصونوا العلم ولم يعظموه ، ورضُوا أن يكونوا مطية للجبابرة وأعواناً للمتسلِّطين لِقاءَ ما ينالونه من فُتات موائدهم ، فهم قد حُرِموا لذةَ العلم وحُرِموا معها عزته ، وهؤلاء هم الذين يعنيهم القاضي الجرجاني في البيتين الأخيرين من القطعة ، اللذين هما مغزى شعره ، وصرح به ليكون أبلغ في التوجيه والإيحاء .

ومن هذا المعنى قول أبي الحسن النُّعَيْمي البصري أحد مشيخة القرن الخامس :

إذا أعطشتك أكفُّ اللئام   كفتك القناعةُ شِبْعاً وريَّا
فكن رجُلاً رجلُه في الثرى   وهامةُ همته في الثريا
أبيّاً بنفسك عن باخل   تراه بما في يديه أبيا
فإنَّ إراقة ماء الحياة   دون إراقة ماء المُحَيا

وهي أبيات قليلة النظير في الحض على علو الهمة وشرف النفس وعدم التشوّف لما في يد الغير وصيانة ماء الوجه من أن تكدره أو تستنزفه الحاجات والأطماع ، ولعل شاعراً غيرَ فقيه لا يستطيع أن يأتي بمثل هذه الأبيات في بلاغة معناها وجزالة مبناها ، لأن رصيد الشعر مليء بالسؤال والرجاء والأمل ، فلا يتفلّت من يكون هو رأس ماله من تأثيره فيه والإنفاق منه إذا اضطر ذلك ، بخلاف الفقيه الذي يعرف حكم الشريعة في السؤال ، ويروي قول الرسول (ﷺ) : «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيبيع فيأكل خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» ، وقوله : «لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يُبعث يوم القيامة وليس في وجهه مُزْعَةُ لحم» .

فإنه يستقي من ماء غير آسن ، وإذا قال شعراً في وجوب الاحتفاظ بالكرامة الشخصية فلا يكون إلا هكذا .

وحكى السبكي في الطبقات أن البرقاني كان يقول في صاحبنا النُّعَيمي : « هو كامل في كل شيء لولا بأوٌ فيه » . ونحن نقول حبذا البأوُ الذي يُملي على صاحبه هذه الأبيات الرائعة ...

ومن شعر عبد المهيمن الحضرمي وهو من شيوخ ابن خلدون ، وكان كاتب العَلاَمَة للسلطان أبي الحسن المَريني قوله ، وفيه لزوم على ما لا يلزم :

أبت همتي أن يراني امرؤٌ على الدهر يوماً له ذا خنوع
وما ذاك إلا لأنّي اتّقيت بعز القناعة ذلّ القُنوع

القنوع السؤال ، ومما حبّب لنا رواية هذين البيتين هنا أن صاحبها كان في حياته العملية عند قوله هذا ، ولم يكن متبجحاً بكلام لا ظل له من الحقيقة كما هي عادة الشعراء غالباً ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنهم في كل وادٍ يهيمُون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ فقد حدث أن السلطان أبا الحسن المَريني الشهير أغلَظ له القول ذات يوم ، وهو يلي كتابةَ علاَمتِه ، فأخذ عبد المهيمن القلم وكسره أمام السلطان وقال : « هذا الجامع بيني وبينك » ، وقام مغاضباً له ، فخجل السلطان وندم على ما صدر منه وترضّاه وأفضل عليه :

وهكذا صدّق فعلُه قوّله وطابقَ سلوكُه فخرَه ، وتلك هي أخلاق العلماء .

ونعرض للشعر المخصوص بالوصايا والحكم مكتفين بهذا القدر من شعر الفخر ، وللشافعي في الباب أبيات عامرة منها قوله في الإخوان المثاليّين :

أُحبّ من الإخوان كلّ مُواتِ وكلّ غضيضِ الطرف عن عثراتي
يوافقُني في كل أمر أريده ويحفظني حيّاً وبعد مماتي
فمَن لي بهذا ليتَ أني أصبتُه فقاسمتُه مالي من الحسنات
تصفحتُ إخواني فكان أقلَّهم على كثرة الإخوان أهلُ ثقاتي

ومنها في النصح العام :

دعِ الأيامَ تفعلُ ما تشاء ... وطب نفساً بما حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي ... فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلاً على الأهوال جلْداً ... وشيمتك السماحة والسخاء
ولا حزن يدوم ولا سرور ... ولا بؤس عليك ولا رخاء
ورزقك ليس ينقصه التأني ... وليس يزيد في الرزق العَناء
إذا ما كنتَ ذا قلب قنوع ... فأنت ومالك الدنيا سواء

ومنها في الحث على السفر :

ما في المُقام لذي عقل وذي أدب ... من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوَضاً عمن تفارقه ... وانصَبْ فان لذيذ العيش في النصَب
إني رأيت وقوفَ الماء يُفسده ... إن سار طاب وإن لم يسر لم يطب
والأُسْدُ لولا فراقُ الغاب ماافترست ... والسهمُ لولا فراق القوس لم يُصب
والتبْر كالتُّرب ملقىً في أماكنه ... والعُودُ في أرضه نوع من الحطب
فان تغرَّب هذا عزَّ مطلبُه ... وإن تغرَّب ذاك اعتزَّ كالذهب

إن هذه القِطع من شعر الشافعي أشهر من أن تُعرَّف فهي تجري على كل لسان ، وذلك لسهولتها وسلامة منطقها ، فالناس يتمثلون بها في كل مناسبة ، وتلامذة المدارس يستظهرونها لأنها مما يُلقَّنونه في محفوظاتهم ، ولذلك اقتصرنا عليها وإلاّ فان الأمر كما قال في الطبقات الكبرى : « ولا معنى للإكثار من ذكر شعر الشافعي رضي الله عنه وهو شيء قد طبَّق الأرض » .

ومن شعر أحمد بن المعدَّل السائر مسرى الأمثال :

ولستُ بنظار إلى جانب الغنى ... إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإني لذو صبر على ما ينُوبني ... وحسبك أن الله أثنى على الصبر

ومن شعر عبد الرحمن بن القاسم صاحب الإمام مالك . وقد شد الرحلة إلى لقاء الإمام بالمدينة من بلده مصر ، وهو كثير الإنشاد بين أهل العلم :

أقول وزَمَّتْ للرحيل ركائبي أعِدّي لفقدي ما استطعت من الصبر
أليس من الخسران أن لياليا تمرُّ بلا نفع وتُحسَب من عُمْري

ومقطعات العلماء في غرض الأدب والحكمة كثيرة ، بل إن منهم من لم يكن ينظم الشعر إلا في هذا الغرض ، كمنصور الفقيه وقد ترجمنا له وذكرنا نماذج من شعره ، ومحمود الوراق وهو ممن أكثر وأطاب في هذا الباب ، وكان من أهل العلم والرواية ، أخذ عنه ابن أبي الدنيا ، وتوفي في خلافة المعتصم ، ولإحسانه ، وشرف منزعه يكاد لا يخلو ديوان من دواوين الأدب من إنشاد مقطعاته الجميلة ، ونحن لموافقة المقصد نورد منها بعض العيون تقديراً لعَمَلِه الأدبي الجليل وإشاعةً لِنُصحه الخالص المثيل .

فمن ذلك قوله في التحذير من التتابُع في الذنوب :

يا ناظراً يرنو بعينيْ راقد ومشاهداً للأمر غيرَ مشاهد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي دَرْكَ الجنان بها وفوْزَ العابد
ونسيتَ أن الله أخرج آدماً منها إلى الدنيا بذنب واحد

وقوله وهو من الأمثال السائرة :

تَعصِي الإلهَ وأنت تُظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعتَه إن المحب لمن يُحب مطيع

وقوله في مداراة الأصدقاء :

دارِ الصديق إذا استشاط تغضّبا فالغيظ يُخرج كامنَ الأحقاد
ولربما كان التغضب باعثاً لمثالب الآباء والأجداد

وقوله في معنى كاد الفقر يكون كفرا :

لبستُ صروف الدهر كهلاً وناشئاً ... وجربتُ حالَيْه على العسر واليسر

فلم أرَ بعدَ الدين خيراً من الغنى ... ولم أرَ بعد الكُفر شراً من الفقر

وقوله في معنى إنما الأعمال بالخواتم :

أخاف على المحسن المتـــقي ... وأرجو لذي الهَفَوات المُسِي

فذلك خوفي على محسن ... فكيف على الظـــالم المعتدي

على أنَّ ذا الزيغ قد يستفيق ... ويستأنف الزيغَ قلبُ التقي

وقوله في الحض على الإنفاق :

تمتع بمالك قبـــل الممات ... وإلاّ فلا مال إن أنت متا

شقيتَ به ثم خلفتـــه ... لغيرك بُعداً وسُحقاً ومَقتا

فجادُوا عليك بزُور البكاء ... وجدتَ عليهم بما قد جمعتا

وأرهنتهم كل ما في يديك ... وخلَّوْك رهْناً بما قد كسبتا

وقوله في عدم عيب الفقر :

يا عائب الفقر أما تزدجِرْ ... عيبُ الغنى أكثر لو تعتبر

مِن شرف الفقر ومن فضله ... على الغنى لو صحّ منك النظَر

أنك تعصى كي تنـال الغنى ... ولستَ تعصى الله كي تفتقر

وبعد هذه النبذة من شعر الشيخ محمود الوراق نتعرض للون آخر من شعر أصحابنا الفقهاء في المواعظ والنصائح ، وهو مايوجهونه إلى أبنائهم خاصةً وإن كان مضمونه عاماً يصلح للجميع . إن هذا البحث يجب أن يأخذ بأطراف الموضوع وإن لم يستوعِبْهُ كلّ الاستيعاب . فمن الضروري أن نلم بهذا النوع من الشعر الحِكَمي ايضاً .

فمما اخترناه منه قولُ يَمُوت بن المُزَرّع النحوي الأديب الراوية المشهور ، ابن اخت أبي عثمان الجاحظ ، يوصي ولده المُهَلْهِل :

مهلهلُ قد شربتُ شطور دهري (١) وكالحني به الزمن العَنوتُ
وجاريت الرجال بكل ربْع فأذعن لي الحُثالة والرُّتوت (٢)
فأوجَعُ ما أجُنُّ عليه قلبي كريم عضه زمن بَعَنُوت
كفى حزناً بضيعة ذي قديم وأبناء الطريف لها التّخوت
وقد أسهرت عيني بعد غمض مخافة أن تضيع إذا فنيت
وفي لطف المهيمن لي عزاء بمثالك إن فنيت وإن بقيت
وإن يشتدّ عظمك بعد موتي فلا تقطعْك جائحة سَبُوت (٣)
تَجُبْ في الأرض وابغ بها علوماً ولا تلفتك عن هذا الدُّسوت
وإن بخل العليم عليك يوماً فذلّ له وديدنُك السكوت
وقل بالعلم كان أبي جواداً يقال فمن أبوك فقل يموتُ
تُقِرُّ لك الأباعد والأداني بعلم ليس يجحده البَهُوت

ومنه قول الشيخ أبي اسحق ابراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي ينصح ابنه أو ابن أخيه على ما قيل :

أبا بكر دعوتُك لو أجبتَا إلى ما فيه حظك إن عقلتا
إلى علم تكون به إماماً مطاعاً إن أمرت وإن نهيتا
ويجلو ما بعينك من عَشاها ويهديك السبيل إذا ضللتا
ينالك نفعه ما دمت حياً ويبقى ذخره لك إذا (٤) ذهبتا
وتحمل منه في ناديك تاجاً ويكسوك الجميل إذا اعتريتا
هو العَضْبُ المهنّد ليس ينبو تصيب به المقاتل إذا (٥) ضربتا

---

(١) أي جربته وعرفته .
(٢) الرؤساء .
(٣) قاطعة .
(٤) و (٥) لعلها « إن » ليستقيم الوزن . (لجنه المجلة)

وكنز لا تخاف عليه لصاً خفيف الحمل يوجد حيث كنتا
يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفاً شددتا

إلى أن يقول :

وإن أوتيتَ فيه طويلَ باع وقال الناس إنك قد سبقتا
فلا تأمنْ سؤال الله عنه بتوبيخ : عَلِمْتَ فهل عَمِلْتا ؟
فرأس المال تقوى الله منا وليس بأن يقال لقد رأستا
وأحسن ثوبك الإحسانُ لا أن ترى ثوبَ الإساءة قد لبستا
إذا ما لم يُفدك العلم خيراً فخير منه أن لو قد جهلتا
وإن ألقاك فهمك في مهاوٍ فليتك ثم ليتك ما فهمتا

وهي قصيدة طويلة نجتزىء منها بهذا القدر ، ونلاحظ أنها مع وصية يموت ابن المزرع تعبر عن أُبوة حانية واهتمام شديد بمستقبل الولد الناشيء ، وحرص على حيازة جميع الخير له وجعل طلبه العلم هو أول ما يهتم به الناشيء ، ولعل ذلك مما تمتاز به عن نصائح الشعراء لأولادهم ، فان العلم في الإسلام من أهم الواجبات ، ولهذا يأخذ به المشائخ أولادهم ، وذلك إلى ما تُركِّز عليه النصحَ من تقوى الله والعمل بالعلم وعدم الافتتان بالدنيا ، وقد خلصت هذه الروح إلى عصرنا هذا فتأثر بها من قال شعراً في وصية ابنه من أهل العلم كالمرحوم عبد الله باشا فكري في أبياته المشهورة :

إذا نام غِرٌ في دجى الليل فاسهر وقُمْ للمعالي والعوالي وشمر

وأخيراً نومىء إلى مُطوّلات أصحابنا الفقهاء الأدباء في الوصايا والحكم ، التي ضاهَوْا بها أحسن مطولات الشعراء وفاقوها بما مزجوا به نصائحهم من مبادىء التربية العالية التي تحرص على تهذيب النفوس وإحياء الضمائر وفتح القلوب الغُلْف لما جاء به الإسلام من خير وبِرّ وإحسان .

وفي طليعة هذه المطولات نونية أبي الفتح البُسْتي الرائعة التي لا كفاء لها في الحسن والجمال ، فقد جمعت إلى النصائح الغالية والآداب الرفيعة متانة الأسلوب والتفنن في الأداء مما يجعلها فريدة في بابها . وكان البستي من مشائخ العلم والرواية فضلاً عن رسوخ قدمه في الأدب ، سمع الكثير من ابن حِبَّان وروى عنه الحاكم وغيره ، وكان صديقاً لأبي سليمان الخطابي الذي سبقت ترجمته .

ونحن لا نروي مطولة أبي الفتح كلها لاشتهارها وعدم خُلُو أيّ ديوان أدبي منها ، ولكنا نحب أن نضع اصبع القارئ على أبيات منها تثبت ما قلناه صدرَ هذا البحث فيما يمتاز به شعر الفقهاء الحِكْمي من كونه يحوي زبدة الآداب والأخلاق التي أتى بها الشرع وحسَّنَها العقل ، وإن كان جميع ما قدمناه من كلامهم يدور في هذا الفلك . فمنها المطلع الذي يقول فيه :

زيادةُ المرء في دنياه نقصانُ ... وربحه غيرَ محض الخير خسرانُ
وكل وجدان حظ لا ثبات له ... فان معناه في التحقيق فقدانُ

إن التزهيد في الدنيا من مقاصد الدين ، أيّ دين كان ، ولكن عَرْضه في شكل عملية حسابية كهذه الصورة التي قدمها لنا البستي في مطلع مطولته هو من نتائج الفكر الفلسفي ، وبذلك يكون مزج بين التعاليم الشرعية والوضعية ليخرج هذا المطلع البارع .

ويتمادى صاحبنا في مزج الحكم الفلسفية بالنصائح الدينية فيقول :

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... وتطلب الربح فيما هو[1] خسرانُ
أقبِلْ على النفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ

ويأتي بعد ذلك بجملة من الأبيات تتضمن حِكَماً عمليـــة في السلوك

(١) لعلها : فيه . (لجنة المجلة)

والأخلاق يبتدئها بقوله من يفعل كذا يلق كذا فتذكرنا أبياته هذه بنظيرتها في معلقة زهير الذي حكم له عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه أشعر الناس لتلك الأبيات التي يقول فيها ومن ومن . وكُنا حَريِّين أن نعقد مقارنة بين أبيات زهير وأبيات صاحبنا لولا مراعاة الأدب اللازم لمقام الخليفة الثاني وحُكمه .

ثم يقول البُستي جامعاً بين قولهم (رأس الحكمة مخافة الله) والآية الكريمة : ﴿ كلاّ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ في بيت واحد محكم البناء حسن التصوير :

هُما رضيعا لِبانٍ حكمةٌ وتُقى ... وساكنا وطنٍ مال وطغيان

ويُلمّح إلى الوصية التقليدية وهي العلم والعمل فيقول في إيحاء جميل :

يا أيها العالم المرضيُّ سيرتُه ... أبْشِرْ فأنتَ بغير الماء ريّان

ويا أخا الجهل لو أمسيت في لجج ... فأنت ما بينها لا شك ظمآن

ويختم بهذا البيت الفذّ الجامع :

وكلُّ كسْر فان الدين يجبُره ... وما لِكَسر قناة الدين جَبْران

وهناك مطولة ثانية سارت كل مسار واشتهرت أي اشتهار ، وهي لأحد أدباء الفقهاء أيضاً نعني به القاضي عمر بن الوردي ، وتعرف بلامية ابن الوردي أو بأول كلمة منها وهي (اعتزل) لأنها تبدأ هكذا :

اعتزل ذكر الأغاني والغَزل ... وقُلِ الفَصْل وجانب مَن هَزل

ويغلب على هذه المطوّلة طابَعُ الحكمة العربية المُطعَّمة بتعاليم الدين ، فهي بعد هذا المطلع الذي يبين عن نظرة فقهية إلى الغناء وما يليه ، تؤكد على الإعراض عن حياة اللهو والمجون وتحذر من الاستهتار في الهوى والتصابي ، وإن كان قد لوحظ على ابن الوردي أنه في بعض أبيات هذا القسم يُعَدُّ مُغْرِياً بعض ما حذّر منــه أكثر منه مُحذِّراً . ثم تنهج المطولة نهج

الحكمة العربية في الاعتبار بالماضين وإتيان الموت على الأولين والآخرين :

كتَبَ الموتَ على الخلق فكم فلّ من جيش وأفنى من دول
أين نمرودُ وكنعانُ ومن ملك الأرض وولّى وعزل

وتعرّج بعد ذلك على الوصية بطلب العلم والتفنن فيه ، والاشتغال بالأدب وعدم ابتذاله وتقول :

أنا لا أختار تقبيل يد قطعُها أجمل من تلك القُبل
مُلك كِسرى عنه تغني كِسْرة وعن البحر اجتزاء بالوَشل

ثم تنبه على سخافة الافتخار بالأصل والفصل في هذه الأبيات المعبّرة :

لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرء من غير أب وبحسن السبك قد يُنفي الزغل
قيمةُ الإنسان ما يحسنه أكثرَ الإنسان منه أو أقل

ثم تشير إلى مسؤولية الحكم وتنفّر منه بهذين البيتين السائرين :

لا تلِ الحكم وإن هم سألوا رغبةً فيك وخالف من عذل
إن نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا إن عدل

وبعد وصايا أخرى عامة يختم ابن الوردي مطولته بهذه الأبيات متحدثاً عن شخصه :

أيها العائب قولي عبَثاً إن طيبَ الورد مُودٍ بالجُعَل
عدّ عن أسهم لفظي واشتمل لا يُصيبنّك سهم من ثُعَل
لا يغرنّك لين من فتى إن للحيات ليناً يُعتزل
أنا كالخيزُور صعب كسره وهو لدْن كيفما شئت انفتل
غيرَ أني في زمان مَن يكُن فيه ذا مال هو المولى الأجل
واجبٌ عند الورى إكرامُه وقليلُ المال فيهم يُستقَل
كلُّ أهل العصر غُمْر وأنا منهم فاترك تفاصيل الجمل

وهذا حكم خطير واعتراف أخطر منه . ونشير إلى أن لامية ابن الوردي بالخصوص تعطي صورة غير مرضية عن عصره ومجتمعه ، وبما أن هذا الجانب لا يهمنا فإننا لم نتعرض له .

وبجمل القول فان ما أوردناه في هـــذا الباب من شعر الفخر وشعر الآداب والأخلاق ، كله مما يشهد لأصحابنا الفقهاء بقوة العارضة في الأدب ، ورسوخ الملكة في الشعر ، ويجعلهم يقفون في صف كبار الأدباء والشعراء من غير طبقتهم ولا يترك مجالاً لانتقاد يميز كلامهم من كلام عامة أهل الأدب وقالة الشعر إلا انتقاداً مُغرضاً لا نصفةَ فيه .

عبد الله كنون



نظرات في المعجم الوسيط

- ١٥ -

عاشراً : تعريف الملل والنحل والمذاهب المختلفة (*)

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
المِلَّة	الشريعة أو الدين ، كملَّة الإسلام والنصرانية ؛ وهي اسمٌ لما شرعَ الله لعباده بوساطة أنبيائه ليتوصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة . و ـــ الدّية . (ج) مِلَلٌ .	هذه التعريفات وردت في المعجم الوسيط ، وهي إلى جانب عدم تنسيقها كوحدة تستعمل في موضوع واحد ، ترد عليها ملاحظات عديدة أهمها : ١ ـــ المِلّة في العربية : السّنة والطّريقة ، ومن المجاز المِلّة : الطريق المسلوكة ، ومنه : مِلّة إبراهيم عليه السلام خير الملل ، ومن ذلك كلّه : المِلّة : الشريعة أو الدين ، وصاحب

(*) ليس المقصود من نظراتنا في هذه النبذة ، نقد التعريفات الواردة في المعجم الوسيط فحسب ، بل المقصود جمع ما وقع نظرنا عليه من تعريفات متعلقة بموضوع واحد ليتمكن الناقد من ملاحظة الاختلاف في تعريف الكلمات المتماثلة ، من حيث الصياغة ، أو من حيث انتقاء ألفاظ كل تعريف منها ، وذلك بسبب النقل عن معجمات مختلفة ، أو بسبب تعدد واضعي التعريفات ، وللاحظة النقص الواجب تلافيه ، أو الزيادة الممكن الاستغناء عنها في الطبعة القادمة ، ومن كمال صنع المعاجم في العصر الحديث ، بعد التخطيط لها بحسب نوعها والغاية منها ، تعاون عدد من العلماء المختصين كل حسب اختصاصه ، في وضع التعريفات المختلفة ، ثم انفراد الواحد منهم في الإشراف على تنسيق التعريفات المتعلقة بالموضوع الواحد ، ليكون العمل دقيقاً متكاملاً ومنسجماً بعضه مع البعض الآخر .

القاموس يشير إلى ترادف الكلمات الثلاث ، أما الراغب فقال : المِلّة : اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به إلى جواره ، والفرق بينها وبين الدّين ، أن المِلّة لا تضاف إلا للنبي الذي تستند إليه ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى ولا إلى آحاد الأمة ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها .

من هذا نجد أن المعجم الوسيط أغفل بعض معاني الكلمة الأصلية ونقل شرحاً يمكن الاستغناء عنه . ولقد كان من المستحسن أن يكون التعريف كما يلي :

المِلّة : السّنة والطريقة أو الطريق المسلوكة .
و ـــ الشّريعة أو الدّين . و ـــ الدِّية .
(ج) مِلَلٌ .

النِّحْلَة .. الدّينُ والعقيدة ؛ يقال : ما نِحْلَتُك ؟

٢ — النِّحْلَةُ في الأمهات : الدَّعْوى ، والدّيانة ويقال ما نحلتك أي ما دينك ؟ والنِّحلَة : المذهب ، يقال ـ كما في المعجم الوسيط ـ انْتَحَلَ مذهبَ كذا : أي انتسب إليه ودان به .

لقدأغفل المعجم الوسيط بعض معاني هذه الكلمة، وكان من المستحسن أن يكون تعريفها كما يلي:

النِّحْلَة ... الدَّعْوَى و ـــ الدّينُ والعقيدة والمذهب .

الدِّين ما يتديَّن به الإنسان . و ـــ اسم لجميع ما يُعبد به الله . و ـــ المِلَّة . و ـــ الإســـلام . . . .

٣ ـ كلمة (دين) في العربية ذات معان كثيرة وكلّها ـ كما يقول ابن فارس ـ ترجع إلى جنس من الانقياد والذّل ، وقد فات المعجم الوسيط إثبات بعضهـــا ، رغم أنه أشار إلى أكثرها ، إنْ في تعريف الكلمة أو في تعريف كلمة (دينة) أو عند الـكلام على فعل (دان) ، ومن ذلك المعاني التالية ،

الدِّين . . . الغَلَبَة . و ـــ القَهْر . و ـــ الإكراه . و ـــ الدَّاء . و ـــ الذّل . و ـــ الجزاء . و ـــ العبادة . و ـــ الطاعة . و ـــ الاستعلاء . و ـــ المواظب من الأمطار أو اللين منهـا .

الشَّرْعُ الطريقُ . و ـــ ماشرعه الله تعالى ....

الشَّريعة ما شرَعه الله لعباده من العقائد والأحكام .. .

٤ ـ نقل المعجم الوسيط تعريف الشَّرْع والشَّريعة عن المعجمات القديمة ، وكان من المستحسن أن يضاف إلى التعريف المعنى الذي آلت الكلمات إليه ، فيصبح تعريفها كما يلي :

الشَّـرْعُ : الشَّريعة . و ـــ الطريقُ . . .

الشَّريعَةُ : ما شرَعه الله لعبـاده ، و ـــ مجموعة القواعد والأحكام الملزمة .

و ـــ علم على الشَّريعة الإسلامية ...

المَذْهَبُ الطريقة . و ـــ المعتقد الذي يُذْهَبُ إليـه . و ـــ (عند الفلاسفة) : مجموعـــة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضهـــا ببعض ارتباطاً يجعلهـا وحـدة منسقة . (مج) .

٥ — أحسن المعجم الوسيط باثبات تعريف حديث لكلمة (مذهب) ، غير أن التعريف المذكور لا يرد عند الفلاسفة فحسب ، فالمذاهب معروفة في العلوم والفنون على اختلافها ، لذا فمن الدّقة لو أبدل المعجم بقوله : (عند الفلاسفة) القول : (عند العلماء) أو (في العصـــر الحديث) .

الطَّرِيقَةُ الطَّـريق . و ـــ السِّيرَةُ . و ـــ المذهب ...

٦ — في تعريف كلمة (الطَّريق) أثبت المعجم الوسيط المعنى التالي : مسلك الطائفة من المتصوّفة ، وكان من المستحسن أن يثبت في تعريف كلمة (الطَّريقة) أنهـــا : و ـــ إحدى الطرق الصُّوفيّة .

الفِرْقَةُ الطائفة من النـــاس ؛ يقال : فِرْقَةُ التمثيل ، وفِرْقة الألعـــاب ، وفرقة المطافئ ...

٧ — تعريف كلمة (الفرقة) تنقصه الدّقة . وكان من المستحسن أن يكون كما يلي :

الفِرْقَةُ : الطائفة من الناس تدين برأي أو مذهب واحد . و ـــ مجموعـة من الأفراد يشتركون أو يقومون بعمل واحد ؛ يقال : فِرْقَةُ التمثيـل الخ ...

الطَّائِفَةُ الجماعةُ والفِرْقَةُ . . . و ـــ جماعةٌ من الناس يجمعُهُمْ مذهبٌ أو رأيٌ يمتازون به ...

المَدْرَسَةُ ... و ـــ المَذْهَبُ (مو) . يقال : هو من مدرسة فلان : على رأيه ومَذْهَبِهِ .

٨ ـ لقد كان من المستحسن أن يضاف إلى معنى كلمة (مدرسة) المُولّد ، المذكور في المعجم الوسيط ، المعنيان التاليان : و ـــ الطريقة . و ـــ السلوك .

الإسلامُ «في الشرع» : إظهار الخضوع والقبول لما أتى به محمد ﷺ .

النَّصْرانيَّة دين المسيح عليه السلام .

النَّصْرَانيُّ من تعبّد بدين النَّصرانية . .

المَسيحُ عيسى بنُ مريم عليه السلام .

المَسيحيُّ المنسوب إلى دين المسيح عليه السلام .

الهُودُ اليهودُ .

الأديان السماوية ثلاثة : الإسلام والنصرانية واليهودية ، وجاء التعريف بهذه الأديان واتباعها في المعجم الوسيط متفاوتاً غير منسق ، فتعريف (الإسلام) جاء كما يعرّف في «الشرع» دون أي ذكر لكلمة (مسلم) ، بينما عرفت (النصرانية) بأنها دين المسيح عليه السلام ، و (اليهودية) بأنها ملة اليهود .

لقد كان من المستحسن أن ترد التعريفات المتعلقة بالأديان الثلاثة ، في مثل المعجم الوسيط ، متماثلة ، كأن تكون كما يلي :

المُسْلِمُ : واحدُ المسلمين .

الإسْلامُ : دين أتباع محمد ﷺ .

اليهودُ بنو إسرائيل . قيل إنّهم سُمّوا كذلك باسم يهوذا أحد أبناء يعقوب .	النَّصْرانيُّ : واحدُ النصارى .
	النَّصْرانيَّةُ: دين أتباع المسيح عليه السلام .
اليهوديُّ واحد اليهود . و ـــ المنسوب إلى اليهود ..	اليهوديّ : واحد اليهود .
اليهوديَّة ملّة اليهود .	اليهوديَّة : دين أتباع موسى عليه السلام .
اليَهُوذِيُّ اليهودِيُّ	

الحَنَفِيُّ تابع مذهب أبي حنيفة ، وهم الحنفية . (ج) أحنافٌ .	المذاهب المتمدة عند أهـــل السُّنَّة من المسلمين أربعة هي : مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، ومذهب الإمام مالك بن أنس ،
تحنّف انتسب إلى مذهب « أبي حنيفة » .	ومذهب الإمام محمـــد بن إدريس الشافعي ، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل ؛ ومن التدقيق
الحَنْبَلِيُّ من يقلّد مذهب الإمام أحمد بن حنبل . (ج) حنابلة . و ـــ المتشدّد في رأيه وسلوكه . (محدثة) .	في تعريفات المعجم الوسيط نلاحظ الأمور التالية : أولاً : لم يرد أي ذكر لمذهب الإمام مالك بن أنس في مواد المعجم ، بينما وردت الإشارة إلى مذهب الإمام الشافعي في كلمة (تشفّع) فقط ، أما مذهبا الإمامين
تَحَنْبَلَ قلّدَ الإمامَ ابن حنبل في مذهبه . ويقال :	أبي حنيفة وأحمد بن حنبـــل فقد ذُكرا مرتين !

تحنبل فلانٌ : تشدّد في رأيه وسلوكه (محدثة) .

تَشَفَّعَ تمذهب في الفِقْه بمذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي .

السُّنَّةُ .. وأهل السُّنَّة : هم القائلون بخلافة الشيخين عن استحقاق ، وهما أبو بكر وعمر ؛ ويقابلهم الشيعة .

ثانياً : فقد الإمام الأعظم أبو حنيفة « إماميته » في المعجم ، بينما احتفظ بها الإمامان الآخران !

ثالثاً : استعملت في التعريفات المذكورة ألفاظ مختلفة لمعانٍ واحدة بدون أي موجب ، فالتحنّف انتساب ، والتّحنبل تقليد ، والتشفع تمذهب !

رابعاً : لقد عُرف الإمام أحمد بن حنبل بشدته في التمسك بالنصوص ، والتمسك بالنصوص مزية في الشرع ، واستمار (العامة) كلمة « الحنبلة » لوصف التشدد في الرأي والسلوك ، ويغلب أن يكون التشدد بالرأي الشخصي عيباً من أهم العيوب ، ومع هذه المفارقة كان من المستحسن ، وقد أثبت المعجم الوسيط المعنى المستعار ، أن يشير إلى مزية الإمام أحمد بن حنبل تنزيهاً له عن العيب المستفاد من الفعل المشتق من اسمه .

(يتبع)

عدنان الخطيب

أبو يعقوب الخُرَيْمي

- ٢ -

(٦)

أما عن شعره فقد عد من رواته الجاحظ وأحمد بن عبيد بن ناصح ، وذكر ابن النديم للخريمي ديواناً في مئتي ورقة [١] . وقال ابن عساكر : « له ديوان معروف » [٢] ويبدو أنه كان معروفاً لدى الخاصة ، ولم يكتب له ذيوع وانتشار ، ولم تتعدد نسخه ، لأننا لا نعلم عنـه شيئاً غير هاتين الكلمتين ، ولا بد من أنه اختفى مبكراً كما اختفى ذكر الشاعر والحديث عنه ولم يكن له حظ من الشهرة [٣] .

لهذا ، كان على الباحث الحديث أن يجمع ما بقي للخريمي من شعر متناثر هنا وهناك في بطون عشرات الكتب ، وقد تتوفر ، كما رأينا ، « كمية » لا بأس بها . وإنا إن كنا نأسى على أن لم يكن للخريمي مكان لدى الأصبهاني ، فقد رد علينا بعض العوض الطبري في روايته للرائية كاملة ، ثم الحصري في بائية ولامية ، ثم ابن عساكر وفضله جليل .

---

(١) ابن النديم ١٦٤ ـ وهو بهذا يعدل ديوان مسلم بن الوليد .

(٢) ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ ـ ولا تدل جملة الأشعار التي أوردها له أنه يستقي من الديوان .

(٣) ينظر ابن رشيق ١ :

ولئن اختلفت بعض الروايات في نقل الشعر ، فان ذلك قليل ، وإن جملة ما وصل إلينا موثوق النسب إلى صاحبه ؛ ولم يُختلف إلاّ في قصيدتين : الأولى يمكن أن تكون له فقد ذكر ابن المعتز وهو يتكلم على الخريمي أنه « هو القائل يفتخر :

ثِقي بجميل الصبر مني على الدهر ولا تثقي بالصبر مني على الهجرِ

أصاب فؤادي بعد خمسين حِجّةً عيون الظباء العفر في البلد القفر

ثم ذكر ثمانية أبيات وقال : « وقد روى قوم هذه القصيدة لأبي سعد قوصرة ، وليست بشيء وإنما هي للخريمي »[1] .

أما الثانية ، وعدتها سبعة أبيات ، ومنها :

وناديتُ من مروٍ وبلخٍ فوارساً لهم حَسَبٌ في الأكرمين حسيبُ

* * *

وإن أبي ساسانُ كسرى بن هُرْمُزٍ وخاقان لي ــ لو تعلمين ــ نسيب

فان النقد الداخلي والخارجي ينفي كونها للخريمي ويدل على تسرع في نسبتها إليه ، وتحميله بذلك من الشعوبية ما يسهل أن يُستنبط منها ، لأنها لم ترد في مصدر قديم أو شبه قديم وإنما رواها ، أو روى بعضها ، أناس متأخرون جدًّا ، أقصد إلى أنهم من معاصرينا أمثال أحمد أمين وأحمد الشايب ومحمد نبيه حجاب وأحمد محمد الحوفي[2] ؛ ومنهم من لم يرجعها إلى مصدر ،

---

(١) ابن المعتز ٢٩٣ ــ ٢٩٤ . وقد يضعف من نسبتها إلى الخريمي انها لا تدل على مجموع نفسه ، وإن داعي فخره ودفاعه « عن لؤي بن غالب » ضعيف . وأبو سعد قوصرة هو عيسى بن خالد الذي ادّعى انه من بني مخزوم ينظر عنه ابن المعتز ٢٩٥ وما ملق به محقق كتابه ٤٩٨ ، ٥١٧ . وقد ذكر ٤٩٨ أن نسبة القصيدة تنوزعت بين المغل بن غيلان وأبي سعد وأعرابي من طيىء .

(٢) أحمد أمين ١ : ٦٦ ، الشايب ٢٣٣ ، حجاب ٣٠٦ ، الحوفي ٤٥١ .

ومنهم من أرجعها إلى « الشعر والشعراء » لابن قتيبة [١]، ولكنك إذا عدت إلى هذا الكتاب لم تر أبياتاً للخريمي من هذا النوع ولم تجدها لأي شاعر آخر . ثم إن الأبيات تدل على أن ناظمها « فارسي » يفخر بكسرى . وما كان الخريمي (الصغدي التركي) كذلك .

وليست القصيدة ، بعد ذلك ، بذات بال فنياً ، ولا تدل على النفس الذي عودنا إياه الشاعر « المفترى عليه » فأين هي مثلاً من لاميته التي قال فيها :
« أبالصُّغْدِ بأسٌ إذْ تُعَيِّرُني جُمْلُ » .

★ ★ ★

إذا نظرنا في هذا الذي اجتمع لدينا من شعر الخريمي وأخباره رأينا أن الشاعر لم يكن مقلاً وأنه خاض فيما خاض فيه معاصروه من قضايا وقال فيما قالوا فيه من أغراض ؛ وأنه قد تميز ، أكثر ما تميز ، بالمدح .

وكان المدح الوسيلة التي يكسب بها قوته بل يكسب بها ما زاد على القوت من مال وجاه ، وانه بعد أن مرّ بدور غير قصير من التجربة والخطأ ، وقصد بدافع الحاجة مَنْ لا يستحق القصد فدعاه ذلك إلى شكوى الزمان ، بلغ عثمان الخريمي فاستنّ له طريقاً في المدح قائمة على الاقتصار على الكرام نفساً ويداً ، وعلى التقرب منهم حتى يصبح رفيقاً أنيساً عندهم . وصديقاً أثيراً لديهم ، وهم يحققون له رغبته دون أن يبذل ماء وجهه .

---

(١) حجاب ، الحوفي .
وألمح بروكلمان ٢ : ١٩ ، برون ١ : ٢٦٨ إلى هذه القصيدة (البائية) منسوبة إلى الخريمي . ومن يدري فقد يكون الأصل في الخطأ يرجع الى كولدزيهر ، فهو من أقدم من بحث في الشعوبية وذكر الخريمي في كلامه بكتابه « دراسات إسلامية » المطبوع في Halle بمجلدين عام ١٨٨٩ - ١٨٩٠ (وإليه أشار برون عندما أطلق حكمه ، ومثله بروكلمان) .

وكان يزجي المدح إليهم في مناسبات شتى فيجوّد ويعجب وتسير أبياته لما تحتوي صياغتها العالية من معان طريفة مبتكرة حيناً ، ومولّدة أحياناً ، وهي سائرة ، في كل حين ، على النهج العربي المألوف للشعر المختار فتكون بذلك استمراراً للتراث وجزءاً منه . ولا بد من أن كبار الشعراء كانوا يعجبون بها وقد يتأثرون ولا نقول يسرقون .

وإذ يقول الخريمي :

شَفَعَتْ مكارمُه لهم فكفتْهُمُ جُهْدَ السُّؤال ولطفَ قولِ المادحِ

يقول أبو تمام :

طوى شِيَماً كانت تروح وتغتدي وسائلَ من أعْيَتْ عليه وسائلُهْ

ويقول المتنبي :

إذا عرضتْ حاجٌ إليه فنفسُهُ إلى نفسه فيها شفيعٌ مشفَّعُ (١)

وإذ يقول الخريمي :

زاد معروفَك عندي عِظماً أنه عندك مستور حقير

تتناساه كأنْ لم تأتِهِ وهو عند الناس مشهور خطير

يقول المتنبي :

تظنُّ من فقدك اعتدادَهم أنّهُمُ أنعموا وما علموا (٢)

وإذ يقول الخريمي :

كأنَّ عليه الشُّكرَ في كلِّ نعمةٍ يقلّدُنيها باديًا ويُعيدها

(١) القاضي الجرجاني ٣٢١ ، التبيان ٢ : ٢٤٣ .

(٢) القاضي الجرجاني ٣٥٤ ، التبيان ٤ : ٦٥ . وينظر القاضي الجرجاني ٣١١ ، ٣١٢ ؛ التبيان ٣ : ١٨٧ .

يقول المتنبي :

من القاسمين الشكر بيني وبينهم لأنّهمُ يُسدى إليهم بأن يُسدوا [(١)]

ويتصل بمدح الخريمي ذكره الممدوح بعد مر الزمان كما فعل في لامية أثنى بها على عثمان الخريمي وهو يعاتب الوليد بن أبان :

.. جزى الله عثمان الخريميَّ خيرَ ما جزى صاحباً أجزلَ المواهبِ مُفضِلا

كفى جفوةَ الإخوانِ طولَ حياتهِ وأورثَ مما كان أعطى وخوّلا [(٢)]

ويتصل به التشوق إلى الممدوح إذ يبعد عنه كما فعل في بائيته التي بعث بها إلى الحسن بن التختاخ في مصر [(٣)] .

ثم إنه يرثي ممدوحيه بشعر حسن فيه أسف ولوعة وفيه ذكر حسن وإطراء . فإذ يموت هؤلاء الذين يألفهم ويتقرب في مجلسهم وينال عطاءهم يؤلمه الفقد ويحزنه ويبعثه على الوفاء . وقد رثى كثيراً على النهج الذي سار فيه لدى المديح وعلى مألوف العرب في اللفظ والمعنى ، وإذا خرج عنه في الاستعارة فانه لا يخرج إلاّ قليلاً قليلاً بحيث لا يحسن ؛ وقد سارت له في الرثاء أبيات وقصائد . ولنا أن نستعيد العينية الثانية التي قالها في خريم ابن أبي الهيذام لنرى تمكنه لغةً ونصاعةً ومعنىً وعاطفةً وصورةً ؛ إنها أبيات لا تصدر إلاّ عن شاعر كبير وقد أعجبت الشعراء والنقاد والباحثين على مر العصور .

---

(١) القاضي الجرجاني ٣٧١ ، التبيان ٢ : ٢٠٧ ، وينظر التبيان ٢ : ٢٨٧ .

(٢) روى القصيدة الحصري ٢ : ١٠٧٠ ـ ١٠٧١ ، وذكر ابن قتيبة البيتين ٢ : ٧٣١ قائلاً : « ولعثمان يقول أبو يعقوب » والصحيح أن يكون « وفي عثمان يقول أبو يعقوب » لأنه لم يوجه كلامه الى عثمان .

(٣) رواها الحصري ٢ : ١٠٧٢ ـ ١٠٧٣ .

« قال أحمد بن عبيد .. مات حُميد الطوسي فرثاه علي بن جَبلة ، فلقيته فقلت له : أنشدني مرثيتك حُميداً ، فأنشدني :

نعاء حميداً للسرايا إذا غَدَتْ تذادُ بأطراف الرماح وتوزع

حتى إذا أتى على آخرها .. قلت له : ما ذهب على النحو الذي نحوته يا أبا الحسن ، وقد قاربتَه وما بلغته . فقال : وما هو ؟ فقلت : أردت قول الخريمي في مرثيته أبا الهيذام [كذا] :

وأعددتُه ذُخراً لكلّ مُلمةٍ وسهْمُ المنـــايا بالذّخائر مولع

فقال : صدقتَ والله ، أما والله لقد نحوتُه وأنا لا أطمع في اللحاق به ، لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراده ما كان يطمع أن يقاربه في هذه القصيدة »(١) .

« وذكر أحمد بن عبيد بن ناصح أنه قال لأبي تمام ، وكان يجيء المسجد الجامع ينشد أشعاره ... أخبرْني عن قولك :

كأنّ بني نبهـــان يوم وفاته نجوم سماء خرّ من بينها البدر

أردتَ أن تصف حُسن حالهم بعـــده أو سوء حالهم ؟ قال : لا والله ، سوءَ حالهم ، لأن قمرهم قد ذهب . فقلت : والله ما تكون الكواكب أحسن

---

(١) الأصبهاني ١٨ : ١١٣ ـ ١١٤ . وقد جاء في الرواية : « .. حتى إذا أتى على آخرها فقلت له » والمناسب أن يقول « حتى إذا أتى على آخرها قلت » أو « .. حتى أتى على آخرها فقلت » . وورد كذلك : « في مرثيته أبا الهيذام » ولعل المناسب أن يقول « في مرثيته ابن أبي الهيذام » .

وعلي بن جبلة هو الشاعر المعروف بالعكوك مدح أبا دلف وحميد الطوسي ... توفي سنة ٢١٣ . ينظر عنه ابن قتيبة ٢ : ٧٤٢ ـ ٧٤٦ ، ابن المعتز ١٧١ ـ ١٩٣ ، ٥١٣ ـ ٥١٦ ، ... زيدان ـ تاريخ آداب اللغة العربية ط ٢ ، ٢ : ٩٩ ـ ١٠٠ .

حالاً إلاّ إذا لم يكن معها قمر ، ألا قلتَ كما قال أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي :

بقية أقمار من الغُرّ لو خبت لظلّت معدٌ في الدُّجى تتسكّعُ
إذا قمرٌ منهم تغوّر أو خبا بدا قمر من جانب الأفق يلمع

قال : فوجم وسكت »[1] .

وكان « محمد بن يزيد يقول : لو سُئلتُ عن أحسن أبيات تعرف في المراثي لم أختر على أبيات الخريمي :

ألم ترني أبني على الليث بيتَهُ وأحثو عليه الترب لا أتخشّعُ
وأعددته ذخراً لكلّ مُلِمّةٍ وسهم المنايا بالذّخائر مولع
وإني ، وإن أظهرت مني جلادة وصانعتُ أعدائي ، عليه لموجع
ولو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتُهُ عليه ، ولكنْ ساحةُ الصبر أوسع »[2]

ولا بد من أن يكون المتنبي قد وقف على هذه العينية وأعجب بها وتأثر فألم أو أخذ[3] .

هذه العينية من روائع الشعر العربي ، وهي تشهد بأن الخريمي من شعراء الرثاء المجيدين . ولكن معاصري الشاعر لاحظوا تفوق مديحه على رثائه فاستغربوا وسألوه في أكثر من مناسبة ، وكان يجيب جواباً يكاد يكون

(١) المرزباني ـ الموشح ٣٠٦ ـ ٣٠٧ : « قال أحمد بن محمد الحلواني ، ذكر أحمد ابن عبيد .... » وينظر المرزباني ـ الموشح ٣٢٣ : « أخبرني الصولي قال ، عاب قوم على أبي تمام قوله : .. » وينظر القاضي الجرجاني ٢٠٣ .

(٢) العسكري ـ ديوان ٢ : ١٧٥ « وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى » . واسم المبرد محمد بن يزيد ـ وهو من المكبرين لشعر الخريمي .

(٣) ينظر القاضي الجرجاني ٢٠٤ ، ٣٢٠ ، ٣٣٦ ، التبيان ٣ : ١٠ ، ٣ : ٣٣٣ .

واحداً : «كنا يومئذ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد»[(١)] .

★ ★ ★

ونظم الخريمي في أغراض أخرى ، وإذا لم يكن فيها ذا مكانة خاصة فان له في بعضها ما تحسن الإشارة إليه ، ففي الفخر إذ دافع عن نسبه وامتدح شعره تحدث عن حسن الضيافة ببيتين سارا مثلاً وكأنهما انموذج الفخر للكرم العربي وقد أثبتها أبو تمام على رأس الباب من كتاب « الوحشيات » وتناقلها الناس من بعده وتداولتها الكتب ، وهما :

أضاحكُ ضيفي قبل إنزال رحلهِ ويُخصِبُ عندي والمحلُّ جديبُ
وماالخصبُ للأضيافِ أن يكثُرَ القِرى ولكنّما وجه الكريم خصيبُ[(٢)]

وفي الحكمة ورد له البيت والبيتان ، وحاول أن يظهر بمظهر الحكيم الذي يضع آراءه العامة في قالب مخصوص ، ولكنه لم يعدُ المعاني المألوفة في الشعر العربي فأخرجها المخرج المألوف دون تميُّز وإبداع ، وإذ قيل إن المتنبي تأثر بهذا القول أو ذاك ، وقيل انه إذ قال :

إذا لم تكن نفس النسيب كأصله فماذا الذي يغني كرام المناصب

فقد قال الخريمي قبله :

إذا أنتَ لم تحمِ القديم بحادثٍ من المجد لم ينفعْكَ ما كان من قبل[(٣)]

---

(١) ينظر ابن قتيبه ١ : ٢٣ – ٢٤ ، ٢ : ٧٣٢ ؛ ابن المعتز ٢٩٣ ، ابن الجراح ١٠٣ ، ابن عبد ربه ٥ : ٣٢٧ ، الجهشياري ٢٦٨ . . . وينظر الأصبهاني ١٨ : ١٧٠ . ورأي البحتري يخالف رأي الخريمي ، فقد كانت مراثيه في أبي سعيد محمد الثغري وولده « أجود من مدائحه وروي أنه قيل له في ذلك فقال من تمام الوفاء أن تفضل المراثي المدائح » – الأصبهاني ١٨ : ١٧٠ .

(٢) أبو تمام ٢٧٣ ، ٣٢٥ ، الجاحظ – البيان ١ : ١١ ؛ ابن قتيبة ٢ : ٧٣٤ ؛ عيون ٣ : ٢٣٩ ، العباسي ١ : ٢٥٤ .

(٣) القاضي الجرجاني ٣٧٠ – ٣٧١ ، التبيان ١ : ١٥٥ ؛ وينظر القاضي الجرجاني ٣١١ والتبيان ٣ : ١٨٧ . وينظر لأمثلة أخرى من الحكمة ابن قتيبة ٢ : ٧٣٤ ، ٧٣٥ .

فقد يدل هذا على مكانة ما للخريمي ، وقد يدل على أهمية وذكر اتصل بالمتنبي وشرح شعره وبالوساطة بينه وبين خصومه ، ولكن المعاني شائعة ذائعة سبقت الخريمي ولحقت المتنبي .

وخير من هذه المعاني في رفع مكانة الخريمي ومنحه صفة من صفات التفرد بين شعراء العربية أبيات له ذات دلالة اجتماعية ونفسية وعقلية ، هي :

ما أحسنَ الغيرةَ في حينها ... وأقبحَ الغيرةَ في كل حينْ

من لم يزلْ متَّهماً عرْسَهُ ... مُناصباً فيها لريب الظنون

أوشك أن يغريَها بالذي ... يخافُ أنْ يُبرزَها للعيون

حسبُكَ من تحصينها وضعُها ... مناك إلى عِرض صحيح ودين

لا تطَّلعْ منكَ على ريبةٍ ... فيتبعَ المقرونُ حبْلَ القرين [1]

أما الغزل فعلى الرغم من قول ابن المعتز فيه : « له في الغزل ملح كثيرة » [2] فاننا لم نظفر له بما يؤيد هذا القول [3] . وليس له في الهجاء ما يستحق الذكر ، ويظهر أنه ودّع « الشكوى » مبكراً بعد أن اتصل بعثمان الخريمي ثم عاد لها مؤخراً عندما تزايدت عليه المصائب ، وكان من أقساها فقده البصر فنظم في ذلك غير قليل مصوراً آلامه وهمومه وجوّد في بعض ما قال وسار أكثره .

إن جيد الخريمي غير قليل ولكنّ أبرزه وأجدره بالبقاء والاحترام رائيته الرائعة البارعة التي صور بها آثار الفتنة بين الأمين والمأمون وما جرّت من ظلم ونهب وخراب .

قالوا ولم يلعب الزمان ببغـــداد ولم تعثُر بها عواثرها

---

(١) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٥ .

(٢) ابن المعتز ٢٩٣ .

(٣) ينظر ابن المعتز ٢٩٤ ، ٤٤٣ ـ ٤٤٤ ؛ البغدادي ٦ : ٣٢٦ .

وقد حفظ الطبري غير قليل مما صحب هذه الفتنة من شعر ، ولكن ليس بين هذا الشعر ما يسمو سمو رائية الخريمي وليس فيه ما يقرب منها .

وروى المسعودي قصيدة رائية للأعمى [المعروف بعلي أبي طالب] مطلعها :

تقطَّعتِ الأرحام بين العشائرِ وأسلمهم أهل التقى والبصائرِ

وفيهـــا :

فأصبح بعض الناس يقتل بعضهم فمن بين مقهور ذليل وقاهر (١)

وموضوعاتها تشبه موضوعات قصيدة الخريمي ولكنها بعيدة عن أن تدرك قصيدة الخريمي فهي أضعف عاطفة وأقل خيالاً وهي أدخل في الشعر التعليمي منها في الشعر الشعر .

ومن يدرينا ، فلعل ابن الرومي اطلع على قصيدة الخريمي وتأثر بهـا وهو ينظم ميميته عن البصرة وما فعل بها الزنج (٢) .

★ ★ ★

يعرض الخريمي معانيه بلغة سليمة ثرية مختارة اللفظ جيـــدة السبك مترفعة عن المرذول السفساف عليها غير قليل من رشاقة وفخامة . وقد دل على أنه فقه اللغة العربية وضبطها وأدام النظر في روائع نصوصها وحفظ الكثير من هذه الروائع حتى أصبحت جزءاً منه ولا بد من أن تكون

(١) المسعودي ٣ : ٤٠٩ ـ ٤١٠

(٢) وقد انتبه إلى ذلك بروكلمان ٢ : ٤٦ فقال : « وينسج ابن الرومي على منوال الخريمي فيجتزيء أيضاً على وصف المواقف التأريخية كما في شكايته من غلبة الزنج على البصرة » ـ تنظر القصيدة في المختارات التي عملها الكيلاني من ديوان الرومي ، ومطلعها :

ذاد عن مقلتي لذيذ المنـــامِ شغلها عنه بالدّموع السجـامِ

الشام والجزيرة وبغداد مما زاد لغته صقلاً وتهذيباً ، حتى أمكن أن يعد شعره مصدراً للغة العالية ، وقد تجد عنده تعبيرات تستغربها ، إلا أنك لا تستطيع أن تعزوها إلى جهل أو ضعف أو تهاون لأنه يشعرك بمكانته ويقنعك بأنه أستاذ في فنه . ولم يكن عبثاً أن يقف عبد القاهر الجرجاني طويلاً في « دلائل الإعجاز » عند بيت الخريمي .

ولو شئتُ أن أبكي دماً لبكيته   عليه . ولكنْ ساحة الصبر أوسع

مقرراً أن الأحسن إظهار المفعول عند مجيء المشيئة بعد « لو »[1] .

★ ★ ★

وكان في عصره منهجان من الشعر : الشعر الذي لزم عمود الشعر ، والشعر الذي شرع يفارق العمود على يد بشار وأبي نواس ، أو فارقه فعلاً ، دون إغراق ، على يد مسلم بن الوليد إذ كان قصده بيناً إلى البديع بما فيه من غريب الاستعارة والجناس والطباق (ممهداً للمفارقة الكبرى على يد أبي تمام) . ولم يشأ الخريمي أن يبتعد خارج إمكانه أو ينأى عن مدى شخصيته وظروف تكوينه ومستلزمات بيئته لذا بقي عمودياً أو بمعنى أدق قريباً من العمود ، فلم يبتعد عنه إلا ّ في حدود ضيقة هي الحدود التي يسمح بها المعنى ولا يبدو بها غريباً مستغرباً كما في قوله :

وفارقت حُلوَ العيش إلا صُبابةً   عليها خطوب الحادثات تحوم[2]

فهيأ له ذلك أن يبقى معدوداً في المطبوعين ، وحفظه من أن يتكلف القول فيما لم يكن له فيجره إلى ضعف ووهن وسخف .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني ١٢٦ – ١٢٧ .

(٢) ابن عساكر ٢ : ٤٣٧ .

وحين جاء أبو تمام ثم البحتري ، ووقع النقاش في عمود الشعر ، ثم اشتد هذا النقاش واحتد ، وجاءَ الآمدي للموازنة ، أوضح مذهب الخريمي وهو يوضح مذهب البحتري ؛ قال : « ... مَن فضَّلَ البحتري ونسبه إلى حلاوة النفس وحسن التخلص ووضع الكلام في مواضعه ، وصحة العبارة وقرب المأتى وانكشاف المعاني ، وهم الكتاب والأعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة . ومثلُ من فضّل أبا تمام ونسبه إلى غموض المعاني ودقتها وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج ، وهؤلاء أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام .

إن البحتري أعرابي الشعر ، مطبوع ، وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام فهو بأن يقاس بأشجع السُّلمي ومنصور [النمري] وأبي يعقوب [الخريمي] المكفوف وأمثالهم من المطبوعين أولى ... » (١)

إذاً كان الخريمي يمثل منهاجاً من الشعر ، وقد أقرَّ ذلك الآمدي ، ثم القاضي الجرجاني ، إذ قال وهو يقدم للوساطة بين المتنبي وخصومه : « إنك لا تدَّعي لأبي الطيب طريقة بشار وأبي نواس ولا منهاج أشجع والخريمي ، ولو ادّعيته فانما كنت تخادع نفسك أو تباهت عقلك ، وإنما أنت أحد رجلين : إما أن تدَّعي له الصنعة المحضة فتُلحقه بأبي تمام ... فإن ملتَ به نحو الصنعة فضل ميل صيرته في جَنَبَة مسلم ... » (٢) .

وكان المــــبرد معجباً بالخريمي وقد حدد مبكراً فن الخريمي إذ قال :

(١) الآمدي ١ ـ ٦ .

(٢) القاضي الجرجاني ٥٠ ـ ٥١ .

« كان شاعراً مفلقاً مطبوعاً مقتدراً على الشعر » ، وقال : كان « جيد الشعر مقبولاً عند الكتاب وله كلام قوي ومذهب متوسط » (١) .

ولم يبالغ المبرد ولم يخرج بأحكامه عن الاعتدال . وكذلك كانت جل الأحكام التي صدرت في الخريمي ، فقد قال ابن المعتز : « وهذا الخريمي من المحسنين المجيدين للشعر » (٢) . وقال ابن الجرّاح : انه « شاعر متقدم مطبوع له أشعار طوال ومدائح ، وكلامه عذب حسن » (٣) وكان الخطيب البغدادي مقتصداً جداً في الكلام فاكتفى بأن قال : « أما أبو يعقوب فشاعر مُحسن » واكتفى ابن عساكر بأن أعاد أحكام غيره مرتين منسوبة ومرة غير منسوبة (٤) .

ويبدو أن أبا حاتم السجستاني كان شديد الإعجاب بحيث سمح لنفسه أن يقول : « الخريمي أشعر المولّدين » (٥) .

ولا شك في أن الخريمي نفسه كان يعي شعره ، ويدرك منزلته ويعرف ما يأخذ وما يدع ، وقد مدح مرة قصيدة له فقال :

هاكها غراءَ تسري في الدُّجى كل بيت عائر منهـــا تسير
حُلّة حبّرها ذو مِقَــــةٍ بالهوى يُسدي وبالود يُنـــير (٦)

---

(١) ابن المعتز ٢٩٣ « وحدثني المبرد قال ... » . الحصري ٢ : ١٠٧١ « قال المبرد ... » ابن عساكر ٢ : ٤٣٣ ... وليلاحظ ان المبرد ممـا كان يفضل البحتري _ الآمدي ١ : ٢١ .

(٢) ابن الجراح ٢ ١ _ ١٠٣ .

(٣) البغدادي ٦ : ٣٢٦ .

(٤) ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ _ ٤٣٥ .

(٥) ابن الجراح ١٠٣ : « حدثني محمـد بن القاسم قال حدّثني الكرّاني قال سمعت أبا حاتم ... » ، البغدادي ٦ : ٣٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٥ .

(٦) ابن الجراح ١٠٤ .

ومدح أخرى فقال :

دونكَ غـــــراءَ كالوذيلةِ لا تُفْقَدُ في بلدةٍ سوائرُها (١)

وكان الناس يستحسنون شعره فيسألونه :

— ما بالُ شعرك لا يسمعه أحدٌ إلا استحسنه وقبلته طبيعته ؟ فيقول :

— لأني أجاذب الكلام إلى أن يساهلني عفواً فإذا سمعه إنسان سهل عليه استحسانه » (٢) .

وفي جوابه توضيح علمي للمقصود بالشعر المطبوع ودليل على عملية الخلق الأدبي لديه .

ثم إنه لا يُكره نفسه على النظم ولا يسمح للعوامل الطارئة أن تغريه بالقول ، روى الجاحظ : «قال لي أبو يعقوب الخريمي : خرجت من منزلي أريد الشماسية فابتدأتُ القول في مرثية لأبي التختـــاخ ، فرجعت والله وما أمكنني بيت واحد » (٣) .

ولم يكن ذلك عجَباً فهو أمرؤ يحترم فن الشعر ويفهم حقيقـة القول ويتشبث بمفهوم للبلاغة ، ولا غرو أن كان الراوية الذي أوصل إلينا تعريف ابن المقفع للبلاغة والقائل : « لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد . سُئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ،

---

(١) الطبري III ٨٧٩ .

(٢) ابن الجراح ١٠٣ : « حدثني محمد بن القاسم قال حدثني أحمد بن المبارك قال : قلت لأبي يعقوب ... »

(٣) الجاحظ ـ البيان ١ ٢٠٩ ـ ولعل الأصل لأبي علي التختاخ أو لابن التختاخ .

ومنها ما يكون في الاحتجاج ... فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحيُ فيها ، والإشارة إلى المعنى .... إذا أعطيتَ كل مقام حقه وقمتَ بالذي يجب في سياسة ذلك المقام ، وأرضيتَ من يعرف حقوق الكلام ، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ؛ فانه لا يرضيها شيء . وأما الجاهل فلستَ منه وليس منك ... » [١] .

إن الخريمي شاعر من كبار شعراء العربية ، وتأكد أنه كان معروفاً مشهوراً ، ولم يكن ذلك باطلاً ، إلا ّ أن الملاحظ أنه كان معروفاً لدى الخاصة أكثر منه لدى العامة ، وأن ذكره تضاءل واختفى مبكراً حتى أن أديباً من أواسط القرن الخامس ، وهو ابن رشيق ، تنبه إلى ما لحق الخريمي ، ولحق أمثاله ، من حيف فقال متألماً : « الاشتهار بالشعر أقسام وجدود » [٢] ، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً من أجله أو إنصافه ولم يرد له شيء يستحق الذكر في مجموع كتابه .

ألا إن أبا يعقوب اسحاق بن حسان الخريمي شاعر جدير بالإعجاب ، جدير بالاهتمام .

★ ★ ★

(١) الجاحظ ـ البيان ١ : ١١٥ ـ ١١٧ . وينظر العسكري ـ الصناعتين ١٤ ، الحصري ١ : ١٠٤ ـ ١٠٥ ، ابن رشيق ١ : ٢٤٣ .

(٢) ابن رشيق ١ : ١٠٠ (باب المشاهير من الشعراء) وفيه « .. ولولا ذلك لم يكن نصر بن أحمد الخبزرزي أشهر من منصور النمري وكلثوم العتابي وأبي يعقوب الخريمي وأبي سعيد المخزومي » .

المصادر والكتب الحديثة

الآمدي — (أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى ، المتوفى سنة ٣٧٠) .
الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري . تح . السيد أحمد صقر ، ج ١ ، القاهرة (دار المعارف — ذخائر العرب — ٢٥) ١٩٦١ .

ابن الأثير — (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ... الشيباني الجزري ، المتوفى سنة ٦٣٠) .
الكامل في التاريخ . القاهرة (ادارة المطبعة المنيرية — صحح أصوله الشيخ عبد الوهاب النجار) ١٣٥٧ .

ابن تغري بردي — (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ، المتوفى سنة ٨٧٤) .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٢٩/١٣٤٨ .

ابن الجرّاح — (أبو عبد الله محمد بن داود —وزير ابن المعتز ... المقتول سنة ٢٩٦) .
الورقة . تح . عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج . القاهرة (دار المعارف — ذخائر العرب — ٩) ١٩٥٣ .

ابن حزم — (أبو محمد علي بن سعيد ... الأندلسي ، المتوفى سنة ٤٥٦) .
جمهرة أنساب العرب ، تح . ليفي پروفنسال ، القاهرة (دار المعارف — ذخائر العرب — ٢) ١٩٤٨ .

ابن خلكان — (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ، المتوفى سنة ٦٨١) .
وفيات الأعيان . تح . محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة (مطبعة السعادة ، نشر مكتبة النهضة المصرية) ١٩٤٨/١٣٦٧ .

ابن دريد — (أبو بكر محمد بن الحسن ، المتوفى سنة ٣٢١) .
الاشتقاق . تح . عبد السلام محمد هارون ، القاهرة (نشر مكتبة الخانجي — مطبعة السنة المحمدية) ١٩٥٨/١٣٧٨ .

ابن رشيق — (أبو علي الحسن القيرواني ، المتوفى سنة ٤٥٦) .
العمدة في محاسن الشعر ونقده . تحـ . محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة (ط ٢ ، المكتبة التجارية ، مطبعة السعادة) ١٩٥٥/١٣٧٤ .

ابن عبد ربه — (أحمد بن محمد ... الأندلسي ، المتوفى سنة ٣٢٨) .
العقد الفريد . تحـ . أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الابياري . القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٨/١٣٦٧ .

ابن عدلان — (عفيف الدين علي بن عدلان الموصلي ، المتوفى سنة ٦٦٦ .
يرى الدكتور مصطفى جواد (في مقالة نشرها في العدد السادس ، ص ١٥٢ من مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٩/١٣٧٨) انه شارح ديوان المتنبي باسم التبيان . .) — ينظر التبيان ، العكبري .

ابن عساكر — (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ... الشافعي ، المتوفى سنة ٥٧١).
التاريخ الكبير نشر بتهذيب عبد القادر بدران . دمشق (مطبعة روضة الشام) ١٣٣٠ .

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم . . الدينوري ، المتوفى سنة ٢٧٦) .
الشعر والشعراء . بيروت (نشر وتوزيع دار الثقافة) ١٩٦٤ .
(مع المقابلة بتحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية — عيسى البابي) ١٩٥٠/١٣٦٩ ومخطوطة مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة برقم ١٤٠) .
عيون الأخبار . القاهرة (دار الكتب المصرية ، مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٢٥/١٣٤٣ — ١٣٤٩ — ١٩٣٠ .

ابن كثير — (عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٧٤) .
البداية والنهاية في التاريخ . القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٣٢ .

ابن المعتز — (أبو العباس عبد الله المقتول سنة ٢٩٦) :
طبقات الشعراء تح . عبد الستار فرّاج . القاهرة (دار المعارف — ذخائر العرب — ٢٠) ١٩٥٦/١٣٥٧ (كانت الطبعة الأولى بتحقيق عباس إقبال في سنة ١٩٣٨) .

ابن منظور — (أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ، المتوفى سنة ٧١١) .
لسان العرب . القاهرة ، بولاق ١٣٠٠ .

ابن النديم — (أبو الفرج محمد بن اسحاق النديم ... صنع كتابه سنة ٣٧٧ ؟ وتوفي سنة ٣٨٥ ؟) .
الفهرست . تح . Gustav Flügel ، ليبزك ١٨٧١ (في الطبعة المصورة التي عملتها مكتبة خياط (روائع التراث العربي) بيروت د . ت (١٩٦٤ ؟) .

أبو تمام — (حبيب بن أوس المتوفى ٢٣٢) .
كتاب الوحشيات (وهو الحماسة الصغرى) علق عليه عبد العزيز الميمني الراجكوتي وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر . القاهرة (دار المعارف — ذخائر العرب — ٣٣) ١٩٦٣ .

أحمد أمين — ضحى الاسلام . الجزء الأول . ط ٥ ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٦ (كانت الطبعة الأولى في سنة ١٩٣٣/١٣٥١) .

الأصبهاني — (أبو الفرج علي بن الحسين ... ، المتوفى سنة ٣٥٦)
الأغاني . التزام ساسي . القاهرة مطبعة التقـــدم ، وطبع الفهرس بمطبعة الجمهور ١٣٣٢ .

بروكلمان — (كارل) . تاريخ الأدب العربي . نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار . ج ٢ ، القاهرة (جامعة الدول العربية ـ الادارة الثقافية ـ دار المعارف) ١٩٦١ .

براون Browne (E. G) — Aliterary History of Persia. Cambridge, the University Presse 1950.

البغدادي — (الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ، المتوفى سنة ٤٦٣) .
تاريخ بغداد أو مدينة السلام . القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٤٩/١٩٣١ .
البكري — (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ، المتوفى سنة ٤٨٧) .
التنبيه على أوهام أبي علي القالي . القاهرة (ط ١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، على نفقة اسماعيل يوسف دياب) ١٣٤٤/١٩٢٦ .
بيومي — (السباعي) ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ (في العصر العباسي بالمشرق) ط ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي)١٣٧٢/١٩٥٣ .
التبيان — التبيان في شرح الديوان (ديوان المتنبي) القاهرة . تح . مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي . ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ تراث العرب ـ ٣ ؛ ط ٢ ، ١٣٧٦/ ١٩٥٦ ينظر ابن عدلان والعكبري .
الجاحظ — (أبو عثمان عمرو بن بحر ، المتوفى سنة ٢٥٥) .
الحيوان . تح . عبد السلام محمد هارون . القاهرة (مكتبة الجاحظ ـ الكتاب الأول ـ مكتبة مصطفى البابي وأولاده) ١٣٥٧/١٩٣٨ = ١٣٦٦/١٩٤٧ .
البيان والتبيين . تح . عبد السلام محمد هارون . القاهرة (مكتبة الجاحظ ـ الكتاب الثاني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٦٧/١٩٤٨ — ١٣٧٠/١٩٥٠ .
البخلاء تح . طه الحاجري . القاهرة (دار المعارف — ذخائر العرب — ٢٣) ١٩٥٨ . وفي ذيله تعليقات وشروح ـ ينظر الحاجري .
الجرجاني — ينظر القاضي ، وينظر عبد القاهر .
الجهشياري — (أبو عبد الله محمد بن عبدوس المتوفى سنة ٣٣١) .
كتاب الوزراء والكتاب . تح . مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي . ط ١ ، القاهرة (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٥٧/١٩٣٨ .

الحاجري — (طه) محقق الجاحظ ـ البخلاء (ينظر) ، وقد ذيل عليه في
المجلد نفسه بـ « تعليقات وشروح من ص ٢٤٧ — ٤٣٨ » .
حجاب (الدكتور محمد نبيه حجاب) ، مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى
نهاية القرن الثالث . القاهرة (ط ١ ، مكتبة نهضة مصر) ١٣٨١/١٩٦١
(والكتاب رسالة دكتوراه باشراف الأستاذ عمر دسوقي) .
الحصري — (أبو اسحاق ابراهيم بن علي ... القيرواني المتوفى سنة ٤١٣ أو ٤٥٣).
زهر الآداب وثمر الألباب . تحـ . علي محمد البجاوي . القاهرة (ط ١ ،
دار احياء الكتب العربية) ١٣٧٢/١٩٥٣ .
الحوفي — (أحمد محمد) ، أدب السياسة في العصر الأموي . القاهرة (ط ١ ،
مكتبة نهضة مصر) ١٩٦٠ .
الخطيب — ينظر البغدادي .
الذهبي — (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ... ، المتوفى سنة ٧٤٨) .
كتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال تحـ . علي محمد البجاوي . القاهرة
(دار إحياء الكتب العربيه — عيسى البابي الحلبي) ١٣٨٢/١٩٦٣ .
رفاعي — (الدكتور أحمد فريد) ، عصر المأمون . القاهرة . (ط ١ ، مطبعة دار
الكتب المصرية) ١٣٤٦/١٩٢٧ .
الزَّبيدي — أبو الفيض السيد محمد مرتضى بن محمد ، المتوفى سنة ١٢٠٥) .
تاج العروس من جواهر القاموس . القاهرة (المطبعة الوهبية)
١٢٨٦ — ١٣٠٧ .
الزركلي — (خير الدين) ، الأعلام . القاهرة (ط ٢ ، عشرة أجزاء) مطبعة
كوستاتسوماس وشركاه) ١٣٧٣/١٩٥٤ — ١٣٧٨/١٩٥٩ .
السجستاني — (أبو حاتم سهل بن محمد ، الموفى حوالى سنة ٢٥٠) .
المعمرون والوصايا . تحـ . عبد المنعم عامر . القاهرة (دار إحياء الكتب
العربية ـ عيسى البابي) ١٩٦١ .

الشايب — (أحمد) ، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني . القاهرة
(ط ٢ ، مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٣ (كانت الطبعة الأولى ١٩٤٥) .

الصفدي — (صلاح الدين بن ايبك ، المتوفى سنة ٧٦٤) .
نكت الهميان في نكت العميان . وقف على طبعه أحمد زكي بك . القاهرة
(المكتبة التجارية ، المطبعة الجمالية) ١٣٢٩/١٩١١ (أعدت مكتبة المثنى
ببغداد طبعه على الأوفست بطهران ، د . ت) .

الصولي — (أبو بكر محمد بن يحيى ، المتوفى سنة ٣٣٥) .
كتاب الأوراق ـ قسم الشعراء ، عني بنشره ج . هيورث دن ، القاهرة ،
(ط ١ ، مطبعة الصاوي) ١٩٣٤ .

الطبري — (أبو جعفر محمد بن جرير ، المتوفى سنة ٣١٠) .
تاريخ الأمم والرسل والملوك . تح . دخويه De Gœje ، ليدن ١٨٨٩ ـ ١٩٠١
(أعادت نشره مصوراً على الأوفست مكتبة خياط ببيروت ١٩٦٤) .

العباسي — (عبد الرحيم بن أحمد المتوفى سنة ٩٦٣ .
معاهد التنصيص على شواهد التلخيص . تح . محمد محي الدين عبد الحميد ،
القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٦٧/١٩٤٧ .

عبد القاهر الجرجاني (المتوفى سنة ٤٧١) .
دلائل الإعجاز في علم المعاني . صححه الشيخ محمد عبده والشيخ محمد
محمود الشنقيطي . القاهرة (ط ٤ ، دار المنار) ١٣٦٧ (كانت الطبعة
الأولى سنة ١٣٢١) .

العسقلاني = (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ، المتوفى سنة ٨٥٢) .
لسان الميزان ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر اباد الدكن ،
١٣٢٩ — ١٣٣١ .

تهذيب التهذيب ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية » ، ١٣٢٥ .

العسكري — (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، المتوفى سنة ٣٩٥) .

كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) . تح . علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة (دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي) ١٣٧١ — ١٩٥٢ .

العكبري — (أبو البقاء عبد الله المتوفى سنة ٦١٦) ، ينظر التبيان وابن عدلان .

الفيروزابادي — (مجد الدين محمد بن يعقوب ، المتوفى سنة ٨١٧) .

القاموس المحيط . القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٣٨ — ١٩١٣ .

القاضي الجرجاني — (علي بن عبد العزيز ، المتوفى سنة ٣٦٦) .

الوساطة بين المتنبي وخصومه . تح . محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي (ط ٣ ، دار احيـــاء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي) (الطبعة الثانية بتاريخ ١٣٧٠ — ١٩٥١) .

القفطي — (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف المتوفى سنة ٦٤٦) .

إنباه الرواة على أنباه النحاة . تح . محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ج ١ ، ١٣٦٩ — ١٩٦٠ .

القلقشندي — (أبو العباس أحمد ، المتوفى سنة ٨٢١) .

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب . تح . ابراهيم الابيـــاري . القاهرة (الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٥٩ .

الكندي — (أبو عمر محمد بن يوسف ، المتوفى سنة ٣٥٠) .

ولاة مصر . تح . الدكتور حسين نصار . بيروت (دار صادر ـ دار بيروت) ١٣٧٩ — ١٩٥٩ .

لسترنج — بلدان الخلافة الاسلامية ، نقله إلى العربيـــة بشير فرنسيس وكوركيس عواد (مطبوعات المجمع العلمي العراقي — مطبعة الرابطة) بغداد ١٣٧٣ — ١٩٥٢ .

اللغوي — (أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي ، المتوفى سنة ٣٥١) .
مراتب النحويين . تح . محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة (مكتبة نهضة مصر ومطبعتها) ١٣٧٥ — ١٩٥٥ .

المبرد — (أبو العباس محمد بن يزيد ... المتوفى سنة ٢٨٥) .
الكامل في اللغة والأدب والنحو والصرف ج ١ ، تح . زكي مبارك ١٣٥٥/١٩٣٦ ، ج ٢ ، ٣ . تح . أحمد محمد شاكر ١٣٥٦/١٩٣٧ (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) .
الفاضل تح . عبد العزيز الميمني (تقرأ المقدمة للتحقق من مؤلف الكتاب) القاهرة (دار الكتب المصرية ـ مطبعةدار الكتب المصرية) ١٣٧٥/١٩٥٦ .

محمود مصطفى — (الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي ، ج ٢ ، ط ٢ ، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٥٦/١٩٣٧ (كانت الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢/١٩٣٣) .

المرزباني — (أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، المتوفى سنة ٣٨٤ أو ٣٨٥) .
الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء . القاهرة (جمعية نشر الكتب العربية ـ المطبعة السلفية ومكتبتها) ١٣٤٣ .
معجم الشعراء .

المرزوقي — (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ، المتوفى سنة ٤٢١) .
شرح ديوان الحماسة . نشره أحمد أمين ، عبد السلام هارون ، القاهرة (ط ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧١/١٩٥١ — ١٣٧٢ — ١٩٥٣ .

المسعودي — (أبو الحسن علي بن الحسين ، المتوفى سنة ٣٤٦) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر . تح . محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة (مطبعة السعادة) ط ٣ ، ١٣٧٧/١٩٥٨ .

المقريزي — (أبو العباس تقي الدين بن علاء الدين ... المتوفى ٨٤٥) .
المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار تحقيق Gaston Wiet ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩١٠ .
الميداني — (أبو الفضل أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري ، المتوفى سنة٥١٨).
مجمع الأمثال . تح . محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة (مطبعة السعادة) ، ط ٢ ، ١٣٧٩ — ١٩٥٩ .
النويري — (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ... المتوفى سنة ٧٣٢) .
نهاية الأرب في فنون الأدب . القاهرة (دار الكتب المصرية) .
الوشّاء — (أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحي ، المتوفى سنة ٣٢٠) .
الموشى أو الظرف والظرفاء . تح . كمال مصطفى . القاهرة ، ط ٢ (مطبعة الاعتماد — التزام مكتبة الخانجي) ١٣٧٢/١٩٥٣ .
ياقوت (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، المتوفى سنة ٦٢٦) .
معجم البلدان . بيروت (دار صادر — دار بيروت) ١٣٧٤ — ١٩٥٥ .
معجم الأدباء (ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب) . القاهرة (دار المأمون) ١٣٥٥/١٩٣٦ — ١٣٥٧/١٩٣٨ .

الرياض — جامعة الرياض

الدكتور علي جواد الطاهر

طرر على معجم الأدباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

- ٦ -

(المجلد الثاني)

٨٦ : ٢ الصواب : فلم يستوف كما في اليتيمة والوفيات . والبيت الثاني مثل سائر ، (٤ : ٩/٢٥٩) .

٨٦ : ١٤ الصواب : هكذا تزول .

٨٧ : ٤ البغية ١٦٠ . وللعروضي هذا كتاب على ديوان المتنبيء كما في الصبح المنبى ١٣٥٠ هـ ص ١٦١ .

٨٨ : ١٩ مسكويه هذا له ترجمة في حكماء القفطي ١٣٢٠ هـ ص ٢٣١ والتتمة رقم ٨٣ ، (٥ : ١/٥) .

٨٩ : ٨ لعل الصواب ابنَ العميد أبا الفضل ، (٥ : ١٣/٥) .

٩٠ : ٦ البيتان في الإيجاز مصر ٢٢٧ وخاص الخاص ١٦٤ والتتمة ٨٣ واليتيمة ٣ : ٧ ، (٥ : ٩/٧) .

٩٠ : ١٥ ومن الكلمة بيتان آخران في خاص الخاص ١٦٤ . هذا وفي التتمة قبل البيت (ومنها) والصواب كما فيه أعدن ... وردّت .

٩١ : ٢ التتمة : فان تمرّس بي ، وفيه في البيت العاشر والحظ كتائبهم ، وفي البيت ١٢ تعظّمه وارى كلها الصواب ، (٥ : ٥/٩) .

٩١ : ١٦ جاوِيْذانِ خِرَدْ هـــذا أصله للحكيم اوشهنج الملك تمّمه مسكويه وقد طبعت أصله في مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٣٤٧ ﻫ ١٢٩ — ١٣٩ و ١٩٣ — ٢٠٢ ، (٥ : ١٠/١٤) .

٩٢ : ١٢ الصواب : والمستَخَفُّ به لكن .

٩٤ : ٢ الصواب : فنعم رائد .

٩٦ : ٤ الصواب : مَلِكَةٌ .

٩٦ : ٥ الصواب : ليستعمل في المهمّ .

٩٦ : ١٥ في كتابه . لم أجده في طبعتي اليتيمة والتتمّة ، (٥ : ١٩/١٥) .

٩٦ : ١٧ الصواب : والإبداع .

٩٧ : ١٤ الصواب الداهخزا أبي سعد انظر له التتمة رقم ٩٩ والدمية ص ١٠٦ . والحوالي لا أعرفه وإنما هو جرجاني ، (٥ : ٢١/١٠) .

٩٧ : ١٥ لعله : ثم شوّقنا إلى مشاهدة الفضل .

٩٨ : ٧ لعله ولا أبدى بأفق ، (٥ : ٢٢/١٢) .

٩٨ : ٩ الصواب : أن يَجُرّ أولياءَه على شوك الردّ . فبحقٍّ .

٩٨ : ١٨ الصواب : كُتّاب الإنشاء .

١٠٠ : ٩ الصواب : والصاد خاء ، يريد الخيانة .

١٠٠ : ١١ الصواب : ويتلوه فاء . يريد السخيف .

١٠٢ : ١ لترجمته حواشي چهار مقاله ٢٤٤ طبعة جيب وورد ذكره في اليتيمة ٤ : ١٦٥ ، (٥ : ٣١/٦) .

١٠٢ : ٢ مضى في ترجمة الصخري أبو محمـــد محمود بن أرسلان ، (٥ : ٣١/٧) .

١٠٢ : ٤ الثعالبي . هذا لم أجده في كتابيه اليتيسة والتتمّة ، (٥ : ٣١/١٠) .

١٠٢ : ٩ لعله : الحسوليّ في المذهب ، (٥ : ٣٢/٤) .

١٠٢ : ١٢ الصواب : من عناق ، (٥ : ٨/٣٢) .

١٠٣ : ٥ في ذيل أبي شجاع ص الأصل ٤٢٧ غريب بن محمد بن مقن ، (٥ : ١٣/٣٣) .

١٠٣ : ٩ لترجمة المرزوقي في البغية ١٥٩ وما إليه .

١٠٤ : ٧ لترجمة الثعلبي الوفيات رقم ٢٩ طبقات القراء ٤٦٢ الشذرات ٤٢٧ هـ الشافعية ٣ : ٢٣

١٠٥ : ٣ الخطيب ٢٢٥١ البغية ١٥٥ الشافعية ٣ : ٢٤ ، (٥ : ٨/٣٨) .

١٠٥ : ٩ الصواب : وكتبت عنه ، (٥ : ٧/٣٩) .

١٠٥ : ١٤ الصواب : المهدوي منسوب إلى المهديّة ترجمته في بغية الملتمس ٣٥٠ .

١٠٦ : ٤ لترجمته بغية الملتمس ٣٥٤ والمطمح الجوائب ٢٤ ، (٥ : ٣/٤١) .

١٠٦ : ٦ شُهيد ككميت .

١٠٧ : ٤ لترجمته البغية ١٦٨ .

١٠٧ : ١٦ الميداني لترجمته الوفيات رقم ٥٩ البغية ١٥٥ النزهة ٤٦٦ ورأيت خط يده بالقراءة على نسخة من اصلاح المنطق بنور عثمانيه ٤٦٩٢ مكتوبة سنة ٣٩٥ هـ ، (٥ : ١/٤٥) .

١٠٨ : ٢ جامع الأمثال سماه مؤلفه مجمع الأمثال . والسامي طبع ايران سنة ١٢٧٤ هـ وهو في معنى مقدمة الأدب للزمخشري ، والأنموذج ونزهة الطرف مطبوعان ، (٥ : ١/٤٦) .

١٠٨ : ٥ رأيت بخزانة أحمد الثالث ٢٧٨٦ شرح الكلمات المشكلة في السامي لأبي الفتوح أسعد بن أبي الفضائل بن خلف العجلي في ٩٠ ق (٥:٥/٤٦) .

١٠٨ : ١٦ الصواب : محمود بن أبي المعالي الحواري ويأتي في ترجمته الجوهري أيضاً وترجمته عن ياقوت في البغية ٢٩٠ . وخوار كغراب من أعمال الريّ .

١٠٩ : ٦ الصواب : فشأ .

١٠٩ : ٦ الوفيات : أيا هل ترى صُبحاً ، (٥ : ٩/٤٨) .

١١٠ : ١٩ في خريدة العماد (نسخة فهرست ليدن الثانية ٢ : ٢١٨) أنه توفي سنة ٥٣٣ ﻫ ولذي الفضائل مرثية إلى مضر الطبيب كلتمان في صوان الحكمة رقم ٨٤ ، (٥ : ٢/٥٢) .

١١١ : ١١ في مشيخته . وفي الأنساب أيضاً . (٥ : ٦/٥٤) .

١١١ : ١٦ الخليل هذا له ترجمة في التتمة ١٨٥ ، (٥ : ١٣/٥٤) .

١١١ : ١٧ الصواب : (عن محمود الصوفي) لا غير وهو المذكور آنفاً والصواب في الأنساب ، وفيه : عن أبي عبيد الفرغاني ، (٥ : ١٤/٥٤) .

١١١ : ١٨ في حدود الخ في البغية ١٦٢ في حدود سنة ٤٦٠ ﻫ ومات بمرو فجأة يوم الأحد ثامن جمادى الأولى وقيل ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة ٥٢٦ اﻫ وفي الأنساب (سنة ... وثلاثين وخمس مائة) ، (٥ : ١٥/٥٤) .

١١٢ : ١ البغية ١٦٩ .

١١٢ : ١٢ المثل في جمهرة العسكري بومباي ٢٧ مصر ١ × ٧٠ والمستقصى والحريري المقامة الـ ٤٧ وطراز المجالس المجلس ٣١ . وأصل المثل في الجمل . (٥ : ١٤/٥٦) .

١١٢ : ١٥ الصواب : فيحتضنه ، (٥ : ٤/٥٧) .

١١٣ : ١٧ عنه البغية ١٥٨ .

١١٤ : ٩ مطلع قصيدة للمتنبئ والعامل في الظرف (تذكرت) أو (بحر الخ) بدل اشتمال عن (ما بين الخ) ، (٥ : ١٣/٦٠) .

١١٥ : ٥ البغية عنه ١٧٠ .

١١٥ : ١٠ الصواب الحالات فيه معا ، (٥ : ٣/٦٣) .

١١٥ : ١١ البغية ١٧٠ عنه .

١١٥ : ١٦ البغية ١٧١ عنه .

١١٦ : ١١ الخطيب ٢٥٨٠ طبقات القرّاء ٦٦٣ الفهرست ٣١ .

١٢٣ : ٦ هذا الخبر في النشوار ١ : ٥٣ وفيه : (بن عبيد الله بن قنّاش) وأبو جعفر هو الذي أخبر صاحب النشوار . وفيه خبر آخر للبنص في مجلس ابن دريد رواه أبو جعفر أيضاً . وأما ابن البازيار ففي حلب يوجد درب البازيار وهو منسوب اليه وهو الزقاق المعروف الآن بزقاق الزهراوي حققه صديقنا الراغب الطباخ ، (٥ : ٨٠/٨) .

١٢٥ : ٣ عنه البغية ١٧٢ .

١٢٦ : ١٤ الصواب: خادمَه والخادم المرأة الخادمة كالحامل ، (٥:٨٧/١٠) .

١٢٧ : ٣ ابن عساكر ٢ : ١٠٩ الفهرست ١١٣ الفوات ١ × ٨ .

١٢٧ : ٤ الفهرست وابن عساكر : وقيل أبو جعفر بدل (أبو بكر) ، (٥ : ٨٩/٢) .

١٢٨ : ٥ ضرطة وهب مثل انظر ثمار القلوب ١٦٤ وفيه كلمات لابن الرومي وأبي علي البصير وغيرهما أيضاً ، (٥ : ٩٢/١٣) .

١٢٨ : ٨ عبدان النصراني أخو صاعد أو عبدون كما سيأتي .

١٢٩ : ١٤ الصواب : عليك من الزمان . كما في الفوات ، (٥ : ٩٥/١٢) .

١٣٠ : ٨ الصواب : عِيٍّ وخيبٌ ، (٥ : ٩٧/٤) .

١٣٠ : ١١ اضل من دليل . مما فات مجاميع الأمثال ، (٥ : ٩٧/٩) .

١٣١ : ١ الصواب : حتوفها ، (٥ : ٩٨/١٠) .

١٣١ : ٣ الصواب : لَذاذةَ أيام . ابن عساكر .

١٣١ : ٤ المرزباني قلت وعنه ابن عساكر أيضاً ، (٥ : ٩٩/١) .

١٣١ : ٥ الصواب : ما من ، (٥ : ٩٩/٣) .

١٣١ : ١٣ مُجمل انساب الأشراف وأخبارهم هذا هو اسم الكتاب كما ثبت بآخر نسخة عاشر رقم ٥٩٧ منه وهي النسخة الفريدة ، (٥ : ٩٩/١٥) .

١٣٢ : ١٠ الصواب : ولم يفعل ، (٥ : ١٠١/٩) .

١٣٢ : ١٤ الصواب : بالرُشا .

١٣٣ : ١ الفهرست ٧٤ أصل الزبيدي ٩٩ الخطيب ٢٦٨١ المروج (المكتفي) تذكرة الذهبي ٢ : ٢١٤ الوفيات رقم ٤١ النزهة ٢٩٣ البغية ١٧٢ أصل مراتب النحويين ١٥٥ القراء ٦٩٢ المنتظم ج ٦ رقم ٦٢ .

والصواب : يحي بن زيد بن سيّار ، (٥ : ١٠٢/١٠) .

١٣٣ : ٨ الزبيدي : على ابنة ابنته وكذا المسعودي ، (٥ : ١٠٥/٤) .

١٣٣ : ١٩ الصواب : لصَمَمه .

١٣٤ : ١٩ الصواب : من باب كما في الفهرست والوفيات والزبيدي .

١٣٥ : ٦ الصواب : ابن سَلْم . الزبيدي ، (٥ : ١٠٩/١٠) .

١٣٥ : ١٦ مجلسه مع الرياشي في مجالس أبي مسلم ، (٥ : ١١٠/١٠) .

١٣٦ : ٢ المجالس : إنما أصير إليك لهذه القطعات والخرافات يروى بازلُ عامٍ وبازلَ وبازلِ الخ وهو الصواب ، (٥ : ١١١/١) .

١٣٦ : ٧ خبر المجلس في المجالس والزبيدي وعنه الأشباه ٣ : ٢٢ قال الطوسي ٨ ب قالوا أراد خظاتان وأنشد لأبي دُؤاد :

ومتنـــان خظاتان كزحلوف من الهضب

ومثله في شرح خرابُنداذ ، (٥ : ١١١) .

١٣٦ : ١٣ الصواب : في خظاتا الاضافةَ ، (٥ : ١١٢/١) .

١٣٦ : ١٦ الصواب : ظريفي ، (٥ : ١١٢/٦) .

١٣٧ : ١ الصواب : عبيد الله ، (٥ : ١١٢/٩) .

١٣٧ : ٣ الصواب : ظريفي ، (٥ : ١١٢/١٢) .

١٣٧ : ٦ أخيك ، مجاراة للعامّة ولم يكن ثعلب يتكلّف الإعراب ، (٥ : ١١٣/٢) .

١٣٧ : ١٢ كذا الفهرست ٦٧ ووصفه ابن خلكان وقد وقف عليه في ترجمة الفراء وسماه البهاء ، هذا ورأيت بخزانة نور عثمانيه رقم مجموعة ٤٨٨٤ يتلوه ما تلحن فيه العوام للكسائي مرتباً وهذه مسوّدة المرتب نفسه وعليه أنه يسمى بالبهيّ . وفي فهرست ابن خير ٣١١ ان كتاب البهي في النحو للفرّاء قال وهو ما تلحن فيه العوامّ ، (٥ : ١١٣/١١) .

١٣٧ : ١٣ طبع المذكر والمؤنث بحلب ١٣٤٣ هـ ولم أجد هذا الكلام فيه . (٥ : ١١٣/١٣) .

١٣٧ : ١٧ الصواب : لأنّ لا التبرئة .

١٣٨ : ١ البيت لا يوجد في طبعة ديوانه وانظر ما أصل (وعنرها) والصواب : بيض الخدود ، (٥ : ١١٤/١٠) .

١٣٨ : ٥ الصواب : للشباب .

١٣٩ : ٦ (إلا من بذل الوجه) لا غبار عليه .

١٣٩ : ١٥ فنقوم له . كذا ولعله فتقوم لأن ابن فارس لم يدرك أبا العباس ، (٥ : ١١٧/٩) .

١٣٩ : ١٦ ابن العلاف هو الحسن بن علي والأبيات في المنتظم ج ٦ رقم ١١ ، (٥ : ١١٧/١١) .

١٤٠ : ٨ قال وكان ثعلب الخ هذا الكلام لم أجده في المراتب ، (٥ : ١١٩/٧) .

١٤١ : ٤ وكان متبحّراً الخ . لفظ الزبيدي (ولم يكن يعلم مذهب البصريّين ولا مستخرجاً الخ) . (٥ : ١٢٠/٦) .

١٤١ : ٦ الصواب : لم يُغْرِق ، (٥ : ١٢٠/٩) .

١٤١ : ١٧ ولو أخذ لك الخ لفظ الزبيدي فلو أخذت رطلاً من لحم فأُصلحتْ لك منه قُديرةٌ لكان أصلح فقال رطل لحم الخ ومنه تعرّفت السقط ، (٥ : ١١/١٢١) .

١٤٢ : ٦ الصواب : الأدب وكانا . والأبيات تسعة أنشدها الخطيب ، (٥ : ٧/١٢٢) .

١٤٢ : ٧ الخطيب : العلم لا تُمْهِلَنَّ وأراه وجه الكلام ، (٥:١٢٢/٨) .

١٤٢ : ١٤ من خمسة أبيات في الحماسة بون ١٤٠ بولاق ١ : ١٥١ لاسحق بن خلف البهراني .

١٤٢ : ١٥ الصواب : أكرمُ نَزّالٍ .

١٤٢ : ١٧ الصواب : أميمة تهوى .

١٤٣ : ١٨ الأبيات في المنتظم ج ٦ رقم ٧٥ ، (٥ : ٤/١٢٥) .

١٤٤ : ١٣ الصواب : السميذ .

١٤٥ : ١٠ الصواب : أبو أحمد العسكريّ وهذا في أصل الدار من التصحيف ٢١ ب ومن المطبوع ص ٢٦ وبيت الأعشى في ديوانه صنعة ثعلب قصيدة ١٥ بيت ٣٢ ، (٥ : ٦/١٢٨) .

١٤٥ : ١٨ الأوّلان في القالي ٢ : ٩٤ وروايته يغفل ساعةً وروى الخطيب يغفل ما مضى ، (٥ : ٣/١٢٩) .

١٤٦ : ٥ الخطيب : إلى أن تتكلف عذرا ، (٥ : ١١/١٢٩) .

١٤٦ : ١٤ الصواب : نَذْلا .

١٤٦ : ١٤ الخبر الآتي في مجالس أبي مسلم كاتب الوزير ابن حِنْزابة ، (٥ :١/١٣١) .

١٤٧ : ٢ الصواب : يقوم مترجماً .

١٤٧ : ٩ الصواب : ثَبَجَ بحر . عن المجالس . والخبر الآتي عن الزجاجي في أماليه ٣٨ وعنه المعاهد ١ × ١٩ ، (٥ : ٥/١٣٢) .

١٤٧ : ١٩ الأبيات في نسخة مختصر طبقات المحدثين لابن المعتز (انظر في المطبوع الحواشي ص ٣٧) لمحمد بن أحمد الصيني ، (٥ : ٥/١٣٣) .

١٤٨ : ١ الزجاجي : وكم كَتَمَّا .

١٤٨ : ٢ الزجاجي : فراق أتاهما ، (٥ : ١٠/١٣٣) .

١٤٨ : ٨ الصواب : على تَرَح .

١٤٨ : ١٠ البيت ينسب في شواهد علم المعاني (المعاهد ١ : ١٩) إلى العباس بن الأحنف وليس في ديوانه ، (٥ : ٧/١٣٤) .

١٤٨ : ١٩ من حفظي :

أعاذلتــا أقصري أبعْ جِدَّتِيْ بالثمنْ
أرى النـاسَ أحدوثة فكوني حديثاً حسن

(٥ : ٦/١٣٥)

١٤٩ : ٢ المنتظم : بن محمد ، (٥ : ٩/١٣٥) .

١٤٩ : ١٥ و ١٦ الرواية وهي الصواب : شا تَمَني . ولاحتقاري له .

١٥٠ : ١١ الخطيب : يُعابِثْنَ بالقُضبان ، وهو الصواب ، (٥ : ٨/١٣٨) .

١٥٠ : ١٣ الخطيب : ولا استقبلتُ بَرْدَ .

١٥١ : ٤ الخطيب فالحمد .

١٥١ : ٧ الصواب : بن زيد بن سَيّار ثعلبْ ، (٥ : ٤/١٤٠) .

١٥١ : ٨ المعابر وكذا الخطيب والله أعلم .

١٥٢ : ٥ الخطيب : بالعلم باعثا ، (٥ : ٣/١٤٢) .

١٥٢ : ١٨ الصواب : ما يجري وما لا يجري ، (٥ : ١٤/١٤٣) .

١٥٣ : ٣ الحسن بن داود الخ ، زاد البغية وقيل ليعقوب ، (٥ : ٤/١٤٤) .

١٥٣ : ٤ الصواب : وأماليّ . ومجالس ثعلب هذا لا أعرف منه إلا نسخة الدار وهي مغسولة مطموسة ، (٥ : ٦/١٤٤) .

١٥٣ : ٧ كالأعشى ، هذا الديوان صنعة ثعلب ، (٥ : ٩/١٤٤) .

١٥٣ : ١٣ الصواب : أبي بكر محمد ، (٥ : ٧/١٤٥) .

١٥٣ : ١٥ الصواب : فكم تلبث . من الوفيات ، (٥ : ١٠/١٤٥) .

١٥٤ : ٧ ترجمته في الفهرست (تابع ص ١٧٢) نسخة تونك وعداده في المتكلمين ومن المطبوع ١٤٣ والخطيب ٢٦٨٨ عن المرزباني .

١٥٤ : ١٢ في ذي الحجة . ذكر نديمه الصولي في أخبار الراضي ١٣٧ أنه توفي في ذي القعدة . وفي الخطيب وقد جاوز النسعين وأراه تصحيفاً وإذا كان مولده سنة ٢٦٢ هـ فإنه لم يزد على ٦٦ سنة ولم يجاوز السبعين ولا التسعين .

١٥٥ : ٤ الشافعية ١ × ٢٢٣ البغية ١٧٤ ، (٥ : ١/١٥٠) .

١٥٥ : ٥ لعله مولى كيسبة والصواب (يكنى أبا عبد الله روى عن شعيب بن الليث وعبد الله بن وهب) ، (٥ : ٢/١٤٩) .

١٥٥ : ١٠ (ذكر ابن يونس) لا غبار عليه .

١٥٥ : ١١ تاريخ دمشق ٢ : ١٠٩ البغية ١٧٢ وفيها (بن السري الطائي) ، (٥ : ٤/١٥٠) .

١٥٥ : ١٩ الأبيات تسعة تتكرر ٦ : ٢٨٩ وهناك (عندي حزينه) ، (٥ : ٤/١٥١) .

١٥٦ : ١ هناك : اجمّع من عند الرواة ، (٥ : ٦/١٥١) .

١٥٦ : ٤ الصواب : أُغالِ بحذف الياء ، (٥ : ١١/١٥١) .

١٥٦ : ٩ الخطيب ٢٧٠٥ النزهة ٣٦٥ البغية ١٧٥ ، (٥ : ٨/١٥٢) .

١٥٦ : ١٣ البغية ١٧٥ .

١٥٧ : ٢ ثبت في النتف المجموعة بآخر بلدانه ص ٣٧٢ أنه كان حياً سنة ٢٩٢ هـ والمطبوع من مؤلفاته التاريخ والبلدان ، (٥ : ٦/١٥٤) .

١٥٩ : ٩ الصواب : أسوة بابن الأرقط .

١٦٠ : ٤ الصواب : كتاب ترجمته كتاب الثمرة ، (٥ : ٤/١٦٠) .

١٦٠ : ٦ الصواب : ابن زولاق ، مؤرخ مصر المتوفى سنة ٣٨٧ هـ .

١٦٠ : ١٢ الأغاني ٢٠×٥٦ كتاب بغداد ٢٣٤ الخطيب ٢٦٩٢ ابن عساكر ٢ × ١٢١ الأوراق (الشعراء) ١٤٣ و ٢٠٦ لأخبار عائلته وأشعارهم ، (٥ : ١/١٦١) .

١٦٠ : ١٣ الصواب : العجلي أبو جعفر (بالولاء) ، (٥ : ٢/١٦١) .

١٦٠ : ١٦ قول الصولي في الأوراق الشعراء ٢٣٦ ، (٥ : ٢/١٦٢) .

١٦١ : ١٢ الألف كذا وانظر .

١٦٢ : ٣ الصواب : كيف أتتْها من الأوراق وغيره .

١٦٢ : ٦ الصواب : بن ناقيا . وله ترجمة في الوفيات رقم ٣١٧ وهو صاحب المقامات وطبعة صاحبنا الأستاذ رشر ، (٥ : ٣/١٦٥) .

١٦٣ : ٦ الصواب : أريد اختصَرَ .

١٦٤ : ١ الجهشياري ٣٨٥ ، (٥ : ٥/١٧٠) .

١٦٦ : ٣ الجهشياري ١٤٨ ، (٥ : ١١/١٧٢) .

١٦٦ : ١٤ الجهشياري : فلما صرت إلى باب الإيوان ، (٥ : ١٣/١٧٣) .

١٦٦ : ١٦ الصواب كما في الجهشياري أيضاً (وفَرّجْ) كما هنا لا غير .

١٦٦ : ١٨ الصواب عند الجهشياري : فقال لي كأني بك يا يوسف وأنت تقول ، (٥ : ٥/١٧٤) .

(يتبع) عبد العزيز الميمني

الخراج والنظام الضرائبي

في مصر الأموية

لا بد لكل دارس لكتب الخراج أن يخرج بنظرة عميقة للأسس التي وضعها الفقهاء مسترشدين بالروايات السلفية التي تناولت النظام المتبع في فرض الخراج وغيره من ضروب الالتزامات المالية غير أن الوثائق الخراجية والسجلات التي عثر عليها تبدو متضاربة مع أسس كتب الخراج ، غير أن تلك الأسس التي وصلت الينا من خلال كتب الخراج والأدب الفقهي لم تكن لتطبق على علتها وبحذافيرها ، لأنها كانت تجانب روح التشريع وعدالة الإسلام ، وهناك كثير من الشواهد التي تثبت واقع الحال هذا وتخالف الأسس الخراجية الفقهية ، لأن تطبيقها يخالف روح التشريع ومبدأه الذي وضع بدون تخصيص بل كمبدأ عام . ان الجباية قد اتبعت منهجاً عادلاً يطابق الغرض من روح التشريع متفهماً واقع الحياة والظروف المحيطة به ، لذلك كثيراً ما نجدها غير متمسكة بهذه الأسس ولا تطبقها ، لأنها تنزل الإجحاف والضرر بالعامة ، فالقول بفرض ضريبة معينة ثابتة على أرض محددة ، أمر يستحيل تطبيقه لعدم عدالته ، بل نجد هناك اعتبارات لم يتناولها المشرع عند وضعه هذا المقياس العام . لذلك كانت الضرائب تفرض حسب مقتضى الحال والظروف الملائمة ، وتجبى بالتعديل وطبقاً للاصطلاح الفقهي السلفي « عفو ـ فضل ـ طاقة » .

ولما كان العرب في أول عهدهم بمصر ليست لديهم الدراية التامة بأحوال أهل البلاد التي سادتها فترة من الافقار والسلب والنهب قبل الفتح الإسلامي ،

فقد رؤي أن يطبق ما جرى به العرف سابقاً من نظم ضرائبية إن كانت في صالح البلاد. وكلنا يذكر المحاولات التي دارت بين الفاروق عمر «رض» وعمرو بن العاص وما كنا نقبل رضاء عمر بن الخطاب على رد عمرو بن العاص بعد حدّةٍ في طلب خراج عال وتعلل عمرو، لولا أن الأمر كان يهدف إلى مصلحة أهل البلاد ولا يرهق كاهلهم. ومنذ تلك الفترة وضعت الأسس التي طبقت في الجباية وأُدخِلَ في اعتبارها ما جرى به العرف من نظم ضرائبية سابقة، مفيدة لأهل البلاد، لذلك لم تطبق الأسس الخراجية الفقهية، إذ لو تم ذلك لكان مجافياً لروح العدل متجاهلاً حقيقة الدور الذي يلعبه النقد وصلته بالأسعار وقيمته الواقعية وقوته الشرائية إذ أن الأسس هذه لم تكن ثابتة بل متكيفة مع الظروف، ففرض دينار في وقت رخاء واستقرار، أمر سهل، بينما دانق في عسر وغلاء يعتبر عبئاً يثقل كاهل دافعه.

وتثبت الوثائق الخراخية والإدارية التي عثر عليها في مصر، بأن الإدارة الأموية لم تتقيّد بأصول فقه الخراج، وإنها تفهمت الواقع الناشيء عن وجوب معاملة الخراج بروح المنطق والواقع، لذلك أبقت الدولة الإسلامية الناشئة على النظم المعمول بها في الأمصار بعد أن كيّفتها بالروح العربية الخلاقة العادلة. واستمر الحال بهذا النظام إلى أن عربت الدواوين في نهاية عهـــد الدولة الأموية. وأصبح للنظام الخراجي آدابه المعمول بها والتي استمرت إلى أوائل حكم آل عثمان.

ولقد خدمت الوثائق الخراجية الإسلامية التي عثر عليهـــا في مصر تاريخ الإدارة الرومية لمصر أعظم الخدمات، إذ أنها أكملت الفجوات الواسعة غير المترابطة للنظام الإداري، لأن الوثائق الرومية لم تستطع أن تقـــدم الأسس التي يمكن أن تسهم في تخطيط هذا النظام.

وجلّ هذه الوثائق محرر إما باليونانية أو القبطية ونادراً ما كانت بالعربية ، ولقد حفظت لنا الاصطلاحات الإدارية الرومية بنصّها ، وهذا ما ساعد على تقديم صورة واضحة للنظام الضرائبي الرومي في مصر ، من خلال الإدارة الإسلامية ، وكما ساعد على تقديم أجل الخدمات للتاريخ الرومي ، التي لم تستطع مراجعه ومستنداته تقديمه .

ولقد بينت لنا رواية منقولة عن عمرو بن العاص المنهاج الذي اتبعه في جباية الخراج بمصر ، وهي قد أيدت الأسس التي اتبعت في الجباية متجاهلة القيود الفقهية التي تبدو في بعض الأحيان مجحفة بأهل البلاد ، كما أنها صورت النظام الرومي الضرائبي بصورة واضحة ، ولكن بعد أن كيفته بالروح الإسلامية العادلة . إذ يقول ابن عبد الحكم « أقرّ القبط على جباية الروم وكانت جبايتهم بالتعديل .. فجمع عرفاء كل قرية ومأزونها [Maizones] ورؤساء أهلها فيتناظرون في العمارة والخراب حتى إذا آقرّوا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكور ، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع . ثم يرجع سكان كل قرية بقسمهم ، فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الأرض العامرة ... فيخرجون من الأرض فدادين لكنائسهم وحماماتهم ومعدياتهم من جملة الأرض ثم يخرج منها عدد ضيافة المسلمين ونزول السلطان ، فإذا فرغوا نظروا إلى ما في كل قرية من الصناع والأجراء فقسموا عليهم نصيبهم بقدر احتمالهم ، فإن كانت فيهم جالية (جزية) قسموا عليها بقدر احتمالها وقل ما كانت تشمل الجميع ما عدا الرجل المنتاب أو المتزوج ، ثم ينظرون في ما بقي من الخراج ، فيقسمونه بينهم على عدد الأرض ، ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم ... »

هذا هو الأساس الذي وضع إجمالاً في فرض الخراج وغيره من الإلتزامات المالية ، وهو لا يتفق مع تفاصيل الأسس التي وضعها فقه الخراج إلا من حيث روحه العادلة ، كما أنه لا يتفق مع تفاصيل الجباية الرومية التي لم تتسم بالعدل .

إن الضرائب التي اصطلح على تسميتها بالخراج كانت تجبى من أهل الذمة ومن هؤلاء المسلمين الذين كانوا يمتلكون أرضاً خراجية ، والتي عوملت نفس معاملة الأرض الخراجية ، وليس بالعشرية كما كان يتم في سواد العراق التي انتقلت إلى أرض عشريّة في منتصف الدولة الأموية بسبب الهبات والإقطاعات التي منحت لرجال الدولة .

والجباية في مصر كانت تجمع بنوعيها النقدي والعيني . وكانت بنوعيها خاضعة لتقسيم آخر هو ضرائب عامة أطلق عليها Puplicus وضرائب غير عادية أطلق عليها Extraordina .

والضرائب العامة التي تقابل في اصطلاحنا الخراج كانت تجبى في شكلين أولها نقدي وثانيها عيني أي ضريبة القمح الرومانية والمساة Embola [1] .

والضريبة العامة كانت تتضمن أيضاً ثلاثة أنواع من الضرائب . أولها : خراج الأرض ، والثاني جزية الرأس أو الجالية ، وثالثها ما يسمى باليونانية Dapani [2] وكان النوع الأول أي خراج الأرض ذا أهمية كبرى لأنه

---

(١) أهم المراجع المستخدمة هي مجموعات أوراق البردى المحفوظة في المتحف البريطاني ودار الكتب المصرية واختصارات الكتب هذه كالتالي :

Greek Papyri in the British Museum = متحف بريطاني

Arabic Papyri in the Egyptian Library = دار الكتب

متحف بريطاني بـ ١٤١٢ ، ١٤٣٠ سجل الخراج ودار الكتب بـ ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٤ ـ ١٦٥ ، ١٦٧ ، ج ٢ ص ٦٠ ، ٦٣ .

(٢) راجع متحف بريطاني سجل الخراج .

مصدر ضرائبي هام كان مخصصاً لدفع المعاشات (طعام المسلمين) ومصاريف جباة الضرائب والإدارة المحلية [١] ، أما الجزية فكانت تجبى فقط من الرجال البالغين وطبقاً لشروط قدمتها لنا آداب الخراج [٢] .

وخراج الأرض « Dimosia » كان يفرض فقط على كل مالك لأرض أو مستنفع بصرف النظر عن كونه رجلاً أو امرأة . وتبين لنا الوثائق الخراجية بأن هناك فئات كانت تدخل تحت هذا النوع من الضرائب التجارية إلا أنها كانت تسجل في سجلات الخراج تحت اسم ضريبة الأرض dimosia [٣] وهي لا تخضع في شكلها إلى ضريبة جزية الرأس ولكنها كانت تلحق بالخراج .

إن العشور الاسلامية التي أوضحتها لنا كتب الخراج ، لم تكن سائدة من عهد رسول الله ﷺ إذ ان الوثائق غير كافية لكي نحكم بعكس ذلك ، ولكنها بدأت تجبى بشكل واضح في عهد الخلفاء الراشدين ، وقد طبقت على أهل الذمة بمقاييس تختلف عن المقاييس التي كان يخضع لها المسلم ، والتي كانت تدعى بالزكاة ، وهي من أركان دينه . غير أن العشور أصبحت ضريبة خراجية تجبى من المسلم والذمي والحربي ، يدفعها المسلم كزكاة بنسبة ٢٫٥٪ والذمي بنسبة نصف العشر ٥ ٪ وآخرون مثل الحربي المتردد على دار الإسلام والذمي في بعض الحالات بنسبة العشر ١٠٪ [٤] هذه الضريبة كانت تدفع في مصر تحت أسماء متعددة وطبقاً لمقتضى الحال المهني وطبيعته .

---

(١) متحف بريطاني ١٤١٩ .

(٢) Catalogue of the Greek Papyri in the John Rylands Library. Vol. II P. 322.

(٣) متحف بريطاني ، ١٤١٩ ـ ١٢١٥ وابن عبد الحكم . ص ١٥٢ .
دار الكتب ، ٢١٤ جزء ٣ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩ .

(٤) أبو يوسف ص ١٣٣ كتاب الخراج والسمرقندي ، ج ١ ص ٤٨٨ .

وتظهر لنا الوثائق الخراجية بأن ضريبة القمح Embola وهي جزء هام من خراج الأرض (Dimosia) تختلف قليلاً عن مثيلتها في العهد الرومي ، وكانت في الأصل تفرض على الأرض غير أنها كانت تفرض أحياناً على بعض الأشخاص الذين لا يمتلكون أرضاً [١] ، مثال ذلك الراعي الذي لا أرض له فانه كان يدفع ضريبة القمح Embola ونظراً لأنه لا ينتج قمحاً ، فانه كان يدفع ٣ قراريط سنوياً كضريبة إن لم يستطع تقديم القمح وذلك تحت بند الخراج (Dimosion) [٢] ، ومن حالات أخرى نجد أن ضريبة خراج الأرض كانت تدفع تحت اسم Dimosion ، ولما كانت الأرض لا تنتج قمحاً فان ضريبة القمح العينية كانت تعتبر وكأنها مقابلة لنفس الضريبة التي تدفعها أرض غير مزروعة [٣] ، وبأنها تدفع عينياً وليس نقدياً ... ورغم أن الضريبة عينية ، فاننا نجد أحياناً أنها كانت تستبدل ضريبة نقدية ، غير أن الإدارة المركزية في دمشق لم تكن تشجع على هذا الاستبدال بقدر المستطاع . ومن الظن بأن الدفع النقدي قد يعتبر كضريبة القمح Embola ولكن لا يمكن اعتباره كضريبة خراج الأرض رغم أن ذلك ليس بمؤكد [٤] .

ويظهر من المستندات الضرائبية بأن ضريبة القمح العينية كانت تتنوع في كميتها وتختلف من وقت لآخر ، خلافاً للضريبة النقدية الذهبية التي كانت باستمرار ثابتة .

(١) ذكرهم ابن عبد الحكم بالصناع والأجراء .

(٢) متحف بريطاني ١٤٢٦ ، P. Ryland ، ١٨٨ ودار الكتب ، ١٩٦ ، ٢١٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ وقد ذكرت البرديات هذه نوع الضريبة كضريبة المراعي وكذلك كالمروج تبعاً لبرديات ٩٩ ، ١٦٣ . وقد ذكر السمرقنـدي ص ٤٩٧ في تحفة الفقهاء بأن الأرض المهجورة تدفع الخراج لأن السبب هو عدم الرغبة في الزراعة . هذا بينما أكد أبو يوسف على أمر جباية ضرائب المراعي والمروج .

(٣) متحف بريطاني ١٤٢٨ .

(٤) متحف بريطاني ١٤٣٤ .

وقد اصطلحت كتب الخراج على تسمية هذا النوع باسم خراج المراعي [١]. وكانت هذه الضريبة العينية تجبى من خراج الأرض من القمح والشعير غير أن الشعير كان يجبى بكميات قليلة، وكان لهذا النوع من الضرائب موظف سمي Embolarchis [٢].

وكانت ضريبة الخراج العامة Publicus تجمع عدداً آخر من الضرائب إلى جانب خراج الأرض « Demosia » وهذه الضرائب يمكن اعتبارها ضرائب غير عادية « Extraordina » [٣]، وقد أصبحت هذه الضرائب الاستثنائية ذات شكل ثابت تكاد تجبى، وصارت تذكر في سجلات الخراج بشكل يجعلها من ضمن الضرائب العادية [٤]. وإلى جانب هذه الضريبه نجد ضريبة أخرى غير عادية أطلق عليها Tetartia وهي تشبه مثيلتها الرومية Prosdiasraphomina التي كانت تجبى كضريبة مالية قرطاسية [٥] وهي لتغطية المصاريف العامة مثل معاشات الموظفين والحامية العربية، وكمؤنة للصناع وللأعمال البحرية، ومصاريف إنشاء المباني العامة الخ [٦]، وكما

---

(١) أبو يوسف ص ٨٨، ١٠٣.

(٢) متحف بريطاني ١٤٤١، دار الكتب . ج ٣، ص ٦٢ وعن الموظف المختص بهذه الضريبة راجع متحف بريطاني جزء ٤ مقدمة ص ١٦ وبردية ١٤٥٧

(٣) متحف بريطاني ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤٧٠.

(٤) « بريطاني ١٤١٤ و Karabacrk. Wzkm, XI P. 14
وبصدد اخطارات الدفع راجع Collection of the Papyrus Erzherzog Rainer, Wien, p. 3628
دار الكتب ١٤٥، ٢٣٥

(٥) متحف بريطاني ١٤١٤.

(٦) « بريطاني ١٣٦٢ حيث طالبت البردية صاحب الكورة بتقديم جذوع النخل اللازمة للمباني العامة برديات ١٣٦٨، ١٣٨٠ بينما تطالب البردية ١٣٦٨ بارسال سلاسل حديدية إلى مسجد دمشق . وتطالب بردية دار الكتب رقم ١٤٨ بارسال « ثمن رزق الأمير وحاشيته وعماله ».

يظهر فإن هذه الضريبة لم تكن محددة وثابتة ، فطوراً كانت تدفع عينياً ، وأخرى نقدياً (١) .

وإلى جانب ذلك نجد بأن السلطات المركزية كانت تطلب من دافعي الضرائب بعضاً من الخدمات الشخصية في كافة الميادين ، وتلقي طريقة تقدير وفرض هذه الخدمات الضوء على وسائل جمعها وأدائها .

ومن الواضح أن هذه الخدمات تشبه مثيلها في العهد الرومي وهي تختلف كثيراً عن الخراج والجزية ، غير أن طريقة الفرض والأداء كانت واحدة من حيث المبدأ مثل مقابلها في الدولة الرومية .

ونجد أن رجال الفقه الإسلامي لا يتفقون في الرأي مع هذا النوع من الخدمات ولا يقرون باعتبارها الحالي كخراج أو جزية ، بل هم نددوا بها وحذروا الولاة والعمال من طلبها من أهل البلاد . ولكن هـــذا النوع لم يُفرَض من قبل الحكومة المركزية بدمشق بل عن طريق رجال الإدارة المحلية .

وكانت واجبات الإدارة المحلية الاحتفاظ بسجل عن كل كورة (٢) مقيد بها أسماء جميع واضعي الضرائب ومساحة الأرض المملوكة ، وبالقيمة الخراجية المحملة عليهم ، وكذلك بقوائم منفصلة عن الأراضي وإنتاجها (٣) فإننا لنجد بها بياناً بأنواع الأشجار والنباتات التي تقدم محصولات زراعية مثل النخيل والسنط (٤) بشكل دقيق ومفصل مع ذكر الإنتاج وكميته (٥)

---

(١) متحف بريطاني ١٤١٤ .

(٢) « بريطاني ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٥٦ ودار الكتب ٢٠٠ - ٣١٤ .

(٣) ما سبق وبردية ١٣٣٩ .

(٤) دار الكتب ١٦٣ .

(٥) متحف بريطاني ١٦٣١ .

والغريب أن أرباب الحرف والصناع قد قيّدوا في هذا السجل مع ذكر أنواع مهنهم وعدد مساعديهم وصبيانهم [١] وكان هناك مسئولون عن هذه السجلات كل منهم له تخصيصه في نوع العمل ، وكان على رأس هؤلاء المأزون Meizones [٢] . وهذه السجلات كانت تبين مقدار الجباية المطلوبة ، وما قد جبي بالفعل منها على أقساط ومقدار كل قسط .

ولقد كان من حق أي دافع للضرائب أو أي كورة أن يتقدم بالشكوى مباشرة إلى الوالي ، إذا ما فرضت عليهم ضريبة باهظة . وعلى أساس سجلات الخراج فإن الحصة السنوية المحددة من الضرائب كانت تقسم إلى بندّيها العادي والاستثنائي ، وبذلك يسهل عمل صاحب الكورة في جمعها ، وكانت توزع بعد ذلك أنصبة وحصص كل قرية أو أي وحدة إدارية طبقاً لهذه السجلات . وكانت عملية تقسيم الضرائب وتوزيعها إلى حصص وفرضها تتم على أيدي موظفي الخزانة المركزية بالفسطاط (بيت المال) وليس في الكورة نفسها . وتبين هذه الظاهرة بأن السجلات كانت تحمل بانتظام إلى المركز الرئيسي [٣] حيث تراجع مراجعة دقيقة ، وذلك حتى لا يقع صاحب الكورة في الأخطاء أو في عدم العدل في توزيع هذه الضرائب على السكان ، وكان موظفو الكورة مسئولين مباشرة أمام الإدارة المركزية ، وعليهم مراجعتها باستمرار [٤] .

وكان في الإمكان تأجيل دفع الحصة المعروضة من عام إلى آخر ، إذا كانت هناك دواع وأسباب إلى ذلك ، ولكن بشرط أن تبقى هذه الحصة

(١) الهامش السابق .
(٢) متحف بريطاني ١٣٥٦ .
(٣) « بريطاني ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٥٦ .
(٤) « بريطاني ١٣٣٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٤٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٧٠ ، ١٤٣٧ الخ .

المفروضة في حدود قيمتها وكميتها المطلوبة من قبل ورغم أن الحصص المفروضة كانت محددة ، غير أن الجباية لم تكن تلقائية وحرّة ، بل نجد أن الوالي كان هو الذي يحدد النسبة التي يجمعها الجابي ، وكانت الضرائب تجمع على دفعتين سنوياً ، وكل دفعة كانت تقسط إلى قسطين أو أكثر (١) وكان متولي الخزانة المركزية يقوم سنوياً بحساب المبالغ المطلوبة من كل كورة أو جهة إدارية ، وبمقتضى هذا فان الوالي كان يرسل بأوامر الجباية المطلوبة من كل كورة ، مبيناً لصاحب الكورة التوزيع للحصص المكلف بجمعها من كل وحدة ، أو قرية ، وذلك حسب أمر الجباية ، في الوقت الذي يوجه فيه إلى أهل المنطقة إشعاراً مبيناً فيه المبالغ المفروضة عليهم(٢) وحالما يتلقى السكان هـذا الإشعار فانه يتم اختيار بعض العرفاء Epilegomai حسب الطريقة المستخدمة في انتخاب حياة الضرائب (٣) ، فيقومون بتقسيم الحصة المطلوبة على أهل المنطقة ، وتقدير نصيب كل فرد منهم ، وهم بدون شك يعتمدون في ذلك على سجلات النفوس وحصرها Kata-raphon .

أما أمر الجباية الذي يصدره الوالي فكان يشتمل عادة على الضرائب المطلوبة كالخراج وضريبة القمح ، ويبقى على فارضي الحصص هؤلاء توزيع المبلغ الإجمالي للخراج والجزية ومصاريف الحكومة Depani على حصص صغيرة ، فيقررون من الذي سيدفع كل ضريبة ومقدار القسط المطلوب جبايته من كل واحد منهم(٤) ولهم الحق كذلك في فرض المقدار الذي يدفع عن كل نوع من الأرض المزروعة ، مع تعيين الأفـــراد Ovoma الذين يفرض عليهم دفع ضريبة ما .

---

(١) متحف بريطاني ١٥٧٠ .
(٢) « بريطاني ١٥٧٠ .
(٣) « بريطاني ١٤٢٠ ، ١٥٥٢ .
(٤) « بريطاني ١٤٢٠ ، ١٥٥٢ .

ومما لا شك فيه أن كل ذلك يتم على أساس سجلات حصر النفوس التي تراجع بشكل دوري [١] وفي حالة وجود بواق للضرائب لا تعرف طريقة فرضها ، فإنه يحتم الرجوع إلى الإدارة المركزية في شأنها . غير أن مصاريف الإدارة المحلية يكون الأمر في فرضها وجمعها بيد صاحب الكورة ومساعديه ، بدون الرجوع إلى تعليمات خاصة .

وتظهر الوثائق الخراجية بأن هناك أجراء مماثل لما بيناه بالنسبة للضرائب غير العادية ، إذ أن الحصة المطلوبة منها لم تكن تقل بأي حال عن الحصة المفروضة في الضريبة العامة Demosia ، ومهما كانت هذه الحصص قد فرضت الايفاء بأهداف خاصة ، كتغطية مصاريف غير منظورة للإدارة المركزية ، فإنها كانت عامة تنصب للشئون البحريّة وغيرها من الطوارئ العاجلة ، وكانت مبالغ محددة تفرض عندما يستدعي الحال ذلك . وفي بعض الحالات نجد بأن المصروفات قد تكون أقل من المبلغ المفروض أو أكثر منه ، ومثالاً على ذلك نجـــد في السجلات أن هناك مبلغ ٢٤ ديناراً و ١١ قيراطاً قد استدينت لـكي تغطي مصاريف إحدى المهات التي فرضت لها حصة أقل من الواقع [٢] وهذا يشكل صعوبات كثيرة في الإيفاء بالمصروفات المطلوبة عينياً خلافاً لتلك المطلوبة الأداء نقداً .

ونجد بأن توزيع أوامر الجباية وإشعارات الدفع في الكورة الواحدة ، كان يتم بمقتضى الإجراءات المتبعة في جباية وفرض الخراج بالمركز الرئيسي . أما مطالبة الأشخاص بأنصبتهم في هذه الضريبة فإنه كان يتم محلياً [٣]

(١) متحف بريطاني ١٣٥٦ ودار الكتب ١٤٦ .
(٢) » بريطاني ١٤١٤ ، ١٤٧٠ .
(٣) » بريطاني ١٤٤٨ .

ولم يكن هناك فروق واضحة ومميزة بالنسبة للضرائب غير العادية ، وإذا كانت ستؤدّى عينية أو نقدية ، والشيء المميز هنا بالنسبة لهذا النوع هو طلب الأشياء نفسها بمسمياتها بصرف النظر عما إذا كانت قد اشتريت بواسطة الإدارة المحلية ، وإنما المهم هو طلب الشيء نفسه مثل سلاسل من الحديد من منطقة لا تصنعها وهنا نرى أن الضريبة العينية هذه قد أديت نقداً ، بينما نجد في حالة أخرى أن أمر دفع الضريبة كان يلزم بدفعها نقـــداً لغرض شراء أشياء وأدوات عينية [1] .

وإن الأمر غير واضح لنا ، لأن عملية تقدير هذه الضرائب غير العادية كانت في ذاتها غير واضحة ، ففي بعض الحالات نجد أن هناك ضريبة نقدية كانت تجمع لأداء طلبات عينية وفي بعض الحالات الأخرى كانت تجمع ضرائب عينية لوفاء ضرائب نقدية .

وكان خراج الأرض العام Demosia يدفع على أقساط إلى الخزانة المركزية في الفسطاط (سكـّلات الغلال) Sakella ، غير أن هذه الأقساط لم تكن تشمل جميع الحصص المطلوبة من المنطقة . كما وان جزءاً من المصاريف العامة Logisima والمدفوعات المفروضـــة [2] المخصصة للصرف على بعض الأغراض ، كانت تدفع نقداً إلى المسؤولين عنها مباشراً وليس عن طريق الخزانة العامة (بيت المال) [3] وكان يتبقى عادة جزء من الحصص المفروضة بعـد وضع حصة المصاريف العامة وحصة الخزانة ، كذلك خصص جزء منها للمصاريف المحلية كأجور الموظفين وغير ذلك .

---

(١) متحف بريطاني ١٥٠٨ ــ ١٥٠٩ .

(٢) « بريطاني ١٤١٤ بالنسبة للضرائب العينية المدفوعة نقداً ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٤ للضرائب العينية انظر برديات ١٣٥٤ و ١٣٥٣ ، ١٤٣٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٣ ، وبالنسبة للمصاريف العامة انظر ١٤١٤ .

(٣) متحف بريطاني ١٣٣٦ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ .

وعلى العموم نجد بأن جميع حصص الخراج العام Demosia والتي كانت تفرض كمصاريف عامة Dapane كانت تطالب كلها بواسطة الخزانة (١) وكانت ضريبة القمح العينية تقسم إلى قسطين تمهيداً لنقلها إلى مخازن الغلال في بابليون وإلى بند Dapane والتي هي بدون شك مصاريف إعاشة الموظفين المحليين (٢) . وبالنسبة للخراج النقدي وضريبة الطعام Embola العينية فان حصة كبيرة منها تدفع إلى شون بابليون والخزانة العامة إما في بابليون أو الاسكندرية . وكانت تخصص كمعاشات نقدية وعينية للحامية العربية ، وأطلق عليها رزق أو طعام المسلمين . وكان جزء منها يذهب إلى أنحاء الدولة الاسلامية في وقت الحاجة اليه ، فلقد روى لنا التاريخ بأن عمرو بن العاص أرسل بكميات ضخمة من القمح والطعام إلى المدينة في السنوات الأولى للفتح الاسلامي وذلك لانقاذ الحجاز وعاصمة الدولة الاسلامية من الجوع الذي عم البـــلاد في عام الرمادة (٣) .

ولم يبق إلا أن نبحث أمر الخدمات الشخصية التي كانت تطلبها الادارة المركزية من السكان ، ونجد بأن نفس الاجراءات قد اتخذت بالنسبة لهذه الخدمات مثل ما اتبع من قبل في فرض الضرائب . فالادارة المركزية تخصص حصص الأعمال المطلوبة على الكور ، وذلك في خطاب موجه إلى صاحب الكورة مصحوباً بأوامر فرض الضرائب وبعدد الأشخاص المطلوب منهم أداء مثل تلك الخدمات . أما أمر التكليف الشخصي لمن يقوم بهـا

---

(١) متحف بريطاني ١٣٧٠ ، ١٣٧٥ دار الكتب ١٤٦ ابن عبد الحكم ص ١٥٣ .
(٢) « بريطاني ١٤٣٤ ، ١٤١٤ .
(٣) ابن عبد الحكم ص ١٥٩ ، ١٦١ ذكر ما أجراه عمرو بن العاص بمناسبة عام الرمادة وكيف أنه شق قناة تراجان إلى البحر الأحمر حتى يسهل إرسال الغلال إلى الحجاز انظر موير ، تاريخ الخلافة ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

فانه كان يتم محلياً وطبقاً للسجلات التي أعدها فارضو الضرائب [1] ، ورغم أن هذه الخدمات كانت على العموم اجبارية ، فانه لا يمكننا أن نطلق عليها اسم السخرة لأن القائمين بها من بحارة ونوتية وعمال كانوا يتلقون أجوراً على أعمالهم . وهذه الخدمات كما تبدو لنا هي عبارة عن إلزامات إدارية ، فمثلاً نجدها عادة تمتزج بما يطلق عليه العمل العيني ، أي أن تطالب الادارة المركزية أشخاصاً بعينهم ، وفي بعض الحالات تطلب أجور بعض الأشخاص من منطقة ، إذا لم تستطع تقديم أحد للقيام بمثل هذه الخدمات . ووجه الخلاف هنا بأن يطلب أداء بعض الخدمات المحددة بعدد من الأشخاص بصرف النظر عما إذا كانوا قد استؤجروا محلياً وأرسلوا لأداء الخدمة أم لا . [2]

وكان هـــذا العمل الإلزامي يقسم إلى عدة حصص ، كانت البحرية تحظى بمعظمها . وبطبيعة الحال فان الخدمة البحرية كانت تعكس طموح الدولة العربية الفتية في دمشق للسيادة على البحر المتوسط . ولم يكن هذا النوع من الالزام معروفاً على عهد الفاروق عمر بل بدأ في عهد عثمان بن عفان ، ولا نعجب لذلك لأن موقف عمر (رض) معروف بالنسبة لركوب البحر . ولقد أطلق عثمان يد معاوية بن أبي سفيان في أمر تشييد الأسطول الاسلامي ، وسرعان ما شب الأسطول الأول ووضع يده على قبرص وواجه الأساطيل الرومية في عدة معارك بحرية حاسمة وانتصر عليها . لذلك لا نستغرب طلب الادارة المركزية في الفسطاط والحاحها في طلباتها العديدة الموجهة إلى قرى صعيد مصر البعيدة في طلب نوتيـــة للعمل في خدمة الأساطيل البحرية العربية ، أو للعمل في ترسانات (مصانع) بناء السفن بباليون والاسكندرية والقلزم ورشيد . ولقد ازداد الطلب على الخدمة البحرية عندما بدأت السلطات المركزية في دمشق بتوجيه نشاطها إلى شمال إفريقية وإسبانية .

---

(١) متحف بريطاني ١٣٥٦ .

(٢) « بريطاني ١٤٣٣ ، ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ .

وإلى جانب هذه الأنواع من الضرائب التي وصلتنا عن طريق الوثائق الضرائبية ، فاننا نجد العديد من الأنواع الأخرى التي فرضتها الخزانة المركزية في الفسطاط وهي تتفق في أنواعها مع ما جاء في كتب الخراج . ولا يجوز أن نتجاهل مثل هـذه الوثائق الخراجية رغم أنها ترجع إلى عصر متأخر نوعاً ما ، لأن كتب الخراج قد ذكرتها . لذلك لا يمكن أن ننفي حقيقة فرضها وجبايتها لأننا لم نعثر على وثائق خراجية لهذا العصر .

فلقد فرضت ضرائب على المصايد وعلى القنص ، وكانت بنفس المعايير التي اتبعت في العهد الرومي (١) وبالنسبة لضرائب الصيد فقد قدمت لنا كتب الخراج نسبها كـ ٢٠ ٪ وهي لم تختلف عنها في العهد الرومي إذ كانت ٢٥ ٪ وبطبيعة الحال فإن كتب الخراج قد ذكرت صيد البحر في عهد متأخر لأن العرب في أول عهدهم لم يكن لهم اهتمام بالبحر ، لذلك فان الروايات المبكرة في كتب الخراج لم تتناول هذا النوع من الضرائب . وكل ما جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف كان عبارة عن نصّين لتأجير بحيرات تستخدم لصيد السمك ، وليس على الصيد نفسه (٢) . وقد ناقش الفقهاء هذه القضية التي حاولت أن تجعل فرض ضرائب على خراج البحر كاجراء غير فقهي ، وحاولوا جعل هذه الضرائب في حكم العشر والزكاة بينما نجد وثائقنا قد فرضت ٢٠ ٪ للضريبة وهي تخالف الحدود التعامل بها في العشر والزكاة . (٣)

---

(١) هذا النوع كان معروفاً في العهد الروماني والرومي وكذلك في العهد الإسلامي وقد رواه لنا أبو يوسف في رواياته وسماه الأحباس المعروفة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . أبو يوسف ص ٧٠ ، ٨٧ .

(٢) راجع كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٨٧ .

(٣) Tauberschlag, the Laws of Greco - Roman Fgypt Warszawa, 1955 P. 663 ذكر بأن هذه الضريبة كانت ٢٠٪ .

والنصوص الخراجية بينت لنا ضريبة تدعى المصايد منذ وقت مبكر ، وهي تشابه مثيلتها في العهد اليوناني [١] وكانت هناك ضرائب تفرض على المراعي [٢] وعلى المروج [٣] وأخرى على المكس وهي مثل الضريبة Telos الرومية [٤] .

وهناك العديد من الضرائب التي تعامل كالعشور ، ولكننا لا نملك لهـا وثائق خراجية من العصر نفسه ، وهي مثل ضرائب الحطابين ، والنساجين والغزالين وغيرهم من أهل الحرف . وهي التي وردت في وثائقنا ضمن خراج الأرض . غير أننا لم نتمكن من معرفة ما إذا كانت من ضمن حصة أهل القرية من خراج الأرض أو فرضت عليهم بصفة مهنية .

ولقد قدمت لنا كتب الخراج مقاييس عديدة لفرض الخراج على الأراضي بأنواعها ، كالمزروعة وغير المزروعة والتي تُروى بالماء ، أو التي تروى بالأمطار والآبار والمياه المنقولة .. غير أن هذه المقاييس لم تتفق مع ما جاء في وثائقنا الخراجية ، إذ أن تلك المقاييس لم تستخدم عند فرض الخراج ... ولكن ما بقي في وثائق الخراج هو استعمال هذه الأنواع من الضرائب وهو استعمال لفظي فقط ، أما المقاييس في الفرض فتركت . فمثلاً وثائقنا قدمت ضرائب

---

(١) دار الكتب ١٣٣ و Erzherzog برديات ٢٥٧١١ و ٧٢٧٧ و ٩٠٣٢ .

(٢) تبين لنا البرديات بان هناك سجلات خاصة الماشية والحيوانات المنزلية حسب أماكن تواجدها دار الكتب ٢٣٣ ، ١٩٦ ، ٢١٢ وهذه الضريبة تقابل مثيلاتها في كتب الخراج أي العشور للذمي والحربي .
انظر « أبو يوسف» ص ١٣٢ـ١٣٧ والسمرقندي ٤٣٧ـ٤٥١ ، ٤٩٥ - ٤٩٩ .

(٣) دار الكتب ٢٣٨ ، أبو يوسف ص ٧٠ .

(٤) دار الكتب ١٤٧ ، وراجع كتب الخراج بالنسبة « للمكس » ومبدأ فرض المكوس وأن أول متولي المكس كان ربيعـة بن شرحبيل بن حسنة أيام عمرو بن العاص .

ل المأله (١) خراج النخل (٢) ، خراج الخردل (٣) ، خراج الخضر (٤) ، خراج القصب (٥) خراج القرط (٦) خراج الكروم (٧) .

وقدمت لنا كتب الخراج أنواعاً أخرى من الضرائب تجبى على التعدين والركائز وهي هنا تتجاوب مع النظام الذي كان يخضع له المسلم الذي يدفع الزكاة والعشر ، وكانت تصل إلى ٢٠ ٪ (٨) .

وبالنسبة للجالية أو ضريبة الرأس أي الجزية فإن وثائقنا الخراجية قد دمجت هذه الضريبة في ضريبة خراج الأرض ولم تكن تجبى طبقاً لما جاء في كتب الخراج ، بل كانت تنوع حسب حال السكان ، فمنهم من كان يعفى منها ، ومنهم من كانت تضاعف عليه ، وغالباً ما كان السكان لا يدفعونها مباشرة ، إذ انها كانت تجبى ضمن حصتهم من الضرائب بدون تسمية ، ولم تكن الهدف الرئيسي من الجباية مثل ما تمّ في سواد العراق وخراسان ، وهذا المبدأ وضعه الفاروق عمر عندما عامل القبائل المسيحية العربية التي أبت أن تدفع جزية الرأس فسماها عمـــر جوازاً العشر وكانت ضعف زكاة المسلم ، أي نصف العشر (١) .

ونلاحظ بأن الضرائب الاستثنائية هـذه قد استفحل أمرها في العهود

(١) دار الكتب ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٨٢ .
(٢) « « ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، Rylands ج ٢ ص ٢٥١ أبو يوسف ص ٣٦ .
(٣) « « ٦٣ .
(٤) « « ٦٥ أبو يوسف ٣٦ البلاذري ص ٢٧٠ .
(٥) « « ٢٣٤ ، أبو يوسف ٣٦ .
(٦) « « ٦٥ ، ١٠٠ .
(٧) « « ١٠٠ أبو يوسف ص ٣٦ ، ٨٥ ، يحيى بن آدم ص ٤٩ ـ ٥٠ وذكر بأن ضرائب الخمور هي ١٠٪ .
(٨) يحيى بن آدم ص ١٨ أبو يوسف ص ٧٠ .
(٩) راجع كتب الخراج والبلاذري والطبري بالنسبة للعرب المسيحيين وعن الجزية راجع متحف بريطاني ١٤٢٠ ، ١٤٢١ وسجل الخراج رقم ١٨٤٧ ، ١٤١٠ .

المتأخرة مما دعا أبا يوسف أن ينصح أولي الأمر بعدم جبايتها إذ قال: «ولا يؤخذ أهل الخراج برزق عامل ولا أجر مُدى ولا احتفال ولا نزلة ولا حمولة طعام السلطان، ولا يؤخذ منهم ثمن صحف ولا قراطيس ولا أجور الكيالين ولا مؤنة لأحد عليهم. ولا يضربن رجل في دراهم خراج ولا يقام على رجله، فانه قد بلغني أنهم يقيمون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد»(١).

ووثائق الخراج تبين لنا بأن هذه الضرائب الاستثنائية كانت تجبى كأحد فروع خراج الأرض التي كانت تجزأ إلى صنوفها وفروعها المختلفة، مثل ما يتم في أي موازنة للدولة في العهد الحديث، والتي تخصص جزءاً من دخلها لمثل هذه الأعمال. ولكن يظهر بأنه في العصور المتقدمة أصبحت هذه الضرائب تجبى إلى جانب الخراج وبشكل يجحف بمصالح أهل العهد، لذلك ذكره أبو يوسف في تعلياته لأصحاب الكور والدهاقين لتجنبه.

وقد قدم لنا الأدب المسيحي الكنسي صوراً مظلمة للجباية في عهد عبد الملك بن مروان، وقد جاء به أن أهل البلاد قيدت تحركاتهم وختم على أيديهم وأحصي الرهبان. ولكن وثائقنا قد بينت لنا وأوضحت البيانات التي جاءت في كتب التاريخ الإسلامي أن هذه الاجراءات تمت عند تعداد النفوس الذي كان يجري كل ١٤ عاماً، وان الغرض منه الحصر أن لا تترك الفرص للتهرب من القيد في سجلات حصر النفوس التي هي الأساس في جباية الضرائب، والوثائق تبين لنا كيفية إصدار جوازات سفر محلية كانت تصدر عند عمليات حصر النفوس، حين كان يسمح لأهل البلاد بترك الأماكن التي سجلوا في سجلاتها، وكيف أن الجباية كانت تتم عن طريق محل الإقامة الجديد لصالح المنطقة التي كان يتبعها في الأساس(٢).

---

(١) أبو يوسف ص ١٠٩.

(٢) راجع ساويرس: الأشموني: تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٠٩. وبالنسبة لتصاريح وجوازات السفر المحلية راجع دار الكتب ص ١٧٤، ١٧٥ المقريزي ج ٢ ص ٤٩٢ وساويرس ٣٠٥، ٣١٤.

وهذه الوثائق بينت عدم صحة اتهام الجهاز الإداري بالقسوة والظلم ، لأنها بينت وقدمت الكثير من الشكاوى التي أزيل بها التغالي في فرض الضريبة واهتمام الادارة المركزية في الفسطاط بمراجعة كل الأمور إلى حد تهديد أصحاب الكور بأقصى العقاب ، إن بدر منهم ظلم . والوثائق التي حررها قرّة بن شريك تُظهر أنه لم يكن والياً قاسياً كما اتهمه التاريخ .

ورغم نقص بعض الوثائق التي لم تقدم لنا كافة أنواع الضرائب الأخرى التي كانت تجبى قبل الفتح الاسلامي ، فاننا نؤيد الحقيقة التي تقول بأن النظام المالي في مصر الأموية كان امتداداً للنظام الضرائبي الرومي الذي ترعرع في العهد الاسلامي والذي لم نعثر له على وثائق كافية قبل هذا العهـــــد . ومعرفتنا للنظام الرومي ترجع إلى الوثائق الاسلامية التي لولاها ما أمكن الاهتداء إلى هذا النظام .

وبالرغم من تعريب الدواوين فاننا نجد أن التعابير والمصطلحات الرومية قد تغلغلت في الأدب الخراجي ، ولم تزل إلاّ بزوال الادارة العربية عند فتح آل عثمان لمصر . وقد كانت اللغة اليونانية والقبطية هي اللغة الرسمية لفترة طويلة في الادارة الخراجية إلى جانب العربية التي رصّعت بالمصطلحات اليونانية والتي سادت إلى القرن الحادي عشر ، حيث عربت الادارة بتمامها . غير أن البروتوكول الضرائبي قد استعمل بعد ذلك الصيغ الرومية الضرائبية إلى أواخر العصور الوسطى .

الدكتور عبد المنعم مختار

المحاضر بجامعة بودابست



المدرسة الظاهرية

(دار الكتب الوطنية الظاهرية)

— ١ —

مقدمـــة

انتدبتني وزارة التربية للعمل أمينة لمخطوطات دار الكتب الوطنية الظاهرية ، فأتاح لي عملي الجديد الاطلاع على كنوز خلفها أجدادنا هي زبدة قرائحهم ، وذوب نفوسهم ، ونتاج عمرهم .

وراعتني الغيرة على مصالح الأمة ، والهمة الشماء اللتان بدتا من طائفة من رجال العلم والفضل في نهاية القرن الماضي ومطلع القرن الحاضر ، ورَعتا هذه الكنوز ، وحمتاها قبل فوات الأوان ، وصانتاها من تبديد الأيدي العابثة التي أعمى أصحابها وهج الذهب فمدوها إلى هذا التراث يستلون منه القطعة بعد القطعة ، يبدلونها بمال لا يعدّ شيئاً مها كثر في جانبها غير مبالين بتراث وجهود وتاريخ ..

وزادني حباً بهذه الدار أنها كانت مدرسة ترددت في جنباتها أصوات طائفة كبيرة من العلماء الأعلام ، وتخرجت منها أعداد لا تحصى من طلبة علوم الدين والدنيا ، كان لهم دورهم في عالم الفكر والروح خلال سبعة قرون .

خطر لي أن أدون ما تقع عليه يدي من أخبار هذه المدرسة والعاملين فيها منذ تأسيسها حتى اليوم؛ فيكون بحثي هـــذا اعترافاً بفضلها لما أسدته وتسديه لأمتنا من خير وللعلم من خدمة .

عرضت الفكرة على الأخ العالم الأستاذ عمر كحالة فشجعني على ذلك وقدم لي مشكوراً الكثير من المعلومات والعون . ولاقى الأمر ترحيباً من عطوفة الأمير العلاّمة جعفر الحسني الجزائري الأمين العام لمجمع اللغة العربية . ورأى أن ينشر البحث تباعاً في مجـلة المجمع ليصار إلى طبعه في كتاب مستقل متى تم .

فكتبت في هذا الموضوع شاكرة للأمير الأمين وللأستاذ الكريم تشجيعهما وطيب مساعدتهما ، آملة أن أكون قد فتحت الباب لمن يرغب في بحث تاريخ هذه المدرسة بحثاً ضافياً تستحقه ، لأنني واثقة أن كل ما بذلت من جهد لن يفي بحالٍ هذه المدرسة حقها ، فقد كانت ولا تزال منارة علم لا لبلدنا فحسب ، بل لرواد العلم في العالم أجمع .



أسماء الحمصي

★ ★ ★

تمهيد :

من وقف على تاريخ العرب والإسلام ، وعلى الأخص تاريخ الحضارة الإسلامية راعته تلك الوثبة الثقافية ، وأخذ بمجامع قلبه ذلك الانفتاح لشتى المعارف والفنون ، تصبّ في بحر العلوم العربية النامية باستمرار ، وأدهشته تلك الوفرة في المدارس ودور الكتب العربية وخزائنها في الشرق والغرب ، والتي تعطي دليلاً قاطعاً على جهود جدودنا الذين أطفؤوا نور عيونهم لينيروا عقولنا ، وأحرقوا أعصابهم لينموا جسومنا ، وهدموا أنفسهم ليبنوا لنا مجداً خالداً على مر العصور .

ولم يكتفوا بالنظر ، بل أعملوا أيديهم الصناع ، واستغلوا ذوقهم الفني في بناء المعابد ودور العلم والكتب . فعرفت بغداد ، والبصرة ، ودمشق ، وحلب ، والقاهرة ، والمغرب ، وقرطبة ، واشبيلية ، وغرناطة وسواها آلافاً من مراكز العلم ، من مساجد جوامع ، ومدارس ، وبيمارستانات ، وخوانق ، وربط وزوايا ، وتكايا ، وحتى ترب قامت إلى جانب الكثير منها أمكنة لطلب العلم وتلاوة القرآن ، ورواية الحديث . كل هذا بنَوْه ، واهتموا بزخرفته وتمويله اهتمامهم ببنائهم قصورهم الفخمة ، وحدائقهم الغناء .

ومر القرن السابع الهجري على الأمة الإسلامية ، ودالت دولة العلم في بغداد والعراق ، لما أغارت جموع التتار على الامبراطورية الاسلامية كأنها الجراد المنتشر ، تقضي على كل من وما تلقاه ، لا يردعها ضمير أو دين أو مسكة من حضارة ، وأباد « هولاكو » وجنوده الكتب والمؤلفات فيما أبادوه من معالم الرقي ، وامتلك التتار هذه البلاد التي عاشت ستة قرون ونصف مناراً للاسلام ، وجامعة لرواد العلم من عرب ومن عجم .

واستشرى خطر الوثنية والصليبية ، ورأى علماء الشام ومصر ، ومن فر منهم من العراق من خطر المغول ، رأوا أنفسهم مسؤولين عن دعم الدين ونشره ، وتجديد العلم ، وجمع شتات المعارف في كتب طارفة تخلف ما أبيد ، يملؤونها بما وعت القرائح وحفظت الصدور .

وامتلأت نفوسهم حماسة للعمل ، وتحفزت للقيام بالواجب المقدس الذي قدر لهم الاضطلاع بمسؤوليته .

وجدت رغبتهم هـذه رغبة توازيها من سلاطينهم الذين آمنوا أن لغتهم الفقيرة لن تحل محل العربية لغة القرآن المبين ، وحضارتهم القاصرة لن تعدل الحضارة الاسلامية الراسخة ، وأن عددهم لا شيء في عديد العرب وجموع المسلمين . فرأوا — وهم المسلمون — في مؤازرة الدين والعلم ، وفي الأخذ بيد العلماء قربى إلى الله وزلفى ، وترضّياً للشعب العربي المسلم ، وتمكيناً لأنفسهم في الحكم .. فراحوا ينشئون دور التعليم وينفقون عليها بجمع اليدين .

ولا شك أن دور العلم هـــذه تعتبر عاملاً أساسياً وحيوياً في تنشيط الحركة العلمية ، لما تتضمنه من مدرسين وطلاب ، ولما يقرر فيها من دروس ، وهي البيئة الطبيعية للعلم ينمو فيها ويزدهر .

وتتمثل دور العلم في العصر المملوكي فيما أنشىء من مساجد ومدارس للمذاهب الاسلامية الأربعة ، وما شيد من خوانق وربط ، وما أقيم من زوايا للصوفية .

وكان إلى جوار هذه المعاهد التعليمية ، كتاتيب صغيرة متواضعة ملحقة بها ، تعنى بتعليم الصبية القراءة والكتابة وطرفاً من العلوم الأولية ، وتحفيظهم القرآن الكريم ، وتعدّهم للالتحاق بالمدارس الجامعة (١) .

(١) عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق سليم ج ٣/س ٢٥ .

إلا أن عدداً كبيراً منها عبثت به يد البلى ، وأذى الغزاة الفاتحين ، ولا سيما التتار والصليبيون ، فمحقاه أو ذهبا بأكثره مجددين فاجعة العرب سنة ٦٥٦ هـ .

وما تبقى لا يعدو إصبعاً من جسم العلم الضخم تشير إلى رقيّ المسلمين وثقافتهم الفاخرة في عصورهم الزاهرة ، وإلى مدى تفننهم في هندسة أبنيتهم وزخرفتها وتجميلها .

وتزدهي دمشق شأن غيرها من حواضر العالم الاسلامي بالعديد من المدارس المبنية آنذاك . إن نظرة نلقيها على مصوّر دمشق ومدارسها في القرن السابع الهجري (١) ترينا مراكز العلم قائمة هنا وهنـــاك في كل حي من أحياء المدينة من سفح قاسيون إلى مرابع الغوطة ، ومن سهول برزة إلى جداول النيربين .

وبين هذه المباني الكثيرة ما لا يزال يقارع الزمن وصروف الدهر راثياً للإنسان لضعف تفكيره ، ولأذاه نفسه بتحطيم أداة بنائه .

ومن هذه المباني المدرسة الظاهرية والتي سمّيت باسم الملك الظاهر الذي دفن فيها ، حسب العادة الشائعة آنذاك (٢) .

الملك الظاهر (٣) هو ركن الدين بيبرس البندقداري . ولي الملك سنة ٦٥٨ هـ . وهو أبرز ملوك الدولة البحرية المملوكية .

---

(١) كتاب « دمشق الشام » لجـــان سوفاجيه تعريب فؤاد أفرام البستاني ط . بيروت سنة ١٩٣٦ .

(٢) الدارس في أخبار المدارس النعيمي ـ تحقيق الأمير جعفر الحسني الجزائري .

(٣) كلمة (ظاهر) لقب ثمانية من سلاطين المماليك . أولهم من البحرية وهو الظاهر بيبرس صاحب المدرسة المذكورة ؛ والباقون من البرجية وهم : برقوق ، وططر ، وجقمق ، وخوشقدم ، والباي ، وتمبرغا ، وقانصوه الأول .
وهناك الملك الظاهر صاحب حلب ، وهو ثاني أولاد صلاح الدين الأيوبي .

أصله من أرض القبجاق ، أسر وبيع ، واشتراه — وكان صغير السن — رجل يدعى العماد الضائع . ثم باعه للأمير « علاء الدين آيدكين البندقداري » ولما قبَضَ الملك الصالح نجم الدين الأيوبي على البندقداري ، أخذ ركن الدين وجعله من جملة مماليكه فنسب لذلك اليه ولقب بـ « الصالحي » ثم أعتقه الصالح وضمه إلى مماليكه البحرية ورباه معهم ، فشب شجاعاً باسلاً ، لا يهاب الردى .

وعرفته الحروب ، وهو أمير ، فارساً مقداماً إنْ في موقعة « المنصورة » التي هزم فيها الفرنجة في عهد توران شاه ، أو في موقعتي « عين جالوت » و « بيسان » اللتين هزم فيها التتار في عهد « قطز » .

واشترك بيبرس في عدة مؤامرات آخرها مؤامرة اغتيال « قطز » بعد انتصارهما على التتار . واستلم الحكم بعده . وبويع سلطاناً على مصر والشام .

ويعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقي لعظمة الدولة البحرية ، فقد قضى على المؤامرات ، وفتح عدداً من البلاد ، وملأ الدنيا مهابة زهاء سبعة عشر عاما . التفت خلالها إلى إصلاح مملكته .

وكما اتصف بالشجاعة والإقدام في الحروب وحسن ترتيبها ، عرف بالدهاء والكرم وحب الخير والإحسان إلى الفقراء . وكان يكرم العلماء وينطوي تحت مشورتهم ويقربهم .

روى السيوطي(١) أن الظاهر بيبرس حضر مرة إلى دار العدل في قضية بينه وبين أحد الأمراء أمام القاضي ابن بنت الأعز ، فقام الناس له تعظيماً ، إلا القاضي فقد أشار إليه السلطان بعدم القيام .

وبعث إليه ابن مالك النحوي صاحب « الألفية » المشهورة رسالة من الشام — وكان الظاهر في القاهرة — يستعين فيها على صلاح حاله فأعانه .

---

(١) حسن المحاضرة ٢/٧٤ .

كما كان يتحمل مخاشنة العلماء إياه في الحديث والنصيحة ، فلا يبطش بهم لمخاشنتهم ؛ فقد وقعت بينه وبين عبد الله يحيى النووي أحـــد علماء الشام مكاتبات أغلظ له فيها النووي النصيحة ، فما زاد على أن نفاه من دمشق .

وروي انه كان منقمعاً تحت كلمة الشيخ « عز الدين بن عبد السلام » ، وأنه قال لما مات الشيخ : « ما استقر ملكي إلا الآن » (١) .

ومن أجلّ أعماله مكافحة الكبائر ، وعقاب مرتكبيها وتشديد النكير عليهم ، وإعادة الخلافة العباسية ، والقيام بأعمال عمرانية كثيرة ، كان فيها كسب أدبي كبير لمصر والشام .

وتقدم فن البنـــاء والهندسة آنذاك لاهتمام المسؤولين بتشييد القصور والمدارس والمساجد والقباب (الترب) . والخوانق والقلاع ونحو ذلك .

ولم يك هذا البناء تلبية لداعي الحاجة فحسب ، بل كان ميدان تفاخر بين السلاطين ، لذا عُني هؤلاء بزخرفته وزينته ، وطبعي أن ينبغ في جو كهذا عـدد كبير من المهندسين أو « شادّي العمائر » كما كانوا يسمون في ذلك العهد (٢) .

وشيَّد الظاهر المدارس كسواه من السلاطين ، وكان أبرزها « المدرسة الظاهرية » في القاهرة بخط بين القصرين سنة ٦٦٠ هـ ، ويسميها السيوطي « المدرسة الظاهرية القديمة » تمييزاً لها عن « المدرسة الظاهرية » التي أنشأها بعدئذ الملك الظاهر ، برقوق سنة ٧٨٦ هـ ، في القاهرة أيضاً .

---

(١) عصر سلاطين المماليك ، لمحمود رزق سليم ٢٣/٣ .

(٢) عصر سلاطين المماليك ٢٣/٣ .

وعني بيبرس بظاهريته وأوقف عليها أوقافاً كثيرة ، وألحق بها خزانة كتب جليلة تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم . وبنى بجانبها مكتباً لتعليم الأيتام القرآن الكريم ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ، ورتّب بها دروساً في المذاهب الأربعة ، والقراءات . وافتتحت باحتفال عظيم ، واعتبرت — كما قال المقريزي (١) — من أجلّ مدارس القاهرة .

المدرسة الظاهرية (الجوانية) أما المدرسة الظاهرية بدمشق ، والتي هي موضوع بحثنا ، فبانيها الملك السعيد أبو المعالي ناصر الدين محمد بركة قان ابن الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨ هـ — ٦٧٨ هـ) ولكنه لا يُستبعد أن يكون أبوه الظاهر قد فكر ببناء ظاهرية دمشقية تحمل اسمه كتلك التي بناها في القاهرة إلا أن الموت عاجله قبل أن ينفذ فكرته . فقد توفي — مسموماً على ما روت الكتب — يوم الخميس الثامن عشر من محرم سنة ٦٧٦ هـ . فأخفى الأمير بدر الدين بيليك الخزندار خبر موته ، وأمر بحمله إلى قلعة دمشق ليلاً حيث غسل ، وحنط ، وكفن ، وجعل في تابوت علق هناك في بيت من بيوت البحرية .

ثم كتب الأمير « بدر الدين » إلى ولده « محمد بركة قان » مطالعة بيده كان من نتاجها أن أخذ له البيعة بعـــد أبيه باسم « الملك السعيد » .. وتوّجه سلطاناً لمصر والشام .

وصدر أمر السعيد ببناء الظاهرية ، — خلافاً لما أورده ابن كثير عن ابن قاضي شهبة (٢) — مدرسة ودار حديث وقبة لدفن أبيه ، إذ كان الظاهر

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١/٦٤٦ .

(٢) الدارس للنعيمي ١/٣٤٨ .

قد أوصى أن يدفن على السابلة قريباً من داريا خارج السور وأن يبنى عليه هناك قبة فلا يعقل والحالة هذه أن يبني مدرسته وقبته في مكان ويوصي أن يدفن في غيره .

فرأى الملك السعيد أن يدفنه داخل سور دمشق ، فابتاع دار أحمد بن الحسين العقيقي ، وكانت قصراً للأيوبيين (١) بثمانية وأربعين ألف درهم — وقيل بستين ألفاً وقيل بسبعين (٢) — وأمر أن تبنى مدرسة للشافعية والحنفية ، ودار حديث ، وقبة للدفن ، كما ذكرنا .

بدأت عمارتها يوم الأبعاء الخامس من جمادى الأولى سنة ٦٧٦ هـ . ولما أنجز البناؤون القبة ، آخر جمادى الآخرة سنة ٦٧٦ هـ ، حضر الأمير علم الدين سنجر الحموي المعروف بأبي حوض ، والطواشي صفي الدين جوهر الهندي المصري إلى دمشق لدفن الملك الظاهر ، وكان نائبها آنذاك عز الدين ايدمر ، فعرفاه ما أمر به الملك السعيد ، فحمل تابوت الظاهر ليلاً ، وصلي عليه في الجامع الأموي ، ثم دفن في الخامس من رجب سنة ٦٧٦ هـ بالقبة من المدرسة التي أمر ببنائها باسمه .

افتتاح المدرسة : استمر عمل البناء في الظاهرية ، حتى إذا كان يوم الاربعاء الثالث عشر من صفر سنة ٦٧٧ هـ بدىء التدريس فيها — رغم أن بناءها لم يك قد كمل بعد — بحضور نائب السلطنة ايدمر الظاهري وقضاة دمشق .

واجتمع خلق كثير في الايوان الشرقي حيث ألقى الدرس الأول فيه الشيخ رشيد الفارقي مدرس الشافعيّة . وغصّ الايوان القبلي بالمستمعين للدرس الأول يلقيه فيه مدرس الحنفية القاضي صدر الدين سليمان ابن أبي العز .

(١) السلوك للمقريزي ٦٤٦/١ ، والنجوم الزاهرة ص ٢٦٣ .

(٢) قيل إن الدار كانت للشريف أحمد العقيقي ، ثم انتقلت إلى ملك الأمير فارس الدين اقطاي المستعرب الأتابك ، فاشتريت من ورثته وهدمت وبني موضع بابها قبة الدفن .

وفي ذي الحجة سنة سبع وسبعين وستمئة قدم الملك السعيد إلى دمشق فقام ببعض الإصلاحات ، إلا أن المؤامرات كانت تحاك ضده ، فاضطر للرجوع إلى القاهرة ، ثم إلى خلع نفسه على أن تبقى له الكرك سنة ٦٧٨ هـ ، ونُصِّبَ أخوه « سلامش » سلطانا ، وكان في السابعة من عمره ، إلا أن أتابكه سيف الدين قلاوون خلعه واستولى على الحكم ولقب نفسه بالملك المنصور .

وفي منتصف ذي القعدة من العام نفسه توفي الملك السعيد ، ووري بالتربة الظاهرية إلى جانب أبيه [١] ولم تك تلك المدرسة قد تمت بناءً فأمر الملك المنصور قلاوون بإتمامها فكان ذلك . وقد سجل اسم بانيها في السطرين الأخيرين فوق بابها الرئيسي بخط نسخي مزهر .

جاء فيها ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بانشاء هذه التربة المباركة والمدرستين المعمورتين المولى السلطان الملك السعيد أبو المعالي محمد بركة قان ابن السلطان الشهيد الملك الظاهر المجاهد ركن الدين أبو الفتوح بيبرس الصالحي ، أنشأها لدفن والده الشهيد ولحق به عن قريب ، فاحتوى الضريح على ملكين ظاهر وسعيد . وأمر بإتمام عمارتها السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه » .

أما سبب تسميتها بالجوانية فذلك تمييزاً لها عن المدرسة الظاهرية البرانية التي بناها الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، خارج باب النصر بمحلة المنيبع ، شرقي الخاتونية الحنفية ، وغربي الخانقاه الحسامية ، بين نهري القنوات وبانياس على الميدان بالشرف القبلي ، وجعلها على الشافعية [٢] .

---

(١) سجل على قبره ان وفاته كانت سنة ٦٧٦ هـ والصحيح ما أثبتناه أعلاه .

(٢) يذكر الأستاذ صلاح الدين المنجد في كتابه (مدارس دمشق) أنهـا درست . ويقول ابن بدران في منتخب النفائس انها : « محل الثكنة ، وزاوية المولوية ، وبستان الأعجام » .

أما المدرسة الظاهرية الجوانية — موضوع بحثنا هذا فتعتبر من أهم مدارس دمشق الباقية إلى اليوم رغم انه اعتورها ما اعتور سواها من عشرات المدارس التي كانت عامرة وعاشت ردحاً من الزمن تحت سماء دمشق مثابة للعلم وطلابه ، درسوا فيها القرآن والحديث والفقه والأصول والكلام والطب والرياضيات والطبيعيات والفلك والتاريخ والأدب وسوى ذلك ، والتي لم يبق منها إلا القليل وفي حكم الخراب . فقد درست معالمها وأكلت أوقافها ، واستصفيت معاهدها ولم يبق سوى ذكرها في بطون الكتب والدفاتر .

موقع الظاهرية : تقع الظاهرية من دمشق في حي العمارة بين بابي الفرج والفراديس ، تجاه العادلية (مقر مجمع اللغة العربية اليوم) بينهما طريق باب البريد المفضي إلى الجامع الأموي .

شكل البناء : لا يزال مدخل المدرسة على حالته الأولى رغم ما صب التتار على دمشق من ويلات .

ولا ريب أن تحويل قصر العقيقي إلى مدرسة، كان من شأنه تغيير شكل البناء الأصلي فرفعت حوله الجبهتان : الجبهة الغربية وفيها الباب الرئيسي ، والجبهة الجنوبية، وأقيمت فيها قاعة الضريح التي بنيت عليها قبة على حطتين مضلعتين .

ويظهر أن الحمّام (١) اللاصق للمدرسة من جهتها الشمالية ، والايوان الشرقي كانا من أجزاء الدار القديمة . ويبدو أن مهندس المدرسة « ابراهيم بن غانم »

(١) حمام العقيقي : لا يزال حتى اليوم بحالة حسنة ، وتسميه العامة حمام « الملك الظاهر » أو « حمام العقيق » . وقد وسم على حساب المدرسة ، ويبدو هذا واضحاً لمن لاحظ نهاية الجدار الغربي للظاهرية .

استوحى تقاليد الفن الأيوبي الماضية التي كانت ماثلة في الدار نفسها ، وفي بناء المدرسة العادلية المقابلة . ولعله توخى من ذلك أن يجعل هذين البنائين المتقابلين منسجمين كل الانسجام ، وأن يؤلف منها وحدة عمرانية يكمل فيها جمال الأولى روعة الثانية .

وقد أفلح في مسعاه . فالمدرستان تروعان رائيهما فهما رابضتان وجهاً لوجه ، كعملاقين جبارين تتحديان الزمن والفناء بروعة وجلال .

إلا أن واجهتي المدرسة الظاهرية الغربية والجنوبية أجمل من نظيرتيهما في العادلية بكثير ، بل تعتبران من أجمل ما بنى المماليك . وهما مشيدتان بالأحجار المنحوتة المتقنة . وفي أعلاها كوى مستديرة تحيط بها زخارف هندسية متألفة من دوائر متداخلة .[1] .

أما المدخل الرئيسي فمبني بأحجار بيضاء ، وأخرى وردية اللون ، تتوجه نصف قبـــة من المقرنصات البديعة ويعلو الباب ثلاثة صفوف عريضة من الكتابات النسخية المزهرة الجميلة ، جاء في الصفين العلويين منها ذكر وقفها وفي الصفين السفليين أسماء بناتها .

وجاءت جملة أخرى في الزاوية الشمالية أعلى الرتاج « عمل ابراهيم بن غانم » المهندس رحمه الله . مما دل على أن المهندس عربي من أهل الديار . ولو لم يعف الزمن آثار هؤلاء الأسلاف ، ولو عني مؤرخونا بترجمة المهندسين عنايتهم بتراجم المتفقهين والمتأدبين والأطباء مثلاً لعلمنا الحلقات الناقصة من سلسلة حضارة العرب في سورية ، لأن هذه المعاهد لم تبنها إلا أيدي أبنائها وبوحي عقولهم .

والداخل إلى المدرسة يهبط دركة إلى عتبة المدخل التي يقوم على جانبيها دكتان حجريتان ورديتا اللون ، فاذا ما جاز بابها الجميل المزخرف « بالخيط

(١) مشاهد دمشق الأثرية ، لسليم عادل عبد الحق ، وخالد معاذ ، ص ٩ ٥ ب اللوحة (٤١) .

العربي وجد نفسه في رواق يمتد شمالاً جنوباً ذي ثلاث أقواس ، يحملها عمودان حجريان ضخمان ويرى البناء يأطر باحتها المربعة .

وإلى يمين الداخل في جنوب الرواق تقوم القبة الرائعة (تربة الملك الظاهر وابنه الملك السعيد) . يصعد اليها بدرجتين . وقد نقش على بابها الخشبي وقفها . والقاعة مربعة الشكل ترتفع قبتها نحو ثلاثين متراً على حطتين مضلعتين . تكسو جدرانها زخارف من المرمر الملون والحجر المنحوت ، ولا نعلم فيما إذا كان قد أخذ من مقالع في سورية أو جلب من بلاد غيرها .

ومحرابها آية في زخرفته بالمرمر الملون المجزع المصدف على طريقة « الموزائيك » وبالفسيفساء التي تعد نموذجاً صالحاً لزخرفة القرن السابع ، عدا نقوش دقيقة حفرت في المرمر نفسه ، وأطـرّت فتحة المحراب . ويزين جانبيه الآية الكريمة « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » . ويعلو المحراب قوس من المرمر المطعم غاية في دقة صنعته وبديع رسمه .

وفي كل من جدران القاعة الثلاثة نافذتان أحيطتا بزخارف وحول الجدران زخارف بالفسيفساء الزجاجية الملونة تمثل قصوراً وشجراً ونقوشاً عربية رائعة ، وفوق هذه الزخرفة ، في منتصف أقواس الجدران فتحت كوى أربع في كل قوس واحدة .

الغربية والجنوبية منها تبدوان من الطريق مزخرفتين ، كما ذكرنا ، بدوائر متداخلة ، وثنتان داخليتـــان في الجدارين الشمالي والشرقي . تطل الشمالية على سطح الرواق القائم في مدخل المدرسة وتطل الشرقية على الايوان القبلي . وقد سدتا فيما بعد لما حولت الظاهرية إلى مدرسة ابتدائية ، وعدل شكل البناء فيها كما سيأتي بيانه .

ويقوم على الجهة الجنوبية إلى جانب القبة وبمحاذاتها الايوان الجنوبي الذي خصص للحنفية ولا يزال ماثلاً بهيئته السابقة، القوس والقبة والمحراب ويصعد إليه بدرجة .

أما الايوان الشرقي فقد دثر ولم يبق من قوسه إلا ثلاثة أحجار ، تدل على مشاكلته للايوان القبلي المذكور .

وعلى يساره بينـــه وبين الإيوان القبلي تقوم دار الحديث والتي لا يزال مدخلها واضحاً رغم التعديل فيه .

أما داخلها والجهتان الشرقية والشمالية فلم يبق من بنائها القديم شيء ، فقد اندثر كله وحل محله بناء آخر يبدو أنه شيد في العهد التركي . وكل ما بقي من الجهة الشمالية قوس صغير يبدو في آخر الجدار الشمالي عن يسار الداخل آخر الرواق .

وهناك أيضاً إلى جوار القوس وفي آخر الجهة الغربية [عن يسار الباب الرئيسي] باب آخر مسدود الآن لم أستطع أن أصل إلى معرفة ما كانا يشكلان في هذا البناء . هذه الأبنية تأطر باحة مربعة الشكل تتوسطها بركة مربعة الشكل أيضاً .

على كل من الصعب علينا أن نعرف الشكل القديم للمدرسة الظاهرية كاملاً ، ولا سيما جناحاها الشرقي والشمالي — كما ذكرت — اللهم إلا إذا هدم البناء الحالي وفرغت أطرافه ونبشت الأسس لتحديد البناء القديم ، وبذلك نستطيع أيضاً أن نعرف الخطة التي اختطها ابن غانم المهندس للمدرسة ؛ عندئذ نتمكن من إعادة بنائها بشكله القديم بالاعتماد على المقارنة والقرينة .

ويستفاد من تراجم بعض من درّس أو دَرَس فيها ولا سيما في دار الحديث — انه كانت هناك غرف لهم يعيشون فيها — وكان ذلك شرطاً على من يعين شيخاً لدار الحديث على الاقل — ولكن في أية جهة منها ؟ وما شكلها ؟ وهل هي أرضية أم علوية ؟ أمور كثيرة مجهولة من العسير الوصول إليها .

واردات الظاهرية : من السهولة بمكان تقدير واردات الظاهرية الوفيرة ، إذ أن نظرة نلقيها على الكتابات المنحوتة في أعلى بابها الخارجي ، وعلى باب قبتها تدلنا على غنى المدرسة ووفرة أوقافها ، فقد جاء في السطور العلوية المرقومة على الباب الرئيسي ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم . الذي وقفه على هذه التربة والمدرستين ودار الحديث النبوي الحصة من قرية الطرة من عمل أذرعات ، ومبلغها أحد عشر سهماً وربع ، وثمن سهم من أصل أربعة وعشرين سهماً من قرية الصرمان بكاملها ومن أعمال الشعراء وقرية ازرع بكاملها من عمل نوى ، والحصة من قرية بيت الرامة ، وقرية سويمة وقرية الزراعة من الغور ، ومبلغها سهمان من أصل أربعة وعشرين سهماً ، والحصة من الأشرفية من عمل المرج من بلد دمشق ومبلغها تسع عشر سهما ونصف من أربعة وعشرين ، والبساتين الثلاثة المعروفة بابن سلام ظاهر دمشق من أراضي السهم الشرقي بسفح قاسيون ، وبستان يعرف بالسبتية ظاهر دمشق على الشرف الشمالي ، وطاحون السبتية الملاصقة للبستان المذكور ، وكرم يعرف بكرم طاعة بمدينة بانياس ، وخان بيت حنا ، وحانوت جوار بساتين ابن سلاّم . وخان يعرف بالاصطبل ظاهر دمشق ، والسفل الكامل من قيسارية الشرب وذلك في سنة ست وسبعين وستمئة » .

وكانت هذه الأوقاف المذكورة تمدّ المدرسة والقائمين عليها ومن يحيا فيها من طلبة العلم بالخير ، وتكفيهم مؤنة العيش ، وتوفر لهم وقتهم للتعلم والتعليم .

ويحدثنا ابن بدران (١) أن ركن الدين السمرقندي (— ٧٠١ هـ) كان مدرساً للحنفية فيها وناظراً عليها ، وكان يحيا في بحبوحة . ويبدو أنه امتلك

---

(١) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ص ١٨١ .

من المال ما أغرى بوابها « علي الحوراني » بقتله ، وإلقائه في بركتها وأخذ ماله . وقد عوقب بصلبه على بابها .

ويحدثنا النعيمي [1] نقلاً عن الشيخ تاج الفزاري : أن العلامة رشيد الدين أبا حفص عمر بن اسماعيل الفارقي شيخ الشافعية وجد مخنوقاً في مسكنه بالمدرسة الظاهرية ، وقد أخذ ماله ، وذلك في شهر محرم من عام تسعة وثمانين وستمئة للهجرة .

ومن استعرض حياة طائفة ممن عمل فيها وجد أن الكل راغب في خدمتها ساع إلى الاستئثار بها أو إلى إيكال أمرها لابن له أو قريب ، وأعتقد أن وفرة ريع أوقافها كانت من جملة العوامل التي دفعتهم لأن يظلوا مجاهدين في ميدانها ، باثين حبّ العلم والفضل في نفوس طلابها ، مما جعلها تؤدي الخدمة الثقافية المرجوة خلال قرون .

إلا أن هذه الأوقاف بعضها درس وبعضها تناولته أيدي الطامعين ممن لا ضمير لهم ، وساءت حال المدرسة يوماً بعد يوم ، لولا أن تداركتها العناية الإلهية بطائفة من العلماء ذوي الوعي والضمير ، حولتها إلى مكتبة وطنية في أواخر القرن الثالث عشر في فترة كادت تلفظ فيها الأنفاس .

التدريس في الظاهرية :

ذكرنا أن الملك السعيد لما بنى المدرسة الظاهرية إلى جوار تربة أبيه ، جعلها على الحنفية والشافعية ، وأقام فيها دار حديث .

وقد درس فيها على المذهبين علماء أعلام نذكر أسماء بعضهم لنعرف سوية الثقافة التي كانت تقدمها هذه المدرسة ، ولنقف على تطور وضعها الثقافي من القرن السابع الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر .

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس ص ٤٨ .

كان القرن السابع الهجري فترة اليمن والإقبال على المدرسة الظاهرية الفتية . وأول العلماء الأعلام الذين شهدهم الإيوان القبلي (منبر الأحناف) :

قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز الحنفي الأذرعي [٥٩٤-٦٧٧ هـ] شيخ الحنفية في زمانه وصاحب الجامع الصغير [١] .

ثم درس بها الصاحب محي الدين محمد بن يعقوب النحاس [٢] [٦١٤-٦٩٥] كان متبحراً في المذهب وغوامضه موصوفاً بالذكاء وحسن المناظرة ، انتهت اليه رئاسة المذهب بدمشق ، وكان — وهذا أمر يلفت الانتباه — معماراً مهندساً كاتباً موصوفاً بحسن الانصاف في البحث . وكان يقول : « أنا على مذهب الإمام أبي حنيفة في الفرع ، ومذهب الامام أحمد في الأصول . وكان يحب الحديث والسنة ، سمع منه ابن الخباز ، وابن العطار ، والعرضي ، والمزي ، والبرزالي ، وابن تيمية ، وابن حبيب ، والمقاتلي ، وأبو بكر الرحبي ، وابن النابلسي . وتكفينا نظرة نلقيها على تراجم طلابه هؤلاء لنعرف قيمة هذا الرجل ومن أنجبتهم هذه الدار .

ودرس فيها بعده سنة ٦٩٨ ابنه القاضي شهاب الدين يوسف بن محي الدين ابن النحاس [٣] وتلاهما العلامة ركن الدين عبيد الله بن محمد السمرقندي وكان إماماً عابداً ومن كبار أئمة المذهب ، مكباً على المطالعة والتعليم وله ورد ، يصلي في اليوم والليلة مئة ركعة ، وله حلقة بالجامع . مات مخنوقاً بيد بواب الظاهرية سنة ٧٠١ هـ طمعاً في ماله وخسرت المدرسة بذلك عقلاً مفكراً وروحاً طيبة .

وارتفع في القرن نفسه وفي الايوان الشرقي (ركن الشافعية) أصوات علماء عدة منهم :

---

(١) شذرات ابن العماد ٥/٣٥٧ ومنادمة ابن بدران ص ١٨١ ودارس النعيمي ١/٥٤٣ .

(٢) الدارس : ١/٥٢٤ - ٥٢٥ .

(٣) الدارس : ١/٥٢٨ .

العلامة أبو حفص عمر بن اسماعيل الربعي الفارقي الدمشقي (١) [٥٩٨ — ٦٨٩ هـ] وكان فقيهاً أديباً مفتناً ، أفتى وناظر ، وبرع في البلاغة والنظر ، وكانت له اليد الطولى في التفسير واللغة . شارك في الأصول والطب والنظر في أحكام النجوم . انتهت اليه رياسة الأدب في عصره ، واشتغل عليه العديد من الفضلاء ومن غريب الصدف أن يخنق (كالسمرقندي) في مسكنه في الظاهرية ويسرق القاتل ماله .

ومنهم الأمير عز الدين ايدمر الظاهري (٢) [٠٠٠ — ٧٠٠ هـ] نائب دمشق ، وهو الذي افتتح التدريس فيها .

ومنهم أيضاً قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن بن تاج الدين العلائي الشافعي المعروف بابن بنت الأعز (٣) [٠٠٠ — ٦٩٥ هـ] .

أما دار الحديث فقد ولي مشيختها في تلك الحقبة من القرن السابع عدد من الفضلاء أبرزهم .

أبو إسحق اللوري (٤) [٦١٤ - ٦٨٧ هـ] . سمع من ابن رواحة ومن ابن الجميزي وطبقته ، وتفقه وتقدم في الحديث مع الزهد والعبادة والإيثار والصفات الحميدة والحرمة والجلالة .

ومنهم عز الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم الفاروثي الواسطي (٥) [٦١٤ — ٦٩٤ هـ] قرأ القرآن على والده وعلى الحسين الطيبي ، وسمع ببغداد

---

(١) الشذرات ٥/٤٠٨ ، والدارس ١/٣٥١ .
(٢) الشذرات ٥/٤٥٦ ، والدارس ١/٣٥١ .
(٣) الشذرات ٥/٤٣١ .
(٤) الدارس ١/٣٥٥ .
(٥) الدارس ١/٣٥٥ .

وواسط واصبهان ودمشق . وأخذ التصوف عن شهاب الدين السهروردي ، وروى الكثير بالحرمين والعراق ودمشق ، وسمع عنه كثيرون منهم البرزالي ، كما قرأ عليه القرآن جماعات ، وقال ابن كثير : إن كتبه بلغت ألفي مجلد ومئتين .

وروى الذهبي في عبره أنه كان فقيهاً شافعياً مدرساً فقيهاً عارفاً بالقراءات ووجوهها ، خطيباً واعظاً كريم الأخلاق ، جواداً محبوباً ، غادر دمشق سنة ٦٩١ هـ إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وانطلق من هناك إلى واسط حيث توفي .

ومنهم أبو اسحق ابراهيم الواسطي ثم الدمشقي الحنبلي[١] [٦٠٢ — ٦٩٢ هـ] وكان رجلاً صالحاً ، دعا إلى مذهب السلف الصالح والصدر الأول ، انفرد بعلو الرواية ، ولم يخلف بعده مثله ، وقد ولي في أواخر حياته مشيخة دار الحديث الظاهرية وكان ذلك بعد سفر الفاروثي .

وولي مشيخة الحديث بعده سنة ٦٩٢ شرف الدين عمر ابن خواجا المعروف بالناسخ .

ويطلع القرن الثامن على العالم العربي الاسلامي بعلماء لا يقلون عن سالفيهم علماً وفضلاً ، وعرفت الظاهرية من أحنافهم :

القاضي شمس الدين بن أبي العز الاذرعي الحنفي[٢] [٦٦٣ — ٧٢٢ هـ] من أعيان الحنفية . كان بارعاً في فنون من العلوم ، درّس في الظاهرية وكان ناظر أوقافها ، وأُذن له بالافتاء .

ومنهم الصدر الكبير قطب الدين موسى بن أبي عبد الله محمد اليونيني المؤرخ[٣] [٦٤٠ — ٧٢٦ هـ] سمع من أبيه ومن ابن عبد الدايم ، وعبد العزيز ، والرشيد العطار ، واسماعيل بن صارم ، وأجاز له ابن رواج والبشيري .

---

(١) الدارس ٣٥٧/١ .
(٢) الدارس ٥٤٧/١ .
(٣) الشذرات ٧٣/٦ .

روى عنه الذهبي أنه كان عالماً فاضلاً مليح المحاضرة كريم النفس معظماً جليلاً حدَّث بدمشق وبعلبك وجمع تاريخاً حسناً ذيل به على مرآة الزمان، كما اختصر المرآة.

ومنهم كذلك العلاّمة شمس الدين محمد بن عثمان الأنصاري الحنفي الحريري[1] [٦٥٣ — ٧٢٨ هـ]. كان شيخ المذهب، سمع من أبي اليسر، وابن عطاء، والجمال ابن الصيرفي، والقطب بن أبي عصرون. وقد درس في الظاهرية عوضاً عن القاضي شمس الدين الملطي.

درَّس وأفتى. كان وقوراً حسن السمت متين الديانة. منطلق العبارة وروي عنه أنه كان يراعي الإعراب في لفظه، حتى مع النساء في بيته.

ومنهم أيضاً نجم الدين علي بن داود بن يحيى القرشي القحفازي الحنفي [2] [٦٦٨ — ٧٤٥ هـ] : كان شيخ الأدب في عصره، إماماً متفنناً وخطيباً مفوهاً، تميز في الفقه والعربية وغيرهما، وله ذهن جيد ومناظرة صحيحة وشعر لا بأس به. سمع من البرهان ابن الدرجي وغيره. استلم التدريس في الظاهرية يوم الأربعاء السادس من صفر سنة ٧٢٢ هـ وذلك بعد موت شمس الدين ابن أبي العز الحنفي الأذرعي.

وشهد ايوان الشافعية في هذا القرن من رؤساء المذهب كل عالم فاضل أبرزهم : العلامة صفي الدين أبو عبد الله محمد الهندي الارموي الشافعي [3] [٦٤٤ — ٧١٥ هـ]. كان متكلماً أشعرياً كثير الأسفار. أخذ عن ابن الوكيل،

---

(١) فوات الوفيات للصلاح الصفدي سنة ٧٢٨.

(٢) الدارس ١/٥٤٧، وذيل العبر لليونيني سنة ٧٤٥. ذكر النعيمي في دارسه: ١/٥٢٠ ما يفهم منه ان نجم الدين وزين الدين القحفازي هما لقبان لشخص واحد.

(٣) الدارس ١/١٢٩.

وابن الفخر المصري ، وابن المرمل ، قدم دمشق سنة ٦٨٥ هـ وولي بها مشيخة الشيوخ ، وتدريس الشافعية في الظاهرية وسواها وتصدر للافتاء والاقراء في الأصول والمعقول والتصنيف . أفاد الناس وسلك تلاميذه مسلكه ووقف كتبه بدار الحديث الأشرفية .

ومنهم كمال الدين أبو المعالي محمد بن علاء الدين الزملكاني الشافعي (١) [٦١٦ — ٧٢٧ هـ] : شيخ الشافعية بالشام انتهت اليه رياسة المذهب تدريساً وافتاءً ومناظرة ، سمع منه الكثير ، واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، والقاضي بهاء الدين بن الزكي في الأصول ، وعلى بدر الدين بن مالك في النحو . وكان ذا ذهن وقاد ، حسن العبارة جيد الخط . روى الصفدي عنه انه كانت له خبرة بالمتون وكان بصيراً بالمذهب وأصوله قوي العربية ، قد أتقنها ذكاءً ودربهـــا ذكيا ، تلقى العلم على شهاب الدين الخويّي وشمس الدين الأيكي وصفي الدين الهندي . يقول الصفدي ولقد رأيته في الظاهرية وفي يده القائمة من الحساب وهو يساوق المباشرين على المصروف فيسبقهم إلى الجمع وعقد الجملة ، ويبقى ساعة ينتظرهم إلى أن يفرغوا ، فيقول : كم جاء معكم ؟ فيقولون : كذا وكذا . فيقول : لا ! فيعيدون الجمع إلى أن يصح .

ولي عدة مناصب هامة ، وقد طلبه السلطان ليوليه قضاء دمشق لما نقل قاضي القضاة جلال الدين القزويني إلى قضاء الديار المصرية ، ففرح الناس بالخبر ، ولكن المنية عاجلته قبل أن يستلم مهام المنصب . له تعاليق مفيدة ، منها قطعة كبيرة من شرح المنهاج للنووي ، وقيل هو أول من شرحه . ومجلد في الرد على شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية في مسألة الطلاق .

(١) الدارس ١/٣٣ . ويذكر الصفدي انه ولد في شوال سنة ٦٦٧ هـ .

قال ابن كثير : « وأما دروسه في المحافل فلم أسمع أحداً من الناس درّس أحسن منها ، ولا أحلى من عبارته وحسن تقريره ، وجودة احترازاته وصحة ذهنه وقوة قريحته وحسن نظمه .

ومنهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد التميمي الدمشقي القلانسي (١) [٦٦٩ — ٧٣١ هـ] .

كان محتشماً عالماً لين الكلمة متواضعاً حسن السمت براً بأهل العلم والصلحاء ، اشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، وتأدب على الرشيد الفارقي .

ولي مناصب عالية دينية ودنيوية ، وأذن له بالإفتاء .

ومنهم الشيخ علاء الدين القلانسي أخو جمال الدين السابق الذكر (٢) [... — ٧٣٦ هـ] كان قاضي العسكر ، ووكيل بيت المال ، ومدرّساً في عدة مدارس ؛ حلّ محل أخيه في تدريس الظاهرية .

وفي هـــذه الفترة من القرن الثامن تردد في أجواء الظاهرية صوت جلال الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن ... بن أحمد بن دلف العجلي القزويني الشافعي خطيب دمشق (٣) . [٦٦٦ — ٧٣٩ هـ] .

كانت له مشاركة في شتى العلوم والمعارف فعرف فقيهاً أصولياً محدثاً ، كما عرف أديباً ، عالماً بالعربية والمعاني والبيان ، ينظم الشعر ، وكان كذلك معدوداً بين القضاة والخطباء المفوهين .

---

(١) الدارس ١/١٩٧ .
(٢) الدارس ١/١٩٨ .
(٣) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٠/١٤٦ ، والشذرات لابن العماد ٦/١٢٣ .

سكن بلاد الروم فترة ثم قدم إلى دمشق حيث ناب في القضاء ، وولي الخطابة بها ، انتقل إلى الديار المصرية ، ثم عاد إلى دمشق وتوفي بها في ٢٧ جمادى الأولى . ودفن بمقابر الصوفية .

له تصانيف عديدة منها : تلخيص مفتاح العلوم للسكاكي ، والايضاح في المعاني والبيان ، والشذر المرجاني من شعر الأرجاني .

وتردّد بعده صوت العلاّمة بقية السلف مفتي الشام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن القاضي محي الدين ، المعروف بابن قاضي الزبداني (١) [٦٨٨-٧٧٦هـ] كان أديباً ، متواضعاً ، يغيث الملهوف ، ويقصده الناس لحل مشكلاتهم .

سمع الحديث ، وتفقه على الشيخ برهان الدين الفزاري ، وكمال الدين بن قاضي شهبة ، وكمال الدين بن الزملكاني ، وأذن له بالفتوى ، ولم يضبط عليه فتوى أخطأ فيها ، لذا كان معظماً تخضع له الشيوخ ، وتسمع له القضاة .

وممن تولى تدريسها أيضاً من الشافعية : أبو العباس شهاب الدين الاذرعي الدمشقي ثم الحلبي الشافعي (٢) [٧٠٨ — ٧٨٣ هـ] . سمع على القاسم ابن عساكر ، وأحمد ابن الشحنة ، والصدر عبد المؤمن الحارثي ، وقرأ على الحافظين الذهبي والمزّي ، وكانا يعجبان بقراءته .

أجاز له من دمشق : أبو النصر الشيرازي ، وإسحق الآمدي ، وأبو عبد الله الزرّاد ، ومن مصر : أبو الحسن بن قريش ، وأبو الحسن الواني ، وأبو الفتح الدبوسي ، وصالح الأشنهي ، ويوسف الختني ، وعمر العتبي ، وعبدالله الصواف وسواهم . وقد خرج له عنهم الامام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي جزءاً حدث به .

---

(١) الدارس ١/٣١١ .

(٢) الدارس ١/٥٦ .

تفقه الأذرعي وبرع حتى صار شيخ البلاد الشامية ، وأحفظ الناس لفروع المذهب ، من تصانيفه (قوت المحتاج) و (عنية المحتاج) وكلاهما في شرح (المنهاج) . وله (المتوسط في الفتح بين الروضة والشرح) يعني (شرح الرافعي الكبير) في عشرين مجلدة ، وهو كتاب جليل ، وله مختصر « الحاوي » الماوردي .

ومنهم كذلك المفتي البارع نجم الدين أبو العباس أحمد بن عثمان الياسوفي الدمشقي المعروف بابن الجابي [1] [٧٣٦ — ٧٨٧ هـ] .

سمع الحديث ، وتفهمه ، وأخذ الفقه عن الغزي ، والحسباني ، وابن حجي وغيرهم . كما أخذ الأصول عن الشيخ بهاء الدين الأخميمي ، ثم درس وأفتى ، وولي تدريس الظاهرية .

وكذلك القاضي تاج الدين أحمد بن فتح الدين ابن الشهيد [2] [٧٥٠ — ٨٠٠ هـ] كان عالماً خبيراً بصنعة الكتابة محبباً إلى الناس . تولى تدريس الظاهرية بعد أن نزل له عنها قاضي القضاة شمس الدين الاخنائي وبقي يدرس فيها حتى مات سنة ٨٠٠ هـ .

أما دار الحديث فقد ولي مشيختها في القرن الثامن هذا عدد من العلماء الفضلاء نذكر منهم :

شرف الدين عمر بن محمد المعروف بالناسخ [3] [٦١٨ — ٧٠٢ هـ] درس فيها بعد تقي الدين الواسطي . سمع من ابن الزبيدي وابن اللتي وفخر الدين

(١) الدارس ٢٤١/١ .
(٢) الدارس ٣٢٧/١ .
(٣) الدرر الكامنة ١٨٩/٣ .

ابن الشيرجي ومن غيرهم . وكان حسن الخط ينسخ الختمات والربعات ويذهبها ، فعرف بالناسخ ، وكان ديّناً كريماً حسن الشكل من بقايا الفقراء الحريرية ، وله نصيب من ذكر ومشيخة . استلم التدريس في دار الحديث الظاهرية سنة ٦٩٢ ﻫ وبقي فيه حتى نهاية حياته .

ومنهم شرف الدين أبو حفص عمر بن محمد الفزاري [١] [٦٣٢-٧٠٢ ﻫ] وقد باشر مشيخة دار الحديث الظاهرية يوم الخميس الثامن من ربيع الأول سنة ٧٠٢ ﻫ عوضاً عن شرف الدين الناسخ . وكان برّاً خلوقاً . وقد حضر دروسه عدد من الأعيان ، ولكن لم يطل عهده فيها ، إذ توفي في العام الذي ولي فيه التدريس عن سبعين عاما .

وأبرز من ولي مشيخة دار الحديث في القرن الثامن .

عفيف الدين اسحق بن يحي الآمدي ثم الدمشقي الحنفي [٢] [٦٤٠-٧٢٥ﻫ] : سمع الحديث على كثيرين منهم مجد الدين بن تيمية ؛ وكان الآمدي شيخاً فاضلاً ، حسن السمت ، سهل الإسماع ، يحب الرواية . قال الذهبي [٣] عنه : « وروى عن ابن خليل وعن عيسى الخياط والضياء صقر وغيرهم . وطلب الحديث ، وحصّل أصولاً بمروياته . وخرج له ابن المهندس معجماً قرأته عليه ، وكان لا بأس به » .

ومن شيوخ دار الحديث أيضاً : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي [٤] [٦٧٣ — ٧٤٨ ﻫ] : كان حافظاً مؤرخاً ، وعلاّمة محققاً ،

---

(١) الدارس ١/٣٥٧ .
(٢) الدارس ١/٣٥٧ .
(٣) العبر سنة ٧٢٥ ﻫ .
(٤) الشذرات ٦/١٥٣ والأعلام ٦/٢٢٢ .

ورحّالة باحثاً ، له تصانيف كثيرة تقارب المئة منها : « دول الإسلام » و « المشتبه في الأسماء والأنساب والكنى والألقاب » و « العباب » و « تاريخ الإسلام » و « تذكرة الحفاظ » و « طبقات القراء » و « المستدرك على مستدرك الحاكم » وسوى ذلك .

ومن شيوخها أخيراً : قوام الدين لطف الله الحنفي [1] [٦٨٥ – ٧٥٨ هـ] : كان رأساً في مذهب أبي حنيفة ، بارعاً في اللغة ، عابداً زاهداً . ولي تدريس الحديث بعد وفاة الذهبي ، وأخذ عنه الشيخ محب الدين ابن الوحدية [2] .

ويطل القرن التاسع للهجرة وتشهد الظاهرية العديد من أعلامه . أبرزهم الشيخ جمال الدين الطيماني [3] [٧٧١ — ٨١٥ هـ] : أبو محمد عبد الله بن طيمان المصري ثم الدمشقي . نشأ يتيماً فقيراً وصلّى بالقرآن وهو ابن سبع سنين . اشتغل على مذهب الإمام أحمد ، ثم انتقل إلى المذهب الشافعي وتفقه . لزم الشيخ برهان الدين الاسكندراني ، ثم أخذ عن الشيخ سراج الدين البلقيني . وعن الشيخ عز الدين بن جماعة ، أخذ الأصول والنحو والعلوم العقلية . وأقام بالشام يشتغل ، ويفتي ، ويصنف ، ويدرس في عدة مدارس منها الظاهرية . ولم يتكلم إلا معرباً ، روى ذلك عنه الشهاب ابن حجي . مات قتيلاً بمنزله في التعديل في الفتنة التي وقعت بين الناصر وغرمائه ، في صفر سنة خمس عشرة وثمانمئة .

ومن مدرسي الظاهرية في هذه الحقبة وأواخر القرن السابق : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن تاج الدين الأخنائي الشافعي [4] [٧٥٧ — ٨١٦ هـ] ولي

---

(١) الشذرات ١٦٥/٦ .
(٢) طبقات النحاة للسيوطي .
(٣) الدارس ٢٥٦/١ .
(٤) الدارس ١١٤/١ - ١١٥ .

القضاء في عدة مناطق ثم درّس في الظاهرية ، ونزل له عن المنصب علاء الدين الكركي كاتب السر الذي أخذه عن ابن الشهيد . كما ولي وكالة بيت المال ونظر الجيش ، ولكنه ما وفق في شيء كالتدريس والمشيخة .

ودرّس فيها القاضي العالم والأديب فتح الدين أبو بكر محمد بن ابراهيم ابن محمد المعروف بابن شهيد كاتب السر بدمشق [٧٢٨ — ٨٢٣] (١) اشتغل في العلوم وتفنّن وفاق أقرانه في النظم والنثر . ولي تدريس الظاهرية عوضاً عن ابن قاضي الزبداني الذي نزل له عنها .

وولي التدريس فيها أيضاً شمس الدين محمـــد بن عبد الدايم البرماوي الشافعي (٢) [٧٦٣ — ٨٣١ هـ] : تفقه في شبابه ، وسمع من ابراهيم بن اسحق الآمـدي وعبد الرحمن بن القاري وغيرهما ، كان خيّراً ، متواضعاً ، مصنفاً ، ناظماً ، له ألفية في أصول الفقة ، شرحها في نحو مجلدين ، ويقول عن هذا المؤلف إنه جملة ما حصل طول عمره . كما شرح لامية ابن مالك شرحاً جيداً ، واختصر السيرة . جاور بمكة ثم انتقل الى القاهرة ومنها الى القدس حيث توفي سنة ٨٣١ هـ .

أما دار الحديث فقد عرف أن شمس الدين البهنسي ٨٣١ هـ (٣) تولاّها عصرئذ وكان ساكناً ليناً ، وعرف أنه كان يقرأ البخاري بالجامع المقابل للشبلية وغيره .

ودمر القرن العاشر واستمع طلاب الظاهرية إلى الشيخ تاج الدين عبد الوهاب ابن شرف الدين يونس العيثاوي الشافعي (٤) [٩٢١ — ٩٥٨] ،

---

(١) الدارس ١/٣٥٣ .
(٢) الشذرات ٧/١٥٦ .
(٣) ذيل ابن شهبة سنة ٨٣١ هـ .
(٤) الشذرات ٨/٣٢١ .

قرأ على والده ، وعلى الشيخ تقي الدين البلاطنسي ، وأبي اللطف المقدسي ، وأجازه كما أجازه مفتي بعلبك البهاء بن القصي ، والجمال الديروطي ، وسمع على التاج العرضي .

نشأ من صغره في طاعة الله متأدباً متواضعاً سليم الفطرة منور الطلعة ، دَرّس في الفقه والنحو والتفسير والحديث .

وسمع طلبة العلم في دمشق من أهل القرن الحادي عشر صوت الشيخ رمضان بن عبد الحق العكاري الدمشقي الفقيه الحنفي [٩٨٤ — ١٠٥٦ هـ][1] يدرس في الظاهرية ، وكان عالماً بالفقه والعربية متبحراً فيها ، وكان غاية في جودة التعليم وحسن التفهيم . وله اطلاع زائد على فروع المذهب .

كما عرفت الظاهرية الشيخ زكريا بن حسين بن مسيح البوسنوي الدمشقي[2] [٩٢٥ — ١٠٧٣ هـ] كان يحسن اللغات الفارسية والتركية والبوسنوية والعربية وكان يكتب الخط المليح . وله فضيلة وحسن ومنادمة . مات سنة ١٠٧٣ هـ . ودفن في مقبرة الفراديس .

أما القرن الثاني عشر فقد شهد فيه إيوان الأحناف في المدرسة الظاهرية الشيخ عبد الرحمن بن أحمد القاري[3] الحنفي الدمشقي ، أحد الصدور من أعيان دمشق ، تولى أمر تدريس الظاهرية حتى إنه درس بها حين أمر والي دمشق مراد قزلك بأن يلازم المدرسون في كل مكان الدروس والإقراء ، وقبله

(١) خلاصة الأثر ١٦٧/٢ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) سلك الدرر ٢٨١/٢ .

كان واليا دمشق نصوح باشا ثم حسين باشا قد أمرا بذلك . فصار مدرس كل مدرسة يباشر الإقراء ويوكل عنه من يقوم بالتدريس . واستقام ذلك قليلاً ثم عاد الأمر إلى سابق عهده . وكان الشيخ عبد الرحمن حين يقرأ ، يسرد العبارة فإذا صدر منه خلل في بعض المسائل أو غلط لا يقدر أحد على ردّه ؛ وكلهم من الأفاضل ، أجلاء صامتون ناصتون . وكانوا أحياناً يصححون له أماليه قبل أن يقرأها ثم يمليها هو سرداً .

وشهد إيوان الشافعية فيها علي بن الحسين الشافعي المصري[1] نزيل دمشق . كان عالماً فاضلاً ملازماً للتقوى والصلاح حافظاً لكتاب الله . قطن أولاً بالمدرسة الاخنائية الكائنة قرب الجامع الأموي جانب السميساطية ، ثم تحول إلى المدرسة الجقمقية ، ثم إلى الظاهرية ، حيث أقرأ الأولاد القرآن الكريم ، كما أقرأ النحو وغيره .

أما كتب التراجم للقرن الثالث عشر[2] فلم تضع يدنا في يد شيخ واحد درّس أو سمع في الظاهرية لنفهم منه ما آلت إليه هذه المدرسة ، مما يدل على تضاؤل شأنها بَعْدَ عز وبُعد صيت ، واقتصار شيوخها على تعليم الصبية وكأنها آلت إلى كتّاب ، ولم يكن لها ذلك المركز الممتاز الذي تمتعت به قبل اندثار أوقافها على أيدي مختلسيها وذراريهم على مر الزمان .

---

(١) سلك الدرر ٣/٢١٣ .

(٢) كحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق البيطار تحقيق حفيده العالم الشيخ محمد بهجة .

والحق أن المدرسة الظاهرية كانت في هذا القرن تحتضر كمدرسة المذهبين ودار حديث ، وأقامت الحكومة التركية فيها مدرسة ابتدائية رسمية تشرف عليها وزارة المعارف .

حتى إذا ما أشرف هذا القرن على نهـــايته ، وكادت ظاهريتنا تلفظ أنفاسها ، أعادها الله إلى الحياة بروح جديدة وثوب جديد ، على يد طائفة من العلماء الأجلاء ، أبرزهم المرحوم الشيخ طـاهر الجزائري ، ومنذئذ عرفت بدار الكتب الظاهرية . وتابعت مسيرها عبر الزمن لتؤدي الرسالة التي آخذت على نفسها أداءها على خير وجه .

(يتبع) أسماء الحمصي



التعريف والنقد

التاريخ الحربي الإسلامي

في سلسلة من المؤلفات القيمة

صنع اللواء الركن محمود شيت خطاب

- ٢ -

الكتاب الأول

الرسول القائد

الطبعة الثالثة ، مطابع دار القلم — القاهرة ١٩٦٤ م

هذا كتاب جليل ، فيه تأريخ وفيه علم وفيه متعة ، يجدر بكل عربي ومسلم أن يقرأه ، كما يجدر بكل مؤرخ وعسكري أن يضمه إلى مكتبته ، حلّل مؤلفه بعمق ، ودرس باخلاص ، **الجانب العسكري** من سيرة الرسول الأعظم محمد ﷺ ، مثبتاً فيه مواهب الرسول العسكرية والإدارية ، كاشفاً عن عبقريته الفذّة التي حققت النصر لجيوش المسلمين بتأييد من الله عزّ وجلّ .

أخرجت الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٥٨ م المطبعة الإسلامية في بغداد في ٣٧٦ صفحة من القطع المتوسط ، وتولى مؤلفه تقديمه إلى القراء قائلاً :

« لقد تحدث مؤرخو السيرة عن معارك الرسول ﷺ باسهاب أو باقتضاب ، ومع ذلك فإن الباحث يخرج من دراسة كل معركة دون أن يلم بكل تفاصيلها

ووقائعها ودوافعها ، ويعود ليسأل نفسه : ما هو موقف الطرفين قبل المعركة ؟ كيف جرى القتال ؟ وما هي الدروس التي نستفيدها من المعركة ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الحيوية الملحة . إن وصف معارك القواد المسلمين ، وعلى رأسهم الرسول ﷺ بهذا الأسلوب الذي لا يقنع باحثاً ولا يشفي غلة دارس ، جعل تاريخ الحرب الحديث يورد أمثلة من أعمال القواد غير المسلمين ... ولا يورد أمثلة من أعمال القواد المسلمين ... بينما يدرّس هذا التاريخ للمسلمين وفي بلاد المسلمين ! » .

ويميط اللواء خطاب اللثام عما كشفه في سيرة الرسول الأعظم قائلاً : « لقد قرأت أكثر كتب السيرة في تدبر وإمعان ، وحاولت أن أستشف منها كل نواحي العظمة التي تتسم بها شخصية الرسول ﷺ ، ولكني وجدت أن **عبقريته العسكرية** التي لا تتطاول إليها أية عبقرية أخرى لأي قائد في القديم أو الحديث ، تكاد تكون متوارية محجوبة لم يتح لها من يكشف أسرارها ويجلي عظمتها بأسلوب حديث يجنح إلى الكشف والتحليل وإبراز المواهب النادرة ، وخاصة من عسكري يستطيع أن يلم بنواحي العظمة العسكرية التي تكمن فيها ويظهرها جلية للعيان . » .

وأخذ اللواء خطاب يعمل جاهداً لتأليف كتاب ، متوخياً فيه تنسيق المعلومات التاريخية وكل ما يتصل بالشؤون الحربية الواردة في كتب السيرة ، وعرضها من جديد بأسلوب بسيط ، فكان كتابه القيم **« الرسول القائد » :** وفي هذا الكتاب سجل المؤلف جميع المعارك التي خاضها المسلمون بقيادة الرسول ﷺ ، عارضاً على قرائه الموقف العام لكل من المسلمين وخصومهم قبل كل معركة ، مبيناً عدد قوات كل منها وأهدافها الحربية ، متحدثاً عن سير الحوادث قبل القتال وأثناءه وبعده ، ومن ثم عن نتائج كل معركة

والدروس التي يمكن أن تستخلص منها من الناحية العسكرية ، ولقد أغفل المؤلف بعض الظواهر الخارقة والمعجزات النبوية التي لا يمكن أن تحدث في الحروب العادية بين فريقين متطاحنين من البشر ، وهي المعجزات والخوارق التي أيّد الله بها نبيه الكريم ، أغفلها المؤلف لا لأنه لا يؤمن بها ، فهو رجل مسلم ، وتلك المعجزات والخوارق - كما يقول - « أمر يؤمن به كل مسلم ، وقد أثبته القرآن بما لا يدع فيه مجالاً لشك أو ريبة » ولكن لأن « الخوارق **لم تكن وحدها أداة النصر** والعامل الذي غلب به الرسول ، والذين يذهبون إلى هذا يسلبونه قوته كقائد ، وكيف يحتذي المسلمون سيرته ويتبعون في الحروب نهجه وسنته ، إذا لم يكن لفنه الحربيّ الأصيل ومواهبه العسكرية النادرة ، الأثر العظيم في ظفره ونصره . إن الخوارق كانت إيذاناً للنبي بأن الله معه لا يتخلى عنه ، حتى يشحذ همته ويثير عزيمته وينبهه بكل ما فيه من حواس اليقظة إلى أعدائه المحاربين » .

وينتهي اللواء خطاب في مقدمته إلى القول : « إن المسلم الصحيح هو الذي يقدّر الرسول ﷺ حقّ قدره ، فيعترف بأن كفاءته ﷺ **قائداً ممتازاً** وكفاءة أصحابه **جنوداً ممتازين** ، هي التي أمّنت لهم النصر » .

وخرج كتاب « **الرسول القائد** » من المطبعة ، فقرىء في العراق وبعض البلاد العربية ، غير أن ظروف طبعه عام ١٩٥٨ م لم تسمح للكتاب بأن ينتشر في كثير من البلاد العربية والإسلامية ، مما دفع مؤلفه لإعادة طبعه ثانية فكتب مقدمة لهذه الطبعة قال فيها : « الله يعلم أني لم أرد بهذا الكتاب إلا وجهه الكريم . وأن أقضي واجباً كنت ولا أزال أشعر بثقل مسؤوليته الجسيمة خدمة للرسول القائد بإظهار ناحية الجهاد في الإسلام مبسّطة في جهاد النبي العربي العظيم ، لهذا وافقت على إعادة طبعه ليتيسّر اقتناؤه في أوسع نطاق من بلاد المسلمين » .

واشتد الطلب على هذا الكتاب ، بعد أن نفدت طبعته الثانية أيضاً ، فقامت « **دار القلم** » بإعادة طبعه طبعة جديدة متقنة على ورق صقيل ، بعد أن أعاد المؤلف النظر في الطبعة السابقة فنقحها وزاد عليها بعض الشيء ، فأضحى الكتاب في نحو من ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط ، وهو مزين بعدد من الخرائط والمخططات والرسوم التي توضح موضوعات الكتاب المتضمنة التاريخ الحربي للمسلمين منـــذ ظهور الإسلام حتى انقضاء عهد الرسول الكريم ﷺ .

★ ★ ★

قسم المؤلف كتابه إلى خمسة عشر فصلاً ، اختار لها من آي القرآن الكريم أو من وقائع التاريخ العناوين التالية :

١ ــ **الحرب العادلة** : تكلم المؤلف في هذا الفصل عن معنى القتال في الإسلام ، وأنه ما شرع فيه إلا لتأمين حرية نشر الدعوة وتوطيد السلام ، كما تكلم عن أهداف هذا القتال وأنواعه ، وكيفية تنظيمه ، وشروط التجنيد من أجله ، ومما أشـــار إليه المؤلف ، أن التجنيد في الإسلام كان يشمل النساء البالغات ، إلى أن قامت الدولة العباسية ، فأضاف الفقهاء « **الذكورة** » إلى شروط التجنيد ، ويعلق المؤلف على هذا الشرط قائلاً إنه : « **انحراف لا يقره الإجماع** » ، ولمـــا ذكر « **الاسلام** » شرطاً آخر من تلك الشروط ، علّق هذا الشرط قائلاً : « ليدافع ــ المجنَّد ــ عن بلاد المسلمين عن عقيدة وإخلاص » ونرى أنه كان من المستحسن أن يشير المؤلف في تعليقه هذا إلى إمكان الاستثناء من هذا الشرط في ظروف معينة ، إذا ما رأى الإمام مصلحة للمسلمين تدعو إلى هذا الاستثناء ، وأهم هذه الظروف حالة

تطوع الذميين التي أشار المؤلف إليها في الفصل نفسه من الكتاب قائلاً : « إن الإسلام أعفى دافع الجزية من الخدمة في الجيش ، والذمي الذي يقبل التطوع في الجيش الإسلامي تسقط عنه الجزية »(١) .

ومما لفت نظرنا في هذا الفصل تعريف الحرب العادلة بأنها : « هي التي توجّه ضد **شعب ارتكب ظلما** نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه ، ويشترط فيها : أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية . . . » ولو أبدل المؤلف ـ كما نرى ـ بكلمة « **شعب** » الأولى كلمة « **دولة** » لكان التعريف أرحم بالشعوب والأمم فالظلم ليس من شيمها بمقدار ما هو من شيم « **الدول** » التي تضمها ، أعني ملوكها وحكامها من الطغاة والمستبدين .

٢ ــ **قبل نشوب القتال** : وفي هذا الفصل تكلم المؤلف عن الموقف العسكري للمسلمين مذ قامت الدعوة إلى الإسلام سرًّا ، إلى أن تمّ تنظيم صفوف المسلمين بعد هجرتهم إلى يثرب ، وأعطى القارئ فكرة واضحة عن الموقف العسكري للمسلمين من جهة ولكل من المشركين والفرس والروم من جهة ثانية ، وأجاب المؤلف ، في توضيحه الموقف العسكري للطرفين ، كل من يتساءل عن هذه السرعة الفائقة التي تم بها الفتح الإسلامي وإقامة **دولة الاسلام** العظيمة ، فقد كانت غلبة المسلمين ــ كما يرى المؤلف ــ أمراً يحتّمه ذلك الموقف .

٣ ــ **الدفاع عن العقيدة** : خصّ المؤلف هذا الفصل بالكلام عن دوريّات القتال التي كان الرسول ﷺ يبعث بها من المدينة للنواحي بغاية إشعار المشركين واليهود بقوة المسلمين ، كي يتاح لهم القيام بنشر دعوتهم

(١) أنظر ص ٣٣ .

والدفاع عن عقيدتهم باطمئنان ، وألحقَ المؤلف بهذا الفصل جدولاً مفيداً ذكر فيه بجانب اسم كل غزوة أو سريّة بعثها الرسول الكريم اسم قائدهـا وقائد المشركين ، وتاريخ وقوعها ، والنتائج العسكرية التي أسفرت عنها .

٤ ــ **الصراع الحاسم بين عقيدتين** . في هذا الفصل حدثنا المؤلف عن غزوة بدر الكبرى ، **المعركة الحاسمة الأولى** في تاريخ الإسلام ، وعن كل ما يتصل بها . فتحدث عن قوات الطرفين قبل المعركة وبعدها ، وعن غاية كل طرف منها ، وعن سير القتال وخسائرها ، وعن أسباب انتصار المسلمين المتمثلة في قيادة موحدة وتعبئة جديدة وعقيدة راسخة ومعنويات عالية ، وختم المؤلف الفصل ببيان الدروس المستفـادة من هذه المعركة ، وبقائمة بأسماء شهداء بدر ومن شهدها من المسلمين على اختلاف قبائلهم .

٥ ــ **القاعدة الأمينة** : ويقصد المؤلف بهـا مدينة الرسول الكريم « **يثرب** » ، وقد بين في هذا الفصل كيف قام الرسول ﷺ بتطهير المدينة من اليهود بحصار بني قينقاع ، بعد أن أظهروا عداوتهم للإسلام ، ثم بين كيف فرض الحصار الاقتصادي على قريش بعديد من الغزوات ، وفي نهاية الفصل بين الدروس المستفادة من حركات التطهير هذه التي كانت « **حرباً باردة** » كما تسمى في المصطلح العسكري الحديث ، وبها تم للمسلمين جعل المدينة « **قاعدة أمينة** » للإسلام ، فتم لهم بعدئذ الفوز والنصر المبين .

وكم سيصبح عمل المؤلف جليلاً بالغ القيمة لو استطـاع ــ من أجل طبعة قادمة ــ القيام بزيارة الأماكن التي جرت فيهـا معارك المسلمين الهامة ، ثم وصفها لنا بدقة القـائد الخبير بأرض المعركة ، على أنه يجدر به ــ على الأقل ــ القيام بتحقيق مواضع وأسماء الأماكن التي وردت في أبحـاثه دون الاكتفاء في تحديد مواقعها بما ورد في معجم البلدان أو في كتاب الطبقات

لابن سعد ، أو في غيرهما من المعاجم غير الموثوقة في المعلومات الجغرافية ، خاصة في مثل هذا العصر الذي تغيّرت فيه معالم كثير من البلدان والأماكن أو تبدلت أسماؤها ، أو اختلفت تبعيتها السياسية ، ولنضرب أمثلة على بعض أسماء الأماكن الواردة في ثنايا الكتاب نقتطفها من هذا الفصل ومن غيره من الفصول :

أ — في الصفحة ١٤٣ ورد ذكر بني قَيْنُقاع ، الذين تركوا المدينة وساروا نحو بلاد الشام حتى بلغوا « **أذريعات** » وفي هامش الصفحة قال المؤلف : « أذريعات : موضع كائن في منطقة شرقي الأردن حالياً بين أجنادين والشام » وفي الصفحة ٢٣٦ في معرض الكلام على غزوة بني قُرَيْظة ورد أن اليهود عرضوا على النبي ﷺ الخروج إلى « **أذْرِعات** » وفي هامش الصفحة قال المؤلف : « أذرعات : بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان : انظر معجم البلدان » .

إن البلدتين المذكورتين في العبارتين السابقتين مقصود بها مدينة واحدة والصياغة الثانية أصح ، على ما ورد في أمهات العربية [1] ، وأذرعات ، بكسر الراء وقد تفتح ، **مدينة سوريّة اليوم** ، وهي مركز إحدى محافظات الجمهورية العربية السورية المجاورة للملكة الأردنية ، واسمها المشهور الآن هو « **دَرْعا** » بتسكين الراء .

ب — في الصفحة ٢٤٣ ورد ذكر سريّة زيد بن حارثة إلى « **حِسْمى** » وعلق المؤلف في الهامش قائلاً : « حسمى : أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان وبين وادي القرى والمدينة ست ليال : انظر التفاصيل

(١) في تاج العروس : أذرعات بلد بالشام قرب البلقاء من أرض عمان تنسب إليه الخمر .. وقال يعقوب في البدل : يذرعات .

معجم البلدان » . وأرض حسمى واضحة على خريطة المملكة العربية السعودية اليوم ، وهي واقعة غربيّ تبوك بينها وبين مدين على ساحل البحر الأحمر ، وقد أثبت اسمها على الخريطة بصيغة « **حسما** »(١) .

هـ — في الصفحة ٢٩٥ عند الكلام على غزوة « **مُؤْتة** » قال المؤلف في الهامش : « **مؤتة** قرية من قرى البلقاء في حدود الشام . انظر التفاصيل في معجم البلدان . وهي بأدى ـ أدنى ـ البلقاء ، والبلقاء دون دمشق . انظر طبقات ابن سعد » . ومؤتة : موضع في الجنوب الشرقيّ من البحر الميت ، وهو اليوم في **المملكة الأردنية الهاشمية** .

ز — في الصفحة ٣٨٧ ورد ذكر غزوة **تَبُوك** فعلق المؤلف في الهامش قائلاً : « تَبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وهو حصن به عين ونخل . أنظر التفاصيل في معجم البلدان » وكان من حق هذا الموضع الهام أن يشار إلى أن مدينة هامة تقوم فيه اليوم ، وهي من البلدان المعروفة في الشمال الغربيّ من **المملكة العربية السعودية** ، واقعة على الخط الحديديّ الذي كان يصل دمشق بالمدينة .

ح — في الصفحة ٣٩٢ ورد ذكر **البَلْقاء** فنقل المؤلف عن معجم البلدان تعريفها قائلاً : « كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان » والبلقاء اليوم أهم محافظات **المملكة الاردنية الهاشمية** ، وأهم مدنها عاصمة المملكة « **عمان** » . تليها السلط ثم مأدبا .

---

(١) هذه الخريطة من أحدث وأدق المصورات للمملكة العربية السعودية وقد طبعتها حديثاً « شركة الزيت العربية السعودية » وفي تاج العروس : حسمى بالكسر مقصورة : أرض بالبادية بها جبال شواهق ملس الجوانب لا يكاد القتـــام يفارقها ... وإليها كانت سرية زيد بن حارثة .

ط ــ في الصفحة ٣٩٣ ورد ذكر مصالحة المسلمين لصاحب **« أيْلَة »** ونقل المؤلف في الهامش عن معجم البلدان تعريف هــــذه المدينة فقال : « أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام وهي آخر الحجاز وأول الشام » وكان من الواجب بيان أن هذه المدينة تقع في شماليّ ما يسمى اليوم بخليج **العقبة** وهي ميناء في **أرض فلسطين** المحتلة جنوبيّ النقب ، وكُتّاب العصر أصبحوا يرسمون اسمها تقليداً بصيغة **« إيلات »** .

ج ــ في الصفحة ٢٩٠ ورد ذكر يهود **تَيْماء** ، وعرّف المؤلف هذه البلدة قائلاً : « تيماء : بلد في أطراف الشام ، بين الشام ووادي القرى . انظر التفاصيل في معجم البلدان » وبلدة تيماء معروفة اليوم في جنوبيّ الحفرة في الشمال الغربيّ من **المملكة العربية السعودية** ، وهي واقعـــــة على الطريق الرئيسة بين المدينة وتبوك .

د ــ في الصفحة ٢٩١ عند الكلام على سريّة أبي بكر الصديق إلى بني كلاب في نجد ورد ذكر ناحية **ضَرِيّة »** فعرّفها المؤلف قائلاً : « ضرية : قرية في نجد غامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة . انظر التفاصيل في معجم البلدان » القرية المذكورة من قرى نجد المعروفة حتى اليوم وهي واضحة في خريطة **المملكة العربية السعودية** وتقع في الجنوب الغربيّ للقصيم شماليّ الطريق الكبرى التي تصل الرياض بمكة .

و ــ في الصفحة ٢٩٦ عند الكلام على غزوة مُؤْتَة ذُكر وصول قوات المسلمين **مَعَان** من أرض الشام ، وعرّف المؤلف هذه البلدة قائلاً : « معان : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء ، انظر التفاصيل في معجم البلدان » ومعان اليوم مدينة أردنية وهي مركز إحدى محافظات

المملكة الأردنية الهامة ، وتقع على الطريق الرئيسة الواصلة بين عمان وتبوك من جهة ، وبين عمان والعقبة من جهة ثانية .

٦ — **النصر المغلوب** : خصّ المؤلف هذا الفصل بغزوة أُحُد ، فتكلم فيه عن الموقف العام الذي كان عليه المسلمون والمشركون على السواء ، ثم تحدث عن سير القتال ونهاية المعركة مع بيان دقيق عن خسائر الطرفين ، وأسباب نكبة المسلمين ، والدروس المستفادة من هذه المعركة مع دراسة عميقة لنتائجها ، وهل كانت في حقيقتها انتصاراً للمشركين واندحاراً للمسلمين ، أم أنها كانت شيئاً آخر ؟ وأعلن المؤلف رأيه صريحاً بقوله : أنا لا أتفق مع المؤرخين في اعتبار نتيجة (**أحد**) **نصراً للمشركين واندحاراً للمسلمين** ، لأن مناقشة المعركة عسكرياً ، تظهر انتصار المسلمين على الرغم من خسائرهم الفادحة في المعركة » ثم ناقش هذا الرأي مناقشة عسكرية رائعة انتهى فيها إلى اثبات أن معركة أُحد وإن كانت « **نصراً تَعْبَوِياً** » للمشركين فإنها كانت « **فشلاً سَوْقياً** » لهم ، قائلاً : « **ولا يُعَدّ النصر التعبويّ شيئاً يذكر إلى جانب الفشل السَوقيّ** » .

٧ — إعادة النظام : في هذا الفصل تكلم المؤلف عن التطهير الجديد الذي اضطر المسلمون إليه بعد معركة أُحد ، لكي يستعيدوا سمعتهم الممتازة لدى مختلف القبائل العربية ، وذلك بعد أن تكشفت لهم عيوب وعقبات ومشاكل داخلية وخارجية بسبب وجود منافقين بينهم وقيام يهود بالقرب منهم ، وبسبب ما قامت به قريش من تأليب العرب عليهم ، وقد بين المؤلف الغزوات التي قام بها المسلمون في سبيل إعادة النظام إلى صفوفهم ، مع تعداد الدروس المستفادة من تلك الغزوات ، وفي أولها ما أسماه « **الابداع** » المتمثل بسرعة الخاطر في إعطاء القرار الحازم الصحيح في المواقف الحرجة ، وذلك من أجل سبق العدو في العمل وإرغامه على تبديل الخطة التي رسمها لنفسه ، وهو الأمر

الذي قام به الرسول ﷺ في هذه الفترة التي خصّ المؤلف هذا الفصل بها ، مما يدل **مزية من أعظم مزايا القائد الكفُؤ** .

٨ — **هازم الأحزاب** : خصّ المؤلف هذا الفصل بـ « **غزوة الخندق** » وسير القتال فيها وأسباب فشل الأحزاب ، والدروس العسكرية المستفادة من هذه الغزوة ، وكيف انتقل المسلمون ، في اليوم الذي انتهت فيه ، من دور الدفاع إلى دور الهجوم ، مصداقاً لما قاله الرسول ﷺ يومئذ لأصحابه : « **الآن نغزوهم ولا يغزوننا** » .

٩ — **القصاص العادل** : وهذا فصل خصّه المؤلف بمحاسبة الغادرين من يهود ومشركين ، فتكلم فيه عن « **غزوة بني قُرَيْظَة** » وغيرها من الغزوات ، والسرايا التي أمر بها الرسول ﷺ من أجل توطيد الأمن وتشديد الحصار الاقتصادي على المشركين ، ثم بين المؤلف الدروس المستفادة من كل تلك الغزوات والسرايا ومن أهمها ما يسمى بالمصطلح العسكري « المباغتة » وهي من « أهم مبادىء الحرب قديماً وحديثاً ، وقد حرص المسلمون على تطبيق هذا المبدأ في أكثر غزواتهم ، مما ساعدهم على النصر » .

١٠ — **الفتح القريب** : وفي هذا الفصل تكلم المؤلف عن « **غزوة الحديبية** » وعن الموقف الحربي العام بين المسلمين والمشركين ، وعن المفاوضات التي جرت بين هؤلاء وبين النبي ﷺ وانتهت بهدنة انبثق عنها « **عهد الحديبية** » ثم بيَّن الدروس المستفادة من تلك الهدنة ، ومن أهمها ما أسماه في المصطلح العسكري « **الضَبْط** » وعنى به انجاز العمل المطلوب على أحسن وجه مع حبس الانفعالات الناجمة عن أي ظرف أو حالة من الحالات الصعبة التي تواجهها القوات المحاربة ، وأوضح المؤلف بعدئذ المزايا القيادية التي تحلى بها الرسول ﷺ ، والتي مهدت للفتح العظيم ومن ثم لانتشار الإسلام بالسرعة العظيمة التي انتشر بها .

١١ — **فترة الهدنة** : تكلم المؤلف في هذا الفصل عن الثمرات التي جناها المسلمون من « **عهد الحُدَيْبِيَة** » ، وعن « غزوة خَيْبَر » التي أثمرت نهاية يهود من الجزيرة العربية ، كما تكلم عن سرايا تأديب الأعراب الذين كانوا يعيثون بالأمن فساداً ، يغيرون على المدن ويغدرون بالناس ؛ وأخيراً تكلم المؤلف عن الغزوات والسرايا التي قام بها المسلمون في هذه الفترة والدروس التي يمكن استخلاصها من كل واحدة منها ، ومن أهم ما تم في الفترة المذكورة قيـــام النبي عليه الصلاة والسلام بتوجيه **كتب إلى ملوك الدول المجاورة** يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام ، ومنها أيضاً شروق شمس الإسلام على جميع أرجاء الجزيرة العربية .

١٢ — **عودة المستضعفين** : في هذا الفصل حدثنا المؤلف عن أولئك المسلمين الذين نزلت بحقهم الآية الكريمة : « ونريدُ أن نَمُنَّ على الذينَ استضعِفُوا في الأرضِ ونجعلَهُم أئمةً ونجعلَهمُ الوارثين » كيف منّ الله عليهم بفتح مكة ، وكيف دخلوها أعزة بالإسلام بعد أن أخرجهم قومهم منها أذلة ، ثم بيّن لنا الدروس المستفادة من معركة الفتح التي وصفها بقوله أنها كانت « **معركة معنويات وتخطيط سليم** » أكثر منها « **معركة ميدان وقتال** » ، معركة انتهت بانتصار عقيدة التوحيد وبتحطيم الأصنام التي كانت تعبد من دون الله .

١٣ — **استثمار الفوز** : وخصّ المؤلف هذا الفصل بالحديث عن « **غزوة حنين** » وبحصار الطائف وسرايا الدعوة ، والدروس المستفادة من كل ذلك .

١٤ — **مولد امبراطورية** : خصّ المؤلف الفصل الرابع عشر من كتابه بالكلام على « **غزوة تبوك** » ، الغزوة التي انتصر فيها المسلمون على جيوش

الروم وأذنت بقيام « **دولة الاسلام** » وقد عالج المؤلف الأسباب المباشرة للغزوة وأسبابها غير المباشرة ، مبيناً أهمية الإستعدادات العسكرية والمصالحات التي قام بها الرسول ﷺ في سبيلها ، ثم تكلم عن « **سرايا الدعوة** » التي بعث بها إلى اليمن والشام ، وعن الدروس المستفادة من كل ذلك ، وفي طليعتها تطبيق مبدأ من أهم مبادىء الحرب الحديثة والمسمى « **الحرب الجماعية** » ، ذلك المبدأ الذي أوضحه قائد ألماني كبير من المعاصرين بقوله عن الحروب الحديثة : « إنها تقوم على حرب الأمم ضد الأمم ، ولهذا يجب أن تضع الأمة كل قواها الفعلية والأدبية والمادية في خدمة الحرب ، وأن تكون هذه القوة مخصصة للحرب التالية » .

١٥ — **التطبيق العملي** : واختتم اللواء خطاب كتابه « القائد الرسول » ببحث مقارن عن المبادىء المثالية التي جاء بها القرآن الكريم والخاصة بأغراض وأهداف وتنظيم ما يسمى بعصرنا الحديث بـ« **الحرب العادلة** » .

لقد ردّ المؤلف جميع الانتصارات العظيمة التي حققتها جيوش المسلمين بقيادة الرسول ﷺ إلى عوامل عسكرية محضة ، وهي إلى جانب تأييد الله عز وجل لمن اتبع دينه القويم ، تتلخص في الأسباب الأربعة التالية :

أ — قيادة عبقرية .

ب — جنود ممتازون .

ج — حرب عادلة .

د — تردي الموقف العسكري لدى أعداء الإسلام .

وقد شرح المؤلف الكريم كل سبب من هذه الأسباب شرحاً وافيا ، مقارناً كل العوامل التي رافقت معارك الرسول ﷺ بأحدث الأساليب العسكرية ، مبيناً معنى كل مصطلح عسكري حديث استعمله في بحثه كالمباغتة ، والاقتصاد

بالمجهود ، وتوفير الأمن ، والمرونة ، وسبق النظر ، والتعرّض ، وإدامة المعنويات ، وحسن الإدارة وغيرهـا ، وكل ذلك بلغة مبسطة سهلة جديرة بالإعجاب والتقدير .

وهكذا انتهى اللواء خطـاب إلى القول بأن الأرض **إنما يرثها عباد الله الصالحون** .

★ ★ ★

يوم بدأت في قراءة كتاب « **الرسول القائد** » وقفت طويلاً عند قول المؤلف في مقدمته للطبعة الثانية : « .. وسيجد القراء الكرام ، **أن الحرب في الاسلام حرب دفاعية بكل ما في الكلمة من معنى** ، لا يبدأ المسلمون فيها بالاعتداء على أحد .. » وتداعَتْ عليَّ الأفكار أمام هذه الجملة التي اعتدنا قراءة ما تضمنته من معنى ، في كثير من الكتب والمقالات ، أو سماع مثلها في كثير من الخطب والمحاضرات ، وهي ترد عادة في **معرض الدفاع عن سمعة الاسلام** ونفي ما يزعمه أعداؤه من أنه دين قام على الإكراه وإجبار الناس على الدخول فيه ، أو ترد في معرض الرد على من يزعم بأن دولة الاسلام ما قامت إلا على سواعد رجال بُداة أتقنوا صناعة الموت فحملوا السيف واجتاحوا البلاد المجاورة لهم ، فلما خضعت لقوتهم بعض الشعوب والدول ، أقاموا دولتهم على أنقاض ما هدموه من ممالك .

* *

إن فكرة « **القتال في الاسلام حرب دفاعية لا هجوم فيها** » فكرة تهزّ مشاعر المسلمين وتطرب لها نفوسهم وتسكن إليها ، كلما سمعوها أو قرأوها رداً على هجمات أعداء الاسلام وخصومه ، إذ أن فيها تأكيداً على أن الدولة الاسلامية دولة إنسانية ، لا تحارب إلا **حرباً عادلة دفاعاً عن نفسها** ،

كما أن فيها إظهاراً لحقيقة الاسلام ، وأنه **دين الرحمة والسلام** ، لا إكراه فيه ولا اعتداء على أحد ، والله عزّ وجلّ يقول في محكم كتابه : « لا إكْرَاهَ في الدّين » كما يقول : « وقاتِلوا الذينَ يُقاتِلونَكُم ولا تَعْتَدُوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِين » .

ولكن هل الآيتان المذكورتان وآيات كثيرة ورد فيها النهي عن الاعتداء أو الأمر بالجُنُوح للسَّلْم ما جنح أعداء الإسلام إليها ، **توقف حكم** آيات أخرى تأمر بـ « **الجهاد** » وتحث المسلمين عليه كقوله وهو أعز قائل : « إنَّ اللهَ اشترى من المُؤْمِنين أنفسَهُمْ وأموالَهُمْ ، بأنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلُونَ في سَبيلِ اللهِ فيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وَعْداً عليهِ حقّاً في التَّوْراةِ والإنجيلِ والقرآن ، ومنْ أوفى بعهدِهِ منَ اللهِ ؟ فاستَبْشِرُوا ببَيعِكُمْ الذي بايَعْتُمْ بهِ وذلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظيم » وقوله تعالى : « يا أيُّها الذينَ آمنُوا قاتِلوا الذينَ يَلُونَكُمْ منَ الكُفَّارِ ولِيَجِدُوا فيكُمْ غِلْظَةً واعْلَمُوا أنّ اللهَ معَ المُتَّقِين » ؟ وهل حكم ـ الجهاد ـ الذي يدعو الإسلام إليه **منسوخ بحكم الآيات التي تحرّم الاعتداء** ؟ أو هل أنَّ الجهاد في الاسلام **يتمثل في دفع المعتدين** فقط ، ولا يشمل **هجوماً** على عدو لم يبدأ المسلمين بقتال أو ما في حكمه ؟

يكاد الاتفاق بين علماء المسلمين يكون تاماً على أن آيات الجهاد والقتال في القرآن الكريم ليس فيها حكم منسوخ ، بل **كلها محكم يجب العمل به** ، خاصة وأن أكثر آيات الجهاد وردت في سورة التّوبة وهي من آخر سور القرآن نزولاً ، كما أنه ليس في أسباب نزول أو في نصوص آيات الأمر بالامتناع عن الاعتداء أو الإكراه في الدين ، ما يستفاد منه **أي تخصيص أو تقييد لعموم وإطلاق** تلك الآيات ، أي لا يمكن الاستدلال من النصوص بأن آيات الجهاد في القرآن الكريم مخصصة أو مقيدة بآيات أخرى ، وبالتالي

لا يمكن القول اعتماداً على النصوص بأن القتـال في الاسلام لا يكون إلا دفاعاً لردّ اعتداء بُدئ فيه ، أو بتعبير آخر لا يمكن القول اعتماداً على النصوص القرآنية بأن **الحرب الهجومية محرمة في الاسلام** .

حقّاً إن الإسلام — كما هو صريح النصوص القرآنية — يدعو للسلام ويأمر بالجنوح للسلم كلما جنح الأعداء لها ، وحقاً إن الإسلام يحرم الاعتداء ويأمر بعدم مقاتلة غير المقاتلين ، كما أنه ينهى عن تجاوز حدود القتال بقتل غير المحاربين أطفالاً كانوا أو نساءً أو شيوخاً أو رجال دين ، ولكن هل **الجهاد في سبيل الله** الذي وصفه الرسول ﷺ : بأنه إحدى شعب الإيمان الثلاث ، ينحصر في **دفع الاعتداء** فقط ، ولا يباح فيه قتال من لم يبدأ القتال الفعلي ؟

يرى فريق كبير من علماء المسلمين ، الذين عالجوا هذا الموضوع في هذا العصر ، أن الجهاد هو الدعوة إلى الاسلام **والقتال في سبيل هذه الدعوة** حتى تنزل الأمم والشعوب على حكم الاسلام ، فإذا نزلت ، فالنـــاس لا يكرهون على الدخول في الاسلام ولكل امرئ عندئذٍ الدين الذي يرتضيه ، وبعبارة أخرى : الجهاد لا يكون لإكراه الناس على أن يكونوا مسلمين ، بل هو **إعلاء لكلمة الله ودعم لدولة الاسلام** ، لذلك فالجهاد كما يكون حرباً دفاعية يكون **حرباً وقائية** ، وقد يكون **حرباً هجومية** يبدأ المسلمون فيها بالقتال كلما اضطروا لها أو وجدوا مصلحة للاسلام فيها .

كما يرى هؤلاء العلماء أنفسهم ، أن فكرة « **الحرب الدفاعية** » وصفاً للقتـال الذي شرعه الاسلام ، **ليست فكرة إسلامية أصيلة** ، بل هي فكرة حديثة طـارئة نجمت عن احتكاك المسلمين بالإفرنج ، بعد عصور طويلة من الانحطاط والضعف ، فلما بدأ المسلمون نهضتهم الحديثة في القرن

الماضي ، وأخذوا يقرأون ماكتبه الأوربيون عنهم **ورأوا** المستشرقين منهم خاصة يخوضون في أحكام الجهاد في الاسلام ، وبعضهم ينعي على الاسلام تلك الأحكام ، ويصمه بالوحشية مفترياً عليه بأنه قام على إكراه الناس حتى يكونوا مسلمين ، قام المتنورون من علماء المسلمين يدافعون عن دينهم **بتنزيه الجهاد عن أن يكون غير حروب دفاعية** لا هجوم فيها ولا اعتداء ، غافلين عما قد ينجم عن هذا الدفاع من إضعاف لمعنى الجهاد وحطّ من شأنه في دعم دولة الاسلام .

وقد وصل الشك بالمستشرقين ، عند بعض أولئك العلماء ، إلى اتهامهم بدسّ فكرة « **الجهاد حروب دفاعية** » على المسلمين ليقولوا بها ، حتى يفقدوا الجهاد سلطانه على المسلمين ويبطل سحره في جماهيرهم ، لأن بعض ملوك المسلمين بعد أن تجزأت دولة الإسلام إلى ممالك وإمارات لا تجمع بين شعوبها إلا رابطة الدين ، كانوا يحتمون بسلاح التهديد بـ « **إعلان الجهاد** » تجاه مطامع الدول الأوربيّة في بلادهم ، كما كان بعضهم يلجأ إلى إعلان هذا الجهاد كلما اشتبك بحرب مع دولة من الدول الأجنبية . والشّاكّون بكون المستشرقين أول من قال بالفكرة المذكورة ، لا يفرقون بين أن يكون أول من جرت على قلمه الفكرة ، إن كان من المستشرقين ، **حسن النية** كتبها وهو يعتقد بأنه ينصف الإسلام بها تجاه افتراء علماء قومه ، أو أنه كان « **سيء النيّة** » دسّ الفكرة لتنتشر بين المسلمين فينفلّ سلاح ملوكهم ويفقدوا قوة كامنة في العالم الإسلامي كانت ترهب أصحاب المطامع الصليبية .

لقد كان من حق التأريخ أن يتفرغ متخصص لدراسة حقيقة منشأ الفكرة المشار إليها ، لنعرف وجه الصواب في الدافع اليها ، غير أن أكثر العلماء المسلمين المعاصرين الذين تعرّضوا لدراسة موضوع الجهاد في الإسلام ،

أخذوا فكرة « **القتال في الإسلام حرب دفاعية** » وكأنها فكرة مسلم بهـا ، استناداً إلى الآيات القرآنية التي تحرم الاعتداء ، وتنهى عن قتال من لم يبدأ المسلمين بالقتال ، حتى إذا ما صدر الجزء الأول من أضخم كتاب في الفقه الإسلامي يبحث فيما يسمى « **العلاقات الدولية** » تأليف الإمام محمد بن الحسن الشيباني[1] ، قام الأستاذ الكبير محمد أبو زهرة ، الذي كتب مقدمة قيمة لهذا الكتاب ، بترديد فكرة « الحرب الدفاعية » محاولاً تفسيرها بتوسيع مفهومها حتى يتلاءم مع مفهوم « الجهاد » فقال[2] : [.. ومن أجل ذلك شرع القتال في الإسلام ، فقد شرع على أنه أساس لدفع الاعتداء ، قال تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تَعْتَدُوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِين » ونرى في هذا النص الكريم دلالة على أمرين جليلين : أحدهما — أن القتال في الاسلام إنما أبيح لردّ الاعتداء بمثله ، فهو لا يقاتل إلا الذين يعتدون على أهله ويقاتلونهم . الأمر الثاني — أن يلاحظ من يرد الاعتداء أنه أبيح له القدر الضروري للدفاع ، فلا يصح له أن يعتدي فلا يتجاوز حدّ الدفاع . . .] ومن ثم **يستقري** الأستاذ أبو زهرة حروب النبي ﷺ فيجدها كانت لأحد أمرين :

---

(١) كتاب « السير الكبير » للامام الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ هـ بشرح الإمام السرخسي المتوفى سنة ٤٩٠ هـ . وقد بدأت جامعة القـاهرة بطبعه بطلب من « الجمعية الشيبانية » التي ألفت في أوربة لإحياء ذكرى الإمام الشيباني باعتباره أول من خص القانون الدَّوَلي العام بكتاب مستقل ، وقد مهد لطبعة جامعة القاهرة وعلق عليها الأستاذ الشيخ محمـد أبو زهرة وحقق نصوصه الأستاذ مصطفى زيد ، وقد صدر الجزء الأول من الكتاب سنة ١٩٥٨ م . هذا وإن معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية قام أيضـاً بنشر ثلاثة أجزاء من الكتاب نفسه بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

(٢) انظر الصفحات ٤٤ ـ ٦١ من طبعة جامعة القـاهرة من الجزء الأول لكتاب السير الكبير .

[أولها : اعتداء بالفعل من الذين قاتلهم ... وليس من اللازم أن يقع الاعتداء بالفعل ، بل قـــد يكون السبب هو العمل على الاعتداء ... الأمر الثاني : .. أن يقف الملوك والأمراء محاجزين دون الدعوة الاسلامية ، فإنه لا بد للحق من دعاية إليه وأن يكون الناس أحراراً في اعتناقه ..] إلى أن يقول : [يقرر الجمهور الأعظم من الفقهـاء أن القتال في الاسلام ما أبيح للغلبة ولا للمخالفة في الدين ، إنمـا أبيح لدفع الاعتداء ...] على أن الأستاذ أبا زهرة ينتهي في كلامه على مفهوم القتال في الاسلام ؛ إلى القول : [وإنه بمقتضى القواعد المقررة في الاسلام : لا يمكن أن تكون الحرب فيه لغير الدفاع وإن لبس الدفاع لبوس الهجوم ..] .

★ ★ ★

كانت كل هذه الأفكار حول فكرة « القتـــال في الإسلام لا يكون إلا دفاعا » تدور في ذهني وأنا أقرأ مقدمة الطبعة الثانية من كتاب « الرسول القائد » ورجوت في نفسي أن يكون المؤلف موفقاً في معالجة الفكرة المذكورة ، فينتهي بنا إلى ما يتفق وحقيقة أحكام الجهاد في الاسلام .

إن اللواء خطاب ، وهو العسكري الذي يدون تاريخ الحرب في الإسلام ، تبنى في مقدمة كتابه المذكور فكرة « القتال في الاسلام حرب دفاعية » من وجهة عسكرية بحتة ، موضحاً إياها بقوله إن المسلمين لا يبدأون في حروبهم « بالإعتداء على أحد ، ولا يريدون من ورائها إلا حماية نشر الدعوة » وبعد أن درس « أهداف القتال في الاسلام » ردّ على الغلاة الذين يرون أن من غايات الجهاد في الاســلام نشر الدعوة قائلاً : « إن القول بأن غرض القتال في الاســلام هو نشر الدعوة هراء لا يستند إلى الواقع ، ولكن غرض القتال

هو حمـــاية حرية نشر الدعوة ، وشتان بين الغرضين ! ومع أن الحرب الاسـلامية دفاعية ، لأنها بعيدة عن الظلم والعدوان ، إلا أن هـــذا الدفاع غير مُسْتَكِين ، بل هو دفاع تعرّضي ، كما يسمى في المصطلحات العسكرية الحديثة ، ومعناه أن المسلمين لا يبـــدأون بالاعتداء ، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم ضد كل اعتداء بالهجوم لسحق قوات المعتدين [١] » .

وهكذا يكون اللواء خطاب ، في تفسيره معنى « الحرب الدفاعية » أول من يعطي هذه الحرب أقرب معاني « الجهاد في الاسـلام » فإنها كما عرّفهـــا تشمل الغايات التي شرع القتال في الاسـلام من أجلهـا ، وإن ظلت في ظاهرها دون « الجهاد » في حقيقته .

(يتبع) عدنان الخطيب



(١) انظر ص ٤٧١ من الكتاب .

Discription de l'Afrique Septentrional

Traduite par Mac Guckin de Slane

Édition revue et corrigée

Paris 1965

كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : تأليف أبي عبيد عبد الله ابن عبد العزيز البكري الأندلسي ، المتوفى سنة ٤٨٧ ه . طبع في باريز طبعة ثانية منقحة سنة ١٩٦٥ مع ترجمة افرنسية .

هذا الكتاب هو قطعة من كتاب المسالك والممالك للبكري جمع فيه المؤلف أخبار بلاد افريقية الإسلامية المعروفة في زمنه . والمؤلف هو شاعر وأديب ، ومؤرخ ثقة وجغرافي نابغ جمع فيه من أوثق مصادر زمانه أخبار بلاد افريقية الاسلامية المعروفة في زمنه ، وله كتب جليلة ومنزلة علمية محترمة . كان ملوك الأندلس يتهادون كتبه ويتنازعون صحبته . وأهم مؤلفاته كتاب (المسالك والممالك) الذي أفرد منه هذا الجزء . وصف فيه بلاد طرابلس وتونس والجزائر والمغرب والسودان وغانة ، ذكر مدنها المشهورة ، والمسافات فيما بينها ، وأتى على ذكر سيرة أهلها وعاداتهم ، ودون كل طريف عن أحوال هذه البلاد .

وكان المستشرق الفرنسي كترمير (Quatremère) أول من فطن إلى قيمة هذا الكتاب العلمية واهتدى إلى مؤلفه ، ونبه إليه أنظار المستشرقين والجغرافيين إلى أهمية المعلومات والأخبار التي تضمنها الكتاب عن البلاد التي وصفها .

نشر المستشرق المذكور في سنة ١٨٣١ ترجمــــة موجزة لهذا الجزء ، فاشتهر بعدها الكتاب وتطلعت اليه الأنظار . ثم قام دوسلان de Slane بترجمة ثانية كاملة لهذا الجزء ، بعد أن ظفر بعدة نسخ مخطوطة من هذا الكتاب واهتدى إلى مراجع ساعدته على تصحيح الأخطاء وتدارك النقص فيها وتوضيح غوامضها ، وقد وفق في محاولته على الوجه الأكمل واستحق على ذلك الثناء والتقدير .

ج . ج .

الشهداء الحميريون العرب ، في الوثائق السريانية

تأليف أغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق ، طبع سنة ١٩٦٦ م

هذا الكتاب يحتوي تاريخ الألوف من الرجال والنساء والأطفال الذين استشهدوا في سبيل العقيدة والمحافظة عليها والدفاع عنها ، وبذل الأرواح دونها وقد حقق فيه المؤلف العلامة أرثوذكسية النصارى الحميريين ورد على الأب أنطون صالحاني اليسوعي (ناشر تاريخ مختصر الدول لابن العبرى) القائل ان نصارى نجران لذلك العصر ، كانوا مستمسكين بعروة الايمان الكاثوليكي منتهى الاستمساك ، ناقلاً تحقيقه هـــذا عن كتابه (تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية (ج ٢ ص ١٩٥) وعن غيره من المؤلفين .

نشر المستشرق المذكور في سنة ١٨٣١ ترجمــــة موجزة لهذا الجزء ، فاشتهر بعدها الكتاب وتطلعت اليه الأنظار . ثم قام دوسلان de Slane بترجمة ثانية كاملة لهذا الجزء ، بعد أن ظفر بعدة نسخ مخطوطة من هذا الكتاب واهتدى إلى مراجع ساعدته على تصحيح الأخطاء وتدارك النقص فيها وتوضيح غوامضها ، وقد وفق في محاولته على الوجه الأكمل واستحق على ذلك الثناء والتقدير .

ج . ح .

※※

الشهداء الحميريون العرب ، في الوثائق السريانية

تأليف أغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق ، طبع سنة ١٩٦٦ م

هذا الكتاب يحتوي تاريخ الألوف من الرجال والنساء والأطفال الذين استشهدوا في سبيل العقيدة والمحافظة عليها والدفاع عنها ، وبذل الأرواح دونها وقد حقق فيه المؤلف العلامة أرثوذكسية النصارى الحميريين ورد على الأب أنطون صالحاني اليسوعي (ناشر تاريخ مختصر الدول لابن العبري) القائل ان نصارى نجران لذلك العصر ، كانوا مستمسكين بعروة الايمان الكاثوليكي منتهى الاستمساك ، ناقلاً تحقيقه هــــذا عن كتابه (تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية (ج ٢ ص ١٩٥) وعن غيره من المؤلفين .

وقد ذكر المؤلف في الفصل الرابع من الباب الأول (ص ١٣) وفي غيره من فصول الكتاب ، الحوار المدني دواوين الشهداء من رجال ونساء ، وبين مسروق اليهودي الذي تملك على اليمن فقد كان يضطهد مسيحي تلك البلاد ويضيق عليهم ليكفروا بألوهية المسيح ويقولوا انه إنسان لا إلهٓ ، قائلاً : إنكم إنما تسجدون لشخص مائت ، ادعى أنه ابن الله الرحمن في حين انه إنسان . . . ها ان الروم قد أدركوا الآن ان المسيح كان إنساناً بحتاً ، فما بالكم أنتم الآن تضلون وراءه ؟ ألعلكم أفضل من الروم ؟ إننا لسنا نسألكم أن تكفروا بالله خالق السماء والأرض ، ولا أن تسجدوا للشمس والقمر وباقي النيرات ، أو لإحدى المخلوقات ، بل أن تكفروا بالمسيح الذي حسب نفسه إلـهاً ، وتقولوا انه إنسان فقط ، لا إلهٓ ، ولم يريدوا أن يكفرو بالمسيح وأن يقولوا انه إنسان ولكنهم قالوا في جنونهم انه الإلهٓ وابن الرحمن (ص ١٣) .

وإن من يقرأ بتدبر وإمعان قول مسروق الملك اليهودي ، ومخالفة النصارى له ، يعلم أن لا خلاف في الحقيقة بينهم ، إذ ان مسروقاً لم يدعهم إلى عبادة نفسه ولا عبادة غيره من المخلوقات ، بل دعاهم إلى عبادة خالق الأرض والسموات رب العالمين ، حيث ان نسطور السرياني الذي جلس على كرسي بطريركية القسطنطينية في سنة ٤٢٨ ز وما عتم أن صرح — خلافاً للتقليد الكنسي بأن العذراء مريم لن تلد كلمة الله ، بل إنساناً بحتاً هو المسيح ، لذلك لا يجوز أن تدعى والدة الإلهٓ ، أما المسيح فلم يكن إلـهاً ولا ابن الإلهٓ ، بل إنساناً (ه ص ١٠) .

وقد كان عدد الأحباش الذين قتلهم الملك اليهودي نحو خمسمائة رجل دعاهم إلى الكفر بألوهية الإنسان فلم يقبلوا .

وقد أحرق الملك اليهودي في نجران الكنيسة ومن دخلها من النصارى وكانوا نحو الألفين ، وأحرقوا النساء ، كما فعل بالأشياع من الرجال (ص٢٦) منه ثم قتل الراهبات والشابات المتزوجات بعد قتل الرجال ، وكان ذلك كله في سبيل دعوى ألوهية المسيح وصلبه ، لا في سبيل المسيح نفسه . وقد دعا مسروق أحد قواده ذا يزن ، وأمره بجمع نساء نجران اللائي قتل أزواجهن فبلغن (١٧٧) امرأة ، وأخذ ذو يزن ينصحهن ويحذرهن وينذرهن لكيلا يقعن بالعصيان كأزواجهن فيكون مصيرهن كمصيرهم ، فأجبن بصوت واحد قائلات : حاشا لنا أن نكفر بربنا وإلهنا يسوع المسيح لأنه الإلهٓ والخالق الكل وعقيدة الاسلام بالسيد المسيح معروفة .

ولغبطة البطريرك الشكر على هديته وعلى الوثائق التاريخية التي عالج محتوياتها في كفاية .

محمد بهجة البيطار



أعلام العرب في العلوم والفنون

تأليف : عبد الصاحب عمران الدجيلي

الجزء الأول — عدد صفحاته ٣١٦

الطبعة الثانية — بمطبعة النعمان — النجف ١٣٨٦هـ — ١٩٦٦ م

هذا كتاب في التراجم ، مرتب على التأريخ الزمني ، فقد بدأ المؤلف بحثه بمقدمة ، ذكر فيها لمحة عن العرب قبل الإسلام ، والجاهلية والإسلام ، فتدوين القرآن والحديث فالفقه والكلام والتفسير ، فاللغة العربية ، فالآداب والفنون ، فالأنساب والتاريخ والجغرافية والموسوعات ، فالعلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية .

ثم ترجم لمئة وستة وثلاثين من الأعلام العرب ، المختلفة الثقافات ، والمتشعبة النواحي والاختصاصات ، مرتبة على قدم الوفاة ، فبدأ بأبي الأسود ظالم بن عمر الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ ، وانتهى بمحمد بن عبد الملك بن طفيل الأندلسي المتوفى سنة ٥٨١ هـ .

والمطالع لهؤلاء المترجمين يجد كثيراً منهم مشاركين في أنواع من العلوم والمعارف التي كانت معروفة في عصورهم ، ومنهم من برز في ناحية معينة من المعارف بالرغم من مشاركتهم في كثير من فروع العلم .

فتجد من هؤلاء في هـذا الجزء المؤرخ والجغرافي والنسابة واللغوي والفقيه والمتكلم والمحدث والمفسر والحكيم والرياضي والفلكي والطبيعي والكيماوي والطبيب الخ ...

والطريقة التي اتبعها المصنف في ترجمة العَلَم ، فقد ذكر في صدر الترجمة اسم العلم أو لقبه أو كنيته بحسب ما اشتهر به ، مع تأريخي ولادته ووفاته

بالتـاريخ الهجري ، ثم أورد مصنفاته المطبوعة والمخطوطة ، وأبان بعض ما غمض من البحث ، فشرحه في حواشي الكتاب ، ثم أورد المصادر والمراجع التي اعتمدها في طلب الترجمة .

وقد اعتذر المؤلف على اقتصاره على ذكر الأعلام العرب المصنفين بقوله : وإذا كان الكتاب قد اقتصر على العرب ، فليس معنى ذلك تجاهل الآخرين أو الغض منهم ، ذلك لأننا ننظر باكبار إلى كل من خدم العلم والفكر أو اللغة .

ونرى من الفائدة قبل أن نختم هذه الكلمة أن نبدي بعض الملاحظات على هذا الكتاب فنقول : ان عنوان الكتاب « أعلام العرب في العلوم والفنون » لا ينطبق تمام الانطباق على ما حواه من أبحاث ، فلو استبدل ذلك بعنوان « من أعلام العرب في الشريعة والعلوم والآداب » لكان أقرب مطابقة لموضوعه .

وأما ترتيب المؤلف كتابه على التأريخ الزمني حرصاً على ما ظهر فيه من رجالات ومؤلفات بحسب أعصارها وأدوارها ، فهـذا ينطبق على التراجم ذات الموضوع الواحد كتراجم رجال الطب أو الفلك أو الفقه الخ ..... فنستطيع بترتيب التراجم على التأريخ الزمني أن نلمس تطور العلم الذي نريد تأريخه وبحثه ، وأما موضوع كالموضوع الذي نحن في صدده ، متشعب النواحي ، متباين الاختصاصات ، فأحسن ترتيب له هو الترتيب المعجمي .

كما نستحسن أن يضاف إلى التأريخ الهجري التاريخ الميلادي تسهيلاً للباحث .

وبالختام نشكر الأستاذ المصنف على ما بذل من جهود في تأليف ونشر هذا الكتاب القيم .

دمشق : عمر رضا كحالة

تاريخ المغرب

تأليف : عبد العزيز بتعبد الله

الجزء الثاني : عدد صفحاته ١٣٦ — ٨٠

نشر : مكتبة السلام ومكتبة المعارف بالمغرب

يتألف هذا الجزء من ١٦ فصلاً وهي :

(١) قيام الدولة العلوية (١) وتجديد وحدة المغرب .

(٢) تطور المغرب في العهد الإسماعيلي (٢) ، وقد ذكر المؤلف فيه الجيش ومحاربة الأجانب ، وبدء حركة التحرير ، ووحدة المغرب وجمع أشتاته ، وظل هذا الملك يكافح في سبيل ذلك أكثر من ربع قرن (١٠٨٣-١١١١هـ) فكان من أبرز الملوك الذين حظي بهم المغرب .

٣ — عهد الفترة وفيه ظهرت القلاقل والاضطرابات فقد تولى فيه ثلاثة من الأمراء على العرش الذي اعتلاه المولى عبد الله ست مرات (٣) .

(٤) عهد الاستقرار والازدهار (١١٧١ — ١٢٠٤ هـ) وفي هذا العهد عرف المغرب شيئاً غير يسير من الاستقرار والازدهار ، فقد تمكنت البلاد من تثبيت وحدتها وتحرير عدد من المراكز الأجنبية في ربوعها ، وأضحت

---

(١) هي من أصل حسني من ينبع النخل بالحجاز ، وأول من دخل منهم إلى المغرب هو حسن بن قاسم ، أواخر القرن السابع الهجري ، وأول قائد سياسي من حفدة الحسن المذكور هو مولاي علي الشريف الذي أقام بفاس وجاهد في منتصف القرن الحادي عشر الهجري .

(٢) نسبة لمولاي اسماعيل أحد ملوك هذه الدولة .

(٣) انظر تاريخ المغرب ٢ : ٢٥ ـ ٣٢ .

جيوشها وأساطيلها حاجزاً منيعاً في وجـــه الغزو الأجنبي ، ونظمت الدولة والجيش وساد الأمن ، وانتشر العمران .

(٥) ثورة العبيد وأزمة ولاية العهد (١) ، فلم يكن يبزغ فجر سنة ١١٨٩ هـ حتى تمرد العبيد ضد السلطان سيدي محمد بن عبد الله وبايعوا ابنه المولى يزيد ، وقد استمرت هذه الفتنة سبع سنوات (١١٩٠ — ١١٩٦ هـ) ضعفت خلالها المحاصيل وانتشرت المجاعة .

(٦) المغرب والاستعمار الفرنسي بالجزائر .

(٧) محمد الرابع فذكر سياسته الخارجية والداخلية .

(٨) الحسن الأول الذي بويع بمراكش في رجب ١٢٩٠ هـ ، وذكر اعتناءه بالجيش وسياسته الخارجية .

(٩) النظام السياسي والإداري قبل الحماية الفرنسية ، فذكر العمالات والهيئة الوزارية والحكام والقضاة والحسبة .

(١٠) الصحراء المغربية ، ذكر حدودها ، وتاريخها القديم والحديث .

(١١) الثقافة والفن ، ذكر المدارس والتعليم والأبنية المدنية والعسكرية .

(١٢) أسباب الحماية الفرنسية .

(١٣) المقاومة المسلحة . ذكر تلك المقاومة في الأطلس والصحراء والشمال والجنوب وفي الريف المغربي الخ ...

(١٤) الحماية الفرنسية (١٩١٢ — ١٩٣٥ م) ذكر في هـــذا العهد التنظيم البلدي وموارد الدولة والعملة والعدلية والقضاء الأوربي والتعليم والصحة العمومية والتطور الاقتصادي .

---

(١) انظر تاريخ المغرب ٢ : ٤٢ ـ ٥١ .

(١٥) الكفاح السياسي ، ذكر تأسيس بعض الأحزاب السياسية كحزب الكتلة الوطنية الذي كان يؤجج الحماس في الشعب كما ينور الفكر العام في أوربا والشرق عن طريق طلبة فرنسا ، ولجنة الدفاع عن المغرب بالقاهرة .

(١٦) ثورة الملك والشعب .. وختمه بقوله : وانصاعت باريز إلى مطامح الملك (محمد الخامس) والشعب فاعترفت بالواقع وعاد الملك الظافر يوم ١٦ يونية (حزيران) ١٩٥٥ م إلى الرباط ليحمل لشعبه وثيقة الاستقلال في خضم من الأفراح كللت ثورة الملك والشعب .

وقد ألحق الأستاذ المصنف كتابه تاريخ المغرب ، بمعجم تاريخي في ٨٠ صفحة ذكر فيه أهم الأحداث والأعلام والأماكن مرتبة على حروف المعجم ، وهي معلومات إضافية لم تذكر في كتابيه « معطيات الحضارة المغربية ، وتاريخ المغرب» ، وبذلك قد قدم خدمة جلى للعاملين في التاريخ جزاه الله كل خير .

ع . ك .



رحلة الشتاء والصيف

تأليف : محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي الشهير بـ « بكبريت »

حققه وقدمه وفهرسه الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي

كتاب من القطع المتوسط في « ٣٦٢ » صفحة نشره المكتب الاسلامي للطباعة والنشر بدمشق سنة ١٣٨٥ هـ

الأستاذ الجليل الشيخ محمد نصيف من كرام العلماء الحجازيين وهو من خيرة رجال العرب هذه الأيام لكثرة ما أتحف العالم العربي من خدمات علمية جليلة في طباعة الكتب ونشرها والإنفاق عليها ؛ وهذا الكتاب مأثرة من مآثر هذا الرجل الكبير ، وقد كتب مقدمة الكتاب الأستاذ الأديب محمد سعيد الطنطاوي الذي قال في وصفه « وهذا الكتاب الذي بين يديك من هذا النمط يصلح للعلماء ويسهل على العامة يستسيغه ابن الخامسة عشرة ويحتاج اليه خريج الجامعة » ، وهو يقصد بهذا الرأي إلى أن الكتاب يتضمن العلم ، إلى جانب اللذة والإيناس ، فهو من الكتب النادرة التي تعين القارئ على إنجازه بلذة وهدوء دونما ملل أو إرهاق ، وهو في الحقيقة من كتب الرحلات التي تنتقل بالقارئ من مكان إلى آخر بحث لا يجد الملل اليه سبيلاً ، لتنوع مناظر الكتاب واختلاف ألوانه وفصوله . فأنت تسير بين صفحاته من شعر إلى نثر إلى قصة إلى وصف ، والكتاب في رأيي أشبه بالقصص لأن ما فيه من حوادث توحي إليك ببعدها عن الواقع والحقيقة مما يجعلنا نعتقد بأن الخيال قد عمل عمله في السرد ، وأن الاختراع قد تدخل في الموضوع ، كما رأينا في قصة روبنسن كروزو وغيرها من القصص التي يقصد فيها إلى اللذة

والحقيقة في آن واحد . وقد كتبها في وصف رحلة قام بها إلى بلاد الروم وذكر فيها ماوقع له في سفرته هذه من العجائب كما قال صاحب المقدمة .

ويلي المقدمة ترجمة للمؤلف منقولة من كتاب « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » للمحبي الدمشقي وفيها يصل نسب المؤلف إلى علي ابن أبي طالب « رض » كما أورد فيها طائفة من شعر المؤلف ونثره ، وينتهي الكتاب بعدد من الفهارس : الآيات والأحاديث والكتب والأمكنة والأعلام وأبجدي للشعر وأبجدي عام لمراحل الرحلة .

ولكن الذي لفت نظرنا حقاً هو الشروح التي وردت في ذيل كل صفحة من الكتاب فهي شروح وافية دقيقة تستحق الإعجاب والاطمئنان إلى ماورد فيها من معلومات وهي بقلم المحقق الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي .

وإنا لنشارك صاحب المقدمة الرأي بجدوى قراءة هذا الكتاب الطريف لما فيه من معرفة ولذة قد لاتوجدان إلا مصادفة ، وفي عدد نادر من الكتب المطبوعة هذه الأيام .

أحمد الجندي



ديوان الناصري

« الجزء الثاني »

جمعه وعلق عليه : هلال ناجي وعبد الله الجبوري

عدد صفحاته (٣١٠) من القطع المتوسط

من مطبوعات مطبعة العاني ــ بغداد عام ١٩٦٦

هذا هو الجزء الثاني من ديوان الشاعر العراقي الشاب المرحـوم عبد القادر رشيد الناصري ، ولقد سبق أن صـدّر الجزء الأول من الديوان صديق الشاعر الأديب السيد كامل خميس ، وهو يشتمل على نصف شعر الشاعر ، أما هـذا الجزء الثاني فأنيق الشكل والطباعة وقد زين بصورة الشاعر وبنموذج من خطه مما يجمّل الديوان ويضيف إليه ما يغري باقتنائه وقراءته . وقد كتب المقدمة أحد الناشرين الأستاذ هلال ناجي وهي كلمة جمع فيها آراء الأدباء العرب بالشاعر ، كما تعرض فيها لنقد طريقة الأستاذ كامل خميس في جمع وإصدار الجزء الأول من الديوان ، وبين منهجـه الجديد في ترتيب هذا الجزء الثاني . ولقد كنا نتمنى أن لا تكتب الملاحظات النقدية التي وردت في هذه المقدمة ، والتي يمكن أن تؤذي سمعة الشـاعر في هدأته الأبدية ، من مثل تحويره القصـائد ونقل الموضوع من وصف البصرة إلى وصف دمشق . والسرقات التي اتهم بها الشاعر في هجومه على شعر السيد سالم أحمد الأعظمي فقد كان أولى لكاتب المقدمـة أن يؤجل هذه الملاحظات ليثبتها في دراسة خاصة يترجم فيهـا الشاعر ويدرس أدبه دراسة وافية تاريخية يمكن أن يقال فيهـا كل شيء وبصراحة تفيد التاريخ الأدبي بدل أن تكون نقداً في مقدمة ديوانه خاصة وان كاتب المقدمة قد ساهم في اتهام الشاعر بالسرقة الشعرية كما جاء في الصفحة (١٢) من المقدمة .

والشاعر الناصري من شعراء الشباب الذين حافظوا على طريقة النظم العربية كما نقلت عن القدماء فهو محافظ على الوزن والأسلوب العربيين وهو ينظم شعره مضبوطاً من ناحية اللغة والنحو على قدر ما يستطيع ، ويعني هذا أن تجديده ، إن كان له جديد ، قد استقر على المعاني التي تناسب العصر ولم يصـــل رأيه في التجديد إلى محاولة تحوير القوالب والقواعد اللغوية والصرفية والنحوية والعروضية ، وقد رأى كاتب المقدمـة أن الشاعر قد تأثر بالأدب الغربي عن طريق شعراء مصر المجددين كالدكتور ناجي وعلي محمود طه وبعض الشعراء اللبنانيين المستغربين – من الغرب – كالياس أبي شبكة ولكنّي لا أعتقد بصحة التأثير بالواسطة ، والشاعر الذي يتأثر حقيقة هو الذي يقرأ الأدب « المؤثر » بلغته الأصلية ، ولا بد أن يكون ذا قابلية للتأثير فإن من الشعراء من لا يتأثرون إلا بذاتهم ، والتأثر الذي عناه صاحب المقدمة أقرب عندي إلى ما يسمى بالتقليد . ولعل هذا التقليد لم يتجـاوز العناوين كما في : نهم ، والهيكل المستبـاح ، إشتهاء ، والشباب الدامي ، وغير هذه من القصائد . ولم ينس الشاعر الناحية السياسية فقد تحدث في الاجتماع والسياسة وبخاصة فلسطين والجزائر .

على أن شعر الناصري يتحلى بصفة السهولة والموسيقى اللفظية ، وربما وجد فيه قارئه لذة فنية قد لا يجد منها كثيراً في الشعر العربي الحديث .

أ . ج .

المنتخب من شعر ابن زاكور

عمل عبد الله كنون الحسني

طبع دار المعارف بمصر من سلسلة « ذخائر العرب » عام ١٩٦٦
عدد صفحاته (١٤٦)

الأستاذ عبد الله كنون الحسني عضو مجمع اللغة العربية بدمشق عالم كبير وعلامة شهير خدم اللغة العربية خدمات لا تنسى ، وقد جمع ، حفظه الله ، إلى العلم الغزير ، دقة النظر والقدرة على التمحيص والتثبت مما يقرأ ويكتب ومن أعماله الكثيرة الأخيرة إصداره هذا الكتاب الذي جمع طائفة من شعر ابن زاكور الشاعر المغربي المعروف ، وقد أوضح في المقدمة التي وضعها لهذه المنتخبات الشعرية أن سبب طبع الكتاب هو المشاركة في إحياء الآداب المغربية التي « ظلت منسية طيلة الثلاثة عشر قرناً الماضية » على حد قوله .

وقد قدم لنا العلامة ترجمة مفيدة للشاعر ابن زاكور ، وصفه فيها بأنه « مفخرة عصره وجيله ، ونابغة بلده وقبيله » وأنه « كان كاتباً وشاعراً ولغوياً ومؤلفاً » وينتهي الكتاب بخاتمة صغيرة ثم بفهرس للموضوعات وآخر للقصائد والأبيات .

وابن زاكور فاسيّ المولد والنشأة أخذ العلم عن مشايخها ومشايخ مراكش وتطوان والجزائر ، وقد بدأت حياته في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة فكان تاريخ ولادته بعام ١٠٧٥ هـ تقديراً ، كما كانت وفاته عام ١١٢٠ هـ فهو كما ترى لم يعش طويلاً بل مات في عنفوان شبابه .

وقد كان كثير الرحلات في طلب العلم والثقافة مما كان له الأثر الأكبر في اتساع ثقافته واكتمال معارفه . وترك رغم اختصار حياته ، ستة عشر

مؤلفاً في الأدب والشعر واللغة نثراً وشعراً ، وقد قسم واضع الكتاب نثر ابن زاكور إلى نثر علمي ونثر فني حسب الموضوعات التي طرقها في كتاباته ، كما كان شعره على قسمين : الموشح والقصائد هذا من حيث الشكل ، وأما من حيث القيمة الفنية فشعر الشاعر نوعان أيضاً : (الرقيق الجميل السلس العذب) ومنه (البدائي الساذج الشبيه بالأنظام العالية والقريب من أشعار الفقهاء) .

ورتب هذا المنتخب حسب الموضوعات الشعرية : المديح والربيعيّات والزهريات ، والغزل والرثاء والنصائح والاخوانيات .

ويشير الأستاذ كنون إلى أنه « تخيَّر » من هذا الشعر ، وربما في القصيدة الواحدة بعض الأبيات وترك بعضها الآخر « حرصاً على ما في بعض الأبيات من سحر وجمال يكونان مغمورين بغثاثة بعض الأبيات الأخرى وفسولتها » ، وهذا ما جعل اسم الكتاب « المنتخب » وكنا نتمنى لو اطلعنا على الديوان كاملاً كيلا تكون صورة الشاعر ناقصة إذا عرضت على الدرس والبحث ، وهذا رأينا في جمع آثار الشعراء ، فان من الواجب أن يستقصى كل ما قاله الشاعر فيما إذا أريد وضع ديوانه دون اختيار أو اصطفاء .

وقد قدم ابن زاكور نفسه لديوانه هذا بخطبة مسجوعة افتتحها بحمد الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ وتدل الخطبة على إيثار ابن زاكور التكلف في نثره على طريقة أهل عصره في القرن الحادي عشر للهجرة .

أما شعر الشاعر فأول ما يلفت النظر فيه أن العلم قد جنى عليه ولعل القارىء يجد غرابة في هذا القول ، وأقصد بقولي هذا أن الشاعر إذا لجأ إلى الاصطلاحات العلمية والتعبيرات الفقهية ، أو النحوية ، أو الطبيعية ، فان الشعر يصبح أقرب إلى البحث العلمي وهذا مما يعوق خيال الشاعر عن السمو والتحليق ، أو يكون قيداً لهذا الخيال يقعد به عن الارتفاع للوصول إلى المعاني الشعرية والصور الفنية ، وقد لجأ ابن زاكور إلى كثير من

القوافي التي تجنبها الشعراء الكبار من قبله وكأنه أراد بذلك أن يدلنا على كثرة محصوله اللغويّ ، على حين ان الشاعر إنما يحتاج للألفاظ التي تكفيه للتعبير عما يعتلج في صدره من نوازع وعواطف وأحاسيس ، ولا يحتاج إلى ما في المعاجم كلها من ألفاظ قد لا تفيده إلا قليلاً . فالشاعر يأتينا بقصائد من قافية « الزاي » كقوله :

تعززت بذي العزّ من الشيطان ذي الأزّ
ومما ينسبن فكري إلى الشخز أو الأز

ولا أرى فائدة في مثل هذا الشعر إلا إذا قصد فيه إلى طرح هذه القوافي أمام القارئ ليحفظها وليعرف بعض معانيها وهو قصد لا يمت إلى الفن بصلة ؛ أو يأتينا بقصيدة من قافية « الصاد » يقول فيها :

أما رضاك عمومه وخصوصه فمناخةٌ بذرى المنيب قلوصه
وهداك جل هداك يلزم كلَّ من لزِمَ الضلال محيصه وجبوصه
وجداك منسجم الغمائم عندَ مَن لزم اصفراراً من جلالك بوصه

ومما لا شك فيه أن القارىء محتاج إلى المعجم عند قراءة هذه الأبيات ، مها تكن قدرته اللغوية كبيرة وحصيلته في الألفاظ الغريبة وافرة .

ومما يلفت النظر عنه الشاعر أيضاً أنه لا يتوقى العيوب المعروفة التي يتوقاها الشعراء ويهربون منها ولا يلجئون إليها إلا في الضرورة المبرمة ، وفي القصيدة الأولى من باب المديح ، وهي همزية ، أخطاء عروضية يمكن أن نعتبرها من باب « الزحاف » ولكنا في يومنا هذا نعتبرها كسراً لا يجوز لشاعر أن يأتي به أبداً فمطلع القصيدة هو :

ديوان حبك بالتوفيق مبتدأ .

والبيت كما يُرى من البحر البسيط ، وقد جاءت في هـــذه المقطوعة الأبيات التالية .

وبهداك جذى الأفهام موقدة   يا من به غضب الجبار منطفىء
رقّت سجايا بنات الفكر وانتعشت   مذ علّها من ثُديّ مجدكم لبأ
ومنذ حليتهـا بدر مدحكم   لم يبق في القلب لا رين ولا صدأ

وقد أشرت إلى الكلمات التي ورد فيها الخطأ العروضي ليطلع عليها القارىء .

ومن الغريب أيضاً أن يخطىء هذا الشاعر في القوافي فقد وضع كلمة « منطفىء » وهي مكسورة الفاء قبل الهمزة ، على حين أن قوافي القصيدة كلها مفتوحة ما قبل الهمزة كما هو ظاهر .

ولكن ما مرّ كله لا يمنعنا من القول أن ابن زاكور يملك شاعرية لم تواتها الأيام والظروف وطبيعة العصر لتتفتح وتتكشف فيظهر ما وراءها من نبوغ وسموّ ، فالشاعر لم يستطع التخلص من مستلزمات عصره المتكلف الذي انحط فيه الفن الأدبي كله كما لا يمنعنا ما مرّ من تذوق مثل هذه الأبيات الجميلة :

بروحي من أودى بعقلي حبه   ولم تُسلني عنه كئوس رحيق
يواصلني حتى أفيق من الجوى   ويهجرني حتى أغصّ بريقي
غدوت به من وصله وصدوده   بدار نعيم أو عذاب حريق

✲✲✲

آراء وأنباء

أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

- ٩ -

(١١٥)

مادّة ج م ع : الجُمْعة .

قال : وزعم ثعلب أن أوّل من سمّى يومَ العَروبة يومَ الجُمعة كعب ابن لؤيّ جدّ الرسول [لا يعني أبا أبيه بل أحد الجدود] وذكر السهيلي أنّ كعب بن لُؤي أوّل من جمَّع يومَ العروبة . ولم تسمّ العروبة الجمعة إلاّ مُذ جاءَ الإسلام وهو (كعب) أوّل من سمّاه الجمعة فكانت قريش تجتمع إليه فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبيّ ويأمرهم باتباعه وينشد :

يا ليتني شاهد فحواءَ دعوتِهِ   إذا قريشٌ تبغّي الحقَّ خِذْلانا

فما هذا التناقض ؟ البيت يفهم منه أن كعب بن لُؤي لم يعش إلى زمان الرسول وقول المعجم يفيد أنه مرّ أكثر من مئة سنة من جمع كعب للناس وتسميته العروبة الجمعة إلى مجيء الإسلام فكيف يوافق هذا قولَه ولم تسمّ العروبة الجمعة إلا مُذْ جاءَ الإسلام ؟ وبعد هذا أيّد التناقض بنقيضٍ لا حاجة إلى علم الحساب فيه ـ قال : « وقال ثعلب إنما سمّي يوم الجمعة لأنّ قريشاً كانت تجتمع إلى قصيّ في دار النّدوة » . أفكعبٌ أمْ قصيّ ؟ ولولا اعتقاد البعض أن جدالاً كهذا من الأصْلَغيّات (الفيلولوجيا) لقلنا أن

لا محلّ له في المعاجم . [الأصلغيات منحوتة من علم أصول اللغات كما سمّاه جلال الدين السيوطي ـ والأصلغي هو الفيلولوجي والتسمية العربية أصحّ لأن معنى اليونانية الحرفيّ « محبة الألفاظ أو الكلمات »] ولفظة تبغيّ التي في البيت لا يذكرها في ب غ ى .

★ ★ ★

(١١٦)

مادّة جمع :

أورد بيتاً للضبّي :

في فتيـــةٍ كلّما تجمّعتِ البيداء لم يهلعوا ولم يخِمُوا

وعلّق على إخطـــاء الشاعر تعليق من يميل إلى غضّ النظر ـ قال « ولم يحفَلْ [بفتح الفاء والفعل من باب ضرب فقط وهو يقول هذا أيضاً في ح ف ل — أمن الذين طبعوا الخطأ ؟ ولكن الضرر واحد] بالحركة (ضمّة الميم في يخمُوا) التي من شأنها أن ترد المحذوف ـ وهذا لا يوجبُه القياس إنّما هو شاذّ » [ولكن على الرحب والسّعة فنثبته في قاموسنا » ! !]

التعبير غير صالح لأنّ الذي أوجب حذف الياء في لم يخِمْ هو التقاء الساكنين . ولكن في لم يخيموا لم يجتمع ساكنان فلم يكن داعٍ إلى الحذف . فليست الضمّة على الميم التي أرجعت الياء المحذوفة ـ الياء محذوفة في الفرد وأما كلمة الشاعر يخيمون لجمع ولا علاقة بين هذه وتلك . تدخل لم فتجزم بحذف النون . وسائر الكلمة يبقى كما كان فلم يحدث حذف وردّ محذوف.

ثم قال « وهذا لا يوجبُه القياس » . فماذا يعني بكلمة « هـــذا » ؟ ما هو الذي لا يوجبُه القياس ؟ أردّ المحذوف أم عدم ردّهِ كما فعل الشاعر ؟ على أننا نستنتج من قوله إنما هو شاذّ أنه يعني عدم الردّ لأن الشاعر لم يردّ الياء . ولكن المعجم يجب أن يكون واضحاً من غير استنتاج ممّا يلي .

★ ★ ★

(١١٧)

مادّة ق ف ف .

قال : القفّان معرَّب قبان الذي يوزن به ... قال الأصمعي قفّان قپان (مثلثة تحتية) بالپاء التي بين الباء والفاء أُعربت بإخلاصها فاء وقد يجوز إخلاصها باء لأن سيبويه قد أطلق ذلك في الپاء التي بين الفاء والباء .

هذا مظهر من عبادة الفرد . وعبادة الفرد مثل عبادة الأوثان . أَلأنّ سيبويه أطلقها (الپاء (P) الأعجمية) إلى فاء أو باء ؟ أم لأن P متوسطة بين صوتَيْ B و F قلنا الخيار في تحويلها إلى إحداهما . هذا المبدأ هو الذي حمل سيبويه على إطلاقها ولا شكّ لأنه كان مفكراً . ولكنّ الأمة العربية أطلقتها فقالت مال القبان (بالموحدة) ليس لأنّ سيبويه أطلقها بل لأن المبدأ الذي عمل في سيبويه لم يُلْغَ بل عمل في الأمَّة كما عمل في سيبويه .

★ ★ ★

(١١٨)

مادّة س ف ر ــ سفير .

قال : « قال أوس بن حَجَر :

وفارقت وهي لم تجرب وباعَ لها ... من الفصافص بالنُّمّيِّ سِفْسِيْرُ »

وفي مادّة ق ر ف يقول : « قال النابغة :

وقارفت وهي لم تجرب وباعَ لها ... من الفصافص بالنُّمّيِّ سِفْسِير »

فلمن البيت ؟ أأوس قائله أم النابغة ؟ وما هو الفعل في أوّل البيت ، فارقت بمعنى رحلت أو قارفت بمعنى أوشكت أن ؟

شارح ديوان الذبياني ، « أحد أفاضل العصر مستعيناً بكتب اللغة » أثبته في ديوان النابغة ولكنه رواه « وفارقت » لكي يصير البيت بلا معنى ولم يشرح .

★ ★ ★

(١١٩)

مادّة ر ك ن ـ يركُنُ ـ يركَنُ .

قال « ركَنَ يركُنُ وركِنَ يركَنُ ـ « ولا تركَنوا إلى الذين ظلموا » ـ قُرِئَ بفتح الكاف من ركِن (بكسر الكاف) يركَنُ رُكوناً » .

هذا صحيح ففعل ركن يأتي من باب نصَر وعلِم ـ وهو كافٍ تفسيراً وهدايةً . ولكنّه لم يكتفِ بل شوّه ما قاله بدخوله في مماحلات المتماحكين فقال : « وقال بعضهم ركَن يركَن بفتح الكاف في الماضي والمضارع وهو نادر » . فمن هو ذلك « البعض » أو من هم الذين قالوا مخالفين المبدأ الأساسيّ « المفتوح العين في الماضي الصحيح إن لم تكن عينُه أو لامُه حرفاً حلقياً لا تُفتح عين مضارعه » .

قال « وهو نادر » ـ كان عليه أن يقول « وهو خطأ ـ وهو قول فاسد » . ثم امتدَّ إلى قول كراع : « ركِن يركُن » وهو نادر أيضاً ـ كسْرُ العين في الماضي وضمّها في المضارع ليس من أبواب اللغة ـ فقال الذين ادّعوا صحّة الرواية إنه من « تداخل اللغتين » وهذا معناه خلط باب في باب ـ فالادّعاء والمخالفة والتخليط وقبول الشواذّ لأنه هكذا رُوي أمور نفّرت الطلّاب من لغةٍ لا تدانيها لغة أخرى في سلامة النظام القائم على أحكام العقل ولا في اتساق المنطق . ومتى ساد النظام طاب الدّرس .

(١٢٠)

مادّة ن و ز ـ نيروز

قال : « والنَّيْروز والنَّوروز أصلُهُ بالفارسيّــة نيع روز وتفسيرُهُ « جديد يوم » .

وقال المصحّح على الهــامش « وقد عرضناهُ على « مُتْقِين » من علماء اللغة الفارسية فلم يعرفْهُ » [لم يعرف « نيع » . هــذا مقبول ولكن من هو ذلك المتقن الذي لم يعرف « نيروز »] والغريب أن صــاحب اللسان بعد تفسيرهِ نيع روز بجديد يوم (وفاتَهُ أن النعت في الفارسية يتقدم على المنعوت فلم يقل يوم جديد على الترتيب العربي) لم يذكر معنى النيروز .

قال الفيروزابادي « النيروز أوّل يوم من السّنة مُعرَّب نوروز » . روز معناها يوم ، ونُو جديد مثل Neu - neuf - néos - new - Novo ، لأن الفارسيّة آريّة في قِوامها . ولأنهم كانوا يبتدئون السنة في « نيسان » صار النيروز عندنا نزهة أوّل الربيع (طلعوا إلى النيروز — عملوا نيروزاً) .

★ ★ ★

(١٢١)

مادّة أ ر ق :

كتب طالبٌ في مقالة مطلوبة منهُ : « وما بين حديث لطيف وموسيقى وطعام وشراب أرقنا في بيت فلان إلى نصف الليل » . فلما سُئِل عن أرقنا قال « هكذا وجدتها للأستاذ فلان في الكتاب الذي جمعَهُ وفسَّرَ ألفاظَهُ لتلاميذِهِ ففيه أرق أو سَهِرَ » . وصدق في قولِهِ لأن ذلك الأستاذ نقل

عن محيط المحيط : أرق سهر بالليل (تمييزاً عن سهر بالنهار) ومحيط المحيط نقل عن القاموس والفيروزابادي يقول الأرق السهر بالليل . ولسان العرب يقول الأرق السهر . وإذا أنصفنا فعلينا أن نصحّح ونقول إن الأستاذ أخذ عن اللسان ، ولا يُفهَم لماذا قال اللسان الأرق السهر وبعد قليل روى عن الأزهري « ذهاب النوم بالليل [هنا بالليل كلام صحيح لأنه لا يُقال أرق لمن لم يستطع النوم في النهار] وروى أيضاً عن ابن سيْده « ذهاب النوم لِعلّة » .

* * *

(١٢٢)

مادة فرش : فرّاش .

لا يذكر كلمة فرّاش ــ وذلك على ما يجب أن يُرجّح لأنها لم ترد في ما نقل عنْهُ . ولكنها وردت في كتب الأدب . جاء في الأغاني « وخرج الأخطل فلقي فرّاشاً لعبد الملك » . وورد أيضاً : قال ابن عبّاس تغدّينا يوماً عند الوليد بن عتبة فأقبل الفرّاش بصحفةٍ الخ ...

* * *

(١٢٣)

عرّف أبو البقاء التفسيرَ بقولِهِ : هو العبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل . أما ابن منظور ففسّرَ « المِفْرَش » بقولِهِ شيء كالشاذكونه . فأي الكلمتين أكثر وضوحاً لمن يجهلها ؟ قد يحزر المفرش حزراً وأما الشاذكونه وما أدراك ما الشاذكونه ، فلنبحث عن تفسيرها في اللسان .

في شذن ، شكن ، ذكن ، شوذ ـ غير موجودة ، على أن الطالب العربي يجدها في المعجم الفارسي شادگونه (بالدال المهملة والكاف الفارسية) ومعناها الدّثار أو اللحاف أو (في اللغـة الدارجة) المضرّب أو الجودلة أو الطرّاحة .

★ ★ ★

(١٢٤)

مادّة غمس ــ الغَموس .

قال : « اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار ، وهي اليمين الـكاذبة الفاجرة ، هي أن يحلف الرجل وهو يعـلم أنه كاذب » والفيروزابادي قال القول ذاتَه — وكل ما قالاه مغاير للحقيقة ــ أما الزمخشري فإنـّه أصاب رغم الاختصار . قال اليمين الغموس لشدّتها . وقال المتنبي :

أو حلفوا بالغموس واجتهدوا فقولهم خاب سائلي القَسَمُ

فهل مدحهم بأنهم يكذبون في اليمين ؟ والذي عرّض نفسَه لنقمة المنصور برفضـِهِ تسليم من أجارَه وقال : « إني حلفت يميناً غموساً فاحتمل ليميني يا أمير المؤمنين » هل تعمّد الكذب لمّا أقسم ؟ فاليمين الغموس هي اليمين المؤكـّدة المغلظة التي تغمس صاحبها في الإثم إن حنِث فيها .

★ ★ ★

(١٢٥)

مادّة د ر ع .

قال « الدرع لبوس الحديد تذكـّر وتؤنّث ــ حكى اللحياني درع سابغة ودرع سابغ ، وقال أبو الأخرز مقلّصاً بالدرع ذي التغضُّن (أكـّد

قولَه' انها تذكـَّر) وتصغير درع دُريع بغير هاء على غير قياس لأن قياسَه' بالهاء وهو أحد ما شذّ من هذا الضرب .

ولكن لماذا على غير قياس ؟ إذا كان درع مذكراً كما قال فتصغيرُه' دُريع على القياس!.

★ ★ ★

(١٢٦)

مادّة و س ع .

تقرأ المادّة كلها — وهي تملأ صفحتين فلا تعثر على جمع للصفات المشتقة من وسع : فلا جمع واسع ولا جمع وسيع ، وضبط الجمع في المنزلة الأولى مثل ضبط التفسير!.

★ ★ ★

(١٢٧)

قال : « الغَلْص قطع الغلصمة ، والغلصمة رأس الحلقوم » ومع هـذا وضع لفظة غلصمة في مادّة غليمَ أي هاجت شهوتُه' الجنسية أي الانساليّه .

وسبب هذا الحُيود عن المعقول أنّه تصوّر أن الحرف الزائد في الرباعي إنما هو الحرف الثالث ، مع أن الزائد قد يكون الأول مثل ترمس (من رَمسَ) أو الثاني مثل جرثم (من جثم) أو الثالث مثـــل قعور (من قعر) او الرابع مثل برهن (من بره) . وإذا كان الأصل والزيادة غير محققين فالأفضل أن تورَد الكلمة على ترتيب أحرفها كما فعل غيرُه' .

★ ★ ★

(١٢٨)

نظرة إلى اختلاط الضمائر وعدم الضبط في التعبير :

في و ث ر قال : وفي الحديث أنهُ نهى عن مِيثَره الأُرجوان وهي وِطاء محشوّ يترك على رحل البعير تحت الراكب والميثرة مِفعلة من الوثارة والأرجوان صِبْغ أحمر يُتخذ كالفراش الصغير ويُحشى بقطن أو صوف يجعلها الراكب تحتَهُ على الرِّحال فوق الجمال [على كم من الجمال يركب ؟] .

* * *

(١٢٩)

مادّة ت ق ن .

قال : « أتقن الشيءَ أحكمه ، وإتقانُهُ إحكامُهُ والاتقـان الإحكام الأشياء » . [هذا تكريرٌ لا فائدة منه] ورجل تِقْنٌ وَتقِنٌ متقِن للأشياء ـ حاذق ـ وتِقْنٌ لسم رجل كان جيدَ الرمي يُضرب به المثل . وابن تِقْن (كعب بن تِقْن) اسم رجل يحسن الرماية — أرمى من ابن تقن — » انتهى تفسير الألفاظ ، وما يأتي تعليـــل « أصلغيّ » : قال : « قال أبو منصور (الأزهري في تهذيب اللغة) : الأصل في التِّقْن ابن تِقْن هـذا ثم قيل لـكل حاذق بالأشياء تِقْنٌ ومنهُ يُقال أتقن فلان عملَهُ إذا أحكمهُ وأنشد شمّر لسليمان بن ربيعة بن دبّاب (وفي نسخة ابن ريّان) .

أهلكنَ طسماً وبعدَهمُ غَذِيٌّ بهم وذا جُدُون
وأهل جاشٍ وأهل مَأرِب وحيّ لقن والتـُّقُون
واليُسر كالعُسْر والغنى كالعدم والحياة كالمنون

(قال المصحح : « كذا في الأصل وحرّر الوزن » وأما نحن فلا نفهمون !) .

فجمَعَه على تقون لأنهُ أراد تِقناً ومن انتسب إليهِ والتِّقون من بني تِقْن بن عاد منهم كعب بن تِقْن وبه ضُرب المثل فقيل أرمى من ابن تقن . انتهى التعليل ؟ هذا تفظيع : جعل الأزهري اسم الرجل أصلاً [من غير استناد بل لإمكان التصوّر] وجعلَ الصفة والفعل مُخرَجين منهُ . أي أنّ عاد سمّى ابنَهُ تِقْناً وتِقْنُ سمّى ابنه كعباً فبرع في الرمايه فقالوا أرمى من ابن تِقْن ثم توسّعوا فقالوا لكل حاذقٍ تقناً ثم أخرجوا فعل أتقن [من باب دحرج أي بالزيادة المطلقة لا بالاشتقاق النظامي مثل أكرم لأنَّهُ لا ثلاثي منه] بمعنى عمله بحذق كحذق ابن تِقْن في الرماية .

خيالُ أبي منصور رَسم صورة بديعة كبداعة الأسطورة التي اخترعها الفرنسي الذي أراد أن يبيّن علّة تسمية الجبل القريب من مكّة جبل الفرخ (جبل قُزَح بالمزدلفة ـ قرأ الفرنسي اسمَه من غير نقط فأخذ يتردد بين فرح وَفَرَج وَفَرْج وفرخ وقزح فرجَّح الفرخ) ولكن جمال التصور لا يثبت الصحّة ، والأبيات التي استشهد بها أبو منصور ونقلها ابن منظور « لكسَّار َنظْمٍ » ليس من أهل الثقة شهادة على من رضي بها .

في العربية واليونانية ألفاظ لم يأخذها اليونان عن العرب ولا العرب أخذوها عن اليونان ـ هي ألفاظ (على ما نرجّح) ورثتها العربية من الأم الشامية ودخلت في أصول لغة الإغريق وفق امتزاجهم بالمهاجرين الفينيقيين واليونانية في طور التكوّن : مثل آفة ، أفعى وأوفس ؛ وَقرْن وخرونش ، وجامعَ وغاميًّا الخ ـ ومن ذلك َتخْني (تكني) وتقن ـ فاللفظة العربية مثل مُدّ وأب وبنو (ابن) وأخو وأخت وأمَة وبيت ودن وديّان وأدّى وشمّت وأفيل الخ موروثة ، والذي يفضل عدم التنقيب الدقيق يقول ان تقن مأخوذة عن اليونانية ، وعلاقة اليونان بالعرب قبل الإسلام كانت قوية

فبلاد الشام كانت لغتها الغالبة اليونانية وتجار اليونان كانوا يرتادون مرافىء البحر الأحمر وكانت لهم مستعمرة عامرة في سقطرة من أيام المكدوني ، وكان اليمنيون يقولون للمفتاح إقليد وهو في اليونانية كليدي وقس عليه (هذا بحث طويل ليس هنا موضعه) ، وورود لفظة أتقن في الآية « صُنْعَ الله الذي أتقن كل شيء » لا ينفي شيئاً مما تقدم .

* * *

(١٣٠)

مادّة ق ر ش .

قال : « قال عديّ بن الرَّقَّاع » .

وإذا نَشَرْتَ لَهُ الثناءَ وجدتَهُ ورث المكارمَ طُرْفَها وتِلادَها

(طُرُف جمع طريف) أراد طُرُفَها بضمّ الراء فأسكَنَ الرّاء تخفيفاً وإقامةً للوزن » ـ أخطا في قولِهِ تخفيفاً ـ فالشاعر سكَّنَ الرّاء محافظة على الوزن فقط ـ وأيّ ثِقَلٍ في قولنا وأنّى شئتِ يا طُرُقي فكوني ؟ وفي قولنا ليس من يقطع طرقاً بطلاً أتخفيف أم إقامة وزن ؟

* * *

(١٣١)

مادّة ر و ح .

في تفسيره الرّوح قال : الرُّوح إنّما هو النَّفَس الذي يتنفّسُهُ ... وهو بالفارسية چان (جيم بثلاث نقط) .

هذه حذلقة إذْ لامسوّغ للتفسير بمرادف فارسي ـ وعلاوة على هـذا أخطأ ـ فالكلمة الفارسية مغلوط فيهـا وقد يكون الغلط من المصنّف أو من الناشر ـ روح بالفارسية جان (بنقطة واحدة) ولفظها دْجَان ـ أما چان بثلاث نقط فلفظها تْشان ولم أرَ في القاموس الفارسي بهذا الحرف إلا چانَه ومعناه الفكّ الأسفل .

* * *

(١٣٢)

مادّة أ خ و .

قال : « وجائز أن يكون أحد الأنبياء أخاهم سنه من قومهم فيكون أفْهمَ لهم بأَن يأخذوه عن رجلٍ منهم » هذه العبارة للزّجّـــاج نقلها واضـع المعجم ولم يعترض على استعمالِهِ التفضيل أفهم من الرباعي أو من المفعول والباء في بأن ؟

* * *

(١٣٣)

مادّة أ خ و .

قال : والأخت أنثى الأخ ، صيغةٌ على غير بناء المذكّر والتاء بدل من الواو وزْنها (وزن أخت لا التاء) فَعَلَة فنقلوها إلى فُعْل وأَلحَقَتْها التاء المبدَلة من لامها بوزن فُعْل فقالوا أخت [لايذكر موجباً ولا مسوّغاً فليتأمّل القارىء في قولهِ] وليست التاء علامة التأنيث كما ظنّ من لاخبرة لَهُ بهذا الشأن .... قال الخليل تأنيث الأخ أُخت وتاؤها هاء . انتهى

التعليل الذي لا أساس لهُ ولا معنى فاللفظة موروثة مثل أخو وأبو وبنو والموروث لا تعليل ولا جدال في أصلِهِ إلاّ عند الذين وضعوه من ألوف السنين ونحن لم نقف بعد على أحوال السلف القديم .

★ ★ ★

(١٣٤)

مادّة خ ر ش – ب ص ر – أ ب س .

يروي بيتاً لابن مرداس على ثلاث صور !

إن تَكُ جُلمود بِصْرٍ لا أُؤَبِّسُهُ أُوقِدْ عليهِ فأُحميهِ فينصدِعُ
إن تَكُ جُلمودَ بَصْرٍ لا أُوَبِّسُهُ أُوقِدْ عليهِ فأَحميهِ فينصدعُ
إن تَكُ جُلمود صخْرٍ لاأُؤَبِّسُهُ أُوقِدْ عليهِ فأَحميهِ فينصدعُ

(١) بصر بفتح الباء وبكسرها (بمعنىً واحد) وصخر . ولكن ما الذي قالهُ الشاعر ؟

(٢) في أبس حيث يقول « صخر » قال : ورواها ابن برّي « بصر » فلماذا لم يذكر الراويَ في خرش وبصر ؟

(٣) في بصر قال أُوَبِّسُهُ بفتح الواو بلا همزة – فحوّل الفعل من أبس إلى وبس وفعل وبس غير وارد في اللسان –

(٤) في خ ر ش قال أُحميهِ بضمّ الهمزة أي أن الماضي أحمى (رباعي) .
وفي بصر وأبس قال أَحميهِ بفتح الهمزة أي أن الماضي حمى (ثلاثي) .
وهو القائل في ح م ي أحمى الحديدة في النار ولا تقولُ حَمَيْتُها .

وكم دعوتُ إلى الله أن يغلط المنضّد (عند إعادة الطبع) في تنضيد الغلط فيعود تنضيدُهُ صحيحاً .

★ ★ ★

(١٣٥)

مادّة ث غ و .

نقل مثلاً ورد على صورة واحدة عند الجميع أي حيث وثبت القرارة الأولى وثب القـرار كلّه . قال « مالَه ثاغية ولا راغية الثاغية الشاة والراغية الناقة » وهذا مثل قولنا لامَعه دينار ولا مئة دينار وقول أحدهم « عندنا من كرم المولى مايضمن لنا رفاهيـة العيش ويَسُدّ الرمق » في النفي يُقدَّم الكثير وفي الإيجاب يقدّم القليل ـ لاراغية ولا ثاغية .

★ ★ ★

(١٣٦)

مادّة ص ب ع .

قال : « الأُصْبَع واحـدة الأصابع تذكّر وتؤنّث وفيه لُغات : إصبعْ إصبَع إصْبيع أُصْبُع أُصبَع أُصبيع أصبُع أَصْبَع أَصْبيع أُصْبُـوع [كان يكفيه القول حَرِّكها كما تشاء] الأنملة » ـ أطـال الشرح في اللغات العشر وحرّكها كلّها وفسّرها بأنملة ولم يحرّك أنملة وأخطأ في تفسيره فالأنملة ليست الأصبع إنما هي المفصل المتطرف الذي فيه الظفر وهو أيضاً قال هذا في ن م ل .

يتبع : (سنپولو) توفيق داود قربان

نسخة ثالثة من كتاب
(ما بنته العرب على فعالِ)
لأبي الفضائل الحسن بن محمد الصغاني

نشر المجمع العلمي العربي بدمشق هذا الكتاب في سلسلة مطبوعاته سنة ١٩٦٤ وكنت قد قمت بتحقيقه عن نسختين مخطوطتين له وقفت عليها ، هما نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، ونسخة خزانة (أولو جامع) في بروسه بتركية . وقد وصفت النسختين في المقدمة التي قدمت بها للكتاب .

وفي رحلتي إلى استانبول في صيف سنة ١٩٦٥ اطلعت على نسخة مخطوطة ثالثة للكتاب ما كنت رأيتها قبل طبعه . وقد دلني عليها الأخ السيد رمضان ششن من قسم اللغة العربية بكلية الآداب في استانبول . فله الشكر والفضل .

هذه النسخة محفوظة في خزانة الشهيد علي باشا ضمن مجموعة برقم ٢٧١٩ ، في الأوراق [١٠٨ ا — ١٢٤ ب] منها . وهي نسخة قيمة مقروءة على المؤلف ، ومقابلة على أصله المكتوب بخطه ، بسماع عبد المؤمن ابن خلف بن أبي الحسن الدمياطي . وقد صحح المؤلف ذلك وكتب بخطه في آخر السماع . وتساوي هذه النسخة بذلك النسخة الظاهرية في قيمتها وجلالة قدرها . ولكنها لاتختلف عنها في شيء يذكر . وقد ثبت لي ذلك بمقابلة الكتاب المطبوع بها .

الدكتور عزة حسن

وفاة عالم جليل

نعى مجمع اللغة العربية بالقاهرة المغفور له الأستاذ الكبير حامد عبد القادر وهو أحد أعضائه العاملين الذين شاركوا بنصيب وافر في أعماله وأبحاثه . والفقيد ركن من أركان اللغة العربية وعلومها المتوارثة ، كان عالماً باللغات السامية وعلاقتها بالعربية بالإضافة إلى تمكنه في علوم التربية والتدريس . خلف مؤلفات عديدة في اللغة والتربية والأدب والتاريخ ، وكانت حياته طرازاً رفيعاً لجهد الأستاذ المربي والباحث المجلّي . حصنه الله بنفس زكية أُوتيت الدماثة والتواضع اللذين يتحلّى بهما العلماء الأصلاء .

وإن مجمع اللغة العربية بدمشق ليعرب بهذه الكلمة عن عميق حزنه لهذا المصاب الأليم ويقدم إلى مجمع القاهرة وإلى زملائه وعائلة الفقيد أصدق التعازي ويسأل المولى تعالى أن يتغمده برحمته وأن يجزيه عن خدماته للغته وعروبته أوفى الجزاء .



شكر

ورد إلى رئاسة مجمع اللغة العربية عدد كبير من البرقيات والرسائل من المجامع العلمية واللغوية والأعضاء المجمعيين في مختلف الأقطار الشقيقة وغيرها وهي تتضمن التعزية بالفقيد الكبير المرحوم الأستاذ عز الدين التنوخي نائب رئيس المجمع، والمجمع الذي كان الفقيد عضواً من أبرز أعضائه حقبة طويلة من الزمن ثم نائباً لرئيسه، يشكر السادة الذين تفضلوا بمواساتنا وتعزيتنا بالفقيد الكبير، سائلين الله تعالى أن يعوض الأمة العربية عنه خير العوض.

❊❊❊

تصويبات الجزء الثاني من المجلد (٤١)

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٥٠	٩	ينظر	تنظر
٢٥٠	١٤	الكناني	الكتاني
٢٥١	١٤	احييت	احببت
٢٥٢	٨	الشمس	النفس
٢٥٥	٢١	لَيْلِي	لَيْلَى



فهرس المجلد الأربعين

الجزء الأول

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

الجزء الثاني

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

الجزء الثالث

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

الجزء الرابع

صفحة